دِيوَانُ الأَعْشَى الكَبِيرِ

مَيْمُون بن قَيْس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو ديوان الأعشى أبى بصير ميمون بن قيس بن جندل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل. وترجع صلتى به إلى سنة ١٩٣٤، حين كنت طالباً فى قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد، فكلفت بكتابة بحث عنه، فيما يكلف به الطلبة من بحوث. فلما تخرجت فى الكلية اخترته موضوعاً لرسالة تقدمت بها فى سنة ١٩٤٠ للحصول على درجة الماجستير، بإشراف أستاذى الدكتور طه حسين بك، فكان لتوجيهه أثر كبير فى تقريب الشاعر من نفسى وفى اتخاذ العصر الجاهلى ميداناً لدراستى المستقبلة. وقد تبينت وقتذاك أن طبعة الديوان الأوروبية — على ما بذل فى إخراجها من جهد كبير — لا تسلم من بعض وجوه النقص. ولم تزل فكرة طبع الديوان من جديد تراودنى منذ ذلك الحين، حتى يسر الله بإنجازها فى هذا العام، بعد عمل اتصل ثلاث سنوات.

والأعشى فى اللغة هو الذى لا يبصر فى الليل ويبصر فى النهار. وقد فسره بعض اللغويين بسوء البصر، وفسره بعضهم بالعمى. ولكن التفسير الأول هو أشهرها.

والملقبون بهذا اللقب من الشعراء كثير، أحصى منهم الآمدى فى « المؤتلف والمختلف » سبعة عشر شاعرا بين جاهلى وإسلامى. وهم يميزون بينهم بنسبتهم لقبائلهم، فيقولون أعشى همدان وأعشى باهلة وأعشى تغلب وهكذا. وأشهر هؤلاء جميعاً شاعرنا أعشى بنى قيس بن ثعلبة. فقد كان أحد الذين اختلف فيهم قدماء النقاد، ففضله بعضهم على سائر شعراء الجاهلية. وكانوا يسمونه « صَنَّاجَةَ العَرَب » لجودة شعره، ولما له فى الآذان من دوى ورنين، حتى ليخيل لسامعه أنه ينشدُ على جَرْسِ الصَّنْجِ.

وقد نشر المستشرق الألمانى رودلف جاير Rudolf Gayer هذا الديوان للمرة الأولى سنة ١٩٢٨. نشره عن ست نسخ، هى كل ما أمكن جمعه من النسخ المخطوطة للديوان (١). واستعان بعد ذلك بعدد ضخم من الكتب العربية بلغ فى مجموعه خمسمائة وتسعة وستين مؤلفاً، استخرج منها جميعاً كل ماروى للأعشى من شعر، وأثبت فى الملحقات رواية كل بيت من أبيات الديوان، جاء ذكره فى واحد من هذه الكتب، مع قراءات النسخ المختلفة.

والواقع أن مجهود الناشر فى الديوان يعتبر مثالا للدقة وللأمانة العلمية وللجلد على العمل الطويل الذى اتصل فى خدمة هذا الكتاب أربعين عاماً. وقد اعتمدت على هذا المجهود القيم فى طبعتى هذه، فبدأت عملى من حيث انتهى جاير. ولذلك كان من حق هذا المستشرق على أن أعتبر عملى فى الديوان إتماما لمجهوده المضنى، وثمرة لعمله المتصل الدءوب

وقد ختم جاير ديوان الأعشى – كما جاء فى رواية ثعلب – بجمع ماعثر عليه مفرقاً فى الكتب مما نسب إلى الشاعر من شعر

---

(١) وهى نسخة من مكتبة الاسكوريال — وعليها كان جل اعتماده — وأخرى من دار الكتب المصرية، وثالثة من ستراسبورج، ورابعة من زاخو — والنسختان الأخيرتان منقولتان عن نسخة القاهرة — وخامسة من ليون، وسادسة من باريس.

وأكثره أبيات متفرقة ، نسقها وحاول أن يلائم بينها بضم ما يتفق فى البحر والروى .

على أن كثيراً من هذه الأبيات واضح الخطأ فى نسبته لأعشى قيس ، مثل القطعة (١٢١) :

تطرد القُرَّ بحَرٍّ صادق   وعكيكَ القَيْظِ إن جاء بقُرّْ

فهو لطرفة من قصيدته :

أصحوتَ اليوم أم شاقتك هِرّْ   ومن الحب جنونٌ مُسْتَعِرْ

والقطعة (١٢٢) :

كأن المُدَامَ وصوبَ الغمام   وريحَ الخزامى ونَشْرَ القُطُرْ

فهى لامرئ القيس من قصيدته :

أحارِ بْنَ عَمْرٍو كأنى خَمِرْ   ويَعْدُو عَلَى المَرْءِ ما يأتَمِرْ

والقطعة (١٢٩) :

خَفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بَكَرُوا   وأزعجتهم نَوًى فى صَرْفِهَا غِيَرُ

فهو أول رائية الأخطل المشهورة .

والقطعة (١٦٢) :

ولَجَّ بكَ الهجرانُ حتى كأنما   ترى الموتَ فى البيت الذى كُنْتَ تَعْرِفُ

فهى البيت الثانى من فائية الفرزدق :

عَزَفْتَ بأعْشَاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ   وأنكرتَ من حَدْرَاءَ ما كنتَ تعرف

وبعض هذه القطع واضح الخطأ فى نسبته للشاعر، مثل القطعة (١٣٥) التى يشير فيها الشاعر إلى عثمان ومروان . ومعظمها رواية محرفة لأبيات فى الديوان ، مثل القطع ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥

من أجل ذلك ضربت صفحا عن هذا القسم من ملحقات الديوان ، ولم ألتفت إليه . وحصرت عملى فى تقويم نص الديوان ــ كما رواه ثعلب ــ وتيسير الانتفاع به .

أما النص فقد كانت الأخطاء فيه كثيرة فى الجزء الأخير . ويرجع ذلك لأسباب كثيرة ، منها ما أشار إليه جاير من قدم الخط وصعوبة قراءته فى نسخة الإسكوريال ، وما أصابه من العطب نتيجة الحريق والبلل . وقد زاد مهمته صعوبة إهمال الناسخ ورداءة خطه من آثار الملل أو التعب قرب نهاية المخطوط . ومنها إصابة هذا المستشرق الجليل بشلل فى جانب جسمه الأيمن أثناء نشر الديوان . والعجيب حقاً أن هذا المصاب الخطير لم يصرف الرجل الكبير عن المضى فى عمله ، مستعينا ببعض أصدقائه وتلاميذه . يضاف إلى ذلك أن الشرح الذى يصحب النص فى مخطوط الاسكوريال ، فيساعد على فهمه وتقويمه ، كان يقل بالتدريج ، حتى خلت القصائد الأخيرة منه خلوا تاماً .

وقد أعتمدت فى تقويم النص على ملحقات الناشر ، التى أثبت فيها خلافات النسخ ورواية الأبيات كما جاءت فى كتب اللغة والنحو والأدب . ولم أسمح لنفسى بالخروج عن هذه الروايات إلا حين يبدو التصحيف واضحاً .

مثل البيت (٤) من القصيدة (٢٦) :

كأنك لم تشهد قرابين جمة تَغِيثُ ضِيَاعٌ فيهم وعواسل

فقد كان التصحيف واضحاً فى الشطر الأخير وصوابه (تَعِيثُ ضِبَاعٌ) .

ومنها البيت (١١) من القصيدة (٣١) :

تشكىَّ إلىَّ فلم أشكها مَنَاسِمَ تُرْمى وخُفًّا رهيصا

وصوابه (مَنَاسِمَ تَدْمَى) .

ومنها البيت (٥٥) من القصيدة (٣٦) :

ولقد أمنح من عاديته كُلَّمَا يَحْسِمْنَ من ذاء الكَشَحْ

وصوابه (كُلَّ مَا يَحْسِمُ)

ومنها البيت (٣) من القصيدة (٤٩) .

تراهُمُ غيرَ أثباط بِمَزْرَعَةٍ توابع للحيم حيثما ذهبوا

وصوابه (غير أثباط بِمَذْرَعَةٍ)

ومنها البيت (٩) من القصيدة (٥٦)

فقَبُّوا نحونا الجبا بهذا السهلَ والأكما

وصوابه (يَهُدُّ السهلَ والأكما) .

والبيت (٢٦) من هذه القصيدة .

بمثلهم غداة الرَّوْحِ يجلو العز والكرما

وصوابه (غداة الرَّوْعِ)

ومنها البيت (٦) من القصيدة (٦٠) :

ولو أنَّ مَا أسرفتمُ فى ذِمَائِنَا لدى قُرَبٍ قدوكُمِدَتْ وَأَنَى لَهَا

وصوابه (. . . فى دِمَائِنَا . . . قد وُكِّرَتْ . . .)

ومنها البيت (٧) من القصيدة (٦٣) جاء فى طبعة جاير (سَهرَتْ بالعشاء) وصوابه (سَمَرَتْ) . والبيت (٩) منها جاءت قافيته (مَصْدُوفِ) وصوابها (مَسْدُوفِ) . والبيت (٢٥) منها ، كان (غيرِ الصَّدِيف) ، فصححتها (غَيْرَ الصَّرِيفِ) . والبيت (٢٦) منها ، كان (ذَاهِبَاتْ) ، فصححته (ذَاهِبَابِ) . والبيت (١٦) من القصيدة (٦٥) . كان فيه (القَنْقَرِيَّةُ) ، فصححتها (العَبْقَرِيَّةُ) . والبيت (٣) منها ، كانت قافيته (كَبُودُ) ،وصوابها (كَنُودُ) . والبيت(١٨) منها ، فيه (أجزَأَلَتْ)

وصوابه (أَحْزَأَلَّتْ) . والبيت (٢٧) منها ، فيه (والسَّدَلُ الفَرِيدُ) ، وصوابه (والسَّدِلُ الفَرِيدُ) والبيت . (٣٧) منها ، رسم الشطر الأول منه هكذا (. . . حانكِ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيْلَ عَنَّا) وهو (فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيلَ عَنَّا) ، ولم يسقط من الشعرشىء كما توهم النقط . والبيت (١)من القصيدة (٦٧) ، جاء فى النسخة الأوروبية :

وَإِذَا أَتَيْتَ مُغَنِّيًا فِى دَارِهَا   أَلْفَيْتَ أَهْلَ نَدًى هُنَاكَ خَبِير

وصوابه (. . . مُعْتَبًا . . . . وَخِيرِ) :

هذه أمثلة لما قومته اعتمادا على المعنى ، مما بدا التصحيف والتحريف فيه واضحا . ولا أرى داعياً للاستقصاء والإحصاء ، فانما قصدت إلى التمثيل ، لا الغض من جهد جار ، الذى هو موضع إعجابى الشديد . أما الذى اعتمدت فيه على ملاحق الديوان فهو كثير لاداعى للإشارة إليه . وقد كان عملى فيه ترجيح رواية على أخرى ، حين يبدوفسادالرواية المثبتة فى النص أو مجانبها للصواب .

ويكثر أمثال هذا التحريف فى النصف الثانى من الديوان ، ابتداء من القصيدة (٣٨) . ولكنها تزيد فى آخر الديوان ، وخاصة حين يقل الشرح أو ينعدم إلى درجة المسخ والتشويه ، بحيث يتعذر فهم النص فى عدد كبير من الأبيات ، ابتداء من القصيدة (٦٠) حتى نهاية الديوان .

أما ما هدفت إليه من تيسير الانتفاع بالديوان ، فقد كان جهدى فيه محصورا فيما يلى :

(أولا) مراجعة الشرح ، وتعقب ما فات الشارح منه[1] . ويقل الشرح ـ كما أشرت ـ فى النصف الثانى من الديوان حتى ينعدم تماما فى القصائد الأخيرة .

(ثانيا) التقديم للقصائد بالتعريف للأعلام والأحداث التى تشير إليها ،مع بعض الملاحظات العامة عليها ، والإشارة فى صدر كل قصيدة إلى بحرها .

(ثالثا) تقريب الشعر إلى القارىء بتقديم نثر كامل للقصائد يقابل النص الشعرى . وهذا النثر يشبه أن يكون ترجمة للنص القديم إلى لغة حديثة ، تقرب الدارس منه وتنير أمامه الطريق . فقد بدا لى أن الصعوبة فى ممارسة النصوص القديمة لا تقف عند غرابة الألفاظ والتراكيب . ولكن جزءاً كبيراً منها يرجع إلى طريقة تصور هؤلاء الشعراء القدماء للأشياء . فمن الواضح أنها تختلف اختلافاً كاملا عن طريقة تصورنا لها، لاختلاف البيئة زماناً ومكانا ، ولتغير القيم الأخلاقية والاجتماعية تبعا لذلك . ولهذا كان شرح المفردات والأساليب وحده لا يكفى لفهم الشعر وتذوقه . هذا إلى أن بعض الدارسين قد لا يعنيهم الشعر نفسه من ناحيته البلاغية والفنية ، إذا كان قصدهم إلى الدراسات التاريخية أو الاجتماعية . وأمثال هؤلاء يستطيعون الاستغناء عن النص بالترجمة النثرية .

وقد حرصت فى نثرى لهذا الشعر على أن أحتفظ ما استطعت بجوه وبتأثيره ، فجربت فى هذا السبيل كثيراً من الأساليب . حاولت أن أحتفظ فى النثر بقافية الشعر ووحدة البيت ، كما فعلت فى القصيدة (١) . ولكنى رأيت أن التقيد بالقافية يحد من حريتى فى الشرح والتوضيح ، فغيرت القافية كلما استعصى على المضى فيها ، كما فعلت فى القصيدة (٢) .

---

(١) وقد أثبت الناشر فى مقدمته أن هذا الشرح ليس لثعلب ، وأن عمل ثعلب فى الديوان لم يتجاوز رواية النص ، لأنه لاحظ أن الشرح لايتمشى مع النص فى بعض الأحيان . ولذلك رجح عنده أن يكون هذا الشرح منقولا عن نسخة أخرى من غير رواية ثعلب .

ولكنى تبينت مع ذلك أن الصعوبة لا تزال قائمة ، وأن مثل هذا النثر على قربة من اللغة الشعرية فى التنغيم لا يؤدى الفائدة المرجوة منه ، بتقريب هذا الشعر من المعاصرين وإعانتهم على تذوقه . ولذلك حاولت محاولتى الثالثة بتقديم النثر فى شكل مجموعات، تصور كل مجموعة منها عددا من الأبيات المترابطة المعنى . ورأيت أن هذه الطريقة تسمح لى بإبراز مواطن الجمال ولفت القارئ إلى دلالات بعض الأبيات . وقد فعلت ذلك فى القصائد (٣ — ١١) . ولكنى عدت آخر الأمر إلى الاحتفاظ فى نثرى بوحدة البيت ، مع الإبقاء على طريقتى السابقة فى إبراز الصلات بين الأبيات ، والتنبيه إلى تنقل الشاعر بين مختلف الأغراض ودلالات هذا الانتقال .

وتركت كل هذه المحاولات، فلم أعد إليها لتوحيد شكلها وردها إلى نمط واحد ، فقد ظللت حتى الآن متردداً فى التفضيل بينها وفى ترجيح أحدى هذه الأساليب على الأساليب الأخرى ، لأن لكل منها مزيته . فعرضتها كما هى ، وتركت الحكم فى المفاضلة بينها للقارئ .

(رابعاً) ووضعت فى آخر الديوان فهارس للمفردات اللغوية وللأعلام والأماكن والأغراض والمعانى ، لتيسير الانتفاع الكامل بالنص الشعرى. كما وضعت جدولا لتصحيفات النسخة الأوروبية ، ولما بينها وبين هذه النسخة من مخالفة ، حتى لا أفرض فهمى على القارئ .

* * *

وقد ساعدنى فى إخراج هذا الكتاب جماعة من الأصدقاء فتفضل الأستاذ شوقى أمين بمعاونتى فى مراجعة مسودات الطبع ، وأسدى إلى كثيراً من الآراء النافعة التى اقتنعت بكثير منها وأخذت به . وتفضل الزميل الأستاذ محمد أبو الفرج المعيد بقسم اللغة العربية فى جامعة فاروق بوضع الفهارس اللغوية للديوان ، كما تفضل محمد افندى عبد اللطيف الشويمى الطالب بليسانس الآداب بوضع فهارس الأعلام والأماكن والقبائل والأيام . وتفضلت الآنسة عزة كرارة ، المتخرجة فى قسم اللغة الانجليزية بجامعة فاروق ، بترجمة المقدمة الألمانية للمستشرق جاير فى الطبعة الأوربية . فإلى هؤلاء جميعاً أقدم شكرى الخالص .

وأخيرا ، فقد يكون من المفيد أن أضع بين يدى القارئ ترجمة لمقدمة جاير فى الطبعة الأوربية للديوان . فهى — على ما فيها من نفع — درس خلقى رفيع فى إنكار الذات ، والتفانى فى خدمة العلم ، وحمل أمانته حتى الموت .

رمل الاسكندرية ١٠ فبراير سنة ١٩٥٠

محمد حسين

مقدمة الطبعة الأوروبية لديوان الأعشى

لرودلف جاير

تمكنت فى نفسى فكرة نشر أشعار الأعشى ميمون منذ أكثر من أربعين عاماً . فبدأت وقتئذ فى جمع كل مايتعلق به، واستحضرت نسخاً من مخطوطات ديوانه فى ليدن والقاهرة . ولكننى حين علمت أن ثوربيك Thorbecke يستعد لنشر هذا الديوان ، وأنه فوق ذلك يمتلك صورة للمخطوط الإسكوريالى ، حين علمت بذلك وضعت كل ماجمعت تحت تصرفه . فأخذ بعضه، ثم طلب منى ماجمعته من أساس البلاغة للزمخشرى ، فأرسلته إليه . وهو يكون الآن جزءاً من مخلفاته فى هذا الموضوع . ولكنه توفى للأسف بعد ذلك ، قبل أن يتخطى المرحلة الأولى من أبحاثه ، وقبل تكملة مجموعته .

وفى ١٧ فبراير سنة ١٨٩٠ أرسل إلى أوجست موللر August Muller من كونجزبرج خطاباً ، يعرض على فيه إتمام مابدأه ثوربيك من ديوان الأعشى ، إذ أخذ على عاتقه مهمة إصداره بمعاونة سوكين Socin بعد أن عين خلفاً لثوربيك فى هل Halle ، فقبلت عرضه . ثم أحال على رئيس الجمعية الشرقية والألمانية المجموعات المتعلقة بالأعشى والمجموعتين اللتين تعرفان فى مكتبة الجمعية بـ Ms.Th- A.30 ، بعد مشورة موللر وموافقة أرملة ثوربيك ، وبذلك أصبح فى حيازتى المخطوط الاسكوريالى ، الذى هو أساس الجزء الأكبر من هذا الكتاب . وسيأتى الكلام عنه بإسهاب . كما أصبحت فى حيازتى مخطوطات ثوربيك الموجودة بالملزمة الثانية ، وهى تتكون من ٣٦٦ صفحة ، وأكثرها أوراق منفصلة فى حجم الفلسكاب duodez.quart.Oktav . وتكون الأوراق المحصورة بين رقم ٢٧٧ و٣٥٣ كراسة واحدة مجلدة ، فيها مقارنات بين المخطوط فى نسخ باريس وليدن وستراسبورج ، كما تحتوى الصحيفة ٣٥٤ وما بعدها إلى ٣٦٦ على معلومات شتى عن خطوط أخرى . أما الأوراق المنفصلة من ١ إلى ٢٦ ، ومن ١٧١ إلى ٢٧٦ ، فتحتوى على ملاحظات متباينة غير مرتبة . وتحتوى الصحائف من رقم ٢٧ إلى ٢٧٠ على ملاحظات أخرى وبيانات ، قد رتبت ترتيباً أبجدياً حسب قوافى الأبيات . كما أن الجلدة الخارجية للكراسة التى سبق ذكرها ، والتى استعملت بعد انفصالها كغطاء للمجموعة كلها ، تحمل كذلك بعض الملاحظات . وقد كانت جميع هذه الملاحظات توافق فى أغلب الأحيان آرائى الشخصية ، ولكنى مع ذلك سررت ، لأنها أتاحت لى فرصة مراجعة مجموعتى وتمحيصها . ومن الواضح أننى توسعت فى أبحاثى خلال السنوات السبعة والثلاثين الماضية ، وأضفت إليها كثيراً من الزيادات . وقد اجتمع لى من البحث عن آثار الأعشى فى مختلف المصادر قدر لا بأس به، وظهر لى المركز العظيم الذى يتمتع به هذا الشاعر فى جميع العصور بين العلماء ، فمركزه كشاعر يأتى بعد امرىء القيس مباشرة .

يضاف إلى كل ذلك أن مجموعة من زملائى وضعوا تحت تصرفى كل ماجمعوه عن الأعشى ، كما أنهم أرسلوا إلى مجلدات مكتوبة باليد من مقتطفات صعب على الحصول عليها .

وقد كانت الصعوبة الكبرى التى اعترضتنى ناتجة عن رداءة حالة المخطوط الإسكوريالى العظيم القيمة ، مما وقف عقبة فى سبيل قراءته . وقد تولانى اليأس مراراً بعد ماعانيت فى سبيل قراءته ، فقررت — كمحاولة أخيرة — أن آخذ بعض القصائد

المنفردة من المخطوط الاسكوريالى — وكان لدى منها مايكفى — وأن أقارنها بقصائد أخرى فى نفس المغنى من أشعار الأعشى الأخرى . ثم إننى حاولت ، بفحص الشرح والتوضيح المرافقين للشعر فى نفس المخطوط وفى مخطوطات أخرى ، أن أفهم طريقة الشاعر فى التعبير . وعلى هذا النحو تكون كتابى « قصيدتان للأعشى — فينا ١٩٠٥ ، ١٩١٩ » . ومع مايبدو لى من النقص فى هذا الكتاب ، فأنا مدين له بالمعلومات الكثيرة التى استفدتها من العمل فيه ، و بأنه كان سبباً فى لفت نظرى إلى عملى الأساسى ، فتشجعت واستأنفته مزوداً بقوى جديدة . وقد كان السير تشالز لايل Sir Charles Lyall هو السبب فى تحمل هيئة جيب التذكارية E . J . W . Gibb Memorial نفقات الطبع . فبدىء به فى خريف ١٩٢٢ ، ولم يصادف أى تعطيل يذكر ، حتى عندما أصبت بشلل فى جانب جسمى الأيمن أقعدنى حتى اليوم . وأنا أرجو أن لايؤثر هذا المصاب كثيراً فى عملى ، وأن لايترك به آثاراً ملحوظة .

وإنى لأعجز عن شكر جميع من تكاتفوا معى على إتمام هذا العمل الشاق ، فعددهم الكبير يحول دون تسميتهم ، وإن كان أغلبهم قد ذكروا فى فهرس الكتاب . وأحب أن أعبر عن عظيم امتنانى لهيئة جيب التذكارية ، لتحمل نفقات الطبع . كما أننى أدين بالشكر لرئيس جمعية الشرق الألمانية ، الذى سمح بإبقاء مخلفات ثوربيك لدى لمدة تقرب من أربعين سنة . كما أننى أشكر من أعماق قلبى جميع أصدقائى وتلاميذى الذين ساعدونى فى هذا العمل الشاق بمختلف الوسائل ، وخصوصا الأستاذ الدكتور براو Braw ، الذى أعاننى أنا المقعد بكل ماأوتى من قوة ، والأستاذ الدكتور كوفالسكى Kowalski فى كراكاو Krakau ، الذى راجع النص العربى وأضاف إليه نصائح عملية مفيدة ؛ وكذلك السيد كرنكو Herr Krenkow فى بكنهام Beckenham ، الذى لم يدخر وسعاً فى أن يمنحنى من قراءاته المتعمقة آراء جديدة ، والأستاذ بيفان Bevan من كمبردج Cambridge ، الذى أمدنى بمقترحات جليلة لإصلاح النص الشعرى وتفسيره . فإلى هؤلاء أتقدم مرة ثانية بوافر الشكر ، كما أذكر بالخير مرة أخرى دار هلتزهاوزن للطبع Holzhausen ، التى أتمت عملها بكل عناية ودقة .

ر . جاير R. Gayer

« حاشــــية »

وصلنى فى يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢٨ ، ومجلدى لم يخرج بعد من المطبعة ، خطاب من ميمون عبدالعزيز ، القارىء العربى بالجامعة الإسلامية بألجيرا Aligarh (U.P. India) ، يعرفنى فيه بأنه فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٢٧ وجد فى مكتبة المدينة . برامبور Rampur مخطوطاً غير مضبوط بالشكل ، يحتوى على ٣٣ قصيدة للأعشى ، وبأنه سيقارن هذا النص بما جاء فى كتابى وإنى أتمنى أن أخص ملاحظاته فى الطبعة الثانية لكتابى بما تستحقه من التقدير ، وأشكره شكراً صادقاً على صنيعه هذا .

كيفية وضع وإنشاء الكتاب

وضعت تحت تصرفى لهذا المجلد من أشعار ميمون الأعشى الكتب والمخطوطات الآتية :

المخطوط الاسكوريالى : أمكننى استعماله من إحدى الصور الشمسية من مخلفات ثوربيك لدى جمعية الشرق الألمانية . ولقد

ساعدنى على قراءة بعض الأوراق غير الظاهرة الصور التى التقطها ب سانشى P.Sanchez فى الإسكوريال ، والتى وصلتنى عن طريق هيئة جيب التذكارية . ولما كان شرحا كاسيرس Casiris وديرنبورج Derenbourg غير وافيين ، ولا يخلوان من أغلاط ، فقد وجدت نفسى مضطرا إلى الاعتماد - قدر المستطاع - على هذا المخطوط القديم الوافى فى محتوياته ، كى أقدم نسخة دقيقة تعتمد على الشرح السابق ذكره .

ويتكون المخطوط من ١٣٤ ورقة مكتوبة من وجهيها . ويحتوى الوجه الأول والثانى للمخطوط على ١٩ سطرا ، أما الباقى فيتكون من ١٨ سطرا فقط . وعلى ذيل المخطوط الأصلى كتب بين قوسين (   ) بخط يدل على أنه لكاتب أوروبى من القرن الثامن عشر (قد يكون هو كاسيرس) وبأرقام إفرنجية ، تعداد للصفحات يغاير الرقم الصحيح . وقد نتج الخطأ من أن عدد الصفحات فى هذا التعداد - وهو ١٣٩ - قد دخلت فيه أربع صفحات كانت فى مقدمة المخطوط ، ثم سقطت منه الصحيفة رقم ٣١ فلم تلاحظ عند العد . ولم يلاحظ ديرنبورج ذلك ، فنقل الرقم غير الصحيح فى فهرسه . أما انثناء الفرخ فلا يظهر فى الصورة الشمسية لعدم وجود أرقام بكل وجه . ولكن الظاهر أن الأفرخ كانت مطوية خماسيا ، كما هو الحال فى كتب الشرق العربى . وعلاقة الورقة ١٠٨ ب (التى هى فى الواقع ١٠٣ ب . انظر ص ١٧٣ س ١٤) بالقصيدة ١٨ ، التى تقع فى الكراسة السابعة ، تدل على ذلك . لأن هذه القصيدة تقع فى الورقة ٦٨ (التى هى فى الحقيقة ٦٣) ، أى فى الكراسة الخماسية السابعة ، فى حين أنها تصبح فى الكراسة الثامنة إذا كان الطى رباعيا ، وفى السادسة إذا كان الطى سداسيا[1] . وإذا كان مقياس الصورة الشمسية يطابق الأصل ، كان طول الورقة ٢٣٣ مم وعرضها ١٦٢ مم .

ولا يمكن معرفة مادة الورق من الصورة الشمسية ، ولكن من الجائز جدا أن يكون من ورق الخرق (الكُهْنَة) . أما الكتابة ، فقد أصابها ضرر كبير بسبب آثار الحريق ، الذى أدى إلى إخفاء معالم المثلث الأعلى للناحية الخارجية بكل ورقة ، وكذلك الكتابة حتى السطر الرابع من الداخل . ثم إن الماء الذى استعمل فى إخماد النار قد جعل الخط الملاصق للجزء المحروق غير مقروء إلا بصعوبة كبيرة . كما أنه أثر فى بعض المواضع على السطر الأخير من الجزء الأسفل . أما العنوان فقد حفظ من التلف بسبب وجود أوراق فوقه أو جلدة قديمة له . أما الصفحات الست الأخيرة للكراسة ١٤ فكانت فريسة اللهب . وبذلك ضاعت نهاية المخطوط ، وضاع معها إمضاء الكاتب وتاريخ الكتابة .

ويبدأ المخطوط من الصفحة ٥ ب (التى هى فى الحقيقة ١ ب) . وقد وزعت الكتابة على مساحة الصفحة بطريقة تجعل البيت الواحد من الشعر المكتوب بخط كبير يحتل عرض الصفحة كلها (١٣٠ مم) فى مجموعات ثنائية غالبا أو أكثر ، بينما يحتل الشرح المرافق للنص مساحة أصغر عرضها ١١٠ مم بخط أصغر . ونهايات السطور فى الشعر وفى الشرح منسقة تنسيقا دقيقا ، مما أدى إلى تطويل القافية فى الأبيات القصيرة ، حتى تتساوى مع السطور الأخرى ، فى حين أن الكاتب لم يعن بالفصل بين الشطرتين فى الأبيات .

---

(١) الكلام هنا غير مفهوم لى . فالسطر ١٤ من صحيفة ١٧٣ الذى يشير إليه فى الطبعة الأوروبية ، والذى يقع فى ص ١٠٨ فى الأصل ، هو نهاية الحديث عن منافرة عامر وعلقمة . وقد كان الطبيعى أن يلى ذلك القصيدة ١٨ (التى تقع فى ص ٦٨ فى الأصل) ، لأنها فى تنفير عامر على علقمة ، فالكلام السابق مقدمة لها . ولست أعرف وجه استدلاله بهذه الصلة على أن الورق مطوى طيا خماسيا .

أما الملاحظات التمهيدية لكل قصيدة فقد كتبت بنفس الخط الصغير . والخط الذى كتب به المخطوط هو خط النسخ العربى القديم جدا . وهو يدل على يد متمكنة مبدعة . ولكن شيئا من عدم العناية يظهر قرب نهاية المخطوط ، نتيجة الملل أو التعب . وكذلك يظهر عدم العناية فى الخط الذى كتب به العنوان ، وهو يحمل طابع العصور القديمة جدا ، كما يبدو من ملاحظة المين فى لفظ (صنعة) ، مما جعل خبيرا مثل جروهمان Grohmann يحدد تاريخ المخطوط بالقرن الرابع على الأكثر ، ويفضل وضعه فى القرن الثالث الهجرى . كما أن المخطوط الشعرى والمقدمة والتفسير كلهامشكلة تشكيلا تاما حسب المتفق عليه فى العصور الأولى (فتستعمل مثلا العلامة ‿ بدلا من ‌ٌ ، ‌ِ بدلا من ‌ٌ) ، وهنا أيضا دليل على ما لوحظ من أن التشكيل يعطى عناية أقل من النص ذاته ، وهذا ظاهر فى التفسير ، حيث يوضع السكون بدلا من حركة الإعراب . كما يلاحظ وضع التشديد بدلا من قاعدة اللومير(؟) Laumir regeln فتطول غالبا بالميم[1] . وتظهر دقة الكاتب فى أنه يترك الكلمات أو الجمل غير المفهومة لديه بدون تشكيل . ومع هذا فلا يجب أن يظن أن التشكيل غير قابل للطعن فى أغلب الأحيان . ويعرض لنا الشك أيضا حينما يتناول التحريف الحروف المتقاربة فى الرسم ، كالتحريف بين الضاد والظاء وكل هذا دليل قاطع على وجود أصل قديم ، حينما كان رسم الضاد والظاء متقاربان ، فكانا يرسمان هكذا b ، b ، إلى أمثال هذا التحريف . ثم إنه من العسير جدا التمييز فى الحالات الفردية بين الدال والراء والواو .

وعنوان المخطوط موزع كالآتى :

سِفْرٌ فيه شِعْرُ الأَعْشَى و (هو ميمون)
بن قيس بن جَنْدَلٍ
من صَنْعَةِ أبى العَبَّاسِ أحمَدِ بن يَحْيَى
المَنْبُوز بثَعلَب رحمَه الله
وهو لعلى بن زيد بن محمد بن يعيش الأسطوانى (؟)
وفقه الله وأرشدهُ

ثم . . . .

ثم تصير من بعده رحمه الله لحفيده على بن جعفر بن على بن زيد وفقه الله وحرزه فالشِرَاء فى العشر الوسط من ذى القعدة عام أحد وعشرين وستميئه .

أما السطر الذى يعود على المالك الثانى فقد كشط أولا ثم محى بعد ذلك .

ويحتوى المجلد على ٧٣ قصيدة بالخط الكبير ، من القصيدة رقم ١ إلى ٤٢ ، ومن ٤٧ إلى ٧٦ ، ثم القصيدة ٧٧ إلى البيت ٢٦ منها . (فى حين أن القصائد من ٤٣ إلى ٤٦ كتبت بالخط الصغير) . والذى يدل على أن العناية لم تكن فى إيجاد مادة دقيقة الشكل موحدة المنظر هو التشابه الذى يبدو فى بعض القصائد بتكرار بعض الأبيات ، كالذى نجده بين القصيدتين (٥١ = ٦١) ، (٦٠ = ٧٢) . وقد ذكر جامع الأشعار فى مقدمة بعض القصائد أسماء الرواة الذين اعتمد عليهم فى نقل تلك القصائد ، أمثال

---

(١) لاأعرف ماذا يقصد بقاعدة اللومير Laumirregeln .

أبى عمرو بن العلاء فى القصائد ٦ ، ١١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، وأبى عبيدة فى القصائد ١ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، وأبى عمرو الشيبانى فى القصيدة ٥٦ . أما فى القصيدة ٢٩ فقد أشار فيها إلى اسم راويتين، وهما أبو عبيدة وأبو عمرو بن العلاء. وهذه الملاحظات مكتوبة بالخط الكبير ، ماعدا الملاحظة المرافقة للقصيدة ٥٥ . أما رواة القصائد الأخرى فلم يشر إليهم جامع الديوان .

والمقدمات التمهيدية والشروح التى ترافق النص الشعرى لقصائد ميمون وافية فى البداية ، وتكثر تدريجياً بدرجة كبيرة . ولكنها تأخذ فى النقصان عند النهاية ، فلا نجد سوى تفسير لبعض المفردات . وكثيراً مانصادف معلومات تاريخية وافية تبعث جدتها على الدهشة ، مثل أسطورة طسم وجديس ، ومنافرة عامر وعلقمة ، ونبأ الحرب بين هراكليوس Heraklios وكسرى أبرويز ، وواقعة ذى قار ، ونحو ذلك . ولا شك أن هذا المخطوط كان يمكن أن يكون كاملا فى نوعه لولا كثرة مافيه من الفجوات . أما عن تشعب معلومات الجامع وسعة اطلاعه فتظهر فى فهرس الرواة المرافق للمخطوط .

ثم إن الشرح لايهتم — كما هو الحال فى معظم شروح الدواوين — بالمفردات والإعراب فقط ، بل يتعداها إلى معلومات فياضة واسعة نادرة . فكثيراً مايتمثل فى شرحه بأبيات من شعراء كثيرين فيهم من لانعرفه . بل لقد يذكر فى نص الديوان الشعرى رجزاً للأعشى فى بعض الأحيان .

وقد ذكر فى عنوان المخطوط أن أشعار ميمون الأعشى من صنعة ثعلب ، فتوهم كاسيرس وديرنبورج أن التفسير من صنع ثعلب أيضاً . ولقد ظننت أنا هذا فى بادىء الأمر، مما أدى إلى الخطأ فيما ذكرت فى الغلاف الداخلى للكتاب فى الصحيفة رقم ١ . ولكنى لم أكد أتقدم فى عملى بالديوان حتى تبينت أن الشرح لم يكن يرافق النص الشعرى لثعلب . والأسباب التى دفعتنى إلى هذا الرأى جلية إذا درست الملاحظات بدقة . وسأجملها فيما يلى :

١ — كثيراً مايتناول التفسير البيت بقراءة مخالفة لنص ثعلب الشعرى ، فمثلا :

القصيدة (١) ذكر فيها البيت (٣٣) هكذا (آلت طليحا) بينما هى فى التفسير (آضت طليحا) .

» (١٢) نجد فى البيت (٢٠) كلة ، وتَبْطُنُ) . }
» (١٦) » » (٤٢) (بأسدخفية وصعاد) } ويدل التفسير فى الموضعين على أنه يتبع نصاً آخر غير نص ثعلب[1] .

» (١٧) فى البيت	(١) نجد (الظهيرة)	بينما يتناول التفسير	الكلمة على أنها			(الوديقة)
والبيت	(١١) » (أجرد)	»	»	»	»	(أحرد)
القصيدة (٢٨) فى البيت	(٣٢) » (دياراً)	»	»	»	»	(دباراً)
» (٣٢) » »	(٩) » (عانس)	»	»	»	»	(عابس)
والبيت	(٢٩) » (تلاحق)	»	»	»	»	(تواهق)
القصيدة (٣٥) فى البيت	(١١) » (مرجاً)	»	»	»	»	(مرحلا)

(١) لانه يقول فى الشرح ١ : ٣٣ (... ويروى وتبطن بفتح التاء عن أبى عبيدة) . ويقول فى الموضع الثانى ٠٢ : ٢٠ (.. ويروى بأسد خفية وصعاد) ، فهو يفترض فى الحالتين أن رواية الشعر فى النص تخالف هاتين الروايتين ، مع أنهما فى الواقع تتفقان معهما . وهذا يدل على أن الشرح يتناول نصاً مخالفاً لنص ثعلب .

والقصيدة (٣٦)، يشير فيها عند شرح البيت (٣١) إلى (تخنف) مع أن هذه الكلمة لم تذكر في النص الشعرى . والخلاف بين النص والشرح على هذا النحو كثير جداً .

٢ — كثيراً ما يسير الشرح فى سياق القصائد على نظام مخالف لترتيب نص ثعلب . فنجد فى القصيدة (٢٣) مثلا أن تفسير الأبيات يجيء على هذا الترتيب (٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨) . ونجد كذلك فى القصيدة (٣٥) أن البيت (٢٣) يأتى بعد البيت (٢٤) . وكذلك يختلف ترتيب الشرح فى القصيدة (٥٣) فى الأبيات (٩ — ١٣) . وفى القصيدة (٣٤) نرى البيت ٤ يشابه ٣ ، مما يدل على أن النص الذى يتناوله الشرح ليس به البيت (٤) [1] . ثم إن قصة المنافرة وضعت فى الشرح بين القصيدتين ٣٧ ، ٣٨ مع أنها لاتتصل بهما أدنى اتصال ، وذلك بدلا من جعلها مقدمة للقصيدتين ١٨ ، ١٩ . ومع كل ذلك نرى أنه توجد بعض المطابقة بين التفسير وبين نص ثعلب .

٣ — يلاحظ أن أكثر الرواة وعلماء اللغة الذين ذكروا فى التفسير من البصريين ، مع أن المعروف أن ثعلباً علم من أعلام الكوفيين . وحتى إذا فرضنا أن هذا العالم الكبير لايتعصب لمذهبه ، فيذكر أسماء رجال لهم منزلتهم فى البصرة ، مثل أبى عمرو ابن العلاء والأصمعى وأبى عبيدة ، تلك الأسماء التى ذكرت مراراً فى التفسير ، فإنه ليس من المعقول أن يهمل الإشارة إلى أعلام الكوفة أمثال الفرّاء والكِسائى إهمالا كاملا . هذا وليس من السائغ ولا المقبول أن يذكر رئيس المذهب المخالف لمذهبه بمثل هذه الكثرة ، خصوصاً وأن هذا الرئيس (وهو ابن دُرَيْد) يصغره بعشرين عاماً . مع أن اسم ثعلب لم يظهر فى التفسير كله إلا ثلاث مرات فقط (ص ١٢٩ س ٥ ، ١٦٣ : ٢ ، ١٨٨ : ١) وقد ذكر فى هذه المواضع ذكراً عابراً . وفى مقابل ذلك نجد أن الكتاب الوحيد الذى ذكر فيه ثعلب من كتب البصريين هو كتاب العَيْن لليث .

على أننا إذا نفينا عن ثعلب أى صلة بالتفسير — على ضوء ماقدمناه من قرائن — فستظل أمامنا مهمة البحث عن صاحب هذا التفسير . وليس يسعنا إلا أن نذكر آسفين عجزنا عن حل هذه المشكلة ، لأنه لم يذكر أى اسم مع العنوان ، كما أن نهاية الكتاب قد فقدت . ولكن من الجائز أن يكون صاحبه أحد اللغويين الأندلسيين الذين ارتقوا بعلم اللغة فى الغرب عند أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع (مدارس فلوجل اللغوية ص ٢٥٦ وما بعدها Flugel, Gramm. Schulen) . وربما كان له يد فى المخطوط الإسكوريالى . فالتأليف بين نص ديوان ثعلب و بين التفسير المبنى على رواية البصريين يلائم الاتجاه الأسبانى ، الذى كان يميل إلى جمع المعلومات وتهذيبها . هذا — على ما أرى — هو كل مايمكن معرفته عن شخصية المفسر . أما عدم موافقة الشرح لنص ثعلب ، والخلاف الذى نجده بينهما فى بعض المواضع ، فهذا مالانعلمه . وعلى العموم ، فإن من المرجح جداً أن يكون هناك نص آخر يسير مع التفسير و يلائمه أكثر مما يلائمه نص ثعلب . وقد يبدو لنا أن نتساءل بعد ذلك إن كان من الجائز اعتبار الخط دليلا على التفرقة بين التفسير والنص ، فنعتبر الخط الكبير لثعلب ، والخط الصغير للمفسر . ولكن هذا الفرض لايلبث أن يضعف حين نلاحظ أن المقدمات مكتوبة بالخط الكبير ، ومعنى ذلك أنها ينبغى أن تكون لثعلب ، وهو مالايجوز ، لأن الأسماء التى ذكرت للاستشهاد بها ليست من مذهب ثعلب كما أسلفنا . أما عن النص الشعرى فهو لثعلب لاشك فى ذلك . وكل ماعداه فهو من عمل الشارح (عند ذكر الشعر سأرمز له بحرف E — وهذا فيما عدا الخط الصغير — أما الباقى فسأرمز له بحرف E^k)

(١) يقول فى شرح البيت (٣) فى الطبعة الأوربية (وروى آخر : وأري الغوانى لايواصلن امرءاً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا) مع أن هذا هو البيت (٤) فى نص ثعلب وهذا يدل على أن البيت الرابع غير موجود فى النص الذى يتناوله الشرح .

مخطوط دار الكتب المصرية فى القاهرة (فهرست ٤ / ٢٤٠) : وقد أمكننا استعماله من نسختين قام بنقلهما مصريون ، الأولى منهما فى مكتبة جامعة ستراسبورج تحت الرمز S P 2 ، والثانية فى ساخو . وقد وضعت الأولى تحت تصرفى . ولست أرى داعيا للإطالة فى شرح هذا المخطوط ، فالفهرس مطبوع وفى متناول اليد . على أن الخط لا يكاد يتميز لقدمه . ويحتوى هذا المخطوط على مجموعة من ١٥ قصيدة لرواة غير معروفين . وترتيبها كالآتى حسب أرقامها فى كتابى هذا : ٦ ، ١٥ ، ٥٥ ، ١٢ ، ٧٨ ، ١٧ ، ٣ ، ٤١ ، ٧٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ . أما ترتيب الأبيات فى القصائد فيمكن معرفته من الملاحظات المدونة فى ملحقات الديوان . أما القراءة فتتفق غالبا مع ماورد لأبى عبيدة ، ولكنها تخالفه فى بعض الأحيان . ولذلك كان من الصعب البت برأى قاطع فى شخصية الكاتب . والنص غير مضبوط بالشكل . أما مقدمات القصائد فتقتصر على «وقال أيضا» ، كما لا يوجد به شرح أو ملاحظات قصيرة . وسأرمز لهذا المخطوط بحرف C بينما أرمز بـ C^a لمخطوط ستراسبورج ، وبـ C^b لمخطوط ساخو.

مخطوط جامعة ليدن (Gr,2023) : لا يختلف هذا المخطوط عن مخطوط القاهرة إلا فى بعض الأخطاء الناتجة عن النقل وقد نقلت عن الأصل سنة ١٢٩٦ بالمدينة . ولم يذكر شىء آخر عن الأصل الذى نقلت عنه . ومحتوياته هى نفس محتويات مخطوط القاهرة . وسأرمز لهذا المخطوط بالحرف L

مخطوط مكتبة باريس (Supp1.Ar2168) وقد استعنت به فى مخطوط ساخو وثور بيك . وتجىء التعليقات فى هذا المخطوط فى نهاية بعض القصائد . وقد طبعتها فى أول ملحقات هذا الكتاب . وعلى العموم ينطبق هذا المخطوط على مخطوطى القاهرة وليدن . وسأرمز له بالحرف P . وتكون مخطوطات القاهرة وليدن و باريس تلك المجموعة التى أسميها بالديوان الصغير لتشابه محتوياتها . ولما كان جامع هذه القصائد الخمسة عشر لم يذكر ، نرى أنفسنا مضطرين إلى الترجيح فيما يتعلق بشخصيته . ولقد ذكر بن النديم صاحب الفهرست أن جامعى أشعار الأعشى ميمون هم ثعلب (ص ٧٤ ، ١٥٨) ، وأبو بكر بن الأنبارى (ص ٧٥) ، والسكرى (ص ٧٨) ، وأبو عمرو الشيبانى (ص ١٥٨) ، والأصمعى (١٥٨) ، وابن السكيت (ص ١٥٨) ، والطوسى (ص ١٥٨) . وذكر العينى [1] (ج ٢ ص ٢٩٣ س ١٤) أبا القاسم الآمدى . وأشار ابن خير [2] إلى ابن دريد (ط . كودرا ص ٣٩١) . و بين هذه المجموعة من الأسماء لا نجد إلا اسما واحدا يمكننا اعتباره إذا فكرنا فى جامع الديوان الصغير ، وذلك هو الأصمعى ، الذى اشتهر بأمانته فى نقل الأشعار القديمة . ولقد أشار ديروف Dyroff فى كتابه عن تاريخ نقل ديوان زهير ص ١٣ إلى أن من بين الـ ١٨ قصيدة الموجودة فى شرح الأعلم [3] يمكنه التصريح بأن الـ ١٦ قصيدة الأولى فقط هى الصحيحة ، بينما تحتوى مجموعة ثعلب لديوان زهير على ٤٢ قصيدة . لذلك يمكننا أن نظن أن الأصمعى هو جامع الديوان الصغير لشعر الأعشى غير أن القصيدة ٨٢ المشكوك فى صحتها لا يصح أن تلقى تبعتها على عاتق الأصمعى ، لأنها مذكورة فى ذيل المخطوط ، ومن الجائز أن يكون شخص آخر قد أضافها فيما بعد . وتضم هذه المجموعة كذلك فيما تضم القصيدة ١٥ ، وهى تشتمل على بعض الأبيات التى تدل على تبعية قرشية (الأبيات ٣٤ — ٣٩) ، وهذا دليل على أن القصيدة بحالتها الراهنة قديمة جداً ، وعلى أن جامع الديوان الصغير قد وجدها على هذه الحالة فنقلها بأمانة . غير أن أحوال جاهلية العرب ليست واضحة كل الوضوح

---

(١) هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينى (٧٦٢ — ٨٥٥ هـ) كان مؤرخا ومحدثا . وأصله من حلب ، ومولده فى عينتاب ، وإليها نسبته . تنقل بين حلب ومصر ودمشق والقدس . وتوفى فى القاهرة . وأشهر كتبه (عمدة القارى فى شرح البخارى) طبع فى الاستانة سنة ١٣٠٨ فى ١١ جزء .

(٢) هو محمد بن خير بن عمر من علماء القرن السادس فى الأندلس (٥٠٢ — ٥٧٥ هـ) . كان مقرئا نحويا لغويا أديبا . وكتابه الذى يشير إليه جاير هو فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف . طبع ضمن المكتبة الأندلسية فى مدريد .

(٣) هو الأعلم الشنتمرى من علماء اللغة الأندلسيين فى القرن الخامس .

الآن . فإذا صادفتنا أبيات مشكوك فى صحتها ضمن قصيدة مقطوع بصحتها ، كان من المجازفة أن نقطع فيها برأى . والأقرب إلى الصواب عندئذ أن يقتصر عملنا على دراستها . ومع كل ذلك فنحن غير واثقين من أن الأصمعى هو حقيقة جامع الديوان الصغير .

وبعد ، فالأبحاث التى قام بها كرنكوف لم توصله إلى مجموعات أخرى لشعر الأعشى ميمون . وعلى ذلك فالمخطوطات الأربع الذى ذكرتها هى أم كتابى هذا .

غير أن المخطوطات الثلاثة (ثعلب ، E^k ، الديوان الصغير) ليست فى حالة جيدة . فالخط الاسكوريالى فى الأولى قديم تصعب قراءته ، والمخطوطة الثانية لايفهم منها شىء إلا بمساعدة التفسيرات التى تذكر فى بعض الأحيان ، وأما الثالثة فهى غير مضبوطة بالشكل ، ثم هى مع ذلك لاتحتوى إلا على ١/٨ ما فى النسختين الأخريين . لذلك لم اعتمد فى ٧/٨ القصائد إلا على المخطوط الاسكوريالى ، الذى يتخلله تفسير لايطابق سياق الأبيات فى كثير من الأحيان .

وعلى هذا فإنى أجد أن من المستحيل وضع نص واحد لهذا الكتاب . فالفجوات فى نص ثعلب كثيرة ، والتفسير لايفيد فى هذه الحالة لأنه لشخص آخر . وقد جعلت الأسبقية لنص الديوان الصغير[1] ، حين تتفق القصائد التى يرويها مع القصائد التى فى نص ثعلب ولكنى قدمت E^k عليه حيث كان يوافق نص ثعلب على أنى اضطرت فى حالات كثيرة جداً إلى مراعاة قصائد أخرى منفردة ذكرت فى أجزاء ومجلدات متباينة ، وكان من الواجب فى هذه الحالة أن تطابق إلى حد ما نص ثعلب . والنصوص المروية مختلفة ومتشعبة جداً .

وعلى العموم فنص ثعلب هو الهيكل الأساسى ، فيما عدا الجزء الذى أدخل فيه E^k بعض القصائد التى لم يعرفها (وهى القصائد ٤٣ — ٤٦)[2] ، وفى الجزء الذى انفرد فيه الديوان الصغير برواية قصائد لم تصل إلينا من المخطوط الإسكوريالى[3] .

وسأميز المواضع التى أكملت فى طبع النص العربى بوضعها بين قوسين (   ) إذا كانت قد أخذت من النص التفسيرى ، أما إذا أخذت من مصادر أخرى فسأضعها بين [ ] . وسأرمز بـ < > لما اعتمدت فيه على الظن . وسأشير فى ملاحظاتى بملاحق الديوان إلى المواضع التى أكمل فيها النص من الديوان الصغير ، مبيناً مبلغ تمشية مع نص E . أما الفجوات التى تبقى بعد كل ذلك فسأشير إليها بصف من النقط . وقد فضلت أن أفصل النص الشعرى عن تفسير المخطوط الاسكوريالى تيسيراً للقراءة والفهم . ولقد عثرت أثناء تنقيبى فى المخطوطات والمطبوعات المختلفة على أشعار كثيرة للأعشى لم يذكرها ثعلب أو الديوان الصغير لأسباب مختلفة ، فجمعت هذه القصائد فى ملحق خاص كما جرت عليه العادة فى مثل هذه الأحوال . وهذه القصائد لاتنقص فى كميتها عن النص الشعرى بكثير . على أن كثيراً من الأشعار التى تنسب للأعشى ليست لميمون ، بل هى لشعراء آخرين يشتركون معه فى هذا اللقب ، ولكنهم ينتسبون إلى قبائل أخرى . ولذلك قسمت المقتطفات ، بين مايرجح أنه للأعشى ميمون ، وما يظن أنه لغيره ، وجعلت هذا الملحق بأقسامه المختلفة ذيلا للديوان ، لعله يفيد القارىء . وقد أثبت البحث الدقيق أن بعض القطع المنسوبة للأعشى هى فى الحقيقة من شعر خاله المسيَّب — وقد كان ميمون روايته — فالخلط فى هذه الحالة قريب غير مستبعد . ولذلك جمعت شعر المسيب ، وضممته إلى ذيل الديوان .

وسوف أشرح القصائد التى جاءت فى الديوان شرحاً أوفى فى كتاب آخر مستقل ، أتناول فيه حياة ميمون وصناعته وشعره وقيمته الفنية ، وأوضح فيه طريقة جمع نص ثعلب ، وأضم إلى كل ذلك فهارس للكلمات وللأعلام وغير ذلك .

---

(١) يتكون الديوان الصغير كما أشار سابقاً من نسخ القاهرة وليدن وباريس (C,L,P) .

(٢) وهى — كما ذكر عند كلامه على مخطوط الاسكوريال — مكتوبة بخط صغير ، يخالف الخط الكبير الذى كتبت به القصائد الأخرى .

(٣) بمقارنة ماجاء فى كلامه عن مخطوط الاسكوريال ومخطوط القاهرة يتبين أن القصائد التى انفرد بها الديوان الصغير هى القصائد ٧٨ الى ٨٢ ، والجزء الأخير من القصيدة ٧٧ ابتداء من البيت ٢٧ الى نهايتها . وقد أشار فى كلامه عن مخطوط الاسكوريال الى أن الصفحات الستة الأخيرة من الكراسة ١٤ كانت فريسة اللهب

الأعشى

حيـــاته وفنه

فى أطراف هضبة نجد الجنوبية الشرقية ـ بإزاء مكة ـ واديان كبيران يمتدان من الشمال إلى الجنوب ، يسمى أحدهما وادى (العِرْض) والآخر وادى (قُرّان) ، تجرى فيهما الغدران وتفيض العيون ، فتنتشر السائمة فى المراعى المنبسطة ، و يكثر النخيل . ومن هذين الواديين يتكون الإقليم المعروف باليمامة ، يفصله عن الخليج الفارسى أرض البحرين مسيرة عشرة أيام ، ويتصل جنوبه الغربى بأطراف اليمن ، بينما يتصل فى غربيه بأطراف الحجاز ، يفصله عن مكة مسيرة أربعة أيام . وكان هذا الإقليم مشهوراً بعذوبة مياهه ، وطيب لحومه ، وخصب مراعيه ، ووفرة حنطته ، وحلاوة تمره . وكان يمتاز عما حوله بحياة أقرب إلى الاستقرار . فقد نشأت فيه بعض القرى الصغيرة ، وانبثت خلاله بعض الحصون من عمارة شعبى (طَسْم) و (جَدِيس) البائدين [1] ، كالمُشَقَّر ومُعْنِق والثُّرْمُلِيَّة [2] .

فى هذا المكان استقرت قبائل بكر — تجاورها بعض بطون من تميم وعبدالقيس — منتشرة فيما بينه وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق . وفى قرية من قرى هذا الاقليم تسمى (منفوحة) ، على جانب وادى (العِرْض) ، نشأ شاعرنا ميمون بن قيس بن جندل ، فى بطن من بطون (بكر) ، عرفوا بالفصاحة [3] إسمهم بنو قيس بن ثعلبة .

ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن نشأة الشاعر الأولى . وجل مانعرفه أنه نشأ راوية لخاله المسيَّب بن عَلَس ، وهو شاعر رَبَعِىٌّ من شعراء ضُبَيْعة المقلين . ثم تنقطع عنا أخباره بعد ذلك ، فلا نراه إلا شاعراً مشهوراً مرهوب الجانب ، يطوف أنحاء الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ، مادحاً الملوك والأشراف . أما محاولاته الشعرية المبكرة ، فلم يبق لنا منها إلا بعض أرجاز فى الهجاء وفى التحضيض على القتال [4] .

وقد اقترن ذكر الأعشى عند القدماء بشعر الخمر ، فعدوه أشعر شعرائها بين الجاهليين . والواقع أن شعر الخمر لم يحظ بعناية

---

(١) طسم وجديس من قبائل العرب البائدة كعاد وثمود . وقد أوردنا طرفاً من أخبارهم فى شرح القصيدة (١٣)

(٢) كانوا يسمون هذه البقايا من حصون طسم بتلا (بضمتين ، جمع بتيل على وزن فتيل) . وهو بناء مربع مثل الصومعة ، مستطيل فى السماء ، مبنى من الطين . وقد رآه المسلمون فى القرن الثالث أو الرابع ، وذكر أحدهم أنه أدرك بتيلا منها طوله ٥٠٠ ذراعا . ولعل زرقاء اليمامة قد نظرت جيش تبع من أحدها . ومن هذه التبل بتيل حجر (بفتح فسكون) . وقد كان أهل اليمامة يتحصنون بهذه الابنية فى حروبهم كما نرى ذلك فى حروب الردة (فتوح البلدان ص ١٠٠) . وربما سموا هذه الأبنية تصوراً مبالغة فى تقديرها ، لأن العرب لم تعرف العمارة والبناء

(٣) الاغانى ج ٩ ص ١٠٩

(٤) راجع القطع ٤٣ ـ ٤٦ ، ٥٠ الديوان .

ملحوظة من شعراء الجاهلية ، إذا استثنينا نفراً قليلا ، منهم حسان بن ثابت وعدِيُّ بن زيد وعلقمة بن عَبَدَة . ولست أقصد بذلك أن الجاهليين لم يقولوا شعراً فى الخمر، ولكنى أريد أن أقول إن شعرهم فى الخمر لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما كانت تذكر الخمر فى مناسبات عابرة ، حين يشبهون رضاب صواحبهم بها ، أو يشبهون ذهولهم عندفراق الصحب والأحباب بذهول شاربها، فيقولون فى ذلك البيت أو البيتين أو الثلاثة . فهى حمراء كدم الذبيح أو كدم الغزال ، وريحها كالمسك ، وهى معتقة مما حمله التجار من هذا المكان أو ذاك من مصانع الخمر فى الشام أو العراق .

كانت نغمة الفخر تشتمل على سائر الشعر الجاهلى ، وتطغى على أغراضه المختلفة ، فتطبعها بطابع حماسى . ولذلك كانوا يذكرون الخمر أكثرَ مايذكرونها حين يتمدحون بفتوتهم وبإنفاقهم للمال فى اللذات و بمبالغتهم فى إكرام الضيف . وخير مايصور هذا اللون من شعر الخمر الحماسى أبيات طرفه فى مطولته :

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً ... وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ ٱلْقَوْمُ أَرْفِدِ
فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ ٱلْقَوْمِ تَلْقَنِي ... وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي ٱلْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ
... وَمَا زَالَ تَشْرَابِي ٱلْخُمُورَ وَلَذَّتِي ... وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلَدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي ٱلْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ... وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُعَبَّدِ
... أَلَا أَيُّهٰذَا اللَّائِمِي أَحْضُرَ ٱلْوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي
فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي ... فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ حَاجَةِ ٱلْفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي
فَمِنْهُنَّ سَبْقِي ٱلْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِٱلْمَاءِ تُزْبِدِ
وَكَرِّي إِذَا نَادَى ٱلْمُضَافُ مُحَنَّبًا ... كَسِيدِ ٱلْغَضَا نَبَّهْتَهُ ٱلْمُتَوَرِّدِ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ ٱلْمُعَمَّدِ
مَتَى تَأْتِنِي أُصْبِحْكَ كَأْسًا رَوِيَّةً ... وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَٱغْنَ وَٱزْدَدِ
... كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا غَدًا أَيُّنَا الصَّدِي

فالصورة التى نتمثلها من الشعر هى صورة رجل يغتصب متعته اغتصاباً من الحياة الفانية ، ويسبق الموت إلى لذته ، ويرى أن حياة الفرسان تقوم على ثلاثة أشياء ، خمر وقتال ونساء . فذكر الخمر هنا مقترن بذكر القتال . والشاعر لم يقصد إلى وصفها ولم يفصل فيه ، ولكنه وضعها فى مكانها من حياة الفتيان ، الذين يؤدون للفتوة حقها فى الحرب وفى السلم .

أما الأعشى فقد جاء شعره فى الخمر مغايراً لسائر الشعر الجاهلى ، تشيع فيه الحياة ، ويشف عن الصلة العاطفية التى تقوم بين الشاعر وبين موضوعه . والواقع أن الأعشى كان مفتوناً بالخمر و بمجالسها ، لايعدل بها شيئاً ، ولا يستطيع لها فراقاً . حتى لقد يروون فى قدومه على النبى وعدوله عن الإسلام أنه لم يهتم لتحريم الإسلام للزنا والقمار والربا ، ولكنه جزع أشد الجزع حين علم أنه يحرم الخمر ، فعاد من مكة إلى اليمامة ليستنفد مابقى له منها قبل أن يحرمه منها الدخول فى الدين الجديد . بل إنهم

ليذهبون فى تصوير ولعه بالخمر إلى أبعد من هذا الحد ، فيزعمون أن بعض ولاة اليمامة سأل عن داره فدل عليها ، وسأل عن قبره فأخبر بأنه فى فناء الدار . فقصد إلى هذه الدار فإذا هو رطب . فلما سأل عن علة رطوبته أخبر بأن الفتيان يجتمعون حول القبر فيشربون ، وقد جعلوه مجلسَ رجل منهم ، فإذا جاء دوره صبوا فوقه الكأس.

أطال الأعشى فى شعر الخمر وفصل . وافتن فى وصفها ووصف بيوتها وتصوير أثرها فى النفس . وقدم لنا صوراً دقيقة رائعة لمجالسها فى بيئات منوعة متباينة ، بعضها حضرى مترف ، وبعضها ريفى ساذج . واتسمت خمرياته بالسهولة والسلاسة والخلاعة وتدفق العاطفة . وكان موفقاً غاية التوفيق فى اختيار القوالب الشعرية التى تناسب هذا الفن .

وقد أشار القدماء إلى أثر الأعشى فى شعراء الخمر الذين جاءوا بعده كالأخطل وأبى نواس ويطول بنا المقام إذا نحن أحصينا معانيه التى تداولها الشعراء من بعده ، ولكنا لانرى بأساً من الإشارة إلى بعضها على سبيل المثال :

يشبه الأعشى اندفاع الخمر من الإبريق أو الزِّق باندفاع الدم من عرق مقطوع حين يقول :

فَتَرَى إبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنّْ

و وَإذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَا طَلُقَ الأَوْدَاجِ فِيهَا فَانْسَفَحْ

وقد تأثر الأخطل بهذه الصورة فى قوله :

سُلَافَةٌ حَصَلَتْ مِنْ شَارِفٍ خَلَقٍ كَأَنَّمَا ثَارَ مِنْهَا أَبْجَلٌ نَعِرُ

و لَمَّا أَتَوْنَا بِمِصْبَاحٍ وَمِبْزَلِهِمْ سَارَتْ إلَيْهِمْ سُؤُورَ الأَبْجَلِ النَّعِرِ

وتأثر بها أبو نواس فى قوله :

أَنْفَذُوهُنَّ بِطَعْنٍ مِثْلِ أَفْوَاهِ الْمَزَادِ

ويتضح أثر الأعشى كذلك بمقارنة الأبيات الآتية :

الأعشى : كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا إذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا

الأخطل : فَجَاءَ بِهَا كَأَنَّمَا فِى إنَائِهِ بِهَا الْكَوْكَبُ الْمِرِّيخُ تَصْفُو وَتُزْبِدُ

أبو نواس : كَأَنَّهَا الشَّمْسُ إذَا صُفِّقَتْ مَسْكَنُهَا الْكَبْشُ أَوِ الْحُوتُ

وقد افتن أبو نواس فى هذا المعنى افتناناً واسعاً ، فولد منه صوراً عجيبة ، مثل قوله :

قَالَ ابْغِنِى الْمِصْبَاحَ قُلْتُ لَهُ اتَّئِدْ حَسْبِى وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مِصْبَاحَا

فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِى الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

الأعشى : تَحْسَبُ الزِّقَّ لَدَيْهَا مُسْنَدًا حَبَشِيًّا نَامَ عَمْدًا فَانْبَطَحْ

الأخطل : أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا

الأعشى : مِنَ اللَّاتِى حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا   كَرِيحِ ٱلْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا

و   مِنْ خَمْرِ عَانَةَ قَدْ أَتَى لِخِتَامِهَا   حَوْلٌ تَسُلُّ غَمَامَةَ ٱلْمَزْكُومِ

الأخطل : وَإِذَا تَعَاوَرَتْ ٱلْأَكُفُّ زُجَاجَهَا   نَفَحَتْ فَشَمَّ رِيَاحَهَا ٱلْمَزْكُومُ

الأعشى : تُرِيكَ ٱلْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَهُ   إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

الأخطل : وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِى عَلَى لَذَّاتِهَا   صَهْبَاءُ عَالِيَةُ الْقَذَى خُرْطُومُ

الأعشى : وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ   وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

أبو نواس : دَعْ عَنْكَ لَوْمِى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ   وَدَاوِنِى بِالَّتِى كَانَتْ هِىَ الدَّاءُ[1]

الأعشى : فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً   تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا

أبو نواس : إِذَا ٱرْتَعَشَتْ يُمْنَاهُ بِٱلْكَأْسِ رَقَّصَتْ   بِهِ سَاعَةً حَتَّى يُسَكِّنَهَا الشُّرْبُ

الأعشى : إِذَا ٱنْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ   تَرَامَوْا بِهِ غَرَبًا أَوْ نُضَارَا

و   فَٱسْتَوْسَقَ الشُّرْبُ لِلنِّدَا   مِ وَأَجْرَاهَا عَلَيْنَا اللُّجَيْنُ وَٱلْغَرَبُ

الأعشى : كُمَيْتٌ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَةٍ   يَكَادُ يُفَرِّى ٱلْمِسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا

أبو نواس : تَلْتَهِبُ ٱلْكَفُّ مِنْ تَلَهُّبِهَا   وَتَحْسِرُ ٱلْعَيْنُ أَنْ تَقَصَّاهَا

كَأَنَّ نَارًا بِهَا مُحَرَّشَةً   نَهَابُهَا تَارَةً وَنَغْشَاهَا

والمواضع التى جاء ذكرها فى خمريات الأعشى لاتكاد تخرج فى معظمها عن العراق واليمامة ، مثل (عانة) وهى بلد بين الرَّقَّة وهيت ، و (بابل) وهى قرية صغيرة قرب الكوفة إلى جانب أنقاض العاصمة القديمة المعروفة بهذا الإسم ، و (الحِيرَة) عاصمة المناذرة وقد كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، و (دُرْنا) وهى نخيلات لبنى قيس بن ثعلبة — قوم الأعشى — فى اليمامة ، أو هى مدينة دون الحيرة بمراحل كانت باباً من أبواب فارس . ومع ذلك فقد يذكر أنه شربها (تركض حوله تُرْكٌ وكَابُل) . ولعله يقصد بالترك والكابل جوارى أو راقصات ممن استجلب من بلاد الترك ، فما أحسبه قد رحل إلى هناك .

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ تَرْكُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ

وقد يرحل إلى الجنوب فيشربها فى اليمن ، فى قرية ذات كروم تسمى (أُثَافِت) ، يروون أن الأعشى كانله بها معصر خمر .

أُحِبُّ أُثَافِتَ وَقْتَ ٱلْقِطَافْ   وَوَقْتَ عُصَارَتِهِ أَعْنَا

وقد يشربها قرب الأديرة ، أو فى الأديرة نفسها ـ ولعدى بن زيد شعر يذكر فيه أنه شرب فى الدير ـ :

---

(١) وقد تأثر المتنبى بهذا المعنى فنقله للغزل فى قوله :

ففى تغرم الأولى من اللحظ مهجتى   بثانية والمتلف الشى غارمه

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا ... بِفِتْيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيسُ تُضْرَبُ

وقد يشربها عند خمار يهودى من أوانى مختومة :

وَصَهْبَاء طَافَ يَهُودِيُّهَا ... وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خُتُمْ

والأعشى ـ كما يبدو فى خمرياته ـ متلاف لا يبخل على الخمر بشىء . وإليه تنسب هذه الأبيات التى يقول فيها إن الخمر والنساء والإسراف فى فاخر الطعام قد ذهبت بماله :

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ ... مَالِى وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْمًا مُولَعًا[1]

الْخَمْرَ وَاللَّحْمَ السَّمِينَ مَعَ الطِّلَى ... بِالزَّعْفَرَانِ وَلَا أَزَالُ مُرَدَّعَا

وهو شديد الولع بها ، لا يكاد يطيق مفارقتها ، يشربها فى حالى فقره وغناه :

عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الْفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا ... غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا

ويشربها فى الحل والترحال ، وقد يدأب على شربها فى الريف ليالى وأياما :

فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِـ ... ـينَ يَوْمَ الْمُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا ... لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَاقَدْ دَجَنْ

وهو ينزل على حكم الخمار حين يغالى فى ثمنها :

تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا ... وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا

يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً ... فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا

فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا ... نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

ولكن المساومة قد تنتهى إلى المنازعة والشجار :

إِذَا سُمْتُ بَائِعَهَا حَقَّهُ ... عَنُفْتُ وَأَغْضَبْتُ تُجَّارَهَا

وقد تنوعت المجالس التى وصفها فى شعره . فهو يشرب الخمر فى بيئات يغمرها الترف حين يجد المال ، فى مجالس قد تناثرت فيه الورود والرياحين ألواناً ، وانبث السقاة فى أزيائهم الأنيقة ، وصدح المغنون والقيان على ألحان الصنج والعود ، وقامت بنات الحان فى ثيابهن الرقيقة التى تشف عن أجسامهن ، وقد ماج الحانوت بالشاربين ، وتمدد بعضهم على أرضه حين غلبه السكر[2].

وقد يستعيض عن هذه الدور المترفة التى تكلف الشارب باهظ النفقات ، بحوانيت أخرى أقل ترفاً حين يعوزه المال . فيصور مجلس الخمر فى خباء كبير تدلت هدبه ، وقد مد الليل من حوله رواقه ، ووقف فيه خمار غير عربى ، يذود الناس عن دن أسود لا يبذله إلا بعد مساومة طويلة . يبكر إليه الأعشى مع صاحب كريم ، فى هذا السكون الذى لم يمزق حجبه صياح الديكة ، ولم تنغصه عين الحسود ، فيلحان فى طلب هذا الدن العتيق ، ويساومان الخمار فى ثمنه ، ثم ينزلان على حكمه فيما يطلب . ويضىء الرجل الخباء بالسراج لينقد الدراهم ويستوثق منها قبل أن يبذل خمره ، والأعشى وصاحبه يستعجلانه . ولا يزالان

---

(١) شعراء النصرانية ٣٩٨ (٢) راجع القصائد ٦ : ٣٧ — ٤٤ ، ٣٦ : ٣٣ — ٥٤ ، ٥٥ : ١ — ١٢ ، ٧٨ : ١٣ — ٢٢

يشربان وقد حبسا مطيهم بباب الخباء ، حتى تنفد خمرهم فينطلقان ناعمين [1] . فإذا لم يجد الأعشى من المال مايفي بهذا أو ذاك استعاض عن الحانات بالريف، يقيم فيه دائباً على الخمر، حتى يطول انتظار المترقبين لعودته [2] . وقد يستبدل الغناء المترف بالمزامير ، يحمل إليه الساقي خمره في زق عند ماء غدير قرب الفرات ، فينيخ الأعشى ورفاقه إبلهم ويتساقونها جالسين [3] .

ولم يكن حظ الأعشى من النساء بأقل من حظه من الخمر . فابن سلام يقول « وكان من الشعراء من يتألَّه في جاهليته ، ويتعفف في شعره ، ولا يستهتر بالفواحش ، ولا يتهكم في الهجاء . ومنهم من كان يبغي على نفسه ويتعهر ، ومنهم امرؤ القيس والأعشى »

والواقع أن غزل الأعشى يفيض بالشهوة العارمة . ومن أظهر الأمثلة على ذلك أبياته التي يصف فيها صاحبته (قُتَيْلَةَ) ، فيدقق في وصف جسمها ، ويتتبع بعينه الجائعة ما أخفت ملابسها من مواضع الفتنة المثيرة ، ويتصورها حين تقعد وحين تقوم ، وحين تقبل وحين تدبر ، وحين تلوح بيدها في دلال ، وحين تتفضل في ثياب النوم ، وحين تنبطح على الأرض [4] .

لم تكن المرأة في نظر الأعشى إلا وسيلة من وسائل اللهو . فهو لا يحب بالمعنى الذي نعرفه ويعرفه الشعراء ، ولكنه يحب في المرأة نفسه وشهوته . يقول في (هُرَيْرَةَ) :

نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا لِلَذَّةِ ٱلْمَرْءِ لاَ جَافٍ وَلاَ تَفِلُ

ويقول في (قُتَيْلَة) :

يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لَاهٍ بِهَا حَوْرَاءُ تُصْبِي نَظَرَ النَّاظِرِ

وفراق المرأة لا يشجيه ولا يؤثر فيه إلى أبعد من تأثر العابث بفقد وسيلة من وسائل عبثه ، ينصرف عنها إلى وسيلة أخرى بعد قليل .

أَجِدَّكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً فَتَرْقُدَهَا مَعَ رُقَّادِهَا
تَذَكَّرُ (تَيَّا) وَأَنَّى بِهَا وَقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِهَا
فَمِيطِي تَمِيطِي بِصُلْبِ ٱلْفُؤَادْ وَصُولِ حِبَالٍ وَكَنَّادِهَا
وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بِالشَّبَا بِ صَاكَ ٱلْعَبِيرُ بِأَجْسَادِهَا
تَسَدَّيْتُهَا عَادَنِي ظُلْمَةٌ وَغَفْلَةَ عَيْنٍ وَإِيقَادِهَا
فَبِتُّ ٱلْخَلِيفَةَ مِنْ زَوْجِهَا وَسَيِّدَ (تَيَّا) وَمُسْتَادِهَا [5]

كان الأعشى مفطوراً على خلق الفتيان كما صوره طرفة ، لا يفرق في اللذة بين محرم ومباح . فهي عنده مبذولة لمن يستطيع أن ينالها ، وليس ينالها إلا الفاتك الجريء .

وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ ٱلْغَانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أُزَنْ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ

(١) راجع القصيدتين ٨ : ٢٨ — ٢٤ ، ١٩:٣٣ — ٢٤ . (٢) القصيدة ٢ : ١٤ — ١٥ .
(٣) راجع القصيدة ١٠ : ١٠ — ١٨ . (٤) القصيدة ٧٧ : ١ — ٢٤ .
(٥) راجع كذلك القصيدة ٣ : ١ — ٣ ، ٢٨ : ١ — ٢ وغيرهما كثير في الديوان .

من أجل ذلك كان يطيب للأعشى أن يصور صاحبته متزوجة ، وأن يظهر نفسه بمظهر الفائز الذى استطاع أن يقهر صاحبها ويغلبه عليها :

وَمُصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا
قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا . وَشَاةِ مُحَاذِرٍ حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أَغْفَالَهَا
فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[1]

ويصورها فى أحيان أخرى ممنعة محجَّبة ، لا يخلص إليها إلا بعد جهاد عنيف .

وَلَقَدْ أَنَالُ ٱلْوَصْلَ فِي مُتَمَنِّعٍ صَعْبٍ بَنَاهُ الأَوَّلُونَ مَصَادِ
مَنَعَتْ قِيَاسُ ٱلْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ بِسِهَامِ يَثْرِبَ أَوْ سِهَامِ بِلَادِ[2]

فالحب عنده لون من ألوان المغامرة والصراع ، وطموح للظفر والامتلاك . وليس يحسن برجل أن يذهب قلبه وراء المرأة حسرات ، ولا يجمل بالفتى أن يخرج قياد نفسه من يده ، ليلقيه بين أيدى النساء يعبثن به كيفما أردن . بل عليه أن يكون فى كل حال سيد نفسه ومالك أمره .

وكثير من غزل الأعشى يصور نساء غير عربيات ، بعضهن من القيان كهُرَيْرة وقُتَيْلَة وجُبَيْرة ، قيان بِشْر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكان قد قدم بهن إلى اليمامة حين هرب من النعمان . وبعضهن من البغايا اللاتى يبعن أعراضهن ، وقد صورهن فى مثل قوله :

تُنَازِعُنِي إِذْ خَلَتْ بُرْدَهَا مُفَضَّلَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا
فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَا وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا
بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا وَجَادَتْ بِحُكْمِي لِأُلْهِي بِهَا[3]

وكان الأعشى مع كل ذلك سخيا كريما لا يبخل على صحبه ورفاقه من الفتيان ، يجتمعون إليه فى منزله فيأكلون ويشربون الخمر[4] . وقد بلغ من وفائهم له بعد موته أنهم كانوا ينادمون قبره فيسقونه الخمر ميتا كما كان يسقيهم إياها حيا .[5]

* * *

كانت كل هذه الخصال خليقة أن تجعل الأعشى فى حاجة دائمة إلى المال . فراح يطوف بلاد العرب بين الشام والعراق واليمن ، قاصدا الملوك والأشراف ، يمدحهم وينال عطاءهم . ولم يكن يجتمع إليه قدر من المال حتى يستنزفه فى لذته ولذة من يجتمع إليه من صحبه ورفاقه ، ثم يعاود الرحلة فى سبيل الحصول على مال جديد ، ينفقه فى لذة جديدة . وأسرف الأعشى فى الترحل ،

(١) راجع ١٢ : ١١ – ١٩ ، ٦ : ٣٥ (٢) راجع كذلك القصيدة ٣٩ : ١٢ – ٣١

(٣) القصيدة ٢٢ : ٥ – ٩ ، وراجع كذلك البيت ٢٢ من القصيدة ٧٨ ، حيث يشير الشاعر إلى انطلاقه مع صحبه فى المساء إلى بنات الليل ، يمتعون أنفسهم ، ويذيبون همومهم فى هذه البيوت التى لا يعرف الهم إليها سبيلا .

(٤) الأغانى ٩ : ١١٦ (٥) الأغانى ٩ : ١٢٧

وابتذل نفسه فى السؤال ، حتى اعتبره مؤرخو الأدب أول من سأل بشعره [1] . وهو يصرح بذلك فى بعض مدائحه ، كقوله لقيس بن معد يكرب :

وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُهُ ... كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ ٱلْيَمَنْ
فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا ... وَلَوْلاَ ٱلَّذِى خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ
فَلا تَحْرِمَنِّى نَدَاكَ ٱلْجَزِيلْ ... فَإِنِّى ٱمْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

والأعشى نفسه يعترف بحرصه على جمع المال ، ولا يجد فيه غضاضة ، فهو يقول :

وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ ... عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ
أَتَيْتُ ٱلنَّجَاشِىَّ فِى أَرْضِهِ ... وَأَرْضَ ٱلنَّبِيطِ وَأَرْضَ ٱلْعَجَمْ
فَنَجْرَانَ فَالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ... فَأَىَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ [2]

رحل الأعشى إلى آل جفنة ملوك الشام ، و إلى المناذرة ملوك العراق ، و إلى قيس بن معد يكرب ، وسلامة ذى فائش فى اليمن ، و إلى السيد والعاقب فى نجران . ومدح هوذة بن على الحنفى فى اليمامة . [3] فأفاضوا عليه من جزيل العطايا ، بين الإبل والجياد والإماء والقيان وأكسية الخز والديباج والكتان وصحاف الفضة . [4] وقد أتاحت له هذه النعم الجزيلة حياة مترفة فى بعض الأحيان ، ووصلته هذه الرحلات بأسباب الحضارة ، ورفعته فوق مستوى البداوة الخشنة التى تبدو فى شعر معظم الجاهليين . و بدا أثر ذلك فى غزله وفى خمرياته . فهو يصف بعض صواحبه فيقول :

تُرَى ٱلْخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِرًا ... وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذَاكَ ٱلْحَرِيرَا
إِذَا قَلَّدَتْ مِعْصَمًا يَارَقَيْـ ... ـنِ فُصِّلَ بِالدُّرِّ فَصْلاً نَضِيرَا
وَجِلٌ زَبَرْجَدَةٌ فَوْقَهُ ... وَيَاقُوتَةٌ خِلْتَ شَيْئًا نَكِيرَا

ويقول فى أخرى :
وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِى ٱلْحَىِّ ذِى ٱلْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ

ويقول :
لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ ... وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ ٱلْمُمَثَّلِ

ويشبه جراحات القلب بصدع الزجاجة الذى لا يلتئم حين يقول :

فَبَانَتْ وَفِى الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَئِمْ

وكل هذا لا يتأتى إلا لمن ألم بقسط من الحضارة ، واتصل ببيئات مترفة منعمة . وخمرياته التى أشرنا إلى بعضها منذ قليل تصور ذلك أوضح تصوير .

وقد أتاحت له أسفاره الكثيرة ، وتنقله بين هذه البيئات ، ثقافة تاريخية قل أن يجاريه فيها شاعر جاهلى ، كالذى نراه فى

---

(1) ابن سلام ٣٠ ، العمدة ١ : ٦٤
(2) راجع كذلك القصيدة ١٧ : ٥ — ٦
(3) راجع فهارس المدح فى آخر الديوان .
(4) راجع القصائد : ١ : ٤٦ - ٤٩ ، ٢ : ٥٢ ، ٧ : ٨ - ٩ ، ٥٥ : ٣٧ - ٤٠

ثنايا شعره من أخبار طَسْم وجَدِيس ، وعاد وثمود ، وأخبار ملوك الروم والفرس واليمن . [1] وبدت آثار النصرانية واضحة فى بعض صوره ، من أثر اتصاله بالعباديين فى الحيرة وآل جَفْنة فى الشام ، حتى زعم بعض الذين ترجموا له من القدماء والمحدثين أنه كان نصرانيا ، وأن العباديين هم الذين لقنوه هذا الدين ، حين كان يفد عليهم لشراء الخمر . [2]

والواقع أن كل ما نجده من آثار النصرانية فى أخبار الأعشى ، هو أن راويته كان نصرانيا اسمه يحيى بن متى ، وأنه كان يزور بعض أشراف النصارى وسادتهم ، مثل بنى الحارث بن كعب فى نجران ، فيمدحهم وَينال عطاءهم ، ويقيم عندهم يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومى . [3] ثم لا نجد بعد هذا فى شعره إلا بعض الصور والتشبيهات ، مثل تشبيهه قيس بن معد يكرب بالرهبان فى عدله وتقواه ، ومثل حلفه برهبان دير هند ، وإشارته إلى عيد الفصح وإلى طوفان نوح ، ومثل هذا التفكير الذى حمل بعض القدماء على أن يقولوا إنه كان قدريا . [4] ولكن كل ذلك لا ينهض دليلا على نصرانيته ، فهو لا يدل على أكثر من أن الشاعر قد أفاد بعض الثقافة الدينية من أثر تنقله بين البيئات النصرانية فى الجاهلية . ولئن حلف برهبان دير هند ، فلقد حلف فى مواضع أخرى بالكعبة [5] ، ولئن زار بعض أشراف النصارى فلقد رحل إلى النبى حين ظهر الإسلام . [6]

ولكن رحلات الأعشى إلى الملوك والأشراف ، لم تصرفه عما ينبغى للشاعر الجاهلى من المشاركة فى شئون قبيلته ، والإخلاص لقومه وعشيرته ، ولم تغلب على صفته الأصيلة التى جعلت منه شاعر بكر ، بل شاعر ربيعة ، الذى يسجل انتصاراتهم ، ويهاجم أعداءهم ، ويؤرخ وقائعهم ، مشيدا بأبطالهم ، مندداً بخصومهم . وكان سبيله فى كل ذلك سبيل العربى الذى ينتصر لأخيه على ابن عمه ، وينتصر لابن العم الأدنى على ابن العم الأعلى ، ثم ينتصر لأهل قبيلته على من دونهم من القبائل والشعوب .

* * *

وشعر الأعشى — كسائر الشعر الجاهلى — يغلب عليه اللون القصصى الحماسى . وأقصد بذلك أن الشاعر فيه أدنى إلى القصاص الذى يسجل أحداث العصر وَقِيَمَهُ . فشعره يصور عصره بأكثر مما يصور شخصه . وإذا استثنينا مقدمات القصائد ، التى يتحدث فيها الشاعر عن حبه ولهوه ، وجدنا سائر الشعر بعد ذلك فى مواضيع لا تمت إلى حياة الشاعر بسبب ، إلا بمقدار صلة الفرد بالجماعة — وهى صلة قوية فى ذلك الوقت لا شك ، تكاد تفنى شخصية الفرد — بل إن هذه المقدمات نفسها كانت تجرى فى معظم الأحيان على أسلوب مرسوم معروف ، يصور تقاليد العصر الأدبية ، أكثر من تصويره لأسلوب الشاعر وفنه . ولذلك كان من الصعب استخراج صورة دقيقة للشاعر الجاهلى من شعره . بيد أن صورة العصر وقيمه وأحداثه واضحة كل الوضوح فى هذا الشعر . ومن الصعوبة بمكان أن نتصور حياة الأعشى الخاصة من ديوانه . وكل ما نستطيع أن نبلغه من ذلك ، أنه حدثنا عن ابنة له فى موضعين من شعره ، فصورها حريصة على استبقائه وتجنيبه أهوال الأسفار ، تخشى فى غيبته غوائل الزمن وجفاء الأهل وذوى القربى . وهو يعزيها قائلا : إن الموت يفجأ الناس فى بيوتهم وهم بين أهلهم آمنين ، ولابد للمسافر أن يعود إن كان فى عمره بقية . [7] ونجد بعد ذلك إشارة إلى فقد بصره فى أواخر أيامه فى قصيدة مدح بها هوذة بن على ،

(١) راجع فهرس الأعلام والقبائل فى الديوان . (٢) الأغانى ٩ : ١٣ ، شعراء النصرانية ج ٣
(٣) الأغانى ٦ : ٣٠ (٤) راجع القصائد ٥ : ٦٢-٦٤ ، ١٥ : ٤٤ ، ٢٣ : ١٦ ، ١٣ : ٦٩ ، ٧٩ : ٢٨-٢٩ ، ٣٥ : ١-٦
(٥) القصيدة ٦ : ٦٢ ، ١٥ : ٣٠ (٦) القصيدة ١٧ (٧) القصيدتان ٤ : ٥١ — ٥٥ ، ١٣ : ٩-١٣

فصور صاحبته وقد رأته مضعضع القوى مظلم العينين ، فها لها أمره وكادت تنكره . وهو يجيبها قائلا إن الحوادث قد ذهبت بما تعلمين من شبابى و بصرى ، ثم يقول فى حزن عميق : إذا احتاج الفتى لأن يتلمس طريقه بالعصا ، كان أمره إلى قائده يجره حيث يريد ، فهو فى حيرة من أمره ، لا يعرف شيئا مما حوله ، يخاف العثار ، و يتصور السهل من الطرق وَعرا .[1] و يشير إلى ذلك فى موضع آخر من قصيدة مدح بها النعمان بن المنذر ، حيث يعتذر عن تقصيره فى مدحه وزيارته ، بأنه أصبح فى حاجة إلى الرفيق الذى يعينه على رحلته .[2] وقد لا نعدم فى تصوير هذه الفترة المظلمة من شيخوخته مواضع متفرقة من ديوانه .

وقد كان الأعشى — كغيره من شعراء الجاهلية — يجرى فى نظام القصيدة ، وفى إبراز المعانى وصياغة الألفاظ ، على أسلوب معروف ، وقوالب مألوفة حددها العرف ، ومضى فيها الخلف على آثار السلف ، حتى فقدت كثير من التشبيهات قيمتها الفنية ، وأصبحت فى استعمالها المجازى وكأنها مستعملة على وجه الحقيقة ، وحتى رأينا شاعرا من كبار شعراء العصر كعنترة يبدأ مطولته ببيته المشهور ، الذى يقول فيه إن السابقين من الشعراء لم يغادروا شيئا للاحقين .

وأكثر ما يظهر هذا الجمود فى الشعر الذى يصفون فيه النوق والرحلة فى الصحارى المقفرة . فالشاعر يكرر فى هذه القصيدة ما قال فى تلك . ولا يكاد يختلف فى هذا وذاك عما قال غيره من الشعراء . وصفوها قبل السفر ضخمة قوية قد ضاعف صاحبها عنايته بها ، فعلفها وأراحها ومنع عنها الفحول . فإذا كانت الرحلة فهى صبور نشيط فى الهاجرة ، تصل الليل بالنهار فى غير ما كلل فإذا انتهت الرحلة صوروها هزيلا ضامرة ، تشكو الكلال إلى صاحبها ، فيعزيها عما لقيت بما ستصيب من عطاء الممدوح . وشبهوها بحُمُر الوحش و بثور الوحش و بالنعامة — وهو قليل — ، وأسرفوا فى تفصيل صورة ذاك الحمار أو الثور ، مضيفين إليه كل ما يمكن من صور السرعة والإعياء ، فالحمار مولع بأتان تنفر منه فيسرع فى أثرها . وهو غيور عليها ، حريص على القرب منها ، تضرب وجهه برجليها الخلفيتين فلا ينفك عنها ، ولا يزال يلاحقها ويذود عنها الفحول ليستأثر بها . وقد يرد بها الماء ، فيفاجئه صائد لا ينجو منه إلا بعد لأى .[3] والثور حذر نفور ، يسرع فى العدو لأدنى حركة يحس بها ، وقد يفاجئه المطر ، فيلجأ إلى أغصان الشجر يندس تحتها ، حتى يطلع النهار بعد ليل شاق طويل ، فيفاجئه صائد يقود أكلبا ، لا تكاد تبصره حتى تهاجمه . ولا يزال يدافع عن نفسه مستبسلا حتى يتغلب عليها . وأخيرا فالناقة — فى جرأتها وفى اقتحامها للصعاب وتغلبها عليها مع سرعتها — تشبه هذا الثور أو ذاك الحمار .[4]

تتكرر هذه الصور بتفاصيلها — و بألفاظها فى بعض الأحيان — فى كل الشعر الجاهلى ، ويتداولها الشعراء ، لا يجدون حرجاً فى التكرار . ونحن — و إن كنا لا ننكر مافى هذا الشعر من جمال — نقول إن هذا الجمال قد ضاع شطر كبير منه ، وأن هذا الفن قد صار إلى جمود لا نعرف له نظيراً فى أى فن من الفنون . وقد ألغى هذا الجمود شخصيات الشعراء . فالشاعر إذا وصل

---

(١) القصيدة ١٢ : ٢٤ ـ ٢٩ (٢) القصيدة ٢٨ : ٣٥ ـ ٣٦

(٣) راجع الديوان فى القصيدتين ١ : ٢٧ ـ ٣٢ ، ١٥ : ٩ ـ ٢٤ وقارن ذلك بشعر النابغة وزهير وامرى القيس فى الشعراء الستة الجاهليين (ط . أوروبا) ص ٢٣ ، ٧٦ ، ١٣٧ ، ويشعر لبيد فى مطولته .

(٤) راجع قصائد الأعشى ١٣ : ٢٨ ـ ٤٠ ، ٥٢ : ٢٨ ـ ٤٢ ، ٥٥ : ١٦ ـ ٢٩ . وقارن ذلك بشعر امرىء القيس وزهير فى الشعراء الستة ص ١٣٥ ، ٧٩ وقارنه كذلك بشعر لبيد وأبى ذؤيب الهذلى والنابغة الجعدى فى جمهرة أشعار العرب (ط . المكتبة التجارية ١٩٢٦) ص ١٠٨ ، ٢١٦ ـ ٢٧١ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٣ وقارنه كذلك بشعر أوس بن حجر والمتلمس والمثقب العبدى فى شعراء النصرانية ص ٤٩٤ ، ٣٤٥ ، ٤٠٢ وقارنه كذلك بالنابغة فى مطولته . وفى قصيدته (يادار مية بالعلياء فالسند)

إلى وصف الناقة والصحراء ، نسى فنه وشخصيته ، وأنشأ شعره فى هذه القيود الضيقة ، وصبه فى هذه القوالب الميتة ، ولم ير نفسه مطالباً بأكثر من ذلك . ولم تقف هذه القيود عند المعانى والصور ، بل تعدتها إلى الأسلوب والطريقة . فالشاعر إذا أراد أن يتخلص من الغزل إلى وصف الرحلة ، تخلص بطريقة معروفة قلما يشذ عنها . إن كان واقفاً بالأطلال قال (لما رأيت أن الأطلال لاتجيبنى نهضت إلى ناقتى) كقول زهير :

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا لَا تُجِيبُنِي ... نَهَضْتُ إِلَى وَجْنَاءَ كَالْفَحْلِ جَلْعَدِ

و إن كان يتحدث عن رحيل صاحبته قال (هل تلحقنى بهم ناقتى ؟) كقول زهير :

هَلْ تُلْحِقَنِّيَ أَدْنَى دَارِهِمْ قُلُصٌ ... يُزْجِي أَوَائِلَهَا التَّبْغِيلُ وَالرَّتَكُ

وقول الأعشى : أَجِدُّو فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ... فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ

طَلَبْتُهُمُ تَطْوِي بِيَ الْبِيدَ جَسْرَةٌ ... شُوَيْقِيَةُ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ

و إن كان يذكر صدودها عنه و إعراضها قال (فصرّم حبلها إذ صرمته بالسفر على ناقة شديدة) كما يقول زهير :

فَصَرِّمْ حَبْلَهَا إِذْ صَرَّمَتْهُ ... وَعَادَى أَنْ تُلَاقِيَهَا الْعَدَاءُ

بِآزِرَةِ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا ... قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

وقول لبيد : فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ ... وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ... مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا

و إن ذكر ما كان بينــه و بينها من ود قال (فدعها وسل همومك فوق الناقة برحلة فى الصحراء) ، وهو أكثر مذاهبهم شيوعاً . كقول الأعشى :

وَقَدْ أُسَلِّي الْهَمَّ حِينَ اعْتَرَى ... بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ

وقوله : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... تَزَيَّدُ فِي فَضْلِ الزِّمَامِ وَتَغْتَلِي

وقول امرئ القيس : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

وقوله : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... مُدَاخَلَةٍ صُمِّ الْعِظَامِ أُصُوصِ

وقول علقمة : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... كَهَمِّكَ فِيهَا بِالرِّدَافِ خَبِيبِ

وقول المثقب العبدى : فَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ ... عُذَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ الْقُيُونِ

وقول المرقش الأكبر : لَوْمَا تُسَلِّي حُبَّهَا جَسْرَةٌ ... وَهَلْ تُسَلِّي حُبَّهَا مِنْ أَمَمْ

وقول المسيب : فَتَسَلَّ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ ... بِخَمِيصَةٍ سُرُحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعِ

فإذا أخذ الشاعر فى الــكلام عن رحلته ، كان له فى ذلك طريقان . إما أن يشبه ناقته بالنعامة أو الحمار أو الثور ، على النحو الذى ذكرناه . و إما أن يصفها فينظم معانى الذين سبقوه ، فيتم له بهذا النظم المعاد شعر فى وصف الناقة وفى وصف الصحراء ، لايرى نفسه مطالباً بأكثر منه . ولهم فى ذلك تشبيهات معروفة ، قد اجتمع لى منها قدر كبير ولولا خشية الإطالة لعرضتها ليتبين

منها مبلغ جمود هذا الفن . ولكنى أكتفى بعرض طرف يسير منها على سبيل المثال . فمن ذلك تشبيههم الطريق فى الصحراء بالكساء المخطط (البرجد) .

الأعشى : وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرْ مَشَارِبُهَا دَائِرَاتٌ أُجُنْ
و فَأَفْنَيْتُهَا وَتَعَالَلْتُهَا عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ

طرفة : أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الْأَرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

المثقب العبدى : فِى لَاحِبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ مُنْفَهِقُ الثُّغْرَةِ كَالْبُرْجُدِ

النابغة : وَنَاجِيَةٍ عَدَّيْتُ فِى مَتْنِ لَاحِبٍ كَسَحْلِ الْيَمَانِى قَاصِدٍ لِلْمَنَاهِلِ

ومنه تصوير وحشة الصحراء بصوت البوم .

الأعشى : لَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ الْبُومِ وَالضُّوَعَا

المرقش الأكبر : وَتَسْمَعُ تَزْقَاءً مِنَ الْبُومِ حَوْلَنَا كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوءِ النَّوَاقِيسُ

المثقب العبدى : أَمْضَى بِهَا الْأَهْوَالَ فِى كُلِّ قَفْرَةٍ يُنَادِى صَدَاهَا آخِرَ اللَّيْلِ بُومُهَا

علقمة الفحل : بِمِثْلِهَا تُقْطَعُ الْمَوْمَاةُ عَنْ عُرُضٍ إِذَا تَبَغَّمَ فِى ظَلْمَائِهِ الْبُومُ

الأسود بن يعفر : مَهَامِهًا وَخُرُوقًا لَا أَنِيسَ بِهَا إِلَّا الضَّوَابِحَ وَالْأَصْدَاءَ وَالْبُومَا

وتصوير وحشتها كذلك بعزيف الجن :

الأعشى : وَبَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَا مَنَاهِلُهَا دَائِرَاتٌ سُدُمْ

المثقب : فِى لَاحِبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ مُنْفَهِقُ الثُّغْرَةِ كَالْبُرْجُدِ

طرفة : وَرَكُوبٍ تَعْزِفُ الْجِنُّ بِهِ قَبْلَ هٰذَا الْجِيلِ مِنْ عَهْدِ أَبَدْ

ومنه تشبيه الهوادج وقد لاحت من بعيد وسط الصحراء ، بالسفين فى لج البحر .

طرفة : كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

المرقش الأكبر : لِمَنِ الظُّعْنُ بِالضُّحَى طَافِيَاتٍ شِبْهُهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلَايَا سَفِينِ

عبيد بن الأبرص : تَبَيَّنْ صَاحِبِى أَتَرَى حُمُولًا يُشَبَّهُ سَيْرُهَا عَوْمَ السَّفِينِ

المثقب العبدى : وَهُنَّ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلْجًا كَأَنَّ حُمُولَهُنَّ عَلَى سَفِينِ

النابغة : كَأَنَّ الظُّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْرًا سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَّمْنَ الْقَرَاحَا

زهير : شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرَى ، بِرْكٌ بِأَيْمُنِهِمْ فَالْعَالِيَاتُ ، وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خِيَمُ
عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمُ فَيْدُ الْقُرَيَّاتِ فَالْعِتْكَانُ فَالْكَرَمُ

امرؤ القيس : فَشَبَّهْتُهُمْ فِى الْآلِ حِينَ زَهَاهُمُ عَصَائِبَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا

وأمثال هذه التشبيهات المشتركة كثير شائع فى هذا الفن ، لا أريد أن أطيل بتفصيله . فمنه تشبيه أعلام الطريق — وهى

الحجارة المنصوبة على جانبيه — بالرجال ، ووصف الصحراء بأنها مطموسة المسالك ، وبأنها مدفونة المناهل ، وبأن ماء آبارها راكد غير سائغ . وتشبيه الناقة بالبنيان الضخم ، ووصفها بتلاحم الفقار ، وتصويرها قبل السفر وقد علفها صاحبها وأحسن القيام عليها ، وتصويرها بعد الرحلة هزيلا ضامرة ، وتصوير نشاطها فى الهاجرة ، حين يخفق السراب ، وكأن هِرًّا قد علق برحلها فهو ينهشها فيهيجها ويبعثها على الإسراع . وتشبيه هيكلها حين تضمر ، وقد ارتفع فوق أرجلها ، بتابوت الميت (الإران) وقد حمل على هام الرجال ، وتشبيه آثار السيور فى جسمها المهزول بآثار المشى أو الماء فى الصحراء حين يترك طرائق واضحة ، وتشبيه ذنبها بشمراخ البلح ، وعينها بالمرآة . وقولهم إنها تستخف بالرّدْف ، وأنها تسير ولا طعام لها إلا ما تجتر ، وأنها تثير الحصى لسرعتها .

ولهم بعد هذا كثير من القوالب الجامدة (الكليشيهات) فى مختلف الأغراض. فمن ذلك تشبيه الأطلال بآثار الوشم وبالكتابة البالية . وتشبيه النساء بالظباء ، وأردافهن بالكثيب ، وبشرتهن الصافية باللؤلؤ وبالبيض المكنون ، ووجوههن الوضاء بالقمر ، وأسنانهن باللؤلؤ وبالبلور وبأوراق زهر الأقحوان ، وشعرهن الأسود بالليل وبخطوط الكساء ، وعيونهن بعيون البقر ، وجيدهن بجيد الغزال ، وريقهن بالخمر وبالعسل ، وأناملهن بهداب الحرير ، وقوامهن بغصن البان ، ومشيهن بمشى القطا ، وكنايتهم عن دقة خصر المرأة بقولهم (صفر الوشاح) ، وعن ضخامة الأرداف بقولهم (مِلْءُ الدِّرْع) وعن امتلاء الساق بقولهم (صامته الخلخال). ومن ذلك تشبيه الوصل بالحبل ، وفيض العيون بفيض الدلاء ، وتشبيه المحب بالأسير وبالسكران . وتشبيه الشجاع بالليث وبالسيف ، والكريم بالبحر وبالغيث ، وتشبيه القامة بالرمح ، والحرب المريرة بالناقة العجوز وبالرحى وبالفحل الشرس ، والذى يثيرها ويؤججها بالذى يمد النار بالحطب ، وتشبيه الموت بالكأس المرة ، والفرس السريع بالعقاب وبالسابح ، والفرس الطويل الظهر بجذع النخلة وبقناة الرمح . وتصويره فى سرعته وكأنه يبارى رمح راكبه محاولا أن يسبقه ، وتشبيه السهام فى سرعتها حين تنطلق بالنحل ، وتشبيه لمعان السيوف والدروع بترقرق صفحة الغدير ، وتشبيه العدو المغير بالضيف ، وتعبيرهم عن التنكيل به بالقِرَى على سبيل التهكم ، وكنايتهم عن الطويل القامة بأنه طويل النجاد ، وعن الشريف بأنه رفيع العماد ، وعن المنجد ذى المروءة بأنه وارى الزناد .

هذه جملة من الصور والتشبيهات ، نجدها شائعة فى الشعر الجاهلى الذى نتدارسه ، لايختص بها شاعر دون آخر ، فهى قوالب قد جمدت وتحجرت حتى كادت تفقد قيمتها المجازية وروعتها الفنية . ومن الواضح أن هذه البقية التى نتدارسها من الشعر الجاهلى تصوره فى طور نضوجه الكامل ، وأن المحاولات الأولى قد ضاعت ولم يبق لها أثر ، فلم يصلنا الشعر إلا مقيداً بقوانين يتحتم على الشاعر التزامها . وليس لنا بد من رد هذه القوالب والتقاليد إلى الجنود المجهولين ، وإلى الأجيال المظلمة للمؤسسين الأولين .

وبعد فأنا أخشى أن أكون قد صورت الشاعر الجاهلى نَظَّاماً ، ينحصر عمله فى صياغة هذه المعانى ورصفها . والواقع أن الشعراء ينفردون بعد ذلك بأساليب خاصة ، فهذا بدوى مسرف فى البداوة خشن العبارة ، وذاك تبدو على شعره آثار الحضارة والرقة . وهذا تغلب عليه الحكمة والتفكير ، وذاك تغلب عليه الصنعة والصقل . ثم هم يتميزون مع ذلك بأساليبهم فى نظم الكلام

وصياغته ، ولا نعدم فى شعر كل شاعر كثيراً من التشبيهات المبتكرة الرائعة ، التى تمتاز بالصدق وقوة التصوير . ولأضرب لذلك بعض الأمثلة من شاعرنا (الأعشى) :

من ذلك تصويره للناقة فى قطعها للطريق وكأنها تلتهم الآكام وتغتال الفجاج :

إِذَا مَا الآكَامُ وَنَيْنَ حَطَّتْ   عَلَى ٱلعِلاَّتِ تَجْتَزِعُ ٱلإِكَامَا

و   بِنَاجِيَةٍ مِنْ سَرَاةِ ٱلْهِجَا   نِ تَأْتِى ٱلْفِجَاجَ وَتَغْتَالُهَا

ومنه تصويرها فى جرأتها على السفر فى الليل ، بأنها تحتفر الظلماء ، أو تشق برقبتها الطويلة الليل :

وَلَقَدْ أُحْزِمُ ٱللُّبَانَةَ أَهْلِى   وَأُعَدِّيهِمْ لِأَمْرٍ قَذِيفِ

بِشُجَاعِ ٱلْجَنَانِ يَحْتَفِرُ ٱلظَّلْمَا   ءَ مَاضٍ عَلَى ٱلْبِلَادِ خَسُوفِ

و   تَشُقُّ ٱللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا   بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يَشْرِى ٱلزِّمَامَا

ومثل تصويره للميت حين يمضى مخلفاً وراءه كل ماجمع ، فيشبهه بالمغزل الذى يغزل الخيوط ، ثم لايكاد يتضخم بها حتى يعرَّى منها ، فإذا هو سليب .

وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ   كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ ٱلْمَغَازِلُ[1]

* * *

أطلت الحديث عن العصر وعن تقاليده ولم يكن من الاطالة بد ، لبيان موضع شاعرنا الصحيح من عصره فى فنه ، ولمعرفة ما انساق فيه وراء التقاليد الموروثة وما جدد فيه وابتكر .

قلت إن كل شاعر ينفرد بأسلوبه الخاص فى التعبير وفى إبراز المعانى . وقد أولع الأعشى ببعض أساليب كثر دورانها فى شعره . وسأخص منها بالحديث أربعة ، بالإضافة إلى ما قدمت ، وهى: وحدة القصيدة ، والاستدارة ، والاستطراد ، والقصص .

كان العرب يحبون فى البيت أن يستقل فى معناه عما قبله وعما بعده ، ولذلك شاعت الفكرة القائلة إن ترتيب القصيدة العربية لا يجرى على نظام ، وأن من الممكن أن تقدم الأبيات عن مواضعها أو تؤخر ، دون أن يكون لذلك أثر فى الإخلال بالمعنى . فكل بيت فى القصيدة وحدة قائمة بنفسها . وقد كان الاعشى مولعا بصياغة المعنى فى مجموعة من الابيات ، لا يحرص على استيفائه فى البيت الواحد ولا يبالى بذلك . لذلك جاءت معظم قصائده متماسكة تتساوق أبياتها متسقة النسق ، يأخذ بعضها برقاب بعض . ويبدو هذا الترابط قويا محكما فى كثير من المواضع ، حتى يتعذر نقل البيت عن موضعه .[2] وكثيرا ما يأتى الأعشى بالفعل فى بيت ثم يأتى بفاعله أو بمفعوله فى البيت التالى[3] ، أو يأتى بفعل الشرط فى بيت ويأتى بخبره بعد بيت أو بيتين .[4] وقد يذهب الأعشى فى ذلك النهج إلى أبعد الحدود ، حتى يعلق قافية البيت بصدر البيت الذى يليه ، وهو ما يسميه علماء القافية بالتضمين، وهم يعدونه عيبا ، وأكثر ما يستقبحونه إذا قطع الكلام قطعا فى نهاية البيت ، فلم تتم فائدة

---

(١) راجع كذلك القصائد : - ٩ : ١٤ ، ١٢ : ١٨ - ١٩ ، ١٣ : ٦٥ ، ١٤ : ٣٣ - ٣٤ ، ١٨ : ١٢ ، ٣٢ : ١٩ و ٣٨ و ٤٢ و ٤٤ ، ٣٣ : ٥٢ ، ٣٤ : ٧ ، ٣٥ : ١٧ ، ٣٨ : ٢١

(٢) القصيدة ٣٤ : ٢٥ – ٣١ ، ٢ : ١٩ – ٢١ ، ٣ : ٣٧ – ٤١   (٣) مثل مافى القصيدة ١ : ١ - ٢ ، ١٦ : ٦ – ٧

(٤) ٢٩ : ٧ - ٩ ، ٣٢ : ٣٩ - ٤١

المعنى بغير البيت التالى ، مثل تضمين الأعشى بصلة الموصول ، وجعل صلته فى البيت التالى [١] ، أو تضمينه بالفعل الناقص (صار) ، وجعل خبره فى البيت الذى يليه [٢] ، وتضمينه بالفعل وجعل فاعله فى البيت التالى ، [٣] ومثل تعليق الجار والمجرور بقافية البيت السابق . [٤]

والحديث عن وحدة القصيدة يسلمنا إلى الحديث عن الاستدارة ، التى هى صورة من صور الترابط الذى يقوم بين الأبيات. والمقصود بالاستدارة هو توالى مجموعة متلاحمة من الأبيات تجرى على نظام متسق ، يقوم فيه كل بيت بنفسه فى معناه ، ولكن المعنى العام لا يتم إلا بالبيت الاخير منها . وقد أكثر الأعشى من هذا الأسلوب فى شعره — وتأثر به الأخطل فيه — وهو أسلوب مشوّق يثير السامع ، ويبعثه على تتبع الكلام حتى يبلغ نهايته ومداه . فمن ذلك مثلا قوله فى مدح إياس بن قبيصة الطائى (٢١ : ٣٨ — ٤١) :

إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً وَالرِّكَا   بُ خُوصٌ تَخَضْخَضُ أَشْوَالُهَا
وَتَسْمَعُ فِيهَا كَهِي وَأَقْدِمِي   وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالُهَا
وَنَهْنَهَ مِنْهُ لَهُ ٱلْوَازِعُو   نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا
أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ ٱلْقَرَى   فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

فكل بيت من هذه الأبيات يقوم بنفسه ، ولكن جواب الشرط فى البيت الأول ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير ، الذى يتم به المعنى . والسامع يظل متتبعا للشاعر ، معلقا انتباهه بما يتوالى من أبيات ، حتى يستريح إلى البيت الأخير ، فيقع من نفسه موقع الخاتمة من القصة المثيرة .

ومن أمثلته كذلك قوله ، من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب (٥ : ٤١ — ٤٣) :

فَيَارُبَّ نَاعِيَةٍ مِنْهُمُ   تَشُدُّ اللِّفَاقَ عَلَيْهَا إِزَارَا
تَنُوطُ التَّمِيمَ وَتَأْبَى ٱلْغَبُو   قَ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ إِلاَّ نَهَارَا
مَلَكْتَ فَعَانَقْتَهَا لَيْلَةً   تَنُصُّ العُقُودَ وَتَدْعُو يَسَارَا

فخبر المبتدأ فى البيت الأول (ناعية) ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير (ملكت . . .)

ومنه قوله فى مدح هوذة (١٣ : ٥٨ — ٦١) :

وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ   قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى ٱلْجُرْفَيْنِ وَاطَّلَعَا
بِجَيْشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلاً   يَكَادُ يَعْلُو رُبَى ٱلْجُرْفَيْنِ مُطَّلِعَا

---

(١) ٤٠ : ٣ — ٤   (٢) ١٢ : ٤ - ٦   (٣) ٣٩ : ١٧ — ١٨

(٤) ٣٩ : ٢١ — ٢٢ . وتراجع الأمثلة على الفكرة عامة فى ١ : ١ - ٢ و ١٥ — ١٦ و ٢٣ — ٣٥ ، ٢ : ١٩ - ٢١ و ٥٣ — ٥٤ ، ٣ : ٤ — ٥ و ٣٧ — ٣٨ ، ٨ : ٢٢ — ٢٣ ، ٩ : ١٧ - ١٨ ، ١٠ : ٦ — ٧ و ١٧ — ١٨ و ٣٢ - ٣٣ و ٣٥ — ٣٦ ، ١١ : ٦ — ٧ و ٨ - ١٠ ، ١٢ : ٥٣ — ٥٤ ، ١٨ : ١٩ — ٢٠ ، ١٩ : ١٧ — ١٨ ، ٢٠ : ٦٧ — ٦٨ ، ٢١ : ٢٢ — ٢٣ و ٤٢ - ٤٣ ، ٢٨ : ٩ - ١١ ، ٣٣ : ٤٨ — ٤٩ ، ٣٦ : ٢٤ - ٢٦ ، ٣٨ : ٢١ — ٢٢ و ٢٤ — ٢٦ ، ٣٩ : ١٣ — ١٤ و ٣٨ — ٤١ ، ٥٢ : ٢٦ — ٢٨ ، ٥٤ : ٤ — ٨ و ١٦ — ١٨ و ١٩ — ٢٠ ، ٧٣ : ٩ - ١٠

طَابَتْ لَهُ الرِّيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ   تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ   إِذْ ضَنَّ ذُو الْمَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْخَدَعَا

فخبر (ما) فى البيت الأول ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير . مع أن كل بيت من هذه المجموعة يقوم بنفسه فى تصوير معنى جزئى ، وقد شُدَّ البيتُ إلى البيت ، كما تُشَدُّ اللَّبِنَةُ إلى اللبنة ، ليتكون منها فى مجموعها بناء متماسك ، هو المعنى الإجمالى[١] .

أما الاستطراد ، فالشاعر يخرج فيه عن الموضوع الذى يعالجه لمناسبة عارضة ، فيمضى مع موضوعه الجديد مفصلا فيه ، وكأنه نسى الموضوع الأصيل ، حتى يعود إليه آخر الأمر ليربط بين الموضوعين . فمن ذلك مثلا أن يشبه ناقته بثور الوحش ، ثم يترك الناقة — وهى موضوع الحديث — ويمضى مع ثور الوحش ، يصوره وقد فاجأه المطر ، ثم طارده الصياد بكلابه ، فراح يدافع عن نفسه فى جرأة ، حتى ينتصر على الكلاب بعد أن ينال منه الإجهاد . ويعود الشاعر بعد حديثه الطويل عن الثور ، ليربط بينه وبين الناقة — وهى موضوع الحديث الأصيل — فيقول إن ناقته تشبه هذا الثور ، فى تخطيها لما يعترض طريقها من عقبات وصعاب . وهذا أسلوب مشهور معروف ، جرى عليه الشعراء الجاهليون فى وصف الناقة خاصة ، ولكنهم لم يستعملوه فى غيرها إلا نادراً . أما الأعشى فقد توسع فى هذا الأسلوب ، وجمع بينه وبين الاستدارة فى بعض الأحيان[٢] .

ومن أوضح الأمثلة على هذا الأسلوب القصيدة (٥٢) فى الديوان . فالأعشى يشبه صاحبته بظبية صغيرة ، ولكنه يسترسل فى الخيال ، ويبالغ فى وصف هذه الظبية الصغيرة ، ويخلع عليها أجمل صور الحنان والرقة والضعف الذى يلائم ضعف الأنوثة الناعمة . فإذا بلغ من التصوير والتجميل ما أراد ، قال : أترى إلى هذه الظبية الرَّخصة الضعيفة الصوت ، سوداء المقلتين ، التى لا تكاد تقوى رجلاها على حمل جسمها الصغير ، والتى شبت وترعرعت فى رعاية أمها التى لا تكاد تفارقها ، فهى لا تخرجها المرعى إلا إذا عم الدفء والتج الذباب ، ولا تبعد عنها خشية أن تضل . أترى إلى هذه الظبية الجميلة الناعمة ؟ إنها تشبه (قَتْلَة) ، بل إن (قتلة) لتفوقها جمالا حين تبدو سافرة[٣] ثم هو بعد ذلك يشبه رضاب صاحبته بالخمر التى خالطها زنجبيل وتفاح مزجا بالعسل . ويسترسل فى الخيال مرة أخرى ، فيبالغ فى وصف ما يلاقى مستخرج هذا العسل من عناء . فهو يصعد إلى مرتفع قد أحاطت به الصحراء . ولا يزال يتحمل المتاعب فى سبيل بغيته ، فيدفع عن نفسه صغار النحل التى تطن من حول راحلته ، وقد انبعثت حين هيجها الدخان[٤] .

ولا يلبث الشاعر أن يصل بعد قليل إلى الناقة ، فيصورها جلدة جريئة وقد نال منها الكلال ، ويشبهها بثور ضامر جائع . ثم يسترسل فى الخيال مرة ثالثة ، فيطيل فى وصف هذا الثور على الأسلوب الجاهلى المألوف الذى قدمناه فيما سبق ، حتى إذا انتهى الشاعر من تركيب صورته على هذا النحو ، الذى هو أشبه بلوحة جمع فيها المصور كل معانى الإعياء والتعب والاستبسال ، قال إن ناقته تشبه هذا الثور الذى فصل حالته[٥] .

---

(١) راجع أمثلة أخرى للاستدارة فى القصائد الآتية : ٣ : ٢٢ ــ ٢٤ و ٥١ ــ ٥٣ ، ٤ : ٣٦ ــ ٣٩ ، ٥ : ٥٥ ــ ٥٨ و ٦٢ ــ ٦٤ ، ١٢ : ٥٥ ــ ٥٧ ، ١٥ : ٣٠ ــ ٣٣ و ٤٤ ــ ٤٦ ، ١٦ : ٢٩ ــ ٣١ ، ٢٨ : ٢١ ــ ٣٠ و ٣١ ــ ٣٣ ، ٢٩ : ٢٤ ــ ٢٦ ، ٣٢ : ٣٩ ــ ٤١ ، ٥٥ : ٣٥ ــ ٣٦ ، ٧٠ : ٦ ــ ٩ و ١٤ ــ ١٧ ، ٧٢ : ٣ ــ ٤

(٢) راجع القصيدة ٢٨ : ٢١ ــ ٣٠ (٣) الأبيات ٦ ــ ١٢ من القصيدة ٥٢ (٤) الأبيات ١٨ ــ ٢٣ من القصيدة ٥٢

(٢) الأبيات ٣١ ــ ٤٣ من نفس القصيدة . وراجع كذلك أمثلة أخرى للاستطراد فى القصائد : ١٥ : ٤٠ ــ ٤٢ ، ٣٢ : ٩ ــ ١٨ ، ٣٤ : ١٠ ــ ١٣ ، ٨٠ : ٩ ــ ١٧

أما القصص فللشاعر فيه أسلوب يميزه عن سائر الجاهليين ، ولا يكاد يجاريه فيه إلا امرؤ القيس . فهو يسوق الغزل فى كثير من الأحيان على صورة حوار ، يعرض فيه مادار بينه و بين صاحبته من حديث. وقد يحكى لنا قصته مع صاحبته ، كيف بعث إليها برسول خبيث داهية لاتعجزه الحيلة ، وكيف تلطف هذا الرسول فى الدخول إليها والإفلات من الرقباء . ولم يزل ينازعها الحديث، و يقيم عليها الحجة ، و يضيق عليها سبل القول ، يلين حيناً و يعنف حيناً آخر ، حتى نزلت على مايريد ، ورضيت أن تضرب معه موعداً للقاء الأعشى ، بعد أن دلته على السبيل المأمون لتجنب عيون الرقباء . و يدخل إليها الأعشى ، فيصف ما كان بينه و بينها من معابثة ومجون [١] . ولسنا نزعم أن الأعشى قد بلغ فى هذا الأسلوب مابلغ عمر بن أبى ربيعة ، الذى وقف جهده على تجويد هذا الفن ، فقد كان قصير النفس فيه ، لاينساق له نسق القصص ، ولا يكاد يوغل فيه . وإنما هى لمحات قصيرة خاطفة قليلا ماتطول ، إن لم تبلغ حد النضج ، فقد مهدت للذين جاءوا من بعده . وشبيه بهذا الأسلوب فى الغزل ، أسلوب الشاعر فى بعض خمرياته [٢] . وقد تابعه أبونواس فى هذا الأسلوب ، فزاد فيه وجود ، حتى أصبح مكانه من قصص الخمر يعدل مكان عمر من قصص الغزل وتلوح مسحة من هذا الأسلوب على شعر الأعشى كذلك ، حين يعرض لتصوير الأمم البائدة والملوك الذاهبين، مستخلصاً من حياتهم العبرة والموعظة [٣] .

وأحب أن أفرق أخيراً بين ما أسميه القصص فى شعر الأعشى ، وفى الشعر العربى القديم جملة ، و بين مايسميه الأوروبيون شعراً قصصياً (narrative) ، فمن الوضح أننى لاأنظر إلى التسمية الأوروبية ، حين أتكلم عن هذا اللون من الشعر العربى . وكل الذى قصدت إليه ، هو أن مثل هذا الشعر يقوم على مجرد الحكاية والسرد . وهو سرد لايجرى على خطة مدبرة ، ولايساق لهدف خاص .

---

(١) راجع القصيدة ٣٩ : ١٣ ـ ٣٥ وراجع كذلك القصائد ١٢ : ١١ — ١٦ و ٢٤ — ٢٨ ، ٢٢ : ٥ — ٩ ، ٢٩ : ٥ — ٩ ، ٤٤ : ٤ — ١٤ ، ٧٨ : ٧ — ١٣

(٢) القصائد ٨ : ٨ — ٢٤ ، ٣٦ : ٣٤ — ٥٤ ، ٧٨ : ١٣ — ٢٢

(٣) القصائد ٤ : ٥١ — ٥٥ و ٦٠ — ٦٦ ، ١٣ : ٩ — ١٣ و ١٧ — ٢١ ، ٢٥ : ٥ — ٢١ ، ٣٣ : ٥ — ١٨ ، ٣٦ : ٨ — ١٥ ، ٥٣ : ١ — ١٠ ، ٥٤ : ٢٦ — ٣٢

دِيوَانُ الأَعْشَى الكَبِيرِ

مَيْمُونِ بْنِ قَيْسٍ

الاسود بن المنذر واحد من إخوة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ـ وكان إخوته كثيراً، زعم الرواة أنهم كانوا أحد عشر أخا . وأم الاسود من تيم الرباب(١) وقد بعثه النعمان عليهم فكان ملكهم(٢) وفى القصيدة إشارة إلى خروجهم عليه ، وقتاله لهم حتى دخلوا فى طاعته . وللأسود وقعة مشهورة ببنى محارب بن خصفة (من قيس عيلان) أشار إليها الشاعر كذلك فى هذه القصيدة . وكان ذلك بسبب قتل الحارث بن ظالم المرى (من ذبيان) لابنه شرحبيل ، فى قصة طويلة . فأوقع الاسود ببنى ذبيان وبنى أسد أولا ، ثم وجد نعل ابنه بعد ذلك فى موضع من بلاد بنى محارب فقال لهم : سأحذيكم نعالا . فأحمى لهم الصفا التى بصحراء أضاخ ، حيث وجد نعل ابنه ، وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم . ويقول الرواة إن الاسود حين أغار على الحليفتين « أسد » و « ذبيان » أصاب نعما وأسرى وسبايا من بنى سعد بن ضبيعة قوم الاعشى ، وكان الاعشى غائباً عن الحى . فلما قدم وجد الحى مباحا . فأقبل على الاسود وأنشده هذه القصيدة ، وسأله أن يهب له الاسرى ويحملهم ففعل(٣) . والقصيدة من أجود شعر الاعشى . وقد اختلف الرواة فيها وفى قصيدته (ودع هريرة إن الركب مرتحل) أيهما هى المطولة .

يقول الأعشى :

١ — فيم وقوف الرجل الكبير يبكى ويتساءل بالأطلال

٢ — وهو يعلم أن الدمنة القفرة التى تعبث بها رياح الصيف لا ترد السؤال

* * *

٣ — إليك عنى أيتها الذكرى ، فليس هاهنا مقام جبيرة أو رسولها الذى يطرقنا بالأهوال

٤ — فأنا فى أهلى بين « بطن الغميس » و « بادولى » وهى فى أهلها الذين ارتحلوا شمالا إلى « السخال »

٥ — ترتعى « السفح » و « الكثيب » و « ذاقار » و « روض القطا » و « ذات الرئال »

٦ — فبينى وبينها قفار تخرس أهوالها المسافرين ، وميل من ورائه أميال

٧ — وسفر طويل تملأ له أوعية الماء ، ثم لا يكون حظ المسافر فيه إلا الأوشال

٨ — وسير فى أعقاب الليالى، وفى شمس النهار الملتهبة ، بين أرض غليظة وأرض مستوية ورمال

٩ — وآبار راكدة يسفى عليها الريح ، ويعلو ماءها ريش الطيور ، كأنه منثور النبال

* * *

١٠ — بعدت الدار وصعب المزار . ويا ربما كنت قليل الهموم ناعم البال

١١ — أيام كانت هى همى وحديثى ، تعصى فى هواى صاحب الأمر فيها ذا الأقوال

١٢ — كأنها ظبية بيضاء من ظباء « وجرة » تتناول من ثمار الأراك ، وقد تهدلت عليها أغصانه الطوال

(١) الرباب قبائل تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رب ، فسموا الرباب ، وهم أبناء أد بن طابخة : ضبة وتيم وعدى وعكل وثور (العقد الفريد)

(٢) ولى النعمان بن المنذر قبل مبعث النبى بأربعة وعشرين عاما (٥٨٦ م) . وتوفى قبل مبعث النبى بسنتين (الطبرى ١ : ٩٠٠ ط. ليدن) .

(٣) راجع الاغانى ٢ : ٢١ — ٢٢ ، ١٠ : ٢٢ ، ١١ : ١١٠

قال الأعشى يمدح الأَسْود بن المُنْذِر اللَّخْميّ :

١ — مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ   وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي   (خفيف)
٢ — دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـ   ـفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وشَمَالِ
٣ — لَاتَ هَنَّا ذِكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْ مَنْ   جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ
٤ — حَلَّ أَهْلِي بَطْنَ الغَمِيسِ فَبَادَوْ   لَى وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةً بِالسِّخَالِ
٥ — تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالكَثِيبَ فَذَاقَا   رِ فَرَوْضَ القَطَا فَذَاتَ الرِّئَالِ
٦ — رُبَّ خَرْقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْـ   ـرَ وَمِيلٍ يُفْضِي إِلَى أَمْيَالِ
٧ — وَسِقَاءٍ يُوكَى عَلَى تَأَقِ المَلْـ   ـءِ وَسَيْرٍ ومُسْتَقًى أَوْشَالِ
٨ — وادِّلَاجٍ بَعْدَ المَنَامِ وتَهْجِيـ   ـرٍ وقُفٍّ وسَبْسَبٍ وَرِمَالِ
٩ — وقَلِيبٍ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرِّيـ   ـشِ بِأَرْجَائِهِ لُقُوطَ نِصَالِ
١٠ — فَلَئِنْ شَطَّ بِي المَزَارُ لقد أَغْـ   ـدُو قَلِيلَ الهُمُومِ نَاعِمَ بَالِ
١١ — إِذْ هِيَ الهَمُّ وَالحَدِيثُ وَإِذْ تَعْـ   ـصِي إِلَيَّ الأَمِيرَ ذَا الأَقْوَالِ
١٢ — ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ وَجْرَةَ أَدْمَا   ءُ تَسَفُّ الكَبَاثَ تَحْتَ الهَدَالِ

(١ — ٣) الدمنة آثار الناس . تعاور الناس الشيء تداولوه . وتعاورت الرياح الدار تداولتها ، فمرة تهب جنوبا ومرة تهب شمالا. لات هنا أي ليس وقت ذكرها . الصبا والشمال : ريحان .

(٤ — ٦) علوية أي في العالية . الخرق ما اتسع من الارض لان الريح تنخرق فيه وتهب فيه لسعته . أفضى به إلى كذا انتهى به إليه .

(٧ — ٩) يوكى يربط من الوكاء وهو الرباط . الاتاق الملء . الأوشال جمع وشل وهو القليل من الماء . الادلاج بتشديد الدال المكسورة السير آخر الليل ، والادلاج بسكون الدال سير الليل كله . التهجير السير في الهاجرة أي في الظهر .
القف الأرض الغليظة . السبسب الأرض المستوية . القليب البئر . آجن آسن راكد . النصل حديد السيف والرمح والسهم .

(١٠ — ١٢) شط أي بعد . الهم أي موضع اهتمامه وعنايته . الامير أي صاحب السلطان الذي يملك أن يأمرها وينهاها، يقصد زوجها . وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة . الادم ظباء طويلة الاعناق سمر الظهور . الكباث ثمر الاراك . والاراك شجر تستعمل غصونه في تنظيف الأسنان بعد دق أطرافها . الهدال ما تهدل من الغصون واسترسل .

١٣— صافية الأديم ، بضة الأنامل ، تفتل شعرها اللين ، ثم تشد حواشيه بالخلال

١٤— يالروعة القلائد وقد أمسكها السلك ، فكأنما علقت بجيد غزال

١٥— وياللخمر العتيق حين يجرى بين أسنانها المحددة ، ممزوجا بالماء الزلال

١٦— وقد داعب النوم جفونها ، فكأنه يجرى خلال شوك « السيال »

* * *

١٧— اذهبي ياجبيرة ووداعا ، ما صرفني عنك الحلم والحجا ، ولكن شغلني عنك أشغال

١٨— وأسفار فوق ناقة شديدة بيضاء صافية العين ، نشيطة شِمْلال

١٩— من خيرة النوق وأصلبها ، رعت الحمى ، وأكلت علف الأمصار ، ومنع عنها الفحول فطال بها الحيال

٢٠— لم يذهب بعزمها طفل ترضعه ، ولم تتشنج قوائمها مما يصيب الإبل من داء « الحثال »

٢١— قد استنقدتها الأسفار البعيدة ، وقت الظهيرة ، حين يرتفع السراب ويلمع الآل

٢٢— فوق فلاة تدوم فيها الرحلة ، وتغتال المسافرين ، قد أقفرت من كل شيء إلا من الآجال

٢٣— وإذا خيف الضلال ، واشتد بالمسافرين الحال ، لا يرجون الوصول للماء قبل خمس من الليال

٢٤— فراحوا يستحثون الذى يستبدل راحلته المتعبة ، وقد نمد الماء ، فلم يبق منه إلا الأوشال

٢٥— نشطت هذه الناقة الحرة الضخمة ، وكأنها قنطرة من قناطر الروم ، تفرى الأرض الملتهبة فرياً بالإرقال

— ١ —

١٣— حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأَنَامِلِ تُرْتَـ   بُ سُخَامًا تَكُفُّهُ بِخِلَالِ
١٤— وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْـ   كُ بِعِطْفَيْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ
١٥— وَكَأَنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الأَسْفِنْـ   طِ مَمْزُوجَةً بِمَاءٍ زُلَالِ
١٦— بَاكَرَتْهَا الأَعْرَابُ فِي سِنَةِ النَّوْ   مِ فَتَجْرِي خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ
١٧— فَاذْهَبِي مَا إِلَيْكِ أَدْرَكَنِي الحِلْـ   مُ عَدَانِي عَنْ ذِكْرِكُمْ أَشْغَالِي
١٨— وَعَسِيرٍ أَدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْـ   نِ خَنُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمْلَالِ
١٩— مِنْ سَرَاةِ الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُـ   ضُّ وَرَعْيُ الحِمَى وَطُولُ الحِيَالِ
٢٠— لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوَارٍ وَلَمْ يَقْـ   طَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ
٢١— قَدْ تَعَلَّلْتُهَا عَلَى نَكَظِ المَيْـ   طِ وَقَدْ خَبَّ لَامِعَاتُ الآلِ
٢٢— فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تَغَوَّلُ بِالسَّفْـ   رِ قِفَارٍ إِلَّا مِنَ الآجَالِ
٢٣— وَإِذَا مَا الضَّلَالُ خِيفَ وَكَانَ الْـ   وِرْدُ خِمْسًا يَرْجُونَهُ عَنْ لَيَالِ
٢٤— وَاسْتُحِثَّ المُغِيرُونَ مِنَ القَوْ   مِ وَكَانَ النِّطَافُ مَا فِي العَزَالِي
٢٥— مَرِحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرُّو   مِيِّ تَفْرِي الهَجِيرَ بِالإِرْقَالِ

(١٣ — ١٥) الحر الخيار الفاخر من كل شيء . طفلة لينة ناعمة . ترتب من رب الشيء وربيه إذا نماه واعتنى به . السخام الشعر اللين . الخلال المدرى وهو المشط . كف الشعر جمعه وضمه . الاسفنط إسم من أسماء الخرفارسي معرب وقيل رومى معرب . ماء زلال بارد عذب .

(١٦ — ١٨) غرب الشيء حده، وغرب الاسنان حدها أو بياضها . السيال شجزله شوك . الحلم الاناة. عداني صرفني . ناقة عسير ترفع ذنبها في عدوها . أدماء خالصة البياض . حادرة العين صلبة العين . خنوف نشيطة تخنف برأسها وعنقها من النشاط . عيرانة تشبه العير وهو حمار الوحش. شملال سريعه .

(١٩ — ٢١) سراة كل شيء أعلاه وخياره . الهجان من الابل البيض الكرام . العض العلف . الحيال من حالت الناقة فهى حائل غير حامل . الحوار ولد الناقة . الخمال داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها . تعللتها أى استخرجت ماعندها من السير . النكظ الشدة والعجلة. الميط البعد . خبطال وارتفع . الآل السراب .

(٢٢ — ٢٥) ديمومة صحراء بعيدة الأطراف يدوم فيها السفر . تغولت المرأة تشبهت بالغول في تلونها، وكذلك الصحراء . الخمس ورود الماء بعد خمسة أيام . المغيرون الذين يغيرون راحلتهم بعد أن تتعبت . النطاف جمع نطفة وهى بقية الماء في أسفل الآنية . العزالى جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية أى القربة . مرحت نشطت . قنطرة الرومى يقصد برجا من بناء الروم، لأن العرب لابناء لها . الارقال ضرب من عدو الابل .

٢٦— تقطع الأرض الغليظة الملتهبة بخطى واسعة وقوائم طويلة سريعة الإيغال

٢٧— صلبة تعدو إذا مسها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوّال

٢٨— قد أهزله الصيف والطراد والإشفاق على أتان ناحلة ، كأنها قوس من شجر « الضال »

٢٩— قد ظهر حملها فى بطنها ، وشفها الحزن على صغير مفطوم آذاه الفِصَال

٣٠— ومنعه عنها هذا الحمار الغليظ الفظ ، يتمرغ فى الأرض ، فينسل شعره ، ويتساقط منه النُّسال

٣١— ترك الجحش وقد أهزله الجرى ملق فى الغبار ، وراح يدفع أتانه إلى مورد الماء الزلال

* * *

٣٢— ذلك الحمار الغليظ النشيط أشبه شيء بناقتى حين تجرى بجانب الجبل بعد الكلال والإعمال

* * *

٣٣— تشكو إلى وقد أعياها الإجهاد خُفُّها المشقق المقروح ، وقد كسى بالنعال

٣٤— وقد هزل جسمها الضخم ، فقلقت من فوقه السيور التى يُشَدُّ بها الرحال

٣٥— وظهرت آثارها فى عظام صدرها البارزة ، فكأنها نعش ضخم محمول فوق أرجلها الطوال

٣٦— لا تشتكى إلى ياصاحبتى من ألم السيور ولا من حفاً ولا من كلال

٣٧— لاتشتكى إلى وانتجعى « الأسود » أهل الندى وأهل الفعال

* * *

٣٨— فرع فى غصون المجد صلب ، غزير العطاء ، بيد أنه شديد النكال

— ١ —

٢٦— تَقْطَعُ الأَمْعَزَ المُكَوْكِبَ وَخْدًا ... بِنَوَاجٍ سَرِيعَةِ ٱلْإِيغَالِ
٢٧— عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ ... طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ
٢٨— لَاحَهُ الصَّيْفُ وَالصِّيَالُ وَإِشْفَا ... قٌ عَلَى صَعْدَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ
٢٩— مُلْمِعٍ لَاعَةِ الفُؤَادِ إِلَى جَحْ ... شٍ فَلَاهُ عَنْهَا فَبِئْسَ ٱلْفَالِي
٣٠— ذُو أَذَاةٍ عَلَى ٱلْخَلِيطِ خَبِيثُ الـ ... ـنَّفْسِ يَرْمِي مَرَاغَهُ بِالنُّسَالِ
٣١— غَادَرَ ٱلْجَحْشَ فِي الغُبَارِ وَعَدَّا ... هَا حَثِيثًا لِصُوَّةِ الأَدْحَالِ
٣٢— ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي عَنْ يَمِينِ الْ ... رَّعْنِ بَعْدَ ٱلْكَلَالِ وَٱلْإِعْمَالِ
٣٣— وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَقَدْ آ ... لَتْ طَلِيحًا تُحْذَى صُدُورَ النِّعَالِ
٣٤— نَقِبَ الخُفِّ لِلسُّرَى فَتَرَى الأَنْـ ... ـسَاعَ مِنْ حَلِّ سَاعَةٍ وَٱرْتِحَالِ
٣٥— أَثَّرَتْ فِي جَنَاجِنٍ كَإِرَانِ الْـ ... ـمَيْتِ عُولِينَ فَوْقَ عُوجٍ رِسَالِ
٣٦— لَا تَشَكَّى إِلَيَّ مِنْ أَلَمِ النِّسْـ ... ـعِ وَلَا مِنْ حَفًا وَلَا مِنْ كَلَالِ
٣٧— لَا تَشَكَّى إِلَيَّ وَٱنْتَجِعِي الأَسْـ ... ـوَدَ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الفَعَالِ
٣٨— فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـ ... ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ

(٢٦ — ٢٨) الامعز الغليظ من الارض . المكوكب المتوقد من الحر : جل واخد ووخاد واسع الخطو . نواج قوائم . الايغال من أوغل فى السير أى ذهب و بالغ وأبعد . عنتريس صلبة قوية . المصلصل حمار الوحش لكثرة نهيقه، من صلصل الشيء أى صوت . جوال من جال يجول أى طاف ولم يستقر . لاحه أضمره وغيره . الصيف لانه وقت الجفاف ويبس الكلأ . الصيال مصدر صاول يقصد مصاولة الفحول من حمر الوحش . الصعدة الأتان . الضال شجر تتخذ منه القسى

(٢٩ — ٣١) ملمع قد استبان حملها فى ضرعها فأشرق ضرعها باللبن . لاعة الفؤاد من لاع يلوع لوعة وهو أشد الحزن . الافتلاء الفطام المراغ والمراغة المكان الذى تتمرغ فيه الدابة وتتقلب على الارض . النسال ماسقط عنه من الشعر . عداها صرفها . حثيثاً سريعا . الصوة ما غلظ من الارض . الادحال جمع دحل وهى حفرة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل .

(٣٢ — ٣٤) رعن الجبل أنفه الشاخص منه . الكلال التعب . الاعمال من أعمل الناقة أى كلفها العمل والسير . آلت رجعت . طليحا معيية متعبة . النعل طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر أو الخف فيكون له كالنعل للقدم . نقب خف البعير رق وتثقب . النسع سير ينسج عريضاً وتشد به الرحال إلى بطن الناقة .

(٣٥ — ٣٨) الجناجن عظام الصدر جمع جنجن . الاران سرير الميت . عوج قوائم فيها عوج لان قوائم الناقة معوجة . الانتجاع فى الاصل طلب الكلأ، ويقصد به هنا التماس الخير والرزق . الندى الكرم . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . المحال العقوبة والمكر .

٣٩— يجمع بين الحزم والحذر ، عنده دواء الصرع للمتعجرف التياه ، حمال لمضلع الأثقال

٤٠— يصل الأرحام ، كما علم كل الناس ، ويفك الأسرى من الأغلال

٤١— نفسه العزيزة هينة عليه فى سبيل المجد وحسن الأحدوثة ، حين تلتقى الرماح فى القتال

٤٢— إذا سألته أعطاك ، حين يكون الاعتذار هو كل ما تناله من البخال

٤٣— وإذا استجرت به أجارك ، فما انقطع حبل وصلته منه بحبال

٤٤— أريحى ماض ، إذا طلع على القوم سكنوا قائمين ، كأنهم ينظرون به الهلال

٤٥— إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبال العُذّال

٤٦— يهب المَسَانّ من الإبل الضخام ، كأنها النخل ، تحنو على صغارها الأطفال

٤٧— والإماء تركض فى أكسية من الخز ، بين أصفر وأحمر ، وتجرر الأذيال

٤٨— والجياد كأنها قضب نبات « الشَّوْحط » الصلب المستقيم ، تعدو حاملة سلاح الأبطال

٤٩— وكئوس الخمر ، وآنية الفضة ، والجمال الكريمة التى تسكن فلا تُرْغِى ولا تَجْتَرّ إذا ركبها الرجال

* * *

٥٠— كم من قوم أصابتهم عقوبته فأشقاهم آخر الدهر ، وآخرين نالتهم نعمته فسقاهم بِسِجَالْ

٥١— ولقد أوقدت الحروب ، فما وُجِدت فيها غمراً إذ لقِحَتْ بعد طول حِيَالْ

٣٩— عِنْدَهُ الحَزْمُ والتُّقَى وَأَسَا الصَّرْ ... عِ وحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأَثْقَالِ
٤٠— وَصِلَاتُ الأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا ... سُ وفَكُّ الأَسْرَى مِنَ الأَغْلَالِ
٤١— وَهَوَانُ النَّفْسِ العَزِيزَةِ لِلذِّكْ ... رِ إِذَا مَا التَقَتْ صُدُورُ العَوَالِى
٤٢— وَعَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ إِذَا العِذْ ... رَةُ كَانَتْ عَطِيَّةَ البُخَّالِ
٤٣— وَوَفَاءٌ إِذَا أَجَرْتَ فَمَا غُرَّ ... تْ حِبَالٌ وَصَلْتَهَا بِحِبَالِ
٤٤— أَرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يَظَلُّ لَهُ القَوْ ... مُ رُكُودًا قِيَامُهُمْ لِلْهِلَالِ
٤٥— إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْ ... طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِى
٤٦— يَهَبُ الجِلَّةَ الجَرَاجِرَ كَالبُسْ ... تَانِ تَحْنُو لِدَرْدَقٍ أَطْفَالِ
٤٧— وَالبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الأَضْ ... رِيجِ وَالشَّرْعَبِيَّ ذَا الأَذْيَالِ
٤٨— وَجِيَادًا كَأَنَّهَا قُضُبُ الشَّوْ ... حَطِ تَعْدُو بِشِكَّةِ الأَبْطَالِ
٤٩— وَالمَكَاكِيكَ وَالصِّحَافَ مِنَ الفِضَّ ... ةِ وَالضَّامِزَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ
٥٠— رُبَّ حَيٍّ أَشْقَاهُمُ آخِرَ الدَّهْ ... رِ وَحَيٍّ سَقَاهُمُ بِسِجَالِ
٥١— وَلَقَدْ شُبَّتِ الحُرُوبُ فَمَا غُمْ ... رْتَ فِيهَا إِذْ قَلَّصَتْ عَنْ حِيَالِ

(٣٩ — ٤١) التق الحذر . أسا الجرح داواه . الصرع داء يبطل الحس ويمنع الحركة ، ويقصد به الشاعر التيه والكبر . رحم الرجل قرابته وأهله . العوالى الرماح .

(٤٢ — ٤٤) العذرة والمعذرة والعذرى بمعنى واحد . حبل غرر غير موثوق به . الأريحية الارتياح للندى وفعل الخير . صلت ماض، ومنه سيف صلت أى متجرد من غمده . ركوداً لا يتحركون .

(٤٥ — ٤٨) الغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى (إن عذابها كان غراما) أى هلاكا ولزاما لهم . الجلة الكبار المسان من الابل . الجراجر الضخام . البستان النخل . الدردق الصغار ولا واحد لها . البغايا الجوارى والاماء . الاضريج الحرير الاصفر . الشرعبي الحرير الاحمر . ذا الأذيال أى الطويل الذى تجره وراءها حين تمشى .

(٤٨ — ٥١) الشوحط شجر تتخذ منه القسى . الشكة السلاح . المكوك مكيال يساوى ثلاث كيلجات ، والكيلجة قريب من رطلين ، وهو إناء يشرب به الفرس . ضمز البعير أمسك على جرته ، ويقصد أن هذه الابل لا ترغو ولا تجتر إذا ركبت لانها مؤدبة . السجال جمع سجل بفتح السين وسكون الجيم وهو الدلو . ماغمرت أى لم تلف غمرا ، والغمر بضم الغين الغر الذى لم يجرب الامور . قلصت أى شمرت . عن حيال ، يشبه الحرب بالناقة التى حملت بعد أن كانت حائلا لاتحمل ، فهو أشدها .

٥٢— وأحْذَيْتَ الجناة الآثمين نعالا بمثل ما جنت أيديهم فذاقو النكال

٥٣— فلِمَنْ عصاك الخسار والخذلان ، ولمن أطاعك العز والمـال

٥٤— أنت خير من ألف ألف من القوم إذا اشتد الفزع وامتقعت وجوه الرجال

٥٥— وقد اجتمع لك من عدة القتال وأدواته ما تأبى معه النزول على حكم محتكم من الجهال

٥٦— جندك العريق من السادات أصحاب القباب ، يعمهم منك النوال

٥٧— لايميلون على سرج الجياد ، ولا يجبنون فى الهَيْجَاء ، ولا يعتريهم الفزع فى النضال

٥٨— عليهم دروع من نسج داوود تُحمل أكداساً فوق الجمال

٥٩— قد دهنت بالزيت ، وذُرَّ فوقها البعر ، حتى لا يصيبها الصدأ من الندى والطَّلَالْ

٦٠— لاينال أذاها الصديق ، وإنما يذوق وبالها العدو يوم النزال

٦١— تخذها لنوائب الدهر وغِيَرِ الزمان رجلٌ غير دَعِيّ ولا زُمَّال

٦٢— له كل عام غزوة يقود إليها خيلا موصولة بخيل ، تتدفق فى الصباح على حومة القتال

* * *

٦٣— حمل « الرباب » على الطاعة ، حين كرهوا الطاعة ، بغزوة وصيال

٦٤— وسقاهم كأس الموت مسفوحا ، حين نفدت الآجال

٥٢— هَؤُلَى ثُمَّ هَؤُلَى كلاً آعـ   طَيْتَ نِعَالًا مَحْذُوَّةً بِمِثَالِ
٥٣— فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو   لاً وَكَعْبُ الَّذِى يُطِيعُكَ عَالِى
٥٤— أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ القَوْ   مِ إِذَا مَا كَبَتْ وُجُوهُ الرِّجَالِ
٥٥— وَلِمِثْلِ الَّذِى جَمَعْتَ مِنَ العُدَّ   ةِ تَأْبَى حُكُومَةَ المُقْتَالِ
٥٦— جُنْدُكَ التَّالِدُ العَتِيقُ مِنَ الـ   سَّادَاتِ أَهْلِ القِبَابِ والآكَالِ
٥٧— غَيْرُ مِيلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِى الهَيْـ   جَى وَلَا عُزَّلٍ وَلَا أَكْفَالِ
٥٨— وَدُرُوعٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ فِى الحَرْ   بِ وَسُوقٌ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الجِمَالِ
٥٩— مُلْبَسَاتٌ مِثْلَ الرَّمَادِ مِنَ الكُـ   رَّةِ مِنْ خَشْيَةِ النَّدَى وَالطِّلَالِ
٦٠— لَمْ يُيَسَّرْنَ لِلصَّدِيقِ وَلَكِنْ   لِقِتَالِ العَدُوِّ يَوْمَ القِتَالِ
٦١— لِامْرِئٍ يَجْعَلُ الأَدَاةَ لِرَيْبِ الـ   دَّهْرِ لَا مُسْنَدٍ وَلَا زُمَّالِ
٦٢— كُلَّ عَامٍ يَقُودُ خَيْلاً إِلَى خَيْـ   لٍ دِفَاقًا غَدَاةَ غِبٍّ الصِّقَالِ
٦٣— هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الـ   دِّينَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ
٦٤— ثُمَّ أَسْقَاهُمْ عَلَى نَفَدِ العَيْـ   شِ فَأَرْوَى ذَنُوبَ رِفْدٍ مُحَالِ

(٥٢ — ٥٤) أعطيت نعالا ، يشير بذلك إلى إيقاع الممدوح بنى محارب حين أحمى لهم الأحجار وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم والشاعر يقول على سبيل التهكم إنه ألبسهم نعالا . محذوة بمثال من حذا النعل حذواً أى قطعها وقدرها على مثال (أو ما نسميه قالب) يقصد أن العقاب كان على قدر جرمهم . كبا الوجه تغير لونه من الفزع .

(٥٥ — ٦٧) المقتال المحتكم لأنه يقتال ما يشاء وهو على وزن مفتعل من القول . التالد القديم . العتيق الكريم من كل شىء . القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الآكال قطائع كانت الملوك تقطعها للأشراف . الميل جمع أميل . وهو الذى يميل على السرج من الجبن . عواوير جمع عوار وهو الجبان الضعيف . الأعزل الذى لا سلاح معه . الأكفال جمع كفل بكسر الكاف وهو من لا يثبت فى الحرب .

(٥٨ — ٦٠) وسوق جمع وسق بفتح الواو وسكون السين وهو الحمل . الكرة البعر يفتت ثم يذر على الدروع بعد أن تدهن بالزيت حتى لا تصدأ . الطلال جمع طل وهو المطر الضعيف .

(٦١ — ٦٤) المسند الدعى وهو الذى يدعى لغير أبيه أو المتهم فى نسبه . الزمال الضعيف . الغداة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . غب الشىء عاقبته أو ما بعده . صقله بالعصا ضربه بها وأدبه ، وصقل الناقة أضمرها . دان الرباب ملكها . الدين المجازاة ، ومنه قوله تعالى (مالك يوم الدين) ، والدين كذلك الطاعة . الدراك المتلاحق المتتابع . الذنوب الدلو المملوءماء . محال مصبوب ، ضربه مثلا للموت .

٦٥ــ كتيبةٌ ضخمة ، تحمى اللاجىء المستجير ، تمدها قطع الخيل رِعَالاً من ورائها رِعَال

٦٦ــ تذهل الشيخ عن بنيه ، وتشرد الإبل ، قد اعتزل بها راعيها وأوغل فى أطراف الرمال

٦٧ــ ثم لم تجد « الرباب » بدّاً من الطاعة ، بعد ما أصابهم من عذاب الملوك والنكال

٦٨ــ ولقد كانوا طالما تمنوا لقاءك ، وجمعوا العدد والرجال ، بين حل وترحال

* * *

٦٩ــ وملكت نواصى « دُودان » و « ذُبيان » حين كرهوا البأس ولم يصبروا للقتال

٧٠ــ واتصل فى حربهم الشتاء بالربيع ، حتى بدلتهم حالا من بعد حال

٧١ــ كم كأس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أَقْتَال

٧٢ــ ونساء كأنهن الغيلان من أثر الذلة فى « شطى أَرِيك » ، وشيوخ أُخْرِجُوا عما يملكون من مال

٧٣ــ ورجلين من جندك كانا معدمين حليفى فقر وإقلال

٧٤ــ قسما ما اجتمع لهما من الغنائم بين طارف وتليد ، فآبا كلاهما ذومال

* * *

٧٥ــ لن تزالوا كذلكم مظفرين ، وأبقاك الله لقومك خالداً خلود الجبال

٦٥— فَخْمَةٌ يَلْجَأُ الْمُضَافُ إِلَيْهَا وَرِعَالاً مَوْصُولَةً بِرِعَالِ
٦٦— تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُلْوِي بِلَبُونِ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ
٦٧— ثُمَّ دَانَتْ بَعْدُ الرِّبَابُ وَكَانَتْ كَعَذَابٍ عُقُوبَةُ الأَقْوَالِ
٦٨— عَنْ تَمَنٍّ وَطُولِ حَبْسٍ وَتَجْمِيعِ شَتَاتٍ وَرِحْلَةٍ وَاحْتِمَالِ
٦٩— مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ كَرِهُوا الْبَأْسَ وَذُبْيَانَ وَالْهِجَانِ الْغَوَالِي
٧٠— ثُمَّ وَصَّلْتَ صِرَّةً بِرَبِيعٍ حِينَ صَرَّفْتَ حَالَةً عَنْ حَالِ
٧١— رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ
٧٢— وَشُيُوخٍ حَرْبَى بِشَطَّيْ أَرِيكٍ وَنِسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي
٧٣— وَشَرِيكَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَالِ وَكَانَا مُحَالِفَيْ إِقْلَالِ
٧٤— قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْغُنْمِ فَآبَا كِلَاهُمَا ذُو مَالِ
٧٥— لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ لَازِلْتَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

(٦٥ — ٦٧) فخمة أى كتيبة فخمة كبيرة ضخمة . المضاف فى الحرب هو الذى أحيط به . الرعال جمع رعلة وهى القطعة من الخيل . تلوى تذهب . ناقة لبون ذات لبن . المعزابة الذى يعزب بإبله ويبعد بها فى المرعى . المعزال الذى لا يخالط الناس لأن الرعاة قلما يخالطون الناس . الأقوال الملوك . وكذلك الأقيال (جمع قيل)

(٦٨ — ٧٠) الاحتمال الارتحال . دودان قبيلة من بنى أسد بن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج النبى والكميت بن زيد الشاعر . النواصى جمع ناصية وهى الرأس . البأس القتال . الهجان الخيار من كل شىء ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . الصرة شدة البرد فى الشتاء . حالة عن حال ، عن هنا بمعنى بعد .

(٧١ — ٧٣) الرفد القدح الضخم ، يكنى بإراقة الرفد عن الموت . أقتال أصحاب ترات ، جمع قتل بكسر وسكون وهو العدو . حربى جمع حريب وهو من حرب ماله أى سلبه . السعالى الغيلان .

(٧٤ — ٧٥) الطارف التليد . يعنى رجلين من جنده غنما هذا المال وكان تليدا أى قديما موروثا عند أصحابه فأصبح طارفا أى جديدا مستحدثا عندهما .

— ٢ —

لم يحفظ لنا التاريخ إلا نتفاً مفرقة عن قيس بن معديكرب ممدوح الأعشى ، يتعب الباحث في جمعها وتلفيقها . هو كندي من بني الحارث ابن معاوية(١) وأبوه غير معديكرب غلفاء بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار . فابن الأنباري ، في شرح المفضليات ، يقص تاريخ الحارث ابن عمرو بن حجر وتاريخ أبنائه حجر وشرحبيل ومعديكرب وسلمة ، ويختم ذلك بقوله : فأصاب معديكرب الوسواس ، وضرب سلمة الفالج ، فانخرق ملكهم حين أصابهم هذا وتفرق ، ودخلوا حضرموت . فخرج الملك من بني آكل المرار ، وساد بنو الحارث بن معاوية . فأول من ساد منهم قيس بن معديكرب أبو الأشعث ، ثم الأشعث بن قيس . فأسلم الأشعث وهو متوج(٢) . ولهم قصة طريفة في سيادة قيس . قالوا إن قبيصة ابن كانوم السكوني(٣) — وكان ملكا — خرج يريد الحج على عادة العرب في جاهليتها ، فمر ببني عامر بن عقيل ، فنهبوا ماله وأسروه . فلم يزل عندهم أسيراً حتى علم أخوه الجون بن كانوم فأتى قيس بن معديكرب ، فسأله العون في استنقاذ أخيه ، فقبل على شرط أن يسير تحت لوائه . فانصرف الجون مستكبراً — وكان من ملوك كندة — ثم راجعه قومه في ذلك وقالوا له : وما عليك من هذا ، هو ابن عمك ويطلب بثأرك ، فانعم له بذلك . فسار قيس والجون تحت لوائه حتى أوقع ببني عقيل واستنقذ قبيصة . فهو أول يوم اجتمعت فيه كندة والسكون لقيس ، وبه أدرك الشرف (٤) ومات قيس مقتولا ، قتلته (مراد) . ثم جاء ابنه الأشعث مطالبا بثأره ، فأسرته بنو الحرث بن كعب ، فلم يزل عندهم حتى افتدى بألف قلوص وبألف من طرائف اليمن(٥) . وقد اختلف المؤرخون في وفاة قيس ، فقال بعضهم إنه أدرك مبعث النبي ، وزعم بعضهم أنه مات في الجاهلية(٦) . والقول الأول عندي أرجح ، لأن ابنه الأشعث توفي سنة ٤٢ هـ وعمره ثلاث وستون سنة (٧) ، وهذا يعني أن الأشعث ولد قبل مبعث النبي بتسع سنوات فقط . وقد عاش قيس حتى كبر ابنه وبلغ مبلغ الرجال ، فقد قدم ثائراً له بعد مقتله — كما يقول القالي وابن قتيبة — وكان الأعشى يكنيه به في مدائحه فيسميه أبا الأشعث(٨) .

ووفد الأشعث على النبي في سبعين راكباً من كندة فأسلموا سنة ١٠ هـ(٩) ، ثم امتنع عن بيعة أبي بكر وحاربه . وتألفه أبو بكر بأن زوجه أخته أم فروة(١٠) .

ولقيس بن معديكرب بنت اسمها (قتيلة) تزوجها النبي ، فتوفي قبل أن تصل إليه(١١) . وقد مات الأشعث سنة ٤٢ هـ وله من العمر ثلاثة وستون عاما . فمولده على هذا الحساب سنة ٦٠١ م ويقول الرواة إن هذه القصيدة هي أول مامدح به الأعشى قيساً .

يقول الأعشى :

١ — لعمرك ما يطول عمر الإنسان في هذا الزمن إلا للعناء والشقاء .

٢ — يظل مستهدفاً للموت وللأمراض والأحزان وألوان البلاء .

٣ — وهالك ووري التراب كآخر يعيش في فقرة بين الأحياء .

٤ — ما تغادر أحداث الدهر ونوائبه من صغير أو كبير .

٥ — ولا تدفع عني رحلاتي وتنقلي في البلاد القضاء المرير .

٦ — فالموت مستوثق مني وإن أجلني إلى حين .

٧ — لا تغيب عني عينه ، فأنا بين يديه رهين .

٨ — أزال (أذينة) عن ملكه ، وأخرج (ذايزن) وقد حوته الحصون .

٩ — وخان النعيم (أبا مالك) وقد ظنه يدوم ، وكذلك دأب الزمن الخئون

١٠ — يهلك الملوك ويفنيهم ، ويخرج الناس عن مُسْتقرِّهم في دار الشُّجون

١١ — أين مني عهد الشباب ولذاته ، إذ أنا ناعم في المترفين

١٢ — طاوعت الناصح فأسلمت له القياد ، وقد كنت وعرا لا ألين

---

(١) شرح المفضليات ص ٤٤١ ط . أوروبا . (٢) شرح المفضليات ٤٢٧ — ٤٤١ (٣) السكون فرع من كندة . (٤) الأغاني ٩ : ١٧٣ ، ١١ : ١٢٥ ط . بولاق . (٥) الأمالي ٣ : ١٤٦ ط ، دار الكتب ، المعارف ١٤٥ (٦) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ص ٩٣ ط . برلين ، خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣ (٧) الاصابة ١ : ٥٠ (٨) القصائد ٦٨ ، ٧٨ بالديوان (٩) الاصابة ١ : ٥٠ (١٠) المعارف ١٤٥ (١١) خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣

وقال يمدح قيس بن مَعْدِيكَرِب الكندى :

(متقارب)

١ — لَعَمرُكَ مَا طُولَ هذَا الزَّمَنْ ‏ ‏ عَلَى المَرْءِ إلاَّ عَنَاءٌ مُعَنّ

٢ — يَظَلُّ رَجِيماً لِرَيْبِ المَنُون ‏ ‏ وَللسُّقْمِ فِى أهْلِهِ وَالحَزَنْ

٣ — وَهَالِكِ أهْلٍ يُجِنُّونَهُ ‏ ‏ كَآخَرَ فِى قَفْرَةٍ لَمْ يُجَنّ

٤ — وَمَا إنْ أرَى الدَّهْرَ فى صَرْفِهِ ‏ ‏ يُغَادِرُ مِنْ شَارِخٍ أوْ يَفَنْ

٥ — فَهَلْ يَمْنَعَنِّى ٱرْتِيَادِى البِلاَ ‏ ‏ دَ مِنْ حَذَرِ المَوْتِ أنْ يَأْتِيَنْ

٦ — ألَيْسَ أخُو المَوْتِ مُسْتَوْثِقاً ‏ ‏ عَلَىَّ وَإنْ قُلْتُ قَدْ أنْسَأَنْ

٧ — عَلَىَّ رَقِيبٌ لَهُ حَافِظٌ ‏ ‏ فَقُلْ فِى ٱمْرِئٍ غَلِقٍ مُرْتَهَنْ

٨ — أزَالَ أُذَيْنَةَ عَنْ مُلْكِهِ ‏ ‏ وَأخْرَجَ مِنْ حِصْنِهِ ذَا يَزَنْ

٩ — وَخَانَ النَّعِيمُ أبَا مَالِكٍ ‏ ‏ وَأىُّ ٱمْرِئٍ لَمْ يَخُنْهُ الزَّمَنْ

١٠ — أفَادَ المُلُوكَ فَأَفْنَاهُمُ ‏ ‏ وَأخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ذَا حَزَنْ

١١ — وَعَهْدُ الشَّبَابِ وَلَذَّاتُهُ ‏ ‏ فَإنْ يَكُ ذٰلِكَ قَدْ نُتْدَنْ

١٢ — وَطَاوَعْتُ ذَا الحِلْمِ فَٱقْتَادَنِى ‏ ‏ وَقَدْ كُنْتُ أمْنَعُ مِنْهُ الرَّسَنْ

(١ — ٣) معن إسم فاعل من عنى بتشديد النون أى أتعب وأشقى . الرجيم الملعون ، رجمه رماه بالحجارة وقتله أوقذفه ولعنه وطرده. ريب المنون صرف الدهر وتقلبه ومصائبه . يجنونه يسترونه فى الارض ويدفنونه .

(٤ — ٦) صرف الدهر نوائبه ، الشارخ الشاب . اليفن الشيخ الكبير . أنسأه أخره وأجله .

(٧ — ٩) غلق الرهن (من باب طرب) استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك فى الوقت المشروط .

(١٠ — ١٢) أفاد أهلك . فاد الرجل يفود هلك . ودنه ودنه (بتخفيف الدال وتشديدها) بله ونقعه . وودن العروس أحسن القيام عليها، و الاودن الناعم، وتودن الجلد لان . الصبا بكسر الصاد الشوق . الشجن الحزن والهم .

١٣ـــ وعاصيت قلبي بعد الصبى ، فأمسى فارغا لا تحركه الأشجان

١٤ـــ ويا ربما شربت الراح ياحبيبتى مسافراً وفى الأوطان

١٥ـــ ويا ربما خرجت للريف مقيما على شربها حتى يقول الناس طالت إقامة النشوان

١٦ـــ وأمتعت نفسى من الغانيات بين زوج وخليل

١٧ـــ من كل بيضاء مفتولة القوام ، جلدها ناصع كاللبن صقيل

١٨ـــ إذا أقبلت فالخصر دقيق جميل ، وإن أدبرت فالردف فخم ثقيل

١٩ـــ وإن نازلت قريناً ، وكان القتال بما حوت الأسفاط من عطر وطيب

٢٠ـــ أقبلت على الضجيع وقد رقد ، وأوشك النوم أن يثقل جفون الحبيب

٢١ـــ تعاطيه خمرا طيبة الطعم ، تفور وتزبد بين الدَّنِّ والكوب

٢٢ـــ يناولها الساقيان الكأس ممزوجا بماء بارد من قِرْبَةٍ خَلَقٍ رطيب

* * *

٢٣ـــ وبيداء قفر جرداء ، كأنها ثوب يمنى مخطط ، راكدة المياه مطموسة الآبار

٢٤ـــ قطعتها حين توسطت الشمس السماء ، وخفق السراب ، بناقة ضخمة كأنها قَصرٌ جَبَّار

١٣— وَعَاصَيْتُ قَلْبِيَ بَعْدَ الصِّبَى ... وَأَمْسَى وَمَا إِنْ لَهُ مِنْ شَجَنْ
١٤— فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِيـ ... نَ يَوْمَ الْمُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ
١٥— وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا ... لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَاقَدْ دَجَنْ
١٦— وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِيَا ... تِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أُزَنْ
١٧— مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَكْورَةٍ ... لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ
١٨— عَرِيضَةُ بُوصٍ إِذَا أَدْبَرَتْ ... هَضِيمُ الْحَشَا شَخْتَةُ الْمُحْتَضَنْ
١٩— إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنَّ ... وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُؤَنْ
٢٠— تُعَاطِي الضَّجِيعَ إِذَا أَقْبَلَتْ ... بُعَيْدَ الرُّقَادِ وَعِنْدَ الْوَسَنْ
٢١— صَلِيفِيَّةً طَيِّباً طَعْمُهَا ... لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنْ
٢٢— يَصُبُّ لَهَا السَّاقِيَانِ الْمِزَا ... جَ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ مِنْ مَاءِ شَنْ
٢٣— وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرْ ... مَشَارِبُهَا دَاثِرَاتٌ أُجُنْ
٢٤— قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا ... بِدَوْسَرَةٍ جَسْرَةٍ كَالْفَدَنْ

(١٤ — ١٦) الراح الخمر . الظعن الرحيل والسفر . الريف أرض فيها زرع وخصب . دجن ثبت وأقام . النكاح الزواج . أزن من الزنى

(١٧ — ١٩) المكورة الممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . البشر الجلد . البوص العجز . الحشا مالى البطن من الأمعاء . هضيم الحشا أى ضامرة البطن . شختة لطيفة دقيقة. المحتضن الخصر وهو موضع الاحتضان . المصاع مصدر ماصع أى قاتل . الجؤن جمع جؤنة وهو السفط فيه طيب . يريد أنهن يتطيبن ، فجعل ذلك سلاحهن .

(٢٠ — ٢٢) الوسن النوم . صليفية معتقة . الدن إناء فخارى ضخم تحفظ فيه الخمر . الشن القربة الخلق التى نعم جلدها من كثرة الاستعمال ، فذلك أطيب لمائها ، لأن رائحة الجلد قد ذهبت ولأنه أبرد للماء .

(٢٣ — ٢٤) السدير أرض باليمن . والبرد ثوب مخطط . المشارب المياه والآبار التى يشرب منها المسافر . داثرات مطموسة بالرمال . أجن جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم لركوده . خب النبات طال ، وخب السراب اضطرب . الريع والريعان بسكون الياء اضطراب السراب . الدوسرة الناقة الضخمة . جسرة ضخمة . الفدن القصر .

٢٥ـــ حبست حولا كاملا تعلف (اللجين) ، حتى اشتد صغيرُها وأسنّ

٢٦ـــ وتراكم الشحم فى سنامها فامتلأ وطال فوق هيكلها الضخم ، كأنها صخرة ملساء فى هضبة غزيرة الأمطار

٢٧ـــ أفنيتها واستنفذت عزمها ونشاطها فوق صحراء جرداء كالرّداء

٢٨ـــ تراقب عن يمينها سوطاً بكفى شديد الفتل ، قد ألانه الضرب

٢٩ـــ قاصدة (قيساً) ، وكم دونه من فياف ، ومن وُعور خُشُن

٣٠ـــ ومن عدو كالح الوجه ، إذا تقربت إليه بنسبى تجاهل واضطغن

٣١ـــ ومن بئر راكد ، لم تزل تسفى عليه الرياح البعر والتراب حتى اندفن

٣٢ـــ وذئب أجاوره فى برد الشتاء غير أمين ولا مؤتمن

* * *

٣٣ـــ ولكن ربى عوضنى عما لقيت من تعب وعناء

٣٤ـــ حين بلغت سيدا ماجدا وثيقاً جزيل العطاء

٣٥ـــ كريم الشمائل من (بنى معاوية) ذوى الطبائع الكريمة السمحاء

٣٦ـــ إن تبعته بلغت الرشاد ، وإن سألته أجاب النداء

٣٧ـــ وإن لجأت إلى حكمه فقد لجأت إلى جبل ثابت البناء

٣٨ـــ صلب لا يرزح تحت الشدائد ولا تثقل عليه ، ماضى العزيمة ليس بعظمه وهن

٣٩ـــ مأمون الغدر ، لا يسقط على جاره التلف ، كما تسقط العصا تُدَقُّ بها أوراق (اللجن)

٢٥— بِحِقَّتِهَا حُبِسَتْ فِى اللَّجِيـ ن حَتَّى السَّدِيسُ لَهَا قَدْ أَسَنْ
٢٦— وَطَالَ السَّنَامُ عَلَى جَبْلَةٍ كَخَلْقَاءِ مِنْ هَضَبَاتِ الدَّجَنْ
٢٧— فَأَفْنَيْتُهَا وَتَعَالَلْتُهَـــا عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ
٢٨— تُرَاقِبُ مِنْ أَيْمَنِ الجَانِبَيْـ ن بِالكَفِّ مِنْ مُحْصَدٍ قَدْمَرَنْ
٢٩— تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَه مِنَ الأَرضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِى شَزَن
٣٠— وَمِنْ شَانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ
٣١— وَمِنْ آجِنٍ أَوْلَجَتْهُ الجَنُو بُ دِمْنَةَ أَعْطَانِهِ فَانْدَفَنْ
٣٢— وَجَارٍ أُجَاوِرُهُ إِذْ شَتَوْ تُ غَيْرِ أَمِينٍ وَلَا مُؤْتَمَنْ
٣٣— وَلَكِنَّ رَبِّى كَفَى غُرْبَتِي بِحَمْدِ الإِلَهِ فَقَدْ بَلَغَنْ
٣٤— أَخَا ثِقَةٍ عَالِيًا كَعْبُهُ جَزِيلَ العَطَاءِ كَرِيمَ المِنَنْ
٣٥— كَرِيمًا شَمَائِلُهُ مِنْ بَنِى مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ
٣٦— فَإِنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنّ
٣٧— وإِنْ يُسْتَضَافُوا إِلَى حُكْمِهِ يُضَافُوا إِلَى هَادِنٍ قَدْ رَزَنْ
٣٨— وَمَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ وَمَا إِنْ بِعَظْمٍ لَهُ مِنْ وَهَنْ
٣٩— وَمَا إِنْ عَلَى جَارِهِ تَلْفَةٌ يُسَاقِطُهَا كَسِقَاطِ اللَّجَنْ

(٢٥ — ٢٦) بحقتها أى سنة كاملة : والحقة الحق الواجب ، وأتت الناقة على حقها أى على وقت ضرابها . اللجين نوع من علف الابل يدق فيه الخبط حتى يتلزج ثم يخلط بالدقيق أو الشعير . السديس البعير فى السنة الثامنة حين تسقط أسنانه السابقة (السدس) ويخرج نابه . الجبلة الضخمة العظيمة الخلق . خلقاء ملساء أى صخرة ملساء . الدجن المطر . يقول إن توالى الأمطار صقل الصخرة .

(٢٧ — ٢٩) تعاللتها أخذت علالتها ، والعلالة البقية من كل شىء . الصحصح المستوى من الارض . الردن الخز . محصد مفتول يعنى السوط . المارن اللين الذى قد ألانه الضرب . ذى شزن غليظ ، والشزن الغلظ .

(٣٠ — ٣٢) الشنآن البغض ، والشانئ المبغض . الكاسف الوجه العابس المتغير . آجن بئر أو ماء راكد . الجنوب ريح . الدمنة البعر وآثار الدار . الأعطان منازل الابل . وجار أراد الذئب فهو جاره فى الشتاء فى هذه الرحلة الطويلة .

(٣٣ — ٣٥) المنن جمع منة وهى النعمة والعطاء . بنو معاوية رهط قيس بن معديكرب . السنن الوجوه والطبائع .

(٣٦ — ٣٩) استضاف به استغاث . هادن ثابت . رزن الرجل رزانة وقر فهو رزين . غمرة الشىء شدته ومزدحمه ، وغمرات الموت شدائده ومكارهه . التلفة الهلاك . اللجن ورق من أوراق الشجر يدق ، يخلط بدقيق أو شعير ثم يتخذ علفا للماشية .

٤٠ــ يهب المائة من الإبل الضخام كأنها النخل ، قد حبست فى العلف فزانها السِّمن

٤١ــ والفرس الأسود كأنه الجذع ، يقف على أرجله الثلاث ، معلقاً عينيه برمح فارسه المسنون

٤٢ــ تعدو الأفراس إلى جانبه ، فيبدو من بينها كأنه ثور وحش حَرون

٤٣ــ يميلون إليه فيذهب بهم نافرا ، حتى يظن الناس به الجنون

٤٤ــ وينتهى إلى نهاية الشوط لا يتعلقون به ، ثم يراجع نفسه فيطمئن ويلين

٤٥ــ يسمو بعنق كجذع النخيل ، ويدل رأسه وشعر ناصيته على الكرم المُبين

٤٦ــ لا يُحمل عليه الغلام إلا بعد جهد ، فاذا أرسله أسلس القياد وسكن

٤٧ــ ويصرفه إلى قطيع البقر ، فينقض كأنه باز أزرق المخلب قد عُوِّد الصيد فرن

٤٨ــ يطارد حمامة ورقاء بين أسراب من حمام ثُكَنْ

٤٩ــ ولا يزال الغلام يعدو برمحه ، حتى يصيب البقر فى عجز ضخم كأنه ظهر المِجَنّ

☆ ☆ ☆

٥٠ــ ترى آثار النعمة فى بيت (قيس) ، بين لحم مقدد ، وآخر رطب معلق فوق الحظائر والعُنَنْ

٥١ــ يقصده السائلون ، فيطوفون بأبوابه كما يطوف النصارى ببيت الوثن

٥٢ــ يهب الجوارى من المغنيات ، يطربن الندامى فى ثيابهن المفهفة من حرير وكَتَنْ

٥٣ــ ويقبل عليك المحزون واللاجىء فى ليلة هى إحدى المحن

٥٤ــ فيجد فى بيتك الملجأ ، حين لا يكون فى بيت بعض الناس من الشر مُسْتَكَنّ

٤٠— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا   ةَ كَالنَّخْلِ زَيَّنَهَا بِالرَّجَنْ
٤١— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا   بِ يَرْنُو القِنَاءَ إِذَا مَا صَفَنْ
٤٢— تَرَاهُ إِذَا مَا عَدَا صَحْبُهُ   بِجَانِبِهِ مِثْلَ شَاةِ الأَرَنْ
٤٣— أَضَافُوا إِلَيْهِ فَأَلْوَى بِهِمْ   تَقُولُ جُنُونًا وَلَمَّا يُجَنْ
٤٤— وَلَمْ يَلْحَقُوهُ عَلَى شَوْطِهِ   وَرَاجَعَ مِنْ ذِلَّةٍ فَاطْمَأَنْ
٤٥— سَمَا بِتَلِيلٍ كَجِذْعِ الخِصَا   بِ حُرِّ القَذَالِ طَوِيلِ الغُسَنْ
٤٦— فَلَأْيًا بِلَأْيٍ حَمَلْنَا الغُلَا   مَ كَرْهًا فَأَرْسَلَهُ فَامْتَهَنْ
٤٧— كَأَنَّ الغُلَامَ نَحَا لِلصُّوَا   رِ أَزْرَقَ ذَا مِخْلَبٍ قَدْ دَجَنْ
٤٨— يُسَافِعُ وَرْقَاءَ غُورِيَّةً   لِيُدْرِكَهَا فِي حَمَامٍ ثُكَنْ
٤٩— فَثَابَرَ بِالرُّمْحِ حَتَّى نَحَا   هُ فِي كَفَلٍ كَسَرَاةِ المِجَنْ
٥٠— تَرَى اللَّحْمَ مِنْ ذَابِلٍ قَدْ ذَوَى   وَرَطْبٍ يُرَفَّعُ فَوْقَ العُنَنْ
٥١— يَطُوفُ العُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ   كَطَوْفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الوَثَنْ
٥٢— هُوَ الوَاهِبُ المُسْمِعَاتِ الشُّرُو   بَ بَيْنَ الحَرِيرِ وَبَيْنَ الكَتَنْ
٥٣— وَيُقْبِلُ ذُو البَثِّ وَالرَّاغِبُو   نَ فِي لَيْلَةٍ هِيَ إِحْدَى اللَّزَنْ
٥٤— لِبَيْتِكَ إِذْ بَعْضُهُمْ بَيْتُهُ   مِنَ الشَّرِّ مَا فِيهِ مِنْ مُسْتَكَنْ

(٤٠ — ٤٢) الرجن الاقامة، رجن بالمكان أقام ، ورجنت الدابة فى العلف ترجينا حبستها فيه . الكميت الفرس الأحمر الذى يضرب للسواد. الخصبة النخلة الكثيرة الحمل . القناء جمع قناة وهى الرمح . الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . الشاة الثور الوحشى . الأرن المرح والنشاط .

(٤٣ — ٤٥) ضاف إليه مال إليه . وضاف الرجل عدا وأسرع . ألوى به ذهب . الشوط الغاية ونهاية السباق . التليل العنق . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة . القذال مؤخر الرأس . الغسن شعر العرف والناصية .

(٤٦ — ٤٨) لأى الرجل أبطأ واحتبس . واللأى البطء والشدة . امتهن الشىء ابتذله واستعمله للمهنة . نحا صرف . الصوار القطيع من بقر الوحش . أزرق باز . دجن بالصيد اعتاده فهو خبير به . سفع الطائر الجارح ضريبته لطمها . ورقاء حمامة فى لونها كدرة كالرماد . ثكن قطع .

(٤٩ — ٥٢) الكفل العجز . السراة الظهر . المجن الترس . ذوى جف وضمر . العنن جمع عنة وهى الحظيرة . العفاة السائلون . الوثن الصنم ، وما له جثة من خشب أو حجر أو فضة .

(٥٣ — ٥٤) البث الحزن . لزن القوم على البئر تزاحموا للاستقاء ، واللزن الشدة والضيق والازدحام . استكن استتر .

٥٥ــ دأبك الحرب والقتال ، ما أنت كالذى يحارب ليشبع بطنه من جوع ، فاذا أُتْخِم تراجع وسكن

٥٦ــ إذا فاتته أكلة تداركها بأخرى ، فهو بطين كثير طيات العُكَنْ

٥٧ــ كل همه أن يراقب خصره ، وينظر فى عِطْفَيْه ، فانما همك فى الغزو لافى السمن

٥٨ــ لك فى كل عام غزوة تفنى دوابر الخيل ، وتحت حوافرها حَتَّ المبرد الخشن

٥٩ــ ترى الفتى وقد حمى وطيسها جاثياً فوق الرحل من خشية السقوط ، وقد أكب عليه للوجه والذقن

٦٠ــ أما الشيخ الكبير ، فهو يرجف كما يرجف الجمل المسن ، حين يذكر الأهل فيشتاق للوطن

٦١ــ ولما رأى العدو من ساعتهم ماراأوا من منظر الجيوش وما فيها من شرٍّ قد كمن

٦٢ــ أخذتهم الحيرة واعتراهم الذهول ، فهم بين يأس ويَقَنْ

٦٣ــ ....

٦٤ــ واندفع الفرسان المغاوير ، تتقدمهم رماحهم ، وكأنهم يريدون أن يسبقوها ، وقد سطع الغبار وارتفع الدَّخَنْ

٦٥ــ يغمز الفرسان الأفراس بأرجلهم فى شدة القيظ ، فتدر على أسؤقهم ركضاً إذا مال السراب وارْجَحَنّ

* * *

٦٦ــ ويتحدث النسوة عنك قائلات : أى شىء قد ادخر من هذه الغارات وماذا اختزن ؟

٦٧ــ وما أكثر ما أخذت خيله من نعم ، وما أكثر ما خلفت من عدوات وإحَنْ

٦٨ــ وما أكثر ماعادت إليه محملة بالأسلاب ، توضع بين يدى رجل إذا كسب المال لم يختزن

٦٩ــ وإنما إنفاقه على حسن الأحدوثة وطيب الذكر ، يشتريه بأغلى الثمن

٥٥— وَلَمْ تَسْعَ لِلْحَرْبِ سَعْىَ آمْرِئٍ　　إِذَا بِطْنَةٌ رَاجَعَتْهُ سَكَنْ

٥٦— (عَلَيْهَا وإنْ فَاتَه أَكْلَةٌ　　تَلاَفَى لِأُخْرَى عَظِيمَ العُكَنْ)

٥٧— تَرَى هَمَّهُ نَظَرًا خَصْرَه　　وَهَمُّكَ فِى الغَزْوِ لاَ فِى السِّمَنْ

٥٨— وَفِى كُلِّ عَامٍ لَهُ غَزْوَةٌ　　تَحُتُّ الدَّوَابِرَ حَتَّ السَّفَنْ

٥٩— حَجُونٌ تُظِلُّ الفَتَى جَاذِبًا　　عَلَى وَاسِطِ الكُورِ عِنْدَ الذَّقَنْ

٦٠— تَرَى الشَّيْخَ مِنْهَا لِحُبِّ الأَيَا　　بِ يَرْجُفُ كَالشَّارِفِ المُسْتَحِنْ

٦١— فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ مِنْ سَاعَةٍ　　مِنَ الرَّأْىِ مَا أَبْصَرُوهُ آكْتَمَنْ

٦٢— وَمَا بِالَّذِى أَبْصَرَتْهُ العُيُو　　نُ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلاَ مِنْ يَقَنْ

٦٣— فَبَيْنَا تَمَارَوا بِهِمْ أَرْسَلَتْ　　عَلَى سُنَّةِ الرَّأْىِ . . . . .

٦٤— تُبَارِى الزِّجَاجَ مَغَاوِيرُهَا　　شَمَاطِيطَ فِى رَهَجٍ كَالدَّخَنْ

٦٥— تَدُرُّ عَلَى أَسْؤُقِ المُمْتَرِيـ　　نَ رَكْضًا إِذَا مَا السَّرَابُ آرْجَحَنْ

٦٦— فَيَا عَجَبَ الرَّهْنِ لِلقَائِلاَ　　تِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَاذَا آحْتَجَنْ

٦٧— وَمَا قَدْ أَخَذْنَ وَمَا قَدْ تَرَكْـ　　نَ فِى الحَىِّ مِنْ نِعْمَةٍ وَدِمَنْ

٦٨— وَأَقْبَلْنَ يُعْرِضْنَ نَحْوَ آمْرِئٍ　　إِذَا كَسِبَ المَالَ لَمْ يَخْتَزِنْ

٦٩— وَلَكِنْ عَلَى الحَمْدِ إِنْفَاقُهُ　　وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الثَّمَنْ

(٥٥ — ٥٩) البطنة الكظة وهى أن تمتلىء من الطعام امتلاء شديدا . الدوابر مآخير الحوافر . السفن المبرد . تحتها تقشرها وتبردها . الحجون الغزوة البعيدة الطويلة . الكور الرحل بأداته.

(٦٠ — ٦٣) الشارف الجمل الهرم . الرأى المنظر . تمارى فيه شك . سنة الرأى قصده وصوابه .

(٦٤ — ٦٥) الزجاج جمع زج بضم الزاى وهو الحديدة التى فى أسفل الرمح . شماطيط فرقا وجماعات . الرهج الغبار . مرى الدابة بساقه يمريها ركضها أى حثها بتحريك رجليه . ارجحن مال واهتز . وارجحن السراب ارتفع وذلك وقد الظهر وعند اشتداد الحر

(٦٦ — ٦٩) ياعجب الرهن عبارة تفيد التعجب ، ولم أعثر على تحقيقها فى المعاجم . والرهن مصدر رهن ، رهن بالمكان ثبت ودام ومنه نعمة راهنة أى دائمة . ورهن الرجل والفرس أى صار راهنا هزيلا . احتجن المال ضمه إلى نفسه واحتواه . الدمن جمع دمنة وهى العداوة . وأعرض الشىء ظهر وبرز ، ومنه (وأعرضت اليمامة واشمخرت) أى ظهرت .

٧٠ــ لايدع السعي للحمد والثناء ، وليس يشترى الحمد بالتوانى ولا الوَهَنْ

٧١ــ عليه سلاح رجل قد طال تمرسه بالقتال ، حتى خبر الحرب وامتحن

٧٢ــ نَبْلٌ طوال تسرع إلى أهدافها كأنها النحل ، يدفعها قوس من شجر (السراء) منسرح قليل الأُبَنْ

٧٣ــ وسيف إذا هُزَّ هَبَّ ، غامض الجِرَاح صميل متناسق كأنه الشَّطَنْ

٧٤ــ ودرع بيضاء تترقرق كأنها ماء الغدير ، قد نسجت حلقتين حلقتين ، واتصل بآخرها غطاء للرأس

٧٥ــ وإنه لبصير بمواضع الطعن ، يسدد ضرباته بين فروج الدرع ، ويضرب برمحه أوائل الخيل فتنحبس

* * *

٧٦ــ هذا ثناء رجل قد قصدك من بعيد قاطعاً (القَرَنْ)

٧٧ــ وقد عشت زمنا فى العراق عفيف المنزل مستغنياً عن الناس

٧٨ــ حولى قومى من بكر وأنصارهم ، لا أبالى وعيد ذى البأس

٧٩ــ وترامى إلىَّ خبرك ، فزعم الزاعمون ــ وليس لى علم ــ أن (قيساً) خير أهل اليمن

٨٠ــ وأنه رفيع الوساد ، طويل النجاد ، ضخم الجفنة ، رحب الطَّعَنْ

٨١ــ ينفذ بفكره إلى صميم المشاكل ، كما يشق الحائك ثوب الرَّدَنْ

٨٢ــ فجئتك أرتاد ما أنبئت ، ولولا الذى سمعت لم ترن

٨٣ــ فلا تحرمنى جزيل نداك ، فانى امرؤ قبلكم لم أُهَنْ

٧٠— وَلَا يَدَعُ الحَمْدَ أَوْ يَشْتَرِيهِ ... بِوَشْكِ الفُتُورِ وَلَا بِالتَّوَنْ

٧١— عَلَيْهِ سِلَاحُ آمْرِئٍ مَاجِدٍ ... تَمَهَّلَ فِي الحَرْبِ حَتَّى اتَّخَنْ

٧٢— سَلَاجِمَ كَالنَّحْلِ أَنْحَى لَهَا ... قَضِيبَ سَرَاءٍ قَلِيلَ الأُبَنْ

٧٣— وَذَا هَبَّةٍ غَامِضًا كَلْمُهُ ... وَأَجْرَدَ مِطْرَدًا كَالشَّطَنْ

٧٤— وَبَيْضَاءَ كَالنِّهْيِ مَوْضُونَةً ... لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ

٧٥— وَقَدْ يَطْعَنُ الفَرْجَ يَوْمَ اللِّقَاءِ ... بِالرُّمْحِ يَحْبِسُ أُولَى السَّنَنْ

٧٦— فَهَذَا الثَّنَاءُ وَإِنِّي آمْرُؤٌ ... إِلَيْكَ بِعَمْدٍ قَطَعْتُ القَرَنْ

٧٧— وَكُنْتُ آمْرَءًا زَمَنًا بِالعِرَاقْ ... عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

٧٨— وَحَوْلِي بَكْرٌ وَأَشْيَاعُهَا ... وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنْ

٧٩— وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُهُ ... كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ آليَمَنْ

٨٠— رَفِيعَ الوِسَادِ طَوِيلَ النِّجَا ... دِ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ رَحْبَ العَطَنْ

٨١— يَشُقُّ آلأُمُورَ وَيَجْتَابُهَا ... كَشَقِّ القَرَارِيِّ ثَوْبَ الرَّدَنْ

٨٢— فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا ... وَلَوْلَا الَّذِي خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ

٨٣— فَلَا تَحْرِمَنِّي نَدَاكَ الجَزِيلْ ... فَإِنِّي آمْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

(٧٠ — ٧١) الوشك القرب . أو هنا بمعنى إلا . اتخن صار صلبا غليظا وهو افتعل من ثخن ثخونة وثخانة أى غلظ وصلب . ويجوز فيها التاء بدل الثاء أيضا فتقول اتخن .

(٧٢ — ٧٤) سلاجم طوال يريد بها النبل . كالنحل فى سرعتها . أنحى لها قصد لها ووجه لها ، السراء شجر تعمل منه القسى . الأبن أبنه وهى العقد . وإنما يختار للقوس العود السليم الذى ليس فيه عقد فذلك أقوى لها وأشد . ذاهبة يريد السيف كأنه يهب ويستيقظ إذا هز . مطرد متتابع ليس بعضه غليظاً وبعضه دقيقا . الشطن الحبل . بيضاء يقصد الدرع . النهى الغدير ، يشبهها به فى تموج بريقها . موضونة منسوجة حلقتين حلقتين . القونس البيضة أو المغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة . الجيب فتحة الرأس . البدن الدرع القصير .

(٧٥ — ٧٨) الفرج كل فرجة بين شيئين ويقصد بها فروج الدرع أو الفتحات التى تبدو فيه . سنن الخيل أوائلها . المناخ محل الاقامة التغنى الاستغناء . الخلى الرطب من النبات وكل بقلة قلعتها فهى خلى ، يريد أنه ليس ضعيفاً حتى يتوعده أحد أو يتهدده ومن حوله قومه الاقوياء من (بكر) .

(٧٩ — ٨١) رفيع الوساد يكنى عن سمو مكانته . طويل النجاد يكنى به عن طول قامته ، والنجاد حمائل السيف الدسيعة الجفنة الكبيرة يكنى بذلك عن كرمه . العطن المناخ حول مورد الماء . اجتابه اجتيابا خرقه ، واجتاب الارض قطعها . القرارى الخياط . الردن الخز . الارتياد طلب النجعة والكلأ .

يقرن بعض نقاد الشعر بين هذه القصيدة وبين قصيدة مروان ابن أبى حفصة

طرقتك زائرة فحى خيالها　　　بيضاء تخلط بالجمال دلالها

وقد كان خلف الأحمر يفضلها على قصيدة الأعشى هذه :

(١ — ٤) يلوم الأعشى صاحبته (سُمَيَّة) على صدودها عنه ، فيقول إنها قد رحلت جمالها فى الغداة غضبى عليه . ثم يتساءل ماذا بدا لها ؟ وفيم هذا الهم الطويل الذى ينتابها فى الليل وقد بدا النهار ؟ ويظهر عدم اكتراثه لصدودها . فكم غانية قبلها قد قطع وصالها حين مل صحبتها . وكم أرض أصابها المطر فأزهرت كأن التجار قد نشروا فوقها برودا زاهية الألوان ، قد ارتادها منتقلا بينها

(٥ — ٩) وكم رجل غيور على صاحبته يحرص عليها ، ويبالغ فى حياطتها ، فهو لشدة حذره لايكاد ينام ، لم يزل يتأتى لها ، حتى أقبل الليل ، فأصاب منه غفلة عن شاته ، فخلا بها للذته ، وكان عندها حظياً أثيرا . ومعتقة من خمر بابل حمراء كدم الذبيح ، سلبها حمرتها فكست وجهه ووجناته .

(١٠ — ١١) وقصيدة محكمة غريبة يفد بها على الملوك ، قد أرسلها ليتساءل الناس لشدة إعجابهم بها (من ذاقالها؟)، وجزور قد دعا لحتفها فنحرها لصحبه المقامرين ، وقفر بعيد الأرجاء يُخْشَى فيه الضلال كان جريئاً على ركوبه واقتحامه .

* * *

وهنا ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء فى رحلته إلى ممدوحه . فهى مضلة ، عمياء ، موحشة ، يمد فيها بصره ليقدر أميالها ، فوق ناقة ضخمة سلسة القياد ، تنطلق مسرعة وقت الهاجرة ، حين تنكمش الظـــلال تحت أرجل المطى ، فكأن هِرًّا قد علق برحلها . وهى هوجاء تعتسف الطريق اعتسافا ، فتضطرب السيور التى تشد جوانب الرَّحْل إلى أرساغها ، تاركة وراءها أثر أخفافها مطبوعا على الرمال .

وقال يمدح قيس بن معديكرب :

(كامل)

١ — رَحلَتْ سُميَّةُ غُدْوَةً أجْمَالَهَا   غَضْبَى عَلَيْكَ فَمَا تَقولُ بَدَالَهَا
٢ — هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهَا   مَا بَالُهَا بِاللَّيلِ زَالَ زَوَالُهَا
٣ — سَفَهًا ، وما تَدرِى سُميَّةُ وَيْحَهَا   أنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرمْتُ وِصَالَهَا
٤ — وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأنَّ تِجَارَهَا   نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا
٥ — قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا ، وَشَاةِ مُحَاذِرٍ   حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أغْفَالَهَا
٦ — فَظَلِلْتُ أرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا   حَتَّى دَنَوْتُ إذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
٧ — فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ   فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا
٨ — حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلاً   فَخَلَتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا
٩ — وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ   كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا
١٠— وَغَرِيبَةٍ تَأْتِى المُلُوكَ حَكِيمَةٍ   قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا
١١— وَجَزُورِ أيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا   وَنِيَاطِ مُقْفِرَةٍ أخَافُ ضَلَالَهَا
١٢— يَهْمَاءَ مُوحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِهَا   طَرْفِى لِأَقْدِرَ بَيْنَهَا أمْيَالَهَا
١٣— بِجُلَالَةٍ سُرُحٍ كَأَنَّ بِغَرْزِهَا   هِرًّا إذَا انْتَعَلَ المَطِىُّ ظِلَالَهَا
١٤— عَسْفًا وَإرْقَالَ الهَجِيرِ تَرَى لَهَا   خَدَمًا تُسَاقِطُ بِالطَّرِيقِ نِعَالَهَا

(١ — ٣) زال زوالها استفزت من الفزع وهو من إسناد الفعل إلى مصدره .

(٤ — ٦) غادية سحابة باكرة . مصاب حيث صابت أى مطرت اسم مكان . راد الرجل رودانا دار وذهب وجاء فى طلب شىء . الشاة من الضأن والمعزى يكنى بها عن المرأة . محاذر شديد الحذر عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها .

(٧ — ٩) سبأ الخمر اشتراها للشرب لا للبيع . الجريال صبغ أحمر . يعنى أنه شربها حمراء وبالها صفراء .

(١٠ — ١٢) غريبة أى قصيدة غريبة لأنها تتنقل على أفواه الرواة . الجزور من الابل خاصة يقع على الذكر والأنثى . دعا لذبحها فى الميسر . نياط الصحراء بعد طريقها فكأنها نيطت بصحراء أخرى فلا تكاد تنقطع ، ناط عليه الشىء علقه ، وناطت الدار بعدت . إليهم الجنون ، واليهماء الصحراء ليس فيها علم يهتدى به السالك . الأميال جمع ميل وهو عند العرب قدر منتهى مد البصر من الأرض .

(١٣ — ١٤) جلالة ضخمة . سرح سهلة . الغرز ركاب الرحل إذا كان من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . وهذا شبيه ببيت عنترة :

وكأنما ينأى بجانب دفها الـ   ـوحشى بعد مخيلة وترغم
هر جنيب كلما عطفت له   غضبى اتقاها باليدين وبالفم

عسفاً أى هوجا فى سيرها . خدام الابل سيور فوق أرساغها تشد إلى الشرائح ، والشرائح جمع شريحة وهى شىء ينسج من سعف النخل ونحوه ويحمل فيه البطيخ وغيره من المتاع .

(١٥ — ١٩) وقد اختار الأعشى ناقته هذه من بين أربع كرام ، فهى فى غير حاجة إلى من يستحثها أو يستعجلها . ولم يزل يُعْمِلها حتى تركها كالهالك هزالا . كلما جوَّزها حِبَالَ قبيلة ، أخذت من الأخرى حبالها إلى الممدوح .

* * *

فاذا أرضى الشاعر نفسه من تصوير هذه الرحلة الشاقة إلى الممدوح انتقل إلى المدح .

(٢٠ — ٢٤) فيقول إن (قيسا) قد أثابه ، فكأن الناقة إذ وضعت إليه رحلها لم تلق ما لقيت من ضُرٍّ طوال الشهور الستة التى رحلت فيها إليه . وهو رجل طلق اليدين يسير على نهج آباء كرام . وليس النيل إذا زخر وأزبد ، متفجرا من أرض النبيط ، يسق أهل بابل رغدا ، بأجود نائلا من ممدوحه ، حين يتجهم البخيل لسائله .

(٢٥ — ٢٩) ويعيد الشاعر ماقال فى القصيدة السابقة ، من أن الممدوح يهب المائة من الإبل وعبدها ، تتبعها أطفالها تسعى خلفها ، والجواد القارح العدَّاء ، والفرس الخفيفة الوثابة الطويلة ، التى لا تكاد يد الطويل تدرك مؤخر رأسها .

ثم يستطرد الشاعر إلى وصف هذه الفرس . فيشبهها حين تطارد قطعان بقر الوحش بعقاب يسعى لرزق صغاره الضعاف ، وقد خلَّفهم وراءه فى وادى (السُّلَىِّ) . ولا تزال الفرس تجرى بالوليد الذى فوق ظهرها ، حتى يدرك طريدته ، ويقذفها برمحه ، فيصيبها فى عجزها .

ثم يعود الشاعر إلى ممدوحه . فقومه من (كندة) ينتظرون منه ما عودهم من الكرم . فليغفر إذن لجاهلهم هفوته ، وليفض عليهم الخير .

١٥— كَانَتْ بَقِيَّةَ أَرْبَعٍ فاعتَمْتُها   لَمَّا رَضِيتُ مَعَ النَّجَابَةِ آلَهَا
١٦— فَتَرَكْتُها بَعْدَ المِرَاحِ رَذِيَّةً   وأَمِنْتُ بَعْدَ رُكُوبِها إِعْجَالَهَا
١٧— فَتَنَاوَلَتْ قَيْسًا بِحُرِّ بِلَادِهِ   فَأَتَتْهُ بَعْدَ تَنُوفَةٍ فَأَنَالَهَا
١٨— فَإِذَا تَجَوَّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ   أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا
١٩— قِبَلَ آمرِئٍ طَلْقِ اليَدَيْنِ مُبَارَكٍ   أَلْفَى أَبَاهُ بِنَجْوَةٍ فَسَمَا لَهَا
٢٠— فَكَأَنَّهَا لَمْ تَلْقَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ   ضُرًّا إِذَا وَضَعَتْ إِلَيْكَ جِلَالَهَا
٢١— وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِخَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى   قَيْسٍ فَأَثْبَتَ نَعْلَهَا وقِبَالَهَا
٢٢— مَا النِّيلُ أَصْبَحَ زَاخِرًا مِنْ مَدِّهِ   جَادَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا فَجَرَى لَهَا
٢٣— زَبِدًا بِبَابِلَ فَهْوَ يَسْقِي أَهْلَهَا   رَغَدًا تُفَجِّرُهُ النَّبِيطُ خِلَالَهَا
٢٤— يومًا بِأَجْوَدَ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا   نَفْسُ البَخِيلِ تَجَهَّمَتْ سُؤَّالَهَا
٢٥— الوَاهِبُ المِائَةَ الهِجَانَ وَعَبْدَهَا   عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا
٢٦— والقَارِحَ العَدَّا وكُلَّ طِمِرَّةٍ   مَا إِنْ تَنَالُ يَدُ الطَّوِيلِ قَذَالَهَا
٢٧— وَكَأَنَّمَا تَبِعَ الصُّوَارَ بِشَخْصِهَا   فَتْخَاءُ تَرْزُقُ بِالسُّلِيِّ عِيَالَهَا
٢٨— طَلَبًا حَثِيثًا بِالوَلِيدِ تَبُزُّهُ   حَتَّى تَوَسَّطَ رُمْحُهُ أَكْفَالَهَا
٢٩— عَوَّدْتَ كِنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا   اغْفِرْ لِجَاهِلِهَا وَرَوِّ سِجَالَهَا

(١٥ — ١٩) رذية هالكة من الهزال . حر بلاده ، حر كل شيء وسطه . تنوفة صحراء . النجوة ما ارتفع من الأرض .

(٢٠ — ٢٢) الجلال جمع جل بضم الجيم وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . النعل مايلبس ليقي الخف والحافر . القبال زمام النعل وهو السير الذي تشد به بين الاصبع الوسطى والتي تليها ، وهو الشسع بكسر الشين وسكون السين .

(٢٣ — ٢٥) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ، قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . تجهمه وتجهم له استقبله بوجه كريه مكفهر . الهجين الخيار من كل شيء . العوذ الحديثات النتاج . زجى الشيء دفعه برفق .

(٢٦ — ٢٩) قرح ذو الحافر (مثل خضع) انتهت أسنانه ، وذلك بعد خمس سنين . طمرة خفيفة وثابة . القذال جماع مؤخر الرأس . الصوار قطيع البقر . فتخاء عقاب فتخاء أى لينة الجناح . السلى واد دون حجر (بفتح ثم سكون) . حثيثا سريعاً تبزه تغلبه . الكفل العجز . السجال جمع سجل (بفتح فسكون) وهو الدلو العظيمة .

(٣٠—٣٤) وليحمل عنهم أعباءهم حين يحل بهم خطب ، كما يحمل الجمل الذلول أحمال أصحابه .

ويقسم الأعشى بمن جعل الشهور علامة ومواقيت ، أن قيساً لم يكن فى الحرب الضروس ـ إذا شبت وكأنها النار قد اشتعلت فى الحطب اليابس الجزل ـ ضعيفاً ولا حديث التجربة . فلقد سعى لقومه من كندة غير واهن ، فقهر عدوها وشيد لها مجدا باقيا .

(٣٥—٣٩) ولقد أهان صالح ماله للفقير من قومه ، وأسى جراحهم وأصلح بينهم وسعى لخيرهم . فهو لا يضيعهم بالغيب كما يفعل امرؤ قد هانت عليه عشرته فغالها .

وممدوحه رجل قوى ، ولكنه سمح كريم . فهو يضر وينفع . وهو حاذق لشئون الحرب ، مغامر قد ألف القتال وأحبه . لا تنال يداه غنيمة حتى يشد الركاب لغنيمة أخرى يغتصبها من صاحب نعمة مترف ليصل بها رحمه وذوى قرباه .

(٤٠—٤٤) ويصف الشاعر ما يشن ممدوحه من غارات طويلة الأمد ، ترى الخيل فيها شعثا قد أجهدها التعب ، ولم تقو صغارها على متابعتها ، فغادرتها فى الطريق . وسقطت أعنة الخيل فى هذا المعترك الرهيب الذى اختلطت فيه أصوات الفرسان ، يهيبون بالخيل أن تتقدم ، فلا تُستَحَثُّ ولا تؤدب بغير الزجر والركض . فإذا كان وقت الغـارة ، وأشار الدليل بثوبه ، سُقيت الخيل ، وهُرِيق ما بقى من ماء ، ليقاتل المقاتلون على ماء العدو .

٣٠— وَكُنْ لَهَا جَمَلًا ذَلُولًا ظَهْرُهُ   احْمِلْ وَكُنْتَ مُعَاوِدًا تَحْمَالَهَا

٣١— وَإِذَا تَحُلُّ مِنَ الخُطُوبِ عَظِيمَةٌ   أَهْلِي فِدَاؤُكَ فَاكْفِهِمْ أَثْقَالَهَا

٣٢— فَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عَلَامَةً   قَدَرًا فَبَيَّنَ نِصْفَهَا وَهِلَالَهَا

٣٣— مَا كُنْتَ فِى الحَرْبِ العَوَانِ مُغَمَّرًا   إِذْ شَبَّ حَرُّ وَقُودِهَا أَجْزَالَهَا

٣٤— وَسَعَى لِكِنْدَةَ غَيْرَ سَعْيِ مُوَاكِلٍ   قَيْسٌ فَضَرَّ عَدُوَّهَا وَبَنَى لَهَا

٣٥— وَأَهَانَ صَالِحَ مَالِهِ لِفَقِيرِهَا   وَأَسَى وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا وَسَعَى لَهَا

٣٦— مَا إِنْ تَغِيبُ لها كَمَا غَابَ امْرُؤٌ   هَانَتْ عَشِيرَتُه عَلَيْهِ فَغَالَهَا

٣٧— وَتَرَى له ضُرًّا عَلَى أَعْدَائِهِ   وَتَرَى لِنِعْمَتِه عَلَى مَنْ نَالَهَا

٣٨— أَثَرًا مِنَ الخَيْرِ المُزَيِّنِ أَهْلَهُ   كَالغَيْثِ صَابَ بِبَلْدَةٍ فَأَسَالَهَا

٣٩— ثَقِفٌ إِذَا نَالَتْ يَدَاهُ غَنِيمَةً   شَدَّ الرِّكَابَ لِمِثْلِهَا لِيَنَالَهَا

٤٠— بِالخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهَا   رُجُعًا تُغَادِرُ بِالطَّرِيقِ سِخَالَهَا

٤١— أَمًّا لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ طَرَّحْتَهَا   ووِصَالِ رِحْمٍ قد نَضَحْتَ بِلَالَهَا

٤٢— طَالَ القِيَادُ بِهَا فَلَمْ تَرَ تَابِعًا   الخَيْلِ ذَا رَسَنٍ وَلَا أَعْطَالَهَا

٤٣— وَسَمِعْتُ أَكْثَرَ ما يُقَالُ لَهَا اقْدَمِي   وَالنَّصُّ وَالْإِيجَافُ كَانَ صِقَالَهَا

٤٤— حَتَّى إِذَا لَمَعَ الدليلُ بِثَوْبِهِ   سُقِيَتْ وصَبَّ رُوَاتُهَا أَشْوَالَهَا

(٣٠ — ٣٥) ذلول حسن الخلق دمثه . العوان من الحرب هى التى قوتل فيها مرة بعد مرة . المغمر والغمر (بفتح فسكون) الجاهل الأبله الذى لم يجرب الأمور . الجزل (بفتح فسكون) ما عظم من الحطب ويبس . أسا الجرح داواه .

(٣٦ — ٣٨) غاله أى عابه وذكره بالسوء . غالها سعى لفسادها . صاب المطر انصب ونزل .

(٣٩ — ٤١) ثقف رفيق حاذق . شعثا أى متفرقة الشعر منتشرته . رجعا جمع رجيع وهو الذى أعياه السفر فكل . السخل ابن المعز والضأن ويقصد به هنا ابن الفرس . أما أى قصدا وتعمداً ، وأمه أى قصده . رحم الرجل قرابته . نضح بلالها أى وصلها كأنها كانت يابسة فبلها ونداها .

(٤٢ — ٤٤) الأعطال من الخيل والابل هى التى لاقلائد عليها ولا أرسان لها ولا سمة عليها . نص الدابة استحثها . صقل الناقة أضمرها ، وصقله بالعصا ضربه وأدبه . نص الدابة استحثها . الايجاف الركض . الاشوال والأوشال القليل من الماء . لمع بيده وبثوبه وبسيفه أشار . الدليل الذى يرشد الجيش .

(٤٥—٤٩) وأمسك الخدم بالرِّكاب ، فركب الفرسان . حتى إذا أشار الممدوح بالهجوم ، أجيلت بأمره الخيل ، تثير سوابقُها عَجَاجَةً كالسحاب ، وقد تتابعت جماعاتها تتبارى فى الأَعِنَّة ، حتى تعود آخر اليوم محملة بالغنائم والأسلاب .

والناس على خوف من الممدوح . من أصابه الغزو أزال نعمته ، ومن أخطأه قطع القيظ مقيما بالفلاة مكتفيا بالتافه اليسير من الأعشاب ، لا يقرب الماء من خشيته . ولكم حوى من الإبل التى يبعدبها صاحبها فى الرعى فأصبحت غنيمة له . ولكم أصاب من الإبل التى يحبسها أصحابها خوف الغارة ففك عقالها .

(٥٠—٥٤) ولكم أصابت نعمته ذا فاقة فأغنته . وكم نزلت بذى نعمة فأفقرته .

* * *

ويختم الشاعر قصيدته بهذه الأبيات التى كان يعجب بها عبدالملك بن مروان . حتى لقد وصفه الأخطل فى بعض قصائده بأنه يغشى الحرب مدججاً بالسلاح مثقلا بالدروع ، فقال له :

هلا قلت كما قال الأعشى :

وإذا تجىء كتيبة ملمومة . . . . (الأبيات)

فأجاب الأخطل متخلصاً : وصفتك بالحكمة ، ووصف الأعشى ممدوحه بالتهور والحمق .

يقول الأعشى :

إذا أقبلت الكتيبة مجتمعة خرســـاء ، تَغْشَى رماحُها العطاشُ الذائدين . وقد تراكم فوقها الحديد ، فأوقعت الرعب فى قلب الفارس المغطى بالدروع والسلاح ، فى ذلك الوقت تتقدم مندفعاً لا تسترك درع ، وتضرب بسيفك فيترك أثره فى الفرسان . ذلك بما تعلم أن المرء لا يسبق أجله ، وأنه لايموت إلا فى حينه وميقاته .

٤٥— فَكَفَى العَضَارِيطُ الرِّكَابَ فَبُدِّدَتْ ... مِنْهُ لِأَمْرٍ مُؤَمَّلٍ فَأَجَالَهَا
٤٦— فَتَرَى سَوَابِقَهَا يُثِرْنَ عَجَاجَةً ... مِثْلَ السَّحَابِ إِذَا قَفَوْتَ رِعَالَهَا
٤٧— مُتَبَارِيَاتٍ فِي الأَعِنَّةِ شُزَّبًا ... حَتَّى تُنِيءَ عَشِيَّةً أَنْفَالَهَا
٤٨— فَأَصَبْنَ ذَا كَرَمٍ وَمَنْ أَخْطَأْنَهُ ... جَزَأَ المَقِيظَةَ خَشْيَةً أَمْثَالَهَا
٤٩— وَلَبُونِ مِعْزَابٍ حَوَيْتَ فَأَصْبَحَتْ ... نُهْبَى وَآزِلَةٍ قَضَبْتَ عِقَالَهَا
٥٠— وَلَقَدْ جَرَرْتَ إِلَى الغِنَى ذَا فَاقَةٍ ... وَأَصَابَ غَزْوُكَ إِمَّةً فَأَزَالَهَا
٥١— وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... خَرْسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا
٥٢— تَأْوِي طَوَائِفُهَا إِلَى مُخْضَرَّةٍ ... مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَا
٥٣— كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا
٥٤— وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا ... مَا كَانَ خَالِقُهَا المَلِيكُ قَضَى لَهَا

(٤٥ — ٤٨) العضاريط جمع عضروط وهو التابع . العجاجة الغبار . قفا الشيء تتبعه وسار على أثره . الرعال جمع رعلة وهى القطعة من الخيل . شزب جمع شازب وهو الضامر . الأنفال الغنائم . جزأ بالشيء اكتفى ، وجزأ الماشية بالرطب عن الماء أقنعها . المقيظة نبات يبقى أخضر إلى القيظ .

(٤٩ — ٥١) لبون فى ضرعها لبن . معزاب راع يعزب بابله أى يبعد بها فى المرعى . آزلة من الازل وهو ضيق العيش والبؤس . الامة النعمة . ملمومة مجتمعة . يذود يدافع . نهالها رماحها وسيوفها . النهال أى العطاش كأنها ظامئة إلى شرب الدماء .

(٥٢ — ٥٤) مخضرة كتيبة خضراء لكثرة ما عليها من الحديد ، والعرب تسمى الأسود أخضر . الكمى الذى كمى نفسه بالسلاح أى استتر به . الجنة الترس لأنه يجن صاحبه أى يخفيه ويستره . أعلمه جعل عليه علامة وذلك بالطعن والجراح .

فى هذه القصيدة توجيه . وهو اختلاف الحركة فى الحرف السابق للروى . ومعظم علماء العروض يعدونه عيباً . وبعضهم يجيزه فى الكسرة مع الضمة لقربهما . ولكنهم لا يجيزون مع الفتحة غيرها . وقد جمع الأعشى فى هذه القصيدة بين الفتحة والكسرة والضمة . فقال منجذم بكسر الذال فى البيت (١) ، وعلم بكسر اللام فى البيت (٢) ، ثم قال بصحراء زم بضم الزاى فى البيت (٦) ، وذو حسم بضم السين فى البيت (٩) ، وقال مع ذلك وارتسم بفتح السين فى البيت (١١) ، والعجم بفتح الجيم فى البيت (٢٥) . وقد كان الأخفش يجيز التوجيه ويقول إنه قد كثر فى فصحاء العرب . ونحن نرى أن البيتين (٤٩) ، (٥٠) متأخران عن موضعهما ، والأفضل أن يجيئا بعد البيت (١٤) .

يبدأ الأعشى قصيدته بذكر خليلة قد قطعته ، فهو متردد فى أمرها ، يحدث نفسه قائلا :

(١ — ٤) أتهجرها ؟ أم تزورها ؟ أم أن مودتها قد رَثَّتْ ، فحبلها واه منقطع ؟ . . أم أن الصبر أجمل وأدنى إلى الحكمة والعقل ، وسينفع العاقل عقله ؟ . وإنك لتجد الراشد الذى أدرك حقيقة الأمر فكف عن الغى وانتهى ، كما تجد المتردد المغلوب على أمره ، الذى يتبين الأمر ثم لا يدرى أيكف عنه أم يقصد له ويرضى به . فهو يعصى المشفقين عليه مما هو فيه ، ويندفع إلى الغى مستسلماً للهوى ، متهما كل ناصح أمين .

(٥ — ٩) لم يكن ذلك إلا طيش شباب ، أُعَاقَبُ عليه اليوم بما أسرفت فى الإثم ... بل لم يكن ذلك إلا نظرة أصابتنى على غِرَّةٍ بصحراء (زُمّ) إذ نحن خُلَطاء ، وابتسامةٌ فاتنة عن أسنانها المتفرقة الجميلة فى استوائها ... كيف السبيل إليها الآن وقد نأت ، فأقرب دورها (ذو حُسُم) ، وخلَّفت فى الصدر صدعا كصدع الزجاجة لا يلتئم ؟ .

(١٠—١٤) ويصرف الأعشى نفسه عن هذه الهموم ، مستعيدا ذكريات الفتوة والشباب .

إن غدا اليوم مخذولا مغلوبا ، فيا ربما كان قوياً مالكا لأمره . يا ربما شرب الخمر فى لونها الأحمر ، يبرزها صاحبها اليهودى مختومة لم تفض ولم تعبث بها يد ، قد ضربها الريح فى دَنِّها ، يصلى عليها صاحبها مكبرا . يَتَمزَّزُها متذوقا مستأنياً ، مقبلا على الندماء ، مواجها الحقائق ، لا يلتمس الهروب منها بالإنكار . ويا ربما حل برجل شريف كريم كالسيف الصقيل ، يجود عن سعة . فإذا أعوزه المال استجلبه من وَجْهِهِ بالغزو ، فأعطاه هذا الشريف لفرط كرمه حُكْمَهُ فيما يطلب من العطاء .

وقال يمدح قيس بن معديكرب :

(متقارب)

١ — أَتَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمّْ ... أَمِ الحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمْ
٢ — أَمِ الصَّبْرُ أَحْجَى فَإِنَّ آمْرَءًا ... سَيَنْفَعُهُ عِلْمُهُ إِنْ عَلِمْ
٣ — كَمَا رَاشِدٍ تَجِــدَنَّ آمْرَءًا ... تَبَيَّنَ ثُمَّ آنْتَهَى أَوْ قَدِمْ
٤ — عَصَى المُشْفِقِينَ إِلَى غَيِّهِ ... وَكُلَّ نَصِيحٍ لَهُ يَتَّهِمْ
٥ — وَمَا كَانَ ذٰلِكَ إِلاَّ الصِّبَى ... وَإِلاَّ عِقَابَ آمْرِىءٍ قَدْ أَثِمْ
٦ — وَنَظْرَةَ عَيْنٍ عَلَى غِرَّةٍ ... مَحَلَّ الخَلِيطِ بِصَحْرَاءِ زُمْ
٧ — وَمَبْسِمِهَا عَنْ شَتِيتِ النَّبَا ... تِ غَيْرِ أَكَسَّ وَلَا مُنْقَضِمْ
٨ — فَبَانَتْ وَفِى الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا يَلْتَئِمْ
٩ — فَكَيْفَ طِلَابُكَهَا إِذْ نَأَتْ ... وَأَدْنَى مَزَارًا لَهَا ذُو حُسُمْ
١٠— وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا ... وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خُتُمْ
١١— وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِى دَنِّهَا ... وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَآرْتَسَمْ
١٢— تَمَزَّزْتُهَا غَيْرَ مُسْتَدْبِرٍ ... عَنِ الشَّرْبِ أَوْ مُنْكِرٍ مَا عُلِمْ
١٣— وَأَبْيَضَ كَالسَّيْفِ يُعْطِى الجَزِيـ ... لَ يَجُودُ وَيَغْزُو إِذَا مَا عَدِمْ
١٤— تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ ... مِنَ الجُودِ فِى مَالِهِ أَحْتَكِمْ

(١ — ٣) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . واه ضعيف . جذم الحبل فانجذم قطعه . أحجى أفعل تفضيل من الحجا وهو العقل . العلم إدراك الشيء بحقيقته . رشد (كنصر) اهتدى فهو راشد . تبين الأمر أوضحه وفهمه . انتهى كف وارعوى . قدم على العيب رضي به ، وقدم إلى الأمر قصد له .

(٤ — ٦) الصبا الميل إلى الصبوة وجهلة الفتوة . الخليط المخالط كالجار وابن العم والصاحب والشريك . زم بئر بأرض سعد بن مالك قوم الأعشى .

(٧ — ٩) الشتيت المتفرق المفلج من الأسنان . الكسس قصر الأسنان .

(١٠ — ١٤) الصهباء الخمر والصهبة الحمرة . صلى برك ودعا . ارتسم الرجل لله كبر ودعا وتعوذ . تمزز الشراب تمصصه قليلا قليلا . تضيفت نزلت ضيفاً .

(٤٩ ، ٥٠) ولقد تأتيه الكلمة القبيحة العوراء ، فيردها على صاحبها بالقصيدة الشنعاء ، التى تخرس الداهية من الرجال ، تغلى وتفور ، ويتطاير منها الشرر والويل . وياربما ركب الصحراء جريئاً لا يبالى المخاطر .

(١٥—١٩) وهنا ينصرف الشاعر إلى الصحراء ، فيصورها فى رهبتها المفزعة وسكونها المخيف . فهى عمياء ، لا يتبين السالك فيها طريقه ، راكدة المياه ، مطموسة الآبار ، لا يسمع المسافر فيها إلا عزيف الجن . ولكن الشاعر يقتحمها بناقته الجريئة الضخمة ، وكأنها الفحل الشرس المكرم عند أهله لا يؤذَى ولا يُركَب . يُغضِبُها مَسُّ السوط ، فتعدو فى شدة الحر وقت الهجير ، حين تتلفع الآكام بالسراب ، كاظمة غيظها ، ممسكة على رغائها .

فمثلها يفرج هم المهموم ، وعلى مثلها يُشْفَى الفؤاد السقيم .

(٢٠—٢٤) ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه فيقول :

فى سبيل قيس ما أطلت السرى . وفى سبيله ما لقيت من عناء فى رحلتى ، أمر بالقبائل والأحياء ، آخذاً منها العهود . وكم دون بيتك من عداة غاشمين ، إذا أنا حَيَّيْتُ لم يرجعوا التحية ، وما بهم من صمم . وكم دون الوصول إليك من سير فى الليل المخيف وفى الهاجرة الملتهبة .

فاذا هيأ الشاعر للمدح بهذه المقدمة ، اندفع فى تعظيم قيس ، مشيدا بغزوه لبنى عامر بن عُقَيْل واستنقاذه ابن عمه قيسبة بن كلثوم من أسرهم . فقد ترامت أنباء هذا الغزو إلى الأعشى وهو فى قومه باليمامة ، تفصله عن حضرموت (الصفا) و (الرجم) .

(٢٥—٢٩) أقبل قيس على عدوه يقود خيلا قد انتشرت فى الأرض كأنها النَّوَى كَثْرَةً . وبات جيش العدو يرجف من الفزع فى انتظار الصباح ، وقد لبس فرسان قيس دروعهم ، وباتت الخيل تحتهم وقوفا لا تقرب الطعام ، فهى تلوك اللُّجُم فى قلقها واضطرابها وتحفزها .

ها أنت ذا قد أقبلت على غزوهم غير هياب ، فانتقمت لنفسك ، ولم تترك ثأرك مقيما فى دارهم .

١٥ — وَبَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَـــا   مَنَاهِلُهَا آجِنَاتٌ سُدُمْ
١٦ — قَطَعْتُ بِرَسَّامَةٍ جَسْرَةٍ   عُذَافِرَةٍ كَالْفَنِيقِ الْقَطِمْ
١٧ — غَضُوبٍ مِنَ السَّوْطِ زَيَّافَةٍ   إِذَامَاارْتَدَىْبِالسَّرَابِ الأَكَمْ
١٨ — كَتُومِ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّرَتْ   وَكَانَتْ بَقِيَّةَ ذَوْدٍ كُتُمْ
١٩ — تُفَرِّجُ لِلْمَرْءِ مِنْ هَمِّهِ   وَيُشْفَى عَلَيْهَا الفُؤَادُ السَّقِمْ
٢٠ — إِلَى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى   وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ
٢١ — وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَعْشَرٍ   صُبَاةِ الحُلُومِ عُدَاةٍ غُشُمْ
٢٢ — إِذَا أَنَا حَيَّيْتُ لَم يَرْجِعُوا   تَحِيَّتَهُمْ وَهُمُ غَيْرُ صُمْ
٢٣ — وَإِدْلَاجِ لَيْلٍ عَلَى خِيفَةٍ   وَهَاجِرَةٍ حَرُّهَا يَحْتَدِمْ
٢٤ — وَإِنَّ غَزَاتَكَ مِنْ حَضْرَمَوْتْ   أَتَتْنِي وَدُونِى الصَّفَا وَالرُّجُمْ
٢٥ — مَقَادَكَ بِالخَيْلِ أَرْضَ العَدُوْ   وَجُذْعَانُهَا كَلَفِيظِ العَجَمْ
٢٦ — وَجَيْشُهُمُ يَنْظُرُونَ الصَّبَا   حَ فَالْيَوْمَ مِنْ غَزْوَةٍ لَمْ تَخِمْ
٢٧ — وُقُوفًا بِمَا كَانَ مِنْ لَأْمَةٍ   وَهُنَّ صِيَامٌ يَلُكْنَ اللُّجُمْ
٢٨ — فَأَظْعَنْتَ وِتْرَكَ مِنْ دَارِهِمْ   وَوِتْرُكَ فِي دَارِهِمْ لَمْ يُقِمْ
٢٩ — تَؤُمُّ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ   وَأَنْتَ بِآلِ عُقَيْلٍ فَغِمْ

(١٥ — ١٨) يهماء عمياء مطموسة المسالك . عزفت الجن صوتت فى المفاوز . آجنة راكدة . سدم الماء تغير لطول عهده وطحلب ووقع فيه التراب وغيره حتى اندفن . الرسيم ضرب من العدو للابل . جسرة ضخمة . العذافر العظيم الشديد من الابل . الفنيق الفحل المكرم عند أهله لا يؤذى ولا يركب . فحل قطم هائج . زاف البعير يزيف وهى سرعة فيها تمايل . كتوم الرغاءلاترغو إذا ركبت لانها مهذبة . الذود من الابل مابين الثلاث إلى العشر .

(١٩ — ٢١) عصم عهود . صباة الحلوم خفاف الحلوم فيهم جهل وطيش . الغشوم الظالم الغاصب .

(٢٢ — ٢٥) الادلاج سير الليل كله . الجذعان جمع جذع وهو لولد الشاة فى السنة الثانية ، ولذى الحافر فى السنة الثالثة والابل فى السنة الخامسة . العجم النوى. لفيظ ملفوظ من الفم وهو فعيل بمعنى مفعول .

(٢٦ — ٢٩) خام نكص وجبن . اللأمه الدرع . صيام قيام . الوتر الثأر . أظعنه نقله ورحله لانه أخذ بثأره ، وكانت بنوعامر قد أسرت رجلا من كندة فغزاهم قيس واستنقذه . آل عقيل عقيل بن كعب بن ربيعه . فغم بالمكان أقام به ولازمه .

(٣٠—٣٤) عضتهم الحرب ، ولفحتهم أنفاسُها الحارة الكريهة ؛ وما أبغض الحرب بعد أمن وسلام . تُعَاوِدهم الكَرَّة بعد الكَرَّة ، كما يطوف الطائف بحجارة القبر .

بوركت من شهم أخى ثقة ، وما ضاع رجل أنت من ورائه تحميه . ضَيَاعَ « دَرِم » الذى قُتِلَ ولم يُثْأَرْ له ، فذهب فى الناس مثلا . وإن جارك لمصون حتى يصل إلى مأمنه ، كالطفل آمن فى بطن أمه حتى تشرق عليه الحياة .

نصبت نفسك حامياً لعشيرتك ، قائماً على الثأر فيهم ، تنتقم باطشاً ، أو تعفو عفو القوى القادر .

(٣٥—٣٩) فلست بالضعيف ولا باللابس النعل قد انقطعَتْ سُيُورُه ، ولكنك راسخ القدم مكين ، خبير بالحروب .

ويصور الأعشى كرم ممدوحه بمثل ما فعل فى القصيدتين السابقتين . فليس الفرات إذا أزبد وتلاطمت أمواجه ، فكب السفينة ذات القلاع لوجهها ، حتى ليكاد صدرها أن يتحطم ، فترى الملاح يتمايل وسطها ، وقد لجأ لشدة خوفه إلى مؤخرها — ليس هذا النهر الجياش الفياض فى مثل حاله تلك بأجود منه فى وقت الجدب ، حين تصحو السماء وينقطع المطر .

(٤٠—٤٥) فهو يهب المائة المصطفاة من الإبل كأنها النخل يطوف بها المُجْتَنِى ، والفرسَ الجواد العداء ، يجرى على سنابك صلبة طوال كأنها قرون الظباء ، تلكم الحجارة فى شدة عدوها . يصيد حمار الوحش وأتانه الحائل التى لم يثقلها الحمل فيعوقها عن الجرى ، فيلحق بهما موفورَ النشاط فى غير جهد ، لم يتصبب عرقا . ويشبه هذا الفرس بالصقر الشره إلى اللحم ، حين يتبع القطيع من البقر وقد أدبر مولياً للفرار ، تتوالى أفراده كأنها عقد لؤلؤ قد انفرط ، فهوت حباته متتابعة .

٣٠— أَذَاقَتْهُم الحَرْبُ أَنْفَاسَهَا ... وَقَدْ تُكْرَهُ الحَرْبُ بَعْدَ السَّلَمْ
٣١— تَعُودُ عَلَيْهِمْ وَتَمْضِيهِمُ ... كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ المُرْتَجِمْ
٣٢— وَلَمْ يُودِ مَنْ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ ... كَمَا قِيلَ فِي الحَيِّ أَوْدَى دَرِمْ
٣٣— وَكَانَتْ كَحُبْلَى غَدَاةَ الصَّبَا ... حِ كَانَتْ وِلَادَتُهَا عَنْ مُتِمْ
٣٤— يَقُومُ عَلَى الوَغْمِ فِي قَوْمِهِ ... فَيَعْفُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمْ
٣٥— أَخُو الحَرْبِ لَا ضَرَعٌ وَاهِنٌ ... وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِقِبَالٍ خَذِمْ
٣٦— وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الفُرَا ... تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمْ
٣٧— يَكُبُّ الخَلِيَّةَ ذَاتَ القِلَا ... عِ قَدْ كَادَ جُؤْجُؤُهَا يَنْحَطِمْ
٣٨— تَكَأْكَأَ مَلَّاحُهَا وَسْطَهَـا ... مِنَ الخَوْفِ كَوْثَلَهَا يَلْتَزِمْ
٣٩— بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ ... إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغِمْ
٤٠— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ كَالنَّخْلِ طَافَ بِهَا المُجْتَرِمْ
٤١— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ يَرْدِي عَلَى سَلِطَاتٍ لُثُمْ
٤٢— سَنَابِكُهُ كَمَدَارَى الظِّبَا ... ءِ أَطْرَافُهُنَّ عَلَى الأَرْضِ شُمْ
٤٣— يَصِيدُ النَّحُوصَ وَمِسْحَلَهَا ... وَجَحْشَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمْ
٤٤— وَيَوْمٍ إِذَا مَا رَأَيْتُ الصِّوَا ... رَ أَدْبَرَ كَاللُّؤْلُؤِ المُنْخَرِمْ

(٣٠—٣٤) الانفاس جمع نفس وهو الجرعة أو نسيم الهواء • الرجمة حجارة كانوا ينصبونها على القبر ويطوفون حولها فى الجاهلية . أودى الرجل هلك . درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان قتل ولم يثأر له . متم تمت مدة حمله . الوغم الثأر والحقد .

(٣٥—٣٨) ضرع ضعيف . القبال الشسع وهو سيور النعل . خذم منقطع . وهو مثل ضرب به لثباته وقوته . مزبد يعلوه زبد الأمواج ، جون أبيض وهو من الأضداد يطلقه العرب على الابيض وعلى الأسود . غارب كل شىء أعلاه والمقصود به الأمواج . الخلية السفينة الكبيرة . القلاع الشراع . جؤجؤ السفينة صدرها . تكأكأ تمايل من الخوف . كوثل السفينة ذنبها ومؤخرها ، وفيه يكون الملاحون ومتاعهم .

(٣٩—٤١) الماعون فى الجاهلية كل عطاء . غامت السماء أطبق بها السحاب . يقصد أنه يجود وقت الجدب . جرم النخل جمع ثمارها . الخصاب النخل ، وقيل الكثير الحمل منه . يردى يعدو . سنابك سلطات أى طوال . لثم تلثمها الحجارة وتلكمها .

(٤٢—٤٤) السنبك مقدم الحافر . مدارى الظباء قرونها . أشم مرتفع . النحوص الحائل التى لم تحمل ، وهى أسرع جرياً لأن بطنها لا تثقلها . المسحل حمار الوحش . يستحم يعرق من كثرة الجرى . أى أنه يدركها من غير تعب . الصوار قطيع بقر الوحش . خرم الخرزة واللؤلؤة فصمها . يشبهها فى تتابعها باللؤلؤ قد انقطع سلكه فهو يتلو بعضه بعضا .

(٤٦—٥٠) وكيف لا يكون ممدوحه بهذا الكرم وبهذه الشجاعة ، وهو من بنى معاوية الأكرمين ، عظام القباب ، طوال القامات ، أهل الحرب والسلم .

إنْ دعوتهم للقتال أتتك منهم خيل محملة بالعدة والسلاح ، وإذا رأيتهم فى ناديهم وقت السلم ، رأيت أحلاما راجحة ، وأيادى ندية لا تُبْقِى على شىء .

إلى هنا ينتهى المدح . وقد كان المألوف فى ترتيب القصيدة الجاهلية أن يختم الشاعر قصيدته .

(٥١—٥٩) ولكن الأعشى يمضى فى الحديث عن ابنة له تخاف عليه مخاطر الطريق فى رحلاته التى لا تكاد تنتهى ، وتشكو إليه وحدتها وانفرادها من بَعْدِه . فيعزيها الشاعر ، ويهدىء مخاوفها ، ضاربا لها الأمثال ، مواسياً بالقصص والأخبار .

تقول ابنتى وقد عزمت على الرحيل : أقم ولا تبرح ، فأنَّا بخير مادمت مقيما . فإذا أضمرتك البلاد جفانا الناس ، وقطعتنا الأرحام ، فنحن والأيتام سواء .

فقلت لها : أفى الأسفار تخافين على الموت ؟ وكم ميِّتٍ مات فى فراشه لم يبرح بلده . وليست هذه يا ابنتى بأولى رحلاتى . فقد طفت فى سبيل المال آفاق الأرض ، وابتغيته فى كل مكان . فلو كانت الرحلة تقتل لقتلتنى هذه الرحلات ، بين عمان وحمص وأرشليم ، وأرض النجاشى وأرض النبيط وأرض العجم ، ونجران وحمير وحضرموت . وفيم خوف الموت يا إبنتى وكل شىء إلى زوال .

٤٥— تَدَلَّى حَثِيثًا كَأَنَّ الصوَا ... رَ أَتْبَعَهُ أَزْرَقِيٌّ لَحِمْ

٤٦— فَأَنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينْ ... عِظَامُ القِبَابِ طِوَالُ الأُمَمْ

٤٧— مَتَى تَدْعُهُم لِلِقَاءِ الحُرُو ... بِ تَأْتِكَ خَيْلٌ لَهُمْ غَيْرُ جُمْ

٤٨— إِذَا مَا هُمُ جَلَسُوا بِالعَشِيِّ ... فَأَحْلَامُ عَادٍ وَأَيْدِي هُضُمْ

٤٩— وَعَوْرَاءَ جَاءَتْ فَجَاوَبْتُهَا ... بِشَنْعَاءَ نَافِيَةٍ لِلرَّقِمْ

٥٠— بِذَاتِ نَنِيٍّ لَهَا سَوْرَةٌ ... إِذَا أُرْسِلَتْ فَهِيَ مَا تَنْتَقِمْ

٥١— تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ ... أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِمْ

٥٢— أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عِنْدِنَا ... فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

٥٣— وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا ... فَإِنَّا نَخَافُ بِأَنْ تُخْتَرَمْ

٥٤— أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا ... دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

٥٥— أَفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى ... وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

٥٦— وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ ... عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ

٥٧— أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ ... وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ العَجَمْ

٥٨— فَنَجْرَانَ فَالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ... فَأَيَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ

٥٩— وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ... فَأَوْفَيْتُ هَمِّي وَحِينًا أَهُمّ

(٤٥—٤٧) حثيثاً سريعاً . أزرقى صقر . لحم قرم إلى اللحم جوعان . القبة الخيمة الضخمة . الامم جمع أم بفتح الهمزة وهو رئيس القوم . رجل أجم لا رمح له وبيت أجم لا رمح فيه .

(٤٨—٥١) يد هضوم تجود بما لديها والجمع هضم (ككتب) . العوراء الكلمة القبيحة . الرقم الداهية . النني ما تناثر من القدر عند الغليان وما تطاير من الماء عن الرشاء ، وما نفته الحوافر من حصى وغيرها . ما تنتقم لا يأخذ أحد بثأرها .

(٥٢—٥٤) رام برح وزال . اخترمه الموت أخذه ، واخترمه المرض أهزله .

(٥٥—٥٧) عمان باليمن وحمص بالشام وأريشلم بيت المقدس وهو الاسم العبرى . النبيط جيل من الأعاجم كانوا يسكنون العراقين سموا بذلك لكثرة الماء فى أرضهم . النجاشى لقب ملك الحبشة .

(٥٨—٥٩) نجران موطن من مواطن النصرانية فى بلاد العرب قبل الاسلام وهى من أرض اليمن . رام الشىء يرومه أراده وطلبه . أوفيت أتممت . الهم الهمة والعزم .

(٦٠—٦٦) ألم ترى إلى (الحَضْر) ، وقد عاش أهله فى طمأنينة ناعمين ، حتى دهمهم (سابور) بجنوده ، يضربون فيه بفئوسهم حولين كاملين . وحاول صاحبه استنقاذه وتحريره ، فهاجمه ليـــلا على غير طائل ، وراح يدعو قومه مستثيراً ، يطلب إليهم أن يموتوا كراما بأسيافهم ، ويستحثهم قائلا : الموت خير من حياة الذل ، وإنما يلقى الموتَ من حُمَّ قضاؤُه .

(٦٧—٧٢) ويختم قصة (الحضْر) بقوله : أليس فى ذلك عبرة للمعتبر ؟

ثم ينتقل إلى قصة مأرب ، وتدمير السيل له . بنته حمير من الرخام ، فحفظ لهم الماء كثيراً موفوراً ، وأروى الزُروع والأعناب ، فعاشوا فى غبطة ونعيم ، حتى دهمهم السيل جارفا ، ففرق شملهم ، وقذف بملوكهم إلى البيداء ، وبَدَّلَهُم من الماء سرابَ الصحراء ، فأصبحوا لايملكون منه شرب صبي مفطوم . . .

٦٠ — أَلَمْ تَرَ الحَضْرَ إِذْ أَهْلُهُ ... بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ
٦١ — أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الجُنُو ... دَ حَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ القُدُمْ
٦٢ — فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً ... وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يَقُمْ
٦٣ — فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِعْلَهُ ... أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمْ
٦٤ — وَكَانَ دَعَا رَهْطَهُ دَعْوَةً ... هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ
٦٥ — فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ ... وَلَلْمَوْتُ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمْ
٦٦ — وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِمَنْ نَالَهُ ... إِذَا المَرْءُ أُمَّتُهُ لَمْ تَدُمْ
٦٧ — فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ... وَمَأْرِبُ قَفَّى عَلَيْهَا العَرِمْ
٦٨ — رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ ... إِذَا جَاءَهُ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمْ
٦٩ — فَأَرْوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا ... عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إِذْ قُسِمْ
٧٠ — فَعَاشُوا بِذَلِكَ فِي غِبْطَةٍ ... فَجَارَ بِهِمْ جَارِفٌ مُنْهَزِمْ
٧١ — فَطَارَ القُيُولُ وَقَيْلَاتُهَا ... بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِمْ
٧٢ — فَطَارُوا سِرَاعًا وَمَا يَقْدِرُو ... نَ مِنْهُ لِشُرْبِ صَبِيٍّ فَطِمْ

(٦٠ — ٦٤) الحضر قصر كان بحيال (تكريت) بين دجلة والفرات بناه الضيزن، وهو رجل من قضاعة ملك على الجزيرة وامتد ملكه للشام. فأغار على بلاد فارس وأخذ أخت ملكها سابور فغزاه. والقصة بتفاصيلها مذكورة فى الأغانى ٢ : ١٤٠ — ١٤٣ (طبعة دار الكتب). الطبرى ١ : ٤٨٤، ٤٨٥ (طبعة مصطفى محمد). شاه بور مركب من شاه أى ملك وبور أى ابن وشاهبور الجنود هو شاهبور بن هرمز. القدم جمع قدوم وهو الفأس. أتاه طروقا أى ليلا. وربه صاحبه. صرم انقطع وانقضى.
(٦٥ — ٦٧) يجشمه يتكلفه ويركبه. ائتسى به تعزى به وجعله أسوة لنفسه ومثلا. قفى عليها العرم عفى عليها السيل.
(٦٨ — ٧٠) لم يرم لم يذهب ولم يبرح. غبطة سرور ونعمة. منهزم له صوت من قولهم انهزم البناء وانهزمت العصا واهتزمت السحابة بالماء أى تشققت مع صوت. جار بهم من الجور وهو الميل والانحراف عن القصد، ومنه جار فلان عن الطريق أى انحرف. جارف سيل يجرف كل ما يصادفه فى طريقه.
(٧١ — ٧٢) القيول جمع قيل وهو لقب لملوك حمير. يهماء صحراء مطموسة المسالك. طم الشىء كثر حتى علا وغلب.

الأعشى هنا رجل قد أسنّ (وقنّعه الشيب منه خمارا) . ولكنه فى عجز الشيخوخة وبرودها ، لا يزال يتحدث عن حرارة الشباب ، وعن (ليلى) رفيقة صباه .

(١ — ٤) بعدت دارها على الحبيب المشتاق ، فلم يستطع إلى زيارتها سبيلا . وبُدِّل بقربها الشوق والحنين المُلِحّ ، ففاضت دموعه كفيض الدلاء ، تتوالى متتابعة ، كأنها حبات عقد من در خانه السلك فانفرط .

(٥ — ٩) ولكن ضعفه لم يكن إلا إلى حين . فقد رجع إلى نفسه متعزياً ، وتماسك مزدجراً ، فأصبح لا يقرب الغانيات ، وإن كان لا يتمالك من الحنين إلى ما فات من عهد الشباب .

يقول لصاحبته متحسراً : إن صاحبك الذى قد عرفته فى ليالى (الجِفار) قد غيرته الأيام . فقد اعتراه الشيب — وإن كان له كارهاً — وأحل به أثقاله ، وبدله من جهالة الصبى حكمة الشيوخ .

(١٠ — ١٣) إن تَرَيْني على ما أنا فيه من شدة فقد قَلَيْتُ الصبى وهجرت الحوانيت ، فلقد أديت للشباب حقه . . . كنت أستبى الحسان ، فأُخْرِجُ الكاعب المختارة من خدرها . وكنت أهلك المال فى الميسر وأشيع القمار حيث حللت . وكنت أشرب الخمر صافية كأنها حدق العيون . أغدو عليها قُبَيْلَ الشروق أشربها وحدى ، أو أتناقلها مع صحبى من الندماء .

— ٥ —

وقال يمدح قيس بن مَعْدِ يكرِب :

(متقارب)

١ — أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ٱبْتِكَارَا ... وَشَطَّتْ عَلَى ذِى هَوًى أَنْ تُزَارَا

٢ — وَبَانَتْ بِهَا غَرَبَاتُ النَّوَى ... وَبُدِّلْتُ شَوْقًا بِهَا وَادِّكَارَا

٣ — فَفَاضَتْ دُمُوعِى كَفَيْضِ الغُرُو ... بِ إِمَّا وَكِيفًا وَإِمَّا ٱنْحِدَارَا

٤ — كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ ... لآلِئَ مُنْحَدِرَاتٍ صِغَارَا

٥ — قَلِيلًا فَثَمَّ زَجَرْتُ الصِّبَى ... وَعَادَ عَلَىَّ عَزَائِى وَصَارَا

٦ — فَأَصْبَحْتُ لَا أَقْرَبُ الغَانِيَا ... تِ مُزْدَجِرًا عَنْ هَوَاىَ ٱزْدِجَارَا

٧ — وَإِنَّ أَخَاكِ الَّذِى تَعْلَمِينْ ... لَيَالِيَنَا إِذْ نَحُلُّ الجِفَارَا

٨ — تَبَدَّلَ بَعْدَ الصِّبَى حِكْمَةً ... وَقَنَّعَهُ الشَّيْبُ مِنْهُ خِمَارَا

٩ — أَحَلَّ بِهِ الشَّيْبُ أَثْقَالَهُ ... وَمَا ٱعْتَرَّهُ الشَّيْبُ إِلَّا ٱعْتِرَارَا

١٠ — فَأَمَّا تَرَيْنِى عَلَى آلَةٍ ... قَلَيْتُ الصِّبَى وَهَجَرْتُ التِّجَارَا

١١ — فَقَدْ أُخْرِجُ الكَاعِبَ المُسْتَرَا ... ةَ مِنْ خِدْرِهَا وَأُشِيعُ القِمَارَا

١٢ — وَذَاتِ نَوَافٍ كَلَوْنِ الفُصُو ... صِ بَاكَرْتُهَا فَادَّمَجْتُ ٱبْتِكَارَا

١٣ — غَدَوْتُ عَلَيْهَا قُبَيْلَ الشُّرُو ... قِ إِمَّا نِقَالًا وَإِمَّا ٱغْتِمَارَا

١٤ — يُعَاصِى العَوَاذِلَ طَلْقُ اليَدَيْنِ ... يُرَوِّى العُفَاةَ وَيُرْخِى الأَزَارَا

(١ — ٣) الابتكار الرحلة فى الصباح المبكر، وكانت العرب تفضله ليتسع الوقت أمام المسافر قبل اشتداد الحرارة . شطت بعدت . بانت بعدت . النوى البعد والفراق . الغربة مفارقة الوطن ، وجمعها غربات . ادكار افتعال من ذكر أبدلت التاء دالا ثم أدغمت الدال فى الذال . الغروب جمع غرب وهو الدلو العظيمة . وكف الدمع انهمر .

(٤ — ٦) الصبى الميل إلى لهو الشباب . صار سكن .

(٧ — ٩) الجفار موضع بالبصرة . الخمار ماتغطى به المرأة رأسها ، وكل ماستر شيئا فهو خماره . اعتره عرض له، والمعتر الذى يتعرض للمسألة ولا يسأل .

(١٠ — ١٤) الآلة الشدة . قليت كرهت . الصبا الميل للهو . التجار يقصد تجار الخمر . المستراة المختارة ، من استريت الشىء إذا اخترت سراته وأحسنه . ذات نواف خمر تنفى القذى من صفائها . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين . أدمج الشىء دخل فيه . النقال مناقلة الأقداح فى مجلس الشرب ، وناقله الأقداح أخذ منه وأعطاه . الاغتمار القليل دون الرى . العفاة جمع عاف وهم الأضياف .

١٤ — طلق اليدين ، أُرَوِّى من يحل بى من الأضياف ، وأجرر الذيل تيها ، معرضاً عن العاذلين .

١٥ — أملأ لصاحبى كوب الساقية ، فلا يصيح ديك الصباح حتى يكون قد انتشى وغشيه الدُّوَار .

١٦ — إذا انكب بينهم الإبريق تراموا به صافياً وهَّاجا فى بياضه أو صفرته ، كأنه الفضة أو الذهب ،

(١٧—١٩) ويستيقظ الشاعر من هذه الأحلام ليجد نفسه من جديد فى برد الشيخوخة وعجزها المقفر ، فيفزع إلى ناقته ، يتناسى فوق ظهرها ما تعلق بنفسه من شوق ومن هموم .

وناقته هذه قوية شديدة ، فهى بقية خمس من النوق البيض الشداد التى تشبه قطيع بقر الوحش ، دُفعَت إلى رجلين عند (الخصُوص) قد حبسا عليها الحشيش .

(٢٠—٢٦) فقاما على خدمتها زمناً جاهِدَيْن ، ووقفا على خدمتها مشتركَيْن ، هذا يعد لها رطب النبات والبقول ، ويجمع ذاك لها الخضار . فكانت ناقته خيرهن وأجلدهن ، تروق الأنظار ، وتنهض بأشق الأسفار . ولكن هذه الناقة الضخمة الجلدة ، لم تُبْقِ منها الرحلة الطويلة المضنية إلا أخفافا قد براها السير ، وأضلعاً قد أبرزها الهزال فظهرت فى جنبيها آثار السيور والحبال ، وبرزت سلسلة ظهرها متلاحمة متماسكة الفقار .

(٢٧—٣٠) وكأن ناقته تشتكى إليه آلامها فيقول لها : لا تشتكى إلى الحَفَى وطول السُّرى ، واصبرى على مشاق السفر آناء الليل وأطراف النهار ، حتى تلاقى قيساً وشيعته ، مَسَاعِيرَ الحروب وأبطالَها .

١٥— فَلَمْ يَنْطِقِ الدِّيكُ حَتَّى مَلَأْ ... تُ كُوبَ الرَّبَابِ لَهُ فاسْتَدَارَا
١٦— إِذَا انْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ ... تَرَامَوا بِهِ غَرَبًا أَو نُضَارَا
١٧— وَشَوْقٍ عَلُوقٍ تَنَاسَيْتُهُ ... بِجَوَّالَةٍ تَسْتَخِفُّ الضِّفَارَا
١٨— بَقِيَّةِ خَمْسٍ مِنَ الرَّامِسَا ... تِ بِيضٍ تُشَبِّهُهُنَّ الصُّوَارَا
١٩— دُفِعْنَ إِلَى اثْنَيْنِ عِنْدَ الخُصُو ... صِ قَدْ حَبَسَا بَيْنَهُنَّ الأُصَارَا
٢٠— فَعَادَا لَهُنَّ وَرَازَا لَهُنَّ ... وَاشْتَرَكَا عَمَلًا وَأْتِمَارَا
٢١— فَهَذَا يُعِدُّ لَهُنَّ الخَلَى ... وَيَجْمَعُ ذَا بَيْنَهُنَّ الخِضَارَا
٢٢— ....
٢٣— فَكَانَتْ سَرِيَّتَهُنَّ الَّتِي ... تَرُوقُ العُيُونَ وَتَقْضِي السِّفَارَا
٢٤— فَأَبْقَى رَوَاحِي وَسَيْرُ الغُدُوِّ ... مِنْهَا ذَوَاتَ حِذَاءٍ قِصَارَا
٢٥— وَأَلْوَاحَ رَهْبٍ كَأَنَّ النُّسُوعَ ... أَبَنَّ فِي الدَّفِّ مِنْهَا سِطَارَا
٢٦— وَدَأْيًا تَلَاحَكْنَ مِثْلَ الفُؤُوسِ ... لَاحَمَ مِنْهَا السَّلِيلُ الفِقَارَا
٢٧— فَلَا تَشْتَكِنَّ إِلَيَّ الوَجَى ... وَطُولَ السُّرَى وَاجْعَلِيهِ اصْطِبَارَا
٢٨— رَوَاحَ العَشِيِّ وَسَيْرَ الغُدُوِّ ... يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى تُلَاقِي الخِيَارَا
٢٩— تُلَاقِينَ قَيْسًا وَأَشْيَاعَهُ ... يُسَعِّرُ لِلْحَرْبِ نَارًا فَنَارَا

(١٥ — ١٨) الرباب اسم للمرأة أو هي امرأة الخمار . أزهر إبريق أبيض . ترامَوا به تداولوه وأداروه . غربا فضة . نضاراً ذهبا . علوق عاشق معلق القلب بمن يحب . بجوالة ناقة كثيرة الجولان . الضفار الزفيف، من ضفر الرجل في عدوه إذا وثب، وقيل أسرع . الرامس كل دابة تخرج بالليل . الصوار قطيع البقر .

(١٩ — ٢١) الخصوص جمع خص وهو بيت يتخذ من عيدان القصب وأغصان الشجر ، سمي خصا لما فيه من الخصاص وهي الفتحات التي تتخلل العيدان . الاصار الحشيش . راز الرجل الشيء قام عليه وأصلحه . الخلى الرطب من النبات والبقول .

(٢٣ — ٢٥) سريتهن خيرتهن . ذوات حذاء قصارا، أراد أنها مجموعة الأخفاف ليست بمنتشرة ، وهو من صفات العتق والنجابة في الابل . الرهب الناقة المهزولة . النسوع السيور التي يشد بها الرحل . الدف الجنب . سطارا آثارا .

(٢٦ — ٢٩) الدأى الفقار . تلاحكن تلازمن . السليل النخاع، أو هو طرائق لحم طوال مع الصلب (سلسلة الظهر) واحدها سليلة ، أراد أن اللحم التحم بالفقار . وجى الماشي أي حفي قدمه ، والوجى أن يشتكي البعير باطن خفه . يد الدهر مثل أبد الدهر .

(٣١ــ٣٥) ويشير الشاعر إلى ابنته التى تحدث عنها فى القصيدة السابقة ، إذ تقول له وقد حزم أمره على الرحلة لممدوحه (أىَّ أبٍ كنتَ لى أعتز برعايته ، وأىَّ جار كنتُ أجد الأُنس فى قربه)

ثم يتجه الشاعر إلى قومه ، يدعوهم لمحالفة قيس بن معديكرب . وهنا نرى صورة الشاعر القديم الذى كان يلعب دوراً سياسياً مهماً فى قبيلته . فهو لسانها ، تسخره فى خدمتها فيستجيب لمطالبها ، ولكنه سيدها وزعيمها فى نفس الوقت ، يوجهها ويؤثر فى سياستها .

يحبب الأعشى إلى قومه من بكر بن وائل حلف قيس بن معديكرب قائلا : حالفوا صاحبكم إن كنتم تريدون عونا وظهيراً من ملك قوى . وإنه لنعمة من الله أن حباكم به ، وجعله من نصيبكم ، يُوسِّطُكُم ملكه ويستشيركم ويظلكم بحمايته ، فتعتزون فى جواره .

(٣٦ــ٣٩) ويمضى الشاعر فى تصوير ممدوحه من كل جوانبه القوية المحببة ، وكأنه يصور مُثُلَهُ ومُثُلَ العصر وَقِيَمَه مجسمةً فيه . فهو يسخو بالبذل مختاراً على من يحل به من لاجئين . وهو صاحب الحرب إذا استحكمت . أحل الدمار بالحمار (وهم قبائل ضبة وعبس والحارث بن كعب) ونازل عبساً ودُودَان ، فرفع ووضع ، وأعز وأذل .

(٤٠ــ٤٤) ذلك عطاء الله الذى يعلم السر ويجيب نجوى المتضرع إليه .

كم حيٍّ قد أذل هذا الملك الجبار ، فسبى نساءهم ، وفيهن الغانية المترفة الممتلئة الجسم ، فهى لضخامة أردافها تأتزر بثوبين قد لُفِقَ أحدُهما إلى الآخر ، وهى لفرط جمالها تعلق التمائم دفعاً لحسد الحاسدين ، وصيانة لجمالها من أعين الشريرين . ولا تقوم من فراشها لتشرب الغبوق إلا بعد أن يرتفع النهار .

فجعها هذا الملك فى أهلها ، فصارت إليه سَبِيَّةً مملوكة ، يستمتع بجمالها معانقاً ، فلا تزال تتحامل على نفسها محاولة النهوض حين تدعو الله مبتهلة إليه .

ويؤكد الأعشى لقيس ولاءه ، وأنه لن يتحول عن عهده ، ولن يستبدل به أحداً .

٣٠ــ فأنّكِ طَــالِبَةٌ شَأْوَه وإنَّكِ ....

٣١ــ تَقُولُ ابنَتِي حِينَ جدَّ الرَّحِيــــلُ أَبْرَحْتَ رَبًّا وأَبْرَحْتَ جَارَا

٣٢ــ فَمَنْ مُبْلِغٌ وائِلاً قَومَنَا وأَعْنِي بذلك بَكْرًا جِمَارا

٣٣ــ فَدُونَكُمُ رَبُّكُمْ حَالِفُوه إِذَا ظَــاهَرَ المُلْكُ قَوْمًا ظِهَارَا

٣٤ــ فأَنَّ الأِلَهَ حَبَاكُمْ به إِذَا اقْتَسَمَ القَوْمُ أَمْرًا كُبَارَا

٣٥ــ فأنَّ لكُمْ قُرْبَهُ عِزَّةً وَوَسَّطَكُمْ مُلْكَهُ واسْتَشَارَا

٣٦ــ فأنَّ الذى يُرْتَجَى سَيْبُهُ إِذَا مَا تَحُلُّ عَلَيْهِ اخْتِيَارا

٣٧ــ أَخُو الحَرْبِ إِذْ لَقِحَتْ بَازِلاً سَمَا للعُلا وأَحَلَّ الحِمَارَا

٣٨ــ وسَاوَرَ بِالنَّقْعِ نَقْعِ الكَثِيــب عَبْسًا وذُودَانَ يَوْمًا سِوَارَا

٣٩ــ فأَقْلَلْتَ قَوْمًا وأَعْمَــرْتَهُم وأَخْرَبْتَ مِنْ أَرْضِ قَوْمٍ دِيَارا

٤٠ــ عَطَاءَ الأِلَهِ فَأَنَّ الأِلَــهَ يَسْمَعُ فِي الغَـامِضَاتِ السِّرَارَا

٤١ــ فَيَارُبَّ نَاعِيَةٍ مِنْهُمُ تَشُدُّ اللِّفَـاقَ عَلَيهَا إِزَارَا

٤٢ــ تَنُوطُ التَمِيمَ وَتأْبَى الغَبُوقَ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ إِلاَّ نَهَارَا

٤٣ــ مَلَكْتَ فَعَانَقْتَهَا لَيْلَةً تَنُصُّ القُعُودَ وتَدْعُو يَسَارَا

٤٤ــ فلا تَحْسَبَنِّى لَــكُمْ كَافِرًا وَلاَ تَحْسَبَنِّى أُرِيدُ الغِيَارَا

(٣٠ ــ ٣٨) أبرح فلان رجلا وأبرح فارساً عبارة للتعجب . جاراً جماعة ، يقال تجمر بنو فلان أى تجمعوا . ربكم سيدكم . ظاهر عاون . البازل البعير إذا بزل نابه أى شق وظهر . وبزل الأمر والرأى استحكم . أحل الحمار استباحهم وجعلهم حلالا . الحمار ضبة وعبس والحرث بن كعب . النقع غبار المعركة . ساور واثب .

(٣٩ ــ ٤١) أقل الشىء حمله ورفعه . أعمرته داراً أو إبلا أعطيته إياها . السرار المناجاة مصدر سار على وزن فاعل أى ناجى . اللفاق ثوبان يلفق أحدهما بالآخر . الازار الملحفة وكل ماستر ، يريد أنها لا تأتزر من عظم عجيزتها إلا بثوبين .

(٤٢ ــ ٤٤) تنوط تعلق . التميم والتميمة عوذة تعلق مخافة الدين والحسد . الغبوق شرب الصباح . نص الشىء رفعه واظهره . ونص الرجل عنقه نصبه . يسار شعار لهم بالخير ، واليسر ضد العسر وهو السهولة والخير . الغيار التغيير اى لا اريد بك بدلا .

(٤٥—٤٩) ويقول إن قيساً قد أقام الأمر بعد فساده ، حتى مل النـاس الانتظار والصبر على هذا الاضطراب الذى يتخبطون فيه تخبط الناقة الغريبة حلت فى أرض مجهولة ، فهى مشفقة من الموت ، لا تدرى أى طريق تسلك إلى المـاء .

وكأن الشاعر قد صحب الممدوح فى بعض غاراته بمكان اسمـه (لعلع) ، وتعرض للوقوع فى الأسر ، حتى أنقذ مع صحبه بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفراً ، فسجدوا له شكراً وتعظيما ، رافعين أيديهم بالريحان — تحيةَ الملوك — هاتفين (عَمْرَكَ الله !) .

(٥٠—٥٤) وقد عاد المُلْك إلى نصابه ، ورجع إلى صاحبه خير الملوك ، واستقر بعد اضطراب ، ولكل نبأ مستقر . رجع إلى حامل العبء عن أهله فى النائبات ، إلى القوى الأمين الذى لا يُفَزَّع جاره ، ولا يذهب الغضب أو الهلع بحلمه . إلى الوفى الذى يقيم على ميثاقه ، ولا يُضيع فى يومه ما أعطى من عهـد فى أمسه . إلى الـكريم الذى يهب كرام النوق ، قد ضَرَبَت الحمرةُ فى لونها الأبيض من طِيبِ المرعى ومن أثر السمن .

(٥٥—٥٩) فكأنه فى كرمه نهر جياش ملتطم الأمواج ، قد هيَّجته الرياح ، فتدفق ماؤه ، يروى الزروع ، ويعلو الديار ، وتتحطم على شاطئيه الأشجار ، وتكاد السفن تنقلب فيه ، وقد رهب نوتيُّها أمواجه وأنواءه، فحط قلاعه ، وأرخى حباله . كيف لا ، وهو يختار هباته ، ويجود بأحسن ماعنده ، فيعطى — فيما يعطى — الإبلَ مائة مائة ، عشاراً تضع أثقالها عن قريب ، أو مخاضاً تتهيأ للنتاج .

٤٥— فأنّى وَجَدّكَ لَوْلَا تَجِيءُ ... لَقَدْ قَلِقَ الخُرْتُ أنْ لا انْتِظَارَا
٤٦— كَطَوْفِ الغَرِيبَةِ وَسْطَ الحِيَاضِ ... تَخَافُ الرَّدَى وتُرِيدُ الجِفَارَا
٤٧— ويَوْمٍ يُبِيلُ النِّسَاءَ الدِّمَا ... جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهِ خِمَارَا
٤٨— فيالَيْلَةٍ لِيَ فِي لَعْلَعٍ ... كَطَوْفِ الغَرِيبِ يَخَافُ الإِسَارَا
٤٩— فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى ... سَجَدْنَا لَهُ ورَفَعْنَا عَمَارَا
٥٠— فَذَاكَ أَوَانُ التُّقَى والزَّكَى ... وذَاكَ أَوَانٌ مِنَ المُلْكِ حَارَا
٥١— إِلَى مَلِكٍ خَيْرِ أَرْبَابِهِ ... وَإِنَّ لِمَا كُلِّ شَيْءٍ قَرَارَا
٥٢— إِلَى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْلِهِ ... إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارَا
٥٣— وَمَنْ لَا تُفَزَّعُ جَارَاتُهُ ... وَمَنْ لَا يُرَى حِلْمُهُ مُسْتَعَارَا
٥٤— وَمَنْ لَا تُضَاعُ لَهُ ذِمَّةٌ ... فَيَجْعَلَهَا بَيْنَ عَيْنٍ ضِمَارَا
٥٥— وَمَا رَائِحٌ رَوَّحَتْهُ الجَنُوبُ ... يُرَوِّي الزُّرُوعَ وَيَعْلُو الدِّيَارَا
٥٦— يَكُبُّ السَّفِينَ لِأَذْقَانِهِ ... وَيَصْرَعُ بِالعِبْرِ أَثْلًا وزَارَا
٥٧— إِذَا رَهِبَ المَوْجَ نُوتِيُّهُ ... يَحُطُّ القِلَاعَ وَيُرْخِي الزِّيَارَا
٥٨— بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِأُدْمِ العِشَا ... رِ لَطَّ العَلُوقُ بِهِنَّ احْمِرَارَا
٥٩— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ إِمَّا مَخَاضًا وإِمَّا عِشَارَا

(٤٥ — ٤٧) قلق خرت فلان أى فسد أمره ، والخرت ثقب الأذن والإبرة ، تقول أضيق من خرت الإبرة . الغريبة الناقة الغريبة . الجفار الآبار جمع جفر (بفتح الجيم وسكون الفاء) وهى المتسعة غير البعيدة القعر . الرداء السيف . جعلت رداءك خماراً أو قنعت سيفك رؤوس القوم ، يقال عممه بسيفه أى ضربه به على رأسه .

(٤٨ — ٥١) لعلع جبل كانت به وقعة . العمارة (بفتح العين) ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله : عمرك الله ، والجمع عمار . الزكى الزيادة . حار رجع . لما كل شيء ، ما زائدة ، أى لكل شيء .

(٥٢ — ٥٤) الهنات جمع هنة والهنة الشيء أياكان . العين الحاضر . الضمار خلاف العيان وهو ماغاب أو هو مالا تكون منه على ثقة .

(٥٥ — ٥٩) راح الشجر والنهر وجد الريح فهو رائح ، وروحته الريح أصابته . يكب السفين لأذقانه أى يقلبه على وجهه . العبر الشط . الأثل والزار شجر . يحط القلاع ينزلها ويرخيها حتى لا يقلب الريح السفينة وذلك بارخاء الزيار وهى الحبال .
الأدم البيض . العشار الحوامل وهى أثمن وأغلى لما فى بطونها . العلوق الرعى . المخاض التى دنت ولادتها .

(٦٠—٦٤) ويهب — فيما يهب — كل فرس جواد ، فى لونه الأحمر الداكن اللداع ، وكأنه لوضاءته واكتنازه قد دهن جلده بالزيت . إذا أرسل فى الغارة وسط ألف من الخيل بذها جميعاً .

وممدوحه — مع ما اتصف به من كرم وقوة ووفاء — تقى يراقب ربه . وليس الراهب المعتكف فى هيكله أمام صليبه ، دائباً على صلواته سجوداً وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى فى الحساب ، إذا تحركت الريح فى الليل ، هينة بليلة تنفض الغبار .

(٦٥—٧٠) وإنك لأورى الملوك زناداً ، تتوقد ذكاء، وتتحفز يقظة ونشاطاً . كأنك الزند ينقدح فى شجر (المرخ)أو (العفار) السريع الاتقاد . فكل زند بجانب زندك كابٍ قصير . ولو شئت لقدحت الحجر فى شجر (النبع)الصلب فاتقد ناراً .

ويدفع الشاعر عن نفسه فى ختام القصيدة ما يتهم به عند الممدوح ، من أنه يسطو على شعر غيره من الشعراء فينتحله ، فيقول : أأنتحل الشعر بعد المشيب ، وقد أفنيت شبابى ووقفت زهرة عمرى على تجويده ، حابساً نفسى عليه، مقيداً فى بيته كما تقيِّد السيورُ أحناء السرج ! ويختم القصيدة بقوله — مخاطباً الممدوح — : أنت لى فى حياتى كل شىء . فأن ذهبت عنى فما أبالى شيئاً . فاذا وارتك الأرض فى بطنها ، فلا مطرتها سماء ، ولا جادها سحاب .

٦٠ــ وكُلَّ كُمَيْتٍ كَأَنَّ السَّلِي ... طَ في حَيْثُ وَارَى الأَدِيمُ الشِّعَارَا

٦١ــ بِهِ تُرْعِفُ الأَلْفُ إِذْ أُرْسِلَتْ ... غَدَاةَ الصَّبَاحِ إِذَا النَّقْعُ ثَارَا

٦٢ــ وَمَا أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ ... بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا

٦٣ــ يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِي ... كِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا

٦٤ــ بِأَعْظَمَ مِنْهُ تُقًى فِي الحِسَابِ ... إِذَا النَّسَمَاتُ نَفَضْنَ الغُبَارَا

٦٥ــ زِنَادُكَ خَيْرُ زِنَادِ المُلُو ... كِ خَالَطَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفَارَا

٦٦ــ فَإِنْ يَقْدَحُوا يَجِدُوا عِنْدَهَا ... زِنَادَهُمُو كَابِيَاتٍ قِصَارَا

٦٧ــ وَلَوْ رُمْتَ فِي لَيْلَةٍ قَادِحاً ... حَصَاةً بِنَبْعٍ لأَوْرَيْتَ نَارَا

٦٨ــ فَمَا أَنَا أَمْ مَا انْتِحَالِي القَوَا ... فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا

٦٩ــ وَقَيَّدَنِي الشِّعْرُ فِي بَيْتِهِ ... كَمَا قَيَّدَ الآسِرَاتُ الحِمَارَا

٧٠ــ إِذَا الأَرْضُ وَارَتْكَ أَعْلَامُهَا ... فَكَفَّ الرَّوَاعِدُ عَنْهَا القِطَارَا

(٦٠ — ٦٤) السكيت الفرس تضرب حمرته للسواد . السليط دهن السمسم . الشعار جمع شعر . وفى التعبير قلب ، والمقصود حيث وارى الشعر الاديم وهو الجلد . فرس راعف سابق ، ورعف الفرس الخيل سبقها . أيبلى صاحب أيبل وهى العصا التى يدق بها الناقوس . الهيكل موضع فى صدر الكنيسة يقرب فيه القربان . صلب صور فيه الصليب . صار سكن . راوح بين العملين تداول هذا مرة وهذا مرة . جأر إلى الله تضرع بالدعاء . النسيم نفس الريح إذا كان ضعيفاً وأولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد .

(٦٥ — ٦٧) المرخ والعفار شجرتان تقدح فيهما النار لانهما توريان سريعاً وخشبهما هش رخو . كبا الزند لم يور . والنبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . والحصى صغار الحجارة . والحصى لايورى والنبع لا يتقد إلا بصعوبة لصلابته .

(٦٨ — ٧٠) ما أنا أم ما انتحالى القوافى ، ينفى عن نفسه ما اتهم به عند الممدوح من أنه يسطو على شعر غيره وينتحله لنفسه . الحمار ثلاث خشبات تعرض عليها خشبة وتؤسر بها أى تربط وهى هيكل السرج . والآسرات السيور التى يربط بها السرج . ويسمى الحمار أيضا القتب والاكاف . أعلام الارض جمع علم وهو حجر منصوب فى الطريق يهتدى به ، ويقصد به الحجر الذى يعلم به القبر . الرواعد السحب التى ترعد وتبرق لكثافتها . القطار جمع قطر (بفتح فسكون) وهو المطر

بنو شيبان من أكبر فروع بكر . منهم قيس بن مسعود الذى ضمن للفرس على بكر أن لا يدخلوا السواد (العراق) ولا يفسدوا فيه ، فأقطعوه فى مقابل ذلك «الأبلة» وما والاها . ومنهم ابنه بسطام ، فارس شيبان فى الجاهلية . ومنهم هانى بن قبيصة الشيبانى ، الذى أودع عنده النعمان بن المنذر أسلحته حين استدعاه كسرى ، فلما علم كسرى بذلك طلب منه الأسلحة فامتنع عليه ، فكان ذلك فيما يروى بعض الرواة سبب حرب ذى قار . ومنهم الحوفزان حارثة بن شريك . ومنهم أبو ثابت يزيد بن مسهر الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، وهو أحد زعماء بكر يوم ذى قار . وقد ظهر منهم فى الاسلام رجال ، منهم الضحاك بن قيس الخارجى ، والمثنى بن حارثة .

وترتيب أبيات القصيدة كما هو مثبت هنا نقلا من الديوان الذى نشره « geyer » مضطرب كثير الاختلاط . وقد أورد الناشر فى الملاحق التى علق فيها على الديوان روايات مختلفة لترتيب الأبيات ، بعضها مأخوذ عن نسخ من مخطوطات الديوان ، وبعضها مأخوذ عن كتب الادب التى روت القصيدة . وخير هذه الروايات ، وأقربها إلى الصحة ، وأدناها إلى المنطق والاتساق ، واطراد السياق ، هو الترتيب الذى نقله عن إحدى نسخ الديوان المخطوطة . وسنثبته بالاشارة إلى أرقام الأبيات :

١ — ٨ ثم ١١ — ٢٠ ثم ٩ ، ١٠ ثم ٢١ ثم ٣٤ — ٤٢ ثم ٤٤ ثم ٤٣ ثم ٣١ — ٣٣ ثم ٢٢ — ٢٥ ثم ٢٧ — ٣٠ ثم ٤٥ — ٤٧ ثم ٤٩ — ٥٢ ثم ٥٤ — ٥٦ ثم ٥٣ ثم ٦٢ — ٦٤ ثم ٦١ ثم ٥٨ ، ٥٩ ثم ٥٧ ثم ٦٥ ، ٦٦ ثم ٦٠

وسنسير فى تلخيصنا للقصيدة على هذا الترتيب الذى نرجحه .

وقصة هذه القصيدة فيما يروى صاحب الاغانى(١) أن رجلا اسمه ضبيع من بنى كعب بن سعد (أحد بيوت قيس بن ثعلبة ، بيت الاعشى) قتل رجلا اسمه زاهر بن سيار من بنى همام (أحد بيوت ذهل بن شيبان ، بيت يزيد بن مسهر)وكان ضبيع لا يعدل زاهراً . فلما هم بنو سيار أن يأخذوا بثأر زاهر نهاهم يزيد بن مسهر الشيبانى أن يقتلوا به ضبيعاً وقال : اقتلوا به سعيداً (وهو أحد بنى سعد بن مالك بن ضبيعة) .

فلما بلغ بنى قيس (قبيلة الاعشى) ذلك ، هاجه الاعشى بهذه القصيدة . وهو يطالب إليه فيها أن يدع بنى سيار وبنى كعب وحدهم . فانه إن أمان بنى سيار ، لم يكن لقومه بد من أن يعينوا بنى كعب .

(١ — ٤) يبدأ الأعشى قصيدته مودعا صاحبته « هريرة » . فقد تهيأ الركب للرحيل ، ولم يعد من الوداع بد . ولكن الضعف لا يلبث أن يدركه ، فيخاطب نفسه قائلا : « وهل تطيق وداعا أيها الرجل ؟ »

ويسيطر على الأعشى خيال صاحبته ، ويتمثل له أمام عينيه ، فيمضى فى تصويرها متحسراً . .

بشرة وضيئة بيضاء ، وشعر غزير مسترسل ، وثغر صقيل ناصع البياض . تخطر متمهلة حين تمشى حتى يخيل إلى الناظر أنها تسير فى أرض قد كستها الأوحال فهى تخشى الزلل ، أو كأنها تشتكى ألما فى بطن رجلها فهى لا تكاد تقوى على الإسراع . فهى تمشى وادعة فى خفة ورشاقة كأنها سحابة تسبح فى الفضاء متمهلة . يوسوس الحلى فى معصميها وساقيها كأنه حب (العِشْرِق) قد حركته الريح .

(٥ — ٧) لم يكن هو وحده الذى يحبها ، فقد كانت حبيبة إلى كل الناس . وكان خلقها السمح يقربها إلى كل من جاورها . لم تكن تؤذى أحداً ، ولم تكن تزج بنفسها فيما لا يعنيها من شئون الناس ، فتسترق السمع إلى أسرارهم . كانت كريمة العنصر مترفة ، لم تتعود الكد والكدح ، فهى لا تكاد تنهض

---

(١) ج ٨ ص ٩٦

وقال لبيد بن مُسْهِر — أبي ثابت — الشَّيْباني . (قال أبو عُبَيْدَة : قرأتها على أبي عَمرو بن العَلَاء .)

١ — وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أيُّهَا الرَّجلُ   (بسيط)
٢ — غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوارِضُهَا   تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ
٣ — كأنَّ مِشْيَتَهَا مِن بَيْتِ جارَتِهَا   مَرُّ السَّحَابَةِ ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ
٤ — تَسْمَعُ للحَلْيِ وسْوَاسًا إذا انصَرَفَتْ   كما استَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
٥ — لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيرَانُ طَلْعَتَها   ولا تَرَاهَا لِسِرِّ الجَارِ تَخْتَتِلُ
٦ — يَكَادُ يَصْرَعُهَا — لَوْلَا تَشَدُّدُهَا —   إذا تَقُومُ إلى جارَاتِهَا الكَسَلُ
٧ — إذا تعَالِجُ قِرْنًا سَاعَةً فَتَرَتْ   واهتَزَّ منها ذَنُوبُ المَتْنِ والكَفَلُ
٨ — صِفْرُ الوِشَاحِ ومِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ   إذا تَأَتَّى يَكَادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ
٩ — صدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا ما تُكَلِّمُنَا   جَهْلاً بِأُمِّ خُلَيْدٍ . حَبْلَ مَنْ تَصِلُ ؟
١٠ — أأَنْ رأَتْ رجلاً أعْشَى أضَرَّ به   رَيْبُ المَنُونِ ودَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ ؟
١١ — نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُها   لِلَذَّةِ المَرْءِ لا جَافٍ ولا تَفِلُ
١٢ — هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا   كأنَّ أخْمَصَها بالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ
١٣ — إذا تَقوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً   والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِن أرْدَانِهَا شَمِلُ

(١ — ٣) غراء بيضاء . فرعاء كثيرة الشعر طويلته . العوارض ما يبدو من الاسنان عند الابتسام . الوجى الذى حق قدمه أو حافره . الريث البطء .

(٤ — ٦) الوسواس والوسوسة صوت الحلى . العشرق شجيرة مقدار ذراع فيها حب صغار ، إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى . الزجل الصوت الرفيع العالى . تختتل تتسمع استراقا .

(٧ — ٩) قرنا صاحبا . الذنوب اللحمتان الناتئتان فى أعلى الفخذ من العجيزة . صفر الوشاح دقيقة الخصر ، والوشاح أديم عريض يرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . ملء الدرع كبيرة الارداف ، والدرع القميص . بهكنة ضخمة الخلق . تأتى أى تتأتى وتترفق . ينخزل ينبت وينقطع .

(١٠ — ١١) دهر مفند ، الفند (بفتح الفاء والنون) الفساد . ريب المنون نوائب الدهر . خبل من الخبل وهو فساد العقل . الدجن اليوم الغائم أو الممطر . جاف غليظ غير رفيق . تفل منتن .

(١٢ — ١٣) هركولة عظيمة الوركين . فنق منعمه مترفة . درم العظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم . المرفق عظم المفصل فى الذراع . الاخمص مادخل من باطن القدم فلم يصب الارض . الاصورة جمع صوار (بضم الصاد) وهو الوعاء الذى يحرق فيه المسك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالحربة ، ويغلب عليه اللون الحمرى . الأردان جمع ردن (بفتحتين) وهو النزل والخز . شمل منتشر ، من قولهم شمل الأمر القوم أى عمهم .

لمـا ينهض له النساء من معالجة شئون البيت ، فهى لذلك مِكْسَال ، لا تقوم لجارتها إلا تحاملت على نفسها متشددة . ولا تكاد تعالج قريناً حتى يسرع إليهـا الوهن والفتور ، فيهتز جسمها الناعم الريان ، وتضطرب معه أردافها الضخمة البَضّة .

٨ — يجفو وشاحها عن خصرها فلا يمسه لدقته ، وتملأ أردافهـا القميص حتى يضيق بها . إذا تثنت مترفقة خيل إليك أن خصرها الناحل سينبت وينقطع . . .

(١١—١٣) ويجمح بالشاعر خياله ، وقد اختلطت شهوته العارمة المفترسة ، بهذه النظرات المدققة ، التى تنفذ إلى مواضع الفتنة والإغراء لتتصور ما وراء الثياب ، فيود لو أنه خلا بها ، فصرعها فى غداة يوم غائم مطير ، وأشبع نهمه وأرضى لذته بجسمها الريان ، وشبابها النـاعم ، ومرفقيها الصغيرين وقد اختفت عظامهما فى ساعديها الممتلئين ، وقدميها الصغيرتين وقد جفا بطناهماعن الأرض لا يكادان يمسانها ،كأنهما مبطنتان بالشوك ، ورائحتها العبقة التى يضوع منها المسك حتى يمتلىء به طريقها حين تسير ، مختلطاً برائحة الياسمين الذى يعطر أردانها . . .

(١٤—١٦) ليست روضة قد أزهرت ورودها ، فى ربوة لا تطأها الأقدام ، ولا تعبث بها الأيدى ، قد جاد عليها المطر ، وأشرقت عليها الشمس ، فانعكست على جداولها المحفوفة بالنبات وقت الغروب، حين يهدأ الكون ، وتتضوع ريح الورد ، بأطيب منها نَشْراً ، ولا هى أحلى منها رائحة . . .

(١٧—١٩) عرضت له هريرة فتعلق بحبها ولم يسع إليه . ولـكنها تحب رجلا غيره . ومن عجب أن هذا الذى تحبه لا يبادلها الحب ، لأنه يحب فتاة أخرى . فهى تتعلق برجل لا يأبه لها ، وفى بنى عمها من قتله حبها وأذهل عقله . وكذلك هو يحبها فلا تلتفت إليه ، وفى الحى فتاة أخرى قد تعلق قلبهـا به ولـكنها لا تلائمه . . .

ويضحك الأعشى من أمره وأمر الناس قائلا : « هل رأيت أعجب من هذه المصادفات ، التى ألفت بين هذه المجموعة من أصحاب الحب الفاشل ؟ »

— ٦ —

١٤ — ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ

١٥ — يُضَاحِكُ الشَّمْسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

١٦ — يومًا بأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأَحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ

١٧ — عُلِّقْتُهَا عَرَضًا ، وعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِى، وعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

١٨ — وعُلِّقَتْهُ فَتَاةٌ ما يُحَاوِلُهَا ... مِنْ أَهْلِهَا مَيِّتٌ يَهْذِى بها وَهِلُ

١٩ — وعُلِّقَتْنِى أُخَيْرَى ما تُلائِمُنِى ... فاجتَمَعَ الحُبُّ حُبًّا كُلُّهُ تَبِلُ

٢٠ — فكُلُّنَا مُغْرَمٌ يَهْذِى بصاحِبِهِ ... نَاءٍ ودانٍ ومَخْبُولٌ ومُخْتَبِلُ

٢١ — قالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... وَيْلِى عَلَيْكَ وَوَيْلِى مِنْكَ يا رَجُلُ

٢٢ — يامَنْ يَرَى عَارِضًا قَدْ بِتُّ أَرْقُبُهُ ... كأَنَّمَا البَرْقُ فى حَافَاتِهِ الشُّعَلُ

٢٣ — لَهُ رِدَافٌ وَجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ ... مُنَطَّقٌ بِسِجَالِ المَاءِ مُتَّصِلُ

٢٤ — لم يُلْهِنِى اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبُهُ ... ولا اللَّذَاذَةُ من كأسٍ ولا الكَسَلُ

٢٥ — فَقُلْتُ للشَّرْبِ فى «دُرْنَى» وقَدْ ثَمِلُوا ... شِيمُوا، وكيفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ ؟

٢٦ — بَرْقًا يُضِىءُ على الأَجْزَاعِ مَسْقِطُهُ ... وبالخَبِيَّةِ منهُ عَارِضٌ هَطِلُ

٢٧ — قَالُوا نِمَارٌ فَبَطْنُ الخَالِ جَادَهُمَا ... فالعَسْجَدِيَّةُ فالأَبْلاءُ فالرِّجَلُ

٢٨ — فالسَّفْحُ يَجْرِى فَخِنْزِيزٌ فَبُرْقَتُهُ ... حَتَّى تَدَافَعَ مِنْهُ الرَّبْوُ فالجَبَلُ

(١٤ — ١٧) الحزن المرتفع من الارض . ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لان الريح تهب عليها فتهيج رائحتها ولان الانعام لا تطأها . مسبل أى مطر مسبل ، وأسبل المطر أنزل الماء . كوكب الماء بريقه . شرق زاه . مؤزر لابس إزارا وكأن النبات حلة تكسوه . مكتهل قد بلغ وتم . النشر تضوع الرائحة وانتشارها . الاصيل وقت الغروب .

(١٨ — ٢٠) الوهل ذهاب العقل . والتبل كذلك . حبل الصيد أخذه فى الحبالة فالصيد محبول . واحتبل الرجل الصيد أخذه بالحبالة فالصائد محتبل (على البناء للفاعل) .

(٢١ — ٢٤) العارض السحاب المعترض . رداف ذيل . جوز وسط . مفأم ممتلىء بالماء . عمل دائم متصل . السجال جمع سجل (بفتح السين) وهو الدلو .

(٢٥ — ٢٨) درنى كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة ، أو هى موضع باليمامة . شام البرق والسحاب نظر إليه وقدر أين يمطر . الأجزاع جمع جزع (بكسر الجيم) وهو منعطف الوادى أو المشرف من الارض . الخبية موضع بين الكوفة والشام . نمار جبل لبنى سليم . بطن الخال موضع وجبل . جادهما مطر عليهما العارض . الرجل موضع باليمامة . البرقة أرض ذات حجارة ورمل وطين . الربو مرتفع من الارض . السفح وخنزير موضعان .

٢٠ــ فكلنا مغرم يهذى بصاحبه ، بين بعيد وقريب ، وصيد وقع فى الحبالة وصياد يبتغى الصيد .

٩ ــ وقد صدت عنه صاحبته جهلاً بقدره ، فهو يعجب لأمرها ويقول : حبلَ من تصلين إن قطعتنى ؟ ومن أحق منى بهذا الوصل ؟

١٠ــ إنكِ لم ترينى فى شبابى وفى إقبال الأيام على . رأيتِ رجلا قد أضر به رَيْبُ الزمان وعضةً دهر فاسد مخبول .

٢١ــ فلقيتنى لقاء خشناً جافياً ، إذ جئتك زائراً فتقولين : « ويلى عليك وويلى منك يارجل ! »

ليتك قد رأيتنى فى شبابى وفى إقبال الأيام على .

(٣٤ــ٣٨) إن ترينى اليوم حافياً لا أنتعل فلكم لبست ولكم أبليت . إن هذا الذى تنبو عنه عيناك قد أمتع نفسه من الغانيات ، وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه منى الحذر . كنت مالكا لشبابى أصرفه فى لذتى فلا يأبى على ولا يمتنع ، وكان لى رفقاء من أصحاب اللذة والفتك . ولقد أغدو معهم إلى الحانوت يتبعنى غلام خفيف نشط ، ولقد أجلس إلى فتية كسيوف الهند مضاء ، قد أرسلوا أنفسهم فى لذاتها ، لأنهم يعلمون « أنْ ليس يَدْفَعُ عن ذى الحِيلَةِ الحِيَلُ »

(٣٩،٤١،٤٠)يطوف عليهم ساق نشيط ، قد شمَّر أسفل قميصه ، وعلق فى أذنيه لؤلؤتين . وقد تناثرت قضبان الريحان يتنازعها الندمان ، وهم يتناقلون كؤوساً لا تجف ، لأنهم لا يتوقفون عن الشرب إلا ريثما ينادون : هات !

(٤٢ ، ٤٤) وماجت الحانة بنساء ضخام ، يجررن ذيول الريط رافلات ، وكأن على أردافهن قِرَبًا صغيرة ترتج بما فيها من الماء . ونشط القيان للغناء على نغمات العود وجَرْس الصَّنْج .

٤٣ــ فى مثل ذلك كان لهوى فى شبابى ، وكم فى اللهو والغزل من تجارب .

كنت شابا فتياً ، لا تخفى على اللذات ، ولا أتردد فى اقتحام الصعاب .

٣١ــ كم قد اقتحمت من صحراء جرداء لانبات فيها ولا ماء ، عريت من كل شىء فكأنها ظهر تُرْس ، تسمع للجن بالليل فى أطرافها زَجَلا .

٢٩ — حَتَّى تَحَمَّلَ مِنْهُ المَاءَ تَكْلِفَةً ... رَوْضُ القَطَا فَكَثِيبُ الغَيْنَةِ السَّهِلُ

٣٠ — يَسْقِي دِيَارًا لها قَدْ أَصْبَحَتْ عَزَبًا ... زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا القَوْدُ والرَّسَلُ

٣١ — وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ ... لِلجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ

٣٢ — لا يَتَنَمَّى لها بالقَيْظِ يَرْكَبُهَا ... إلا الَّذِينَ لَهُمْ فيها أَتَوْا مَهَلُ

٣٣ — جاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ جَسْرَةٍ سُرُحٍ ... فِي مِرْفَقَيْهَا إذا استَعْرَضْتَهَا فَتَلُ

٣٤ — إمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لا نِعَالَ لَنَا ... إنَّا كَذَلِكَ ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ

٣٥ — فَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَه ... وقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَّ ما يَئِلُ

٣٦ — وقَدْ أَقُودُ الصِّبَى يَوْمًا فَيَتْبَعُنِي ... وقَدْ يُصَاحِبُنِي ذو الشِّرَّةِ الغَزِلُ

٣٧ — وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

٣٨ — فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قد عَلِموا ... أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ

٣٩ — نازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا ... وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ

٤٠ — لا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا ـ وَهْيَ رَاهِنَةٌ ـ ... إلَّا بِهَاتِ، وإنْ عَلُّوا وإنْ نَهِلُوا

٤١ — يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ له نُطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ

٤٢ — ومُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يَسْمَعُهُ ... إذَا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ

٤٣ — مِنْ كُلِّ ذلك يَوْمٌ قد لَهَوْتُ به ... وَفِي التَّجَارِبِ طُولُ اللَّهْوِ والغَزَلُ

٤٤ — والسَّاحِبَاتُ ذُيُولَ الخَزِّ آوِنَةً ... والرَّافِلَاتُ على أَعْجَازِهَا العِجَلُ

(٢٩ — ٣٠) تكلفة أى تكلف ذلك لما ضاق به الموضع الآخر. الغينة الأرض الكثيرة الأشجار. عزبا أى بعيدة، والعازب الكلأ البعيد. زورا بعيدة. تجانف عدل وانحرف. القود الخيل. الرسل الجماعة والقطيع من كل شىء.

(٣١ — ٣٣) مثل ظهر الترس، شبهها بظهر الدرع فى انبساطها وإقفارها لأنها لاشىء فوق ظهرها. الزجل الأصوات المختلطة. يتنمى يسمو إلى ركوبها. مهل عدة. طليح ناقة أهزلها السفر. جسرة ضخمة. سرح سهلة السير. الفتل تباعد مرفق الناقة عن زورها.

(٣٤ — ٣٧) خلس الشىء سرقه وأخذه خفية. ما يئل لا ينجو، والماضى وأل أى نجا. الشرة نشاط الشباب. الحانوت الخمارة. شاو يشوى اللحم. مشل سواق من شل أى طرد وساق. وكذلك شلول. شلشل خفيف فى العمل سريع. شول يحمل الشىء.

(٣٨ — ٤٠) الراووق الوعاء الذى تروق فيه الخمر. خضل دائم الندى لكثرة استعمالهم. النهل الشرب الأول والعلل الشرب الثانى.

(٤١ — ٤٤) النطف جمع نطفة وهى اللؤلؤة الصغيرة، معتمل يخدم ويعمل دائما. مستجيب، هو العود يجيب الصنج ويشاكله، والصنج دوائر صغار من النحاس يصفق بأحداها على الأخرى ويمسكان فى أصابع اليد. الفضل التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة. رفل جر ذيله وتبختر فى مشيه. العجلة القربة الصغيرة، يشبه أردافها الممتلئة المرتجة بالقربة الصغيرة يترجرج فيها الماء.

٣٢ــ لا يجرأ على اقتحامها فى القيظ إلا القوى الذى قد اتخذ لرحلته الشاقة أهبته .

٣٣ــ مِثْلَ هــذه الصحراء أقتحم ، فأقطعها على ناقة قد تعودت الأسفار حتى أنهكَتْها ، وهى مع ذلك جَسُور لا تأبى على الراكب ، ولكنها تنطلق فى سهولة ، تكشف فى انطلاقها الجرىءعن مرفقين مفتولين .

وكنت خبيراً بما ينبغى لرجل الصحراء أن يعرفه .

٢٢ــ كم من سحاب عارض قد بِتُّ أتتبعه ، يلمع البرق فى حافاته كأنه الشُّعَل . نظرت إليه أرقبه ، ولم يصرفنى عنه ما كنت فيه من لهو ، فاذا هو متصل الأجزاء ، وإذا وسطه متسع عظيم محمل بدلاء الماء .

٢٥ــ فقلت لصحبى فى « دُرْنىٰ » وقد أخذت منهم الخمر « شيمُوا ! » ـ ومن عَجَبٍ أن يشيم الشارب الثمل ـ انظروا هذا السحاب الثقيل ، وقولوا أين تتوقعون نزوله . .

٢٦ــ ماذا ترون فى هذا البرق الذى يلمع فوق (الأجزاع) ،وفى هذا السحاب الممتلىء بالماء فوق (الخبية)؟

٢٧ــ وهم لا يزالون فى حَدْس وتخمين ،كلٌّ يذكر الأرض التى يتوقعُ أن هذا العارض سيصيبها بمائه ، بين (نِمَار) و (بطن الخال) و (العسجدية) و (الأَبْلاء) و (الرجَل) و (السفح) و (خِنْزِير) و (بُرقة خنزير) وكأنه قد أصابها ، وكأن فجاج الأرض قد ضاقت بالماء حتى عم الرُّبا والجبال ، وانصب إلى الرياض وإلى الوديان ذات الأشجار .

٣٠ــ يسقى ديار صاحبته التى أصبحت بعيدة لا تقصدها الخيل ولا الركبان .

فإذا أرضى الشاعر نفسه من صاحبته ومن شبابه وذكرياته على ما أراد ، اتجه فجأة إلى صاحب له يتخيله ، طالباً إليه أن يبلغ يزيد بن مسهر الشيبانى رسالة منه .

٤٥ــ ليقل له عنه : أما تَنْفَكُّ تغلى ويجيش صدرك بالشر ؟

٤٧ــ تغرى بنا رهط «مسعود» وإخوته ، فاذا التقوا فى القتال، وتَرَدَّوْا فى الهلاك، اعتزلت كأنك لم تفعل شيئاً ولم تأت إثماً .

٤٦ــ أما آن لك أن تنتهى عن نحتِ أَثْلَتِنا، وأن تعلم أنك لست ضائرها أبد الدهر ؟

٤٨ــ ما أنت حين ينفر الناس للقتال ، وتُشَبُّ الحرب ، فينتشر المقاتلون كالطوفان ، يحملون السبايا والأسلاب ، إلا كوعل أحمق ، ينطح صخرة ليفلقها ، فلا يضيرها وإنما يُوهِى قَرْنَه .

٤٥ — أَبلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً   أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنفَكُّ تَأْتَكِلُ
٤٦ — أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا   ولَسْتَ ضَائِرَهَا ما أَطَّتْ الأَبِلُ
٤٧ — تُغْرِى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وإِخْوَتِهِ   عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِى ثُمَّ تَعْتَزِلُ
٤٨ — لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بِنَا   وشُبَّتِ الحَرْبُ بِالطُّوَّافِ واحتَمَلُوا
٤٩ — كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا   فَلَمْ يَضِرْهَا وأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ
٥٠ — لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا   والتُمِسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ
٥١ — تُلْزِمُ أَرْمَاحَ ذِى الجَدَّيْنِ سَوْرَتَنَا   عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِيهِمْ وتَعْتَزِلُ
٥٢ — لَا تَقْعُدَنَّ وقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا   تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وتَبْتَهِلُ
٥٣ — قَدْ كَانَ فِى أَهْلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُو قَعَدُوا   والجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى ويَنْتَضِلُ
٥٤ — سَائِلْ بَنِى أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا   أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ
٥٥ — واسأَلْ قُشَيْرًا وعَبْدَ اللهِ كُلَّهُمُ   واسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ
٥٦ — إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ   عِنْدَ اللِّقَاءِ وهُمْ جَارُوا وهُمْ جَهِلُوا
٥٧ — كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لا نُقَاتِلُكُمْ   إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يا قَوْمَنَا قُتُلُ
٥٨ — حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ القَوْمِ مُتَّكِئًا   يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ
٥٩ — أَصَابَهُ هِنْدُوَانِىٌّ فَأَقْصَدَهُ   أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ مُعْتَدِلُ

(٤٥ — ٥٠) مألكة رسالة . الائتكال السعي بالشر والفساد . الأثلة شجرة ، يقصد أصله ومجده المؤثل العريق . أطت الابل أنت تعباً وحنيناً . اللقاء القتال . أرداه أوقعه فى الردى والهلاك . النفير القوم ينفرون معك للقتال . الطواف الذين يطوفون ، من قولهم طوف الناس والجراد أى ملأوا الارض كالطوفان . احتملوا (على البناء للمعلوم) صبروا على الشدة . كناطح ، وعل ينطح صخرة . احتمل الرجل (على البناء للمجهول) استفز وغضب .

(٥١ — ٥٣) السورة حدة الغضب . ذو الجدين قيس بن مسعود من أشراف العرب . كهف من بنى سعد بن مالك . نمدوا عن القتال . الجاشرية امرأة من أياد .

(٥٤ — ٥٦) شكل أزواج ، خبر ثم خبر . قشير بن كعب بن ربيعة .

(٥٧ — ٥٩) عميد القوم سيدهم . الراح جمع راحة وهى بطن اليد . عجل جمع عجول (بفتح العين) وهى المرأة الثكلى . هندوانى سيف منسوب للهند . أقصده أصابه فلم يخطئه . الخط بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

(٤٩ـــ٥٢) تثير رهط مسعود وتغريهم بنا . وما أظنك تغضب لهم أو تخوض معهم قتـالا إن طُلِبَتْ منك المساعدة . فأنت تلقيهم طعاما لغضبنا الهائج، فتوردهم المهالك ثم تعتزل . أجَّجْت نار الفتنة وأمددتها بالحطب لتزيد فى التهابها ، ثم تقعد بعيداً عنها مستعيذاً من شرها ، مبتهلا إلى الله أن لا ينالك أذاها .

٥٤ـــ ويعدد الأعشى القبائل التى عادوها من قبل فقهروها ، منهم أسد (بن ربيعة) ومنهم قُشَيْر (بن كعب ابن ربيعة)، يقول له : سل هؤلاء ، بل سائل ربيعة جميعاً ، يخبروك كيف وجدوا بلاءنا فى القتال .

٥٦ـــ كنا إذا قاتلناهم قتَّلناهم تقتيلا ، وكانوا هم الجانين على أنفسهم بما جاروا وبما سفهوا علينا واجترءوا .

٥٣ـــ وإن فى قومنا وأحلافنا من بنى كهف (من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة بن بكر) والجاشرية (من إياد) لَمَنْ يُغْنِى فى القتال ، ويصبر على النضال .

ويشير الأعشى إلى ما كان من إغراء يزيد لهذا البيت من شيبان ، ونهيهم أن يقتلوا ضُبَيْعاً بزاهر فيقول :

(٦٢ـــ٦٣) إنى أقسم بالبيت الحرام الذى تهوى إليه الإبل من كل صوب ، وبما يساق إليـه من قرابين البقر الـكثير ، لئن قتلتم منا سيداً لم يكن مقاربا لقتيلـكم ، لنقتلن به منكم أفضل سيد فيكم .

٦٤ـــ إنا لا نمل القتال . ولو قدر لك أن تُبْتَلَى بنا على أعقاب معركة قد خضناها، لوجدت فينا نشاطاً لقتال جديد ، ولمـا رأيتنا نحيد عن الخوض فى الدماء مرة أخرى .

٦١ـــ فانتهوا أيها القوم خيراً لكم . ولن ينهاكم عما أنتم فيه من بغى كالطعن الجائف ، يغور فى جراحه البالغة الزيت والفتل ،

(٥٨ـــ٥٩) ويخر فيه عميد القوم صريع السيوف والرماح ، قد اتكأ على مرفقه خائر القوى ، وقد هلك من حوله الرجال ، يدفع عنه النسوة بأيديهن .

٥٧ـــ تزعمون أننا لسنا لـكم بأكفاء ، وأننا لا ننهض لقتالكم . بل إننا لقتال أمثالكم أنداد .

(٦٥ـــ٦٦) ألسنا فوارس يوم (العَيْن) ـ وما يوم (العين) بيسيرٍ ، فقد كان فى ضحوة النهـار ـ ليس فينا إلا فارس متمكن ، لا يميل على سرج الفرس ، ولا تنقصه عدة القتال . وهو خير محارب راكباً وراجلا :

قالوا الركوب ، فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون ، فأُنا معشر نُزُلُ

٦٠ـــ وإننا لأبصر الناس بمواضع الطعن ، وأحذقهم فى إصابة الهدف ، فلقد نصيب الحار فى فائله (العرق الذى يجرى من الجوف إلى الفخذ) ولقد يهلك على أرماحنا البطل المغوار .

٦٠ — قَدْ نَخْضِبُ العَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ ... وقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا البَطَلُ
٦١ — هَلْ تَنْتَهُونَ ؟ وَلَا يَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ ... كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ
٦٢ — إِنِّى لَعَمْرُ الذى خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا ... تَخْدِى وَسِيقَ إِلَيْهِ البَاقِرُ الغُيُلُ
٦٣ — لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا ... لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلُ
٦٤ — لَئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ ... لَمْ تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ
٦٥ — نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ العَيْنِ ضَاحِيَةً ... جَنْبَىْ «فُطَيْمَةَ» لامِيلٌ ولا عُزُلُ
٦٦ — قَالُوا الرُّكُوبَ ! فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ... أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

(٦٠ — ٦٣) العير حمار الوحش . الفائل عرق يجرى من الجوف إلى الفخذ ، ومكنون الفائل هو الدم، والفارس الحاذق يتعمد بالطعن فى الخربة، وهى نقرة فى الورك لا عظم فيها تنفذ إلى الجوف. ومن روى (قد نطعن العير فى مكنون) فقد أخطأ، إذ كيف يطعن فى الدم. الشطط الغلو . يذهب فيه الزيت والفتل لأن الطعنة غائرة . خطت شقت التراب ، المناسم جمع منسم وهو طرف الخف . تخدى تسرع فى السير مع اضطراب . الباقر جمع بقر . الغيل جمع غيول (بفتح الغين) وهو الكثير من الابل والبقر ونحوها . صدد الشيء المقابل له أو القريب منه . نمتثل نختار الأمثل والأحسن .

٦٤ — منى به ابتلى به . عن غب معركة عقب معركة . ننتفل ننتفى، أى لا نجحد دماء قومك و نتبرأ منها هربا من القتال . وقال عن غب معركة، لأن المعقول المألوف أن يستريح المقاتل بعدها ولكن هؤلاء لا يملون القتال.

٦٥ — فطيمة من بنى سعد بن قيس، كانت عند رجل من بنى سيار ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتعايرتا ، فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة ، فاهتاج الحيان واقتتلوا ، فهزمت بنو سعد بن قيس (قوم الأعشى) بنى سيار . ضاحية أى علانية فى وضح النهار . ميل جمع أميل وهو الذى يميل على السرج ولا يثبت فى القتال . عزل جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه . ومن روى (نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية) فهو مخطىء ، لأن يوم الحنو هو يوم ذى قار ، وأحسن الناس بلاء فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مسهر الذى يهجوه الأعشى بهذه القصيدة . فغير معقول أن يستعلى عليه الأعشى مفاخراً بهذا اليوم .

٦٦ — تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح .

حنيفة أحد فروع بكر بن وائل . وكانت تسكن اليمامة . وكان هوذة مملكا على قومه . وكان من المتكفلين بحراسة قوافل كسرى التي تمر بين الفرس واليمن ، كان يقوم بذلك لقاء جعالة جعلت له . فكانت القوافل تدفع إلى المناذرة ، ويرسلها هؤلاء في حراسة رجال من ربيعة ومضر إلى هوذة، فاذا خرجت من أرض اليمامة كانت في حراسة تميم إلى أن تبلغ عامل كسرى على اليمن . وكان هوذة متوجا . زعم صاحب الأغاني (١) أنه قدم على كسرى فكساه قباء ديباج ملسوجا بالذهب واللؤلؤ، وقلنسوة مرصعة قيمتها ثلاثون ألف درهم،وكأساً من ذهب كان قد سقاه فيه .
وإلى هذا التاج يشير الأعشى في القصيدة ١٣ بقوله :

من يلق هوذة يسجد غير متئب ... إذا تعصب فوق التاج أو وضما
له أكاليل بالياقوت زينهـا ... صواغها لاترى عيبا ولا طبعاً

أما صاحب العقد الفريد فقد زعم — روايةعن أبي عبيدة عن أبي عمرو — أنه لم يتتوج معدى قط ، وإنما كانت التيجان لليمن . فلما سئل عن تاج هوذة قال . إنما كانت خرزات تنظم له (٢) .
وقد عاش هوذة حتى أدرك الاسلام . وهو أحد الذين أرسل إليهم النبي الرسل حين دعا ملوك العرب والعجم للاسـلام (٣) . ومات بعد منصرف النبي من الفتح سنة ٧ هـ ولم يسلم ، لأنه اشترط لاسلامه أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، وإلا قصده وحاربه (٤) .
وقد مدح الأعشى هوذة بأربعة قصائد . وهي — حسب ترتيبها التاريخي فيما يرجح — القصائد ١١ ثم ٧ ثم ١٢ ثم ١٣
وعلى ذلك فالقصيدة التي بين يدينا هي الثانية حسب الترتيب الزمني . وتبدو — كما هي مثبتة في الديوان — ناقصة غير محكمة الترتيب .
والظاهر أن القصيدة كانت طويلة ، وأن هذا القدر اليسير هو الذي بقي لنا منها .

والأعشى هنا لايقدم لقصيدته بغزل طويل على عادته ، فقد أسن وانصرف عن اللهو والغزل .
ولذلك فهو يخاطب نفسه قائلا :

(١—٢) أجادٌ أنت فيما تزعم من توديع الشباب والنساء ، وهل ملت حقاً إلى القصد بعد الإسراف ؟ ثم يعود فيقول كالمتعجب من أمر نفسه : ما كنت أظن أن جهالتي ستنتهي إلى الحكمة ، وما كنت أظن أني سأكف عن الاضطراب في الأرض لأسكن إلى وطني في اليمامة بين « مِهْراس » و « مارد » .

(٣—٤) ولقد يلوم السفيه ذا البَطَالة على إسرافه في الفساد ، وقد كان هو نفسه من قبل لا يرى فيما يأتي من الفساد إلا الرشاد .

ولا يلبث الشاعر أن ينتقل إلى التعريض بالحارث بن وعلة وببخله ، متخذاً منه وسيلة لمقارنته بكرم هوذة وحسن ضيافته . فقد تجشم الأعشى السفر إلى الحارث ـ وهو يسميه مستهزئاً « حريثاً » ـ وأتاه زائراً ، فوجده عن عطائه جامداً .

(٥—٩) فهو أبعد الناس شبهاً عن آبائه الكرام . وهو لشدة بخله يفزع من زيارة الصديق ، كأنه يرى في بيته أسداً أو ثعباناً . خير منه نفساً ووالداً ذلك الرجلُ الكريم الذي زاره في «جَوّ» فأكرم وفادته وقربه ، ووهبه قائداً يعينه على الشيخوخة وكلال القوة والبصر ، وأعطاه جارية ، فعاد من عنده بالخير الكثير .

---

(١) أغاني ج ١٦ ص ٧٩ (٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٤
(٣) الطبري ج ٢ ص ٢٨٨ (٤) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص ٣٤ ، ٣٥ وامتاع الأسماع ص ٣٠٩

وقال يمدح هَوْذَةَ بن على الحَنَفِىّ ويذم الحارث بن وَعْلَة بن مُجَالِد الرَّقَاشِىّ :

١ — أَجدَّكَ ودَّعتَ الصِّبى والوَلاَئدَا … وأصبحْتَ بعْدَ الجَوْرِ فيهن قاصِدًا (طويل)

٢ — ومَا خِلْتُ أن أبْتَاعَ جَهْلاً بحِكْمَةٍ … ومَا خِلْتُ مِهْرَاسًا بِلاَدِى ومَارِدَا

٣ — يَلُومُ السَّفِىُّ ذا البَطَالَةَ بعْدَمَا … يَرَى كُلَّ مَا يَأْتِى ٱلْبَطَالَةَ رَاشِدَا

٤ — أَتَيتُ حُرَيْثًا زائرًا عن جَنَابَةٍ … وكانَ حُرَيْثٌ عن عَطَائِى جَامِدًا

٥ — لعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِى النَّدَى … شمَائلَهُ ولا أبَاهُ المُجَالِدَا

٦ — إذا زَارَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ كأنَّمَا … يَرَى أَسَدًا فِى بَيْتِهِ وأَسَاوِدَا

٧ — وإنَّ امرَءًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هٰذِهِ … بجَوِّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا ووَالِدَا

٨ — تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِى … وأَصفَدَنِى عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدَا

٩ — وأَمْتَعَنِى على العَشَا بوَلِيدَةٍ … فَأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يا هَوْذُ حَامِدَا

١٠ — ومَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ ومِدْحَةٍ … فَأَعْنِى بها أَبَا قُدَامَةَ عَامِدَا

١١ — فتًى لو يُنَادِى الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا … أو القَمَرَ السَّارِى لَأَلْقَى المَقَالِدَا

١٢ — ويُصْبِحُ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ إذَا غَدَا … عَلَى ظَهْرِ أَنْمَاطٍ لَهُ وَوَسَائِدَا

١٣ — يَرَى البُخْلَ مُرًّا والعَطَاءَ كأَنَّمَا … يَلَذُّ بِهِ عَذْبًا من المَاءِ بَارِدَا

(١ — ٣) اجدك اى هل انت جاد أو أجد منك هذا . الولائد الجوارى . الجور تجاوز القصد والانحراف عن الجادة . الجهل السفه ضد الحلم . مهراس ومارد موضعان باليمامة (موطن الأعشى) السفى السفيه . البطالة الفساد والضياع والخسران . يرى أى السفيه ، الفاعل مستتر . أى أن هذا السفيه كان قبل ان يتوب يرى الفساد فى نظره هو عين الرشاد .

(٤ — ٦) حريثاً هو الحارث بن وعلة يصغره تحقيراً من شأنه . الجنابة البعد، والجانب الغريب . وعلة أبوه والمجالد جده أبو أبيه ، يقول له إنه لا يشبه آباءه ، أساود جمع أسود وهو نوع قاتل من الحيات .

(٧ — ٩) جو بلد هوذة الذى يمدحه بهذه القصيدة فى اليمامة . أصفدنى أعطانى ،والصفد (بفتحتين) العطاء . الزمانة الضعف والعاهة ، ويبدو الأعشى هنا مسناً وقد عمى لأنه أعطاه قائداً . وليدة جارية .

(١٠ — ١٢) أبو قدامة هو هوذة . ألقت قناعها أى كلمته وأسفرت عن وجهها له . ألقى المقالد أطاع وانقاد . الأنماط جمع نمط وهو ثوب من صوف ذو ألوان يطرح على الهوادج وعلى الوسائد .

(١٠ — ١٣) فهو من أجل ذلك يخصه بالثناء والمدح . وليس الكرم بمستغرب من هذا الفتى ، ومكانه ما هو فى الشرف . لو نادى الشمس لألقت قناعها وكلمته ، ولو خاطب القمر لألقى إليه المقاليد وأطاع . يصبح فوق الوسائد والأنماط كأنه السيف الصقيل وَضَاءةً ومضاء . ويعطى لأنه ينفر من البخل ويَلَذُّ بالعطاء كما يلذ بالماء العذب الزلال .

(١٤ — ١٦) وهو يجمع بين الحلم والشجاعة . فهو أحلم من (قيس) ، وأجرأ من الأسد المهيب أبى الأشبال ، وقد أمسى غاضباً متربصاً فى خدره ، يستخف بجمع الثلاثين فلا يهاجمه استهانة بأمره ، ويعدو وحده على جمع الثمانين .

(١٧ — ١٨) ويختم الشاعر قصيدته بوصف قصير لناقته . فقد طال وضع الرحل حتى كاد يبلى لطول الإقامة وقلة الأسفار ، ومل الأعشى السكون والجمود ، فنهض إلى ناقته يكسوها خَشَبَ الرَّحْل ، ويبعثها فى الصحراء ، فتخالها إذ تَهْوِى مسرعة فى رمل « الصُّفَيَّيْن » المتلبد مَهَاةً فقدت ولدها ، فهى تعدو مذعورة ، لا ينال القيظ منها ولا يذهب بنشاطها .

(١٩ — ٢١) إذا ركدت الشمس فوق الرءوس وقت الظهر ، وانمحت الظلال ، وانكمش ظل الناقة فلاذ بنحرها ، علقت نظرها بقطعان المها ، وشمرت جادة لتلحق بها . تطوى رمال الصحراء البعيدة الأطراف ، فتُخْرِج الظبى من كِنَاسِهِ ، وتبعث القطا الهاجد من مكمنه .

١٤— وَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ عَلَيْهِ مَهَــابَةٌ   أَبُو أَشْبُلٍ أَمْسَى بِخَفَّانَ حَارِدَا
١٥— وأَحْلَمُ من قَيْسٍ وأَجْرَأُ مُقْدَمًا   لَدَى الرَّوْعِ مِن لَيْثٍ إِذَا رَاحَ حَارِدَا
١٦— يَرَى كُلَّ مَادُونَ الثَّلَاثِينَ رُخْصَةً   ويَعْدُو إِذَا كَانَ الثَّمَانُونَ وَاحِدَا
١٧— وَلَمَّا رأَيْتُ الرَّحْلَ قد طَالَ وَضْعُهُ   وأَصْبَحَ من طُولِ الثَّوَايَةِ هَامِدَا
١٨— كَسَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلَ عَنْسًا تَخَالُهَا   مَهَاةً بِدَكْدَاكِ الصُّفَيَّيْنِ فَاقِدَا
١٩— إِذَا لَاوَذَ الظِّلَّ القَصِيرُ بِنَحْرِهَا   ....
٢٠— أَثَارَتْ بِعَيْنَيْهَا القَطِيعَ وَشَمَّرَتْ   لِتَقْطَعَ عَنِّى سَبْسَبًا مُتَبَاعِدَا
٢١— تَبُزُّ يَعَافِيرَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهَا   وتَبْعَثُ بِالفَلَا قَطَاهَا الهَوَاجِدَا

(١٤ — ١٥) مخدر أسد ملازم خدره وهو أدعى للهيبة منه . ورد من اسماء الأسد ، حارد غضبان . الروع الفزع ويستعمل بمعنى الحرب.

(١٦ — ١٨) الرخصة فى الأمر التخفيف . أى أن هذا الأسد يستخف بالجمع الذى هو أقل من الثلاثين ، فاذا كان الجمع من ثمانين رجلا عدا عليهم وحده ثقة بنفسه . همد الثوب بلى من طول الطى فاذا مسته تناثر ، فهو هامد . الثواية الاقامة من ثوى بالمكان أى أقام . القتد (بفتحتين) خشب الرحل ، والجمع قتود . العنس الناقة الصلبة القوية . المهاة بقرة الوحش . الدكداك من الرمل ماتلبد بالأرض ولم يرتفع . فاقد فقدت ولدها فهى تعدو عدواً شديداً .

(١٩ — ٢١) لاوذ الظل بنحرها وذلك فى الظهر . حين تكون الشمس عمودية على الأرض فتقصر الظلال وتنكمش ، ويلوذ ظل هذه الناقة برقبتها . وهو وقت يصعب فيه السير ولا يقوى عليه إلا الشديد الصلب من الابل ومن الناس . أثارت أدامت النظر . السبسب المستوى من الأرض . بزه سلبه . اليعفور الظبى الأعفر بلون التراب . الصريم الرملة المنقطعة ذات الشجر . الكناس شجر تستكن فيه وحوش الصحراء من الحر . يقول إن هذه الناقة لسرعتها تزعج الوحش من كنه وقت الظهر بخفيف سيرها . الفلا الصحراء . القطا طائر فى حجم الحمام سمى بذلك من صوته لأنه (قطا قطا . :)

— ٨ —

سلامة ذو فائش أحد أذواء اليمن . والأذواء أمراء كانوا يحكمون فى نظام يشبه النظام الاقطاعى فى العصور الوسطى بأوروبا شبها كبيراً. وكانت اليمن فى ذلك الوقت مقسمة إلى مناطق كثيرة، يحكم فى كل منطقة واحد من هؤلاء الأذواء . وكانت كل منطقة تسمى مخفداً (جمعها مخافد) . ويتكون المخفد من قصور أو حصون، وفيها كان يقيم الأمير أو الـ(ذو)، تحف به حاشيته وأعوانه . وربما عظم نفوذ الواحد من هؤلاء الأذواء، فيبسط نفوذه على من حوله من الأمراء، فيسمى عندئذ قيلا (جمعها أقيال) . وقد تتسع مطامعه فيبنى له ملكا يتوارثه أبناؤه ، مكوناً ما نسميه دولة ، وهو عندئذ ملك (١) . وكان أكثر اشتغال هؤلاء الأذواء بالتجارة، ينقلونها بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق .

وفائش التى ينسب إليها ممدوح الأعشى اسم المخفد الذى كان يحكمه . أو هى واد ـ كما يقول صاحب القاموس ـ كان يحميه ذو فائش (أو صاحب فائش ، كما يقولون الآن فى أوروبا لورد أوف . . أو بارون دى . .) ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن سلامة هـذا ، فهو أحد هؤلاء الأذواء المغمورين الذين لا يحصيهم عد. وإنما رفع من ذكره وخلده أن الأعشى قد قصد إليه فمدحه . روى صاحب الاغانى عن الأعشى أنه قال : أتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه فأنشدته :

إن محلا وإن مرتحلا وإن فى السفر إذ مضوا مهلا
الشعر قلدته سلامة ذا فائش والشىء حيثما جعلا

فقال : صدقت ، الشىء حيثما جعل . وأمر لى بمائة من الابل، وكسانى حللا وأعطانى كرشاً مدبوغة مملوءة عنبرا . وقال : إياك أن تخدع عما فيها . فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء(٢) . وقد زعموا أنه كان لا يظهر لقومه إلا مرة فى كل عام ، وكان لا يظهر إلا مبرقعاً (٣)

وقد مدح الأعشى سلامة ذا فائش بقصيدتين ، إحداهما هى هذه القصيدة التى نحن بصددها ، والاخرى قصيدته التى أشار صاحب الاغانى إلى أنها أول ما مدحه به (وهى القصيدة ٣٥ بالديوان) .

وفى أبيات المدح من هذه القصيدة تقديم وتأخير . والترتيب الذى أراه هو ٤٦ ، ٤٧ ثم ٤٢ -- ٤٥ ثم ٥٠ — ٥٢ ثم ٤٨ ثم ٥٣ — ٥٦ وسأتبع هذا الترتيب عند تلخيص المدح .

(١ — ٣) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته ، وقد أخلفت ميعادها ، فبات ليلته ساهراً مؤرقا ، لا يغمض له جفن ، ولا يرقد مع الراقدين . وهو لا يذكر اسم صاحبته ولا يبالى من تكون ، وإنما يشير إليها بـ(تيّا) . لتكن هذه الصاحبة من تكون ، ولتذهب عنه حيث تريد ، فما هو بالضعيف الخائر ، ولن تذهب نفسه إثرها حسرات . وإنه لصلب الفؤاد ، إن وصل حبل الود فهو خليق أن يقطعه ، وهو على ذلك قدير . وإنه ليهجم على لذته ويغتصبها اغتصاباً .

(٤ — ٨) كم مِثْلها مفتونة بشبابها وجمالها ، منصرفة إلى التزين ، لا يفارق جسمها طلاء الزعفران ، عمد إليها وقد أضافه الليل ، يلتمس غفلة العيون وفترة يقظتها ، فأصبح خليفة زوجها عليها وسيدها الأثير المختار . وكم صحب من فتى كريم يعرض عن عوازله مستدبراً ، ويصم أذنه عن إرشادهن متصامما ، ميمون لا يصحب إلا الكرام ، ينفق فيهم ماله ، ولا يتغطى عنهم مستتراً .

(٩ — ١١) طرقه هذا الفتى مع الليل قبل أن يسفر الصباح ، يؤامره فى شرب الخمر ، فغدا معه يصطبحها ، فى هذا السكون الذى لم يمزق حُجُبَه صياحُ الديكة ، ولم تنغصه عين الكاشح الحسود .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٠٢

(٢) الأغانى ٩ : ١٢٤

(٣) القاموس وشرحه مادة (فيش) .

وقال يمدح سَلَامه ذا فَائِش بن يزيد بن مُرَّة بن عُرَيْب بن مَرْثَد بن حَرِيم الحِمْيَرِى :

(متقارب)

١ — أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيْلَةً   فَتَرْقُدَهَا مع رُقَّادِهَا

٢ — تَذَكَّرُ «تَيَّا» وأَنَّى بِهَا   وقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِهَا

٣ — فَمِيطِى تَمِيطِى بِصُلْبِ الفُؤَاد   وَصُولِ حِبَالٍ وَكَنَّادِهَا

٤ — وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بالشَّبَا   بِ صَاكَ العَبِيرُ بِأَجْسَادِهَا

٥ — تَسَدَّيْتُهَا عَادَنِى ظُلْمَةٌ   وغَفْلَةُ عَيْنٍ وإِيقَادِهَا

٦ — فَبِتُّ الخَلِيفَةَ مِن زَوْجِهَا   وسَيِّدَ «تَيَّا» ومُسْتَادِهَا

٧ — وَمُسْتَدْبِرٍ بالَّذِى عِنْدَهُ   على العَاذِلَاتِ وإِرْشَادِهَا

٨ — وأَبْيَضَ مُخْتَلِطٍ بالكِرَا   مِ لا يَتَغَطَّى لِأَنْفَادِهَا

٩ — أَتَانِى يُؤَامِرُنِى فى الشَّمُو   لِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا

١٠— أَرِحْنَا نُبَاكِرُ جِدَّ الصَّبُو   حِ قَبْلَ النُّفُوسِ وحَسَّادِهَا

١١— فَقُمْنَا ولَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا   إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

١٢— تَنَخَّلَهَا مِنْ بِكَارِ القِطَاف   أُزَيْرِقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا

١٣— فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا   بِأَدْمَاءَ فِى حَبْلِ مُقْتَادِهَا

١٤— فَقَالَ تَزِيدُونَنِى تِسْعَةً   ولَيْسَت بِعَدْلٍ لِأَنْدَادِهَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . ماط ذهب وبعد . كند الحبل قطعه .

(٤ — ٦) صاك لصق . العبير أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران ، وقيل الزعفران وحده . والزعفران نبات له أصل كالبصل وزهره أحمر إلى الصفرة ، تستعمله العرب فى صبغ الثياب وتستعمله النساء فى التزين فتصبغ به وجهها بدل (البدرة) التى تستعملها فى هذه الأيام . تسداه ركبه وعلاه . عاده انتابه . وقد تلألأ . يقصد غفلة عين وغفلة إيقادها أى غفلة تلألئها ويقظتها ، وهو يقصد عين حارسها . الخليفة الذى يخلف على الشىء . استاده اختاره . أى أنه أصبح سيدها وسيد زوجها .

(٧ — ٩) المستدبر الذى يعرض عن عواذله ويوليهن دبره . لا يتغطى لا يتساكر إذا نفدت لئلا يشترى . آمره شاوره . الشمول الخمر . غدا على الشىء بكر إليه ، هذا أصله ، ثم استعمل فى الذهاب والانطلاق فى أى وقت كان .

(١٠ — ١٢) أرحنا ، أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الاعياء ، وصار مستريحا . جد الصبوح ، الجد العجلة ، الصبوح خمر الصباح . جونة سوداء يقصد خابية الخمر لأنها كانت تطلى بالقار (وهو ما نسميه الزفت) لتسد مسامها فلا ترشح . حدادها صاحبها الذى يحد الناس أى يذودهم عنها لنفاستها . تنخلها تخيرها . بكار القطاف أول ما يقطف . أزيرق هو الخمار جعله أزرق لأنه علج ليس عربياً ، وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم . آمن كسادها لجودتها .

(١٣ — ١٤) أدماء ناقة صادقة البياض سوداء الأشفار .

(١٢—١٤) ويعرض علينا الأعشى ما كان بينه وبين الخمار فى أسلوب قصصى رائع تملؤه الحياة. وهو يصور الخمَّار عِلْجًا غير عربى، فيصفه بأنه (أزرق العينين) ويسميه (حَدّادا)، وكأنه حارس يذود الناس عن هذا الكنز الثمين من الخمر المختار من بكار القِطَاف، وقد احتوته خابية ضخمة سوداء طليت بالقار، وضمنت جودتها له أن لاتكسد عنده، فهو ضنين بها، يساوم فى ثمنها مغاليا. وينظر الأعشى إلى هذه الخابية الضخمة فيقول للخمار مشيراً إليها (هذه. هاتها.) ما أريد غيرها، وخذ فيها ما شئت. ويبذل له فى ثمنها ناقة بيضاء فى حبل عبدها القائم على خدمتها. ولكن الخمار يتلكأ فى إجابتهم، وقد علم شدة حرصهم على هذه الخمر، فيقول: بل تزيدوننى فوقها تسعة، وما أراكم توفون ثمنها بشىء.

(١٥—١٩) فيقول الأعشى للخادم — وهو على شوق وعجل، يضن بالوقت أن يضيع فى هذه المساومة المملة: أعطه مايريد. وينتظر الخمار. حتى إذا رأى الخادم يخرج المال، أضاء خباءه الكبير بالسراج، وقد تدلت هُدُبُه يغمرها الظلام، وراح ينقد الدراهم قبل أن يبذل خمره. فيصيح به الأعشى متعجلا:

دراهمنا كلها جيد فلا تحبِسَنَّا بِتَنْقَادِها

ويعمد الخمار إلى الدَّن، يصب لهم خمراً تتمشى نشوتها فى المفاصل فَتُرْعِدُها، ثم تستسلم للذتها فتسكن هامدة فاترة. تبدو حين تبذل سوداء، فإذا مزجت بالماء، وسكنت بعد إزبادها، تكشفت عن لون أحمر جميل.

(٢٠—٢٤) تبدو فى أسفل الدن إذا أماله ليصب منه بعد أن طال قعوده، وقد تناقصت حتى اجتمعت فى أسفله، كأنها حوصلة النعام. ويجول الخمار عليهم بأباريقه، وقد تخضبت كفه بما يحمل من خمر حمراء. ولايزال يسقيهم حتى يُنفِد خمره، وهم مالكون لرشدهم، لم يُنْفِدُوا عقولهم، وإن كانوا قد أنفدوا خمر الخمار. فيقومون إلى ركابهم وخيامهم، وقد باتت على باب الخباء بأكوارها وألبادها، تستخفهم النشوة، وتثور بهم جائرة — وقد ظهر أثرها — بعد قصد واعتدال.

١٥— فقُلْتُ لِمنْصَفِنَا أَعْطِهِ فَلمَّا رأَى حَضْرَ شُهَّادِهَا

١٦— أَضَاءَ مِظَلَّتَه بالسِّرَا جِ واللَّيْلُ غَامِرُ جُدَّادِهَا

١٧— دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جيِّدٌ فَلا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا

١٨— فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إرْعَادِهَا

١٩— كُمَيْتًا تَكَشَّفُ عن حُمْرَةٍ إذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إزْبَادِهَا

٢٠— كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِى دَنِّهَا إذَا صُوِّبَتْ بَعْدَ إقْعَادِهَا

٢١— فَجَالَ عَلَيْنَا بِأَبْرِيقِهِ مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرْصَادِهَا

٢٢— فَبَاتَتْ رِكَابٌ بِأَكْوَارِهَا لَدَيْنَا وَخَيْلٌ بِأَلْبَادِهَا

٢٣— لِقَوْمٍ فَكَانُوا هُمُ الْمُنْفِدِينَ شَرَابَهُمُ قَبْلَ إنْفَادِهَا

٢٤— فَرُحْنَا تُنَعِّمُنَا نَشْوَةٌ تَجُورُ بِنَا بَعْدَ إقْصَادِهَا

٢٥— وَبَيْدَاءَ تَحْسِبُ آرَامَهَا رِجَالَ إيَادٍ بِأَجْلاَدِهَا

٢٦— يَقُولُ الدَّلِيلُ بِهَا للصِّحَا بِ لاَ تُخْطِئُوا بَعْضَ أَرْصَادِهَا

٢٧— قَطَعْتُ إذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا بِعَرْفَاءَ تَنْهَضُ فِى آدِهَا

٢٨— سَدِيسٍ مُقَذَّفَةٍ بِاللَّكِيـ كِ ذَاتِ نَمَاءٍ بِأَجْلاَدِهَا

٢٩— تَرَاهَا إذَا أَدْلَجَتْ لَيْلَةً هَبُوبَ السُّرَى بَعْدَ إسْآدِهَا

(١٥ — ١٨) المنصف والناصف الخادم والوصيف . شهادها الدراهم، والشاهدماله منظر ولا لسان . مظلته خباؤه . الجداد الهدب الذى يبقى فى أسفل النسج . نقد الدراهم ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب إلى السواد . فاذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت ذهب زبدها . الرأل ولد النعام . أى أنها تناقصت لطول مكثها فى الدن حتى صارت فى أسفله كحوصلة الرأل . صوبت أميلت وصبت . إقعادها طول بقائها فى الدن . الفرصاد التوت وهو أحمر .

(٢٢ — ٢٥) الاكوار جمع كور وهو الرحل . الالباد جمع لبد (بكسر اللام) وهو الصوف المتلبد الذى يجعل على ظهر الفرس تحت السرج حتى لا يؤذى ظهره . جار مال عن القصد ، الآرام حجارة تنصب فى الصحراء ليهتدى بها المسافر . أجلاد الانسان جسمه وبدنه ، وإياد توصف بضخامة الاجسام .

(٢٦ — ٢٩) الارصاد الاعلام أو الطرق . خب طال وخفق . الريعان السراب . ناقة عرفاء ضخمة السنام اى أن سنامها صار لها كالعرف . الآد القوة . السديس التى ألقت سدسها وذلك فى السنة السادسة . اللكيك اللحم المكتنز . النماء الزيادة . أجلادها يقصد بها هنا الرحل وما ألبس من أداته . الادلاج سير الليل كله . هبوب نشيط . بات يسئد السير أى يديمه .

ويتخلص الأعشى من الخمر ليصف قسوة الصحراء وصعوبة الانتقال فيها وصبره على ركوبها. والصحراء جزء من حياة الفتى العربى . فحياته أشبه بقصص الفروسية فى العصور الوسطى: مغامرة، وخمر، ونساء . وهو إذا ذكر الخمر والنساء لم يلبث أن يتبعها بالمغامرة وركوب الأهوال فى الصحراء، وكأنه يستمد من المتعة قوته، ويجدد بها نشاطه .

(٢٥—٢٩) هذه هى البيداء، قد قامت على طرقها أعلام الحجارة الضخمة لتهدى المسافر السبيل، وكأنها رجال (إياد) بأجسامهم الضخام . يقول الدليل فيها لصحبه : تتبعوا هذه الأعلام، وإياكم أن تخطئوها فتضلوا الطريق .

ما أكثر ما قطع الأعشى مثل هذه الصحراء فى حر الهاجرة الملتهب حين يرتفع السراب، فوق ناقة ضخمة تدلى الشعر من رقبتها، ونهضت فى قوتها وقد اكتمل شبابها فى سنتها السادسة، فاكتنز جسمها باللحم، وبدت رائعة ذات نَماء وقد شد عليها الرحل، تسرى الليل كله لا تكل، ولا يذهب بنشاطها إدمان السير .

ويشبه الأعشى ناقته فى كفاحها الطويل للتغلب على مصاعب الصحراء، وفى تخطيها لكل ما تصادفه من عقبات، ببقرة وحشية، ثم ينصرف إلى تصوير هذه البقرة فى معركة حامية مع كلاب صيد عرضت لها، فراحت تدافع عن نفسها فى بسالة حتى تغلبت عليها . ويختم هذه الصورة المطولة بأن يقول إن ناقته تشبه هذه البقرة الجريئة الصبور .

(٣٠—٣٤) هى بقرة خلفت طفلها فى قُنَّةِ « جَوّ » بين صخورها الغليظة، فباتت وحيدة مستوحشة، تضم أحشاءها على حزن كمين . فما أسلمها ليلها الحزين إلى الصباح، لقيتها كلاب الصيد الضارية، فاندفعت إليها وقد أغراها بها الصياد . فلم تزل تجرى وتجول هنا وهناك، تحاورها وتداورها، حتى أجهدها الجولان، وأجهد أرجلها الأربع . ولم تجد هذه البقرة بداً من الاستبسال : فثبتت فوق الأرض الصلبة المنبسطة التى لا يواريها شجر أو نبات، لا تحاول أن تترك مكانها هاربة .

(٣٥—٣٨) ولكنها تكر على الكلاب بقرنها كلما أرهقتها بالهجوم، فتحمى جلدها أن تناله أنيابُها فتمزقه . وتُنْفِذُ قرنَها فى ضلوعها .

٣٠— كَعَيْنَاءَ ظَلَّ لَهَا جُؤْذُرٌ   بِقُنَّةِ جَوٍّ فَأَجْمَادِهَا
٣١— فَبَاتَتْ بِشَجْوٍ تَضُمُّ الحَشَا   عَلَى حُزْنِ نَفْسٍ وَإِيحَادِهَا
٣٢— فَصَبَّحَهَا لِطُلُوعِ الشُّرُوقْ   ضِرَاءٌ تَسَامَى بِإِيسَادِهَا
٣٣— فَجَالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ   جَهَدْنَ لَهَا مَعَ إِجْهَادِهَا
٣٤— فَمَا بَرَزَتْ لِفَضَاءِ الجِهَادْ   فَتَتْرُكَهُ بَعْدَ إِشْرَادِهَا
٣٥— وَلَكِنْ إِذَا أَرْهَقَتْهَا السِّرَا   عُ كَرَّتْ عَلَيْهِ بِمِيصَادِهَا
٣٦— فَوَرَّعَ عَنْ جِلْدِهَا رَوْقُهَا   يَشُكُّ ضُلُوعًا بِأَعْضَادِهَا
٣٧— فَتِلْكَ أُشَبِّهُهَا إِذْ غَدَتْ   تَشُقُّ البِرَاقَ بِأَصْعَادِهَا
٣٨— تَؤُمُّ سَلَامَةَ ذَا فَائِشٍ   هُوَ اليَوْمَ حَمٌّ لِمِيعَادِهَا
٣٩— وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ صَفْصَفٍ   وَدَكْدَاكِ رَمْلٍ وَأَعْقَادِهَا
٤٠— وَيَهْمَاءَ بِاللَّيْلِ غَطْشَى الفَلَا   ةِ يُؤْنِسُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا
٤١— وَوَضْعِ سِقَاءٍ وَإِحْقَابِهِ   وَحَلِّ حُلُوسٍ وَإِغْمَادِهَا
٤٢— فَأَنْ حِمْيَرٌ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا   وَمَلَّتْ تَسَاقِيَ أَوْلَادِهَا
٤٣— وُجِدْتَ إِذَا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ   وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا
٤٤— وَإِنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بَيْنَهُمْ   فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إِبْرَادِهَا

(٣٠ — ٣٤) عيناء بقرة وحش سميت بذلك لسعة عينها وسوادها . الجؤذر ولدها . الأجماد جمع جمد (بكسر الجيم) وهو الأرض الغليظة . الشجو الحزن . إيحادها انفرادها ووحشتها لبعد ولدها عنها . ضراء جمع ضرو (بكسر فسكون) وهو كلب الصيد . تسامى تتطاول . إيسادها إغراؤها . وآسد الكلب بالصيد أغراه . جال لها أربع يعني توائمها . الجهاد الأرض الصلبة البارزة .

٣٥ — ٣٨) أرهقتها أعجلتها ، وروى (رهقتها) أى غشيتها . السراع الكلاب . ميصادها قرنها . ورع كف . الأعضاد جمع عضد (بفتح ثم ضم). البراق جمع برقة وهى أرض متلبدة يختلط فيها الحصى بالرمل والطين . إصعادها ارتفاعها وسيرها إلى العالية . حم أى قصد.

(٣٩ — ٤١) الصفصف المستوى من الأرض الذى لا ينبت . الدكداك المتلبد من الأرض . الأعقاد المتعقد المتراكم من الرمال . يهماء صحراء مطموسة المسالك . غطشى مؤنث أغطش أى مظلمة . الفياد ذكر البوم . إحقابه ، كل ما ربطه الرجل خلفه فقد أحقبه . الحلس ما يوضع فوق ظهر البعير والدابة تحت الرحل أو السرج ليقي ظهره . أغمد الراكب متاده ركبه ، وأغمد الحلس جعله تحت الرحل .

(٤٢ — ٤٤) تساقى القوم سقى كل واحد صاحبه ، أى ملت قتل أبنائها فى الحرب فهم لا يتساقون الماء ، ولكنهم يتبادلون أبناءهم الذين يقتلون فى الحرب . ثقب الزند خرجت ناره .

ويعود الشاعر إلى ناقته فيقول إنها تشبه هذه البقرة الباسلة، وقد غدت تشق مايعترض طريقها من أرض غليظة، ماضية فى طريقها إلى (سلامة ذى فائش) لا تَلْوى على شىء، حتى تبلغ ميعادها المقصود.

ويذكر الشاعر لممدوحه ما لقى فى سبيل الوصول إليه من صعاب.

(٣٩—٤١) فكم دون بيته من مراحل طويلة، بين أرض مستوية ورمال، منها المتلبد الساكن، ومنها المنعقد المتراكم. وكم دون بيته من صحراء قد عميت مسالكها على السالكين، يفزعه فيها صوت البوم، إذ ينعق فى ظلام الليل البهيم، فيزيد فى وحشته وروعته. وكم دون بيته من سفر مُضْنٍ مُمِضٍّ تُحَط فيه الرحال تارة للاستراحة، وتثبت أخرى لمواصلة الرحلة.

(٤٦—٤٧) ثم يقبل الشاعر على ممدوحه فيقول: كان قوم يتمنون أن يشتبكوا معك فى حرب طويلة، ويظنون أنهم يصبرون لها. وكانوا قبل أن تصيبهم الحرب موفورى القوة والنشاط. فقد جربها الذين كانوا يطلبونها، وهاهم أولاء يكتوون بنارها. ثم يتجه إلى قبائل حِمْيَر — قوم الممدوح — فيقول:

(٤٢—٤٥) إن أصلحتم أمركم، ومللتم هذه الحروب التى تهلكون فيها أبناءكم وتتساقونهم، وجدتموه خيركم فى السلم وأوراكم زنادا. فأن أبيتم إلا أن توقدوا بينكم الحرب وتتلظوا بنارها، تستبدلونها من برد السلام وأمنه، فستجدونه أصبركم على أرزائها، وأجلدكم على إدمانها.

(٥٠—٥٢) كم فى بيته من سَبِيَّة قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً، وأخرى يطلب أهلُها أن يفتدوها بالمال. وكم فيه من نوق ساقها إليه الغارة، فنُزِعَتْ من فناء أصحابها لتقيم فى فنائه وتضاف إلى إبله، وبدلت بأسمائها القديمة أسماء أخرى جديدة. هذا رجلُ خَيِّرٍ جزل العطاء.

٤٨— تَعْرِضُ له كثير من المواطن التى تقتضى البذل فلا يضن ولا يضيق.

(٥٣—٥٦) يهلك ماله حين يشتد القحط فى الشتاء، وتهزل النساء، فتجول جبائرها فى أعضادها. (والجبيرة سوار تتزين به المرأة وتضعه فى عضدها) وإن فى قومه لعفة ووفاء. تجاورهم المرأة فيقومون مقام أهلها وعشيرتها، لا يطمعون فى مالها فيسعوا لنكاحها إن كانت ذات ثراء، ولا يضيقون بها فيُسْلِمُوها إن كانت فقيرة معدمة. فأذا شهدوا الحرب وجدتهم شجعانا ينهضون بأعباء القتال.

٤٥— وُجِدْتَ صَبُورًا عَلَى رُزْئِهَا　　وَحَرِّ الحُرُوبِ وَتَرْدَادِهَا
٤٦— وَقَالَتْ مَعَاشِرُ مَنْ ذَا لَنَا　　بِحَرْبٍ عَوَانٍ وَتَطْرَادِهَا
٤٧— وَكَانُوا بِشَحْمِ الكُلَى قَبْلَهَا　　فَقَدْ جَرَّبُوهَا لِمُرْتَادِهَا
٤٨— كَثِيرُ النَّوَافِلِ تَبْرِي لَهُ　　مَرَازِيءُ لَيْسَ بِعَدَّادِهَا
٤٩— ....　　وتعرِضُ أُخْرَى بأذْوَادِهَا
٥٠— وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ　　وأُخْرَى يُقَالُ لَهُ فادِهَا
٥١— وَمَنْزُوعَةٍ مِنْ فِنَاءِ امْرِيءٍ　　لِمَبْرَكِ آخَرَ مُزْدَادِهَا
٥٢— تَدُرُّ عَلَى غَيْرِ أَسْمَائِهَا　　مُطَرَّفَةٌ بَعْدَ إِتْلَادِهَا
٥٣— هَضُومُ الشِّتَاءِ إِذَا المُرْضِعَا　　تُ جَالَتْ جَبَائِرُ أَعْضَادِهَا
٥٤— وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً　　يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا
٥٥— فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى　　وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِأَزْهَادِهَا
٥٦— أُنَاسٌ إِذَا شَهِدُوا غَارَةً　　يَكُونُونَ ضِدًّا لِأَنْدَادِهَا

(٤٥ — ٤٧) الحرب العوان التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله العوان من البقر والخيل ، وهى التى ولدت بعد بطنها الأولى . التطراد الطرد والسوق والابعاد . بشحم الكلى أى فى نشاطهم وكامل قوتهم . مرتادها طالبها ، والرود (بفتح فسكون) الطلب.

(٤٨ — ٥١) تبرى له تعرض له . مرازىء من رزأه ماله إذا أصاب منه شيئاً ، والمرزءون (بتشديد الزاى وفتحها) الكرماء . الأذواد جمع ذود وهو جماعة الابل . غير ممهورة لأنها سبية أخذت قهراً فى الحرب . ومنزوعة ناقة أخذت فى غنائم الحرب .

(٥٢ — ٥٤) تدر على غير أسمائها ، سميت عنده بغير أسمائها ، وكانت العرب تسمى الخيل والجمال وخصوصاً العتيق الكريم منها . مطرفة أى كانت قديمة موروثة عند أصحابها فأصبحت مستحدثة عنده . الهضوم الذى ينفق ماله ، ويد هضوم تجود بما لديها . الجبائر جمع جبيرة وجبارة وهى سوار عريض تلبسه المرأة فى العضد . جالت الجبائر فى أعضادها أى هزلت ، والأصل فى الجبارة أن تكون لاصقة بالعضد لا تجول ولا تتحرك . الأنضاد الأعمام والأخوال .

(٥٥ — ٥٦) سرها نكاحها . أى أنهم لايتزوجونها طمعاً فى مالها . لن يسلموها لا يتخلون عنها ويتركونها . لازهادها أى زهداً فيها لفقرها . أى أنهم لا يفعلون ما يفعلون بدافع الطمع ، ولكنهم يفعلونه بدافع الشهامة والنخوة والقيام بالواجب والوفاء به.

— ٩ —

تتصل هذه القصيدة فى موضوعها بالقصيدة (٦) « ودع هريرة إن الركب مرتحل » ولكنها تليها من الناحية التاريخية ، ويبدو أن الشر قد تفاقم حتى تجاوز البيوت الصغيرة إلى الحيين الكبيرين ، قيس بن ثعلبة (الذى ينتمى إليه الأعشى)، وشيبان بن ثعلبة (الذى ينتمى إليه يزيد ابن مسهر) . ولذلك فالأعشى هنا يوجه معظم هجائه إلى (شيبان) ، وقد كان يخص به (يزيد) فى القصيدة السابقة .

(١ — ٤) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته (هُرَيْرة) التى بدأ قصيدته السابقة بذكرها . ويبدو فى استهلاله شيء من الضيق والغضب حين يقول (هريرة ودعها) . . نعم ودعها وإن لام اللائمون . ويعود فيخاطب نفسه ، وكأنها لم تستجب لأمره الصارم العنيف : مالك لا تفعل ؟ أأنت واجم لفراقها ؟ ألم يكفك عام طويل قد أقمته معها ؟ إن حولا كاملا لحقيق بأن يشفى نفسك ويقضى حاجتك ، (ويَسْأَمُ سَائِمُ) ! . . . لكن هذا العنف الذى يخاطب به الأعشى نفسه ليس إلا صورة لحبها العنيف المتمكن من قلبه ، فهو لا يستطيع أن ينساها ، ولا يستطيع أن يتخلص من صورتها المتسلطة على خياله . وهاهو ذا يرسم لنا صورة من هذا الطيف . . . إنها رائعة الحسن والقوام ، كأنما قُدَّ الحسن على أعضائها بمقدار . ناعمة الشباب ، لها عينان كأنهما عينا ظبى أبيض خالص البياض . . ولها شعر أسود فاحم ، ووجه صاف نقى اللون ، يزيد فى فتنته صدر ومعاصم تكسوها الحلى .

(٥ — ٦) وثغر بسام ناصع البياض كأنه نَوْر الأقحوان . . . إنها هَمُّه الذى لا هم غيره . ولكن أنَّى له بها وهى بعيدة لا تدنو ، ولا يستطيعها من العِيس إلا السريع الجليد .

ويتعجل الأعشى غزله ، فيفرغ منه بعد هذا الحديث القصير الذى لا يتجاوز ستة أبيات ، وقد رأيناه يطيله فى القصيدة السابقة (٦) حتى يبلغ به أربعة وأربعين بيتاً . ولكنه هنا مشغول مهموم ، لا يكاد يفرغ لصاحبته ، فهو لا يلبث أن يقول :

(٧ — ٩) دع عنك هذا الحديث الذى لا غناء فيه ، واعمدْ بشعرك لغيرها ، تَكْوِى به الأنوف ، فتظل موسومة به أبداً .

وقال يهجو يزيد بن مُسْهِر الشَّيْبَانى :

(طويل)

١ — هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لَامَ لَائِمُ ... غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ
٢ — لَقَدْ كَانَ فِى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتَهُ ... تَقَضِّى لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سَائِمُ
٣ — مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ رَوْدٌ شَبَابُهَا ... لَهَا مُقْلَتَا رِئْمٍ وَأَسْوَدُ فَاحِمُ
٤ — وَوَجْهٌ نَقِىُّ اللَّوْنِ صَافٍ يَزِينُهُ ... مَعَ الحَلْىِ لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمُ
٥ — وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ
٦ — هِىَ الهَمُّ لَا تَدْنُو ولا يَسْتَطِيعُهَا ... مِنَ العِيسِ إلا النَّاجِيَاتُ الرَّوَاسِمُ
٧ — .... يُغْنِيكَ واعْمِدْ لِغَيْرِهَا ... بِشِعْرِكَ واعْلُبْ أَنْفَ مَنْ أَنْتَ وَاسِمُ
٨ — رَأَيْتُ بَنِى شَيْبَانَ يَظْهَرُ مِنْهُمُ ... لِقَوْمِىَ عَمْدًا نَغْصَةٌ وَمَظَالِمُ
٩ — فَأَنْ تُصْبِحُوا أَدْنَى العَدُوِّ فَقَبْلَكُمْ ... مِنَ الدَّهْرِ عَادَتْنَا الرِّبَابُ وَدَارِمُ
١٠— وَسَعْدٌ وَكَعْبٌ والعِبَادُ وَطَىِّءٌ ... وَدُودَانُ فِى أَلْفَافِهَا والأَرَاقِمُ
١١— فَمَا فَضَّنَا مِنْ صَائِغٍ بَعْدَ عَهْدِكُمْ ... فَيَطْمَعَ فِينَا زَاهِرٌ والأَصَارِمُ
١٢— ولَنْ تَنْتَهُوا حَتَّى تَكَسَّرَ بَيْنَنَا ... رِمَاحٌ بِأَيْدِى شُجْعَةٍ وَقَوَائِمُ
١٣— وَحَتَّى يَبِيتَ القَوْمُ فِى الصَّفِّ لَيْلَةً ... يَقُولُونَ نَوِّرْ صُبْحُ واللَّيْلُ عَاتِمُ
١٤— وُقُوفًا وَرَاءَ الطَّعْنِ والخَيْلُ تَحْتَهُمْ ... تُشَدُّ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ القَوَادِمُ

(١ — ٣) البين الفراق . واجم حزين ساكت . ثوى بالمكان أقام . اللبانة الحاجة . مبتلة جميله تامة الخلق، كأن الجمال بتل على أعضائها أى قطع . هيفاء خميصة البطن . رود ناعمة . الريم الظبي الابيض الخالص البياض . أسود فاحم شعر أسود شديد السواد .

(٤ — ٦) اللبة موضع النحر . غر جمع أغر وهو الابيض . الثنايا الاسنان التى تبدو عند الابتسام . الاقحوان نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء ، وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، يشبهون بها الأسنان . متناعم ريان . الهم موضع الاهتمام والتفكير . ناقة ناجية سريعة . رسمت الناقة رسيما أثرت فى الأرض ، والرسوم الذى يبقى على السير يوماً وليلة .

(٧ — ١٠) العلب الأثر . وسمه كواه وأثر فيه . النغصة كدر العيش ، الرباب هم ضبة وتيم وعدى وعكل وثور . دارم من تميم . العباد قبيلة كانت تسكن العراق . سعد من هوازن . دودان من أسد بن خزيمة، منهم الكميت بن زيد الشاعر الشيعى . الاراقم من تغلب . ألفافها جماعاتها .

(١١ — ١٤) فما فضنا ، الفض الكسر . زاهر بن سيار من بنى همام ، وقد تقدمت القصة فى القصيدة (٦) . الليل عاتم محتبس . القوادم جمع قادم وهو الرأس .

ويقبل على بنى شيبان فيوجه إليهم خطابه قائلا :

رَأَيْتُ بنى شَيْبَانَ تَظْهَرُ مِنْهُمُ   لِقَوْمِىَ عَمْدًا نِغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

ويقول لهم : إن تصبحوا أقرب الأعداء وآخرهم فقد عادانا من قبلكم كثير .

(١٠ــ١٤) وهو يعدد لهم من ذاق عداوتهم من القبائل فلم يصبر عليها ، قائلا : إننا على عهدكم بنا لم يكسر شوكتنا أحدٌ ، ولم يغيرنا عن أخلاقنا شيء ، ففيم إذن يطمع فينا زاهر والأراقم ؟ إنكم لن تنتهوا حتى تتكسر بيننا رماح وسيوف ، وحتى يبيت القوم فى قتال مرير ، قد شُدَّتْ رءوسهم فوق أكتافهم شداً .

(١٥ــ١٩) ومن تحتهم الخيل تقتحم الزحام ، مندفعة إلى القتال ، كلما سمعت زجر من فوقها من الفرسان الضراغم أُسُودِ (الزَّارَ تَيْن) . تقولون وقد اشتد بكم الكرب ، وأجهدكم القتال ، (نَوِّرْ صُبْحُ!) ، والليل جاثم طويل ، لم ينته إلا أقله . لن تنتهوا حتى يكون بيننا مثل هذا القتال العنيف ، أو تكسروا من حدتكم ، فأنما جنون من حَيَّرَه الشر وخَبَلَه الجهلُ والسَّفَهُ على نفسه .

إنكم إن لقيتمونا لقيتم بنا قوما لايجبن سلاحهم ، حين تكون الجماجم أهداف السيوف . وإن أبناءنا ليتسابقون إلى القتال ، كما يتسابق الظماء إلى الماء .

(٢٠ــ٢٤) وأَهْوِنْ بما يقول عنا يزيد بن مسهر ! فستمدنا (اللهازم) وتجتمع إلينا بِرَغْمِه[١] . وإنه لينفر منى حين يلقانى ، ويصرف عنى نظره ، مقطبا وجهه ، كأنما وُضِعَتْ بين عينيه المحاجم . وما أبالى أن يديم الله غصَّتَه بى ، وما أبالى أن أكون شَجًى فى حلقه .

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى   وَلَا تَلْقَنِى إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

ويخص الأعشى يزيد بن مسهر بخطابه ، لأنه سبب هذا الشر الذى وقع بين الحيين ، فيقول له: لئن جد بيننا التقاطع ، لتقتلن مخلفاً أموالك التى تعتز بها (عليها الخواتم) ، ولتجتمعن عليك النساء فى مأتمك ، يندبنك نائحات ، (يقلن : حَرَامٌ ما أُحِلَّ بربنا) ــ والأعشى هنا غاية فى البراعة حين يحكى

(١) اللهازم هم قيس بن ثعلبة وعجل بن بكر وحنيفة بن بكر وعنزة . هؤلاء حلف .

١٥— إذَا مَاسَمِعْنَ الزَّجْرَ يَمَّمْنَ مُقْدَمًا ... عليها أُسُودُ الزّارَتَيْنِ الضَرَاغِمُ
١٦— أَبَا ثَابِتٍ أَوْ تَنْتَمُونَ فَأَنَّمَا ... يَهِيمُ لِعَيْنَيْهِ مِنَ الشَّرِّ هَائِمُ
١٧— مَتَى تَلْقَنَا والخَيْلُ تَحْمِلُ بَزَّنَا ... خَنَاذِيذَ مِنْهَا جِلَّةٌ وَصَلَادِمُ
١٨— فَتَلْقَ أُنَاسًا لَا يَخِيمُ سِلَاحُهُمْ ... إذَا كَانَ حَمًّا للصَفِيحِ الجَمَاجِمُ
١٩— وَإِنَّا أُنَاسٌ يَعْتَدِي البَأْسَ خَلْفُنَا ... كَمَا يَعْتَدِي المَاءَ الظِّمَاءُ الحَوَائِمُ
٢٠— لَهَانَ عَلَيْنَا مَايَقُولُ ابنُ مُسْهِرٍ ... بِرَغْمِكَ إذْ حَلَّتْ عَلَيْنَا اللَّهَازِمُ
٢١— يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا ... زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المَحَاجِمُ
٢٢— فَلَايَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلَا تَلْقَنِي إلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
٢٣— فَأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التَّقَاطُعَ بَيْنَنَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يَوْمًا عَلَيْكَ المَآتِمُ
٢٤— يَقُلْنَ حَرَامٌ مَا أُحِلَّ بِرَبِّنَا ... وَتَتْرُكُ أَمْوَالًا عَلَيْهَا الخَوَاتِمُ
٢٥— أَبَا ثَابِتٍ لَا تَعْلَقَنْكَ رِمَاحُنَا ... أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَعِرْضُكَ سَالِمُ
٢٦— أَفِي كُلِّ عَامٍ تَقْتُلُونَ وَنَتَّدِي ... فَتِلْكَ التي تَبْيَضُّ مِنْهَا المَقَادِمُ
٢٧— وذَرْنَا وَقَوْمًا إن هُمُو عَمَدُوا لَنَا ... أَبَا ثَابِتٍ واجْلِسْ فَأَنَّكَ نَاعِمُ
٢٨— طَعَامُ العِرَاقِ المُسْتَفِيضُ الّذِي تَرَى ... وَفِي كُلِّ عَامٍ حُلَّةٌ وَدَرَاهِمُ

(١٥ — ١٨) الزارة الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب . انتمى ينتمى انكسر . رجل هائم وهيوم متحير . البز السلاح . خناذيذ كرام . قوم جلة عظماء سادة . صلادم غلاظ شداد . يخيم يجبن . حما قصدا . الصفيح السيوف .

(١٩ — ٢١) خلفنا نسلنا ، يسرعون إلى الحرب . الحائم العطشان والذى يدور حول الماء . اللهازم تيس بن ثعلبة وعنزة وعجل وحنيفة ؛ زوى جمع بين عينيه وقبضه . المحاجم جمع محجم (بكسر الميم) وهو مايحجم به . وحجم طرفه عنى صرفه .

(٢٢ — ٢٥) الريح تصفق الأشجار فتصطفق أى تضطرب ، والنساء يصطفقن على الميت . أقصر كف عن الأمر .

(٢٦ — ٢٨) اتدى أخذ الدية ولم يثأر بقتيله . القوادم جمع قادم ، وقادم الانسان رأسه . عمد له قصده . ناعم مترف لايحتمل الحرب .

ألفاظ النساء ، فيصور حزنهن العاجز الضعيف ، وكأنه لم يعد هناك من رجال بنى شيبان من يثأر للقتيل . وقصارى ما يبلغون من الثأر له ، أن تتحسر عليه النساء فى هذه الكلمات العاجزة .

٢٥ — اَنْجُ بنفسك قبل أن تنالك رماحنا ، وأقصِرْ قبل أن يمزَّق عرضك ، ودعنا ومن يبغينا الشر ، وتنحَّ أنت عما لا شأن لك به ، وعما لا تصلح له .

(٢٧—٢٩) وهل أنت إلا رجل ناعم ، يأتيك طعام العراق وأنت قاعد ، (وفى كل عامٍ حُلَّةٌ ودراهم) ، يفيضها عليك ملوك العراق !

أتحض بنى سيار على قتل سادتنا وأشرافنا ، ثم تزعم بعد القتل أن لا يد لك فيه ؟

٢٦ — أفى كل عام تَقْتُلون ، ونقبل نحن الدية إبقاء على الرحم والقربى ! أما للشر من نهاية ؟ إن هذا لهو البلاء الذى تشيب له الرءوس .

(٣٠—٣٤) لن ينتهى هذا إلا إلى حرب تقلق الإبل السارحة فى مرعاها ، ويفيق فيها النائمون من سباتهم بالطعنة النافذة ، يندفع منها الدم حتى يغشى فُرُشَهم ، ويبيت فيها المطعون قد أوقدت من حوله النار ، وتُسْبَى فيها النساء ، فتجد السيدة الكريمة تخدم ابنة عمها ، ممتهنة مبتذلة ، كفعل الخدم والإماء . تستشفع بالقرابة والرحم ، إذ تتصل ببكر بن وائل ، وبكر هى التى أحلت سباءها ، وأنف قومها المعتدين راغم ذليل .

— ٩ —

٢٩— أَتَأْمُرُ سَيَّارًا بِقَتْلِ سَرَاتِنَا ... وَتَزْعُمُ بَعْدَ القَتْلِ أَنَّكَ سَالِمُ
٣٠— أَبَا ثَابِتٍ إِنَّا إِذَا تَسْبِقُنَّنَا ... سَيُرْعَدُ سَرْحٌ أَوْ يُنَبَّهُ نَائِمُ
٣١— بِمُشْعِلَةٍ يَغْشَى الفِرَاشَ رَشَاشُهَا ... يَبِيتُ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمُ
٣٢— تَقَرُّ بِهِ عَيْنُ الَّذِى كَانَ شَامِتًا ... وتَبْتَلُ مِنْهَا سُرَّةٌ وَمَآكِمُ
٣٣— وتُلْفَى حَصَانٌ تَخْدُمُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كَمَا كَانَ يُلْفَى النَّاصِفَاتُ الخَوَادِمُ
٣٤— إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ أَبَكْرَ بنَ وَائِلٍ ... وَبَكْرٌ سَبَتْهَا والأُنُوفُ رَوَاغِمُ

(٢٩ — ٣١) بنو سيار قوم زاهر المقتول ، والقصة في القصيدة (٦) . السرح الابل الراعية . مشعلة طعنة واسعة تفرق منها الدم مندفعاً . جاحم متوقد ، يوقدون عند المطعون ليعرفوا حاله فى كل ساعة .

(٣٢ — ٣٤) قرت عينه بردت سرورا أو رأت ما كانت متشوقة إليه . تبتل تقطع . المآكم جمع مأكمة وهى العجيزة يكنى بها عن المرأة . ويقصد بقطع السرة والمآكم قطع الأرحام والقرابة ، لأن الحيين المتخاصمين أبناء عم . حصان سيدة كريمة . الناصفات الخادمات . اتصلت انتمت وانتسبت ، تنتسب إلى بكر بن وائل جد الحيين المتخاصمين ، تقربا إلى الذين سبوها فى الحرب .

— ١٠ —

شيبان بن شهاب الجحدرى الذى يهجوه الأعشى فى هذه القصيدة هو أحد سادة بنى جحدر . وهو جد المسامعة . وحفيده أبو غسان مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب ، سيد ربيعة فى فتنة ابن الزبير . وبنو جحدر هم بنو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة هو الفرع الذى ينتمى إليه بيت الأعشى (سعد بن ضبيعة) . فشيبان بن شهاب هذا قريب القرابة من الأعشى كما نرى ، ولكن حياة الصحراء لا تستقر حق بين أبناء العمومة الأقربين ، فهى خصومة وتنافس دائم . وهم على ما يقول القطامى :

وأحياناً على بكر أخينا إذا مالم نجـد إلا أخانا

ويبدو أن العلائق لم تكن حسنة بين أبناء قيس بن ثعلبة من البيتين ، فنى ديوان الأعشى قصيدتان فى بنى جحدر ، كلتاهما هجاء (القصيدتان ٢٢ ، ٥٣) . أما شيبان بن شهاب الجحدرى ، فللأعشى قصيدة أخرى فيه (القصيدة ٢٠) وهى هجاء أيضاً . والقصيدة التى بين أيدينا تسبق القصيدة (٢٠) ، فهو هنا لا يتناول خصمه بأكثر من خمسة أبيات (٢٠ — ٢٥) مهدداً .

والأعشى هنا — كما هو فى كثير من قصائده — لا يعنيه من أمر صاحبته التى يتغنى بها إلا أنها وسيلة لتحقيق لذته ، ولذلك فهو لا يذكر اسمها ، وإنما يشير إليها بـ(تيَّا) . فهو لا يتغنى بها فى حقيقة الأمر ، وإنما يتغنى بلذته .

(١ — ٤) يقول إن صاحبته قد أمعنت فى الهجر والبعد ، وأَحْبِبْ بها لو أن فى الوسع إدراكها . لم يكن الأعشى يظن أن رأى السوء قد علق قلبه بمثل هذه الوَهْنَانَةِ الناعسة . وما لها ألّا تصد وتهجر ، وقد رأته عجوزاً وهى لا تزال فى شبابها ، فهو خليق بأن يكون رفيقاً لأمها ، وهى خليقة بأن تكون رفيقاً للشباب من الرجال ، وإن تحت قميصها لجِسْماً ناعماً ، يتفجر بالفتنة والأنوثة .

إن أكن فارقت الشباب ، فلقد كنت فى شبابى فاتكا فَتِيًّا .

(٥ — ٩) كم مثلكِ قد طلبت فأدركت ، أعصى فى طلبها الوشاة والعاذلين . لو سُقِيتَ من رضابها بعد أن تهجع فى الليل ، ويسترخى جيدها للنعاس ، لخلته خمر فلسطين ، تجرى فوق لثاتها الرقيقة القليلة اللحم . وكم من خصمٍ تمنى المنى ورجا أن تنالنى يداه ، فطالته يدى وشفيت منه نفسى . وكم من ناقة ضامرة فى قوائمها لين ومرونة ، قد ركبتها فى الأسفار الطويلة ، حتى أكللتها وأدميت أخفافها ، ثم مضيت أستخرج بالسوط بقية ما تدخر من قوة ونشاط .

(١٠ — ١٤) وكم من كأسٍ حمراء ، كأنها الدم المتساقط من اللحم ، قد بكرت إليها أشربها ، وقد غفل عنها هُوَاتُها من الشاربين . حمراء يصفو لون سطحها فى احمراره ، ويضرب للسواد فى قاعه ، تكاد لما كمن فيها من الحرارة تفرى جلد الزق الذى يحتويها .

ما أعظم الفرق بين صباح الشارب وبين مسائه . هو فى صباحه كئيب منقبض النفس ، تطرقه الهموم ملحة عليه لا تفارقه .

وقال لشيبْان بن شِهاب الجَحْدَرِىّ :

١ — أجَدَّ بِتَيَّا هَجْرُهَا وَشَتَاتُهَا ... وَحَبَّ بِهَا لَوْ تُسْتَطَاعُ طِيَاتُهَا (طويل)
٢ — وَمَاخِلْتُ رَأْىَ السُّوءِ عَلَّقَ قَلْبَهُ ... بِوَهْنَانَةٍ قَدْ أَوْهَنَتْهَا سِنَاتُهَا
٣ — رَأَتْ عُجُزًا فِى الحَىِّ أَسْنَانَ أُمِّهَا ... لِدَاتِى وشُبَّانُ الرِّجَالِ لِدَاتُهَا
٤ — فَشَايَعَهَا مَا أَبْصَرَتْ تَحْتَ دِرْعِهَا ... على صَومِنَا واسْتَعْجَلَتْهَا أَنَاتُهَا
٥ — ومِثْلِكِ خَوْدٍ بَادِنٍ قد طَلَبْتُهَا ... وسَاعَيْتُ مَعْصِيًّا لَدَيْنَا وُشَاتُهَا
٦ — متى تُسْقَ من أنيابِهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ ... من اللَّيْلِ شِرْبًا حِينَ مَالَتْ طُلَاتُهَا
٧ — تَخَلْهُ فِلَسْطِيًّا إذَا ذُقْتَ طَعْمَهُ ... عَلَى رَبِذَاتِ النَّىِّ حُمْشٍ لِثَاتُهَا
٨ — وَخَصْمٍ تَمَنَّى فاجْتَنَيْتُ بِهِ المُنَى ... وعَوْجَاءَ حَرْفٍ لَيِّنٍ عَذَبَاتُهَا
٩ — تَعَالَلْتُهَا بالسَّوْطِ بَعْدَ كَلَالِهَا ... عَلَى صَحْصَحٍ تَدْمَى به بَخَصَاتُهَا
١٠— وكَأْسٍ كَمَاءِ النَّىِّ بَاكَرْتُ حَدَّهَا ... بِغِرَّتِهَا إذْ غَابَ عَنِّى بُغَاتُهَا
١١— كُمَيْتٍ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوقَ كُمْتَةٍ ... يَكَادُ يُفَرِّى المِسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا
١٢— وَرَدْتُ عَلَيْهَا الرِّيفَ حتى شَرِبْتُهَا ... بِمَاءِ الفُرَاتِ حَوْلَنَا قَصَبَاتُهَا
١٣— لَعَمْرُكَ إنَّ الرَّاحَ إنْ كُنْتَ سَائِلاً ... لَمُخْتَلِفٌ غُدْيَاتُهَا وَعَشَاتُهَا
١٤— لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْثُ نَفْسٍ وَكَآبَةٌ ... وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبُّ أَذَاتُهَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . الشتات الفراق . حب بها أحبب بها . طياتها وطنها ، الحق بطيتك أى الحق بوطنك . وهنانة لينة رخوة ، والتى فيها فتور عند القيام . سناتها جمع سنة وهو النوم ، يقول إنها كثيرة النوم ، وكذلك شأن المترفات . اللدة الأتراب والصحب الذين من نفس الجيل والسن .

(٤ — ٦) شايعها شجعها . الدرع القميص ، أى حين نظرت إلى بدنها وحسنه . الصوم الامساك عن الفعل ويقصد به هنا القطيعة . الأناة الحلم والوقار . الخود المرأة الشابة . ساعيت ، المساعاة الفجور وهو لا يستعمل إلا فى الاماء خاصة . الطلاة واحدة الطلى وهى الأعناق ، أى مالت للنوم . الشرب الماء المشروب ، والمقصود به هنا ريقها .

(٧ — ٩) فلسطى خمر من فلسطين ، وخمر الشام مشهورة عندهم . ربذات النى ، النى الشحم . والربذة الخفيفة . حمش لطيفة ليست غليظة اللحم . عوجاء ناقة ضامرة . حرف صلبة . عذباتها قوائمها . لينة مرنة . تعاللتها ركبتها مرة بعد مرة مستخرجا أقصى ماعندها من السير ، كما يشرب الشارب العلل بعد النهل . صحصح أرض مستوية . البخص (بفتحتين) لحم القدم وفرسن البعير .

(١٠ — ١٤) النى اللحم الذى لم يطبخ ، يشبه الخمر فى حمرتها بالماء المتساقط منها مختلطا بالدم . حد الشراب سورته وصلابته . الغرة الغفلة . بغاتها طلابها . الكمتة الحمرة تضرب للسواد . يفرى يشق . المسك الجلد . القصبات المزامير يزمر فيها الزمرات فى دور الخمر . الغداة أول النهار والعشاة آخره . الضحى عند ارتفاع النهار . خبث نفس انقباض . ماتغب ماتفتر ولا تنقطع .

(١٥ — ١٩) وهو فى مسائه طيب النفس، منشرح الصدر، تهزه النشوة، فيسارع إلى البذل ولا يقيم للمال وزنا. من أجل ذلك كنت حريصاً على الخمر، أشربها على كل حال: غنياً، وصعلوكا، ومعدما لا أجد القوت. وَرَدْتُ عليها الريف، أشربها على ماء الفرات، يزمر من حولنا الزامرون بالقصبات. أتانا بها الساقى، فأسند زقه إلى حجارة يزل عنها الماء، فأنخنا إبلنا، وأقبلنا عليها نشربها قعوداً، ومن خلفنا النوق باركة. ثم استأنفنا سفرنا، إلى سادة تكسوهم المهابة، ويتميزون بمظهرهم النبيل، إذا اجتمعت جموع العرب من مَعَدّ بن عَدْنان.

وهنا يتجه الأعشى بالخطاب إلى أبى مسمع شيبان بن شهاب، مفتخراً بنفسه وبقبيلته، وبما بنى له أحياؤها وأمواتها من مجد. ويقول — وكأنه يعرض به أو ببعض قومه —:

(٢٠ — ٢٤) إننا لا نُتَّهَمُ بسرقة النوق إذا ما تفرقت فى الليل، وانتشرت مهملة لا يرعاها راع، ولا نسطو عليها متلصصين. إننى أعرف من أمرك ومن أمر قومك الكثير. فلا تثر على نفسك الشر، ولا تلمس الأفعى بيدك، ودعها إذا غَيَّبَهَا التراب. أنجُ بنفسك، فلئن أصابتك منى قصيدة، لتلحقن بها أخواتها. تعيرنى فخرى؟ وماذا عَلَىَّ لو فخرت، وإنما تتحدث كل قبيلة بما أورثها أجدادها وما بنوا لها من مجد؟

ويمضى الأعشى فى الفخر بقومه وبرجال قبيلته إلى نهاية القصيدة، فيقول:

(٢٥ — ٢٩) منا الذى أسرى إليه قريبه، وقد مسه الضر، ونكب فى ماله، فاستقبله مرحباً يقول: قد أصبت رَحِمًا وَصُولا. فلم يصبح الصباح حتى قام إلى مبرك الإبل، وساق إليه قطيعاً فيه مائة ناقة يحدوها رعاتها. ومنا يزيد بن عمرو، إذ تمرح خيله فى أعرافها يوم (أسْفَلَ شَاحِب)، وقد اندفع إلى (ابن هِرّ) فى غبار المعركة، فطعنه طعنة نافذة، يندفع منها الدم نَعَّاراً فيفيض على حَيْزُومه.

١٥— وَعِنْدَ العَشِيِّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وَمَالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا
١٦— عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا ‏ ‏ ‏ ‏ غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا
١٧— أَتَانَا بِهَا السَّاقِي فَأَسْنَدَ زِقَّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ إِلَى نُطْفَةٍ زَلَّتْ بِهَا رَصَفَاتُهَا
١٨— وُقُوفًا فَلَمَّا حَانَ مِنَّا إِنَاخَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ شَرِبْنَا قُعُودًا خَلْفَنَا رُكَبَاتُهَا
١٩— وَفَيْنَا إِلَى قَوْمٍ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَا مَا مَعَدٌّ أَحْلَبَتْ حَلَبَاتُهَا
٢٠— أَبَا مِسْمَعٍ إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ بَنَى لِيَ مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا
٢١— فَلَسْنَا لِبَاغِي المُهْمَلَاتِ بِقِرْفَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَا مَا طَحَا بِاللَّيْلِ مُنْتَشِرَاتُهَا
٢٢— فَلَا تَلْبِسِ الأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا ‏ ‏ ‏ ‏ وَدَعْهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا
٢٣— أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَإِنَّ قَصِيدَةً ‏ ‏ ‏ ‏ مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقْ بِهَا أَخَوَاتُهَا
٢٤— أَعَيَّرْتَنِي خَمْرِي وَكُلُّ قَبِيلَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ مُحَدِّثَةٌ مَا أَوْرَثَتْهَا سُعَاتُهَا
٢٥— وَمِنَّا الَّذِي أَسْرَى إِلَيْهِ قَرِيبُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ حَرِيبًا وَمَنْ ذَا أَخْطَأَتْ نَكَبَاتُهَا
٢٦— فَقَالَ له: أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ‏ ‏ ‏ ‏ أَرَى رَحِمًا قَدْ وَافَقَتْهَا صِلَاتُهَا
٢٧— أَثَارَ لَهُ مِنْ جَانِبِ البَرْكِ غُدْوَةً ‏ ‏ ‏ ‏ هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا إِلَيْهِ رُعَاتُهَا
٢٨— وَمِنَّا ابْنُ عَمْرٍو يَوْمَ أَسْفَلَ شَاحِبٍ ‏ ‏ ‏ ‏ يَزِيدُ وَأَلْهَتْ خَيْلَهُ عُذُرَاتُهَا
٢٩— سَمَا لِابْنِ هِرٍّ فِي الغُبَارِ بِطَعْنَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ يَفُورُ عَلَى حَيْزُومِهِ نَعَرَاتُهَا

(١٥ — ١٨) مال كثير أى أنهم إذا انتشوا وهبوا . ما إن أقاتها ، القائت للسكة من الرزق ، أى ليس عندى بقدر القوت . نطفة غدير . الزق قربة صغيرة يحمل فيها الخمر . الرصفات الحجارة المتراصفة بعضها إلى بعض . ناقة ركوبة وركباة تركب أو مذللة .

(١٩ — ٢١) وفينا إلى قوم أتيناهم . أحلبت اجتمعت والحلب (بوزن إسم الفاعل) المعين . الحلبات جمع حلبة وهى الخيل تجمع للسباق . معد بن عدنان الذى ينتسب إليه عرب الشمال من ربيعة ومضر جميعا . أبو مسمع جد للسامة وهو شيبان بن شهاب . المهملات المرسلات بغير راع . قرفة ظنة وتهمة ، وقارف الذنب ارتكبه ، والمقارفة المخالطة . طحا تفرق وذهب .

(٢٢ — ٢٥) السفاة التراب . أقصر أى كف وانته عنا . الحريب الذى ذهب ماله ، وحربه ماله أى سلبه إياه .

(٢٦ — ٢٩) الرحم القرابة لأنهم ولدوا من رحم واحدة . البرك الأبل الباركة . هنيدة مائة من الابل . عذرات جمع عذرة ، وعذرة الفرس شعر الناصية . الحيزوم وسط الصدر وما انضم عليه الحزام . نعراتها ، من قولهم نعر العرق بالدم إذا فار منه وكان لاندفاعه صوت .

(٣٠ــ٣٤) ومنا السيد الماجد يوم (الهَامَتين)، إذ جنى الجناة جنايتهم فى (نِطَاع)، ثم شفع فى مائة منهم فأطلق سراحهم[١]. ومنا الذى شفع عند المنذر بن ماء السماء فى سبايا شَيْبَان ، وقد عرضهن على النار وأمر بأحراقهن ، فاستجاب لشفاعته ووهبهن له .

(٣٥ــ٣٧) وإنا لنبذل أموالنا فى السنة الشديدة القحط ، حين تغبر آفاق السماء ، ويسرع الراعى إلى لِقَاحِه ، يُؤْويها خشية البرد . فى مثـل هذه السنة نهين إبلنا فنذبحها للطارقين ، فنخرج منها وعرضنا عزيز موفور . وإنا لنَحُلُّ الدار المخوفة التى لا ماء فيها ولا نبات ، فلا ترانا فيها إلا سَرَاة ، ولا ترانا إلا أهل حِفَاظ ، لا يلطخ شرفَنا شَيْنٌ أو عار .

(١) راجع يوم الصفقة فى القصيدة (١٣) من هذا الديوان . وفى الأغانى ١٦: ٧٨ ، ابن الأثير ١: ٣٧٨ ، العقد الفريد ٦: ٧٩ ، أيام العرب ص٣، وراجع كذلك يوم أوارة فى ابن الأثير ١ - ٣٣٤ ، أيام العرب ٩٩ . فى القصيدة هنا شىء من الاضطراب والخلط ، بين يوم الصفقة ويوم أوارة ، يرجع فى الغالب إلى سقوط بعض أبيات القصيدة ، والتقديم والتأخير فى بعضها الآخر .

٣٠— وَمِنَّا امرُؤٌ يَوْمَ الهَمَامَيْنِ مَاجِدٌ   بِجَوٍّ نِطَاعٍ يَوْمَ تَجْنِي جُنَاتُها
٣١— فَقَالَ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ وسُخْطُهُ   عَلَى مِائَةٍ قَدْ كَمَّلَتْهَا وُفَاتُها
٣٢— وَمِنَّا الذى أَعْطَاهُ فى الجَمْعِ رَبُّهُ   عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُها
٣٣— سَبَايَا بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أُوَارَةٍ   عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُها
٣٤— كَفَى قَوْمَهُ شَيْبَانَ أَنَّ عَظِيمَةً   مَتَى تَأْتِهِ تُؤْخَذْ لَهَا أُهُبَاتُها
٣٥— إِذَا رَوَّحَ الرَّاعِي اللِّقَاحَ مُعَجِّلًا   وَأَمْسَتْ عَلَى آفَاقِهَا غَبَرَاتُها
٣٦— أَهَنَّا لَهَا أَمْوَالَنَا عِنْدَ حَقِّهَا   وَعَزَّتْ بِهَا أَعْرَاضُنَا لَا نُفَاتُهَا
٣٧— وَدَارِ حِفَاظٍ قَدْ حَلَلْنَا مَخُوفَةٍ   سُرَاةً قَلِيلٍ رِعْيُهَا وَنَبَاتُهَا

(٣٠ — ٣٤) يشير بالبيتين إلى يوم أوارة . الفاقة الفقر . يوم أوارة الأول للمنذر بن ماء السماء على بكر . جلا العروس زينها .

(٣٥ — ٣٧) اللقاح الابل ذوات الألبان . معجلا بمجل الرواح (أى المودة) قبل غيوب الشمس من شدة البرد. آفاق الأرض أقطارها، غبراتها ، إنما تغبر آفاق الأرض فى القحط وفى هبوب الرياح المحملة بالتراب والرمال . أهنالها أى لهذه السنة الشديدة . عند حقها فى موضع الانفاق الحقيق أن ينفق فيه الرجل الكريم . لا نفات أعراضنا من الفوت وهو الذهاب والنفاد ، وذلك لأنهم ينفقون ، فيخرجون من مثل هذه السنة موفورى الكرامة ، محمودين غير ملومين . دار الحفاظ المقام الذى لا يقوم فيه إلا من يحافظ على حسبه وشرفه وسمعته . سراة سادة .

—١١—

ربما كانت هذه القصيدة هى أول ما مدح به الأعشى (هوذة) . فهو يصفه فى البيت (٢٠) بأنه فتى ، ويقول فى البيت (١٩) إنه سمع بجوده فقصد إليه يدلى بدلوه فى الدلاء .

يبدأ الأعشى بذكر صاحبته مشيراً إليها بـ (تيَّا) فيتساءل :

(١ — ٤) أتشفيك وتقضى حاجتك ، أم تتركك لدائك ، وكذلك تفعل بالرجال ، وإنها للعوب قَتُول ؟ كنت قد أقصرت عن الغزل وعن دواعي الشباب ، فأى ضلال قادك إليها ، وفى لقائها هلاكك ؟ أغْرَتْك وعَلَّقَتْ قلبك بها ، إذ تتراءى لك بعد أن نام صحبك ، فتكشف عن ثغرها البراق ، وشعرها الأسود الفاحم ، ثم قطعت حبالها من حبالك على حداثة العهد .

وينصرف الأعشى عن صاحبته إلى الصحراء ، كأنه يلتمس فى تِيهها العزاء .

(٥ — ٩) هى صحراء عمياء ، إذا توسطها المسافر لم يكد يهتدى لوجهه ، فتخرج عينه من شدة الحيرة والفزع ، ويُعجَل النعام فيها عن احتضان بيضه ، فيتركه عارياً لينجو بنفسه . يقول فيها رئيس الرهط إذ يدنو من صاحبه وقد خشى الهلاك : لك الويل ! انظر مِنْ حولك فى حذر ، واحرص على ما فى سقائك من ماء ، فالطريق أمامنا طويل بعيد .

كم من صحراء بعيدة الآفاق ، ينخرق فيها الريح لا يقف فى سبيله شىء ، قد قطعتها فوق ناقتى ، حين يقعد عن مثلها الهَيَّابَةُ الجبان ولا يروم مسالكها . كم أدمنت الرحلة فيها فى الليل — وما أطول الليل فى الصحراء — وإن نجومه لتبدو راكدة ثابتة فى عليائها لا تتحرك .

(١٠ — ١٤) قطعتها فوق ناقة بيضاء ضامرة ، برى السير سنامها ، وقد كان ضخما مكتنزاً بالشحم . لها فخذان تدفعان من فوقهما ظهراً متماسك الفقار ، كأنه بنيان الحجارة المرصوص . ولها صدر ترى مرفقيه وقد دخل أحدهما مُنْهَضِما ، وبرز الآخر معتدلا ، بما يكشف عن نبل المَحْتِد وكرم النِّجار ، وكأنهما فى قوتهما البادية قصر من قصور الملوك . ولها رأس صلب دقيق فى موضع الخطام فوق الأنف . تبدو فِقَارُ ظهرها ورقبتها فى ضخامتها ومتانتها ، وكأن الفقرة منها قطعة من العَضُد .

ثم ينتقل الشاعر إلى الممدوح فيقول : إلى «هوذة الوَهَّاب» أهدى مدحَتى ، مرجياً نواله وعطاءه .

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ :

(طويل)

١ — أَتَشْفِيكَ «تَيَّا» أَمْ تُرِكْتَ بِدَائِكَا ... وَكَانَتْ قَتُولًا لِلرِّجَالِ كَذَلِكَا

٢ — وَأَقْصَرْتَ عَنْ ذِكْرِ البَطَالَةِ والصِّبَى ... وَكَانَتْ سَفَاهًا ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَا

٣ — وَمَا كَانَ إِلَّا الحَيْنَ يَوْمَ لَقِيتَهَا ... وَقَطْعَ جَدِيدٍ حَبْلُهَا مِنْ حِبَالِكَا

٤ — وَقَامَتْ تُرِينِي بَعْدَ مَا نَامَ صُحْبَتِي ... بَيَاضَ ثَنَايَاهَا وَأَسْوَدَ حَالِكَا

٥ — وَيَهْمَاءَ قَفْرٍ تَخْرُجُ العَيْنُ وَسْطَهَا ... وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَامِ تَرَائِكَا

٦ — يَقُولُ بِهَا ذُو قُوَّةِ القَوْمِ إِذْ دَنَا ... لِصَاحِبِهِ إِذْ خَافَ مِنْهَا المَهَالِكَا

٧ — لَكَ الوَيْلُ أَفْشِ الطَّرْفَ بِالعَيْنِ حَوْلَنَا ... عَلَى حَذَرٍ وَأَبْقِ مَا فِي سِقَائِكَا

٨ — وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ ... إِذَا الجِبْسُ أَعْيَى أَنْ يَرُومَ المَسَالِكَا

٩ — قَطَعْتُ إِذَا مَا اللَّيْلُ كَانَتْ نُجُومُهُ ... بَوَانِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ سَوَامِكَا

١٠ — بِأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَهَا ... بِسَيْرِي عَلَيْهَا بَعْدَ مَا كَانَ تَامِكَا

١١ — لَهَا فَخِذَانِ تَحْفِزَانِ مَحَالَةً ... وَصُلْبًا كَبُنْيَانِ الصَّفَا مُتَلَاحِكَا

١٢ — وَزَوْرًا تَرَى فِي مِرْفَقَيْهِ تَجَانُفًا ... نَبِيلًا كَبَيْتِ الصَّيْدَلَانِيِّ دَامِكَا

١٣ — وَرَأْسًا دَقِيقَ الخَطْمِ صُلْبًا مُذَكَّرًا ... وَدَأْيًا كَأَعْنَاقِ الضِّبَاعِ وَحَارِكَا

١٤ — إِلَى هَوْذَةَ الوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِي ... أُرَجِّي نَوَالًا فَاضِلًا مِنْ عَطَائِكَا

١٥ — تَجَانَفُ عَنْ جُلِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي ... وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . أقصر كف . البطالة الباطل والفساد ونزوات الشباب . والسفاه والسفه خفة الحلم . الحين الهلاك .

(٤ — ٦) الثنايا الأسنان . أسود حالكا الشعر . يهماء صحراء عمياء مطموسة المسالك . ترائك جمع تريكة وهي المتروكة . ذو قوة القوم رئيسهم .

(٧ — ٩) أفش الطرف انظر . خرق صحراء واسعة ينخرق فيها الريح . جسرة ناقة ضخمة . الجبس الجبان . بوانى ثابتة لا تكاد تتحرك . سوامك مرتفعة .

(١٠ — ١٢) أدماء ناقة بيضاء . حرجوج طويلة . تامك مرتفع ضخم مكتنز . المحالة البكرة العظيمة ، وكذلك الفقرة من فقر البعير لشبهها بها . تحفزان تدفعان . الصلب سلسلة الظهر المكونة من فقار . الصفا الحجر . متلاحك متماسك . الزور وسط الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين . تجانفا وزورا ميلا . الصيدانى والصيدلانى والصيدنانى الملك ، كذلك قال صاحب اللسان ، ولست اعرف وجه اشتقاقه . دامك أملس مفتول صلب .

(١٣ — ١٥) الخطم موضع الخطام فوق الأنف . الدأى فقر الكاهل والظهر . الضبع العضد . الحارك أعلى الكاهل ، والكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . تجانف تميل وتنحرف . جل الشيء معظمه . بلاد اليمامة بين نجد واليمن ، وهى تتصل بالبحرين شرقاً وبنجد غربا . واليمامة تطلق على هذا الاقليم وعلى عاصمته التى كانت تسمى قديما (جو)

(١٥—١٩) أعرضت ناقتى عن جُلِّ أهل اليمامة ، ولم تقصد غيرك . وقد ألمت من قبلك بحياض أقوام ، فعافتها وعزفت نفسها عنها ، ولم تشرب إلا من حوضك . لم تزل تتنقل بين المدائن قلقة لا تستقر ، حتى بلغت قصور « جو » فألقت رحلها بفنائك واستقرت بها النوى . لم يسع مثلك فى الأقوام ساع ، ولا أطعم كريم فى مثل إنائك . ولقد بلغتنى أنباء كرمك وشمول عطائك ، فأدليت دلوى فى الدلاء أغترف مع المغترفين .

(٢٠—٢٤) وإنك لفتى تحمل من الأعباء ما لو حمله غيرك لما نهض به ولا أطاقه . ولقد عودتنى أن تفيض على من فضلك ، وأظللتنى بظلك ، فأنت مولع بالعطاء ، وأنا مولع بالثناء .

بنى لك أبوك «على» وأعمامك « مالك » «طلق» و « شيبان » ، فورثت عنهما بنوا من مجد . كانوا بحوراً يفيضون على الناس من خيرهم ، ويكفونهم رزقهم فى كل شدة لازبة .

(٢٥—٢٩) وكذلك أنت ، تجود بالعطاء ، قبل أن تحوج سائلك للسؤال .

زعم حسادك الكاشحون أنك جائر ظلوم ، لاهمّ لك إلا أن تميل على الناس وتأكل أموالهم إلى أموالك . وإن من هؤلاء المتخرصين لمن يعيش بمالك . وجدت أثراً مهدما فبنيته ، وكان فضلا منك ونعمة أن تلحقه ببنائك ، وربيت أيتاماً ، وضممت إليك صبية ، وبلغت فى ذلك أقصى السعى ، ثم لم يستنفد كل هذا من همتك الكبيرة إلا أيسرها .

(٣٠—٣٢) لك فى كل عام غزوة أنت جاشمها ، تُجَمِّع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالمال والمجد الذى يعوضك عما عانيت من البعد عن نسائك اللاتى يترقبن عودتك فى شوق . يزجرن الطير ، فتخبرهن بقرب أوبتك ، فتنام أعينهن على هذا الأمل الجميل .

١٦— أَلَمَّتْ بِأَقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاضَهُمْ قَلُوصِى وَكَانَ الشَّرْبُ مِنْهَا بِمَائِكَا
١٧— فَلَمَّا أَتَتْ آطَامَ جَوٍّ وَأَهْلَهُ أُنِيخَتْ وَأَلْقَتْ رَحْلَهَا بِفِنَائِكَا
١٨— وَلَمْ يَسْعَ فِى الأَقْوَامِ سَعْيَكَ وَاحِدٌ وَلَيْسَ إِنَاءٌ لِلنَّدَى كَإِنَائِكَا
١٩— سَمِعْتُ بِسَمْعِ البَاعِ وَالجُودِ وَالنَّدَى فَأَدْلَيْتُ دَلْوِى فَاسْتَقَتْ بِرِشَائِكَا
٢٠— فَتًى يَحْمِلُ الأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكَا
٢١— وَأَنْتَ الَّذِى عَوَّدْتَنِى أَنْ تَرِيشَنِى وَأَنْتَ الَّذِى آوَيْتَنِى فِى ظِلَالِكَا
٢٢— فَإِنَّكَ فِيمَا بَيْنَنَا فِىَّ مُوزَعٌ بِخَيْرٍ وَإِنِّى مُولَعٌ بِثَنَائِكَا
٢٣— وَجَدْتَ عَلِيًّا بَانِيًا فَوَرِثْتَهُ وَطَلْقًا وَشَيْبَانَ الجَوَادَ وَمَالِكَا
٢٤— بُحُورٌ تَفُوتُ النَّاسَ فِى كُلِّ لَزْبَةٍ أَبُوكَ وَأَعْمَامٌ هُمُ هَؤُلَائِكَا
٢٥— وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى تَجُودَانِ بِالأَعْطَاءِ قَبْلَ سُؤَالِكَا
٢٦— يَقُولُونَ فِى الأَكْفَاءِ أَكْبَرُ هَمِّهِ أَلَا رُبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعِيشُ بِمَالِكَا
٢٧— وَجَدْتَ انْهِدَامَ ثُلْمَةٍ فَبَنَيْتَهَا فَأَنْعَمْتَ إِذْ أَلْحَقْتَهَا بِبِنَائِكَا
٢٨— وَرَبَّيْتَ أَيْتَامًا وَأَلْحَقْتَ صِبْيَةً وَأَدْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْىِ قَبْلَ عَنَائِكَا
٢٩— وَلَمْ يَسْعَ فِى العَلْيَاءِ سَعْيَكَ مَاجِدٌ وَلَا ذُو إِنًى فِى الحَىِّ مِثْلَ قَرَائِكَا
٣٠— وَفِى كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا
٣١— مُوَرِّثَةٍ مَالًا وَفِى الحَمْدِ رِفْعَةً لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا
٣٢— تُخَبِّرُهُنَّ الطَّيْرُ عَنْكَ بِأَوْبَةٍ وَعَيْنٌ أَقَرَّتْ نَوْمَهَا بِلِقَائِكَا

(١٦ — ١٨) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . الحياض جمع حوض وهو الذى تشرب فيه الماشية ، كنى به عن بيوتهم وضيافتهم . القلوص الناقة . الشرب (بفتح الشين) مصدر شرب . آطام جمع أطم وهو الحصن . جو هى مدينة اليمامة

(١٩ — ٢٢) الرشاء حبل الدلو الذى يدور على البكرة فوق البئر . راشه أعانه وأغناه . موزع مولع .

(٢٣ — ٢٥) على هو أبو الممدوح . طلق وشيبان ومالك أعمامه . فاته رزقه وأمده بالقوت . لزبة شدة وضيق .

(٢٦ — ٢٨) أكفأه كبه وقلبه أو طرده ، وأكفأ عن القصد جار وانحرف . والاكفاء المصدر منه . الثلمة الثغرة والفتحة بين الشيئين .

(٢٩ — ٣٠) أنى الشىء إنا وأناء دنا وقرب وحضر . والانسب أن يكون المقصود بها الاناء ، حذف الهمزة للتخفيف ونون . قرى الضيف قرى وقراء ضيفه . جشم الشىء وتجشمه تكلفه وتحمل متاعبه . العزيم العزم والجد والعدو الشديد . العزاء الصبر .

(٣١ — ٣٢) القرء الحيض أو هو مابين الحيضتين على خلاف فى ذلك أوبة عودة . قرت عينه بردت سروراً ورأت ماتتمنى .

هذه هى القصيدة الثالثة فى مدح هوذة بحسب الترتيب التاريخى . فمن الواضح أنها تتأخر عن القصيدتين (٧) ، (١١) حيث نرى الشاعر يصفه فيهما بأنه فتى إذ يقول فى القصيدة (٧) فى البيت (١١) :

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها   أو القمر السارى لألقى المقالدا

ويقول فى القصيدة (١١) فى البيت (٢٠) :

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره   من الناس لم ينهض بها متماسكا

أما فى هذه القصيدة التى بين يدينا فالأعشى يسمى هوذة للمرة الأولى (ملكا) حيث يقول (١٢ : ٣٤)

إلى ملك كهلال السما   ء أزكى وفاء ومجداً وخيرا

وفى القصيدة حادثتان لا بد من الاشارة إليهما قبل البدء فى التلخيص . أولها إشارة الأعشى إلى أنه فقد بصره ، وانتهى به العشى (وهو ضعف البصر أو عدم القدرة على الابصار ليلا) إلى العمى الكامل ، فأصبح لا يسير إلا بمساعدة قائد يدله (الأبيات ٢٤ — ٢٩)

وثانيهما إشارة الأعشى إلى يوم (الجفار) الذى غزا فيه الممدوح تميما ، واعتذاره عن تغيبه فى ذلك اليوم . وهذا اليوم هو واحد من أيام كثيرة تتابعت بين بكر وتميم. وكان الاحتكاك بينهما كثيرا بسبب تقارب مساكنهم وتنازعهم على مواطن الخصب والماء . فقد ترحل إحدى القبيلتين عن أرضها فتحتله القبيلة الأخرى . ثم يتفق أن تخصب المكان ، فتحاول القبيلة الاولى أن تعود إليه ، مدعية حقها فيه ، فيقع القتال بين الحيين، كما حدث فى يوم (الشيطين)(١) ، أو شبه ذلك مما لا بد أن يقع بين سكان الصحراء الذين يتنازعون الحياة والبقاء . وقد أرخ صاحب النقائض هذا اليوم قبل مبعث النبى بسبعة وعشرين عاما(٢). وهو فى رأى كثير، والمعقول أن يتأخر عن ذلك ، لأن يوم الصفقة الذى سيجىء ذكره فى القصيدة التالية (١٣) قد وقع وقد ظهر الاسلام كما يقول ابن الأثير(٣) . فلو صح ما يقول صاحب النقائض لكان بين القصيدتين سبعة وعشرون عاما . وهو زمن طويل . لأن الأعشى يبدو فى هذه القصيدة مسناً مضعضع القوى . وإنما عمى فى آخر عمره(٤) .

يقول الأعشى :

١ — غشيت خدر (ليلى) مع الليل ، تطلب إليها وفاء وعدها ، وتنذر النذور إن هى وفت بهذا الوعد

٢ — ثم رحلت ليلى وقد أورثتك هماً ، وتركت فى فؤادك صدعا مستطيراً

٣ — وصدع القلب كصدع الزجاجة ، لا تستطيع يد الصنّاع أن تردها سالمة

٤ — وصاحبته من مالك — واهله مالك بن شيبان — ولكنها قد رحلت إلى الحجاز ، حيث حلت أرضاً مجهولة ، وأقامت بين قوم غرباء

٥ — تسعى مع قومها وراء الماء ، وتُرْعِى إبلها الكلأ فى (روض القطا) و (روض التّناضب) ، حيث الخصب والعيش الرغيد

٦ — وحيث تصبح وقد ارتوت كأنها ورقة البردى ، تظللها الأشجار وسط الأجمة ، فتحميها من حرارة الشمس ولافح الرياح ، وقد خالط الماء بطنها فهو بض رَخْص رطيب .

٧ — تفترّ عن ثغر مشرق ، يبدو فى بياضه الناصع بين شفتيها الداكنتين وكأنه شوك نبات السيال الأبيض ذُرَّ على أسافله الكحل

---

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٩   (٢) النقائض ط . أوربا ص ٧٩٠ س ١١

(٣) ابن الأثير ١ : ٣٧٩   (٤) خزانة الأدب ١ : ١٢٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيَّ :

١ — غَشِيتَ لِلَيْلَى بِلَيْلٍ خُدُورَا وَطَالَبْتَهَا وَنَذَرْتَ النُّذُورَا (متقارب)
٢ — وَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِي الفُؤَا دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا
٣ — كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا تَسْتَطِيـ ـعُ كَفُّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تُحِيرَا
٤ — مُلَيْكِيَّةٌ جَاوَرَتْ بِالحِجَـا زِ قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا شَطِيرَا
٥ — بِمَا قَدْ تَرَبَّعُ رَوْضَ القَطَا وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ حَتَّى تَصِيرَا
٦ — كَبَرْدِيَّةِ الغِيلِ وَسْطَ الغَرِيفْ إِذَا خَالَطَ المَاءُ مِنْهَا السُّرُورَا
٧ — وَتَفْتَرُّ عَنْ مُشْرِقٍ بَارِدٍ كَشَوْكِ السَّيَالِ أُسِفَّ النَّؤُورَا
٨ — كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيـ ـلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرْيًا مَشُورَا
٩ — وَإِسْفِنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرُّقَا دِ سَاقَ الرِّصَافُ إِلَيْهَا غَدِيرَا
١٠ — وَإِنْ هِيَ نَاءَتْ تُرِيدُ القِيَامْ تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ البَهِيرَا
١١ — لَهَا مَلِكٌ كَانَ يَخْشَى القِرَافْ إِذَا خَالَطَ الظَّنُّ مِنْهُ الضَّمِيرَا
١٢ — إِذَا نَزَلَ الحَيُّ حَلَّ الجَحِيشْ شَقِيًّا غَوِيًّا مُبِينًا غَيُورَا
١٣ — يَقُولُ لِعَبْدَيْهِ حُثَّا النَّجَـا وَغُضَّا مِنَ الطَّرْفِ عَنَّا وَسِيرَا

(١ — ٣) الخدر كل مايوارى الانسان من بيت ونحوه . بانت بعدت . صدع مستطير أى تصدع من أوله إلى آخره ، واستطار تفرق وانتشر . الصناع الحاذق . أحار الشىء رده ورجعه .
(٤ — ٦) الشطير الغريب ، أراد أرضاً مجهولة لاتعرف . تربع ترعى . حتى تصيرا ، جواب تصير فى البيت التالى ، وهو تضمين قبيح. الغيل والغريف واحد، وهو الأجمة والشجر الكثيف الملتف من القصب والحلفاء ، وكل واد فيه ماء . السرور بطن ورقة البردى . والبردى نبات تصنع منه الحصر . جعل البردية وسط أشجار ملتفة لان ذلك أدعى لان تكون طرية رطبة لاتنالها حرارة الشمس فتجففها .
(٧ — ٨) تفتر تبتسم . مشرق ثغر براق . السيال نبات له شوك شديد البياض . النؤور شجر يحرق ويستعمل فى الوشم . يشبه بهما أسنانها الناصعة البياض بين لثاتها القاتمة . الزنجبيل نبات طيب الرائحة معروف . جنى فعيل من جنى الثمر يجنيه . الأرى عسل النحل . شار العسل واشتاره جمعه .
(٩ — ١٠) الاسفنط شراب يعمل فى الشام، ويسمونه هناك الرساطون ، وهو من عصير العنب، (رومى معرب) كما يقول الجواليقى فى المعرب. الرصاف حجارة متراصفة قريب بعضها من بعض . يقول إنها تقوم من رقادها طيبة طعم الريق والفم ، والمألوف أن يتغير النوم طعم الفم ورائحته . تهادى تتمايل فى مشيها . البهير الذى انقطعت أنفاسه من شدة العدو أو بعد مجهود عنيف .
(١١ — ١٣) ملك صاحب أو زوج . القراف المخالطة . الجحيش أن تنزل ناحية منفردا . مبيناً مبعدا . حث أسرع . النجاء السرعة .

٨ ــ وكأنما خلط رضابها البارد العذب بالزنجبيل أو عسل النحل

٩ ــ وكأنما هو خمر (عانة) الشآمية ، مزجت بماء بارد ، من غدير يجرى بين الحجارة المتراصفة

١٠ ــ إذا همت بالقيام ناء بها ردفها ، ثم تقوم متمهلة تتهادى ، تمَايُلَ من أعياه الإجهاد تتردد أنفاسه فهو بهير .

ويصور الأعشى ما كان من شدة غيرة زوجها عليهــا فيقول إنه كان شديد الحذر ، تثور فى نفسه الظنون ، فهو يخشى مخالطة الناس

١١ ــ وكان إذا نزل الحى مكانا انفرد بها بعيداً تأكل الغيرة نفسه ، فهو شقى غَوِىّ.

١٢ ــ وإذا رحل الحى أمر عبديه أن يتقدما مسرعين، وأن يغضا طرفيهما حتى لا يرياها

١٣ ــ وهو فى شدة غيرته لا يثق بأحد ولا يبقى على صديق . ويختم الأعشى ذلك بالسخرية منه فيقول :

١٤ ــ ماذا تجدى هذه الغيرة وكل هذا الاحتياط ؟ إنه لا يمنعها أن تتحول عنه زاهدة فيه

١٥ ــ ولا يمنعها أن تتخطى باب الدار إلى حيث تريد ، فلن يستطيع أن يطير بهــا فى السماء بعيداً عن الناس

١٦ ــ ثم يعود إلى وصف صاحبته قائلا : رحل هذا الرجل الغيور بحسناء برّاقة فاترة الطرف .

١٧ ــ كأنها فى تناسق أعضائها بقرة الوحش ، ناعمة العيش لا تلذعها رياح الصيف اللافحة ، ولا يقرصهــا برد الشتاء الزمهرير .

١٨ ــ هى فى الصيف باردة رطيب الجسم ، عبقة الرائحة كأنها رداء العروس نثرت عليه العطور .

١٩ ــ وهى فى الشتاء دافئة يتدفق جسمها بالحرارة ، حين ينكمش الكلب من شدة البرد ، فلا يستطيع النباح إلا هريراً خافتاً مكظوماً .

٢٠ ــ ثيابها الظاهرة من الخز ، وقميصها من تحته حرير .

٢١ ــ وهى مترفة ظاهرة الثراء ، تتزين بالحلى من كريم الأحجار ونفيسها ، فتلبس فى معاصمها الأساور العريضة قد نضِّدت بالدر .

٢٢ ــ ومن فوق ذلك الزبرجد والياقوت .

٢٣ ــ تحرك يديها فى دل ، فتلمع الحلى فى معاصمهــا بما يطير لب الناظر ويذهله فيقف مبهوتاً .

٢٤ ــ ويصور الأعشى صاحبته وقد رأته بعد غيبة وانقطاع ، وقد أصيب فى بصره . رأته فى يد قائده وقد

٢٥ ــ غاض ماء عينيه وتغير خلقه ، فبهتت وتملكها الحزن إذ تقول : بأى شىء أفتديه وأرد إليه بصره !

١٤— فَلَيْسَ بِمُرْعٍ عَلَى صَاحِبٍ   وَلَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ تَحُورَا
١٥— وَلَيْسَ بِمَانِعِهَا بَابَهَا   وَلا مُسْتَطِيعٍ بِهَا أَنْ يَطِيرَا
١٦— فَبَانَ بِحَسْنَاءَ بَرَّاقَةٍ   عَلَى أَنَّ فِي الطَّرْفِ مِنْهَا فُتُورَا
١٧— مُبَتَّلَةِ الخَلْقِ مِثْلِ المَهَا   ةِ لَمْ تَرَ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرَا
١٨— وَتَبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ العَرُو   سِ رَقْرَقْتَ بِالصَّيْفِ فِيهِ العَبِيرَا
١٩— وَتَسْخُنُ لَيْلَةَ لَا يَسْتَطِيعْ   نُبَاحًا بِهَا الكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا
٢٠— تَرَى الخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِرًا   وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذَاكَ الحَرِيرَا
٢١— إِذَا قَلَّدَتْ مِعْصَمًا يَارَقَيْـ   ـنِ فُصِّلَ بِالدُّرِّ فَصْلًا نَضِيرَا
٢٢— وَجَلَّ زَبَرْجَدَةٌ فَوْقَهُ   وَيَاقُوتَةٌ خِلْتَ شَيْئًا نَكِيرَا
٢٣— فَأَلْوَتْ بِهِ طَارَ مِنْكَ الفُؤَادْ   وَأُلْفِيتَ حَيْرَانَ أَوْ مُسْتَحِيرَا
٢٤— عَلَى أَنَّهَا إِذْ رَأَتْنِي أُقَا   دُ قَالَتْ بِمَا قَدْ أَرَاهُ بَصِيرَا
٢٥— رَأَتْ رَجُلًا غَائِبَ الوَافِدَيْـ   ـنِ مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أَعْشَى ضَرِيرَا
٢٦— فَإِنَّ الحَوَادِثَ ضَعْضَعْنَنِي   وَإِنَّ الَّذِي تَعْلَمِينَ اسْتُعِيرَا
٢٧— إِذَا كَانَ هَادِي الفَتَى فِي البِلَا   دِ صَدْرَ القَنَاةِ أَطَاعَ الأَمِيرَا
٢٨— وَخَافَ العِثَارَ إِذَا مَا مَشَى   وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعْثًا وَعُورَا

(١٤ — ١٨) أرمى على صاحبه أبقى عليه . حار رجع ونقص . بان ذهب وبعد . مبتلة الخلق متناسقة الاعضاء بالغة الحسن . المهاة بقرة الوحش . الزمهرير البرد . رداء العروس أى الوشاح . العبير أخلاط من الطيب ، أى أن جسمها بارد فى الصيف .

(١٩ — ٢١) الهرير صوت دون النباح . يقول إن جسمها ساخن فى الشتاء ، الخز الحرير ، وقيل هو ما نسج من الصوف والحرير ، أو هو اسم دابة ويطلق على الثوب المتخذ من وبرها . اليارق الجبارة وهو سوار عريض من حلى اليدين ، (فارسى معرب) . فصل بالدر أى رصع به . نضير حسن .

(٢٢ — ٢٣) جل الشىء عظم قدره . الزبرجد والياقوت فارسى معرب ، وهما من الاحجار الكريمة . والزبرجد يشبه الزمرد ، وهو ألوان كثيرة والمشهور منها الأخضر المصرى والأصفر القبرسى . والياقوت صاف شفاف مختلف الالوان كذلك ، منه الأحمر والأصفر والأخضر والازرق . أمر نكير شديد صعب . ألوت به لمعت به وأشارت . حار واستحار بمعنى واحد أى ، ذهل وضل وتردد كأنه لا يدرى كيف يتصرف .

(٢٤ — ٢٨) بما بمعنى ربما . الوافدان العينان . مختلف الخلق أى متغير غيرته الحوادث عما عهدته . الأعشى الذى به سوء فى عينيه أو هو الذى لا يبصر ليلا أو هو الأعمى . ضعضعه أفناه وهدمه . صدر القناة أعلى العصا التى يقبض عليها لأنه أعمى . الأمير الذى يأمره ويقوده . الوعث والوعور واحد ، وهو الطريق الخشن العسير .

٢٦ــ فيجيبها الأعشى فى لوعة صادقة وفى حزن عميق : لقدضعضعتنى الحوادث ، ومضى ماتعلمين من شبابى

٢٧ــ وإذا احتاج الفتى لأن يتلمس طريقه بعكازته ، لم يكن له بد من أن يطيع قائده ويسلم أمره إليه ، يقول له مرة خذ يَمْنَةً ، ويقول له أخرى خذ يَسْرَة ، وهو متحير لا يعلم مما حوله شيئاً .

٢٨ــ يخاف العثار ، ويتصور السهل من الطرق وَعْثاً وَعُورا

ويختم الأعشى هذا الحديث الحزين بأن يعزى نفسه قائلا :

٢٩ــ إن فى ذلك لعبرة للناس ، وأى امرىء يسلم فى هذه الحياة من النكبات والشرور ؟

ويفرغ الأعشى من هذا الحديث الذى بدأه مشرقا بهيجاً ، وانتهى به إلى هذه الخاتمة الحزينة الآسية ، لينصرف إلى الصحراء فى طريقه للممدوح .

(٣٠، ٣١) إنه ليقطع الصحراء المقفرة المُضِلة ، يلعب فيها السراب ، ولا يهتدى فيها السالك إلى طريقه ، ويَصِرُّ فيها الجُنْدب الأسود

٣٢ــ فوق ناقة سريعة كأن جسمها المكتنز الوثيق الخَلْق صخرةٌ صلبة ملساء قد غمرها الماء . تقطع الليل كله لا تهدأ ، وتعدو رافعة ذنبها ، بادية النشاط.

٣٣ــ تجرى بالراكبَيْن فوق ظهرها وقد ارتدف أحدهما وراء الآخر وقت الهاجرة وقد اشتد الحر ، حين يقعد غيرها من ضعاف النوق عن سلوكه

ويتخلص الأعشى إلى المدح فيقول :

٣٤ــ إلى ملك كهلال السماء ، تمّ وفاءً ومجداً وكرما

٣٥ــ طويل حمائل السيف فهو مديد القامة ، رفيع عمود الخباء ، فهو سيد شريف يتميز بيته من سائر البيوت ، يحمى من يلجأ إليه مستجيرا ، ويُفيض من خيره على الفقراء

ثم يتجه الأعشى إلى (هَوْذَة) بالخطاب ، معتذراً عن عدم اشتراكه معه فى قتال بنى تميم يوم (الجفَار) ، فيقول :

٣٦ــ ياهوذ ـ وأنت امرؤ ماجد يفوق جودك كل جود ـ

٣٧ــ لقد كثرت نعمك على ، وتعددت أياديك ، وكثر تقصيرى

٣٨ــ فأهلى فداؤك يوم (الجفار) ، إذ قعد بى العجز والضعف عن متابعتك

٣٩ــ وأهلى فداؤك عند كل نزال ، إذا احتدم القتال ، وبح صوت الرجال ، وجفت حلوقهم ، فلم يكن صياحهم إلا صوتاً خافتاً كأنه الحشرجة .

٢٩ـ وفى ذاكَ مَا يَستفيدُ الفتىٰ　　وأىُّ امرئٍ لايُلاقى الشُّرُورا

٣٠ـ وَبيْداءَ يَلْعَبُ فِيهَا السَّرَا　　بُ لَايَهتَدِى القَوْمُ فِيهَا مَسِيرَا

٣١ـ قَطَعْتُ إذَا سَمِعَ السَّامِعُو　　نَ لِلْجُنْدُبِ الجَوْنِ فِيهَا صَرِيرَا

٣٢ـ بِنَاجِيَةٍ كَأَتَانِ الثَّمِيلْ　　تُوَفِّى السُّرَى بَعْدَ أَيْنٍ عَسِيرَا

٣٣ـ جُمَالِيَّةٍ تَغْتَلِى بِالرِّدَافْ　　إِذَا كَذَّبَ الآثِمَاتُ الهَجِيرَا

٣٤ـ إِلَى مَلِكٍ كَهِلَالِ السَّمَا　　ءِ أَزْكَى وَفَاءً وَمَجْدًا وَخِيرَا

٣٥ـ طَوِيلِ النِّجَادِ رَفِيعِ العِمَا　　دِ يَحْمِى المُضَافَ وَيُعْطِى الفَقِيرَا

٣٦ـ أَهَوْذَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ　　وَبَحْرُكَ فِى النَّاسِ يَعْلُو البُحُورَا

٣٧ـ مَنَنْتَ عَلَىَّ العَطَاءَ الجَزِيلْ　　وَقَدْ قَصَّرَ الضَّنُّ مِنِّى كَثِيرَا

٣٨ـ فَأَهْلِى فِدَاؤُكَ يَوْمَ الجِفَا　　رِ إِذْ تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِى قَصِيرَا

٣٩ـ وَأَهْلِى فِدَاؤُكَ عِنْدَ النِّزَالْ　　إِذَا كَانَ دَعْوَى الرِّجَالِ الكَرِيرَا

٤٠ـ فَسَائِلْ تَمِيماً وَعِنْدِى البَيَانْ　　وَإِنْ تَكْتُمُوا تَجِدُونِى خَبِيرَا

٤١ـ تَمَنَّوْكَ بِالْغَيْبِ مَا يَفْتَئُو　　نَ يَبْنُونَ فِى كُلِّ مَاءٍ جَدِيرَا

٤٢ـ فَأَخْطَرْتَ أَهْلَكَ عَنْ أَهْلِهِمْ　　فَصَادَفَ قِدْحُكَ فَوْزًا يَسِيرَا

٤٣ـ وَلَمَّا لُقِيتَ مَعَ المُخْطِرِينْ　　وَجَدْتَ الإِلٰهَ عَلَيْهِمْ قَدِيرَا

(٢٩ — ٣١) يلعب فيها السراب يخفق ويتراءى للمسافر . الجندب حشرة أصغر من الجرادة ، وليس صياحه من فيه وإنما هو من جناحه . الجون الأسود . الصرير صوت الجندب .

(٣٢ — ٣٣) ناجية سريعة . الأتان الصخرة تكون فى الماء وتصيبها الشمس ، فهو أصلب لها . الثميل الماء الكثير . السرى سير الليل . الأين التعب والكلال . عسير تعسر بذنبها أى ترفعه . ناقة جمالية وثيقة كالجمل . تغتلى تغلو فى مسيرها . الرديف هو الذى يركب خلف الراكب . أى أنها لا تبالى أن يركبها أكثر من واحد فتنهض بهم جميعاً فى هذه الرحلة المسيرة . الآثمات النوق الضعيفة جعل تخلفها إثماً . وكذبت أى تخلفت وكأنها كذبت ظن صاحبها بها ، أو لم تف بواجبها . الهجير التهاب الحر واحتدامه فى الظهر .

(٣٤ — ٣٦) أزكى من الزكاء وهو النمو والزيادة . الخير (بكسر الخاء) الكرم . النجاد حمائل السيف يكنى بطولها عن طول القامة . العماد عمود الخباء يكنى بارتفاعه عن شرف صاحبه لأن خيام الأشراف ضخمة عالية . المضاف المستجير اللاجىء .

(٣٧ — ٣٨) الضن البخل أو هو من قولهم ضن بالمنزل أى لم يبرحه . ويؤيد ذلك البيت التالى . القيد يقصد به العمى وكبر السن ، ترك خطوه قصيراً لأنه قد لزم بيته لا يكاد يبرحه .

(٣٩ — ٤٣) دعوى مصدر من دعاه يدعوه أو من دعا له أو دعا الله . الكرير شبه الحشرجة ، صوت فى الصدر كصوت المختنق أو المجهود . الجدير جمع جديرة وهى الحظيرة ، والجدير كذلك المكان المحوط بجدار . أخطر جعل نفسه خطراً لقرنه فبارزه . القدح سهم الميسر

٤٠ــ سل (تميما) عما أصابهم بك، فأن يكتموا القول فانى خبير .

٤١ــ كانوا يتمنون لقاءك قبل أن يذوقوا بأسك ، ما يفتئون يتحصنون ، ويبنون حول كل ماءجداراً يمنعه

٤٢ــ حتى إذا برزت لهم بقومك ، وامتُحِن الفريقان أيهما أشد وأقوى ، لم يكن فوزك إلا بأيسر جهد .

٤٣ــ وكان الله قادراً أن يذيقهم بأسك ، ويعينك عليهم .

٤٤ــ أعددت للحرب عدتها من الرماح الطوال ، والخيل الجياد،

٤٥ــ والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً ، تُحمَل فوق الجمال عيراً من ورائها عير .

٤٦ــ إذا ازدحمت فى المسالك الضيقة بين الجبال احتكت رءوس المسامير التى تربط حلقاتها

٤٧ــ فتسمع لها صوتاً كخفيف الحصاد حين تهزه الريح العنيفة فى سكون الليل .

٤٨ــ إذا نازل أبطالُ الحرب كتيبتك الكثيفة الجمع ، وقد تراكم فوق رجالها الدروع ، حتى لا ترى فيها إلا سواداً ، أتعبتهم ، كما يتعب الجوادُ السابق الجوادَ الأعرج إذا جرى معه مسابقاً .

٤٩ــ لمثل هذه الحرب أعددت الجياد ولم تبخل عليها بالمال ، فهى عندك منعمة تُعلَف الشعير فى الصيف وتجلَّل بالأكسية التى تصونها وتمنع عنها أذى الرياح

٥٠ــ ولكنها ضامرة ، قد بدا عليها الكَلاَل ، وقَرِحت بطون حوافرها من طول القياد فى الغارات ، ومن بينها صغارها وقد تخطت من عمرها العام الأول ، تمرح كأنها تيوس الظباء .

٥١ــ ولا بد لك فى كل صيف من غزوة سريعة تجهد الصلب الشديد من الأفراس

٥٢ــ إذ تنازع خُدَّامَها الأرسان من شدة نشاطها ووفرة قوتها ، وقد تلبد شعرها حين يقودونها ويعلون بها مكان الخوف والخطر .

(٥٣، ٥٤) أنت الجواد ، وأنت الجدير بأن تطعن الطعنة التى تضرب منها النساء النحور ، إذا ما فقدن أبناءهن وأزواجهن فى مواطن الجرأة والإقدام ، حين تكون النفوس مِلْءَ الصدور

٥٥ــ وليس الفرات وقد تدفقت مياهه مزبدة ، تغشى الآكام وتعلو الجسور ،

٥٦ــ وتَكُب السفن لوجوهها ، وتصرع الأشجار والدور القائمة على شاطئيه ،

٥٧ــ بأجود منك حين تعطى المئين ، وتهب أكياس المال .

٤٤ــ وَأَعْدَدْتَ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا　　رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورَا

٤٥ــ وَمِنْ نَسْجِ دَاوُودَ مَوْضُونَةً　　تُسَاقُ مَعَ الْحَيِّ عِيرًا فَعِيرَا

٤٦ــ إِذَا ازْدَحَمَتْ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيـ　　ـقِ حَتَّ التَّزَاحُمُ مِنْهَا الْقَتِيرَا

٤٧ــ لَهَا جَرَسٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا　　دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دَبُورَا

٤٨ــ وَجَأْوَاءَ تُتْعِبُ أَبْطَالَهَا　　كَمَا أَتْعَبَ السَّابِقُونَ الْكَسِيرَا

٤٩ــ جِيَادُكَ فِي الصَّيْفِ فِي نِعْمَةٍ　　تُصَانُ الْجِلَالَ وَتُعْطَى الشَّعِيرَا

٥٠ــ سَوَاهِمُ جُذْعَانُهَا كَالْجِلَا　　مِ أَقْرَحَ مِنْهَا الْقِيَادُ النُّسُورَا

٥١ــ وَلَابُدَّ مِنْ غَزْوَةٍ فِي الْمَصِيـ　　ـفِ حَتٌّ تُكِلُّ الْوَقَاحَ الشَّكُورَا

٥٢ــ يُنَازِعْنَ أَرْسَانَهُنَّ الرُّوَا　　ةَ شُعْثًا إِذَا مَا عَلَوْنَ الثُّغُورَا

٥٣ــ فَأَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنْتَ الَّذِي　　إِذَا مَا النُّفُوسُ مَلَأْنَ الصُّدُورَا

٥٤ــ جَدِيرٌ بِطَعْنَةِ يَوْمِ اللِّقَا　　ءِ تَضْرِبُ مِنْهَا النِّسَاءُ النُّحُورَا

٥٥ــ وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفُرَا　　تِ يَغْشَى الْإِكَامَ وَيَعْلُو الْجُسُورَا

٥٦ــ يَكُبُّ السَّفِينَ لِأَذْقَانِهِ　　وَيَصْرَعُ بِالْعَبْرِ أَثْلًا وَدُورَا

٥٧ــ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ　　فَيُعْطِي الْمِئِينَ وَيُعْطِي الْبُدُورَا

(٤٤ — ٤٧) اوزار الحرب عدتها . موضونة درع منسوجة بعضها على بعض . تساق تحمل ويرسل بها . حت برد وحك . القتير رؤوس المسامير التى تربط أجزاء الدرع وحلقاته . الجرس صوتها حين يحتك بعضها ببعض . الحصاد النبات الذى جف على سوقه ونضج . الدبور الريح الغربية وهى تقابل الصبا وهى الريح الشرقية .

(٤٨ — ٤٩) جأواء كتيبة سوداء الكثرة ما على فرسانها من الحديد . الكسير المكسور . الجلال جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

٥٠ — جذعان جمع جذع (بفتحتين) وهو الشاب الحدث . الجلام جمع جلم (بفتحتين) وهو تيس الظباء والغنم . القياد طول قيادها فى الحروب . النسور جمع نسر وهو لحم فى بطن الحافر يكون كالنوى والحصى . أقرحها جرحها وأحفاها .

٥١ — سواهم: ضامرة متغيرة . حت سريعة . الوقاح الصلب ، حافر وقاح وفرس وقاح أى صلب شديد . الشكور الضخم السمين ، شكرت الدابة (كطرب) سمنت . تكلها تتعبها وتكدها وتجهدها

(٥٢ — ٥٤) الرواة جمع راوى وهو الذى يقوم على العناية بالخيل . شعثاً قد تشعث شعرها وتفرق وانتثر . الثغور جمع ثغر وهو موضع المخافة والخلل .

(٥٥ — ٥٧) مزبد تلتطم أمواجه فيطفو الزبد على سطحه . خليج الفرات ، العرب تسمى النهر خليجاً . الاكام المرتفعات جمع أكمة . الجسر الذى يعبر عليه كالقنطرة ونحوها . يكب السفين لأذقانه يقلبها على وجوهها . والسفين جمع سفينة . العبر الشاطئ . الأثل شجر . البدور جمع بدرة (بفتح الباء وسكون الدال) وهى الكيس المملوء نقودا .

هذه القصيدة هي آخر مامدح به الأعشى هوذة مما وجد في ديوانه ، فهي القصيدة الرابعة على حسب الترتيب الزمني. وفيها مايدل على أنها قيلت قبل الهجرة ببضع سنوات . لأنه يشير في آخرها إلى إيقاع كسرى ببني تميم في يوم الصفقة .

ويقول ابن الأثير إن هذا اليوم كان وقدبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة لم يهاجر(١). ويبدو هوذة فيها وقد شاب وتقدمت به السن. فالأعشى يقول (البيت ٥٠) :

لم ينقص الشيب منه ما يقال له وقد تجاوز عنه الجهل فانقشعا

وفي القصيدة بعض ما يستحق النظر . فقد روى أبو عبيدة أن أبا عمرو بن العلاء زاد فيها بيتاً من وضعه ، واستغفر الله فلم يروه ، وهذا البيت هو (البيت ٢) :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وروى صاحب العقد الفريد أن واضع البيت هو حماد ، وقال إنه لم يزد في شعر الأعشى غيره . وروى صاحب الأغاني في أخبار بشار أنه أنشد هذا البيت وهو يسمع فأنكره وقال إنه لا يشبه كلام الأعشى . وروى ثعلب في شرح الديوان هذا الخبر الاخير، وزاد عليه أن الذي أنشد بشاراً البيت هو أبو بكر (والراجح أنه أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي المتوفى سنة ١٩٣ هـ) فلما أنكر بشار البيت رد عليه أبو بكر (ولاعرف القصيدة) ثم قال متعجباً من فطنة بشار (أعمى شيطان) وإذن فالشك قد تجاوز البيت إلى القصيدة كلها في نظر أبي بكر هذا .

والواقع أن بعض أجزاء القصيدة يبدو مقحما قد ألصق بالقصيدة الصاقا ، مثل الأبيات (١٤ — ٢١) التي يتحدث فيها الشاعر عن حسان تبع وعن اليمامة ، ومثل الأبيات (٦٢ — ٧١) التي يشير بها إلى يوم الصفقة . فالأولى تعترض بين الغزل ووصف الصحراء ، والثانية تعترض بين المدح . يضاف إلى ذلك أن المرزباني سيء الرأي في القصيدة جميعا . فهو يروي بعض أبياتها عن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، ويقول إنه سمعها منه كاملة وعددها ستة وسبعون بيتا — وكذلك هي في هذا الديوان — ثم يقول « إنها من الاشعار الغثة الالفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسج ، القلقة القوافي ، المضادة للأشعار المختارة » ولا يستثني من ذلك إلا ستة أبيات . ثم يقول « فمثل هذا الشعر وماشاكله يصدئ الفهم ويورث الغم »(٢)

والحقيقة أن التكلف واضح في كثير من أبيات القصيدة إلى حد يجهد القارىء في فهم المقصود ، لأن الشاعر يقصر في التعبير عما يريد ، ويخونه التوفيق في نظم الالفاظ ، ثم هو لا يقصد إلى معنى جليل يستحق كل هذا العناء من القارىء .

هذا مع ما أشرت إليه من سوء الترتيب والحشو والاقحام . وكل هذه الأشياء مجتمعة قد تشكك في صحة نسبة القصيدة للأعشى . ولكني مع ذلك لا أرى فيها جميعا أي دليل يحملني أنفي نسبتها للشاعر . ومن المهم أن نتصور الشاعر الجاهلي كما كان يتصوره الجاهليون . فقد كان الشاعر في ذلك الوقت يصور الرجل المثقف الحكيم . وكان الشعر هو كل شيء عند الناس في ذلك الوقت ، هو العلم ، وهو الحكمة ، وهو التاريخ وهو السياسة وهو بعد ذلك — أو قبله إن شئت — الكلام الجميل المنسق المثير ولذلك فالشاعر يروي التاريخ ويحفظ الأساطير ويستنبط منها العظة والعبرة .

فهذه الأجزاء التي تبدو في نظرنا الآن مقحمة لم تكن كذلك في نظر الشاعر ومعاصريه . بل لقد كان الشاعر يكاثر ويتعالم بما يزج من مثل هذه الأخبار التي تصور سعة أفقه وعمق ثقافته ووفرة علمه .

وبعد فليس لنا بد من أن نلخص بعض ما يروى عن حديث حسان تبع ويوم الصفقة حتى يتيسر فهم بعض ما يتعلق بهما من شعر :

أما تبع حسان فقد عاش في أوائل القرن الخامس للميلاد . وقصته تتصل بحديث طسم وجديس . وهما من قبائل العرب البائدة التي لم تصل إليها الكشوف الأثرية ، وكل علمنا عنها مما يروى من أساطير تدخلها المبالغة والخلط وصناعة القصص .

قالوا إن هاتين القبيلتين كانتا تسكنان اليمامة في شرق نجد — وهي موطن شاعرنا الأعشى وقومه — وكان اسمها وقتذاك «جو» وكانت السيادة في طسم حتى انتهى الملك إلى رجل ظالم فاسق ، فائتمرت به جديس فقتلوه وأفنوا قومه من طسم ، لم ينج منهم إلا رجل اسمه « رياح ابن مرة » سار إلى تبع حسان بن عمرو ملك اليمن مستنجداً به ، فسار معه بجيشه . وكان لرياح بن مرة أخت في جديس تبصر على مسيرة ثلاثة ايام . فلما كان قريباً من القوم أخبر حسان بخبرها وقال للجيش اقطعوا الشجر ، وليضع كل راكب منكم بين يديه غصنا ليشتبه الامر عليها .

فلما نظرت اليمامة من فوق حصن مرتفع من حصونهم قالت : أرى رجلا في شجرة ، معه كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها . وأخبرتهم بأن حيراً ستغزوهم ، وكان كاهن قديم اسمه سطيح قد تنبأ بذلك . ولكن قومها كذبوها ولم يأخذوا للأمر أهبتهم . فوطئهم حسان بجيشه فأفناهم وهدم قصورهم وحصونهم ، وصلب « اليمامة » على باب « جو » بعد أن قلع عينيها ، فسميت « جو » من ذلك الوقت « اليمامة » على اسم هذه المرأة(٣) .

أما حديث الصفقة فخلاصته أن تميما نهبت قافلة من قوافل كسرى التي كانت تمر بين اليمن وفارس ، في موضع من أرضهم يسمى « نطاع » فآوى هوذة رجال القافلة الذين كانوا يسيرون في حراستها ، وقدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة مرصعة بالأحجار الكريمة وكأسا من ذهب كان قد سقاه فيه . ثم دبر معه مكيدة للايقاع بتميم ، وذلك بأن يمنع عنهم الميرة ، فاذا نالت منهم الحاجة

(١) ابن الأثير ١ : ٣٨٩ (٢) الموشح ٥٢ ، ٥٣

(٣) الطبري ١ : ٤٥١ — ٤٥٣ ، ابن الأثير ١ : ٢٠٣ — ٢٠٥ ، السيرة ١ : ١٥ — ١٩ ، العرب قبل الإسلام ص ٦٢ ، ٦٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عليٍّ الحنفي :

(بسيط)

١ — بَانَتْ سُعَادُ وأَمْسَى حَبْلُهَا انقطَعَا ... واحتلَّت الغَمْرَ فالجُدَّيْنِ فالفَرَعَا

٢ — وأَنكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إلَّا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

٣ — قَدْ يَتْرُكُ الدَّهْرُ فِي خَلْقَاءَ رَاسِيَةٍ ... وَهْيًا وَيُنْزِلُ مِنْهَا الأَعْصَمَ الصَّدَعَا

٤ — بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا ... بَعْدَ ائْتِلَافٍ وَخَيْرُ الوُدِّ مَا نفعَا

٥ — وَقَدْ أَرَانَا طِلَابًا هَمَّ صَاحِبِهِ ... لَوْ أَنَّ شَيْئًا إذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا

٦ — تَعْصِي الوُشَاةَ وَكَانَ الحُبُّ آوِنَةً ... مِمَّا يُزَيِّنُ لِلْمَشْغُوفِ مَا صَنَعَا

٧ — وَكَانَ شَيْءٌ إلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ ... دَهْرٌ يَعُودُ عَلَى تَشْتِيتِ مَا جَمَعَا

٨ — وَمَا طِلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ مُدْرِكَهُ ... إنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الجَهْلِ قَدْ وَقَعَا

٩ — تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحَلًا ... يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ وَالوَجَعَا

١٠ — واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحَيِّ ذَا شَرَفٍ ... فَقَدْ عَصَاهَا أَبُوهَا وَالَّذِي شَفَعَا

١١ — مَهْلًا بُنَيَّ فَإِنَّ المَرْءَ يَبْعَثُهُ ... هَمٌّ إذَا خَالَطَ الحَيْزُومَ والضِّلَعَا

١٢ — عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي ... يَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا

(١ — ٣) بانت بعدت . نكره وأنكره جهله ولم يعرفه ، وأنكر عليه الأمر عابه عليه . صخرة خلقاء صلبة ملساء . الأعصم من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . الصدع الفتى الشاب القوى .

(٤ — ٦) أسأرت أبقت . الطلاب مصدر طالب . الهم ما يشغل النفس . أراد أن كلا منهما لم يكن له هم ولا مقصد إلا صاحبه . المشغوف المولع بالشيء والشغاف (بكسر الشين غشاء القلب).

(٧ — ٩) غراب الجهل ، اى غراب الشباب ، تقول طار غرابه إذا شاب لأن الغراب أسود . الوصب نحول الجسم من تعب أو مرض.

(١٠ — ١٢) استشفعت طلبت أن يشفع لها و يعاونها في مطلبها . شفع له أعانه . الحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . الضلع الأضلاع جمع ضلع . عليك مثل الذى صليت أى عليك مثل دعائك، والصلاة هنا الدعاء .

اقام لهم سوقا فى حصن « المشقر » وقد أعد للأمر رجاله ، فاذا تهافتوا فيه قتلهم . وقد كان لكسرى وهوذة ما أرادا ، ولكن التميميين تنبهوا للأمر حين رأوا الداخل لا يخرج وثاروا على هوذة ، فأمر باطلاق مائة من خيارهم وفر هاربا .

والأعشى ينفى عن هوذة فى هذه القصيدة أنه اشترك فى تدبير المؤامرة للايقاع ببنى تميم ، وينسب ذلك لكسرى نفسه ، ولا ينسب لهوذة إلا الجزء الأخير من القصة ، وهو شفاعته فى إطلاق مائة من أسراهم . ويذكر ابن الأثير أن هوذة كان نصرانيا ، وأن الصفقة كانت فى يوم الفصح ، ويستشهد على ذلك بالبيت (٦٩) من هذه القصيدة .

وقد جعل الطبرى وصاحب الأغانى هذا اليوم فى ملك كسرى أنوشروان . أما ابن الأثير فقد جعله فى ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان . ورواية ابن الأثير أصح . لأن بين وفاة كسرى أنوشروان وبين الهجرة أربعة وأربعون عاما . وقد كان هوذة أحد الذين أرسل لهم الرسول الكتب يدعوهم للاسلام سنة ٦ فلو صح مايرويه الطبرى والأصفهانى لكان معنى ذلك أن هوذة عاش بعد يوم الصفقة خمسين سنة على الأقل . وذلك بعيد عن المعقول ، لأن الأعشى يصوره فى هذه القصيدة وقد أسن وكساه الشيب(١) . هذا إلى أن ابن الأثير قد أرخ هذا اليوم كما سبق ، فقال إنه كان وقد بعث النبى

يقول الأعشى :

١ — رحلت سعاد وأمسى ما بينى وبينها وقد انقطع ، فديارها بين « الغَمْر » و « الجُدَّين » و « الفَرعَ » .

٢ — وأنكرتنى متجاهلة ، وماكان الذى أنكرت إلا الشيب والصلع .

٣ — وإن الدهر ليصدع صلب الصخر الراسى فى الجبال ، وينزل الظبى الفَتِيَّ القوى من حيث يعتصم فى شعافها وقممها .

٤ — رحلت بعد ألفة واجتماع ، وأبقت فى النفس حاجة لا تنقضى ، وخيرُ الود ما نفع .

٥ — ويرجع الشاعر بخياله إلى الماضى فيقول : فقد أذكر كيف كنا ولا همَّ لأَحدنا إلا صاحبه . . . ويسكت قليلا ، ثم يهز رأسه فى حسرة قائلا : لو أن شيئاً يرجع إذا مضى وفات !

٦ — كم قد عصيت الوشاة وأعرضت عما يقولون ، وكان الحب يزين فى عينى ما أصنع .

٧ — كنا وشملنا مجتمع ، وقلوبنا متآلفة ، ففرقنا الدهر الذى يكر على ما جمع بالأمس ليشتته اليوم .

ويختم الحديث عن صاحبته بأن يقول متحدثاً إلى نفسه :

٨ — ما طلبك شيئاً لا سبيل إلى إدراكه ، وقد شبت وتقدمت بك السن ، وانزاحت عن عينيك غشاوة الشباب والجهل ؟

ويشير الأعشى بعد ذلك إلى ابنته التى أشار إليها من قبل فى القصيدة (٤) التى مدح بها قيس بن معديكرب ، فنرى فى القصيدتين صورة واحدة .

٩ — ابنة تخاف على أبيها ، فهى تريد أن تجنبه مخاطر الأسفار ، وتدعو الله قائلة (يارب جنِّب أبى الأوصاب والوجعا)

---

(١) الطبرى ١ : ٥٨١ ، ابن الأثير ١ : ٢٧٨ ، الأغانى ١٦ : ٧٨

١٣ــ وَاسْتَخْبِرِى قَافِلَ الرُّكْبَانِ وَانْتَظِرِى ... أَوْبَ الْمُسَافِرِ إِنْ رَيْثًا وَإِنْ سَرَعَا
١٤ــ كُونِى كَمِثْلِ الَّتِى إِذْ غَابَ وَافِدُهَا ... أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةً جَزَعَا
١٥ــ وَلَا تَكُونِى كَمَنْ لَا يَرْتَجِى أَوْبَةً ... لِذِى اغْتِرَابٍ وَلَا يَرْجُو لَهُ رِجَعَا
١٦ــ مَانَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا ... حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِىُّ إِذْ سَجَعَا
١٧ــ إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ ... إِذْ يَرْفَعُ الْآلُ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا
١٨ــ وَقَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ ... إِنْسَانَ عَيْنٍ وَمُؤْقًا لَمْ يَكُنْ قَمِعَا
١٩ــ قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِى كَفِّهِ كَتِفٌ ... أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِى أَيَّةً صَنَعَا
٢٠ــ فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ... ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى الْمَوْتَ وَالشَّرَعَا
٢١ــ فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ... وَهَدَّمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا
٢٢ــ وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دُلْجَتَهَا ... حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِى الشِّيَعَا
٢٣ــ لَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ ... بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ الْبُومِ وَالضُّوَعَا
٢٤ــ كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِى وَشَايَعَنِى ... هَمِّى عَلَيْهَا إِذَا مَا آلُهَا لَمَعَا
٢٥ــ بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَقُولَ لَعَا

(١٣ — ١٥) قفل الركب عاد . الريث البطء . الوافد الرسول ، يقصد أخت رياح بن مرة الطسمى ، ووافدها أخوها . أوبة عودة . رجع رجوع .

(١٦ — ١٨) أشفار جمع شفر (بضم الشين) . وهو أصل منبت الشعر فى الجفن . الذئبى سطيح الكاهن . سجع تنبأ بقول مسجوع وهو سجع الكهان ، كانوا يتكلمون بكلام مسجوع . الآل السراب . رأس الكلب جبل . ارتفع السراب اضطرب ، والسراب يرفع الشخوص فتبدو فى الأفق على ماهو معروف فى علم الضوء من انعكاس الصور . المقلة العين نفسها . مقرفة من قرف أى خلط وكذب ، إنسان العين الفتحة التى أمام عدسة العين ومنها تبصر . القمع فساد فى مؤق العين واحمرار .

(١٩ — ٢١) الكتف عظم عريض خلف المنكب ، يقصد قطعة من لحم الكتف فى يده ينهشها ويأكلها . يخصف النعل يخرزها ويلصق بها قطعة أخرى من الجلد لاصلاحها . صبحهم الجيش داهمهم فى الصباح . يزجى يسوق . الشرع جمع شرعة (بكسر فسكون) وهى الحبالة التى يصيد بها الصائد . جو اسم اليمامة القديم . بنيان شاخص مرتفع . اتضع افتعل من وضع ، ووضع البنيان هدمه وسواه بالأرض .

(٢٢ — ٢٥) الجواب المسافر الكثير الجولان فى الصحراء . الدلجة السير آخر الليل والإدلاج سير الليل كله . الشيع جمع شيعة ، وشيعة الرجل الذى يعايه أى يعينه ويشجعه . الضوع طائر من طيور الليل أسود كالغراب . النئيم صوته . اللوث القوة . العفرناة الغول ، شبه ناقته بها . لعاً له دعاء للعاثر بأن ينتعش ، أى سلمت ونجوت :

١٠ — وتتوسل إليه بسراة الحى ليردوه عن السفر ، فيعصيها ويعصيهم جميعاً ، ويمضى لما عزم عليه من الرحيل . ويقول لها :

١١ — مهلا يابنية ، فأنما يسافر الرجل ليتسلى عن هَمِّه الذى يخالط صدره وتنطوى عليه ضلوعه .

١٢ — ادعى الله مثل دعائك إذ تقولين (يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا) ، ثم نامى وقرى عينا ، فليس لنا من الموت مفر .

١٣ — واسألى عنى من يعود من الركبان ، وانتظرى أوبتى بعيداً أو قريباً .

وهنا يشير الأعشى إلى قصة زرقاء اليمامة التى أجملناها فى صدر هذا الحديث . فيقول لابنته ماضياً فيما كان فيه من نصحها وتهدئة روعها :

(١٤، ١٥) كونى مثل « اليمامة » ، إذ غاب عنها أخوها حين رحل يلتمس عون حسان ، فظلت تترقب عودته فى شوق وأمل، بنظرات ملؤها الجزع والإشفاق . ولا تكونى متشائمة كمن لا يرجو عودة المسافر .

وينتقل الأعشى إلى قصة «اليمامة» فيتحدث عنها فى ستة أبيات ، بما لا يتجاوز ما أسلفنا من حديثها .

١٦ — لم تنظر ذات عينين كنظرتها . وكان ما رأت مصدقا لما تنبأ به الذئبى (سطيح الكاهن) فى سجعه القديم .

١٧ — نظرت فلم تخنها عيناها ، وقد سطع السراب واضطرب فوق « رأس الكَلْب » .

١٨ — وحددت النظر بعين لا تكذب ولا تخلط بين ما ترى، إنسانها صاف ومؤقها سليم من الفساد والمرض .

١٩ — وقالت لقومها :عجيب ما أرى . إنه رجل فى كفه كتف ينهشها ! لا بل هو رجل يخصف النعل ! لهفى أيهما أرى ؟ إنه هذا أو ذاك .

(٢٠، ٢١) ولكن قومها أعرضوا عنها مكذبين ولم يصدقوا ما قالت . فصبحهم حسان بجيشه يسوق الهلاك وحبائل الموت . فاستنزلوا أهل «جو» من مساكنهم ، وهدموا عالى البنيان فسووه بالأرض .

ويعود الأعشى إلى الحديث عن أسفاره التى أرادت ابنته أن تمنعه منها :

٢٢ — إنه يسلك البلاد التى يرهب الرحالة الجواب أن يسير فيها آخر الليل وحده ، فهو يجمع حوله الرفاق ليعتز بهم ويتشجع .

٢٣ — قد أقفرت من كل شىء، لا يؤنس سالكها فى الليل إلا نعيقُ البوم ، وصوت الضَّوَع ، طائر الليل الأسود.

٢٤ — فى مثل هذه المسالك أكلف نفسى السير ، أقتحم مجاهلها ، ولا ألتمس العون عليها حين يخفق فيها السراب إلا من هَمِّى وعزمى .

٢٦— تَلْوِى بِعِذْقٍ خِصَابٍ كُلَّمَا خَطَرَتْ ... عَنْ فَرْجِ مَعْقُومَةٍ لَمْ تَتَّبِعْ رُبَعَا

٢٧— تَخَالُ حَتْماً عَلَيْهَا كُلَّمَا ضَمَرَتْ ... مِنَ الكَلَالِ بِأَنْ تَسْتَوْفِىَ النَّسَعَا

٢٨— كَأَنَّهَا بَعْدَ مَا أَفْضَى النِّجَادُ بِهَا ... بِالشَّيِّطَيْنِ مَهَاةٌ تَبْتَغِى ذَرَعَا

٢٩— أَهْوَى لَهَا ضَابِئٌ فِى الأَرْضِ مُفْتَحِصٌ ... لِلَّحْمِ قِدْمًا خَفِىُّ الشَّخْصِ قَدْ خَشَعَا

٣٠— فَظَلَّ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسِ وَاحِدِهَا ... فِى أَرْضِ فَىْءٍ بِفِعْلٍ مِثْلُهُ خَدَعَا

٣١— حَانَتْ لِيَفْجَعَهَا بِابْنٍ وَتُطْعِمَهُ ... لَحْماً فَقَدْ أَطْعَمَتْ لَحْماً وَقَدْ فَجَعَا

٣٢— فَظَلَّ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهْىَ رَاتِعَةٌ ... حَدَّ النَّهَارِ تُرَاعِى ثِيرَةً رُتُعَا

٣٣— حَتَّى إِذَا فِيقَةٌ فِى ضَرْعِهَا اجْتَمَعَتْ ... جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا

٣٤— عَجْلًا إِلَى المَعْهَدِ الأَدْنَى فَفَاجَأَهَا ... أَقْطَاعُ مَسْكٍ وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ دُفَعَا

٣٥— فَانْصَرَفَتْ فَاقِدًا ثَكْلَى عَلَى حَزَنٍ ... كُلٌّ دَهَاهَا وَكُلٌّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا

٣٦— وَذَاكَ أَنْ غَفَلَتْ عَنْهُ وَمَا شَعَرَتْ ... أَنَّ المَنِيَّةَ يَوْمًا أَرْسَلَتْ سَبُعَا

٣٧— فَمَا تُعَاقِدُ .... قُلْتُ الشَّاةِ قَدْ صَقَعَا

٣٨— حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحَهَا ... ذُؤَالُ نَبْهَانَ يَبْغِى صَحْبَهُ المُتَعَا

(٢٦ — ٢٨) العذق (بفتح العين) النخلة ، والعذق (بكسر العين) القنو منها والعنقود الذى فيه البلح . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة. خطر الفحل بذنبه ضرب به يميناً وشمالا . معقومة عاقر . الربع ولد الناقة الذى يولد فى الربيع .

(٢٩ — ٣١) تستوفى تستكمل . النسع جمع نسع (بكسر فسكون) وهو سير ينسج عريضا وتشد به الرحال إلى ظهر الناقة . أفضى إلى الشىء وصل إليه . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض . المهاة بقرة الوحش . الذرع ولد البقرة . أهوى لها انحط وانحدر . ضابىء لازق . مفتحص متخذ أفحوصا والأفحوص الجحر الذى يأوى إليه . خفى الشخص ناحل دقيق الجسم . خشع نحل ، خشع السنام ذهب إلا أقله . واحدها ابنها . الفىء الظل . حانت من الحين (بفتح ثم سكون) وهو الهلاك والمحنة.

(٣٢ — ١٥) رتعت الماشية فى المكان أكلت وشربت ما شاءت فى خصب وسعة . حد الشىء منتهاه ، حد النهار أى طوال النهار . الفيقة اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . شق الشىء شطره والقطعة منه . وشق النفس ولدها لأنه قطعة منها . لو هنا للتمنى أى ليته حى فيرضع منها . عجلا مصدر عجل (كطرب) سكن الجيم لضرورة الوزن . المعهد الموضع الذى عهدته به . الأدنى القريب . أقطاع جمع جمع . المفرد قطعة والجمع قطع وجمعه أقطاع . المسك الجلد . سافت شمت . الدفع ما جرى شيئا بعد شىء من دمه . دهته الداهية أصابته .

(٣٦ — ٣٨) السبع الوحش المفترس . ذر طلع . قرن الشمس أول ما يشرق منها . ذأل أسرع ومشى فى خفة ، ويقصد بالذؤال هنا الصائد . المتع جمع متعة يعنى أنه يطلب لهم زاداً وطعاما .

٢٥ — فوق ناقة قوية شديدة لا تتعثر فى طريقها ، تعست إن هى عثرت ولا أقالها الله .

٢٦ — تضرب بذنبها ذات اليمين وذات الشمال ـ وكأنه وقد اكتنفه الشعر من ناحيتيه قِنْوُ النخلة ـ فيكشف عن فرج عاقر عقيم ، ليس وراءها ولد تحن إليه فيعوقها عن الإقدام ، فهى لا تُقْتَنَى للإنتاج والنسل ، وإنما تخصَّص للرحلة .

٢٧ — تكلف هذه الناقة نفسها الرحلة البعيدة حتى يضنيها الكلال فتضمر ، وتسترخى السيور التى تشد الرحل إلى بطنها ، ولكنها ترى حتما عليها أن تمضى فى السير حتى تتم رحلتها ، حيث تستريح وتسترد قوتها ، ويعود جسمها إلى الاكتناز والامتلاء حتى يملأ السيور ويستوفيها .

٢٨ — ويصور لنا كلال راحلته بعد أن أفضت بها المرتفعات إلى (الشيِّطين) ـ وهما واديان ـ فيشبهها ببقرة وحش تنشد ولدها الفقيد .

٢٩ — عرض لها وحش قد لصق بالأرض متخذاً له فيها وكراً ينتظر الصيد فى نهم للحمه ، وقد فنى جسمه من الهزال ، ودق شخصه من شدة الجوع .

٣٠ — فظل يخدعها عن ولدها فى أرض كساها الظل ـ وقد طالما خدع غيرها من قبل ـ

٣١ — قُدِّر عليها أن تطعمه لحم ابنها وأن يفجعها فيه ، فقد أطعمته لحمه وقد فجعها .

٣٢ — ظل يأكل من لحمه وهى ترتع مع قطيع من الثيران طول النهار .

٣٣ — حتى إذا تجمع اللبن فى ضرعها عادت ترضع ولدها ـ لو أنه حى يرضع !

٣٤ — وأسرعت فى عجل إلى حيث خلفته قريباً منها ، ففوجئت بقطع ممزقة من جلده قد لطخها الدم . فراحت تشم هذه الدفع المتفرقة من دمه فى حزن وأسى .

٣٥ — ثم انصرفت فاقداً ثكلى ، حزينة على ما دهاها وما اجتمع عليها من المصائب .

٣٦ — لقد غفلت عن ابنها ولم تشعر أن الموت قد أرسل له سبعاً .

٣٨ — ولم تكد تفيق هذه البقرة المسكينة من بليتها حتى فاجأها خطب جديد . فما هو إلا أن لاح الصباح حتى فاجأها صياد كأنه ذئب « نَبْهَان » يبغى صَحْبَه صيداً .

٣٩ — معه كلاب ضارية كأنها النبال فى سرعتها ، ترى فى أعناقها أثر السيور .

٤٠ — فإذا بلغ الشاعر هذا الحد من تصوير بقرة الوحش المكدودة المجهدة قال : إنها تشبه ناقتى وقد أجهدها السير وأعيتها الرحلة ، لا تختلف عنها إلا بحوافرها .

٣٩— بِأَكْلُبٍ كَسِرَاعِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ ❊ تَرَى مِنَ القِدِّ فِى أَعْنَاقِهَا قِطَعَا
٤٠— فَتِلْكَ لَمْ تَتْرُكْ مِنْ خَلْفِهَا شَبَهَا ❊ إِلَّا الدَّوَابِرَ وَالأَظْلَافَ وَالزَّمَعَا
٤١— أَنْضَيْتَهَا بَعْدَ مَاطَالَ الهِبَابُ بِهَا ❊ تَؤُمُّ هَوْذَةَ لَا نِكْسًا وَلَا وَرَعَا
٤٢— يَاهَوْذَ إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ ❊ لَا يَفْشَلُونَ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا
٤٣— هُمُ الخَضَارِمُ إِنْ غَابُو وَإِنْ شَهِدُوا ❊ وَلَا يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهِمْ خُنُعَا
٤٤— قَوْمٌ بُيُوتُهُمُ أَمْنٌ لِجَارِهِمُ ❊ يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ المَحْذُورَةُ الفَزَعَا
٤٥— وَهُمْ إِذَا الحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا ❊ مِثْلُ اللُّيُوثِ وَسُمٍّ عَاتِقٍ نَقَعَا
٤٦— غَيْثُ الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ كُلِّهِمُ ❊ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا
٤٧— مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ❊ إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
٤٨— لَهُ أَكَالِيلُ بِاليَاقُوتِ زَيَّنَهَا ❊ صُوَّاغُهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعَا
٤٩— وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَلْبَسُهُ ❊ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعَا
٥٠— لَمْ يَنْقُصِ الشَّيْبُ مِنْهُ مَايُقَالُ لَهُ ❊ وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الجَهْلُ فَانْقَشَعَا
٥١— أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ ❊ لَوْصَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعَا

(٣٩ — ٤٠) النبل السهام ، يشبه بها الكلاب فى سرعتها عند انطلاقها. ضارية من ضرى بالشىء تعوده ، وكلب ضار بالصيد خبير به متعوده . القد السير من الجلد . الدوابر مآخير الاظلاف . والظلف الظفر من الحيوانات المجترة كالبقرة والشاة والظبى وشبهها ، وهو بمكان الحافر من الفرس . الزمع جمع زمعة وهو شىء زائد وراء الظلف ، فى كل قائمة زمعتان كأنهما من قطع القرون لصلابتهما .

(٤١ — ٤٣) أنضيتها أكللتها وأجهدتها . الهباب النشاط . النكس العاجز الضعيف . الورع الجبان . آنس الشىء أبصره أو أحس به . الفزع الهلع أو القتال . الخضارم جمع خضرم (بكسر الخاء والراء) وهو الكريم السخى . شهدوا أى حضروا . خنع جمع خانع وهو المريب الفاجر والغادر .

(٤٤ — ٤٨) المحذورة الفزع والداهية التى تحذر والحرب . القزع المتفرق . العاتق القديم، وعتقه عضه . نقع ثبت .غير متئب لايستحى. فعلها اتأب أى استحى . الطبع الوسخ الشديد من الصدأ ، والشين العيب .

(٤٩ — ٥٢) الديباج الحرير وهو فارسى معرب . محبوا من الحباء وهو العطاء . حباه به ملك فارس حين قدم عليه . انقشع ذهب . الجهل طيش الشباب . أغر صبيح الوجه . أبلج من البلجة وهى نقاوة ما بين الحاجبين . استسقى طلب السقيا ، اى أن الناس يسألون المطر ببركته .

وبعد أن يستغرق الأعشى فى عرض هذه الصورة عشرة أبيات يتخلص إلى المدح فيقول :

٤١ — إنه قد أنضى هذه الناقة بعد أن طال نشاطها ، يؤم بها هوذة ، وما هو بالضعيف ولا الجبان .

ويبدأ بالثناء على قومه فيقول :

٤٢ — ياهوذ إنك من قوم ذوى حسب ، لايجبنون ولا يضعفون إذا غشيهم من الحوادث ما يفزع .

٤٣ — أسخياء يعم خيرهم الناس حاضرين وغائبين ، فضلاء أوفياء يَعِفون عن جاراتهم فما يُرِيبون .

٤٤ — شجعان منجدون ، يأمن اللاجىء إليهم حين يعم الكرب ويشمل أشتاتَ الناس .

٤٥ — فرسان مغاوير ، إذا كشرت الحرب عن أنيابها فهم الليوث وهم السم الزُّعاف .

ثم يصرف الشاعر المدح إلى هوذة ، مشيراً إلى ما حباه به كسرى حين زاره فيقول :

٤٧ — إن الذى يلقاه لا يستحى أن يسجد أمام طلعته المهيبة وقد تعصب فوق التاج ، ووضع الأكاليل ، (٤٩،٤٨) قدزينها صواغها بالياقوت ، لا ترى فيها عيباً ولا شيناً ، ولبس أكسية الديباج ، محبواً بذلك جميعاً من كسرى .

٥٠ — وقد شاب هوذة ، ولكن الشيب لم ينقص منه شيئاً ، بل لقد زاده حنكة وتجربة .

٥١ — مبارك ميمون ، بوجهه الصبيح يُسْتَمْطَرُ الغمام ؛ عاقل حليم ، لو قيس عقله إلى عقول الناس فضلها ورجح عليها .

٥٢ — حملوه أعباء الملك ، التى لا ينهض بها إلا السادات ، وهو بَعْدُ فتى ، فأطاق الحمل ونهض به .

٥٣ — وجربوه فى مختلف الشدائد والأزمات ، فما كشفت تجاربهم إلا عن الحزم والفضل .

(٥٥،٥٤) من أجل ذلك ألقى إليه السادة المقاليد ، ورضيت نفوسهم أن يكونوا له تبعا .

٥٧ — يستمع إلى قولهم منصتاً حين يعرضون عليه آراءهم ، فيختار منها ما يشاء مما يستبين فيه الحزم والصواب ، ويبتدع ما يشاء من صائب الحلول وسديدها .

٥٦ — ياهَوْذ ، يا خير من يمشى على قدم ، ويا بحر الهبات للواردين ، ومورد الشاربين .

٤٦ — أنت الغيث الذى يحيا به من نكبهم الدهر من الأرامل والأيتام ، وأنت القدير على أن تنفع وأن تضر .

(٦٠،٥٨) ليس الفرات وقد عب عبابه ، وجاش طوفانه ، وحفل بالماء حتى كاد يطغى على شاطئيه المرتفعين ويغمرها ، قد ضربه الريح فالتطمت أمواجه وامتدت عالية هُوجاء ، وأُترعت بها روافده وفروعه ، بأجود من هوذة حين تسأله .

٥٢— قَد حَمَّلُوهُ فَتِيَّ السِّنِّ مَا حَمَلَتْ سَادَاتُهُمْ فَأَطَاقَ الحِمْلَ وَاضْطَلَعَا
٥٣— وَجَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ ابَا قُدَامَةَ إِلَّا الحَزْمَ وَالفَنَعَا
٥٤— مَنْ يَرَ هَوْذَةَ أَوْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهِ يَكُنْ لِهَوْذَةَ فِيمَا نَابَهُ تَبَعَا
٥٥— تَلْقَ لَهُ سَادَةَ الأَقْوَامِ تَابِعَةً كُلٌّ سَيَرْضَى بِأَنْ يُرْعَى لَهُ تَبَعَا
٥٦— يَا هَوْذُ يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بَحْرَ المَوَاهِبِ لِلْوُرَّادِ وَالشَّرَعَا
٥٧— يَرْعَى إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا أَبْدَوْا لَهُ الحَزْمَ أَوْ مَا شَاءَهُ ابْتَدَعَا
٥٨— وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى الجُرْفَيْنِ وَاطَّلَعَا
٥٩— يَجِيشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلًا يَكَادُ يَعْلُو رُبَى الجُرْفَيْنِ مُطَّلِعَا
٦٠— طَابَتْ لَهُ الرِّيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا
٦١— يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ إِذْ ضَنَّ ذُو المَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْ خَدَعَا
٦٢— سَائِلْ تَمِيماً بِهِ أَيَّامَ صَفْقَتِهِمْ لَمَّا رَآهُمْ أَسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعَا
٦٣— وَسْطَ المُشَقَّرِ فِي عَيْطَاءَ مُظْلِمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ فِيهَا ثَمَّ مُمْتَنَعَا
٦٤— لَوْ أُطْعِمُوا المَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمُ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْماً فِيهِمُ نَجَعَا

(٥٢ — ٥٤) أطاق احتمل . اضطلع بالحمل نهض به . الحزم ضبط الأمر وأخذه بالثقة . الفنع الفضل. نابه نزل به من النوائب . يرعى يكون من رعيته وأتباعه .

(٥٦ — ٥٦) الشرع مورد الشاربين . يرعى يصغى . هيت بلد بالعراق . مجاور هيت نهر دجلة . الجرف المكان الذى تأخذه السيل ويجرفه ، اطلع افتعل من طلع أى صعد . جاش غلا واضطرب . الطوفان الماء الغالب يغشى كل شيء . عب البحر ارتفع وكثر موجه . حفل واحتفل اجتمع وامتلأ . ربى جمع ربوة .

(٦٠ — ٦٤) الغوارب جمع غارب ، وغارب كل شيء حده ، والغوارب أعالى الأمواج . حوالب النهر الفروع التى تحلبه أى تعينه وتمده . ترعا أى مترعة مملوءة إلى نهايتها . خدع توارى . الصفقة يوم من أيام العرب بين كسرى وتميم . ضرع ذل . المشقر حصن قتل فيه كسرى بنى تميم . عيطاء هضبة شامخة . ثم هناك . المن طل ينزل من السماء كالندى فيجتمع على الأشجار والأحجار وينعقد عسلا فيؤكل . السلوى طائر أبيض مثل السمان . نجع نفع ونجح وظهر أثره على أبدانهم .

٦١— فهو يجود حين يتوارى ذو المال مستتراً ويضن بالعطاء .

ويذكر الشاعر مثلا لفضل الممدوح وكرم طبعه ، بما فعل يوم « الصفقة » ، إذ شفع لبنى تميم عند كسرى . فيقول :

٦٢— سل عنه تميما يوم « الصفقة » ، لما رآهم وقد سيقوا إلى الأسر أذلاء

٦٣— وسط حصن « المشقَّر » ، فى هضبة عالية مظلمة ، لا يجدون منها مخرجا ، ولا يستطيعون فيها امتناعا .

٦٤— لو أُطعِموا المَنَّ والسَّلْوَى فى مأزقهم الذى صاروا إليه ماهَنَأَهم ما يأكلون، ولا ظهرت ثمرته على أبدانهم.

(٦٥، ٦٦) ذلك بظلمهم وعدوانهم على الملك بـ « نطاع » فى ضاحية النهار ، فقد ذاقوا وبال أمرهم ، وقد أصابهم طائفة من عقاب الملك ، وإنهم ليتحسرون نادمين (ويَحْسُون من أنفاسهم جُرَعًا) إذ يتنهدون.

٦٧— يومئذ جاء هوذة يلتمس من الملك أن يسرح مائة منهم ، يرجوه فى لين وهوادة ، وفى صوت مخفوض.

٦٨— فاستجاب الملك لشفاعته ، وفك عن مائة منهم وثاقهم ، فأصبحوا وقد نزعت عنهم الأغلال .

٦٩— ولم يكن هوذة يبغى بما فعل وبما أسدى من الخير إلا وجه الله ، يتقرب إليه بهذا العمل الصالح فى عيد الفصح .

٧٠— كانت كلمة معروف ، أسدى بها خيراً ونفعاً ، ولم يرد بها ثوابا عاجلا .

٧١— ولكن بنى تميم لا يرون فيما فعل نعمة سبقت إليهم منه ، وقد قال ما قال وسعى فيما سعى ، عن رغبة فى الخير والإحسان .

ويعود الشاعر إلى ممدوحه ، ليصفه بالقوة والاقتدار ، فيقول :

٧٢— لن يستطيع الناس أن يصلحوا ما أوهى ، ولو اجتمعوا على ذلك طول الحياة . ولاهم يستطيعون أن يفسدوا ما أقام وأصلح .

٧٣— مهما يقصدْ من جمع فهو قادر على تفريقه وتشتيته ، ومهما يُرِدْ من متفرق شتيت فهو قادر على أن يجمعه .

٧٤— قد عم فضله الناس من « المدائن » إلى « شبَام » ، وقد تمرس بالمكاره ، يخوض إليها الموت ويلبسه .

٦٥— بظُلْمِهِمْ بِنِطَاعِ المَلْكَ ضَاحِيَةً   فَقَدْ حَسَوْا بَعْدُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ جُرَعَا
٦٦— أَصَابَهُمْ مِنْ عِقَابِ المَلْكِ طَائِفَةٌ   كُلُّ تَمِيمٍ بِمَا فِي نَفْسِهِ جُدِعَا
٦٧— فَقَالَ لِلْمَلْكِ سَرِّحْ مِنْهُمُ مِائَةً   رِسْلاً مِنَ القَوْلِ مَخْفُوضًا وَمَا رَفَعَا
٦٨— فَفَكَّ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ وِثَاقَهُمُ   فَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلِّهِ خُلِعَا
٦٩— بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الفِصْحِ ضَاحِيَةً   يَرْجُو الأِلَهَ بِمَا سَدَّى وَمَا صَنَعَا
٧٠— وَمَا أَرَادَ بِهَا نُعْمَى يُثَابُ بِهَا   إِنْ قَالَ كَلِمَةَ مَعْرُوفٍ بِهَا نَفَعَا
٧١— فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ   إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسَعَى
٧٢— لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَإِنْ جَهَدُوا   طُولَ الحَيَاةِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعَا
٧٣— لَمَّا يُرِدْ مِنْ جَمِيعٍ بَعْدُ فَرَّقَهُ   وَمَا يُرِدْ بَعْدُ مِنْ ذِي فُرْقَةٍ جَمَعَا
٧٤— قَدْ نَالَ أَهْلَ شَبَامٍ فَضْلُ سُؤْدَدِهِ   إِلَى المَدَائِنِ خَاضَ المَوْتَ وَادَّرَعَا

(٦٥ — ٦٨) نطاع اسم الموضع الذى نهبت فيه تميم قافلة كسرى . حسى الماء شربه . يصور تهدهم وكأنه احتساء للأنفاس . الطائفة من الشىء القطعة . الجدع الحبس والسجن وقطع الأنف أو الأذن أو اليد . وجدعته أمه أساءت غذاءه . وكلأ جداع (بضم الجيم) وبيل وخم فيه جدع لمن يرعاه . الرسل البطء والهينة والهدوء . الوثاق الرباط والقيد . وكذلك الغل .

(٦٩ — ٧٤) الفصح من أعياد النصارى ، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت وهو أكبر أعيادهم . أسدى وسدى قدم . أوهى أضعف . رقع الشىء أصلحه . جميع مجتمع . السؤدد السيادة . شبام بلد قديم فى اليمن . ادرع لبس الدرع ، على وزن افتعل والدرع القميص .

يخاطب الأعشى بهذه القصيدة بنى عبدان عامة ، وعمرو بن المنذر بن عبدان خاصة . وبنو عبدان بيت من بيوت سعد بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة — كما قدمنا فى القصيدة (١٠) — هو الفرع الذى ينتمى إليه الأعشى . فبنو عبدان قريبو القرابة من الشاعر ، ولذلك فهو مترفق بهم لا يعنف عليهم ، كما سنرى . وللأعشى فيهم — غير هذه القصيدة — ثلاث قصائد أخرى هى ١٥ ، ٣٨ ، ٧٣

وسبب القصيدة فيما يروون أن رجلا من قيس عيلان كان جاراً لعمرو بن المنذر(١) ، فسرقت راحلته وهو فى جواره . فلما بحثوا عنها وجدوا بعض لحمها فى بيت قائد الأعشى ، وكان اسمه (هداج) . والأعشى هنا يعاتب بنى سعد بن قيس عامة ، وعمراً خاصة ، بهذه القصيدة . وهو ينفى عن تابعه ما يلصقون به من تهمة السرقة . ويبدو من البيت (٢٠) أن قوم الأعشى (سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) كانوا قد ارتحلوا عن الحى إلى ديار أبناء عمومتهم ، بنى شيبان ، ولبث الأعشى مقيما مع أبناء العم (سعد بن قيس) ربما يعودون ، فاتهم بهذه التهمة فى أثناء غيابهم ولذلك فهو يشكو فى القصيدة غربته وقلة أعوانه .

ويبدو من المناسبة التى قيلت فيها القصيدة أنها قيلت فى آخر أيام الأعشى ، بعد أن كف بصره واحتاج إلى قائد يلازمه ليدله على الطريق . على أن أثر السن واضح فى الشعر فى الأبيات (٥) ، (٢٠) . وتمتاز القصيدة بصدق التعبير والبعد عن التكلف والصناعة ، فهى صورة من حياة البادية فيما ترسم من صور ، وما تقدم من مثل تفيض بالوفاء للقبيلة ، والتمسك بقرابة الدم .

يبدأ الأعشى قصيدته منقبضاً ضيق الصدر ، فهو يتصور صاحبته معرضة كثيرة الهجر والصدود ، ولكنه مع ذلك متعلق بها لا يتركها . وكأن بين هذه الصورة التى يقدم بها لشعره وبين ماهو مقبل عليه من عتاب قومه صلة . فهم كهذه الصاحبة يسرفون فى الصد والهجر والايذاء ، على حين يسرف هو فى التعلق بهم والابقاء عليهم ورعاية حقوقهم .

يقول الأعشى :

١ — إن ما تولينه من الهجر والصدود والإيذاء ، لحقيق بأن يزهده فيك ويبرئه من حبك ـ لو أنه

٢ — يستطيع تجنباً ـ وقد علاه الشيب . ويشبه حبها وقد ولد فى قلبه صغيراً بولد الناقة ، لم يزل يشب

٣ — وينمو حتى أصبح فحلا صاحب أبناء كبار . كذلك ملكت عليه أمره ، وثبت هو على حبها ، لا يزيده ما يكابد فيها من الشوق إلا إمعاناً فى الود والتقرب .

٤ — ثم ينتقل الشاعر إلى الشكوى من أبناء عمومته . فيقول إنه قد بات والهم ملازمه ، ينتابه كلما أوى إلى الفراش . وقد أصبح الشاعر قليل الثقة بالقرابة وبصلة النسب

٥ — وهو لذلك سيوصى كل رجل عاقل ذى بصر ، إن دنت منيته ، وصاة امرىء مجرب خبير .

٦ — بألا يلتمس الود ممن يتباعد وإن قربت قرابته ، ولا ينأى عن المتودد المتقرب وإن سبقت عداوته .

٧ — فليس القريب من تربطك به صلة النسب ، ولكن القريب الحق من قرب نفسه بالود وأخلصه .

٨ ، ٩ فلقد صرنا إلى زمن لا يرعى فيه أحد قرابة ولا نسباً . يغترب الرجل عن أهله فإذا هو وحيد بين قوم يعتزون بأنصارهم من رهطهم ، لا يجد من يغضب له أو ينصره إذا خاصم أحدهم .

١٠ — فهم يد واحدة عليه ، يحطمونه بجورهم ، ولا يزال كل يوم صريع ظلم جديد ، يتقاذفه جراً وسحباً .

---

(١) عمرو بن المنذر بن حذافة بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة .

وقال يَهْجُو عَمْرَو بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدَان ، ويُعَاتِبُ بَنِى سَعْدِ بْنِ قَيْس :

١ — كَفَى بِالَّذِى تُولِينَــهُ لَوْ تَجَنَّبَا … شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا عَادَ أَشْيَبَا (طويل)

٢ — عَلَى أَنَّهَــا كَانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّهَا … تَأَوُّلَ رِبْعِىِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَــا

٣ — فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا … إِلَيْهِ بَلَاءُ الشَّوْقِ إِلَّا تَحَبُّبَــا

٤ — وَإِنِّى امْرُؤٌ قَدْ بَاتَ هَمِّى قَرِيبَتِى … تَأَوَّبَنِى عِنْدَ الْفِرَاشِ تَأَوُّبَا

٥ — سَأُوصِى بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْبِلَى … وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الْأُمُورَ وَجَرَّبَا

٦ — بِأَنْ لَا تَبَغَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ … وَلَا تَنْأَ عَنْ ذِى بِغْضَــةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

٧ — فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَــهُ … لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَــيْرَ لَا مَنْ تَنَسَّبَا

٨ — وَإِنَّ امْرَءًا فِى حِقْبَةِ النَّاسِ هَذِهِ … وَإِنْ ....

٩ — مَتَى يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَجِدْ لَهُ … عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالَيْهِ مُغْضَبَــا

١٠ — وَيُحْطَمْ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ … مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

١١ — وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ … يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِى رَأْسِ كَبْكَبَا

١٢ — وَلَيْسَ مُجِيرًا إِنْ أَتَى الْحَىَّ خَائِفٌ … وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ الْمُتَعَيَّبَــا

١٣ — أَرَى النَّاسَ هَرُّونِى وَشُهِّرَ مَدْخَلِى … وَفِى كُلِّ مَمْشًى أَرْصَدَ النَّاسُ عَقْرَبَا

١٤ — فَأَبْلِغْ بَنِى سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ بِأَنَّنِى … عَتَبْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِىَ مَعْتَبَــا

(١ — ٣) أولاه المعروف صنعه له ، ويقصد ما توليني من الهجر والجفاء . تأول الكلام دبره وتدره وفسره . الربعى ولد الناقة فى أول الانتاج . السقاب جمع سقب (بفتح السين) وهو ولد الناقة ساعة يولد . أصحب الرجل إذا بلغ ابنه فصار مثله وصار له كالصاحب . أى أن حبها كان صغيراً ثم كبر ونما . تم على أمره مضى عليه .

(٤ — ٦) قريبتى مثل قرابتى أى ملازمى . تأوبه آب إليه أى عاد ليلا . البصير العاقل الحاذق بالأمور . البلى الموت لأنه يبلى . قاسى الأمور ذاق شدتها وعاناها . لا تبغ لا تبتغ أو تطلب .

(٧ — ٩) الخير منصوب على نزع الخافض أى من يقرب نفسه بالخير وبعمله . تنسب انتسب إليك واتصل بالقرابة . الحقبة المدة من الزمن .

(١٠ — ١٢) حطمه كسره . مجراً ومسحباً مصدر ميمى من جر وسحب . كبكب جبل . أى تكون إساءته مشهورة ظاهرة لأنهم يشنعون بها ، كالنار فوق الجبل . ليس مجيراً أى أنه لا يملك أن يؤمن رحلا فيجعله فى جواره لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار ، وإنما يحترمون جوار القوى فلا يجرءون على أن ينالوا جاره بالأذى . المتعيب اسم مفعول من تعيب أى عاب وتنقص .

(١٣ — ١٤) هر الشىء كرهه . شهر به شنع عليه . مدخلى مذهبى . أرصدوا عقربا هذا مثل أى أقاموا فى طريقه الأذى . معتب موضع العتب .

إن أحسن ستروا صالح أعماله ودفنوه، وإن أخطأ شهّروا بخطئه وأذاعوه، حتى كأنه النار فى رأس جبل (كَبْكَب).

١٢ — يلجأ المستجير إلى الحى فلا يستطيع أن يجيره لضعفه بينهم ، وينطق بالكلمة فتُرَدُّ عليه وتعاب .

١٣ — لقد كرهنى القوم وشنَّعوا بى ، وراحوا يضعون الأذى فى طريقى حيثما سرت .

١٤ — فأبلغ بنى سعد بن قيس بأنى قد عتبت . فلما لم أجد موضعاً لعتاب ،

١٥ — لم يكن بد من أن أقطع صلتى بهم - وإن كنت لم أفعل بعد - ولكن من طوى كشحه معرضاً يتهيأ للرحيل كمن قد رحل .

١٦ — ومثل الذى تمطرونى من الأذى وسط بيوتكم خليق أن ينبت الشر ، وأن يجعل للقناة سناناً طويلا كأنه ريش الجناح .

١٧ — يبعد بيت الرجل من دار قومه ، فلا يعلمون كيف بات من بعدهم إلا ظناً .

١٨ — ويعيش بين قوم لا يرعون وداً ولا نسباً .

١٩ — لقد هان أمرى فى أعينكم منذ غاب عنى قومى ، حتى كأننى فى نظر هذا الباحث عن حقه وحق جاره أرنب ضعيف .

٢٠ — دعا قومه من حوله فنصروه ، وقد غاب عنى قومى بالمُسَنَّاة (وهو ماء لبنى شيبان) .

٢١ — فحكموا له على ظلماً ، وما كنت قبل ذلك قليل الأنصار ، ولا كنت دعيًّا لئيما .

٢٢ — فلقد أهتف مستنجداً فيأتينى كل كريم ينفض رأسه ، وقد هب لنصرتى ثائراً مغضباً.

ويتجه الأعشى إلى خصمه عمرو بن المنذر ، فيشير إليه قائلا :

٢٣ — أرى بينكم رجلا قد ذهب به الغضب وأضناه الكمد ، كأنما قد قطِعت كفُّه .

٢٤ — وما أعرف له مجداً قديماً ، ولا أعرف له فضلا فى شىء .

٢٥، ٢٦ فليعلم هذا الذى أمسى فى غضبه أعق الناس للقرابة والنسب، أن مثلى ومثلكم فيما تكلفونى من ذنوب لا يد لى فيها ، كمثل الثور يضرب الراعى ظهره حين تعاف البقر الماء ، ليدفعه إلى الحوض فتُقْبِل بأقباله.

٢٧ — كلما أعرضت البقر ضُرِب الثور ، على غير ذنب جناه .

ويعود الأعشى إلى مخاطبة بنى سعد بن قيس قائلا إنه لن يكون إلا وفياً للقرابة والنسب .

١٥ــ صَرَمْتُ وَلَمْ أَصْرِمْكُمُ وَكَصَارِمٍ … أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيَذْهَبَا

١٦ــ وَمِثْلُ الَّذِى تُولُونَنِى فِى بُيُوتِكُمْ … يُقَنِّى سِنَانًا كَالقُدَامَى وَثَعْلَبَا

١٧ــ وَيَبْعُدُ بَيْتُ المَرْءِ عَنْ دَارِ قَوْمِهِ … فَلَنْ يَعْلَمُوا مُمْسَاهُ إِلَّا تَحَسُّبَا

١٨ــ إِلَى مَعْشَرٍ لَا يُعْرَفُ الوُدُّ بَيْنَهُمْ … وَلَا النَّسَبُ المَعْرُوفُ إِلَّا تَنَسُّبَا

١٩ــ أَرَانِى لَدُنْ أَنْ غَابَ قَوْمِى كَأَنَّمَا … يَرَانِى فِيهِمْ طَالِبُ الحَقِّ أَرْنَبَا

٢٠ــ دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِى فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ … وَنَادَيْتُ قَوْمًا بِالمُسَنَّاةِ غُيَّبَا

٢١ــ فَأَرْضَوْهُ أَنْ أَعْطَوْهُ مِنِّى ظُلَامَةً … وَمَا كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبَا

٢٢ــ وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ … أَتَانِى كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبَا

٢٣ــ أَرَى رَجُلًا مِنْكُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا … يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

٢٤ــ وَمَا عِنْدَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَلَا لَهُ … مِنَ الرِّيحِ فَضْلٌ لَا الجَنُوبُ وَلَا الصَّبَا

٢٥ــ وَإِنِّى وَمَا كَلَّفْتُمُونِى وَرَبِّكُمْ … لِيَعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْرَبَا

٢٦ــ لَكَالثَّوْرِ وَالجِنِّىُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ … وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا

٢٧ــ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ … وَمَا إِنْ تَعَافُ المَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا

٢٨ــ فَإِنْ أَنَا عَنْكُمْ لَا أُصَالِحْ عَدُوَّكُمْ … وَلَا أُعْطِهِ إِلَّا جِدَالًا وَمَحْرَبَا

٢٩ــ وَإِنْ أَدْنُ مِنْكُمْ لَا أَكُنْ ذَا تَمِيمَةٍ … يُرَى بَيْنَكُمْ مِنْهَا الأَجَالِدُ مُثْقَبَا

(١٥ — ١٨) صرم قطع وفارق . الكشح الجنب ، وطوى كشحه أعرض . أب تهيأ واستعد . أولاه المعروف صنعه له ، وإنما يولونه الأذى . قنى السنان ركبه فى القناة . القدامى الريشة فى أول الجناح . الثعلب طرف الرمح الداخل فى السنان . التحسب السؤال عن الخبر . لن يعلموا ممساه أى لن يعلموا كيف أمسى وكيف صار فى الليل إلا ما يصل إليهم من أخباره حين يسألون عنه الناس .

(١٩ — ٢١) المسناة ماء لبنى شيبان حيث ينزل قوم الأعشى بعيداً عنه . قل قليل . الأزيب اللئيم الدعى . البقيع الموضع فيه شجر من ضروب شتى . هتفت بجوه دعوت مستنجداً .

(٢٣ — ٢٥) الأسيف الحزين والغضبان ومن لا يكاد يسمن لأن الحقد يأكله . تليد قديم . الجنوب ريح تهب من الجنوب . والصبا ريح من الشرق . أى لا يعرف له فضل فى أى وقت ، لا فى وقت هبوب هذه الريح ، ولا فى وقت هبوب تلك . عق الولد والده خالفه وترك الشفقة عليه والإحسان إليه . وأعق أفعل منه . أحربا من حرب الرجل حربا أى غضب .

(٢٦ — ٢٩) الجنى الراعى . هذا مثل زعموا أن البقر إذا عافت الشرب وانصرفت عنه أخذوا ثوراً فضربوه حتى يرد الماء فتتبعه البقر . وقيل إن هذا لم يكن يحدث فعلا ولكنه مثل ضربه الشاعر وتصوره . حرب الرجل (كطرب) اشتد غضبه فهو محرب غضوب . التميمة المقص والمقراض . أى لا أثقب جلدكم باغتيابكم ونهش أعراضكم .

٢٨، ٢٩ إن نأيت عنكم لم أصالح عدوكم ولم أكن إلا حرباً عليه . وإن دنوت منكم لم أكن كالمقراض أقطع جلودكم بنهش أعراضكم ونبش سيئاتكم .

٣٠ — سينبح كلبي من ورائكم مدافعاً . ولكني سأغني عيالي عنكم . حتى لا ينالني لوم أو تأنيب .

٣١ — سأدفع عن أعراضكم ، وأضع في خدمتكم لساناً قاطعاً كأنه المقراض.

٣٢ — وما أبغي بما أفعل منكم جزاءً أو ثواباً ، فإنما ثوابي فيما أفعل على الله .

٣٣ — سأثني عليكم في غيابكم ، فإذا أزمت الأزمات ، وصار كل رجل إلى حزبه ،

٣٤ — كنت واحداً منكم على ما ينوبكم من النائبات ، ولن يراني أعداؤكم ثوراً أغضب مكسور القرن .

ويعود الأعشى إلى عمرو بن المنذر مرة أخرى ، ولكنه يخاطبه مهدداً في عنف ، فيقول :

٣٥ — بيني وبين عمرو عداوة حادة قاتلة ، ليس وراءها إلاَّ أن يمسني الجنون أو يصيبه الكَلَب .

٣٦ — لا يزال كلانا يدعي أنه بريء وأنه ليس ظالماً ، حتى نفد صبري وطرحت عني حلمي فهو اليوم بعيد .

٣٧ — لقد أطاع الواشين فأفسدوا ما بينه وبين كل صديق ، حتى الحبيب القريب .

٣٨ — وكنت إذا أدام صاحبي ظلمي أمسكت به ولم أفلته ، حتى لا يتعود ذلك مني ويظن بي الضعف .

٣٩ — وعند ذاك يحاول الإفلات فلا يستطيع ، كما يلتمس الرومي فتح قفل مستغلق ، فلا يزال يدير فيه مفتاحه فيخطئ حد أسنانه ويزل عنها .

٤٠ — ما ظنكم بالليث يحمي عرينه وينفي عنه الأسد مهيباً مرهوباً .

٤١ — يخفي مخالبه إذا مشى ، ويبرزها إذا غضب وثار .

٤٢ — ويُعْجِل خصمه بالوثوب فلا يجد سبيلا للفرار!

٤٣ — لقد تعلمون أني علوتكم قبل أن يعلو رأسي الشيب، آلآن بعد أن أصبحت كهلا مجربا تُهادُونَني الشعر ؟

٣٠ـــ سَيَنْبَحُ كَلْبِي جَهْدَهُ مِنْ وَرائِكُمْ   وَأُغْنِي عِيَالِي عَنْكُمُ أَنْ أُؤَنَّبَا

٣١ـــ وَأَدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ   لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الخَفَاجِيِّ مِلْحَبَا

٣٢ـــ هُنَالِكَ لَا تَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمُ   وَلَكِنْ سَيَجْزِينِي الإِلَٰهُ فَيُعْقِبَا

٣٣ـــ ثَنَائِي عَلَيْكُمْ بِالمَغِيبِ وَإِنَّنِي   أَرَانِي إِذَا صَارَ الوَلَاءُ تَحَزُّبَا

٣٤ـــ أَكُونُ امْرَءًا مِنْكُمْ عَلَى مَا يَنُوبُكُمْ   وَلَنْ يَرَنِي أَعْدَاؤُكُمْ قَرْنَ أَعْضَبَا

٣٥ـــ أَرَانِي وَعَمْرًوا بَيْنَنَا دَقُّ مَنْشِمٍ   فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أُجَنَّ وَيَكْلَبَا

٣٦ـــ كِلَانَا يُرَائِي أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ   فَأَعْزَبْتُ حِلْمِي أَوْ هُوَ اليَوْمَ أَعْزَبَا

٣٧ـــ وَمَنْ يُطِعِ الوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ   صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الحَبِيبَ المُقَرَّبَا

٣٨ـــ وَكُنْتُ إِذَا مَا القِرْنُ دَامَ ظُلَامَتِي   غَلِقْتُ فَلَمْ أَغْفِرْ لِخَصْمِي فَيَدْرَبَا

٣٩ـــ كَمَا التَمَسَ الرُّومِيُّ مِنْشَبَ قُفْلِهِ   إِذَا اجْتَسَّهُ مِفْتَاحُهُ أَخْطَأَ الشَّبَا

٤٠ـــ فَمَا ظَنُّكُمْ بِاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ   نَفَى الأُسْدَ عَنْ أَوْطَانِهِ فَتَهَيَّبَا

٤١ـــ يُكِنُّ حِدَادًا مُوجَدَاتٍ إِذَا مَشَى   وَيُخْرِجُهَا يَوْمًا إِذَا مَا تَحَرَّبَا

٤٢ـــ لَهُ السَّوْرَةُ الأُولَى عَلَى القِرْنِ إِذْ غَدَا   وَلَا يَسْتَطِيعُ القِرْنُ مِنْهُ تَغَيُّبَا

٤٣ـــ عَلَوْتُكُمُ وَالشَّيْبُ لَمْ يَعْلُ مَفْرِقِي   وَهَادَيْتُمُونِي الشِّعْرَ كَهْلًا مُجَرَّبَا

(٣٠ — ٣٥) آن أؤنبا أى حتى لا أؤنب وأعنف باللوم . ملحب قاطع . خفاجة حى من بنى عامر والخفاجى نسبة له . أعقبه جازاه بخير . الولاء المحبة والنصرة والقرابة . الأعضب المكسور القرن. منشم عطر شاق الدق . وقالوا هو قرون السنبل ، سم قاتل ساعته . وقالوا إنه إسم امرأة عطارة من همدان ، كانوا إذا تطيبوا من عطرها نشب بينهم القتال ، فتشاءموا بها . الكلب داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس ، ويصاب من تعضه بمثل ذلك الداء .

(٣٦ — ٣٨) أعزب حلمه غيبه وطرحه بعيداً بعد أن نفد صبره . القرن والقرين الصاحب والملازم . غلق الرهن (كطرب) استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفكه الراهن فى الوقت المشروط . ومنها غلق الرجل فى حدته إذا لازمته الحدة واشتدت به فلم يهدأ . فيدرب أى يتعود منى ذلك وأصبح هينا عنده ، لأنه قد تعود منى الصبر على الأذى دائما .

(٣٩ — ٤٠) منشب القفل غير موجود فى المعاجم ولكن الظاهر أن المقصود به أسنان القفل ، لأنها تنشب أى تعلق ، والفعل نشب (كفرح). اجتسه جسه ولمسه . الشبا جمع شباة ، وشباة كل شىء حده ، أى أنه يكون كهذا القفل المغلق الذى لايدرى صاحبه كيف يفتحه ، كلما أدار فيه المفتاح زلق عن الأسنان ولم يصبها ، وجعله روميا لأن العرب لاتستعمل الأقفال .

(٤١ — ٤٣) يكن يخفى . حدادا مخالبا حادة . موجدات أصلها مؤجدات من أجده أى قواه ، وناقة أجد (بضمتين) قوية وثيقة . تحرب غضب . المفرق وسط الرأس .

موضوع هذه القصيدة متصل بموضوع القصيدة السابقة ، فهو يوجهها لأبناء عمومته سعد بن قيس ، ويخص منهم بالهجاء عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، وهو ابن أخى عمرو بن المنذر بن عبدان الذى قيلت فيه القصيدة السابقة . ويبدو أن الهجاء قد لج بين الشاعر وبين بنى عبدان ، يعينهم على ذلك رهطهم من بنى سعد بن قيس ، حتى أغرى عمير بن عبد الله شاعرا اسمه جهنام بالأعشى يهاجيه ويجيبه على شعره .
وللأعشى فى جهنام قصيدة أخرى هى القصيدة (٧٣) . والظاهر أن جهنام هذا ابن أمة من إماء بنى عبدان ، فالأعشى يصفه فى البيت (٤٣) من هذه القصيدة بأنه هجين ، والهجين هو الذى ولد من أمة . ونجد إشارة أصرح إلى ذلك فى القصيدة (٣٨) فى البيت (٥) منها حيث يصفه بأنه عبد . وتبدو تلك الحقيقة بشكل وأضح فى القصيدة (٧٣) فى البيتين (٢) ، (٨) حيث يصفه بأنه ابن طاهرة و بأنه مختلط النسب ، ويقول إن أمه أحق بهجائه ، لما جنت عليه من الفضيحة .

يقول الأعشى :

١ — أَقْرِ (تيا) منى السلام ، وأبلغها تحية مشتاق ، قبل أن تُـبْرِم ما عزمت عليه من قطيعتى .

٢ — أَقْرِها السلام على قولها يوم التقينا ـ ومن يطع الوشاة يقطع أصدقائه ويقطعوه ـ :

٣ — أحقٌّ ما تزعم من أن عاما كاملا كنا نلتقى خلال لياليه لم يكفك ولم يشف نفسك ؟

٤ — لقد كنت أجيبكَ إلى كل ما تطلب منى ، ولكنكَ أكثرتَ وأثقلت ، وليس وراء الإلحاح إلا الرد والحرمان .

٥ — لن تنال منى غير الذى نلت ، فبحسبك ذلك ، وسواء عندى رضيت بذلك فصبرت ، أم ضقت به فثرت وتذمرت .

ويجيب الأعشى على ذلك ، فى هدوء الجَلْد الذى لا تذهب نفسه وراء غانية ، مهما يبلغ حبه لها :

٦ — لك ما تشائين ، فانى قادر على أن أجد الطريق إلى حاجتى بما بقى لى من الرأى المجتمع والعزم القوى .

٧ — وبرَحْلٍ (عِلاَفِىٍّ) ، فوقه بساط ووسادة ، وتحته ناقة ضخمة تُرْقِلُ وقت الهاجرة واحتدام الحر مسرعة .

٨ — كأن ذَنَبها وقد حفه الشعر الطويل من ناحيتيه طلع الكافور تدلى من وعائه غير مُكَمَّم .

٩ — شديدة لا يضنيها السير فيضمر بطنها ويسترخى حزامه ، كأنها فى نشاطها حمار وحش فى أرض مخصبة كساها النبات ، فهو غليظ ضخم ، لا يزال طريدة الصياد .

ويمضى الشاعر ـ على عادة الجاهليين ـ فى وصف الحمار ، يتتبعه إلى قلب الصحراء ، ناسياً ناقته ، ويجول معه متنقلا ، حتى يرضى حاجته من الوصف ، ويتم سياحته الطويلة مع هذا الحمار فى الصحراء ، فإذا فعل ذلك عاد إلى ناقته بعد أربعة عشر بيتاً ليقول إنها تشبه هذا الحمار فى نشاطه وفى تخطيه العقبات ، فهى مثله بنت الصحراء .

يقول الأعشى فى وصف هذا الحمار الوحشى :

١٠— رعى النبات الكثيف حيث يجتمع الماء فى الوديان ، ثم رعى النبات المتخلف عن مطر الربيع ،

وقَالَ يهجو عُمَيْرَ بنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُنْذِرِ بنِ عَبْدَانَ حِينَ جَمَعَ بَيْنَهُ وبين جَهْنَّامٍ لِيُهَاجِيَه :

١ — أَلَا قُلْ لِتَيَّا قَبْلَ مِرَّتِهَا ٱسْلَمِي   تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إِلَيْهَا مُتَيَّمِ (طويل)
٢ — عَلَى قِيلِهَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا وَمَنْ يَكُنْ   عَلَى مَنْطِقِ الوَاشِينَ يَصْرِمْ وَيُصْرَمِ
٣ — أَجِدَّكَ لَمْ تَأْخُذْ لَيَالِيَ نَلْتَقِي   شِفَاءَكَ مِنْ حَوْلٍ جَدِيدٍ مُجَرَّمِ
٤ — تُسَرُّ وَتُعْطَى كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ   وَمَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لَابُدَّ يُحْرَمِ
٥ — فَمَا لَكَ عِنْدِى نَائِلٌ غَيْرُ مَا مَضَى   رَضِيتَ بِهِ فَاصْبِرْ لِذَلِكَ أَوْ ذَمِ
٦ — فَلَا بَأْسَ إِنِّى قَدْ أُجَوِّزُ حَاجَتِي   بِمُسْتَحْصِدٍ بَاقٍ مِنَ الرَّأْىِ مُبْرَمِ
٧ — وَكُورٍ عِلَافِيٍّ وَقِطْعٍ وَنُمْرُقٍ   وَوَجْنَاءَ مِرْقَالِ الهَوَاجِرِ عَيْهَمِ
٨ — كَأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهَا عِذْقَ خَصْبَةٍ   تَدَلَّى مِنَ الكَافُورِ غَيْرَ مُكَمَّمِ
٩ — عَرَنْدَسَةٍ لَا يَنْقُضُ السَّيْرُ غَرْضَهَا   كَأَحْقَبَ بِالوَفْرَاءِ جَأْبٍ مُكَدَّمِ
١٠ — رَعَى الرَّوْضَ وَالْوَسْمِيَّ حَتَّى كَأَنَّمَا   يَرَى بِيَبِيسِ الدَّوِّ إِمْرَارَ عَلْقَمِ
١١ — تَلَا سَقْبَةً قَوْدَاءَ مَشْكُوكَةَ ٱلقَرَى   مَتَى مَا تُخَالِفْهُ عَنِ القَصْدِ يَعْذِمِ
١٢ — إِذَا مَا دَنَا مِنْهَا ٱلْتَقَتْهُ بِحَافِرٍ   كَأَنَّ لَهُ فِى الصَّدْرِ تَأْثِيرَ مِحْجَمِ

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . المرة طاقة الحبل والقوة والشدة ، أى قبل إحكام أمرها وتوكيده : صرم قطع . أجدك أى أجد منك هذا . تجرم العام تصرم وانقضى ، وحول مجرم أى كامل تام .

(٤ — ٦) النائل ما نلت من معروف إنسان . ذم تخفيف اذأم ، وهو الأمر من ذأمه (كمنعه) أى حقره وطرده وأخزاه ، والاذآم الرعب ، وما سمعت له ذأمة أى كلمة . جوز الأمر أمضاه ونفذه . مستحصد ومبرم بمعنى واحد أى مفتول فتلا قويا محكما .

٧ — الكور الرحل الذى يوضع فوق الناقة . العلافى الرحل العظيم ، منسوب إلى رجل من قضاعة اسمه علاف . القطع بساط يجعله الراكب تحته ويغطى كتفى البعير . النمرقة وسادة صغيرة توضع فوق الرحل . وجناء ناقة غليظة . مرقال مفعال من أرقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . الهواجر جمع هاجرة وهى احتدام الحر . عيهم ضخمة سريعة .

٨ — الانساء جمع نسأ (بفتح النون) وهو عرق يجرى من الورك إلى الحافر فى بطن الفخذين . العذق قنو النخلة أى العنقود الذى يحمل البلح . الخصبة النخلة او الطلع . الكافور نبت طيب نوره كنور الأقحوان . الكم وعاء الطلع ، مكمم أى مغطى مستور . يشبه ذنب الناقة .

٩ — عرندسة شديدة . الغرض حزام الرحل . لا ينقضه السير ، اى لا يهزلها السير . الأحقب حمار الوحش . جأب غليظ . الوفراء الأرض التى لم ينقص من نبتها شىء . مكدم من كدمه اى عضه ، وكدم الصيد طرده . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته .

(١٠ — ١٢) الروض جمع روضة وهو المكان المعشب الذى يستنقع فيه الماء . الوسمى اول مطر الخريف . الدو الصحراء . اليبيس العشب اليابس . العلقم الحنظل وهو شديد المرارة . السقبة الجحشة . الأقود الذليل المنقاد والمؤنث منه قوداء . مشكوكة نحيلة . شك البعير لزق عضده بالجنب . القرى (بفتح القاف) الظهر . عذم عض . المحجم آلة صغيرة مخروطية الشكل توضع على =

حتى اكتنز جسمه وتضخم ، وحتى كأن لنبات الصحراء اليابس فى فمه طعمَ العلقم ، لطول ما ألف هذا العيش الناعم .

١١ — استهوته جحشة وديعة ضامرة قد لصق عضدها بجنبها ، فتبعها ، كلما خالفت عن أمره أهوى عليها عضا .

١٢ — وهى لخوفها منه ، لا يدنو منها إلا التقته بأرجلها رفساً ، فيترك حافرها فى صدره كدما كأنه أثر محجم .

١٣ — إذا برزت إليه فى الفضاء انبرى لها بعدو سريع متلاحق كأنه إلهاب الحريق المضرم .

١٤ — فأَن استرسلا على ضرب جديد من العدو ، ترتفع فيه اليدان معا وتنزلان معاً ، غالها بنشاط مُفْتَنٍّ فى جريه سريع ، خبير بأساليب العدو وضروبه .

١٥ — ولم يزالا يتباريان ألوانا ويعدوان ضروبا ، حتى ارتفعت الشمس والتهب الحصى ، فتذكر أدنى مورد يستطيع الوارد أن يقصده .

١٦ — ودفعها أمامه إلى عين غزيرة من الماء عند ساحل الوادى ، من حولها أوكار يكمن فيها الصائد ، كأنها نبت النخل الصغير كُمُّمَ بغطاء حتى يقوى ويشتد .

١٧ — بناها صائد من (ذَلَّان) ، وأعدها لقتل الوحوش ، خبير بصيدها واقتناصها .

١٨ — فلما أتى الحمار عين الماء ونظر ما حولها ، عرف أنه لن يشرب إلا بعد حرمان طويل .

١٩ — وفرح الصياد حين رأى الحمار والجحشة ، وقد كمن فى وكره كأنه الذئب ، فقال : ما أطيب الصيد !

٢٠ — وهيأ سهماً محدداً ، يسوقه وَتَرٌ قوى ، فيمضى مصوِّتاً مترنما .

٢١ — وقذف به فمر تحت صدر الحمار ، فانثنى على جنبه ، ومضى فى غير إبطاء .

٢٢ — وظل يجرى والجحشة تجرى معه ، يثور من تحتهما التراب فيحتويهما ، وقد انتشر فى الفضاء أغبر قاتما .

٢٣ — وحمى جوفه من شدة عدوه جرياً بعد جرى ، فكأنه قُمْقُمٌ يغلى .

ويترك الشاعر الحمار ليتابع نشاطه فى الصحراء ، ويعود إلى ناقته قائلا :

١٣— إِذَا جَاهَرَتْهُ بِالفَضَاءِ انْبَرَى لَهَا ... بِشَدٍّ كَأُلْهَابِ الحَرِيقِ المُضَرَّمِ
١٤— وَإِنْ كَانَ تَقْرِيبٌ مِنَ الشَّدِّ غَالَهَا ... بِمَيْعَةِ فَنَّانِ الأَجَارِيِّ مُجْذِمِ
١٥— فَلَمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ وَاسْتَوْقَدَ الحَصَى ... تَذَكَّرَ أَدْنَى الشِّرْبِ لِلْمُتَيَمِّمِ
١٦— فَأَوْرَدَهَا عَيْنًا مِنَ السِّيفِ رِيَّةً ... بِهَا بُرَءٌ مِثْلُ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ
١٧— بَنَاهُنَّ مِنْ ذَلَّانَ رَامٍ أَعَدَّهَا ... لِقَتْلِ الهَوَادِي دَاجِنٌ بِالتَّوَقُّمِ
١٨— فَلَمَّا عَفَاهَا ظَنَّ أَنْ لَيْسَ شَارِبًا ... مِنَ المَاءِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ تَحَرُّمِ
١٩— وَصَادَفَ مِثْلَ الذِّئْبِ فِي جَوْفِ قُتْرَةٍ ... فَلَمَّا رَآهَا قَالَ يَا خَيْرَ مَطْعَمِ
٢٠— وَيَسَّرَ سَهْمًا ذَا غِرَارٍ يَسُوقُهُ ... أَمِينُ القُوَى فِي صُلْبَةٍ المُتَرَنِّمِ
٢١— فَمَرَّ نَضِيُّ السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَجَالَ عَلَى وَحْشِيِّهِ لَمْ يُثَمْثِمِ
٢٢— وَجَالَ وَجَالَتْ يَنْجَلِي التُّرْبُ عَنْهُمَا ... لَهُ رَهَجٌ فِي سَاطِعِ اللَّوْنِ أَقْتَمِ
٢٣— كَأَنَّ احْتِدَامَ الجَوْفِ فِي حَمْيِ شَدِّهِ ... وَمَا بَعْدَهُ مِنْ شَدِّهِ غَلْيُ قُمْقُمِ
٢٤— فَذَلِكَ بَعْدَ الجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِي ... إِذَا مَا وَنَى حَدُّ المَطِيِّ المُخَرَّمِ

== الجلد بعد أن يشرط بموسى ويجذب النفس من طرفها الآخر الدقيق فيخرج الدم الفاسد أو المطلوب استخراجه لاتخناق من الضغط . وهى تترك على الجلد أثرا مستديرا ، يشبه به الشاعر أثر الحافر فى صدر الحمار حين ترفسه الأتان .

(١٣ — ١٥) جاهرته برزت له . الشد العدو . التقريب ضرب من العدو ، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً . الميعة الدفعة من كل شىء وميعة الشباب والنهار أوله وأنشطه . فنان له فنون فى العدو . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء) وهو الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه . مجذم سريع ، أجذم السير أسرع فيه . الشرب (بكسر الشين) الماء والورد ووقت الشرب . تيمم الشىء قصد إليه .

(١٥ — ١٨) السيف ساحل البحر وساحل الوادى . رية غزيرة . برء جمع برءة (بضم فسكون) وهى بيت الصائد . الفسيل جمع فسيلة وهى النخلة الصغيرة . المكمم الذى غطى حتى يشتد . رام صائد يرمى بالنبل . الهوادى جمع هادى وهو المتقدم ، وهو من الإبل أول رعيل يطلع منها . داجن متعود ، دجن بالصيد تعوده وخبره . التوقم التهدد والتعمد وقتل الصيد . عفاها أتاها ، يقصد عين الماء .

(١٩ — ٢١) مثل الذئب ذلك هو الصياد . القترة ناموس الصائد ، وقد أقتر فيها أى دخل واختبأ . يسر سهما هيأه لها . ذا غرار أى حد . أمين القوى ذلك هو الوتر . المترنم لأن له صوتا ورنيناً . نضى فعيل من نضى أى خلع ونزع . لبانه صدره . الوحشى الجانب الأيمن ، وقيل الأيسر . لم يثمثم ، الثمثمة الاحتباس .

(٢٢ — ٢٤) الرهج الغبار . سطع علا وانتشر فهو ساطع . أقتم مظلم لكثافته . احتدام النهار والحر اشتداده . الجوف البطن . شده عدوه . الحمى مصدر حمى ، وحميت الشمس والنهار اشتد حرها . القمقم آنية من نحاس يسخن فيها الماء . ونى فتر . حدها نشاطها . المطى جمع مطية . المخرم الذى وضعت فى أنفه الخزامة (بكسر الخاء) وهى برة توضع فى أنف البعير ويشد فيها الزمام . لتؤلمه إذا جذب منها فينقاد ولا يستعصى على راكبه

٢٤— إن ناقتى لا يذهب بنشاطها السير ، ولا يفنى عزمها الجهد ، فهى تشبه هـذا الحمـار ، بعد أن تتكاف ما تتكاف من الأسفار ، حين يَفْـتُرُ نشاط المطى التى خُرِمَتْ أنوفها وشُدَّ إليها الزمام.

وينصرف الشاعر عن كل ذلك إلى خصمه ، فيقول مخاطباً نفسه :

٢٥ — دع عنك كل ذلك . ولـكن ماذا ترى فى هذا العدو الحقود ، الذى يرى من جهله أن بينى وبينه حسابا شاقا عسيراً ، مشقة دق عطر (المَنْشِم) .

٢٦— أرانى بريئاً من (عمير) ورهطه . ثم يقول موجهاً خطابه إليه : إن الحقد لن ينال من أحد كما ينال منك . فأذا لم تبرأ نفسُك من الشر فلتمت غماً وكمداً .

٢٧— إذا مارآنى (عمير) مقبلا أخفى سهامه ، فأذا أدبرت رمانى من وراء ظهرى .

٢٨— ولا ذنب لى فى ذلك إلا أن عداوة قد ثارت فى نفسك واستخفتك . فافعل مابدالك ، واجهد جهدك .

٢٩— فأنى أعرف كيف أداوى كل غَوِيٍّ إذا حدثته نفسه بى ، إنى أضرب فوق أنفه بمكواةلايزول أثرها.

٣٠— وإنى أقسم برب الإبل تهوى إلى نجد تجتاز جبالا من بعد جبال .

٣١— ضامرة غائرة الأعين ، قد أضَرَّبها السفر ونال منها الـكلال ، حتى إن خفَّ رجلها ليقع مكان خف يدها وقد شُدَّت أرساغها بالسيور والنعال .

٣٢—لئن خرقت الأرض فكنت فى جُبٍّ ثمانين قامة ، أو طرت فى الفضاء فرقيت أسباب السماء .

٣٣— ليبلغنك قولى وليتركنك تدرج على الأرض حتى تكره الـكلام ، وتعلم أنى غير عاجز عن الانتقام .

٣٤— وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم .

٣٥— فما أنت بشيء حتى تتيه على فخراً ، لست من قريش أصحـاب « الحُجُون » و « الصفا » و « زمزم » .

٣٦— وما جعل الرحمن بيتك عالياً هناك ، فى « أجياد » غربى « الصفا » و « المحَرَّم » .

٣٧— ففيم إذن تتهددنى متاخراً ، وقد جعل الله بيتى فى الرهط الـكثير العرمرم ؟

ويتحدث الشاعر عن آل الحُرْقَتَيْن (وهما سعدوتيم ابنا قيس بن ثعلبة ، وكانا حليفين) قائلا :

٣٨— إنى لأعجب لأمرهم ، فهم يفاخروننى كأننى لست واحداً منهم ، وكأننى غريب من « إياد » أو « تُرْخُمُ » .

٢٥— فَدَعْ ذَا وَلَـكِنْ مَا تَرَى رأْىَ كَاشِحٍ   يرَى بَيْنَنَا مِنْ جَهْلِهِ دَقَّ مَنْشِمِ

٢٦— أَرَانِى بَرِيئًا مِنْ عُمَـيْرٍ وَرَهْطِهِ   إِذَا أَنْتَ لَمْ تَـبْرَأْ مِنَ الشَّرِّ فَاسْقَمِ

٢٧— إِذَا مَارَآنِى مُقْبِلًا شَامَ نَبْـــلَهُ   وَيَرْمِى إِذَا أَدْبَرْتُ ظَهْرِى بِأَسْهُـمِ

٢٨— عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ غَيْرَ أَنَّ عَدَاوَةً   طَمَتْ بِكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَـا أَوْ تَقَدَّمِ

٢٩— وَكُنْتُ إِذَا نَفْسُ الغَوِىِّ نَوَتْ بِهِ   صَقَعْتُ عَلَى العِرْنِينِ مِنْهُ بِمِيسَمِ

٣٠— حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى   إِذَا مَخْرَمٌ جَاوَزْنَهُ بَعْدَ مَخْـــرَمِ

٣١— ضَوَامِرَ خُوصًا قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّرَى   وَطَابَقْنَ مَشْيًا فِى السَّرِيحِ الْمُخَدَّمِ

٣٢— لَئِنْ كُنْتَ فِى جُبٍّ ثَمَانِينَ قَامَةً   وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُـــلَّمِ

٣٣— لَيَسْتَدْرِجَنْكَ القَوْلُ حَتَّى تَهِرَّهُ   وَتَعْلَمَ أَنِّى عَنْكَ لَسْتُ بِمُلْجَمِ

٣٤— وَتَشْرَقَ بِالْقَوْلِ الَّذِى قَدْ أَذَعْتَهُ   كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

٣٥— فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الحُجُونِ وَلَا الصَّفَا   وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمِ

٣٦— وَمَا جَعَلَ الرَّحْمٰنُ بَيْتَكَ فِى العُـلَى   بِأَجْيَادِ غَرْبِىِّ الصَّفَا وَالْمُحَرَّمِ

٣٧— فلا تُوعِدَنِّى بِالفَخَـــارِ فَإِنَّنِى   بَنَى اللهُ بَيْتِى فِى الدَّخِيسِ الْعَرَمْرَمِ

٣٨— عَجِبْتُ لِآلِ الْحُرْقَتَيْنِ كَأَنَّمَا   رَأَوْنِى نَفِيًّا مِنْ إِيَادٍ وَتُرْخُمِ

(٢٥ — ٢٨) كاشح مبغض ، والكشح الجنب وهو مكاشح لأنه معرض لا يقبل بوجهه ولكنه يشيح بجنبه . دق منشم شرحت فى القصيدة السابقة (١٥) فى البيت (٣٥) . شام نبله أى أغمدها . وهو من الأضداد تقول شام سيفه يشيمه استله أو أغمده . طما ارتفع ، وطمت به العداوة استخفته وأثارته .

(٢٩ — ٣١) صقعه (مثل منعه) ضربه على رأسه . العرنين قصبة الانف . الميسم المكواة . الراقصات الابل . المخرم منقطع أنف الجبل ، خوص جمع أخوص أى غائرات الأعين . المطابقة أن تقع خف الرجل مكان خف اليد وذلك من الحفا والكلال . السريح السيور التى يخاط بها النعل إلى الخف ، والخدمة (بثلاث فتحات) سير يربط حول الرسغ ويشد النعل إليه بالسيور ليقى خف الناقة .

(٣٢ — ٣٤) الجب البئر . السبب الحبل ، وأسباب السماء مراقيها وقيل طرقها ونواحيها . استدرجه خدعه وأدناه ، أو أتلفه حتى تركه يدرج على الأرض . تهره تكرهه . تشرق تغص . صدر القناة أعلاها .

(٣٥ — ٣٨) الحجون جبل بمعلاة مكة على فرسخ وثلث منها وفيه مقابرهم . الصفا جبل بمكة من مشاعرها . المحرم حرم مكة . أجياد أرض بمكة أو جبل . الدخيس الأصل . العرمرم العدد الكثير . الحرقتان سعد وتيم ابنا ضبيعة ، وهم أبناء عم قبيلته . نفى فعيل من نفاه ينفيه أى نحاه ودفعه وأزاله . إياد وترخم قبائل يمنية .

٣٩— ينفوننى عن المجد والحسب يوم يتفاخرون بالكرم، ويتمدحون بعظائم الأمور .

٤١— أقبل الناس للشر هائجين، وتجمعوا أخلاطاً بين فصيح وأعجم ثائرين .

٤٢— وتجاوب صياحهم وهتافهم، تضطرب فى أيديهم السياط والرماح، يشيرون إلى راية قد نصبت عند محمل كبير .

٤٣— فاستعنت بشيطانى« مِسْحَل »، واستعانوا بشاعرهم « جَهَنَّام » . ألا تبًا لابن الأَمَة الذميم !

٤٠— وقام ابن الأمة ساعة يحمل اللواء . وما ظنك بهجين لئيم، ضاع نسبه بين « سِلهِمٍ » و « حام » ؟

٤٤— إنى أقسم براهب « اللُّج » وبعمله الصالح، وأقسم بالكعبة التى بناها قصى وابن جرهم .

٤٥— لئن جد بيننا الجد واستحكم العداء، لترحان هاربا على ظهر القنفد الشائك .

٤٦— ولئن تمَرَّسْتَ بى وبلوت مبلغ جهدى، لتركبن بى مركباً صعبا، فوق جمل عجوز أعجف، ليس كمثله شيء

٤٧— ومالى أن لا أغلبك وأذيقك الهوان، وحسبى عريق ولسانى ماض حديد .

٤٨— لم نزل نتبادل فاحش القول وقارصه، ولم يزل أقوام يفسدون بيننا، يسعون للهلاك والإثم .

٤٩— ولم يزل أمرنا يمضى على هذا النحو من التهور والسفه، حتى التقينا غداة يوم، يحامى كل منا عن قومه ويحمى بهم .

٥٠— ويئس العقلاء الذين يرجون الإصلاح فخلّوا بيننا، تتقاذف أشد نيران العداوة التهابا .

٥١— وعند ذاك أمدنى أخى من الجن — نفسى فداؤه — ببحر فياض، يجيش سيله متدفقا بالعشيات .

٣٩— وَغَرَّ بَنِي سَعْدُ بنُ قَيْسٍ عَنِ العُلَى ... وَأَحْسَابِهِمْ يَوْمَ النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ

٤٠— مَقَامَ هَجِينٍ سَاعَةً بِلِوَائِهِ ... فَقُلْ فِي هَجِينٍ بَيْنَ حَامٍ وَسِلْمِهِمِ

٤١— فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ لِلشَّرِّ أَقْبَلُوا ... وَثَابُوا إِلَيْنَا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

٤٢— وَصِيحَ عَلَيْنَا بِالسِّيَاطِ وَبِالقَنَا ... إِلَى غَايَةٍ مَرْفُوعَةٍ عِنْدَ مَوْسِمِ

٤٣— دَعَوْتُ خَلِيلِي مِسْحَلاً وَدَعَوْا لَهُ ... جِهِنَّامَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ ٱلْمُذَمَّمِ

٤٤— فَأَنِّي وَثَوْبَيْ رَاهِبِ اللُّجِّ وَالَّتِي ... بَنَاهَا قُصَيٌّ وَٱلْمُضَاضُ بْنُ جُرْهُمِ

٤٥— لَئِنْ جَدَّ أَسْبَابُ العَدَاوَةِ بَيْنَنَا ... لَتَرْتَحِلَنْ مِنِّي عَلَى ظَهْرِ شَيْهَمِ

٤٦— وَتَرْكَبَ مِنِّي إِنْ بَلَوْتَ نَكِيثَتِي ... عَلَى نَشَزٍ قَدْ شَابَ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

٤٧— فَمَا حَسَبِي إِنْ قِسْتَهُ بِمُقَصِّرٍ ... وَلَا أَنَا إِنْ جَدَّ الهِجَاءُ بِمُفْحَمِ

٤٨— وَمَا زَالَ إِهْدَاءُ الهَوَاجِرِ بَيْنَنَا ... وَتَرْقِيقُ أَقْوَامٍ لِحَيْنٍ وَمَأْثَمِ

٤٩— وَأَمْرُ ٱلسَّفَى حَتَّى ٱلْتَقَيْنَا غُدَيَّةً ... كِلَانَا يُحَامِي عَنْ ذِمَارٍ وَيَحْتَمِي

٥٠— تُرِكْنَا وَخَلَّى ذُو الهَوَادَةِ بَيْنَنَا ... بِأَثْقَبِ نِيرَانِ العَدَاوَةِ تَرْتَمِي

٥١— حَبَانِي أَخِي الجِنِّ نَفْسِي فِدَاؤُهُ ... بِأَفْيَحَ جَيَّاشِ ٱلْعَشِيَّاتِ خِضْرِمِ

(٣٩ — ٤١) الندى من ندا القوم يندون أى اجتمعوا . الهجين ابن الأمة ، ومن أبوه أشرف من أمه . يعرض بجهنام . بين حام وسلهم ، ينفيه عن العرب لأن العرب أولاد سام ، لأن أمه حامية من الزنوج . وسلهم لم أعثر له على معنى ، ولكن لسلهم (كجعفر) هو الضامر والناتئه من المرض . وهم كذلك حي يمنى من مذحج . ثابوا رجعوا واجتمعوا .

(٤٢ — ٤٤) الغاية الراية والمدى . الموسم المجتمع . المسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى ، وكانت العرب تزعم أن لكل شاعر شيطانا له اسم معين ، ولهم فى ذلك أقاصيص كثيرة . جدعاً أى جدعه الله والجدع القطع . الثياب يكنى بها عن العمل وعن الشخص نفسه مثل قوله تعالى (وثيابك فطهر) ، وهو المقصود بقوله وثوبى راهب اللج . واللج غدير عند دير هند ابنة النعمان ، وكانت ترهبت فيه حين غضب كسرى على أبيها النعمان . وقيل بعد قتل أبيها لزوجها فى قصة طويلة ستأتى . يقسم براهب هذا الدير وبالكعبة التى بناها قصى وجرهم . وكان أمر الكعبة إلى جرهم ثم صار إلى قصى .

(٤٥ — ٥٧) الشيهم القنفذ وجلده مكسو بالشوك ، ولذلك يصعب القبض عليه ، هذا فضلا عن ركوبه . نكيثتى جهدى وأقصى ما عندى . النشز المسن القوى ، والنشيزة الدابة التى لا يكاد يستقر السرج والراكب على ظهرها . التوءم المولود مع غيره فى بطن . ليس بتوءم أى لا نظير له فى صعوبة مركبه . أفحمه غلبه وأسكته .

(٤٨ — ٥١) الهواجر جمع هجر (بضم فسكون) وهو الكلام القبيح . رقق ما بين القوم أفسده . الحين الهلاك والمحنة . المأثم الإثم . السفى السفه ، الذمار الشرف والعرض . الهوادة اللين . ثقبت النار اتقدت . بحر أفيح واسع . الخضرم الكثير الماء . والجواد المعطاء .

٥٢ — يقول : انزل على المجد ، فقد كتب لك الفوز ، قُلِّدْتَ الخير إذ سبقت ، فأنعم بك شاعراً .

٥٣ — وولى « عمير » على عقبيه وقد أظلم وجهه . فكأنما صبغ بالزعفران ، أو غُشِّى قطعا من الليل .

ويختم الشاعر قصيدته بتسعة أبيات يفتخر فيها بقومه ، معدداً فضلهم على بنى سعد بن قيس . وهو هنا أشبه بالمؤرخ الذى يجمع الوثائق والمستندات ليؤيد وجهة نظره ، فهو أقرب إلى سرد الوقائع منه إلى التحليق وراء الخيال . يقول :

٥٤ — فى يوم « فُطَيْمة » منعنا بنى شيبان غداة « العين » من ماء « مُحَلِّمٍ » .

٥٥ — وواجهناهم بالطعن حتى تولوا هاربين يهزون صدور رماحهم .

٥٦ — وفى أيام « حَجْر » غلبناكم بتحريق نخيلكم .

٥٧ — فكأنه على أعقاب الحريق نساء قائمات فى مأتم قد لبسن الحداد .

٥٨ — ونحن الذين فككنا سيديكم ، فأطلقناهما بعد أن أسلمتموهما للعدو .

٥٩ — أنقذهما « بِشْر » من الموت ، بعد ما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم .

٦٠ — ذلك بعض أيامنا وبلائنا ، وأمثلة من نعمنا عليكم لو أنكم تشكرون .

٦١ — فإن كنتم لا تعلمون فاسألوا « أبا مالك » ، أو « رهط أَشْيَم » ، فعندهم الخبر اليقين .

٦٢ — وكم لنا عليكم من فضل ، وكم لنا فى رقابكم من نعم ، ولكنكم لا تشكرون نعمة المنعمين .

٥٢— فَقَالَ أَلَا فَٱنْزِلْ عَلَى الْمَجْدِ سَابِقًا   لَكَ الْخَيْرُ قُلِّدْ إذ سَبَقْتَ وأَنعِمِ

٥٣— وَوَلَّى عُمَــيْرٌ وَهْوَ كَابٍ كَأَنَّمَا   يُطَلَّى بِحُصٍّ أَوْ يُغَشَّى بِعِظْـلِمِ

٥٤— وَنَحْنُ غَدَاةَ ٱلْعَـيْنِ يَوْمَ فُطَيْمَةٍ   مَنَعْنَا بَنِى شَيْبَانَ شِرْبَ مُحَلِّمِ

٥٥— جَبَهْنَاهُمُ بِالطَّعْنِ حَتَّى تَوَجَّهُوا   وَهَزُّوا صُدُورَ السَّمْهَرِىِّ الْمُقَوَّمِ

٥٦— وَأَيَّامَ حَجْرٍ إِذْ يُحَرِّقُ نَخْــلَهُ   ثَأَرْنَاكُمُ يَوْمًا بِتَحْرِيقِ أَرْقَمِ

٥٧— كَأَنَّ نَخِيلَ الشَّطِّ غِبَّ حَرِيقِهِ   مَآتِمُ سُودٌ سَلَّبَتْ عِنْدَ مَاتَمِ

٥٨— وَنَحْنُ فَكَكْنَا سَيِّدَيْكُمْ فَأُرْسِلاَ   مِنَ ٱلْمَوْتِ لَمَّا أَسْلَمَا شَرَّ مُسْلَمِ

٥٩— تَلاَفَاهُمَا بِشْرٌ مِنَ ٱلْمَوْتِ بَعْدَ مَا   جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشْأَمِ

٦٠— فَذَلِكَ مِنْ أَيَّامِنَا وَبَلاَئِنَا   وَنُعْمَى عَلَيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ لِأَنْعُمِ

٦١— فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَعْرِفُوا ذَاكَ فَٱسْأَلُوا   أَبَا مَالِكٍ أَوْ سَائِلُوا رَهْطَ أَشْيَمِ

٦٢— وَكَائِنْ لَنَا فَضْلًا عَلَيْكُمْ وَمِنَّةً   قَدِيمًا فَمَا تَدْرُونَ مَا مَنُّ مُنْعِمِ

(٥٢ — ٥٤) قلد (على البناء المجهول) أمر من الفعل المبنى للمجهول وهو غريب لم أره ، ولكنه مثبت بهذه الصورة فى كل نسخ الديوان كاب متغير اللون . الحص الورس أو الزعفران . العظلم الليل المظلم ، وهو كذلك شجر يصبغ با الشيب . يوم العين مضى فى القصيدة (٦) فى البيت (٦٥)

(٥٥ — ٥٧) جبهه رده أوصك جبهته . السمهرى الرمح الصلب منسوب إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح ، أو إلى قرية فى الحبشة . ثأرناكم غلبناكم وتركنا فيكم الثأر . أرقم لعله موضع كثير النخيل ، كما يبدو من البيت التالى . الشط شاطىء النهر والبحر وهو كذلك قرية باليمامة ولعله هو المقصود هنا . المآتم جمع مأتم وهو جماعة النساء فى الحزن . سلبت المرأة على زوجها لبست السواد .

(٥٨ — ٦٢) أسلما أسلمهما قومهما وتخلوا عنهما . تلافاهما تداركهما . أشأم من الشؤم . البلاء الاختبار يكون بالخير والشر . ومنه أبلى فى الحرب بلاء حسنا أى أظهر بأسه حتى اختبره الناس المن الانعام والافضال

١ — ياجبير ! هل لمن وقع فى أسركم من فاد يفتديه ، أم هل لمن عزم الرحيل من زاد يستعين به على السفر الطويل ؟

٢ — أم هل لجاركم من مواس يكفكف عبرته ، وقد فاضت بها عيناه حتى بلت حمائل السيف ؟

٣ — رأيتها فى ضحى يوم من الأيام ، فأحببتها من نظرة واحدة ، ومَنْ حان حَيْنُه هداه القدر إلى مصرعه .

٤ — رأيتها وهى تتنقل بين مقدَّم الخباء وبين الفُرُش المنضدة الوثيرة فى داخله .

٥ — تجلو أسنانها بريشتى حمام ، فتبدو ناصعة كأنها البَرَد ، يسطع بياضها بين لثاتها المشربة بالسواد .

٦ — عذبة الريق حين تسألها اختلاس القبلة أو الخلوة ، فكأنما شربت آخر الليل ،

٧ — خمراً صهباء صافية ، إذا صبت بعد تقطيرها كسرت حدتها بماء السماء .

٨ — ....

٩ — ياجبير ! إن كنت لا تروين غلة عاشق مفتون بحبك ظامىء لوصلك .

١٠ — فانهى خيالك أن يزور ، فانه يتتبعنى حيثما كنت ، ويؤرقنى كلما وضعت رأسى إلى الوساد .

١١ — تمسى فتغلق بابها من دوننا ، فيَصِرُّ صرير البكرة حين تدور فوقها الحبال .

١٢ — تجدد لها وصلا فتجدد فى وصالك قطيعة ، وكذلك هى ، تعرض عن وصل الزائر المتودد .

١٣ — ذلك دأب النساء . فأن شاء صاحبهن أن يفسد ودهن ، فينقلب عداءً بعد وداد ، فليكثر من التودد إليهن والتردد عليهن .

وقَالَ يَفْتَخِر :

١ — أُجبَيْرُ هَلْ لِأَسِيرِكُمْ مِنْ فَادِى ‏ أَمْ هَــلْ لِطَالِبِ شِقَّةٍ مِنْ زادِ (كامل)

٢ — أَمْ هَلْ تُنَهْنَهُ عَبْرَةٌ عَنْ جَارِكُمْ ‏ جَادَ الشُّؤُونُ بِهَا تَبَلُّ نِجَادِى

٣ — مِنْ نَظْرَةٍ نَظَرَتْ ضُحًى فَرَأَيْتُهَا ‏ وَلِمَنْ يَحِينُ عَلَى المَنِيَّةِ هَـادِى

٤ — بَيْنَ الرِّوَاقِ وَجَانِبٍ مِنْ سِتْرِهَا ‏ مِنْهَا وَبَيْنَ أَرَائِكَ الأَنْضَادِ

٥ — تَجْلُو بِقَادِمَتَىْ حَمَـامَةِ أَيْكَةٍ ‏ بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِسَوَادِ

٦ — عَزْبَاءُ إِذْ سُئِلَ الخِـلَاسُ كَأَنَّمَا ‏ شَرِبَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ رُقَادِ

٧ — صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ إِذَا مَا اسْتُودِفَتْ ‏ شُجَّتْ غَوَارِبُهَا بِمَاءِ غَوَادِى

٨ — .... ‏ .... عرق فصاد

٩ — إِنْ كُنْتِ لَا تَشْفِينَ غُلَّةَ عَاشِقٍ ‏ صَبٍّ يُحِبُّكِ يَا جُبَيْرَةُ صَادِى

١٠ — فَانْهَىْ خَيَالَكِ أَنْ يَزُورَ فَإِنَّهُ ‏ فِى كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وِسَادِى

١١ — تُمْسِى فَيَصْرِفُ بَابُهَا مِنْ دُونِنَا ‏ غَلَقًا صَرِيفَ مَحَـالَةِ الأَمْسَادِ

١٢ — أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا ‏ كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ المُعْتَادِ

١٣ — وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ‏ وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ

١٤ — وَلَقَدْ أَنَالُ الوَصْلَ فِى مُتَمَنِّعٍ ‏ صَعْبٍ بَنَاهُ الأَوَّلُونَ مَصَـادِ

(١ — ٣) الشقة البعد والسفر البعيد . نهنه كف . الشئون مجارى الدمع إلى العين . نجاد السيف حمائله التى يعلق منها . يحين يهلك .

(٤ — ٦) الرواق مقدم البيت ، أو هو ستر يمد دون السقف . الأريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . الأنضاد جمع نضد (بفتحتين) وهو ما نضد من المتاع . القادمتان الريشتان الطويلتان فى أول الجناح . الأيكة الملتف من الشجر . أسف المسحوق على الشيء ذره عليه كأنه جعله سفوفا له . يصف أسنانها بالبياض ولثاتها بالسواد فذلك أظهر لبياض أسنانها . عزباء غير مناسبة للمعنى هنا والراجح أنها عذباء بالذال . وليس فى المعاجم فعلاء من مادة (عذب) ولكن فى الأساس نساء عذاب الثنايا ، وفلان مفتون بالأعذبين وهما الخمر والرضاب . الخلاس المخالسة ، والخلسة الفرصة . شربت عليه على ريقها . بعد كل رقاد ، أى أن النوم لا يغير من عذوبته وطيب رائحته .

(٧ — ٩) استودفت قطرت وروقت . شج الخمر صب عليها الماء . غوارب جمع غارب ، وغوارب الماء أعالى موجه ، وغرب كل شيء حده وحدته . غوادى جمع غادية وهى السحابة . الغلة حرارة الظمأ . صاد عطشان .

(١٠ — ١٢) المنزل والمنزلة مكان الإقامة . الصريف صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور . المحالة البكرة . الأمساد الحبال ، جمع مسد (بفتحتين) ، يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها فى المساء بصوت الحبال حين تدور حول البكرة على البئر .

(١٣ — ١٤) صرم الحبل قطعه . يصرمنه يقطعن وده . متمنع حصن منيع . المصاد المعقل والحصن .

١٥ــ أى سفه يدفعك إلى تذكر ودها وأنت مقيم هاهنا فى « صُوَّة الأثماد »

١٦ــ وفى « شِبَاك باعجة » و « جنبى جائر » ،على حين أنها نازحة بعيدة فى «ديار إياد»!

١٤ــ إن أكن قد حُرِمتها ، فلقد أنال الوصل فى المعقل الصعب المنيع القديم البناء .

١٧ــ يذود عنه حراس شداد قد وقفوا على رأسه بالقسى والسهام .

١٨ــ ويرفرف فوق شرفاته العالية الحمام .

١٩ــ ولقد أُرَجِّل شعرى بالعشِىِّ مبادراً إلى الشراب ، أسبق إليه خيل الطالبين من الشاربين .

٢٠ــ وإلى الغوانى البيض العوانس ، قد طالت عزوبتهن فيما هن فيه من نعمة بين العبيد وقطعان الإبل.

٢١ــ ولقد أختلس منهن ماأشاء فيما مضى من عصر الشباب ، فيملن على بأجيادهن مستسلمات .

٢٢ــ ولقد أغدو للمرعى البعيد قد استحلس نباته وتراكب متكاثفاً ،آخذاً بعنان فرس جواد .

٢٣ــ كل ذلك قد مضى ياآينة مالك وفات ، (والدهر يُعْقِبُ صالحاً بفساد) .

* * *

٢٤ــ ولكن لا يزال لى ما أفخر به من المجد الباقى فى قومى أبناء « قيس بن ثعلبة » ، الشم الأنوف البيض الوجوه ، الذين يحشدون على طَلِبَتِهِم الجهد والمال .

٢٥ــ والواطئين على صدور نعالهم تيها وكبرياء ، حين يمشون فى نفيس الثياب من «الدَّفَنِىِّ» و«الأَبْرَاد» .

٢٦ــ والشاربين فى أزمان القحط ، إذا عزَّت الإبل وغالى صاحبها فى أثمانها، خالصَ الخمر ، بما يملكون من طارف وتليد .

٢٧ــ والضامنين فى الحروب ـ بما لقومهم من قوة وعتاد ـ حسن الأحدوثة وطيب الذكر .

٢٨ــ كم فيهم يوم القتال من فارس حاذق اليدين ، يصيح صيحة الفرح والنصر ، حين يصيب بضربته فيقتل .

٢٩ــ وإذا راحت الإبل عند الغروب ، تعدو فى الليلة الباردة عدو النعام .

١٥— أَنَّى تَذَكَّرُ وُدَّهَا وَصِفَاءَهَا … سَفَهًا وَأَنْتَ بِصُوَّةِ ٱلْأَثْمَادِ

١٦— فَشَبَاكِ بَاعِجَةٍ فَجَنْبَىْ جَابِرٍ … وَتَحُلُّ شَاطِنَةَ بِدَارِ إِيَادِ

١٧— مَنَعَتْ قِيَاسُ ٱلْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ … بِسِهَامِ يَثْرِبَ أَوْ سِهَامِ بِلَادِ

١٨— وَتَرَى ٱلْحَمَامَ مُعَانِقًا شُرُفَاتِهِ … يُهْدِى لَهُ مِنْ ....

١٩— وَلَقَدْ أُرَجِّلُ جُمَّتِى بِعَشِيَّةٍ … لِلشُّرْبِ قَبْلَ سَنَابِكِ ٱلْمُرْتَادِ

٢٠— وَٱلْبِيضِ قَدْ عَنَسَتْ وَطَالَ جِرَاؤُهَا … وَنَشَأْنَ فِى قِنٍّ وَفِى أَذْوَادِ

٢١— وَلَقَدْ أُخَالِسُهُنَّ مَا يَمْنَعْنَنِى … عُصُرًا يَمِلْنَ عَلَىَّ بِالأَجْيَادِ

٢٢— وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُسْتَحْلِسِ ٱلْـ … ـقُرْبَانِ مُقْتَادًا عِنَانَ جَوَادِ

٢٣— فَالدَّهْرُ غَيَّرَ ذَاكَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ … وَالدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحًا بِفَسَادِ

٢٤— إِنِّى ٱمْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ قَيْسِيَّةٍ … شُمِّ ٱلْأُنُوفِ غَرَانِقٍ أَحْشَادِ

٢٥— الوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ … يَمْشُونَ فِى ٱلدَّفَنِىِّ وَٱلْأَبْرَادِ

٢٦— وَالشَّارِبِينَ إِذَا الذَّوَارِعُ غُولِيَتْ … صَفْوَ ٱلْفِضَالِ بِطَارِفٍ وَتِلَادِ

٢٧— وَٱلضَّامِنِينَ بِقَوْمِهِمْ يَوْمَ الْوَغَى … لِلْحَمْدِ يَوْمَ تَنَازُلٍ وَطِرَادِ

٢٨— كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ الْوَغَى … ثَقْفِ ٱلْيَدَيْنِ يَهِلُّ بِٱلْأَقْصَادِ

٢٩— وَإِذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِأَصِيلَةٍ … رَتَكَ ٱلنَّعَامِ عَشِيَّةَ ٱلصُّرَّادِ

(١٥ — ١٨) السفه الجهل وضعف العقل . الصوة ما غلظ وارتفع من الأرض . شاطنة قفرة بعيدة . قياس وقسى جمع قوس . الماسخى صانع الأقواس ، والماسخية الأقواس نسبة إلى ماسخة رجل من الأزد . يثرب و بلاد موضعان دون اليمامة .

(١٩ — ٢١) الجمة شعر الرأس . يرجلها يرتبها ويمشطها . الشرب مصدر شرب ، أو هم جماعة الشاربين . ارتاد الشيء طلبه ، أى أنه يسبق طلاب الخمر إليها . عنست الجارية مكثت بغير زواج . الجراء مصدر من الجارية تقول جارية بينة الجراء . القن العبد الذى ملك هو وأبواه للواحد والجمع . الأذواد جمع زود (بفتح فسكون) وهو القطيع من الثلاثة إلى العشرة . عصرا دهرا .

(٢٢ — ٢٥) غدوت انطلقت مبكرا فى الصباح . عازب بعيد . استحلس النبت كثف وغطى الأرض . القربان مستجمع ماء كثير فى شبه واد صغير . الغرانق جمع غرنوق وجمع غرنيق (كزنبور وقنديل) وهو الشاب الأبيض الجميل . الأحشاد جمع حشد (ككتف) وهو من لا يدع عند نفسه شيئا من النصرة والجهد والمال . الدفنى ثوب مخطط . والبرد كذلك نوع من الثياب المخططة .

(٢٦ — ٢٩) الذوارع جمع ذروع وهو البعير . الفضال الخمر . الطارف المستحدث المكتسب . التليد الموروث القديم . ثقف حاذق . هل الرجل فرح وصاح . أقصد السهم إقصادا أصاب فقتل . اللقاح جمع لقحة (بكسر فسكون) وهى الناقة الحلوب . الأصيل وقت غروب الشمس . تروحت عادت من المرعى إلى حظيرتها .

٣٠ـــ وتلوذ صغارها من شدة البرد بالخيام ، تزج بنفسها فى مداخلها .

٣١ـــ رأيتهم وقد قاموا على أضيافهم ، يشوون لهم من سنام الإبل الضخام ومن الأكباد .

٣٢ـــ وإذا لفح البرد القيان فاغبرت وجوههن ، حتى لتحسبهن من الأحباش ، وشح المرعى فجف اللبن فى ضروع النوق التى كانت تملأ التخم من الأقداح .

٣٣ـــ ____

٣٤ـــ آخذوا مجالسهم ، يجملهم الوقار ، ولا يبدو عليهم أثر الضُر .

٣٥ـــ يقول لهم الذين يرصدونهم بالنصح : أما لكم من مُتَحَوَّل عن هذا الجبروت الذى تترسمون به من خلا من قوم عاد ؟

٣٦ـــ وإذا أعرض الرهط عن المكان المخيف متهيبين ، وعدلت عنه مقاتلتهم لا يقومون فيـه ولا يُغْنُون .

٣٧ـــ فلقد نحل به ونرعى مراعيه ، ونقوم عليه ونحميه ، بما لنا من قوة ومن عتاد .

٣٨ـــ نرصد بجانبيه الماشية تشرب يوما بعد يوم ، والجمال قد انبثت جماعاتها الكثيفة فى مراتعه المخصبة.

٣٩ـــ لا يصرفها طارد ، ولا يتهددها مغير يذعر سربها ، فتصوت مرغية ، وقد تشردت مفَزَّعة .

٤٠ـــ وإذا هتف بهم الصارخ الملهف مستغيثاً ، واحتدم القتال فسطعت أعمدة الغبار ذاهبة فى السماء .

٤١ـــ هبوا وقد ركبوا كرائم الخيل التى تسقى اللبن ، فهى ضامرة البطون ، تجول بما فوق ظهورها من ألباد .

٤٢ـــ من كل فرس أملس سابح فى عدوه ، وفرسة سابحة فى عدوها ، ترجم الأرض بحوافرها حين تجرى بفرسان كأنهم الأسود فى أيديهم الرماح .

٤٣ـــ إذ لا يعدل قومَنا من « قيس » قومٌ فى رفعة الأحساب ، ولا يعدل بنيه أبناء بين سائر الناس .

٣٠— جَرْيًا يَلُوذُ رِبَاعُهَا مِنْ صُرِّهَا   بِالْخَيْمِ بَيْنَ طَوَارِفٍ وَهَوَادِى
٣١— حَجَرُوا عَلَى أَضْيَافِهِمْ وَشَوَوْا لَهُمْ   مِنْ شَطِّ مُنْقِيَةٍ وَمِنْ أَكْبَادِ
٣٢— وَإِذَا ٱلْقِيَانُ حَسِبْتَهَا حَبَشِيَّةً   غُبْرًا وَقَلَّ حَلَائِبُ ٱلْأَرْفَادِ
٣٣— وَإِذَا .... ٱلْأَجْمَادِ
٣٤— أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ   .... ٱلْأَفْنَادِ
٣٥— وَيَقُولُ مَنْ يَبْقِيهِمُ بِنَصِيحَةٍ   هَلْ غَيْرُ فِعْلِ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادِ
٣٦— وَإِذَا ٱلْعَشِيرَةُ أَعْرَضَتْ سُلَّافُهَا   جَنِفِينَ مِنْ ثَغْرٍ بِغَيْرِ سِدَادِ
٣٧— فَلَقَدْ نَحُلُّ بِهِ وَنَرْعَى رِعْيَهُ   وَلَقَدْ نَلِيهِ بِقُوَّةٍ وَعَتَادِ
٣٨— نَبْقِى الغِبَابَ بِجَانِبَيْهِ وَجَامِلاً   عَكَرًا مَرَاتِعُهُ بِغَيْرِ جِهَادِ
٣٩— لَمْ يَزْوِهِ طَرَدٌ فَيَذْعَرَ دَرْؤُهُ   فَيَلِجَّ فِى وَهَلٍ وَفِى تَشْرَادِ
٤٠— وَإِذَا يُثَوِّبُ صَارِخٌ مُتَلَهِّفٌ   وَعَلَا غُبَارٌ سَاطِعٌ بِعِمَادِ
٤١— رَكِبَتْ إِلَيْكَ نَزَائِعٌ مَلْبُونَةٌ   قُبُّ الْبُطُونِ يَجُلْنَ فِى ٱلْأَلْبَادِ
٤٢— مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ   تَرْدِى بِأُسْدٍ خَفِيَّةٍ وَصِعَادِ
٤٣— إِذْ لَا يُرَى قَيْسٌ يَكُونُ كَقَيْسِنَا   حَسَبًا وَلَا كَبَنِيهِ فِى ٱلْأَوْلَادِ

(٣٠ — ٣١) رتك البعير والنعام رتكا ورتكانا ، وهو عدو فى مقاربة خطو . يوم صرد وعشية صرد باردة . الرباع جمع ربع (بضم ثم فتح) وهو ولد الناقة فى أول الانتاج . الطوارف من الخباء ما رفعت من جوانبه للنظر إلى الخارج . الهوادى جمع هادوهو البوان ـ أى العمود ـ فى مقدم الخباء . حجرعليه حبسه . الشط جانب السنام أو نصفه . أنقت الابل سمنت فهى منقية.

(٣٢ — ٣٤) القيان جمع قينة وهى الفتاة التى لم تتزوج وقد بلغت سن الزواج . حسبتها حبشية اسودت من البرد . الحلائب جمع حلوبة وهى الناقة فيها لبن . الأرفاد جمع رفد (بفتح الراء) وهو القدح الضخم .

(٣٥ - ٣٨) بقاه رصده أو نظر إليه . عاد من العرب البائدة الذين لم يبق لهم أثر ، يضرب العرب بهم المثل فى الجبروت . سلاف العسكر مقدمتهم . الثغر الموضع الذى يخاف هجوم العدو منه . جنفين مائلين عادلين عنه . وسد الثلمة (كمد) أصلحها ووثقها ، وسداد الثغر سده فى وجه العدو والثبات فيه . ولى الأمر قام عليه ورعاه . العتاد العدة . نبقى أى ترصد . الغباب التى تشرب يوما وتدع يوما ، أو التى تدر اللبن يوما وتدع يوما . العكر الجماعة من الابل . الجهاد (بفتح الجيم) الأرض الصلبة لا نبات فيها .

(٣٩ — ٤١) لم يذوه لم يصرفه . طرد جمع طرد (بفتحتين) ، اسم من طرده أى ساقه ونحاه . درأ السيل درءا اندفع . ألجت الابل صوتت ورغت الوهل الفزع والخوف . ثوب يهتف مرة بعد مرة . سطع الغبار علا وارتفع . النزائع جمع نزيع وهو الفرس الكريم . ملبونة تسقى اللبن لكرامتها عند أصحابها . قب جمع أقب وهو الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل . الألباد جمع لبد (بكسر فسكون) وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٤٢ — ٤٣) أجرد أملس . سابح عداء حتى كأن أرجله لا تمس الأرض فهو سابح فى الفضاء . ردت الفرس رجمت الأرض بحوافرها . الصعاد جمع صعدة وهى القناة المستوية .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، تتلخص فى أن الأعشى خرج إلى النبي يريد الاسلام ، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها . وكان ذلك فى المدة التى بين صلح الحديبية سنة ٦ هـ وفتح مكة سنة ٨ هـ . فلما بلغ مكة ، وعرفت قريش ما قصد له ، لم يزالوا يبغضون إليه الاسلام ، ويحدثونه بأسوإ مايقدرون عليه ، ويغرونه بالمال ، حتى صدوه عن وجهه ، بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء . فقفل الأعشى راجعا إلى اليمامة . ثم لم يلبث أن مات من عامه(١) .

والقصيدة مروية فى كثير من كتب الأدب . ولكن العجيب من أمرها أن القسم الثانى منها ، الذى خص فيه النبي بالمدح ، يريب الباحث لسببين . فهو أضعف بكثير من الشطر الاول ، يبلغ الضعف فى ابياته حد الركاكة والتفاهة . ثم هو متأثر ببعض آيات القرآن فى معناها أو فى ألفاظها ، أو هو على الأقل يصور الأعشى وقد ألم بتعاليم الاسلام إلماماً حسناً ، بما يناقض زعم الرواة أنه عاد حين علم أن الاسلام يحرم الخمر.

ومن أمثلة تأثر هذا القسم بالقرآن :

البيتان ١٧ ، ١٨ متأثران بقوله تعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى ـ البقرة ١٩٧) فهو يستعير الزاد للعمل الصالح على أسلوب القرآن .

» ١٩ ، ٢٠ » » » (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ـ المائدة ٣) فهو يقرن فيهما بين الميتة والدم والذبح للأصنام على نحو ترتيب الآية .

البيت ٢١ » » » (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار ـ آل عمران ٤١)

» ٢٢ » » » (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ـ الذاريات ١٩) فاستعمل كلمتى السائل المحروم وقرن بينهما على نحو الآية .

» ٢٣ » » » (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ـ الحجرات ١١)

» ٢٤ » » » (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ـ الاسراء ٣٢) فاستعمل كلمة (تقرب) للالمام بالفحش، وهو تلطف فى التعبير وتعفف فى العبارة عن هذا المعنى ، وذلك على أسلوب القرآن . وقوله بعد ذلك فى هذا البيت فانكحن أو تأبدا) متأثر بقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ـ النور ٣٣) على ما فى تحريك آخر الأمر (تابد) بالفتح من غرابة لضرورة القافية .

يقول الأعشى :

١ ــ أحق أنك قضيت ليلة كليلة الأرمد لا يغمض لك جفن ، وعادك ما يعود اللديغ المسهد ؟

٢ ــ ولم يكن سهرك من عشق النساء ، فقد فارقتهن من زمن : وتناسيت صداقة (مَهْدَد)

٣ ــ ولكنما كان سهرك لطوارق الدهر الخؤون ونائباته ، كلما أصلحتَ يُدك كرَّ على ما أصلحت بالإفساد.

٤ ــ لله هذا الدهر فى تقلبه . فما أعجب ترددى فيه بين الشباب والشيب ، والثروة والفقر .

٥ ــ أنفقت عمرى دائباً فى جمع المال منذ راهقت ، صبياً أمرد ، وكهلا قد علانى المشيب .

٦ ــ أبتذل العيس ، ترْقِل بى مسرعة بين (النجِّير) فى حضرموت (وصَرْخَد) فى العراق .

٧ ــ فلا تسألى عنى . فما أكثر من يسأل عن الأعشى مظهراً العناية بأمره حين يمضى فى البلاد .

٨ ــ ألا فليعلم الذى يسألنى أين تقصد ناقتى أنها على موعد عند أهل (يثرب) .

٩ ــ تسير ليلها كله ، لها رقيبان لا يغيبان من نجمى (الجَدْى) و (الفَرْقد) .

---

(١) الاغانى ٩ : ١٢٥ ، السيرة ٢ : ٢٦ ، خزانة الادب ١ : ١٢٢

وقال يمدح النَّبىَّ صلى الله عليهِ وسلم :

(طويل)

١ — أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا
٢ — وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا
٣ — وَلٰكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِى هُوَ خَاتِرٌ إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّاىَ عَادَ فَأَفْسَدَا
٤ — شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ فَلِلَّهِ هٰذَا ٱلدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
٥ — وَمَا زِلْتُ أَبْغِى ٱلْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلِيدًا وَكَهْلاً حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا
٦ — وَأَبْتَذِلُ ٱلْعِيسَ ٱلْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِى مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا
٧ — فَإِنْ تَسْأَلِى عَنِّى فَيَارُبَّ سَائِلٍ حَفِىٍّ عَنِ ٱلْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا
٨ — أَلَا أَيُّهٰذَا السَّائِلِى أَيْنَ يَمَّمَتْ فَإِنَّ لَهَا فِى أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا
٩ — فَأَمَّا إِذَا مَا أَدْلَجَتْ فَتَرَى لَهَا رَقِيبَيْنِ جَدْيًا لَا يَغِيبُ وَفَرْقَدَا
١٠ — وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ ٱلظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا
١١ — أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْهَا نَجَاءً وَرَاجَعَتْ يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا
١٢ — فَآلَيْتُ لَا أَرْثِى لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا
١٣ — مَتَى مَا تُنَاخِى عِنْدَ بَابِ ٱبْنِ هَاشِمٍ تُرِيحِى وَتَلْقَىْ مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا
١٤ — نَبِىٌّ يَرَى مَالَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِى فِى ٱلْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

(١ — ٣) الأرمد الذى يشتكى وجعاً فى عينيه . السليم الذى لدغته الحيه أو العقرب سمى بذلك تفاؤلا. الخلة الصداقة . خاتر غادر .
(٤ — ٦) اليافع فى سن العشرين . الوليد الصبى . الأمرد الذى لم ينبت شعر لحيته . ابتذل الشيء استعمله وامتهنه ، المراقيل التى ترقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . تغتلى تسرع فى السير . النجير بحضرموت . صرخد بالجزيرة .
(٨ — ٩) حفى بالرجل تلطف به وبالغ فى إكرامه والسؤال عن حاله . أصعد أصله من الصعود فى الأماكن المرتفعة . وأصعد فى الأرض ذهب . الادلاج سير الليل كله . الجدى نجم إلى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة . الفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به .
(١٠ — ١٢) هجرت سارت فى الهجير وهو وقت احتدام الحر . جمل عجرفى يسرع فى سيره ولا يبالى . الحرباء يدور مع الشمس ويستقبلها بعينيه ليستدفىء بها . الأصيد البعير المصاب بالصاد وهى قروح فى منخريه لا يضع منها رأسه . أجدت أسرعت . النجاء السرعة خنف البعير خنافاً قلب فى مسيره خف يده إلى اليمين . الحرد (بفتحتين) استرخاء عصب يد البعير ، حتى كأنه ينفضها إذا مشى .
(١٣ — ١٤) أراح رجعت إليه نفسه بعد الاعياء . أغار سار إلى الغور وهو المنخفض من الأرض . أنجد سار إلى النجاد وهى المرتفعات.

١٠ — وتندفع فى التهاب الحر لا تبالى شيئاً ، حين يستقبل الحرباء الشمس بوجهه ، حتى يخيل لناظره أنه مريض بداء (الصاد) فهو لا يستطيع أن يضح رأسه .

١١ — تنقل رجليها جادة فى سرعتها ، وتجدف بيديها السليمتين من الاسترخاء فى لين ومرونة .

١٢ — وقد آليت أن لا أرحمها مما تعانى من كلال ومن حفى حتى تزور (محمدا)

١٣ — متى ما تناخى عند بابه تجدى الراحة بعد إعياء .وتعوّضى عما لقيت من فواضله ونداه .

١٤ — نبى يرى مالا يرى الناس : قد سار ذكره فى البلاد . وذهب صيته فى كل مكان .

١٥ — يغمر الناس بصدقاته وعطاياه التى لا تنقطع ، ولا يمنعه مايعطى اليوم ، أن يعطى فى الغد .

١٦ — أحقٌ أنك لم تسمع وصاة (محمد) نبى الإله ، حين أوصى وأشهد الناس على ما يقول .

١٧ — إذا أنت لم تتزود من دنياك بالعمل الصالح ، ولقيت بعد الموت من تزود ،

١٨ — ندمت على ما فرط منك ، ووددت لو أنك قد تزودت كما تزود ، وأخذت عدتك للذى أعد .

١٩ — فأياك أن تأكل الميتة ، أو الدم تفصده بسهم من حديد .

٢٠ — ولاتذبح القرابين للأنصاب ، واعبد الله وحده ولا تعبد الأوثان .

٢١ — وصل فى العشى وفى الضحى ، واجعل شكرك لله لا للشيطان .

٢٢ — ولا تترك السائل لحرمانه ولا الأسير لقيده .

٢٣ — ولا تسخر من البائس الذى مسه الضر ، فلست مخلداً على الدهر .

٢٤ — ولا تقرب جارتك فهى محرمة عليك ، فتزوج أو تعفف مبتعداً عن النساء .

—١٧—

١٥— لَه صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ … وَلَيْسَ عَطَاءُ ٱلْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا

١٦— أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ … نَبِيِّ ٱلْإِلٰهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا

١٧— إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى … وَلَاقَيْتَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

١٨— نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ … وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدا

١٩— فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَأْكُلَنَّهَا … وَلَا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصِدَا

٢٠— وَذَا النُّصُبَ ٱلْمَنْصُوبَ لَاتَنْسُكَنَّهُ … ولا تَعْبُدِ ٱلْأَوْثَانَ وَاللهَ فَاعْبُدا

٢١— وَصَلِّ عَلَى حِينِ ٱلْعَشِيَّاتِ وَٱلضُّحٰى … وَلَا تَحْمَدِ ٱلشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاحْمَدَا

٢٢— وَلَا ٱلسَّائِلَ ٱلْمَحْرُومَ لَا تَتْرُكَنَّهُ … لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ ٱلْمُقَيَّدَا

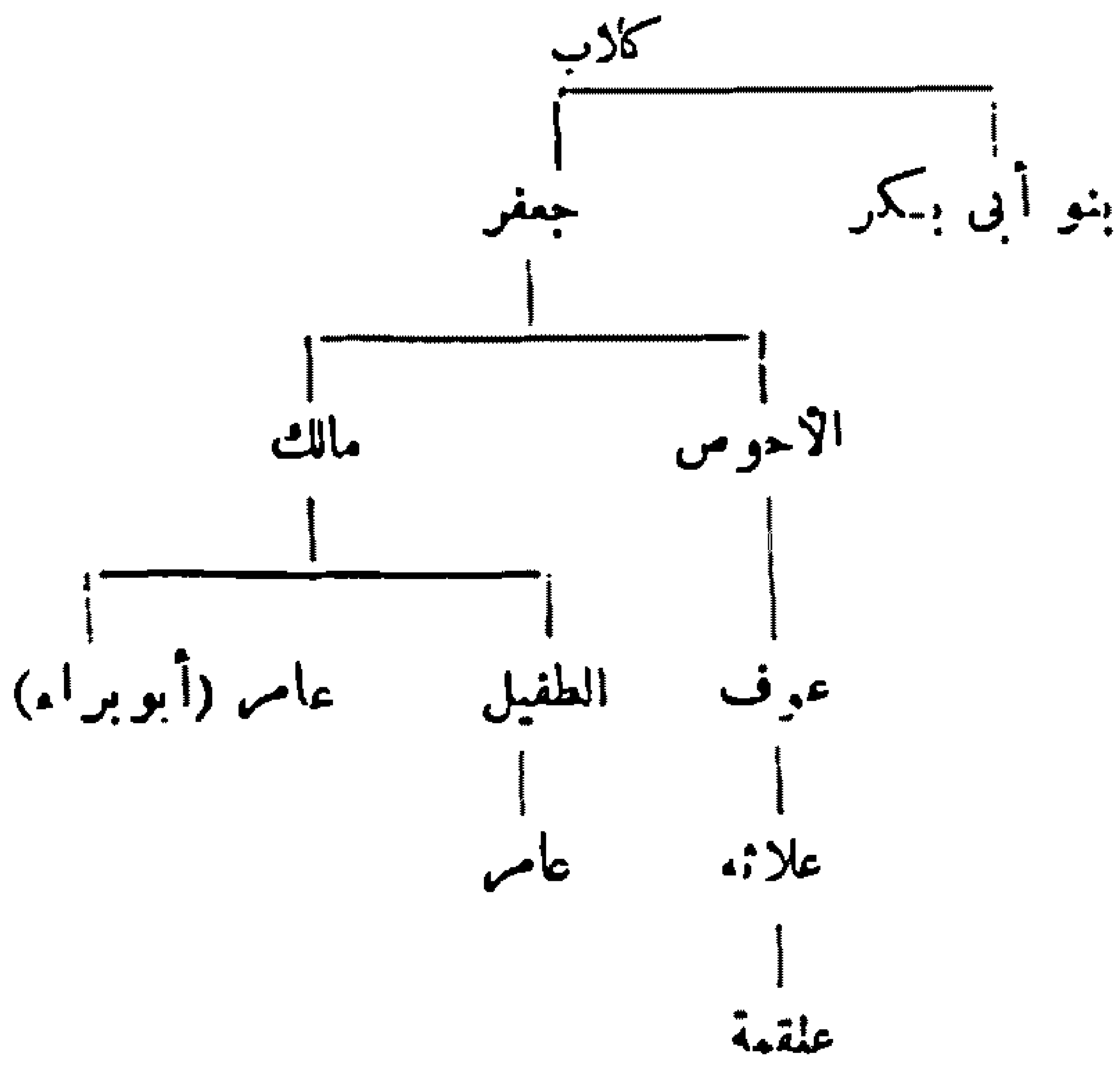
٢٣— وَلَاتَسْخَرَنْ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ … وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَوْمًا مُخَلَّدَا

٢٤— وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا … عَلَيْكَ حَرَامٌ فَٱنْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا

(١٥ — ١٨) لا تغب أى لا تبطىء عنه ولا تنقطع . أجدك أحق ماتقول . أرصد له الشىء أعده .

(١٩ — ٢١) فصد شق الجلد لاستخراج الدم . النصب الاصنام . نسك البيت أتاه ، ونسك كذلك ذبح .

(٢٢ — ٢٤) الضرارة ذهاب البصر والنقص فى الأموال والانفس . السر فرج المرأة والزنى . النكاح الزواج . التأبد التعزب والبعد عن النساء .



منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة من أشهر ماجرى فى الجاهلية من منافرات الكثرة من اشترك فيها من كبار الشعراء والحكام . وعامر وعلقمة كلاهما من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهما يلتقيان عند الجد الثالث لعلقمة والجد الثانى لعامر . وقد كانت السيادة فى بنى كلاب خاصة ، وفى عامر بن صعصعة عامة ، للأحوص جد علقمة .

وكان الأحوص على رأس عامر يوم (رحرحان) وأخوه مالك بن جعفر يشهدها ، ومعه ابناه عامر والطفيل . فلما مات الأحوص انتقلت السيادة إلى ابن أخيه عامر بن مالك ، وهو أبو براء الملقب بملاعب الأسنة . فلما أسن أبو براء تنازع عامر وعلقمة الرياسة . عامر يرى أنها يجب أن تنتقل إليه لأنها فى عمه ، ثم هو يرى نفسه أحسن بلاء فى الحرب من علقمة وأجود منه . وعلقمة يرى أنها كانت فى جده الأحوص ، وإنما انتقلت إلى أبى براء بسببه لأنه ابن أخيه .

وسرى الشر بينهما حتى صار إلى المنافرة . وانحاز لبيد إلى عامر وانحاز الحطيئة وبعض بنى الأحوص — وفيهم السندرى — إلى علقمة . واحتكما إلى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الرجيد ، ثم إلى أبى سفيان بن حرب ، ثم إلى أبى جهل بن هشام ابن المغيرة ، وكلهم يتحرج من الحكم فلا يقول بينهما شيئاً ، إلى أن صار الأمر إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزارى ، فاحتال للأمر ، واستدعى كلا من الخصمين على حدة ، فكان يصور لكل منهما أن خصمه أفضل منه ، فيتخيل أحدهما أنه سيفضل صاحبه ، ويرجوه أن لايفعل ، وأن يكتفى بالتسوية بينهما . فلما كان يوم الحكم قام هرم فسوى بينهما قائلا (أنتما كركبتى البعير الادرم الفحل ، يقعان الأرض معا . وليس منكما واحد إلا وفيه ماليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم)

وجاء الأعشى على أعقاب ذلك ، فانحاز إلى عامر ، وزعم أنهما قد حكماه فى أمرهما ، وقال هذه القصيدة والقصيدة التى تليها ، ينفر فيهما عامرا على علقمة ، فذاع حكمه فى الناس . واشتد وقعه على علقمة . وقد تحرج صاحب السيرة وصاحب الخزانة من رواية القصيدتين ، لأن النبى نهى عن روايتهما ، وذلك بعد أن أسلم علقمة ، بينما قتل عامر وفد الرسول من المسلمين إلى نجد ، ومات كافراً (١) .

هذا ملخص ماروى فى هذه القصة (٢) . أما تاريخها فشيء لم تشر إليه المراجع التى بين يدينا . ولكننا نستطيع بمقارنة الحوادث أن نؤرخها بما بين ٤ قبل الهجرة ، ٤ بعد الهجره . فهى بعد بعثة النبى على كل حال وقبل ٤ هـ . أما أنها بعد البعثة فذلك لأن أبا براء كان على راس عامر يوم (فيف الريح) وقد كان هذا اليوم بعد البعثة (٣) . وإنما تنازع عامر وعلقمة الرياسة حين أسن أبو براء وقعد عن الغزو ، وينبغى أن يكون ذلك بعد فيف الريح بسنوات . وقد أصيب عامر فى هذا اليوم بطعنة رمح فى عينه (٤) وقد عيره علقمة نقص بصره فى هذه المنافرة حين قال (ولكنى أنافرك أنى خير منك أثرا ، وأحد منك بصراً) وقول عامر (أنت رجل ثار ، وليس لبنى الأحوص فضل على بنى عامر فى العدد . وبصرى ناقص وبصرك صحيح . ولكنى أنافرك أنى أسن منك سنة وأطول منك قمة . . . . الخ

ثم إن أبا براء لاينبغى أن يكون قد أسن قبل ظهور الاسلام ، فقد كان فتى ناشئاً يوم (رحرحان) ، وهو قبل الاسلام بواحد وأربعين عاما أو بستة وأربعين عاما (٥)

وليس ينبغى أن ينازع عامر بن الطفيل فى الرياسة قبل الاسلام ، فقد ولد يوم جبله ، وهو قبل الاسلام بأربعين عاما أو بخمسة وأربعين عاما (٦)

وأما أن المنافرة لاتتأخر عن ٤ هـ فذلك لأن أبا براء قد شهد لمنافرة . وأبو براء مات يوم (بئر معونة) ، قتل نفسه بشرب الخمر (٧) . وبئر معونة سنة ٤ هـ .

وقصيدة الأعشى هذه من بحر السريع . وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى ، لم يرو للأعشى فيه غير هذه القصيدة ، ولم يرو لزهير ولا النابغة ولا عنترة فيه شعر . أما طرفة فلم يرد له فيه غير ثلاثة أبيات :

اسلمنى قومى ولم يغضبوا   لسوءة حلت بهم فادحة

ورووا لعلقمة خمسة أبيات .

دافعت عنه بشعرى إذ   كان لقومى فى الفداء جحد

ورووا لامرىء القيس مقطوعتين ، إحداهما ثلاثة أبيات والأخرى عشرة :

أحللت رحلى فى بنى ثعل   إن الكريم للكريم محل

يادار ماوية بالحائل   فالفرد فالجنبين من عاقل

(١) السيرة ٣ : ١٩٣ ، خزانة الأدب ١ : ١٢٧

(٢) راجع التفاصيل فى الأغانى ١٥ : ٥٠ ، ثعلب (شرح ديوان الأعشى) ١٦٥ ، بلوغ الأرب ١ : ٢٨٧ ، الهجاء والهجاءون ١ : ٨١

(٣) العقد الفريد ٦ : ٨٩ (٤) نقائض جرير والفرزدق ٤٧٠ (٥) العقد الفريد ٦ : ٩ ، النقائض ٢٣٠ ، ١٠٦٢

(٦) النقائض ٢٢٩ ، ٦٥٩ (٧) النقائض ١٩٩

وقال يَهْجُو عَلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ ويمدح عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فى المُنَافَرَةِ التى جرت بينهما :

(سريع)

١ — شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أَطْلَالُهَا ... بِالشَّطِّ فَالوِتْرِ إِلَى حَاجِرِ
٢ — فَرُكْنِ مِهْرَاسٍ إِلَى مَارِدٍ ... فَقَاعِ مَنْفُوحَةَ ذِى الحَائِرِ
٣ — دَارٌ لَهَا غَيَّرَ آيَاتِهَا ... كُلُّ مُلِثٍّ صَوْبُهُ زَاخِرِ
٤ — وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِى الحَىِّ ذِى البَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
٥ — كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ
٦ — أَوْ بَيْضَةٍ فِى الدِّعْصِ مَكْنُونَةٍ ... أَوْ دُرَّةٍ شِيفَتْ لَدَى تَاجِرِ
٧ — يَشْفِى غَلِيلَ النَفْسِ لَاهٍ بِهَا ... حَوْرَاءُ تُصْبِى نَظَرَ النَّاظِرِ
٨ — لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ وَلَا عِنْفِصٍ ... تُسَارِقُ الطَّرْفَ إِلَى الدَّاعِرِ
٩ — عَبْهَرَةُ الخَلْقِ بُلَاخِيَّةٌ ... تَشُوبُهُ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ
١٠— عَهْدِى بِهَا فِى الحَىِّ قَدْ سُرْبِلَتْ ... هَيْفَاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ
١١— قَدْ نَهَدَ الثَّدْىُ عَلَى صَدْرِهَا ... فِى مُشْرِقٍ ذِى صَبَحٍ نَائِرِ
١٢— لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(١ — ٣) شاقه الحب هاجه . الأطلال آثار الديار . الحائر مجتمع الماء ، والموضع المطمئن من الأرض . آيات جمع آية والآية العلامة. ملث مقيم . الصوب السحاب ذو الصوت . زخر البحر طما وكثر ماؤه .

(٤ — ٦) الترب من ولد معك ، السامر اسم فاعل من سمر أى لم ينم وتحدث ليلا . والسامر أيضا مجلس السمار . المحراب الغرفة وصدر البيت . مائر تصلح صفة الذهب وللمرمر ، فالذهب مائر فى المرمر أى غائر فيه داخل ، والمرمر مائر أى براق يتموج لجودة صقله . الدعص كثيب الرمل ، مكنونة مخبوءة . فهى لذلك محفوظة صافية اللون . شيفت جليت .

(٧ — ١٠) الغليل حرارة العطش . أصباه الشيء شاقه ودعاه إلى الصبا فحن إليه . عنفص بذيئة قليلة الحياء . الداعر الخبيث والفاسق . العبهرة الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة . بلاخية طويلة عظيمة فى نفسها . سربلت لبست السربال وهو القميص. الهيفاء الضامرة البطن الرقيقة الخصر . المهر ولد الفرس .

(١١—١٢) نهد برز . إشراق الحلى بريقها . الصبح بريق الحديد والحلى . النائر والنير المشرق . النحر أعلى الصدر . وقيل موضع القلادة .

يبدأ الأعشى قصيدته بغزل رقيق يحن فيه إلى صاحبته (قَتْلَة) وهى من أحب صواحبه إليه وأشهرن فى شعره، يسميها تارة (قَتْلَة) ويدللها تارة . فيسميها (قُتَيْلة) أو (قَتْل) . وقد زعم أبو عبيدة أنها أمة لبنى عبيد كان قد تزوجها .

يقول الأعشى :

١ ـــ هاجت أطلال قتلة فى قلبك شوقا قديما بين « الشط » و « الوِتْر » و « حاجر »

٢ ـــ و « ركن مهراس » و « مارد » و « قاع منفوحة » حيث تجتمع مياه الأمطار .

٣ ـــ دار غيرت معالمَها الأمطارُ المتتالية الغزيرة .

ويرجع الأعشى بخياله إلى الماضى ليتصورها أيام كانت تحل هذه الديار فيقول :

٤ ـــ لكأنى أراها بين أترابها ، أيام كان الحى آهلا بهم ، ملء جوانبه البهجةُ فى النهار ، والسُمَّار فى الليل.

٥ ـــ كانت كدمية أقيمت فى محراب من المرمر زخرف بالذهب اللامع البراق .

٦ ـــ أو بيضة مكنونة فى الرمال ، أو درة مصقولة عند التجار .

٧ ـــ تشفى غليل نفس اللاهى لو أن يده تنالها ، وتملك على الناظر أمره ولبه فما ينفك متعلقاً بها .

٨ ـــ ليست بسوداء ولا بذيئة قليلة الحياء تسترق النظر إلى الداعر من الرجال .

٩ ـــ قد اكتمل حسنها فى ضخامة جسمها وامتداده الذى يضفى عليها ثوباً من الكبرياء تشوبه بالخلق الطاهر العفيف .

١٠ ـــ عهدى بها فى الحى يكشف قميصها عن بطنها الضامر وخصرها الدقيق كأنها المُهرَةُ الضامرة .

١١ ـــ قد نهد الثدى على صدرها الذى تزينه الحلى البراقة اللامعة .

١٢ ـــ لو أسندت ميتاً إلى نحرها الفتان لبعث من جديد ودبت فيه الحياة .

١٣ ـــ حتى يقول الناس مما يرون (يا عجبًا للميت الناشر !)

وينتقل الأعشى من هذا الغزل الرقيق الممتع فجأة إلى مهاجمة علقمة قائلا :

١٤ ـــ دع عنك صاحبتك ، فقد بان عذرك فى حبها بعد الذى وصفت من مفاتنها ، واذكر إفحاش علقمة الفاجر فى الكلام .

١٣— حَتى يقول النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّـــاشِرِ
١٤— دَعْهَـا فَقد أَعْذَرْتَ فِى جُبِّهَا ... وَاذْكُرْ خنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ
١٥— عَلْقَمَ لَا لَسْتَ إِلَى عَامِرٍ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ
١٦— وَاللَّابِسِ الخَيْلَ بِخَيْلٍ إِذَا ... ثَارَ غُبَارُ الـكَبَّةِ الثَّـائِرِ
١٧— سُدْتَ بَنِى الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ... وَعَامِرٌ سَادَ بَنِى عَامِرِ
١٨— سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَــــادَةً ... وَكَابِرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ
١٩— مَا يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِى ... جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الزَّاخِرِ
٢٠— مِثْلَ الفُرَاتِىِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِالبُوصِىِّ وَالمَاهِرِ
٢١— إِن الَّذِى فِيـهِ تَمَارَيْتُمَا ... بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ
٢٢— حَكَّمْتُمُونِى فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَـــاهِرِ
٢٣— لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِى حُكْمِهِ ... وَلَا يُبَالِى غَبَنَ الخَاسِرِ
٢٤— لَا يَرْهَبُ المُنْكِرَ مِنْكُمْ وَلَا ... يَرْجُوكُمُ إِلَّا تُقَى الآصِرِ
٢٥— يَا عَجَبَ الدَّهْرِ مَتَى سُوِّيَا ... كَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا وَكَمْ سَاخِرِ

(١٣—١٥) نشر الله الموتى أحياهم وبعثهم فكأنهم نشروا بعد ما طووا . أعذر صار ذا عذر . الخنا الفحش فى الكلام . لست إليه أى لا تشبهه ولا تقاس إليه . الأوتار جمع وتر وهو الثأر . الواتر الغالب الذى يترك ثأره فى الأعداء .

(١٦—١٨) اللابس الخالط . الكبة الدفعة من الخيل . الأحوص جد علقمة . عامر بن صعصعة هو الجد الأكبر الذى يجتمع عنده عامر وعلقمة وبقية الفروع الأخرى . ألفى قومه سادة ، يقصد أبابراء وهو عامر بن مالك بن جعفر عم عامر . وقد تنازع عامر وعلقمة الرياسة لما أسن . الكابر الكبير والرفيع القدر .

(١٩—٢٠) الجد البئر . الظنون الذى لا يعرف أفيه ماء أم لا ، أو القليل الماء . جنبه الشىء أبعده عنه ، الصوب هنا الناحية . اللجب الذى له صوت وجلبة . الزاخر الكثير الماء . طما البحر ارتفع ماؤه . البوصى السفين وهو كذلك الملاح . الماهر السابح .

(٢١ - ٢٥) تماريتما اختلفتما . السامع الذى سمع الخبر من غيره ولم يشاهده . الناظر الذى حضره وعاينه ، أبلج واضح مشرق الوجه . الباهر الذى يبهر النجوم فيقطع ضوءها . الغبن النقص . المنكر الذى ينكر حكمه ولا يرضاه . النقا عظم العضد أو كل عظم ذى مخ فى داخله . أصر الشىء (كضرب) أصرا كسره .

١٥ — إنك يا علقمة لا تقاس إلى عامر ولا تدانيه ، الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه ، والتارك الثأر فيهم لا يأخذونه .

١٦ — والخالط الخيل بالخيل إذا ثار غبار جماعاتها فى القتال .

١٧ — سدت بيتك من (بنى الأحوص) لم تعد ذلك ولم تتجاوزه ، وساد عامر (بنى عامر) جميعاً .

١٨ — ساد وكان قومه من قبل سادة ، ولقد سادوك سيداً من بعد سيد .

١٩ — ليس البئر القليل الماء قد جانبه السيل الزاخر الدفاق ،

٢٠ — مثلَ الفرات إذا جاش بالماء يقذف بالسفين وبالسَّباح

٢١ — إن الذى تتماريان فيه من التنافس على السيادة أمر واضح يعرفه الغائب والحاضر .

٢٢ — حكمتمونى فقضيت بينكم وكنت كالقمر المشرق الذى يبهر الأَنظار .

٢٣ — وماقاضيكم بالذى يصرفه عن العدل والصواب رشوة يأخذها ، ولا هو بالذى يبالى على أيكم تقع الخسارة .

٢٤ — لا هو يرهب الذى ينكر حكمه ، ولا هو يرجوكم إلا رجاء الذى يكسر العظام مفتشاً عما فى داخلها من تافه الدسم .

٢٥ — ياعجب الدهر ! متى كان عامر وعلقمة سواء ؟ كم ضاحكٍ من ذا وكم ساخرٍ !

٢٦ — فالزم حياءك الذى أضعته يا علقمة ، فمالك بعد المشيب من عذر .

٢٧ — فيم تزعم أنك أعز منه ، ولست بالأكثر منه قوما ، وإنما العزة لصاحب الكثرة .

٢٨ — ولست فى شىء من قومه الأَثرياء (بنى مالك) ، ولا أنت من (بنى أَبى بكر) المنجِدين الأَقوياء .

٢٩ — فبنو مالك هم رءوس الحى وهامته يوم يُجْمَع الناس . وهم بمكان السؤدد القاهر من بنى جعفر .

٣٠ — أقول لما جاءنى فخر علقمة على عامر « سبحان من علقمة الفاخر ! » .

٣١ — فاربع على نفسك ، وكف عن سفهك ، ولا تجعل عرضك للوارد والصادر من الناس .

٣٢ — إنى أرد الحكم إلى وجهه الصحيح من الحق والصواب ، ولا أصدر فيه عن الهوى الجائر .

٣٣ — وقد حكمت حكما قضى بينكم ، واعترف المغلوب للغالب

٣٤ — وكم قضيت فى مثله فمضى قضائى وسار قولى فى الناس لا يرده شىء .

٢٦ــ فَاقْنَ حَيَاءً أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ ‏ ‏ مَالَكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَاذِرِ
٢٧ــ وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى ‏ ‏ وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ
٢٨ــ وَلَسْتَ فِي الْأَثْرَيْنِ مِنْ مَالِكٍ ‏ ‏ وَلَا أَبِي بَكْرٍ ذَوِي النَّاصِرِ
٢٩ــ هُمْ هَامَةُ الْحَيِّ إِذَا حُصِّلُوا ‏ ‏ مِنْ جَعْفَرٍ فِي السُّؤْدَدِ القَاهِرِ
٣٠ــ أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ‏ ‏ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرِ
٣١ــ عَلْقَمَ لَا تَسْفَهْ وَلَا تَجْعَلَنْ ‏ ‏ عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ
٣٢ــ أُؤَوِّلُ الْحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ ‏ ‏ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الْجَائِرِ
٣٣ــ قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَضَى بَيْنَكُمْ ‏ ‏ وَاعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ
٣٤ــ كَمْ قَدْ مَضَى شِعْرِيَ فِي مِثْلِهِ ‏ ‏ فَسَارَ لِي مِنْ مَنْطِقٍ سَائِرِ
٣٥ــ إِنْ تَرْجِعِ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ ‏ ‏ فَلَسْتَ بِالْمُسْتِي وَلَا النَّائِرِ
٣٦ــ وَلَسْتَ فِي السِّلْمِ بِذِي نَائِلٍ ‏ ‏ وَلَسْتَ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْجَاسِرِ
٣٧ــ إِنِّيَ آلَيْتُ عَلَى حَلْفَةٍ ‏ ‏ وَلَمْ أُقِلْهُ عَثْرَةَ الْعَاثِرِ
٣٨ــ لَيَأْتِيَنَّهُ مَنْطِقٌ سَائِرٌ ‏ ‏ مُسْتَوْسِقٌ لِلْمُسْمِعِ الْآثِرِ

(٢٦—٢٨) قنى الحياء لزمه . الأثرى الكثير المال . ابو بكر هم بنو ابى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٩ - ٣١) هامة الحى رأسه . حصلوا جمعوا وميزوا . السؤدد السيادة . القاهر الغالب . سبحان منه تعجب ، اى سبحان الله منه . الوارد الذى يجىء الماء ليشرب . الصادر الذى يعود من الماء بعد أن شرب .

(٣٢—٣٤) أول الحكم إلى أهله رده إليهم أى جعله يؤول ويرجع إليهم . الجائر المنحرف عن الصواب والحق . المنفور المغلوب فى المنافرة ، والنافر الغالب فيها . منطق سائر مشهور ذهب بين الناس وسار .

(٣٥—٣٨) أستى الثوب وأسداه أقام سداه ، السدى من الثوب مامد من خيوطه ، وهو خلاف لحمته . والنير هدب الثوب ولحمته ، يريد أن يقول له لست شيئاً . النائل العطاء . الهيجاء الحرب . الجاسر الجرىء الشجاع . أقال عثرته صفح عنه . منطق سائر شعر ينال شهرة بين الناس . استوسق له الأمر أمكنه . الآثر الذى يأثر الخبر أو الشعر ويرويه ، فهو آثر والكلام مأثور .

٣٥ — فإن رجعت الحكم إلى أهله فما أنت بين الناس فى شىء .

٣٦ — ما أنت بالكريم فى السلم ، ولا أنت بالجرىء فى الحرب .

٣٧ — ولقد آليت على نفسى مقسما ـ ولم أصفح عنه حين عثر ـ

٣٨ — ليأتينه منى شعر سائر ذائع يطاوع السامعَ على إذاعته وروايته .

٣٩ — يعض حين يسمع قولى بما أبقت له المواسى من أمه فى غابر الأزمان .

٤٠ — وما أبقت إلا أذى عند رأس فرجها وافى الحروف .

٤١ — لا تحسبنى غافلا عنكم ، فلست بالفاتر ولا الكليل .

٤٢ — واستمع لقولى فإنى فطن حاذق ، وإنى عالم بأخبار الناس ، أعرف كيف أخرس المتطاول وأقطع شِقْشِقة الهادر .

٤٣ — يقسم بالله لئن بلغه عنى ما يؤذيه من سامع .

٤٤ — ليجعلنِّى بعدها سُبَّة فى الناس . ألا جَدْعًا لك ياعلقم من متهدد !

٤٥ — أذلك شىء جديد ، أن تتوعَّدنى وقد ركبت رأسك متحيراً ؟ وعهدى بك أضعف الناس عن أن تنال عدواً بأذى .

٤٦ — انظر إلى الكف وما انطوت عليك من غيب وأسرار ، ثم خبرنى : هل أنت إن أوعدتنى ضائرى ؟

٤٧ — ما أراك إن شمَّرت الحرب واشتد القتال إلا مغلوباً مدوَّخا .

٤٨ — وقد التف حولى قومى من سادة « وائل » ، منتشرين كأنهم الليل من بادٍ ومن حاضر .

٤٩ — المطعمو اللحم إذا أزم الشتاء الناسَ وضيق عليهم الرزق ، والجاعلو رزقَ فقرائهم على أغنيائهم المقامرين .

٥٠ — يذبحون كل ناقة ضخمة قد تراكم على سنامها الشحم ، حين تجف من اللحم سكاكينُ الجازرين .

٣٩— عَضٌ بِمَا أَبْقَى المَوَاسِى لَهُ ... مِنْ أُمِّهِ فى الزمَنِ الغَابِرِ

٤٠— وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى ... عِنْدَ المَلاَقِى وَافِى الشَّافِرِ

٤١— لَا تَحْسَبَنِّى عَنكُمُ غَافِلاً ... فَلَسْتُ بِالوَانِى وَلا الفَاتِرِ

٤٢— وَاسْمَعْ فَأَنِّى طَبِنٌ عَالِمٌ ... أَقْطَعُ مِنْ شِقْشِقَةِ الهَادِرِ

٤٣— يُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَهُ ... عَنِّى أَذًى مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ

٤٤— لَيَجْعَلَنِّى سُبَّةً بَعْدَهَا ... جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ مِنْ نَاذِرِ

٤٥— أَجَذَعًا تُوعِدُنِى سَادِرًا ... لَسْتَ عَلَى الأَعْدَاءِ بِالقَادِرِ

٤٦— انْظُرْ إِلَى كَفٍّ وَأَسْرَارِهَا ... هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِى ضَائِرِى

٤٧— إِنِّى رَأَيْتُ الحَرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ ... دَارَتْ بِكَ الحَرْبُ مَعَ الدَّائِرِ

٤٨— حَوْلِى ذَوُو الآكَالِ مِنْ وَائِلٍ ... كَاللَّيْلِ مِنْ بَادٍ وَمِنْ حَاضِرِ

٤٩— المُطْعِمُو اللَّحْمَ إِذَا مَا شَتَوْا ... وَالجَاعِلُو القُوتَ عَلَى اليَاسِرِ

٥٠— مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ سَحُوفٍ إِذَا ... جَفَّتْ مِنَ اللَّحْمِ مُدَى الجَازِرِ

٥١— وَالشَّافِعُونَ الجُوعَ عَنْ جَارِهِمْ ... حَتَّى يُرَى كَالغُصْنِ النَّاضِرِ

(٣٩ — ٤١) بما أبقى المواسى له من أمه . المواسى جمع موس ، يقطع به الشىء الزائد فى العورة وهو الذى نسميه (الطهارة) . الزمن الغابر الذاهب القديم . الملاق شعب رأس الرحم ، جمع ملق (كمنق) . الشفر (بضم الشين) والشافر حرف الفرج . وافى ضخم . الوانى والفاتر بمعنى واحد وهو الضعيف والبطىء .

(٤٢ — ٤٤) طبن فطن . عالم يعرف أخبار الناس ولا يخفى عليه منها شىء . الشقشقة شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، ولا يعرف موضعها منه فى غير تلك الحال . هدر البعير ردد صوته فى حنجرته عند الغضب . جدعه (بتشديد الدال) دعا عليه فقال جدعك الله . والجدع القطع . ناذر متهدد .

(٤٥ — ٤٨) الجذع الشاب الحدث ، والذى أخذ فى الأمر حديثا . السادر المتحير ، والذى تحير بصره من شدة الحر . انظر إلى كف ، كانوا ينظرون إلى الكف ويرون فيها دلائل على المستقبل . شمرت الحرب اشتدت ، وكأنها كشفت عن يديها أو ساقيها . الآكال قطائع كانت الملوك تطعمها للأشراف ، البادى الذى يسكن البادية والصحراء . الحاضر الذى يسكن الحاضرة أى المدن .

(٤٩ — ٥١) القوت النفقة . الياسر الذى يلعب الميسر ، أو الرابح فى الميسر . وكان الرابح يفرق ماغنم من اللحم ؛ وهم يعيرون من يأخذه إلى بيته . إذا ماشتوا ، لأن الشتاء عندهم زمن الشدة والقحط وانقطاع الرزق . الكوماء الناقة الضخمة . السحيفة طبقة الشحم والجمع سحائف ، وناقة سحوف كثيرة السحائف . المدى جمع مدية (بضم الميم) وهى السكين . الجازر الجزار الذى يذبح . الشافعون الدافعون ، والشفع أصله الزوج ، فهو يكون معه ويقف بجانبه ولا يتركه وحده .

٥١— والدافعون الجوع عن جارهم حتى يقوى ويشتد ، ويصير كالغصن المورق النضير .

٥٢— كم فيهم من فرس طويلة سريعة ، ومن جواد سابح نشيط وثاب .

٥٣— ومن درع محكمة الصنع ، ومن سيف قاطع ذى رونق بتار .

٥٤— ومن قوس ذات رنين تُصوِّت حين تدفع بالسهام ، ومن رمح غليظ القناة مرن الكعوب .

ويختم الأعشى قصيدته بأبيات فى الناقة ، يصور فيها جرأته على اقتحام الصحراء وكثرة أسفاره . فيقول :

٥٥— إنى إذا نزلت بى الهموم تسليت بالرحلة فوق ناقة ضخمة جريئة على اقتحام الصحراء ، عاقر لم يذهب بعزمها الحمل والرضاع .

٥٦— تسرع متمايلة وهى تضرب بذنبها حتى إنها لتقذف بالرحل القوى المتماسك العيدان المتمكن من سنامها .

٥٧— وإن لى فوق ظهرها ليوماً عسيراً هو أشد هولا من يوم (حيَّان) أخى (جابر) ،

٥٨— وقد حبس فى حصن عال مشيد ، بنى من حجارة صماء ملساء يزل عنها ظفر الطائر .

٥٩— يجمع كتيبة كثيفة يعلو رجالها الحديد ، لها سطوة وبأس لا يقف فى سبيلها شىء ، فهى تعصف بالحاسر وبالدارع على السواء .

٦٠— شديدة الوقع ، تلمع فوق رجالها الدروع البيضاء ، وقد صفُّوا إلى جانب هذا الحصن المرتفع المنيع .

٥٢— كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ خَيْفَقٍ   وَسَابِحٍ ذِى مَيْعَةٍ ضَابِرِ
٥٣— وَكُلِّ جَوْبٍ مُتْرَصٍ صُنْعُهُ   وَصَارِمٍ ذِى رَوْنَقٍ بَاتِرِ
٥٤— وَكُلِّ مِرْنَانٍ لَهُ أَزْمَلٌ   وَلَيِّنٍ أَكْعُبُهُ حَادِرِ
٥٥— وَقَدْ أُسَلِّى الهَمَّ حِينَ اعْتَرَى   بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ
٥٦— زَيَّافَةٍ بِالرَّحْلِ خَطَّارَةٍ   تُلْوِى بِشَرْخَىْ مَيْسَةٍ قَاتِرِ
٥٧— شَتَّانَ مَا يَوْمِى عَلَى كُورِهَا   وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِى جَابِرِ
٥٨— فِى مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُهُ   يَزِلُّ عَنْهُ ظُفُرُ الطَّائِرِ
٥٩— يَجْمَعُ خَضْرَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ   تَعْصِفُ بِالدَّارِعِ وَالحَاسِرِ
٦٠— بَاسِلَةُ الوَقْعِ سَرَابِيلُهَا   بِيضٌ إِلَى جَانِبِهِ الظَّاهِرِ

(٥٢ — ٥٤) شطبة فرس طويلة . خيفق خفيفة سريعة . سابح فرس عداء . ذى ميعة سريع ، ماع الشىء سال وجرى على وجه الأرض . ضبر الفرس وضبر المقيد جمع قوائمه ووثب . جوب ترس . مترص محكم . صارم قاطع . رونق السيف ماؤه وطلاوته . أرنت القوس صوتت فهى مرنان كثيرة الرنين . الأزمل كل صوت مختلط . لين أكعبه رمح مرن . حادر غليظ .

(٥٥ — ٥٦) اعتراه عرض له ونزل به . جسرة ناقة ضخمة . وكذلك دوسرة . عاقر غير حامل . زاف البعير أسرع فى تمايل . ناقة خطارة تضرب بذنبها يميناً وشمالا . ألوى به ذهب به . الشرخ الحرف الناتىء من الشىء ، وشرخا الرحل آخرته وقادمته . ولا يزال فلان بين شرخى رحله إذا كان مسافرا . الميسة شجرة تعمل منها الرحال . قتر الشىء ضم بعضه إلى بعض . والقاتر من الرحال والسرج هو الجيد الوقوع على الظهر ، أو اللطيف منها ، الذى يقى الظهر ولا يعقره .

(٥٧ — ٦٠) المجدل القصر . يزل يزلق ولا يستقر لأن أحجاره مصقولة ملساء لا يتعلق بها الظفر . خضراء كتيبة يعلوها الحديد فهى خضراء ، والعرب يسمى الأسود أخضر أحيانا . سورة الشىء حدته وشدته وسطوته . الدارع الذى يلبس الدرع . والحاسر العارى الذى لا درع عليه . غضب باسل ويوم باسل شديد . السربال القميص والدرع . إلى جانبه أى إلى جانب المجدل وهو القصر . الظاهر المرتفع وفعله كظهر (كجمل) اى برز وارتفع . والظهر (بفتح الظاء) ما ارتفع من الأرض .

—١٩—

تلى هذه القصيدة القصيدة السابقة . فالذى يبدو من الشعر أن علقمة تهدد الأعشى حين ذاع حكه فى تنفير علقمة عليه . فرد الأعشى على تهدده بهذه القصيدة مستخفا به . وقد بنى الشاعر قصيدته على قافية صعبة هى الصاد ، ألجأته إلى كثير من التكلف والاغراب . وليس أدل على صعوبة القافية من أن الشاعر لم يستطع أن يمضى فى قصيدته إلى أكثر من خمسة وعشرين بيتا . وليس له على هذا الروى بعد ذلك فى ديوانه إلا ستة أبيات فى الاعتذار إلى علقمة (القصيدة ٨١) ، وأربعة عشر بيتا فى مدح آل جفنة (القصيدة ٣١) .

وقد كان من أشد أبيات هذه القصيدة إيلاما لعلقمة قول الأعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

حتى لقد زعم الرواة أن علقمة بكى حين سمعه وقال : قاتله الله ! أنحن كذلك ؟

يقدم الأعشى لقصيدته بأربعة أبيات فى صاحبته عُفَيْرة (تصغير عفراء) فيقول :

١ ــ لئن أمسيت وقد شخصت من الحى ذاهباً لِطِيَّتِي ، فما نلت من (عُفَيْرَة) إلا القليل اليسير .

٢ ــ إذا جُرِّدَتْ رأيتَ جسمها الأملس يبرق كأنه الذهب ، وقد انسدل عليه شعرها كأنه خطوط الكساء المُعْلَمَ .

٣ ــ تَصَيَّدها شيخ عجوز حين وقعت عليها عينه فى بعض العشيات، فأصبحت فى (قضاعة) كارهة لزوجها تأتى الكواهن رجاء الخلاص منه .

٤ ــ فصوبت إليها سهمى فلم يخطئها ، ولكم أصاب أمثالها من نساء الحى فلم يخطئه .

ثم لا يلبث أن يتجه الأعشى إلى (بنى الأحوص) قوم علقمة قائلا :

٥ ــ لقد بلغنى وعيد بنى الأحوص من آل جعفر . فهلا نهيت يا (عبد عمرو) قومك عن سفههم ؟

٦ ــ لم أملك حين بلغنى وعيدهم أن أقول : يالبكر بن وائل ! متى كنت ضعيفا كنبت الكَمْأة التافه ينبت فى أصول شجر القَصَائِص ؟

٧ ــ وحولى قومى من بكر ومن اجتمع إليهم ، قد ملأوا (نُبَاكا) و (أَحْوَاضَ الرَّجا) و (النَّوَاعص)

٨ ــ وما ذنبى إليك ياعلقمة وقد حكّمتنى فوجتنى عالما بكم وبما دق وخفى من شئونكم .

٩ ــ كان أبوكم وأبوهم كلاهما شريف ماجد . ولكنهم بنوا إلى مجدهم مجدا ، وهدمتم أنتم ما ورثتم من مجد .

١٠ ــ فهم الأشراف القاهرون لعدوهم ، وأنتم آخر الثلاثة من بيوت قومكم ، تأكلون القتيل الميت من الحيوان.

١١ ــ تبيتون فى الشتاء وقد ملأتم بطونكم ، ثم لا تبالون أن تبيت جاراتكم جوعى فارغات البطون ،

١٢ ــ فهن لا يزلن فى جوعهن يترقبن غفلة الحى فى الليل وطلوع النجوم ،ليخرجن فيلتقطن ما يقوتهن .

وَقَالَ يَهْجُو عَلْقَمَةَ أَيْضًا :

(طويل)

١ — لَعَمْرِى لَئِنْ أَمْسَى مِنَ الْحَىِّ شَاخِصًا ⁂ لَقَدْ نَالَ خَيْصًا مِنْ عُفَيْرَةَ خَائِصَا
٢ — إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً ⁂ عَلَيْهَا وَجِرْيَالًا يُضِىءُ دُلَامِصَا
٣ — تَقَمَّرَهَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَحَتْ ⁂ قُضَاعِيَّةً تَأْتِى الْكَوَاهِنَ نَاشِصَا
٤ — فَأَقْصَدَهَا سَهْمِى وَقَدْ كَانَ قَبْلَهَا ⁂ لِأَمْثَالِهَا مِنْ نِسْوَةِ الْحَىِّ قَارِصَا
٥ — أَتَانِى وَعِيدُ الْحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ⁂ فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الْأَحَاوِصَا
٦ — فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ ـ أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ⁂ مَتَى كُنْتُ فَقْعًا نَابِتًا بِقَصَائِصَا
٧ — وَقَدْ مَلَأَتْ بَكْرٌ وَمَنْ لَفَّ لِفَّهَا ⁂ نُبَاكًا فَأَحْوَاضَ الرِّجَا فَالنَّوَاعِصَا
٨ — أَعَلْقَمَ قَدْ حَكَّمْتَنِى فَوَجَدْتَنِى ⁂ بِكُمْ عَالِمًا عَلَى الْحُكُومَةِ غَائِصَا
٩ — كِلَا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعًا دِعَامَةً ⁂ وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا
١٠ — هُمُ الطَّرَفُ النَّاكُو الْعَدُوِّ وَأَنْتُمُ ⁂ بِقُصْوَى ثَلَاثٍ تَأْكُلُونَ الْوَقَائِصَا
١١ — تَبِيتُونَ فِى الْمَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ ⁂ وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا
١٢ — يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوعٍ خِلَالَ مَخَافَةٍ ⁂ نُجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

(١ — ٣) الخيص القليل ، والخائص مثله ، توكيد له . جردت نزعت عنها ثيابها فأصبحت عاريه . الخميصة كساء أسود مربع مخطط بخطين ، شبه به شعرها . الجريال الذهب شبه به جسمها فى ملاسته وبريقه . دلامص لماع . تقمر الظباء تصيدها فى القمراء ، وتقمر المرأة تزوجها . قضاعية لأنها تزوجت رجلا من قبيلة قضاعة . نشصت المرأة على زوجها فهى ناشص كرهته وملت صحبته .

(٤ — ٦) أقصده السهم أصابه فلم يخطئه . الحوص ضيق العينين ، والحوص هم بنو الأحوص قوم علقمة . عبد عمرو زعيمهم وهو عبد عمرو بن الأحوص . لو للتمنى أى هلا نهيتهم . الفقع الأبيض الرخو من الكمأة . والكمأة نبات يقال له شحمة الأرض وهو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق لونه إلى الغبرة ، يضرب به المثل فى الذل ، لأنه يجتنى بسهولة أو لأن الأقدام تدوسه ، قصائص جمع قصيصة وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة .

(٧ — ٩) اللف (بكسر اللام) الجماعة من الناس والحزب . غائصا من الغوص وهو التعمق فى المعرفة . الدعامة عماد البيت . والدعامتان الخشبتان تنصب عليهما البكرة فوق البئر .

(١٠ — ١٢) نكأ العدو قتل فيهم وجرح وأثخن . أقصى الشىء آخره وأبعده . الوقائص والوقائذ المكسورة الأعناق ، أى أنهم يأكلون الميتة من البهائم التى سقطت فكسرت عنقها . المشتى بيت الشتاء أو زمن الشتاء . الغرثان والخميص الجائع الضامر البطن .

١٣ — ففيم وعيدك ؟ أتوعدنى اتكالا على شرف ابن عمك (عامر) أن جاش بحره ، وبحرك ساكن راكد لا يوارى أحقر الديدان ؟

١٤ — فلو كنتم نخلا ما كنتم إلا حثالة التمر ، ولو كنتم نَبْلاً ما كنتم إلا أردأ السهام .

١٥ — وإنما قذف بك فى أقصى القوم وفضل الناسَ عليك مراتب ودرجات ، أنك خامل لا تأخذ بأسباب المجد .

١٦ — فعض وجه الأرض بفيك إن كنت ساخطاً . أو عض أحجار (الكلاب) الراسية .

١٧ — فأن تتهددنى أتهددك بمثل ما تهدد ، وأزيد على التهدد ما يبقى أثره ويؤلم لذعه .

١٨ — شِعْراً يذهب مذهب الأمثال ، ويظهر فى جلدك كالرقعة زيدت فى عرض القميص .

١٩ — وليس عداؤنا بالجديد . فقد كان كبيرنا وكبيركم إذا التقيا عدوين متباعدين يتقاذفان ويتراميان .

٢٠ — وما أظن أن الحروب الطويلة التى تركَبُ فيها الإبل وتجنَبُ الأفراس فتتقدمها ، تركت بيننا من المودة ما نحرص على استبقائه .

٢١ — فهل كنتم إلا عبيداً ؟ وهل أنتم حين يُعَدُّ الصديق إلا مخادعون كذابون يبدو الحقد فى عيونكم الخُوصِ الغائرة ؟

٢٢ — وما أرى نكوصكم عن حقكم سيجديكم نفعاً ، يوم لا ينبغى للكريم أن ينكص على عقبيه .

٢٣ — فأن قدر لقومى وقومك أن يلتقيا ، فسترى قتالا مريرا تتكسر فيه الرماح ويكثر فيه الطعان .

٢٤ — وإن لنا من القوة والثروة لما يجعلنا حقيقين أن نثيرها حربا شعواء . فما كننا فى وادى (العَرْض) مليئة بالنخيل والزروع وعلف الدواب .

٢٥ — تشرف من بينها قصورنا الباذخة التى يقصر الطير عن بلوغ شُرُفاتها ويعشش فيها الحمام .

١٣ — أَتُوعِدُنِى أَنْ جَاشَ بَحْرُ ٱبْنِ عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِى الدَّعَامِصَا
١٤ — فَلَوْ كُنْتُمُ نَخْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً ... وَلَوْ كُنْتُمُ نَبْلًا لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَا
١٥ — رَمَى بِكَ فِى أُخْرَاهُمُ تَرْكُكَ الْعُلَى ... وَفَضَّلَ أَقْوَامًا عَلَيْكَ مَرَاقِصَا
١٦ — فَعَضَّ جَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا ... بِفِيكَ وَأَحْجَارَ ٱلْكُلَابِ الرَّوَاهِصَا
١٧ — فَإِنْ تَتَّعِدْنِى أَتَّعِدْكَ بِمِثْلِهَا ... وَسَوْفَ أَزِيدُ الْبَاقِيَاتِ ٱلْقَوَارِصَا
١٨ — قَوَافِىَ أَمْثَالًا يُوَسِّعْنَ جِلْدَهُ ... كَمَا زِدْتَ فِى عَرْضِ الْقَمِيصِ الدَّخَارِصَا
١٩ — وَقَدْ كَانَ شَيْخَانَا إِذَا مَا تَلَاقَيَا ... تَدُورَانِ شَتَّى يَرْمِيَانِ الْفَرَائِصَا
٢٠ — وَمَا خِلْتُ أَبْقَى بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... عِرَاضُ الْمَذَاكِى الْمُسْنِفَاتِ الْقَلَائِصَا
٢١ — فَهَلْ كُنْتُمُ إِلَّا عَبِيدًا وَإِنَّمَا ... تُعَدُّونَ خُوصًا فِى الصَّدِيقِ لَوَامِصَا
٢٢ — تَخَامُصُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ غَيْرُ طَائِلٍ ... عَلَى سَاعَةٍ مَا خِلْتُ فِيهَا تَخَامُصَا
٢٣ — فَإِنْ يَلْقَ قَوْمِى قَوْمَهُ تَرَ بَيْنَهُمْ ... قِتَالًا وَأَكْسَارَ الْقَنَا وَمَدَاعِصَا
٢٤ — أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعِرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا ... نَخِيلًا وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصَا
٢٥ — وَذَا شُرُفَاتٍ يَقْصُرُ الطَّيْرُ دُونَهُ ... تَرَى لِلْحَمَامِ ٱلْوُرْقِ فِيهِ قَرَامِصَا

(١٣ — ١٥) جاش البحر غلا بالماء واضطرب . ساج ساكن لقلة مائه . الدعامص جمع دعموص (بضم الدال) وهى دودة سوداء تكون فى الغدران إذا قل ماؤها . الجرامة حثالة التمر . المعاقص جمع معقص (بكسر الميم) وهو السهم المعوج أو الذى انكسر نصله . مراقصاً لعله تحريف مراهصاً والمرهصة المنزلة والمرتبة .

(١٦ — ١٨) جديد الأرض وجهها من الجدد وهو الغلظ . الكلاب موضع . الرواهص من الصخور المتراصفة الثابتة ، والواحدة راهصة . الباقيات القصائد التى تبقى على ألسن الرواة ولا تنسى . أمثالا يقصد ذائعة تسير سيرورة المثل . الدخارص واحدها دخرص (بكسر الدال والراء) أصله فارسى ، وهو كل رقعة تزاد فى ثوب أو دلو لتوسعه .

(١٩ — ٢١) الشيخ كبير القوم . قوم شتى من قبائل متفرقة . الفريصة لحمة بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع . المذاكى من الخيل التى قد بلغت أسنانها . المسنفات المتقدمات . القلائص الابل . وكانوا فى غاراتهم يركبون الابل ويسوقون أمامها الخيل فلا يركبوها إلا إذا قاربوا موضع الغارة حتى لا يتعبوها ويجهدوها ، لينزلوا بها إلى القتال موفورة القوة والنشاط . خوص جمع أخوص وهو الذى ينظر بشق عينيه بغضاً أو عداوة . لوامص جمع لموص وهو الكذاب الخداع .

(٢٢ — ٢٥) تخامصكم عن حقكم تحامقكم عنه وترككم له . غير طائل غير مجد . المداعص الرماح . العرض واد باليمامة وهى موطن الأعشى . الفصفصة (بكسر الفاء) نبات تعلفه الدواب . يقصر الطير دونه لاتبلغه لعلوه وارتفاعه . الورقاء الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة . القرموص الوكر والعش .

— ٢٠ —

يتصل موضوع هذه القصيدة بموضوع القصيدة (١٠) فهما فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى ، أحد سادة بنى جحدر (ربيعة بن ضبيعة) ، وهم أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى(١).

والأعشى يتناول فى هذه القصيدة بعض بنى فزارة بالهجاء ، مصغراً من شأنهم ، حاطاً من قدرهم ، مقارناً بينهم وبين أشراف قومهم. والظاهر أن هؤلاء الذين يهجوهم من (فزارة) كانوا يعينون بنى جحدر على قوم الأعشى .

وهذا النوع من الشعر يدخل فى الشعر السياسى كما عرفه الجاهليون ، حين كان الوطن لا يتجاوز القبيلة .

وتصور هذه القصيدة الشعر القبلى . الذى ينطق فيه الشاعر بلسان قبيلته . ويحتاج الذى يتصدى لمثل هذا القصد إلى الاحاطة بالأنساب والأخبار وتكثر فى مثل هذا اللون من الشعر الاشارات التاريخية للأفراد والوقائع . بما يجعله أشبه بالسرد التاريخى وتقرير الواقع فى كثير من مواضعه . ولكنه تاريخ ضيق الأفق والنطاق . لأنه لا يتجاوز نطاق القبيلة كما قدمنا .

يقدم الأعشى لقصيدته بمقدمة طويلة ، يتغنى فيها بصاحبته (عُفَارة) وبذكريات شبابه ، فيقول :

١ ــ أى جارة كنت لى ياصاحبتى ، وأى حزن أورثتنى من بعْدك !

٢ ــ كانت ترضيك بتدللها وبجهالها الذى تخالطه السذاجة وحداثة السن .

٣ ــ تبدو بشرتها بيضاء فى النهار ، فإذا دخل المساء وتطيبت بالطيب بدت صفراء كأنها نور (العرَار)

٤ ــ أسرت قلبك حين بدت من وراء الستارة تبتسم ومن خلفها سريرها المزين الوثير .

٥ ــ بقوامها الحسن الذى جمع بين الطول وجمال التنسيق .

٦ ــ تتثنى فى ثوبها المشقوق الذى يكشف عن ذراعيها ، وقد ائتزرت فوقه بملْحَفَتِها كأنها النشوان .

٧ ــ ....

٨ ــ ....

٩ ــ وتتيه بجيدها الصقيل الطويل وكأنه جيد غزال ، ووجهِها الفاتن النضير .

١٠ ــ أسنانها صافية كالبلور، تبرق أطرافها، ويشفى لثمها المتيم ،ويثلج لوعته وحرارته.

١١ ــ كأنها أوراق زهر (الأُقحوان) البيضاء ، قد صفى لونها ، وارتفع ساقها ، وقد نبتت فى منخفَض استقر فيه الماء .

١٢ ــ وتسترسل غدائر شعرها الأسود على كفَلِها الوثير الرجراج.

---

(١) راجع القصيدة (١٠)

وَقَالَ يَهْجُو شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِيّ :

(مجزوء الكامل)

١ — يَا جَارَتِي مَا كُنْتِ جَارَهْ ... بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَارَهْ
٢ — تُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ ... حُسْنٍ مُخَالِطُهُ غَرَارَهْ
٣ — بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَا وَصَفْـ ... ـرَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَهْ
٤ — وَسَبَتْكَ حِينَ تَبَسَّمَتْ ... بَيْنَ الْأَرِيكَةِ وَالسِّتَارَهْ
٥ — بِقَوَامِهَا الْحَسَنِ الَّذِي ... جَمَعَ الْمَدَادَةَ وَالْجَهَارَهْ
٦ — تَتَمَيَّلُ النَّشْوَانِ يَرْ ... فُلُ فِي الْبَقِيرَةِ وَالْأَزَارَهْ
٧ — .... هِرَارَهْ
٨ — .... العَمِيمِ بِلَاقِصَارَهْ
٩ — وَبِجِيدِ مُغْزِلَةٍ إِلَى ... وَجْهٍ تُزَيِّنُهُ النَّضَارَهْ
١٠ — وَمَهًا تَرِفُّ غُرُوبُهُ ... يَشْفِي الْمُتَيَّمَ ذَا الْحَرَارَهْ
١١ — كَذُرَى مُنَوِّرِ أُقْحُوَا ... نٍ قَدْ تَسَامَقَ فِي قَرَارَهْ
١٢ — وَغَدَائِرٍ سُودٍ عَلَى ... كَفَلٍ تُزَيِّنُهُ الْوَثَارَهْ
١٣ — وَأَرَتْكَ كَفًّا فِي الْخِضَا ... بِ وَمِعْصَمًا مِلْءَ الْجِبَارَهْ
١٤ — وَإِذَا تُنَازِعُكَ الْحَدِيـ ... ـثَ ثَنَتْ وَفِي النَّفْسِ ازْوِرَارَهْ

(١ — ٣) ما كنت أى كنت وما فى موضع نصب خبر كان . دلت المراة على زوجها أظهرت الجرأة عليه فى تغنج ، كأنها تخالفه وما بها خلاف . الغرارة التصابى والنفلة وحداثة السن . صفراء العشية لأنها تتزين وتطلى جسمها بالزعفران والطيب . العرارة شجر له نور أصفر قدر شبر .

(٤ — ٨) الاريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . جهر مراءه بجهله وهيئته. البقيرة ثوب يشق فيلبس بلا أكمام . الازار الملحفة وكل ماستر .

(٩ — ١٢) مغزلة معها غزال ، أى غزالة ترعى ولدها ، فهو أجملها وأظهر لحنانها ووداعتها . النضارة الجمال . المها البلور . ترف تبرق . غرب كل شىء أوله وحده . المتيم الذاهب العقل . ذرى الشىء أعاليه . منور أخرج النور أو الزهر . الاقحوان نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . تسامق علا وارتفع . قرارة الماء مستقره . الكفل المؤخرة . الوثارة كثرة اللحم والطراوة .

(١٣ — ١٤) الجبارة سوار عريض . ازور عدل وانحرف .

١٣— يزين كفها الخضاب ، ويملأ معصمها السوار .

١٤— إذا نازعتك الحديث انثنت معرضة عنك فى دلال .

١٥— نائية عن هواك ، فما ترجو لحبك المكظوم فى صدرك أن يؤتى الثمار .

١٦— ولقد تعود إلى اللين والمياسرة أحياناً فتحيي فى نفسك الأمل ، ولكنها لا تلبث أن ترجع لما تعودت من الشح والإعسار .

١٧— ذهبت بلبك ثم لم تنولك منها منالا ، على طول ما صبرتَ وكتيمتَ همك مظهرا الحلم والوقار .

١٨— وما منعها أن تسخو فتثيبك على حبك وقد استطار

١٩— إلاّ أن أمرك كان هينا عليها ، وقد حال من دونها الباب واحتوتها الدار .

٢٠— ورأت الشيب وقد اشتملك فجانبه البشاشة والجمال .

٢١— فاصبر فأنك طالما أفنيت عمرك فى الخسارة .

٢٢— ولقد آن لك أن تفيق مما أنت بسبيله من الصبابة والدعارة

٢٣— بعد أن استمتعت بالحياة فى شتى ألوانها ، ولبست من نعيم العيش ما تشتهى وتريد .

٢٤— وأصبت لذات الشباب تَيّاها متبختراً ، ونعمت ناره .

٢٥— فشربتَ الراح تُسْقاها فى آنيتها وأكوابها .

٢٦— حتى إذا أخذت منك مأخذها اشتمل عليك الدوار ، وغشيتك النشوة .

وينتهى الشاعر من هذا الحديث الذى يسترجع به بعض ذكريات شبابه وقدأدركته الشيخوخة ليأخذ فيما هو بسبيله من مهاجمة خصمه ، فيبدأ ذلك ببعض من أغراهم (شيبان بن شهاب) من (بنى فزارة الذبيانى) فأعانوا (بنى جحدر) على قومه . فيقول :

٢٧— دع عنك كل ذلك واقصد لغيره ، فشيطانى (مِسْحَل) يريد اليوم أن يذيع شراً منكراً .

٢٨— يعدو على الأعداء مضيقاً عليهم ، لا يستسلم لقوة ولا يُغْلَب على أمر .

١٥ — مِنْ سِرِّكَ الْمَكْتُومِ تَنْـ   أَى عَنْ هَوَاكَ فَلاَ ثَمَارَهْ
١٦ — وَتُثِيبُ أَحْيَانًا فَتَطْـ   مَعُ ثُمَّ تُدْرِكُهَا الغَرَارَهْ
١٧ — تَبَلَتْكَ ثُمَّتَ لَمْ تُنِلْـ   كَ عَلَى التَّجَمُّلِ وَالْوَقَارَهْ
١٨ — وَمَا بِهَا أَنْ لَا تَكُو   نَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى يَسَارَهْ
١٩ — إِلَّا هَوَانَكَ إِذْ رَأَتْ   مِنْ دُونِهَا بَابًا وَدَارَهْ
٢٠ — وَرَأَتْ بِأَنَّ الشَّيْبَ جَا   نَبَهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبِشَارَهْ
٢١ — فَاصْبِرْ فَإِنَّكَ طَالَمَا   أَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِى الْخَسَارَهْ
٢٢ — وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تُفِيـ   قَ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالدَّعَارَهْ
٢٣ — وَلَقَدْ لَبِسْتُ الْعَيْشَ أَجْـ   مَعَ وَارْتَدَيْتُ مِنَ ٱلْأَبَارَهْ
٢٤ — وَأَصَبْتُ لَذَّاتِ الشَّبَا   بِ مُرَفَّلاً وَنَعِمْتُ نَارَهْ
٢٥ — وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أُسْـ   قَى مِنْ إِنَاءِ الطَّهْرَجَارَهْ
٢٦ — حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مَا   خِذَهَا تَغَشَّتْنِى ٱسْتِدَارَهْ
٢٧ — فَاعْمِدْ لِنَعْتِ غَيْرِهِ   ذَا مِسْحَلٌ يَنْعِى النَّكَارَهْ
٢٨ — يَعْدُو عَلَى الْأَعْدَاءِ قَصْـ   رًا وَهْوَ لَا يُعْطِى ٱلْقَسَارَهْ
٢٩ — وَسْمَ الْمُسْلُوبِ فَإِنَّهُ   أَبْقَى عَلَى الْقَوْمِ ٱسْتِنَارَهْ
٣٠ — .... رَهْ

(١٥ — ١٨) ثمارة من ثمر الشجر (كنصر) أى طلم ثمره . تثيب تعاود . غارت الناقه (بتشديد الراء) غرارا نقص لبنها . تبله الحب أسقمه وأتلفه . تجمل الفقير لم يظهر على نفسه المسكنة والذل . الوقار الرزانة والحلم . اليسارة السهولة والغنى .

(١٩ — ٢١) الدارة الأرض السهلة تحيط بها الجبال ، وكل موضع يدار به شيء فهو دارة . البشارة الجمال .

(٢٢ — ٢٥) أنى لك آن لك . لبس العيش خبره ولازمه ملازمة الثوب للابسه . أبر الرجل (كفرح) صلح حاله . ترفل تبختر كبرا . الطهر جارة والطهر جالة الفنجانه .

(٢٦ — ٣٠) المسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى . ينعى عليه ذنوبه أى يظهرها ويشهرها . النكر الداهية والفطنة ، وكذلك النكارة . قصره فى بيته قصرا حبسه ، وقصره على الأمر رده إليه . قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره . وسمه أعلمه بالكى . العلب (بفتح فسكون) الأثر والحز . استنارة وضوحا . و ستنار عليه ظفر به وغلبه .

٢٩ــ يترك على القوم آثاراً كحزّ المكواة ، تبقى ظاهره لاتزول .

٣٠ــ ....

٣١ــ إننا لا ينقصنا الشرف ولا تعوزنا القوة ، حين يحتاج غيرنا من الضعفاء المقصّرين إلى المدد والعون .

٣٢ــ ولانشبّه بـ(الخَشْرَمَيْن) و (مالك) و (أبى زُخَارة)

٣٣ــ و (بنى بُدَيْد) . أولئك هم أهل اللؤم والذل والهوان .

٣٤ــ ليسوا بأكفاء حين توازنهم بأخوَىْ (فزارة) الماجدين.

٣٥ــ (بدرٍ) و (حصن) ، سيدَىْ (قيس عيلان) بما ضمت من قبائل كثيرة وجماعات .

٣٦ــ ولا هم يقاسون إلى (هرم بن قُطْبَة) و (هَرِم بن سِنان) فى بيت الحكومة والفضل.

٣٧ــ ولا إلى (قيس بن زهير) ولا (الربيع بن زياد) ولا (عُمارة بن زياد) سادة عبس.

٣٨ــ ولا إلى (خارجة بن سنان) الذى حقن دماء قومه ، وتولى عنهم دفع ديات القتلى متكفلا بها (١)

ثم يتجه الشاعر إلى شَيْبان بن شِهاب الجَحْدَرِىّ الذى يتهمه بتهييج الشر بين الحيين ، وبأغراء هذا النفرمن بنى فَزَارَة ، فيقول:

٣٩ــ لقد حملتَ هؤلاء القوم على مركب صعب سينتهى بهم إلى الدمار .

٤٠ــ ولقد علمتَ ما فى الحرب من ضيق ومكاره لا أراك تصبر لها .

٤١ــ وليحبسنك هذا الضيق بأيدينا فيعصرك عصراً .

٤٢ــ ولسوف تعبس لمشهد الرماح حتى تبدو أسنانك فى فزعك ، وما تبدو لضحكٍ أو ابتسام .

٤٣ــ ولتزهقن روحك حتى تسير فوق لحيتك حين لا سبيل إلى الرجوع .

٤٤ــ ....

(١) كل من ذكرهم الشاعر فى الأبيات ٣٥ — ٣٨ من رجال عبس وذبيان المشهورين فى حرب داحس والغبراء التى جرت بينهما .

٣١— لَا نَاقِصِي حَسَبٍ وَلَا أَيْدٍ إِذَا مُدَّتْ قِصَارَهْ
٣٢— .... نِي بِالْخَشْرَمَيْـ ـنِ وَمَالِكٍ وَأَبِي زُخَارَهْ
٣٣— وَبَنِي بُدَيْدٍ إِنَّهُمْ أَهْلُ اللَّآمَةِ وَالصَّغَارَهْ
٣٤— لَيْسُوا بِعَدْلٍ حِينَ تَنْـ ـسُبُهُمْ إِلَى أَخَوَيْ فَزَارَهْ
٣٥— بَدْرٍ وَحِصْنٍ سَيِّدَيْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ الْكُثَارَهْ
٣٦— وَلَا إِلَى الْهَرِمَيْنِ فِي بَيْتِ الْحُكُومَةِ وَالْخِيَارَهْ
٣٧— وَلَا إِلَى قَيْسِ الْحِفَا ظِ وَلَا الرَّبِيعِ وَلَا عُمَارَهْ
٣٨— وَلَا كَخَارِجَةَ الَّذِي وَلِيَ الْحَمَالَةَ وَالصَّبَارَهْ
٣٩— وَحَمَلْتَ أَقْوَامًا عَلَى حَدْبَاءَ تَجْعَلُهُمْ دَمَارَهْ
٤٠— وَلَقَدْ عَلِمْتَ لَتَكْرَهَـ ـنَّ الْحَرْبَ مِنْ أَصْرٍ وَغَارَهْ
٤١— وَلَسَوْفَ يَحْبِسُكَ الْمَضِيـ ـقُ بِنَا فَتَعْتَصِرُ اعْتِصَارَهْ
٤٢— وَلَسَوْفَ تَكْلَحُ لِلْأَسِنَّـ ـةِ كَلْحَةً غَيْرَ افْتِرَارَهْ

(٣١ — ٣٥) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الأيد القوة . مدت من مد القوم أى صار لهم مددا وأغاثهم بنفسه . قصارة جمع قصيرة ، ويقصد بها الضعاف الذين يحتاجون للعون والمدد من غيرهم . مالك بن بدر الفزارى . الصغارة الهوان والذل . العدل النظير . فزارة من ذبيان ، وأخوا فزارة هما اللذان بينهما فى البيت التالى . حذيفة بن بدر صاحب داحس والغبراء . حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى الذى طلب بدم حذيفة أبيه فى حرب داحس والغبراء التى كانت بين عبس وذبيان ، وفزارة كما قلنا من ذبيان . وعبس وذبيان أبناء عم ينتهى نسبهم إلى قيس عيلان . كثره غلبه فى كثرة العدد فهو كثر (بفتح الكاف) وكثير وكثار (بضم الكاف) .

(٣٦) الهرمين هما هرم بن سنان بن حارثة المرى صاحب زهير الشاعر ومضرب المثل فى الجود ، وهرم بن قطبة بن سنان الفزارى أحد حكام قيس ، وهو أحد الذين حكموا فى منافرة عامر وعلقمة . بيت الحكومة ، الذين يحكمون بين الناس فى خصوماتهم ويلجئون إليهم لشرفهم فيرضون حكمهم . خيار الشىء أفضله .

(٣٧) قيس بن زهير من زعماء عبس ، وهو الذى راهن حذيفة بن بدر على فرسيه داحس والغبراء بفرسيه الخطار والحنفاء ، فكان ذلك سبب الحرب بين الحيين . الحفاظ الأنفة والذب عن المحارم . الربيع بن زياد أحد زعماء بنى عبس كان نديما للنعمان ملك الحيرة . عمارة بن زياد من زعماء عبس .

(٣٨) خارجة بن سنان ، تحمل بعض حمالات الحرب بين عبس وذبيان . الحمالة الغرامة والدية يحملها قوم عن قوم . وكان القتال إذا طال بين الحيين قام أحد أشراف الحى فيتعهد على نفسه بدفع ديات القتلى من الحى الآخر ، ويدفع ذلك من عنده أو يستعين بنفوذه على جمعه من الأحياء الأخرى . الصبارة الكفالة .

(٣٩ — ٤٢) الحدباء الناقة التى بدت عظامها من الهزال فهى تتعب راكبها . والحدباء السنة الشديدة ، والأمور الشاقة . الأصر الكسر والحبس . الكلوح ظهور الأسنان عند العبوس . افتر تبسم وضحك .

٤٥— ....

٤٦— وعند ذاك تعلم أنك قد أثرت الشر بما قدمت يداك ، وأطرته وقد كان راقدا .

٤٧— وعند ذاك يصدق ما ظننت وما أردت من قطع صلات القرابة . فلن تكون إلا الحرب . لااجتماع ، ولا زيادة ،

٤٨— ولا براءة لبرىء ، ولا إسجاحَ ولا انقياد ، ولا حُرْمَةَ ولا جوار .

٤٩— لن يكون بيننا إلا مفاجأة فرس طويل العنق والقوائم ، يستنفد القتالُ العلالَةَ الباقية من نشاطه ،

٥٠— أو فرسة طويلة ملساء تثب بالفارس يغطى جسمَه ورأسه الدرعُ والمِغْفَر .

٥١— تنطلق فى الصباح بفرسان كأنهم أسود (الرَّقْمَتَيْن) قد لزمت الغاب والآجام ، فى حمرتهم الدكناء

٥٢— ولقد يعلم (بنو ضبيعة) أن الشراسةَ بعضُ خلقِ الجرىء الشجاع .

٥٣— إنا لنواجه من يواجههم، ونُثْخِنُ ذا العداوة بالقتل والجراح .

٥٤— وليس قتالنا قرعا بالعصى ، ولا هو قذفا بالحجارة .

٥٥— ....

٥٦— ولكنه ضرب بالسيف الأبيض الصارم ، يتموَّج نصله بالخطوط التى تكشف عن أصالته .

٥٧— ماضى الحد بتار ، يشفى النفوس مما تجد من حرارة الحقد والغيظ .

٥٨— فلنلحقنَّك بمن سلف من (بنى مِنْقَر) و (بنى زُرَارة)

٥٩— ولنذلَّنكم فتكونون كأبناء هؤلاء الذين قتلهم (عمرو بن هند) (يوم القُصَيْبَة) فى (أُوارة)

٤٣— وَتَسِيرُ نَفْسٌ فَوْقَ لُحْـ   يَتِهَا وَلَيْسَ لَهَـا إِحَارَهْ
٤٤— وَتَرَ .... سَـارَهْ
٤٥— رَبِذِينَ فِي ٱلْأَفْزَاعِ بَيْـ   ن ....ارَهْ
٤٦— وَهُنَاكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا   قَدَّمْتَ كَانَ هُوَ ٱلْمُطَارَهْ
٤٧— وَهُنَاكَ يَصْدُقُ ظَنُّكُمْ   أَنْ لَا ٱجْتِمَاعَ وَلَا زِيَارَهْ
٤٨— وَلَا بَرَاءَةَ لِلْبَرِى   ءِ وَلَا عِطَاءَ وَلَا خُفَارَهْ
٤٩— إِلَّا عُـلَالَةَ أَوْ بُدَا   هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ ٱلْجُزَارَهْ
٥٠— أَوْ شَطْبَةٍ جَرْدَاءَ تَضْـ   بِرُ بِٱلْمُدَجَّجِ ذِي ٱلْغِفَارَهْ
٥١— تَغْدُو بِأَكْلَفَ مِنْ أُسُو   دِ ٱلرَّقْمَتَيْنِ حَلِيفِ زَارَهْ
٥٢— وَبَنُو ضُبَيْعَةَ يَعْـلُو   نَ بَوَارِدِ ٱلْخُلُقِ ٱلشَّرَاسَهْ
٥٣— إِنَّا نُوَازِي مَنْ يُوَا   زِيهِمْ وَنَنْكِي ذَا ٱلضَّرَارَهْ
٥٤— لَسْنَا نُقَاتِلُ بِٱلْعِصِ   يِّ وَلَا نُرَامِي بِٱلْحِجَـارَهْ
٥٥— .... ٱلْبِكَارَهْ
٥٦— .... ذِي   شُطَبٍ مِنَ ٱلْبِيضِ ٱلذُّكَارَهْ
٥٧— قَضِمِ ٱلْمَضَـارِبِ بَاتِرٍ   يَشْفِي ٱلنُّفُوسَ مِنَ ٱلْحَرَارَهْ

(٤٣ — ٤٥) حار يحور رجع ، وأحار الشيء رده . ربذين سراع . الأفزاع جمع فزع وهو الاغاثة ، تقول فزعناهم أى أغثناهم .

(٤٦ — ٤٨) المطارة من أطار الطائر إطارة أى نفره وجعله يطير . العطاء الانقياد من عاطى يده إذا انقاد . الخفارة (بكسر الخاء وضمها) الذمام ، من خفره أى أجاره وحماه وأمنه .

(٤٩ — ٥١) العلالة البقية من الشيء . البداهة المفاجأة. سابح فرس يسبح بيديه فى العدو . نهد ضخم القوائم . الجزارة أطراف الجزور وهى اليدان والرجلان والرأس ، سميت بذلك لأن الجزار يأخذها فهى جزارته . الشطبة الفرس السبطة اللحم .جرداء ملساء. ضبر الفرس والمقيد جمع قوائمه ووثب . المدجج المغطى بالسلاح . الغفارة المغفر الذى يلبسه المحارب فى رأسه . تغدو تنطلق فى الصباح . أكلف فى لونه حمرة تميل إلى السواد . الزارة الأجمة . الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة جانب الوادى أو مجتمع مائه .

(٥٢ — ٥٥) بنو ضبيعة فرع من بكر وهو الجد الذى يجتمع فيه الأعشى بشيبان بن شهاب الجحدرى . الوارد الجرىء والسابق والشجاع. الشراسة مصدر من شرس الرجل أتى منه الشر. وازاه قابله وواجهه . نكى فى العدو نكاية أكثر الجراح . الضرارة العداوة .

(٥٦ — ٥٧) شطب جمع شطبة (بكسر فسكون) وهى طريقة السيف أو الواحدة من الخطوط التى فى نصله . قضم الشيء (كعلم وضرب) أكله بأطراف أسنانه . المضارب جمع مضرب اسم مكان أى حد السيف .

٦٠ — فجروا على ما ألفوا من خنوع واستكانة ، ولكل عادات أمارة .

٦١ — وعصارة العود تنبيء عن نوعه . ولكل عيدان عصارة .

٦٢ — إنا لنفرض أنفسنا على المياه ونَرِدُهَا أَوَّلَ الواردين ، ولا نُسْتَذَلُّ ولا نُطرَد عليها كما تطرد الكلاب .

٦٣ — فاعرف قدر نفسك قبل أن توردها موارد الهلاك ، وانظر كيف ورطتها فى الحرج والضيق

٦٤ — فأنى زعيم بأن تعضك الحرب عضة عقوراً .

٦٥ — ولقد حلفت لتصبحن فى حيرة تعمى عليك فيها السبل جزاء بعض ظلمك الذى جنيت .

٦٦ — ولتشربن غارتنا فى الصباح كأساً من السم مرة العواقب وخيمة الآثار .

٦٧ — ولقد علمتم حين يُنْسَب كل حى ذى نعمة ويسار .

٦٨ — أنَّا عريقون فى العز والمجد ، ورثناه ثابتاً ، نحل منه فى أفضل مراتبه .

٦٩ — لنا دونكم العدد الجم الكثير . وما أرى لكم بعد ذلك عقولا .

٧٠ — فلقد كنتم لصوص ليل ، وغدا تصبحون عُزَّابًا حين تسبى نساؤكم فى الحروب .

٥٨— وَتَكُونُ فِى ٱلسَّلَفِ ٱلْمُوَا   زِى مِنْقَرًا وَبَنِى زُرَارَهْ
٥٩— أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِّلُوا   يَوْمَ ٱلْقُصَيْبَةِ مِنْ أُوَارَهْ
٦٠— فَجَرَوْا عَلَى مَا عُوِّدُوا   وَلِكُلِّ عَادَاتٍ أَمَارَهْ
٦١— وَٱلْعُودُ يُعْصَرُ مَاؤُهُ   وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَهْ
٦٢— وَلَا نُشَبِّهُ بِالْكِلَا   بِ عَلَى ٱلْمِيَاهِ مِنَ الْحَرَارَهْ
٦٣— فَٱقْدِرْ بِذَرْعِكَ أَنْ تَحِيـ   نَ وَكَيْفَ بُوِّأْتَ ٱلْقَدَارَهْ
٦٤— فَأَنَا ٱلْكَفِيلُ عَلَيْهِمُ   أَنْ سَوْفَ تُعْتَقَرُ ٱعْتِقَارَهْ
٦٥— وَلَقَدْ حَلَفْتُ لَتُصْبِحَـ   نَّ بِبَعْضِ ظُلْمِكَ فِى مَحَارَهْ
٦٦— وَلَتَصْبَحَنَّكَ كَأْسُ سُـ   مٍّ فِى عَوَاقِبِهَا مَرَارَهْ
٦٧— وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ يُنْـ   سَبُ كُلُّ حَيٍّ ذِى غَضَارَهْ
٦٨— أَنَّا وَرِثْنَا ٱلْعِزَّ وَٱلْـ   مَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ ذَا السَّرَارَهْ
٦٩— وَوَرِثْتُ دَهْمًا دُونَكُمْ   وَأَرَى حُلُومَكُمُ مُعَارَهْ
٧٠— إِذْ أَنْتُمُ بِاللَّيْلِ سُرَّ   اقٌ وَصُبْحَ غَدٍ صَرَارَهْ

(٥٨ — ٦٠) منقر بيت من سعد بن زيد مناة بن تميم منهم قيس بن عاصم المنقرى . زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان المنذر بن ماء السماء أودع عنده أصغر أبنائه، فعدا عليه زوج ابنته فقتله ، فكان ذلك سبب يوم أوارة الثانى ، إذ سار عمرو ابن هند ـ بعد وفاة أبيه المنذر ـ إلى بنى تميم ، فاتخذ لهم أخدوداً أضرم فيه النار وأحرقهم فيه . وأوارة جبل لبنى تميم . الأمارة العلامة .

(٦١ — ٦٤) اقدر بذرعك أى تس بذراعك ، يطلب إليه أن يقدر لأمور تقديراً صحيحا فيعرف أين هو منهم . تحين تهلك . بوأ المكان وتبوأه حله وأقام به . القدارة مصدر قدر عليه (بفتحتين) أى ضيق وأمسك . عقره جرحه ونحره . وعقر الفرس والابل قطع قوائمها بالسيف .

(٦٥ — ٦٧) محارة مصدر ميمى من حار يحار إذا نظر إلى الشىء فغشى عليه أو ضل ولم يهتد لطريقه . صبح القوم (كضرب) أتاهم وأغار عليهم صباحا . وصبحهم ناولهم الصبوح (بفتح الصاد) وهى خمر الصباح . الغضارة النعمة والسعة والخصب .

(٦٨ — ٧٠) أثل ماله أصله وعظمه وثبته ، والمؤثل الثابت . السرارة خالص النسب وأفضله . وسرار الوادى (بفتح السين) بطنه وأفضل مواضعه . الدهم العدد الكثير . الحلم الأناة والعقل . صرارة وصرار (بكسر الصاد) لم يتزوج ، للواحد والجمع . يقصد أن نساءهم أخذن سبايا فى الحرب .

إياس بن قبيصة الطائي يمني من (طيء) وأمه ربعية من (شيبان بن ثعلبة) ، وهي أمامة بنت مسعود (١) ، أخت هانيء بن مسعود الذي أودع عنده النعمان أسلحته قبل أن يقدم على كسرى . وكان إياس عامل كسرى على (عين التمر) وما والاها إلى (الحيرة) . وقد أطعمه كسرى أبرويز ثلاثين قرية على شاطيء الفرات ، واستعمله على الحيرة ، وما كان عليه النعمان بن المنذر ، بعد قتله (٢). وكان المنذر قد أوصاه ببنيه قبل وفاته(٣) ، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه . فمكث مملكا عليها أشهرا ، حتى اختار كسرى النعمان بن المنذر . فلما قتل النعمن جعل ملكه لإياس . وقد ظل إياس على الحيرة من بعد النعمان أربع عشرة سنة وثمانية أشهر . ولما غزا كسرى بنى بكر بعد مقتل النعمان في (ذي قار) كان إياس أحد قواده . ولما قدم عليها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ كان أحد نقباء الحيرة الخمسة الذين أبرموا معه الصلح على تسعين ومائة ألف درهم(٤) (أو ستين ألف)(٥)، فكانت أول جزية حملت من أرض المشرق وأول مال قدم به من المشرق على أبي بكر . وذكر أبو يوسف في كتاب الخراج أن إياساً ظل والياً على الحيرة حتى قدم خالد .

وقد كان إياس مترفا فيما يصور لنا التاريخ والقصص . فحسان بن ثابت يحدثنا عن نفسه في الجاهلية ، ويصف مجلسا لجبلة بن الأيهم كانت فيه عشر قيان ، خمس يغنين بالرومية على برابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة . ثم يقول إن إياس بن قبيصة كان قد أهداهن إليه (٦).

وكان أيضاً ذا جاه ومكانة يعتد بها . فهو يدخل على النعمان محتداً ينتصر لحاتم الطائي . في بعض خلاف قام بينه وبين بيت آخر من بيوت طيء ، كانت تصله بالنعمان صلة المصاهرة . فينصفه النعمان (٧).

وقد روى للأعشى في مدح إياس هذا خمس قصائد وهي : (٢١) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٥٥) ، (٧٩) .

ونظام هذه القصيدة هو النظام المألوف : غزل وذكريات للشباب من خمر ونساء ، ثم وصف للصحراء والناقة في رحلتها الطويلة الشاقة ينتهي به المدح .

وهو لا يذكر اسم صاحبته . ولكنه يشير إليها بـ (تيا) كما يفعل في كثير من غزله . يقول :

---

١ — ألا قل لـ(تَيَّاك) فيم تجمع حوائجها وأحمالها ؟ أو قد اعتزمت الرحيل فهي تشد الرحال ؟

٢ — أم أنها تفعل ذلك عن تيه ودلال ؟ فمن حق فتاة مثلها على شيخ مثلي الإعزاز والإدلال .

٣ — فقد مضى الشباب ، ومضى معه تطلاب الغانيات .

٤ — وكيف لك أن تعود ذا لِمَّة وقد ذهب شعرك . وكيف لك أمثالها من البيض الحسان !

٥ — إذا قامت راعتك بقوام مديد كأنه جريدة النخل ، وإذا قعدت برز ردفها كأنه كثيب الرمال ، رقيقة ناعمة العيش والبال .

٦ — إذا أدبرت خلتها كثيباً مركوما ، وإن أقبلت رأيت ظبيا رشيقاً .

٧ — حيثما حللت ، وفي كل منزلة بت ، يؤرق خيالها الفتان عينيك .

٨ — إنها همي وشغلي الشاغل ، فليت دارها تقرب وتواتي ! ولكنها تحل بعيداً نائية . .

٩ — يالشباب الذاهب ! رب خمر صِرْفٍ كأنها حدق العيون في صفائها ، تسرع نشوتها وفترتها إلى الشاربين

---

(١) الأغاني ٢٠ : ١٣٢ (٢) الأغاني ٢٠ : ١٣٢ ، النقائض ١٣٩ (٣) الأغاني ٢ : ١٠٦
(٤) الطبري ١ : ٦١ ، ٢ : ٥٦٠ (٥) الخراج لأبي يوسف ١٤٢ — ١٤٥ (٦) الأغاني ١٦ : ١٠ (٧) الأغاني ١٦ : ٩٦

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِيَّ :

١ — أَلَا قُلْ لِتَيَّاكَ مَا بَالُهَا ‏ ‏ أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أَحْمَالُهَا (متقارب)
٢ — أَمْ لِلدَّلَالِ فَأَنَّ ٱلْفَتَا ‏ ‏ ةَ حَقٌّ عَلَى الشَّيْخِ إِدْلَالُهَا
٣ — فَإِنْ يَكُ هٰذَا الصِّبَى قَدْ مَضَى ‏ ‏ وَتَطْلَابُ تَيَّا وَتَسْآلُهَا
٤ — فَأَنَّى تَحَوَّلُ ذَا لِمَّةٍ ‏ ‏ وَأَنَّى لِنَفْسِكَ أَمْثَالُهَا
٥ — عَسِيبُ ٱلْقِيَامِ كَثِيبُ ٱلْقُعُو ‏ ‏ دِ وَهْنَانَةٌ نَاعِمٌ بَالُهَا
٦ — إِذَا أَدْبَرَتْ لِمَتِهَا دِعْصَةً ‏ ‏ وَتُقْبِلُ كَالظَّبْيِ تِمْثَالُهَا
٧ — وَفِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ بِتُّهَا ‏ ‏ يُؤَرِّقُ عَيْنَيْكَ أَهْوَالُهَا
٨ — هِيَ ٱلْهَمُّ لَوْ سَاعَفَتْ دَارُهَا ‏ ‏ وَلٰكِنْ نَأَى عَنْكَ تِحْلَالُهَا
٩ — وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ الْفُصُوصْ ‏ ‏ سَرِيعٍ إِلَى ٱلشَّرْبِ إِنْسَالُهَا
١٠ — تُرِيكَ ٱلْقَذَى وَهْيَ مِنْ دُونِهِ ‏ ‏ إِذَا مَا تُصَفَّقُ جِرْيَالُهَا
١١ — شَرِبْتُ إِذَا الرَّاحُ بَعْدَ الْأَصِيـ ‏ ‏ لِ طَابَتْ وَرُفِّعَ أَطْلَالُهَا
١٢ — وَأَبْيَضَ كَٱلنَّجْمِ آخَيْتُهُ ‏ ‏ وَبَيْدَاءَ مُطَّرِدٍ آلُهَا
١٣ — قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا ‏ ‏ وَنُطِّقَ بِالْهَوْلِ أَغْفَالُهَا

(١ — ٣) تيا تصغير تى اسم إشارة للمفرد المؤنث . البين الفراق . حدج الأحمال شدها ووسقها ، وحدج البعير شد عليه الحدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

(٤ — ٦) العسيب الجريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . الكثيب القطعة المتراكمة من الرمل . الوهنانة من النساء التى فيها فتور وأناة ، أو الكسلى عن العمل نعما . الدعصة كثيب صغير. تمثالها صورتها وشخصها.

(٧ — ٩) الأهوال جمع هول وهو مصدر من هالت المرأة بحسنها إذا تزينت بزينة اللباس والحلى ، فهى تهول بحسنها من رآها . الصهباء الخمر . صرف لم تمزج بالماء . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين .

(١٠ — ١٣) القذى مايقع فى العين والشراب من غبار ونحوه . صفق الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو . الجريال صبغ أحمر . الراح الخمر . الأصيل وقت غروب الشمس . رفعه قدمه ، ورفعه كذلك ضد وضعه . الطلة (بالتشديد والفتح) الخمر اللذيذة ، واللذيذ من الروائح . يقال خمر طلة ورائحة طلة ، والروضة بلها الطل وهو الندى . اطرد الأمر تبع بعضه بعضا واستقام. خب طال وارتفع . الريعان السراب . الأغفال جمع غفل (بضم فسكون) وهى الأرض التى لاعلم بها .

١٠— إذا صفيت من إناء إلى إناء بدت فى حمرتها رائقة تشف عما وراءها من أقذاء .

١١— شربتها حين تطيب الخمر للشاربين بعد الشروب ، وتسطع رائحتها العبقة فتملأ الأرجاء

١٢— كم من رفيق أبيض صبيح كأنه النجم قد آخيته . وكم من بيداء يطرد فيها السراب ،

١٣— قطعتها وقت الهاجرة حين يخفق فيها الآل ويرتفع ، وتنطق بالهول مسالكها المضلة التى لا يهتدى فيها بأعلام

١٤— فوق ناقة سريعة من خيرة الهِجَان ، تأتى على مسالك الصحراء وتغتال فجاجها فَجًّا من بعد فجاج .

١٥— كأنها فى نشاطها حمار وحش ذو خطين ، يجمع القطعان من الأتن فيسوقها أمامه ويجول بها فى الصحراء .

١٦— حُولًا لا ولد لها ولا لبن ، جمعها من شتى البقاع ، واختارها على ما يحب ويشتهى ، فاتخذها حلائل لم يغرم فيها مهراً ولا مالا .

١٧— وهو على نشاطه ، عنيف فى الجمع بين هذا العدد الضخم من الضرائر ، يسوقه أمامه حيث يشاء .

١٨— إذا حال بينها وبينه دفعة من التراب ، فارتفع ستاره ذاهبا فى السماء ،

١٩— لم يرض بالقرب منها حتى يلصق رأسه بأعجازها ، فيتخذه لفكه وسادا .

٢٠— أقام ميلها وشذوذها حتى استوى له أمرها واجتمع ، فكأنه الحبل المُسْتَحْصِد المفتول .

٢١— فذلك شبيه ناقتى فى العنف والنشاط . وما تدْمِنُ السير وتديم الرحلة لسواك .

٢٢— وكم دون بيتك من تيه من الصحارى والرمال ، ومن أرض إذا قُدِّرت ميلا من ورائه أميال ،

٢٣— خيف منها على المسافرين الهلاك فى مسالكها المضلة ، وأقطارها المترامية التى تغتال الرجال .

٢٤— من عندك تعود ناقتى يا إياس ، وإليك تُقْبِل ، حين تقطع مثل هذه المسالك فى العودة والإقبال .

٢٥— وإنك لَلْفَرْدُ الذى لا نظير له فى القوم ولا مثال .

٢٦— وإنك لأبرهم باليمين إذا أقسمت ، وأفضلهم إذا عدت الأفضال .

٢٧— وإن المستجير بجواره ليعيش تحت ظله فى خير حال ، حتى ما يتمنى شيئاً وراء ما اختار له من نعمة البال .

١٤— بناجيَةٍ مِنْ سَرَاةِ ٱلْهِجَا نِ تَأْتِى ٱلْفِجَاجَ وَتَغْتَالُهَا
١٥— تَرَاهَا كَأَحْقَبَ ذِى جُدَّتَيْـ ـنِ يَجْمَعُ عُونًا وَيَجْتَالُهَا
١٦— نَحَائِصَ شَتَّى عَلَى عَيْنِهِ حَلَائِلَ لَمْ يُؤْذِهِ مَالُهَا
١٧— عَنِيفٌ وَإِنْ كَانَ ذَا شِرَّةٍ بِجَمْعِ ٱلضَّرَائِرِ شَلَّالُهَا
١٨— إِذَا حَالَ مِنْ دُونِهَا غَبْيَةٌ مِنَ ٱلتُّرْبِ فَٱنْجَالَ سِرْبَالُهَا
١٩— فَلَمْ يَرْضَ بِٱلْقُرْبِ حَتَّى يَكُون وِسَادًا لِلَحْيَيْهِ أَكْفَالُهَا
٢٠— أَقَامَ ٱلضَّغَائِنَ مِنْ دَرْئِهَا كَفَتْلِ ٱلْأَعِنَّةِ فَتَّالُهَا
٢١— فَذٰلِكَ شَبَّهْتُهُ نَاقَتِى وَمَا إِنْ لِغَيْرِكَ إِعْمَالُهَا
٢٢— وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَهْمَهٍ وَأَرْضٍ إِذَا قِيسَ أَمْيَالُهَا
٢٣— يُحَاذِرُ مِنْهَا عَلَى سَفْرِهَـا مَهَامِهُ تِيـهٌ وَأَغْوَالُهَا
٢٤— فَمِنْكَ تَؤُوبُ إِذَا أَدْبَرَتْ وَنَحْوَكَ يُعْطَفُ إِقْبَالُهَـا
٢٥— إِيَاسُ وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ لَا يُرَى لِنَفْسِكَ فِى ٱلْقَوْمِ مِعْدَالُهَا
٢٦— أَبَرُّ يَمِينًا إِذَا أَقْسَمُوا وَأَفْضَلُ إِنْ عُدَّ أَفْضَالُهَا
٢٧— وَجَارُكَ لَا يَتَمَنَّى عَلَيْـ ـهِ إِلَّا ٱلَّتِى هُوَ يَقْتَالُهَـا

(١٤ — ١٥) ناجية سريعة . سراة كل شيء خياره وأحسنه . الهجين الكريم من كل شيء . الفجاج جمع فج وهو الطريق والناحية . تغتالها تقطع غولها أى بعدها . الأحقب حمار الوحش ، سمى بذلك لبياض فى حقويه ، والحقو (بفتح الحاء) الخصر . الجدة الطريقة والعلامة والخطة فى ظهر الحمار تخالف لونه . عون جمع عانة وهى القطعة من الحمير ، اجتاله حوله عن قصده، واجتالته الشياطين صرفته عن هداه إلى ضلالتها وأخذته بأن يجول معها . واجتاله كذلك اختاره .

(١٦ — ١٨) النحوص (بفتح النون) الحائل غير الحامل . حلائل جمع حليلة وهى الزوجة . الشرة الحدة والنشاط والحرص. الضرائر جمع ضرة، وهى النساء التى يجمع بينهن زوج واحد . الشل الطرد . الغبية الدفعة من كل شيء . انجال التراب ذهب وسطع وارتفع . السربال القميص والدرع وكل ما يلبس .

(١٩ — ٢١) اللحى منبت اللحية ولكل حيوان لحيان فى كل صدغ لحى و هما الفك الأسفل . الكفل المؤخرة . الدرء الميل والاعوجاج فى القناه ونحوها . وقومت درء فلان أى عوجه . الأعنة جمع عنان وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . أعمل الناقة كلفها العمل والسير .

(٢٢ — ٢٥) المهمه الصحراء . الميل ما أحاط به البصر . السفر (بفتح فسكون) جماعة المسافرين . تيه يضل سالكها . الغول (بفتح الغين) بعد المسافة لأنه يغتال من يمر به . والغول كذلك المشقة . عدل الرجل ومعداله نظيره .

(٢٦ — ٢٧) لايتمنى عليه أى على نفسه . اقتال الشيء اختاره .

٢٨ — فهو من جواره فى حصن حصين ، وكأن بيته فى صخرة ممتنعة تُطِيف حولها الأوعال .

٢٩ — وكم من كتيبة كاملة الآلات من الأقواس والدروع تمضى فى القوم سريعة الإيغال .

٣٠ — سموت إليه بكتيبة كثيفة مَوَّارة ، فغادرت أبطالها مجندلين فيما ثار من غبار القتال .

٣١ — ولقد تحل بقومه النازلة المستغلقة التى يُعجِز ذوى الرأى فى حلها الاحتيال ،

٣٢ — فلا يزال يعالجها حتى يجد لهم منها مخرجا ، ويمضى فى إتمامها إلى غاية الكمال .

٣٣ — إذا دعوته فى الليلة المدلهمة الخطب ، التى تطول فيها الهموم وتعظم الأهوال ،

٣٤ — وجدت حامياً للمحارم حمالا لأعبائها ، يحشد على حمايتها أقصى الجهد والمال .

٣٥ — وإذا احتدمت الحرب وتوقدت نيرانها وجدت بطلا يُبْلِى أَحسن البلاء فى القتال .

٣٦ — وإذا نزلت به النازلة صبر لها غير مبال ، وإذا وهب أجزل النوال .

٣٧ — يقود الخيل فى القتال حتى يطول كر القائمين عليها وإيغالهم فى الغزو والترحال .

٣٨ — يسيرون الليل كله وقد غارت أعين الإبل وتضعضعت قواها وجفت ضروعها من الألبان .

٣٩ — وتتعالى الأصوات مختلطة بزجر الخيل بين مهيأة عليها أرسانها أو مطلقة لا قلائد عليها ولا رأسان .

٤٠ — يكف القائمون على تدبير الجيش له صفوفه ويسوونها حتى إذا حان وقت النزال ،

٤١ — انطلقت جماعاته تتدفق تدفُّقَ دلاء الماء قد انطلقت من محبسها ، فتكتسح من حان حَيْنُه وكتب عليه النكال .

٢٨ — كَأَنَّ الشُّمُوسَ بِهَا بَيْنَهُ ... يُطِيفُ حَوَالَيْهِ أَوْعَالُهَا
٢٩ — وَكَامِلَةِ الرِّجْلِ وَالدَّارِعِينْ ... سَرِيعٍ إِلَى ٱلْقَوْمِ إِيغَالُهَا
٣٠ — سَمَوْتَ إِلَيْهَا بِرَجْرَاجَةٍ ... فَغُودِرَ فِى النَّقْعِ أَبْطَالُهَا
٣١ — وَمَعْقُودَةِ ٱلْعُقْمِ مِنْ قَوْمِهِ ... قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مُحْتَالُهَا
٣٢ — تَمَمْتَ عَلَيْهَا فَأَتْمَمْتَهَا ... وَتَمَّ بِأَمْرِكَ إِكْمَالُهَا
٣٣ — وَإِنَّ إِيَاسًا مَتَى تَدْعُهُ ... إِذَا لَيْلَةٌ طَالَ بَلْبَالُهَا
٣٤ — أَخٌ لِلْحَفِيظَةِ حَمَّالُهَا ... حَشُودٌ عَلَيْهَا وَفَعَّالُهَا
٣٥ — وَفِى ٱلْحَرْبِ مِنْهُ بَلَاءٌ إِذَا ... عَوَانٌ تَوَقَّدَ أَجْذَالُهَا
٣٦ — وَصَبْرٌ عَلَى الدَّهْرِ فِى رُزْئِهِ ... وَإِعْطَاءُ كَفٍّ وَإِجْزَالُهَا
٣٧ — وَتَقْوَادُهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى يَطُو ... لَ كَرُّ الرُّوَاةِ وَإِيغَالُهَا
٣٨ — إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً وَالرِّكَا ... بُ خُوصٌ تَخَضْخَضَ أَشْوَالُهَا
٣٩ — وَتُسْمَعُ فِيهَا هَبِى وَاقْدَمِى ... وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالُهَا
٤٠ — وَنَهْنَهَ مِنْهُ لَهُ ٱلْوَازِعُو ... نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا
٤١ — أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ ٱلْقَرَى ... فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

(٢٨ — ٣١) الشموس الهضبة الصعبة المرتقى . رجل القوس ماعطف من طرفيها . ورجل السهم حرفاه ، والرجل كذلك القطعة العظيمة من الجراد . الدارعين جمع دارع ، ورجل دارع عليه درع . أوغل فى البلاد إيغالا ذهب وبالغ وأبعد . سموت إليها إلى هذه الكتيبة الضخمة وهى كتيبة الأعداء . كتيبة رجراجة من الرجرجة وهى الاضطراب والاهتزاز . النقع غبار المركة . حرب عقيم ويوم عقيم وعقام أى شديد . معقودة العقم أى خطة شديدة صارت عقيما لا يهتدى لها . والعقيم فى الأصل هى التى لا تلد .

(٣٢ — ٣٥) تم على الأمر لزمه . أتممتها أى أصلحتها . البلبال الحزن والقلق وما يشغل البال . الحفيظة الغضب فيما يجب أن يحفظ والذب عن المحارم والمنع لها عند الحرب . الحشود من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والمال والنصرة والاعانة . العوان من الحروب التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله الناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى . أجذال جمع جذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر .

(٣٦ — ٣٨) الاجزال الاكثار . الراوى من يقوم على الخيل والجمع رواة . الايغال مصدر أوغل فى السير أى أبعد . أدلجوا ساروا فى الليل . الركاب الابل والواحدة منها راحلة (من غير لفظها) . خوص جمع أخوص ، والنعل خوص (كطرب) أى غارت عينه . الخضخضة تحريك الماء ونحوه . الأشوال جمع شائلة ، وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها.

(٣٩ — ٤١) هبى واقدمى زجر للخيل تحث بها على التقدم . المرسون من الخيل الذى له رسن . والأعطال هى التى لا قلائد عليها ولا أرسان لها . الشج الشق والكسر ، وشج الأرض براحلته شجا سار بها سيرا سريعاً . الذنوب الدلو فيها ماء . القرى كل ما حبس الماء كالحوض ، وقرى الماء فى الحوض جمعه . ألوى به ذهب به . حان هلك ودنت منيته .

٤٢ــ ويعود بجيشه الظافر آخر النهار يسوق الجمال والأسلاب والأنفال .

٤٣ــ إلى بيت كريم بَذَّال ، يعتريه ما تعود من الجود ، حين يغلب على النفس الشح والإعجاب بالمـال .

٤٤ــ وليس كمن ختم البخل على عطائه ومعروفه بالخواتم والأقفال .

٤٥ــ على هذا يعيش . وما ضره لومَ الجهال وما يفترون من أقوال .

٤٦ــ يعم بعطائه عشيرته ، ويغفر زلة سفيههم إذا استطال .

٤٧ــ ولقد شُدَّتْ حبالُ بيتك من (سِنْبِسٍ) إلى ذروة العز والمجد والكمال .

٤٢ــ فَآبَ لَهُ أُصُلاً جَامِلٌ ‌ ‌ ‌ وَأَسْلَابُ قَتْلَى وَأَنْفَالُهَا
٤٣ــ إِلَى بَيْتِ مَنْ يَعْتَرِيهِ ٱلنَّدَى ‌ ‌ ‌ إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَالُهَا
٤٤ــ وَلَيْسَ كَمَنْ دُونَ مَاعُونِهِ ‌ ‌ ‌ خَوَاتِمُ بُخْلٍ وَأَقْفَالُهَا
٤٥ــ فَعَاشَ بِذٰلِكَ مَا ضَرَّهُ ‌ ‌ ‌ صُبَاةُ ٱلْحُلُومِ وَأَقْوَالُهَا
٤٦ــ يَنُولُ ٱلْعَشِيرَةَ مَاعِنْدَهُ ‌ ‌ ‌ وَيَغْفِرُ مَا قَالَ جُهَّالُهَا
٤٧ــ وَبَيْتُكَ مِنْ سِنْبِسٍ فِي الذُّرَى ‌ ‌ ‌ إِلَى العِزِّ وَٱلْمَجْدِ أَحْبَالُهَا

(٤٢ — ٤٤) أصل جمع أصيل وهو وقت غروب الشمس . جامل جمع جمل . الأسلاب والأنفال الغنائم . اعتراه ألم به وعرض له . الندى الكرم والسخاء . الماعون فى الجاهلية الاعطاء والمعروف ، وفى الاسلام الطاعة والزكاة .

(٤٥ — ٤٧) صبا الرجل مال إلى الصبوة وجهلة الفتوة . وصبا للشيء مال . ناله العطية ونال له العطية و ناله بالعطية كلها سواء . الجهال من الجهل وهى السفه والطيش . سنبس فرع من قبيلة طيء منه الممدوح . الذرى جمع ذروة وهى القمة .

نجران أحد مراكز المسيحية الثلاثة فى الجاهلية . وكان يلى أمرها بنو الحارث بن كعب، وهم قبيلة يمنية من مذحج . يقول ابن فضل الله العمرى « وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى يتبارون فى البيع وزيها وحسن بنائها ، آل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران ، فتكون دياراتهم فى المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغدران الشامخة البناء ، ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة ، وستورها الديباج ، ويجعلون حيطانها الفسافس ، وفى سقوفها الذهب »(١) وتروى كتب التاريخ أن النصرانية دخلت نجران على يد راهب اسمه (فيمون) فى قصة طويلة ذكرها صاحب السيرة (٢). وهم أصحاب الأخدود الذين أحرقهم ذو نواس حين أراد أن يهودهم فأبوا (٣) .

وقد اختلفوا فى حقيقة (كعبة نجران) التى أشار إليها الأعشى فى هذه القصيدة . فقال بعضهم إنها قبة من جلد ، وقال آخرون إنها غرفة ، وجعلها بعضهم بيعة ، وجعلها البعض الآخر ديرا كبيرا . أما ابن الكلبى فقد ذهب إلى أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لأولئك القوم (٤) وأما صاحب الأغانى فقد روى فى أمرها روايتين ، تزعم إحداهما أنها كانت بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة لها وسموها كعبة نجران . وتزعم الرواية الأخرى أنها كانت قبة من أدم سموها الكعبة ، إذا نزل بها مستجير أجير ، أو خائف آمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفد أعطى ما يريد (٥) . وتبعه فى نقل الروايتين ياقوت فى معجم البلدان ، وأضاف إلى الرواية الثانية أنها كانت قبة ضخمة من ثلثمائة جلد ، وكانت على نهر بنجران ، وكان صاحبها ينفق عليها عشرة آلاف دينار كل عام (٦) . أما ابن فضل الله العمرى فقد هول من أمرها فسماها (دير نجران) وروى أن بناءها أعجب بناء وأحسنه على نحو عمارة غمدان (٧) .

وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان أربعة مواضع بهذا الإسم : نجران اليمن التى نحن بصددها وهى بين عدن وحضرموت على القرب من صنعاء ونجران العراق على يومين من الكوفة بينها وبين واسط . وإليها انتقل أهل نجران اليمن حين أجلاهم عمر ، ونجران البحرين ، ونجران الشام وكانت فى موضع بحوران . وقال فى وصف الأخيرة إنها بيعة عظيمة عامرة حسنة ، مبنية على العمد الرخام . منمقة بالفسيفساء .

ويبدو أن هذا التعدد والتشابه فى الأسماء كان داعية إلى الخلط ، ولذلك فنحن نرجح أن ماذهب إليه ابن فضل الله العمرى كان نتيجة لاختلاط أمر نجران اليمن بنجران الشام وتشابههما عليه ، أو اختلاط أمر كعبة نجران هذه بالقليس التى بناها أبرهة فى صنعاء بالقرب من نجران ، وانفق عليها أموالا طائلة (٨) . ويؤيد ذلك أن المراجع القديمة كالأصنام والسيرة والأغانى لم تذهب إلى هذا التهويل من أمرها . ثم إنها لم تذكر فى شعر قديم . ولم يرو فيها غير هذه الأبيات للأعشى . وقد قال ابن الكلبى بعد أن ذكر مايروى من أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لأولئك القوم « وما أشبه ذلك عندى بأن يكون كذلك ، لأنى لم أسمع بنى الحرث تسموا بها فى شعر . »

وقدم وفد بنى الحارث بن كعب ، فيهم يزيد بن عبد المدان ، وعبد المسيح ، وقيس بن الحصين ، (الذين ذكرهم الأعشى فى القصيدة) سنة ١٠هـ ، فأسلموا فيما يروى الطبرى (٩) ، وامتنعوا عن الاسلام فيما يروى صاحب السيرة (١٠) ، بعد نقاش طويل فى أمر المسيح وحقيقته ، نزل فيه صدر من صورة آل عمران ، حتى دعاهم الرسول إلى المباهلة فأبوا . فصالحهم على ألفى حلة تؤدى فى شهر صفر وألف تؤدى فى رجب ثمن كل حلة منها أوقية (١١) .

وفى ديوان الأعشى — عدا هذه القصيدة — أربعة أبيات فى مدح بنى الحرث بن كعب هى القطعة (٤٢) وإشارة لهم فى آخر القصيدة (٣٢) . وفى أبيات القصيدة تقديم وتأخير . وهى مروية فى كتب الأدب بروايات يختلف فيها الترتيب باختلافها . وربما كان من الراجح أن يجى البيت (٢٦) بعد البيت (١٦) مباشرة ، فمن الطبيعى أن ينتقل الشاعر من حديث الرحلة إلى الممدوح . ومن الراجح كذلك أن تكون الأبيات (١٧ — ٢٤) بعد البيت (٩) .

والأعشى لا يصور فى صدر القصيدة امرأة من الحرائر . ولكنه يتحدث عن إحدى هذه الطبقة من الجوارى اللائى يحترفن الفجور . وذلك واضح من الأبيات (٤ — ٩) . وقد كان الاماء فى الجاهلية يساعين (أى يزنين)(١٢) . يدل على ذلك قوله تعالى « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا — النور ٣٣) أى لا تكرهوا إماءكم على الزنا لتأخذوا من أجورهن على ذلك ويدل عليه كذلك ما رواه المسعودى فى قصة استلحاق زياد إذ يقول « وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف ، تؤدى الضريبة إلى الحارث ابن كلدة . وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر ، فى محلة يقال لها حارة البغايا(١٣) »

يقول الأعشى :

١ — ألم تنه نفسك عن التصابى والمجون ؟ بلى ، فقد عاودها بعض شوقها القديم ،

٢ — لجارتنا ، حين قالت وقد رأت شعر لمتى : لك الويل ! من أين لك هذا الشيب الذميم ؟

٣ — فإن تعهدينى ولى لمة سوداء ، فقد ذهبت بها الحوادث والأرزاء .

---

(١) مسالك الأبصار ٣٥٩ (٢) السيرة ١ : ٣٢ — ٣٤ (٣) السيرة ١ : ٣٧
(٤) الأصنام ٤٥ (٥) الأغانى ١١ : ٣٨١ (٦) معجم البلدان : « نجران »
(٧) مسالك الأبصار ٣٥٩ (٨) أخبار مكة ٨٨ - ٩٠ ، معجم البلدان : « القليس »
(٩) الطبرى ٢ : ٣٨٦ (١٠) السيرة ٢ : ٢٢٢ — ٢٣٣ (١١) السيرة ، فتوح البلدان ٧٥-٧٩ ، الخراج لأبى يوسف ٧١-٧٥
(١٢) أساس البلاغة : مادة « سعى » (١٣) مروج الذهب ٢ : ٥٦ ، الفخرى ٨٠

وَقَالَ يَمْدَحُ رَهْطَ عَبْدِ ٱلْمَدَانِ بْنِ الدَّيَّانِ سَادَةِ نَجْرَانَ مِنْ بَنِي ٱلْحٰرِثِ بْنِ كَعْبٍ :

١ — أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بِهَا   بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَا   (متقارب)

٢ — لِجَارَتِنَا إِذْ رَأَتْ لِمَّتِي   تَقُولُ لَكَ ٱلْوَيْلُ أَنَّى بِهَا

٣ — فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لِمَّةٌ   فَإِنَّ ٱلْحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا

٤ — وَقَبْلَكِ سَاعَيْتُ فِي رَبْرَبٍ   إِذَا نَامَ سَامِرُ رُقَّابِهَا

٥ — تُنَازِعُنِي إِذْ خَلَتْ بُرْدَهَا   مُفَضَّلَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا

٦ — فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَا   وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

٧ — بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا   وَجَادَتْ بِحُكْمِي لِأُلْهِي بِهَا

٨ — فَطَوْرًا تَكُونُ مِهَادًا لَنَا   وَطَوْرًا أَكُونُ فَيُعْلَى بِهَا

٩ — عَلَى كُلِّ حَالٍ لَهَا حَالَةٌ   وَكُلُّ الْأَجَارِيِّ يُجْرَى بِهَا

١٠ — فَكَيْفَ بِدَهْرٍ خَلَا ذِكْرُهُ   وَكَيْفَ لِنَفْسٍ بِأَعْجَابِهَا

١١ — وَإِذْ لِمَّتِي كَجَنَاحِ ٱلْغُدَافْ   تَرْنُو الْكَعَابُ لِأَعْجَابِهَا

١٢ — وَعَنْسٍ .... السَّبَاسِبِ .. وَكَّابِهَا

١٣ — وَيَعْلُنُ مِنْهَا صَرِيفُ السَّدِيسْ   إِذَا ....

١٤ — أَكَلْتُ السَّنَامَ فَأَفْنَيْتُهُ   وَشُدَّ النُّسُوعُ بِأَصْلَابِهَا

(١ — ٣) أطراب جمع طرب وهو الشوق . اللمة الشعر الذى جاوز شحمة الأذن . ألوى بها الحوادث ذهبت بها .

(٤ — ٦) المساعاة الفجور وهو خاص بالاماء . الربرب القطيع من بقر الوحش يشبه به النساء . سامر اسم فاعل من سمر القوم اجتمعوا ليلا للحديث . مفضلة من التفضل والابتذال وهو أن تلبس الجارية ثوبا رقيقا كقميص النوم إذا خلت لنفسها وإنما تلبسه فى خدرها وخلوتها . غير جلبابها أى لا تلبس غيره مباشرا لجسمها . السبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره .

(٧ — ٩) حكمها ماحكمت به واشترطته . المهاد الفراش والأرض . وطوراً أكون أى وطوراً أكون مهاداً . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة والراء وتشديد الياء) وهى الطريقة التى يجرى عليها .

(١٠ — ١٢) الأعجاب جمع عجب (بفتحتين) وهو الاستحسان والروعة التى تعترى الانسان عنداستحسان الشىء . الغداف الغراب الأسود . الكعاب جمع كاعب وهى التامة الحسن أو التى نهد ثديها ، العنس الناقة الصلبة القوية . السباسب جمع سبسب وهى الأرض المستوية . وكاب من وكب (كضرب) مشى فى تؤدة أو قام وانتصب .

(١٣ — ١٤) يعلن يعلو ويظهر . الصريف صوت الأسنان إذا تحاكت ، السديس الناقة التى ألقت سدسها وهى الأسنان فى السنة السادسة . النسوع جمع نسع (بكسر فسكون) وهى السيور التى يشد بها الرحل . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم الظهر أو ما نسميه السلسلة الفقرية .

٤ — ولكم سعيت من قبلك ألتمس الفجور فى القطيع من البقر ، بعد أن نام السُّمَّار والرقباء .

٥ — أجاذبها إذ خلوت بها جلبابها الذى لا ثياب تحته ، وتنازعنى إياه فى إباء .

٦ — ولما التقينا على الباب ، وبسطت سبيل الوصل وبيَّنَتْ ما تطلب من جزاء .

٧ — بذلت لها ما أرادت ، فسخت بما اشتهيت منها لألهو كيف أشاء .

٨ — فطورا هى من تحتى ، وطورا أنا من تحتها ولها الإعلاء .

٩ — على كل حال لها حال ، ولك منها كل ما خطر من أساليب اللهو ببال .

١٧ — ولكم شربت الكأس على اللذات ، ثم اتبعتها بأخرى أتداوى منها بها .

١٨ — لكى يعلم الناس أنى خبير بضروب العيش ، آتى اللذات من أبوابها .

١٩ — خمر حمراء ، تشف لصفائها عما تحت قعر الكأس من مثل قذى العيون الضئيل .

٢٠ — ومن حولنا الورد والياسمين ، والزامرات بالمزامير .

٢١ — والناقرات على الدُّف لا يفترن ولا ينثنين ، فبأى هذه اللذات الثلاث يعيبنى العائبون .

٢٢ — وترى الصنج يبكى مستجيبا للدف بكاء الحزين ، مخافة أن يلومه اللائمون .

٢٣ — أبليت من عمرى ثمانين عاما ، وكذلك يزعم الحاسبون .

٢٤ — فأصبحت وقد ودعت اللهو والخمر لأصحابها من الشباب .

٢٥ — أحب (أثافت) وقت القطاف ، وحين تعصر الأعناب .

١٠ — فكيف لك بدهر قد مضى وفات ، وكيف لنفسك بما كان يروعها من اللذات العِذَاب .

١١ — أيام كان شعر لمتى كجناح الغراب ، ترنو له الحسان فى إعجاب

(١٣،١٢) ....

١٤ — أفنيت سنام ناقتى من إدمان الرحلة ، وشُدَّت فوق ظهرها السيور والحبال .

١٥ — وترى النوق وقد أدمنَّ السير طول الليل ثم وصلنه بالنهار دائبات ،

١٦ — طوالَ الأعناق ، غائرات العيون ، ناحلات البطون فى موضع الحزام .

٢٦ — ليس لها دون « كعبة نجران » من مرام ، حتى تناخ بأبوابها .

٢٧ — نزور « يزيد » و « عبد المسيح » و « قيسا » خير ساداتها .

٢٨ — إذا تموجت البرود فوق قاماتهم المديدة ، يجرون هدابها تياهين .

٢٩ — لهم غرفات تروق بهجتُها وعجيب صنعتها العيون .

١٥ــ تَرَاهُنَّ مِنْ بَعْدِ إِسْآدِهِنْ   وَسَيْرِ النَّهَارِ وَتَدْآبِهَا
١٦ــ طِوَالَ الْأَخَادِعِ خُوصَ الْعُيُونْ   خِمَاصًا مَوَاضِعُ أَحْقَابِهَا
١٧ــ وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ   وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
١٨ــ لِكَىْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّى امْرُؤٌ   أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا
١٩ــ كُمَيْتٍ يُرَى دُونَ قَعْرِ ٱلْإِنَى   كَمِثْلِ قَذَى ٱلْعَيْنِ يُقْذَى بِهَا
٢٠ــ وَشَاهِدُنَا الْوَرْدُ وَالْيَاسَمِيـ   ـنُ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا
٢١ــ وَمِزْهَرُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ   فَأَىُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا
٢٢ــ تَرَى الصَّنْجَ يَبْكِى لَهُ شَجْوَهُ   مَخَافَةَ أَنْ سَوْفَ يُدْعَى بِهَا
٢٣ــ مَضَى لِى ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلِدِى   كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَّابِهَا
٢٤ــ فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَا   بِ وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا
٢٥ــ أُحِبُّ أُثَافِتَ وَقْتَ ٱلْقِطَافْ   وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا
٢٦ــ وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْـ   ـكِ حَتَّى تُنَاخِى بِأَبْوَابِهَا
٢٧ــ نَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ ٱلْمَسِيحِ   وَقَيْسًا هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا
٢٨ــ إِذَا ٱلْحَبَرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ   وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا
٢٩ــ لَهُمْ مَشْرَبَاتٌ لَهَا بَهْجَةٌ   تَرُوقُ ٱلْعُيُونَ بِتَعْجَابِهَا

(١٥ — ١٨) الاسآد سير الليل كله . الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى العنق ، وهما أخدعان ، عرقان فى صفحتى العنق . خوص غائرة العينين . الخمص الجوع ويقصد به الضمور . الأحقاب جمع حقب (بفتحتين) وهو شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، ويقصد به موضع الحزام من بطن الناقة .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب للسواد . الانى الاناء قصر المد للتخفيف . القذى ما يسقط فى العين أو فى كأس الخمر من الغبار ونحوه . المسمعات الجوارى التى تغنى . قصاب جمع قاصب وهو الزامر فى القصب، وهو غاب أجوف له ثقوب يلعب عليها الزامر بأصابعه . المزهر العود ويسمى البربط أيضا (بفتح الباءين) ، والمزهر كذلك ، وقد يطلق على الدف الكبير ينقر عليه وهو المشهور . أزرى به وأزرى عليه عابه .

(٢٢ — ٢٦) الصنج دوائر صغار من النحاس تعلق بالأصابع وتنقر عليها الراقصة . الشجو الهم والحزن والشوط من البكاء . دعا فلانا بمكروه أنزله به . الخندريس الخمر القديمة ، قيل هى لفظة عربية وقيل إنها يونانية معربة . أثافت قرية باليمامة كثيرة الكروم يقال إن الأعشى كان يعصر فيها الخمر وله معصر له .

(٢٧ — ٢٩) الحبرات جمع حبرة (بثلاث فتحات) وهى ضرب من برود اليمن . الهداب الخيوط التى تبقى فى طرف الثوب ، أو هو طرف الثوب . المشربة أرض لينة دائمة النبات . وهى كذلك الغرفة لأنهم يشربون فيها ، أو هى العلية والصفة والمشربة .

— ٢٣ —

يتجه الأعشى بهذه القصيدة إلى أبناء عمومته (بنى جحدر) ، وهى تتصل بالقصيدتين السابقتين (١٠) ، (٢٠) اللتين هجا فيهما شيبان ابن شهاب الجحدرى . وللأعشى بعد هذا قصيدة أخرى فى بنى جحدر ، هى القصيدة (٥٣) ، وكل هذه القصائد تصور ما كان بين الحيين القريبين من علائق لا يسودها الوئام . والقصيدة خير ما يمثل هذا اللون من الشعر القبلى الذى يتصل بأبناء العمومة الأقربين ، فيتراوح بين العنف واللين ، ويجمع بين الغضب والحنين ، والاباء والوفاء .

يقول الأعشى :

١ — عفت أطلال « ميثاء » ، وقد تعاورتها ريح الصَّبا بما تحمل من أمطار .

٢ — فوقفت عند ساحتها بما بقى فيها من رماد أبكى ؛ فلا يجيبنى داثر الآثار .

٣ — أبكى على « ميثاء » إذ كان أهلها وأهلى متقابلى الديار ، وإذ يسعى رسولها بيننا بالأخبار .

٤ — وإذ أظن الحب المستقر فى قلبى دائماً من الدهر ، لا يبليه الليل والنهار .

وينتقل الأعشى من هذه المقدمة القصيرة ، التى تلائم ماهو مقبل عليه ، من تصوير الأسى على انقطاع ما بين أبناء العمومة من ود لم يكن ينبغى أن ينقطع ، ليقول :

٥ — صرفنى عنك يا « مَيْثَاءَ » ـ لو تعلمين ـ شئون متدافعة ، لم ينزل بسواى خَطْبُها الجليل .

٦ — مصارع إخوان ، وفخر أبناء عمومة علينا ، كأنهم من قبيل ونحن من قبيل .

ويمضى الشاعر مناقشا فى رفق ولين فيقول :

٧ — تعالوا ياقوم فإن الحق واضح كالفرس السوداء المعلمة الأرجل ببياض التحجيل ، فهى متميزة لا تخفى بين الخيول .

٨ — تعالوا نتعاط الحق بيننا ، حتى تعرفوا على أينا يقع اللوم ، إذا قيس الإحسانُ بالإحسان والجميلُ بالجميل .

ثم لا يلبث أن تدركه الشدة ويثور ، فيقول :

٩ — فإن لم تقبلوا فشأنكم وما تريدون . ولتمدكم « الهُجَيْم » و « مازن » ، و « شَيْبان » معنا برجالها ، وهم كثير غير قليل .

١٠ — أولئك حكام العشيرة كلها وساداتها ، وقوامها عند كل خطب ثقيل .

١١ — إن دعوتهم يوما لنصرى ، أتتنى منهم الكتائب والخيول ، مأمونة الخَذُول .

وَقالَ فى الحَرْبِ الَّتى كَانَتْ بَيْنَهُ وبين الحَرْقَتَيْنِ يُعَاتِبُ بَنِى مَرْثَدٍ وَبَنِى جَحْدرٍ

١ — لِمَيْثَاءَ دَارٌ قَدْ تَعَفَّتْ طُلُولُهَا ... عَفَتْهَا نَضِيضَاتُ الصَّبَا فَسِيلُهَا (طويل)

٢ — لِمَا قَدْ تَعَفَّى مِنْ رَمَادٍ وَعَرْصَةٍ ... بَكَيْتُ وَهَلْ يَبْكِى إِلَيْكَ مُحِيلُهَا

٣ — لِمَيْثَاءَ إِذْ كَانَتْ وَأَهْلُكَ جِيرَةً ... رِئَاءٌ وَإِذْ يُفْضِى إِلَيْكَ رَسُولُهَا

٤ — وَإِذْ تَحْسِبُ الحُبَّ الدَّخِيلَ لَجَاجَةً ... مِنَ الدَّهْرِ لَا تُمْنَى بِشَىْءٍ يُزِيلُهَا

٥ — وَإِنِّى عَدَانِى عَنْكِ لَوْ تَعْلَمِينَهُ ... مَوَازِئُ لَمْ يُنْزِلْ سِوَاىَ جَلِيلُهَا

٦ — مَصَارِعُ إِخْوَانٍ وَنَخْرُ قَبِيلَةٍ ... عَلَيْنَا كَأَنَّا لَيْسَ مِنَّا قَبِيلُهَا

٧ — تَعَالَوا فَإِنَّ العِلْمَ عِنْدَ ذَوِى النُّهَى ... مِنَ النَّاسِ كَالبَلْقَاءِ بَادٍ حُجُولُهَا

٨ — نُعَاطِيكُمُ بِالحَقِّ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... عَلَى أَيِّنَا تُؤْدِى الْحُقُوقَ فُضُولُهَا

٩ — وَإِلَّا فَعُودُوا بِالْهُجَيْمِ وَمَازِنٍ ... وَشَيْبَانُ عِنْدِى جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا

١٠ — أُولَئِكَ حُكَّامُ العَشِيرَةِ كُلِّهَا ... وَسَادَاتُهَا فِيمَا يَنُوبُ وَجُولُهَا

١١ — مَتَى أَدْعُ مِنْهُمْ نَاصِرِى تَأْتِ مِنْهُمُ ... كَرَادِيسُ مَأْمُونٌ عَلَىَّ خُذُولُهَا

١٢ — رِعَالًا كَأَمْثَالِ الْجَرَادِ لِخَيْلِهِمْ ... عُكُوبٌ إِذَا ثَابَتْ بَطِىءٌ نُزُولُهَا

١٣ — فَإِنِّى بِحَمْدِ اللهِ لَمْ أَفْتَقِدْكُمُ ... إِذَا ضَمَّ هَمًّا إِلَىَّ حُلُولُهَا

١٤ — أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ ... وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا

(١ — ٣) النضيضة المطر القليل، والريح التى تنض بالماء فيسيل، أو هى الضعيفة. الصبا الريح الشرقية. تعفى انطمس. العرصة ساحة الدار، وهى كذلك البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء. محيل داثر مطموس. قوم رئاء يقابل بعضهم بعضا. ودورهم رئاء أى متقابلة متراثية. أفضى إليه وصل إليه وأصله أنه صار فى فضائه.

(٤ — ٦) داء دخيل داخل فى أعماق البدن. اللجاجة التمادى فى العناد إلى الفعل المزجور عنه. منى بالأمر أصيب به. عدانى صرفنى. موازئ من وزأ القوم أى دفع بعضهم عن بعض ووزأت الناقة به صرعته. الجليل العظيم.

(٧ — ٩) النهى العقل. فرس بلقاء سوداء الجسم فى أرجلها بياض، والحجول هو هذا البياض. عاطاه أخذ منه وأعطاه. تبين الشىء عرفه وتحققه. تؤدى من أداه أى أوصله والأداء الإيصال والقضاء. الفضول جمع فضل وهو الزيادة والاحسان، وفضل الزمام طرفه. جمها كثرتها. حفيلها جماعتها.

(١٠ — ١٢) الجول جدار البئر الذى يمسكها من التهدم والانهيار. الكراديس جمع كردوسة (بضم الكاف) وهى القطعة العظيمة من الخيل. خذولها أى خذلانها (وهو مصدر غير مذكور فى المعاجم). رعال جمع رعيل وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك. عكوب غبار وأصوات من عكبت الابل أى ازدحمت واعتكب الغبار ثار. ثابت رجعت.

(١٣ — ١٤) افتقد الشىء طلبه عند غيبته. حلول جمع حال اسم فاعل من حل المكان أى نزل به. بسل حرام، وهو من الأضداد يطلق على الحرام والحلال، ولذلك بينه بقوله (محرم) بعده. حليلها زوجها.

١٢— جماعات كثيفة كأنها الجراد ، تثير خيولُها حين تندفع الغبارَ ، فينعقد فى الجو عالياً بطىء النزول ، لا يكاد يزول .

١٣— إنى بحمدالله فى غنى عنكم ، لاأفتقدكم حين تغيبون ، إذا اجتمعت علىَّ (هَمَّام) بماضمت من جماعات وقبيل .

ويعود الشاعر إلى هدوئه ، مناقشاً نقاش الذى يريد أن يلزم خصمه الحجة فيقول :

١٤— أتحلون لأنفسكم ما تحرمون علينا ؟ جارتكم حرام علينا ، وجارتنا حِلٌّ لكم وزوجُها الحليل !

١٥— فأن كان هذا ما تحكمون ، فذَلَّ إذنْ من يرضى بحكمكم من قبيل .

ثم يعود إلى شدته فيقول :

١٦— إنى أقسم برب الساجدين فى العشيات ، ورب راهب النصارى يدق الناقوس ،

١٧— لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم ، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة فى المخاض.

١٨— ....

١٩— ولو تدبرتم أمركم لا نتهيتم عنا ، وقد كان فيكم جماعات من القتلى ، لاتزال جثثهم مبعثرة فى ميدان القتال ، لم يوسَّدوا فى القبور .

٢٠— وإن ذلك الذى يسمى للقتل ظلماً ليُعدُّ جريمة لا سبيل إلى التحلل منها .

٢١— تحدثه نفسه أنا لسنا أقوياء ، ولسنا له بأكفاء .

٢٢— ويخبركم « حمران » أن بناتنا سيُهْزَلْن من الجوع ، إذا لم ترتفع العيرُ إلينا بالمؤَن والطعام .

٢٣— فَعيرُكم أذل ، وأرضكم على ماتعلمون من الجدب والمَحْل .

٢٤— فأن حُلْتُمْ بيننا وبين « المشقَّر » و « الصفا » ، فنخيل « الخَطِّ » جم لا ينفد .

٢٥— ولنا « دُرْنَى » يُحْمَل إلينا كلَّ عشية منها الخمرُ ولَيِّن الطعام .

٢٦— وإنكم لتأكلون دم الفصيد ، ونغدو أولادنا الشحم واللبن الغزير .

٢٧— أبالمَوْت تخوفنى « عِبَاد » ، والموت يسعى دليلُه بين الناس ؟

٢٨— فما ميتة إن متُّها غَيْرَ ذليل بعار ، إذا غال نفسى ما يغول الأعمار .

١٥— فَأَنْ كَانَ هذَا حُكْمُكُمْ فى قَبِيلَةٍ ... فَأَنْ رَضِيتْ هذا فقلّ قَليلُهَا
١٦— فَأَنِّى وَربِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً ... وَمَا صكَّ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبيلُهَا
١٧— أُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبُولُهَا
١٨— .... أما يُحِيلُهَا
١٩— تَنَاهَيْتُمُ عنَّا وَقَدْ كَانَ فِيكُمُ ... أَسَاوِدُ صَرْعَى لَمْ يُوَسَّدْ قَتِيلُهَا
٢٠— وَإِنَّ امْرَءًا يَسْعَى لِيَقْتُلَ قَاتِلاً ... عَدَاءً مُعِدٌّ جَهْلَةً لَا يُقِيلُهَا
٢١— وَلَسْنَا بِذِى عِزٍّ وَلَسْنَا بِكُفْئِهِ ... كَمَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهَا وَدَخِيلُهَا
٢٢— وَيُخْبِرُكُمْ حُمْرَانُ أَنَّ بَنَاتِنَا ... سَيَهْزَلْنَ إِنْ لَمْ يَرْفَعِ العِيرَ مِيلُهَا
٢٣— فَعِيرُكُمْ كَانَتْ أَذَلَّ وَأَرْضُكُمْ ... كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ جَدْبُهَا وَمُحُولُهَا
٢٤— فَأَنْ تَمْنَعُوا مِنَّا الْمُشَقَّرَ وَالصَّفَا ... فَأَنَّا وَجَدْنَا الْخَطَّ جَمًّا نَخِيلُهَا
٢٥— وَإِنَّ لَنَا دُرْنَى فَكُلَّ عَشِيَّةٍ ... يُحَطُّ إِلَيْنَا تَمْرُهَا وَجَمِيلُهَا
٢٦— فَأَنَّا وَجَدْنَا النِّيبَ إِنْ تَفْصِدُونَهَا ... يُعِيشُ بَنِينَا سِيئُهَا وَجَمِيلُهَا
٢٧— أَبِالْمَوْتِ خَشَّتْنِى عِبَادٌ وَإِنَّمَا ... رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا
٢٨— فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ... بِعَارٍ إِذَا مَاغَالَتِ النَّفْسَ غُولُهَا

(١٥ — ١٨) الأبيل الراهب ، من أبلت الابل (كضرب) إذا توحشت وانفردت ليس معها راع . تبوءوا تعودوا . يسرتها سهلت ولادتها وأعانتها فيها . القبول المرأة التى تستقبل الولد عند الولادة .

(١٩ — ٢١) الأساود الجماعة من الناس الكثير . عداء ظلما . أقال الرجل البيع فسخه ، وأقال الله عثرته صفح عنه .

(٢٢ — ٢٥) الميل قدر امتداد البصر من الأرض . العير الابل لا واحد لها من لفظها . المحول الجدب . المشقر والصفا مدينتان فى البحرين قرب هجر (المشهورة بالتمر) وفيهما حصنان قديمان يقال إنهما من بناء طسم وبينهما نهر يجرى يقال له « العين » الخط جزيرة بالبحرين وهى التى تنسب إليها الرماح . درنى قرية باليمامة ، واليمامة موطن الأعشى . الجميل ما الازمن الطعام .

(٢٦ — ٢٨) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . فصدها شق جلدها ليستخرج الدم ، وكانوا يأكلونه إذا جمد ، وقد نهى عنه الاسلام بقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) تفصدونها كان حقها الجزم لأنها فعل الشرط . السىء (بكسر السين) اللبن الذى ينزل قبل الحلب ويكون فى أطراف الأخلاف لغزارته . الجميل الشحم المذاب . خشتنى خوفتنى . غير عاجز غير ضعيف . غولها ما يغتالها من الهلاك .

(٢٤)

تروى هذه الأبيات فى هجاء رجل يمنى زعم جامع ديوان الأعشى أنه من قضاعة ، وروى الأصفهانى وابن قتيبة أنه من كلب (١)

وكان هذا الرجل قد أصاب الأعشى أثناء عودته من بعض غاراته ، فأسره وهو لايعرفه ، ثم إنه نزل ضيفا على شريح بن السموءل فى حصنه المسمى الأبلق فى تيماء . فاستغاث الأعشى بشريح . فاستوهبه من هذا الرجل ، فوهبه له . فأكرمه شريح وأعانه على العودة لقومه .

ويقول صاحب الأغانى إن الأعشى هجا الرجل بالبيتين قبل أن يأسره ، فلما علم بعد إطلاقه أنه الأعشى ، ندم على مافعل ، وأراد أن يسترجعه فوجد شريحاً قد أطلقه .

ويقول جامع الديوان إن الأعشى إنما هجا الرجل بالبيتين بعد أن أطلقه شريح فلامه فى ذلك ، فكف عنه ولم يزد .

وهؤلاء الذين ذكرهم الشاعر فى البيتين رجال من أشراف كلب . وهو يقول لعمرو بن ثعلبة هذا إنه لاينتسب لواحد من هؤلاء ، وأنه دونهم شرفا . وهذا أسلوب جاهلى معروف فى الهجاء اشتهر به الحطيئة ، ونهاه عنه عمر لما يستتبع من إثارة العداوة والتنافس بين الأهل والأقرباء .

(٢٥)

يذهب صاحب الأغانى إلى أن شريحاً الذى مدحه الأعشى بهذا الشعر هو ابن السموءل ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء (٢) . أما ثعلب فقد نسبه فى ديباجة هذه القصيدة هكذا : شريح بن حصن بن عمران بن السموءل بن حيا بن عاديا . وعلى ذلك فالسموءل جد أبيه . وأكمل الأصفهانى بقية نسبه فقال : عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . وربما كانت رواية ثعلب أشبه بالصواب ، لأن الأصفهانى رد قول الذين وصلوا عاديا بعمرو مزيقيا بعد ثلاثة آباء ، محتجاً بأن الأعشى أدرك ابنه شريح بن السموءل ، وبأن عمرو مزيقيا أقدم من ذلك (٣) .

والسموءل يهودى كان ينزل فى « تيماء » ببادية الشام . كان بها حصنه المعروف « الأبلق » الذى أشار إليه الأعشى فى هذه القصيدة ، وكان مبنيا بحجارة بيضاء وحجارة سوداء . وكان له حصن آخر فى « دومة الجندل » اسمه « مارد » ، وكان مبنياً بحجارة سوداء . وكانت العرب تنزل بالسموءل فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، وتقيم هناك سوقا (٤) .

وقد اشتهر السموءل حتى ضرب به المثل ، بسبب هذه القصة التى فصلها الأعشى فى شعره . فقد زعموا أن امرأ القيس أودع عند السموءل دروعه وسلاحه قبل أن يقصد إلى قيصر فى رحلته المشهورة . فلم تزل عنده حتى أتاه الحارث بن ظالم (أو الحارث بن شمر الغسانى) فطلبها منه . فامتنع عليه السموءل وتحصن فى حصنه . وكان للسموءل ابن قد خرج للصيد ، فصادفه الحارث فى عودته واتخذه رهينة عنده ، وخير السموءل بين أن يدفع إليه وديعة امرىء القيس أو يقتل ابنه ، فأصر على إبائه . فقتل الحارث ولده الذى عنده . وأدى السموءل الوديعة إلى أهل امرىء القيس .

ولسنا نحب أن نتعرض لمناقشة هذه القصة بما فيها من مبالغة تخرج عن المألوف . ولكنا نلاحظ أن شعر الأعشى قد فصل هذه القصة تفصيلا لانجده فى غيره من الشعر الجاهلى الذى بين أيدينا . وهو تفصيل يطابق ما يروون من هذه القصة فلا يخرج شىء منها عنه . بما يكاد يوحى إلى قارئها أنها مستنبطة منه . ثم إنهم يروون أن الأعشى قد ارتجل هذه الأبيات حين مر به شريح ، متحرماً به ، متوسلا إليه أن لا يتركه ، كما يبدو من البيت الأول . وليس يستقيم مع هذه الرواية أن يقول الأعشى كل هذه الأبيات ، ولم يكن المقام مقام تفصيل . ولا كان المقصود نظم القصة وتدوينها على هذا النحو الذى يشبه الشعر التعليمى . ومع كل ذلك فالقصيدة ضعيفة البناء مهلهلة النسج .

ولسنا نقصد بهذا إلى إنكار القصة برمتها . ولكنا نميل إلى القول بأن أبيات الأعشى قد لا تتجاوز البيت السادس . وأن باقى القصيدة من إضافة الرواة .

يقول الأعشى :

١ — لا تتركنى اليوم ياشريح فى سيور القيد بعد أن علقت أظفارى بحبالك .

٢ — فلقد طوفت الآفاق ، وترددت بين « بانقيا » و « عدن » وبلاد العجم .

---

(١) الأغانى ٦ . ٣٢٣ ، ٩ : ١١٨ الشعر والشعراء ٢١٧

(٢) الأغانى ٩ : ١١٨ ، ١٩ : ٩٨

(٣) الأغانى ١٩ : ٩٨

(٤) الأغانى ، بلوغ الأرب ١ : ٢١٠ ، ٢١١

(٢٤)

وَقَالَ الأَعْشَى يَهْجُو عَمْرَو بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ الحْرِثِ القُضَاعِيّ :

١ — بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ وَلَسْتَ مِنَ الْكِرَامِ بَنِي العُبَيْدِ (وافر)
٢ — وَلاَ مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ وَلاَ مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ

(٢٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ شُرَيْحَ بْنَ حِصْنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيَا :

١ — شُرَيْحُ لَا تَتْرُكَنِّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ حِبَالَكَ ٱلْيَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أَظْفَارِي (بسيط)
٢ — قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بَانِقْيَا إِلَى عَدَنٍ وَطَالَ فِي ٱلْعُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسْيَارِي
٣ — فَكَانَ أَوْفَاهُمُ عَهْدًا وَأَمْنَعُهُمْ جَارًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ
٤ — كَالْغَيْثِ مَا ٱسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ ٱلْمُسْتَأْسِدُ الضَّارِي
٥ — كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذْ سَارَ ٱلْهُمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
٦ — جَارُ ٱبْنِ حَيَّا لِمَنْ نَالَتْهُ ذِمَّتُهُ أَوْفَى وَأَمْنَعُ مِنْ جَارِ ٱبْنِ عَمَّارِ
٧ — بِٱلأَبْلَقِ ٱلْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ
٨ — إِذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ مَهْمَا تَقُلْهُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ
٩ — فَقَالَ ثُكْلٌ وَغَدْرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَٱخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

(١ — ٣) القد السير من الجلد غير المدبوغ ، كان يربط به الأسير . أظفاري فاعل علقت . العرف ما استقر في النفوس وقبلته الطباع .
(٤ — ٦) الذمة العهد والأمان والضمان . الهمام هو الحرث بن أبي شمر الغساني أو هو الحارث بن ظالم على خلاف بين الرواة . حيا أبو السموءل .
(٧ — ٩) الأبلق حصن السموءل . الفرد الذي لا نظير له . الخسف الذل . حار ترخيم حارث .

٣ — فلم أر كأبيك وفاء للعهد وحماية للجار . ذلك مشهور معروف ، غير مدافع ولا منكور .

٤ — إذا سئل العطاء انهمر كالغيث ، وإذا أعطى عهده دافع عنه دفاع الأسد المفترس .

٥ — كن لي وفياً ، وفاء (السموءل) إذ سار له (الحارث) في جحفل جرار كسواد الليل ، لا تدرك العين مداه.

٦ — ومن نال عهد (ابن حيّا) ولجأ إلى جواره ، فهو آمن إلى منعته ووفائه .

٧ — منزله من « تيماء » في « الأبلق » الذي لا شبيه له ، حصن حصين ، وجار غير غدار .

٨ — خيَّره (الحارث) بين أمرين كلاهما ذل . فأجابه : قل ما شئت يا حارث فأنى مصغ إليك .

٩ — فقال : اختر لنفسك بين الثكل والغدر . وما فيهما حظ لمختار

١٠— فتردد طويلا ثم قال : اذبح أسيرك ، فقد قررت أن أمنع جاري ولا أغدر به .

١١— وإن لي خَلفَاً من ولدي إن قتلته ـ وإن كنتَ إنما تقتل كريماً غير ضعيف ولا جبان ـ

١٢— مالا كثيراً ، وعرضاً ناصعاً غير ذي دنس ، وإخوة مثله غير أشرار .

١٣— ورثوا عني أدبا جما لا يخالطه طيش أو حمق ، وحنكة وتجربة إذا شمرت الحرب للقتال .

١٤— وسوف يُعْقِبُني خَلَفًا منه ـ إن قتلته ـ ربٌّ كريم ، ونساء بيض وَلُودَات.

١٥— أرعى ودهن ، فهو عندي غير مضيع ولا مشوب بكدر . ويكتمن ما أستودعهن من أسرار .

١٦— فقال ـ تَقَدِمَةً لما عزم عليه من أمر فظيع ـ إذ هم به ليقتله : أشرف سموءل ! فانظر للدم الجاري .

١٧— أأحبس ابنك حتى الموت ، أم تجيئني طوعا بوديعة امرىء القيس ؟ فأنكر السموءل مايقول أيما إنكار.

١٨— فشك الحارث عروق رقبته بالسيف . وصدرُ أبيه ينطوي على ألم موجع لاذع كالنار .

١٩— واختار أن يحفظ وديعته من الدروع ، حتى لا تكون سبة فيه . وكان لعهده وفيا غير غدار ،

٢٠— وقال : لا أبيع شرفي وذكري بين الناس لأشتري العار .

٢١— وقديماً كان الصبر منه عادة وخلقاً ، وكان أسرع الناس إلى الوفاء وحفظ الجار .

١٠ — فَشَكَّ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُم قَالَ لَهُ   اذْبَحْ هَدِيَّكَ إِنِّى مَانِعٌ جَارِى

١١ — إِنَّ لَهُ خَلَفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ   وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عُوَّارِ

١٢ — مَالًا كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذِى دَنَسٍ   وَإِخْوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارِ

١٣ — جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّى بِلَا نَزَقٍ   وَلَا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ

١٤ — وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ   رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ

١٥ — لَا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ضَائِعٌ مَذِقٌ   وَكَاتِمَاتٌ إِذَا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِى

١٦ — فَقَالَ تَقْدِمَةً إِذْ قَامَ يَقْتُلُهُ   أَشْرِفْ سَمَوْءَلُ فَانْظُرْ لِلدَّمِ الْجَارِى

١٧ — أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صَبْرًا أَوْ تَجِىءُ بِهَا   طَوْعًا فَأَنْكَرَ هَذَا أَىَّ إِنْكَارِ

١٨ — فَشَكَّ أَوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ فِى مَضَضٍ   عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا كَاللَّذْعِ بِالنَّارِ

١٩ — وَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ أَنْ لَا يُسَبَّ بِهَا   وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَّارِ

٢٠ — وَقَالَ لَا أَشْتَرِى عَارًا بِمَكْرُمَةٍ   فَاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ

٢١ — وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلُقٌ   وَزَنْدُهُ فِى الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِى

(١٠ — ١٢) الهدى الأسير . العوار الضعيف الجبان .

(١٢ — ١٥) النزق الخفة والطيش . أغمار جمع غمر (بفتح فسكون) وهو الأبله الذى لم يجرب الأمور . وبيض يقصد زوجاته ، ذات أطهار إشارة إلى أنهن فى سن وحالة ينتظر معها الولد ، والأطهار أيام طهر المرأة من الحيض ، أى أنهن يلدن له غيره إن مات . السر النكاح ، يكنى به عما بينه وبينهن من عشرة وود . مذق اللبن والشراب مزجه فأكثر ماءه ، ومذق الود شابه بكدر ولم يخلصه .

(١٦ — ١٨) الصبر الحبس ، وصبره على القتل حبسه ورماه حتى يموت . أوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق فى صفحة العنق يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .

(١٩ — ٢١) ختار غدار . ثقبت النار اتقدت ، وكذلك ورت .

يتصل الكلام عن هذه القصيدة بحديث (ذى قار) ، وهى واقعة مشهورة كانت بين الفرس وبين بكر ، هزمت فيها جيوش كسرى شر هزيمة، فكان ذلك أول نصر أحرزه العرب على الفرس . وسأفصل الكلام عن هذه الواقعة فى القصيدة (٣٤) .

أما قيس بن مسعود الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، فهو أحد أشراف بكر المشهورين . وقد عظم أمره بعد أن ولاه كسرى الأبلة (وهى بلد على شاطىء دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى الموضع الذى بنيت عليه البصرة بعد ذلك)

روى صاحب الأغانى أن بكراً جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد قيس بن مسعود على كسرى ، فسأله أن يجعل له أجراً ، على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى (الأبلة) وما والاها . فكان يأتيه من يأتيه من بكر فيرضيهم ، حتى قدم الحارث بن وعلة (من ذهل بن ثعلبة) والمكسر بن حنظلة (من عجل بن لجيم) ، فاستقلا عطاءه ، واستغويا رجالا أغاروا بهم على السواد . فلما بلغ ذلك كسرى حنق عليه واستدعاه ، فحبسه بساباط حتى مات(١). والأصفهانى يذهب فى هذه الرواية إلى أن قيس بن مسعود قد رحل إلى كسرى قبل وقعة ذى قار .

ويخالفه فى ذلك الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه . فهم يروون أن قيس بن مسعود كان لا يزال والياً لكسرى عند غزوه بكرا . وقد أمره كسرى أن يوافى جيوشه ويصحبها فى غزوها . فسار إلى قومه سراً فأعلمهم بقدوم الجيوش ، وأشار عليهم برأيه . فلما هزم جيش كسرى ، وعلم بما فعل قيس استدعاه فسجنه حتى مات (٢) . وقد روى ابن الأثير أنه سار مع جيوش كسرى كما أمره ، ولم يذكر شيئاً عن مسيره إلى قومه وإشارته عليهم ، ولا عن رحلته لكسرى وسجنه .

وقصيدة الأعشى التى بين أيدينا تنفى ما يذهب إليه أبو الفرج ، وتؤيد رواية الطبرى وابن الأثير والعقد الفريد . فهى تشير إلى أن قيس بن مسعود قد سار مع جيوش كسرى فى يوم (ذى قار) ، ثم رحل بعد ذلك إليه حين استدعاه . والأعشى يلومه على مسيره إليه ويسفه رأيه ، ويقول له إن قومه كانوا كفيلين بحمايته وإغنائه عن كسرى . وهو يأخذ عليه رحلته إليه طالباً رضاه ، بعد الذى سفك من دماء قومه فى يوم ذى قار .

يقول الأعشى :

١ — ياقيس بن مسعود ـ وأنت امرؤ تعاق (وائل) عليك الآمال ، وترجو فى حياتك وشبابك الخير !

٢ — أتخيب آمالنا فيك مرتين فى عام واحد ؟ فتصحب كسرى فى غزوه قومك ، ثم ترحل إليه بعد الذى كان بيننا وبينه ؟ ألا ليتك مت ساعة ولدت ، وغرقتك القوابل فى الماء الذى يكون مع الجنين .

٣ — وليت بيننا وبينك البحر ، أو ليتك كنت متاعا تافهاً ملقى فى عرض الطريق ، تجرى عليه السيول فتكتسحه وتجرفه .

٤ — لكأنك لم تشهد القتلى الكثيرين من أشراف قومك المقربين إلى الملوك ، وقد بُعْثِرَت جثهم فى الصحراء ، تعيث فيهم الضباع والذئاب .

٥ — تركتهم صرعى عند موارد الماء ، وأقبلت تصالح كسرى وتطلب رضاه . ثكلتك أمك من رجل !

٦ — أتصُرُّ خيامَك ، وتجمع متاعك من (جبل الأَمْرَار) لأَملٍ عرض لك ، ونبأً سمعته ، أنَّ وادى (الأَشَافى) قد أخصب وسال بالأمطار ؟

٧ — ما أتفه أمرك علينا إذن . وما أهون أن يبلغنا عنك أنك مت أو قتلت ، فصفِرَ وِطَابُك، وجف سقاؤك من اللبن ، حين سرت إلى كسرى محتملا متاعك .

---

(١) الأغانى ٢ : ١٢٦ (٢) الطبرى ١ : ٦٠٨ ، ٦٠٩ — ابن الأثير ١ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ — العقد الفريد ٦ : ١١٣

وَقَالَ لِقَيسِ بْنِ مَسْعُودِ بنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ الشَّيْبَانِيّ حِينَ وَفَدَ على كِسْرَى بَعْدَ ذِي قَار :

(طويل)

١ — أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ

٢ — أَطَوْرَيْنِ فِي عَامٍ غَزَاةٌ وَرِحْلَةٌ ... أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ القَوَابِلُ

٣ — وَلَيْتَكَ حَالَ ٱلْبَحْرُ دُونَكَ كُلُّهُ ... وَكُنْتَ لَقًى تَجْرِي عَلَيْهِ السَّوَائِلُ

٤ — كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ قَرَابِينَ جَمَّةً ... تَعِيثُ ضِبَاعٌ فِيهِمُ وَعَوَاسِلُ

٥ — تَرَكْتَهُمُ صَرْعَى لَدَى كُلِّ مَنْهَلٍ ... وَأَقْبَلْتَ تَبْغِي الصُّلْحَ أُمُّكَ هَابِلُ

٦ — أَمِنْ جَبَلِ ٱلْأَمْرَارِ صُرِّتْ خِيَامُكُمْ ... عَلَى نَبَأٍ أَنَّ ٱلْأَشَافِيَّ سَائِلُ

٧ — فَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَجِفَّ وِطَابُكُمْ ... إِذَا حُنِيَتْ فِيهَا لَدَيْهِ الزَّوَاجِلُ

٨ — ....هرمُتَرَاحِلُ

٩ — لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ لَوْ كُنْتَ رَاضِيًا ... قِبَابٌ وَحَيٌّ حِلَّةٌ وَقَنَابِلُ

(١ — ٣) القوابل جمع قابل وهى المرأة التى تتلق المولود عند الولادة . غرقته فى ماء السلى . السوائل جمع سائل وهو السيل .

(٤ — ٦) القرابين جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله . يقصد القتلى فى الحروب . غاث الشىء وعاث فى الشىء أفسده . عواسل جمع عاسل وهو الذئب ، والعسلان فى الأصل الاضطراب . المنهل مورد الماء . هابل ثاكل . الأمرار جبال . الأشافى وادى فى بلاد بنى شيبان . سائل أى سائل بالأمطار هذا مثل ضربه الشاعر ، لأن أهل جبل الأمرار لا يرحلون إلى الأشافى ينتجعونه لبعده ، إلا أن يجدبوا كل الجدب ويبلغهم أنه مطر وسال .

(٧ — ٩) الوطاب جمع وطب (بفتح فسكون) وهو سقاء اللبن . جفت وطابه وصفرت كذلك أى مات وقتل فأصبحت وطابه بغير لبن لأنه لا يأكل ولا يشرب حتى جفت . الزواجل جمع زاجل وهو عود يكون فى طرف الحبل يشد به الوطب . قباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة الكبيرة . الحلة القوم الحلول فيهم كثرة . القنابل جمع قنبل وقنبلة (بفتح القاف والباء) وهى الطائفة من الناس والخيل .

٨ — ....

٩ — ولو أنك قنعت بقومك ورضيت ، لقد كان فيهم قباب ضخمة ، وجماعات كثيرة ، وطوائف من الخيل والرجال .

١٠ — وكتائب ضخمة تموج بما ازدحم فيها من فرسان ، ومن سلاح يرد بريقه عين الناظر عشواء ، وأفراس جياد ، تحيط بها كرائم الإبل ونجائب الجمال .

١١ — ولكنك تركت قومك سفهاً ، وأنت كبيرهم وعميدهم . فلا بلغني عنك خبر ، ولا سمعت عنك نبأ .

١٢ — أى شر قد جنيت على نفسك حين رحلت إليه ، فجُرِّدت مما جمعت من ثروة ومال ، ولم تك إلا كالمغزل ، ليس له مما يغزل شيء ، ولا يتراكم عليه الغزل إلا ليجرد منه من جديد ، فإذا هو عار سليب .

١٣ — لقد شفى النفسَ ما قتلنا من رجال تفرقت جثثهم فى غربتهم لا يضمها قبر ، ولا يبكى عليها نادب ، ولا يعض عليها إصبعه صديق .

١٤ — بعينيك قد أبصرتهم يوم الحنْو فى (ذى قار) ، إذ غَشِيَتْهم فى الصباح كتائبُ تحمل الموت ، لا يمنعها عنهم لوم اللائمين ، ولا يكف شرها نصح الناصحين .

(٢٧)

الحارث بن وعلة هو أحد رجال بنى رقاش بن ذهل بن ثعلبة . وذهل بن ثعلبة . هم إخوة قيس بن ثعلبة الذين ينتهى إليهم بيت الأعشى فى سعد بن ضبيعة . والحارث هو جد المضين بن المنذر صاحب راية على يوم صفين . وقد كان — كما ذكرنا فى التعليق على القصيدة السابقة — أحد الذين أغاروا على السواد فى ولاية قيس بن مسعود ، ونقضوا عهده لكسرى ولم يحترموه . وهاهو ذا يغير على إبل قوم اجتمعوا بجوار بعض قبائل بكر ، فينقض عهدهم مرة أخرى ولا يحترمه . فيهجوه الأعشى متهدداً بهذه القصيدة . وللأعشى قصيدة أخرى فى هجائه ، هى القصيدة (٣٠) . وله بعد ذلك قصيدة ثالثة لم يتفرغ فيها لهجائه ، ولكنه قدم به لمدح هوذة ، وهى القصيدة (٧) ، التى مضى ذكرها . والظاهر أن الأعشى كان يقدم على الحارث مسترفدا حتى هجاه . فلما قدم عليه يسأله قال : ولا كرامة . ألست القائل « آلا من مبلغ عنى حريثاً » تهجونى وتصغرنى ثم تسألنى ؟ وحرمه . فقال الأعشى فى ذلك القصيدة (٧) التى شهر فيها ببخله ، مقارنا بينه وبين كرم هوذة .

يقول الأعشى :

١ — ألا من يحمل عنى رسالة إلى « حُرَيْث » ـ الذى يتعجل لنفسه الموت إذ يزدرينا ـ فيسأله : أحان حَيْنُه ، أم استخف بأمرنا واستهان ؟

٢ — فأنا قد أقمنا فى وادى « الرِّداع » حين فشلتم وأعوزتكم الجرأة والثبات للإقامة فيه ، لا نبالى أمر من يبغينا بالعدوان .

١٠ — وَرَجْرَاجَةٌ تُعْشِى النَّوَاظِرَ فَخْمَةٌ ... وَجُرْدٌ عَلَى أَكْنَافِهِنَّ الرَّوَاحِلُ
١١ — تَرَكْتَهُمُ جَهْلًا وَكُنْتَ عَمِيدَهُمْ ... فَلَا يَبْلُغَنِّى عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
١٢ — وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ... كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ ٱلْمَغَازِلُ
١٣ — شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُهَا ... وِسَادًا وَلَمْ تُعْضَضْ عَلَيْهَا ٱلْأَنَامِلُ
١٤ — بِعَيْنَيْكَ يَوْمَ الْحِنْوِ إِذْ صَبَّحَتْهُمْ ... كَتَائِبُ مَوْتٍ لَمْ تَعُقْهَا ٱلْعَوَاذِلُ

(٢٧)

وَقَالَ يَهْجُو الحَارِثَ بْنَ وَعْلَةَ حِينَ أَغَارَ عَلَى إِبِلِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ جِيرَانِ بَكْرٍ:

١ — أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى حُرَيْثًا ... مُغَلْغَلَةً أَحَانَ أَمِ ٱزْدَرَانَا (وافر)
٢ — فَأَنَّا قَدْ أَقَمْنَا إِذْ فَشِلْتُمْ ... وَإِنَّا بِالرِّدَاعِ لِمَنْ أَتَانَا
٣ — مِنَ النَّعَمِ الَّتِى كَحَرَاجِ أَبْلٍ ... تَحُشُّ ٱلْأَرْضَ شِيمًا أَوْ هِجَانَا
٤ — وَكُلُّ طُوَالَةٍ شَنِجٍ نَسَاهَا ... تَبُدُّ بَدَا ٱلْمَعَارِقِ وَٱلْعِنَانَا

(١٠ — ١٢) كتيبة رجراجة تموج من كثرتها وكثرة ما عليها من الحديد. تعشى تعمى العينين لشده بريق آلاتها. الرواحل جمع راحلة وهى النجيب الصالح لأن يرحل من الابل، والقوى على الأسفار. الأكناف جمع كنف (بفتحتين) وهو الجانب، كانوا يركبون الابل فى الغارات البعيدة ويجنبون الخيل، فاذا قاربوا الأعداء ركبوا الخيل. عميد القوم سيدهم ورئيسهم. الوفر الثروة والغنى. تمر من أمر الحبل والخيط أى فتله.

(١٣ — ١٤) شفى النفس أراحها وسرها. وسده دفنه أو وسده التراب فى قبره. الأنامل أطراف الأصابع. تعض من الغيظ أو الأسف. صبحه هاجمه فى الصباح. عذله لامه وزجره ونهاه فهو عاذل وهم عواذل.

(١ — ٣) حريث هو الحارث يصغره تحقيراً له. رسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد. غلغل إليه رسالة بعث بها إليه محمولة من بلد إلى بلد. حان وقع فى الهلاك. أقمنا ثبتنا. الرداع واد. النعم الابل. الحراج الشجر الملتف. أبل جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع. تحش تأكل، شيما جمع شامة وهى الناقة السوداء. تقول ماله شامة ولا زهراء، أى ليس له ناقة سوداء ولا بيضاء. الهجان من الابل البيض الكرام يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع.

(٤) الطوالة الطويلة الظهر. تشنج تقبض. والنسا عرق من الورك إلى الفخذ. وفرس شنج النسا منقبضه، وذلك أقوى له وأشد لأنه إذا تشنج لم تسترخ رجلاه. بد (كعلم) تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمها. وبده (كنصر) فرقه والبداة (بالفتح) الكفأة والتراب. والعرقة (بفتح) هى الطرق فى الجبال والمعنى على هذا انها تبدد التراب وتثيره فى مسالك الجبال، ويصعب على راكبها أن يحتفظ بالعنان فى يده لطول عنقها ولعل بدا تخفيف للبدة (بالكسر) وهى الطاقة. والمعارق جمع معراق وهو الشد، والمعنى على هذا أن نشاطها يفوق طاقة العدو وطاقة الزمام.

٣ — لنا إبل ضخمة كثيرة ، كأنها أدغال « أيل » الملتفة الأشجار ، قد انتشرت ترعى الأرض بين سُودٍ وبيض هِجَان .

٤ — ولنا كل فرس طويلة الظهر ممدودة القوائم ، تبدد لنشاطها وقوة أرجلهـا تراب المسالك بين الجبال وتثيره ، ويصعب على راكبها لطول عنقها أن يحتفظ فى يده بالعنان .

٥ — ولنا كل جواد أملس من فحول الخيل كريم ، يلمع جلد خاصرته ، كأنه قد طلى بزيت أو دهان .

٦ — يقوم على حمايتنا جيش ضخم ، يضطرب بما حوى من الدروع والرجال ، يتقدم الحى كأنه الإيوان .

٧ — فلا وأبيك لن تنال منّا ما حيينا إلا الطعان

٨ — وإلا كلّ رمح أسمر صلب ، كأن قناته لمرونتها من خيزران .

٩ — وإلا كل صقيل يتموج متنه ، يقدُّ الفقَارَ إذا علا الأعناق .

١٠ — أكب عليه فتَانَا « أبو عَجْلان » يوماً كاملا ، يصقله بمصقلتيه غير متُوان .

١١ — وظل العرق يتساقط عليه من صفحتى وجهه إذ يجد شفرتيه ، فما ألان .

١٢ — إننا لا نعطى ما نعطى إلا راضين مختارين . وليس يستطيع أحد أن يحملنا على مايتمنى ويريد ، كائناً من كان .

١٣ — فلسنا بالقليلى السلاح ، فنسأمَ الحرب إذا التقى الجمعان .

١٤ — يسوق لنا « عبدُ عمرو » « قلابةَ » ويثيرهم علينا ، ليرمينا بهم فيمن يبغينا بالعدوان .

١٥ — ولو انتظروا حربنا وغارتنا ، لعرفوا كيف نُضَيّفُ الضيفان بالطعان .

١٦ — إنا نحل « الصُّلَيْب » و « بَطْن فَلْج » جميعاً ، نوقد بها النيران .

١٧ — فيرتفع لظاها فى النهار بالدخان . ولا نستخفى على الذى يبغينا من ذوى الأضغان .

١٨ — فأن يسأل عنا « أبو عمران » ، فأنى أقسم بالنجوم ، لو أنا برزنا للعيان .

١٩ — لصاح النادبات عليه من قومه والأخدان ، « لقد حانت مَنِيَّتُه وحان ! »

٥ — وَأَجْرَدَ مِنْ فُحُولِ ٱلْخَيْلِ طِرْفٍ   كَأَنَّ عَلَى شَوَاكِلِهِ دِهَانَا
٦ — وَيَحْمِي ٱلْحَيَّ أَرْعَنُ ذُو دُرُوعٍ   مِنَ ٱلسُّلَّافِ تَحْسَبُهُ إِوَانَا
٧ — فَلَا وَأَبِيكَ لَا نُعْطِيكَ مِنْهَا   طِوَالَ حَيَاتِنَا إِلَّا سِنَانَا
٨ — وَإِلَّا كُلَّ أَسْمَرَ وَهْوَ صَدْقٌ   كَأَنَّ ٱللِّيطَ أَنْبَتَ خَيْزُرَانَا
٩ — وَإِلَّا كُلَّ ذِي شُطَبٍ صَقِيلٍ   يَقُدُّ إِذَا عَلَا ٱلْعُنُقَ ٱلْجِرَانَا
١٠— أَكَبَّ عَلَيْهِ مِصْقَلَتَيْهِ يَوْمًا   أَبُو عَجْلَانَ يَشْحَذُهُ فَتَانَا
١١— فَظَلَّ عَلَيْهِ يَرْشَحُ عَارِضَاهُ   يُحِدُّ ٱلشَّفْرَتَيْنِ فَمَا أَلَانَا
١٢— وَلَا نُعْطِي ٱلْمُنَى قَوْمًا عَلَيْنَا   كَمَا لَيْسَ ٱلْأُمُورُ عَلَى مُنَانَا
١٣— وَلَا كُشُفٌ فَنَسْأَمَ حَرْبَ قَوْمٍ   إِذَا أَزِمَتْ رَحًى لَهُمُ رَحَانَا
١٤— يَسُوقُ لَنَا قِلَابَةَ عَبْدُ عَمْرٍو   لِيَرْمِيَنَا بِهِمْ فِيمَنْ رَمَانَا
١٥— وَلَوْ نَظَرُوا الصَّبَاحَ إِذًا لَذَاقُوا   بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَا قِرَانَا
١٦— وَإِنَّا بِالصُّلَيْبِ وَبَطْنِ فَلْجٍ   جَمِيعًا وَاضِعِينَ بِهَا لَظَانَا
١٧— نُدَخِّنُ بِالنَّهَارِ لِتُبْصِرِينَا   وَلَا نَخْفَى عَلَى أَحَدٍ بَغَانَا
١٨— فَإِنْ يَحْتَفْ أَبُو عِمْرَانَ عَنَّا   فَإِنَّا وَالثَّوَاقِبِ لَوْ رَآنَا
١٩— لَقَالَ ٱلْمُعْوِلَاتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ   لَقَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ وَحَانَا

(٥ — ٨) الطرف الكريم من الخيل . الشاكلة الخصر . الأرعن الجيش الذى يضطرب لكثرته . سلاف العسكر متقدمته . الاوان بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه ، (وهو فارسى معرب) . الليطة شجرة يصنع منها القوس والقناة. الصدق الصلب المستوى من الرماح .

(٩ — ١٢) الشطبة (بضم الشين) طريقة السيف فى صفحته وتموج ربقه . الجران مقدم العنق . المصقلة ما يجلى به السيف ويكشف صداه . فتانا بدل من (أبو عجلان) . العارض صفحة الخد . شفرة السيف حده .

(١٣ — ١٦) كشف جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب . أزمه عضه . وأزم عليهم الدهر اشتد . نظروا انتظروا . الصباح يوم الغارة . القرى إضافة الضيف ، وهو يقصد هنا النكاية بالعدو . اللظى النار أو لهيبها .

(١٧ — ١٩) يحتفى يستخبر، حفى عنه أكثر السؤال عن حاله . الثواقب النجوم ،شهاب ثاقب ونجم ثاقب شديد الاضاءة . المعولات النادبات يعولن والعويل البكاء .

هذه هي القصيدة الوحيدة في ديوان الأعشى . التي رويت له في مدح النعمان بن المنذر . وقد سقط اسم الممدوح من ديباجة هذه القصيدة في الأصل وفي طبعة أوربا . فجاءت هكذا (. . . وقدم النابغة وزهير وعلقمة بن عبدة فمدحوه ومدحه الأعشى) ثم جاء في نهاية القصيدة (وفضل النعمان يومئذ الأعشى عليهم بهذا الشعر) . وليس في القصيدة مايدل على اسم الممدوح . ولكننا استدللنا على أنها في مدح النعمان بما جاء في نهاية القصيدة، وبما جاء في خزانة الأدب للبغدادي ، إذ روى البيت (١٢) من هذه القصيدة ، وقال إنه من قصيدة للأعشى في مدح النعمان بن المنذر .

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة من آل المنذر . وهو الذي غضب عليه كسرى أبرويز بن هرمز ، لمكيدة دبرها له زيد بن عدى ، انتقاماً منه لقتله أباه عدى بن زيد قبل ذلك فقتله . وقد اختلفوا في قتله ، فقيل إنه سجنه في سجن (خانقين) الذى خنق فيه عدى بن زيد من قبل ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات . وقيل إنه حبسه في موضع بالمدائن يسمى (ساباط) ، وقيل إنه ألقاه تحت أرجل الفيلة فقتلته . ولقتله قصة طويلة فصلها صاحب الأغاني في كتابه (١) .

وكان النعمان متزوجا من كندة . وكانت له من زوجته الكندية ابنة جميلة اسمها هند ، تزوجها عدى بن زيد . ثم غدر النعمان بزوجها فسجنه حتى مات . فترهبت هند بعد موته ، وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة . وقد عاشت هند بعد الاسلام بزمان طويل ، وتوفيت في ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة (٢) . وروى أن المغيرة خطبها لنفسه ، فردته حين علمت أنه إنما قصد إلى الفخر ، بعد أن ذهب شبابها وجمالها . وكان النعمان بن المنذر نصرانيا فيما يروى ، نصره عدى بن زيد .

يقدم الشاعر للمديح بثلاثة أبيات في الغزل فيقول :

١ — أترحل عن (ليلى) بغير زاد ، وكأنك قضيت من اللهو حاجتك وبلغت المراد ؟

٢ — إن من فساد رأى الرجل ، أن يعلق قلبه بغانية ناعمة ، كلما دنا منها أمعنت في الصد والبعاد .

٣ — أتنسين ماقضينا في (دُحَيْضَة) وبين (البَدِىّ) و (ثَهْمَد) من أيام الوداد؟

ثم لايلبث الشاعر أن ينتقل إلى وصف الصحراء والرحلة للممدوح ، فيقول :

٤ — كم من صحراء مضلة ، يلعب فوقها السراب متموجاً ، كأنه كساء الكتان الأبيض المخطط بسواد .

٥ — قطعتها بناقة حمراء من خيرة النوق، تمرح طول ليلها في نشاط، ثم تصبح مكتملة القوى لم يعتورها الكلال.

٦ — لم تزل تعلف النوى المدقوق قد خلط بالحشيش ، وتسقى صافى المـــاء ، وتطعم الشعير يكال لها بالمكيال .

٧ — عند (ابن يزيد) أو (ابن مُعَرِّف) ، يفتّ لها العلف طوراً بأصابعه ويحش لها الكلأ تارة أخرى بالمنجل .

٨ — حتى أصبحت في ضخامتها كبنيان (التهامى) الشامخ ، شيد بالحجارة والآجر والطين والجير .

٩ — فلما جاء اليوم الذى يرقد فيه النوّام ، وأمضى أنا لما عقدت عليه العزم ، وما تهيأت له من أمر ،

١٠ — شددت عليها الرحل ، فنهضت به مسرعة ، تنحرف عن ظهر الطريق تارة ، وتعود تارة أخرى للرشاد .

---

(١) الأغانى ٢ : ١٠٦ — ١٤٦ (٢) ولى المغيرة الكوفة سنة ٤١ هـ وتوفى سنة ٥٠ .

وَقَالَ يَمدَحُ النُّعمَانَ بنَ المُنْذِر :

١ — أَتَرْحَلُ مِنْ لَيْلَى وَلَمَّا تَزَوَّدِ   وَكُنْتَ كَمَنْ قَضَّى اللُّبَانَةَ مِنْ دَدِ   (طويل)

٢ — أَرَى سَفَهًا بِالْمَرْءِ تَعْلِيقَ لُبِّهِ   بِغَانِيَةٍ خَوْدٍ مَتَى تَدْنُ تَبْعُدِ

٣ — أَتَنْسَيْنَ أَيَّامًا لَنَا بِدُحَيْضَةٍ   وَأَيَّامَنَا بَيْنَ ٱلْبَدِيِّ فَثَهْمَدِ

٤ — وَبَيْدَاءَ تِيهٍ يَلْعَبُ ٱلْآلُ فَوْقَهَا   إِذَا مَا جَرَى كَالرَّازِقِيِّ ٱلْمُعَضَّدِ

٥ — قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ شِمِلَّةٍ   مَرُوحِ السُّرَى وَٱلْغِبِّ مِنْ كُلِّ مِسْأَدِ

٦ — بَنَاهَا السَّوَادِيُّ الرَّضِيخُ مَعَ ٱلْخَلَى   وَسَقْيِي وَإِطْعَامِي الشَّعِيرَ بِمَحْفَدِ

٧ — لَدَى ٱبْنِ يَزِيدٍ أَوْ لَدَى ٱبْنِ مُعَرِّفٍ   يَفُتُّ لَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا بِمِقْلَدِ

٨ — فَأَضْحَتْ كَبُنْيَانِ التِّهَامِيِّ شَادَهُ   بِطِينٍ وَجَيَّارٍ وَكِلْسٍ وَقَرْمَدِ

٩ — فَلَمَّا غَدَا يَوْمُ الرُّقَادِ وَعِنْدَهُ   عَتَادٌ لِذِي هَمٍّ لِمَنْ كَانَ يَغْتَدِي

١٠ — شَدَدْتُ عَلَيْهَا كُورَهَا فَتَشَدَّدَتْ   تَجُورُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَتَهْتَدِي

١١ — ثَلَاثًا وَشَهْرًا ثُمَّ صَارَتْ رَذِيَّةً   طَلِيحَ سِفَارٍ كَالسِّلَاحِ ٱلْمُفَرَّدِ

١٢ — إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا   إِلَى ٱلْمَاجِدِ ٱلْفَرْعِ ٱلْجَوَادِ ٱلْمُحَمَّدِ

١٣ — إِلَى مَلِكٍ لَا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ   خَرُوجٍ تَرُوكٍ لِلْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ

١٤ — طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ   نِيَامَ القَطَا بِاللَّيْلِ فِي كُلِّ مَهْجَدِ

(١ — ٣) الدد والددن اللهو . الخود الشابة الحسنة المنظر الناعمة .

(٤ — ٦) الآل السراب . الرازقى ثوب أبيض من الكتان . المعضد ثوب مخطط فى موضع العضد . الصهبة حمرة مشربة بالسواد . سراة كل شيء خياره . شملة ومروح بمعنى واحد وهى النشيطة . غب كل شيء عقيبه ومايليه . الاسآد سير الليل كله . السوادى النوى. الرضيخ فعيل بمعنى مفعول من رضخه أى دقة بالمرضخة . الخلى الحشيش . المحفد شيء تعلف به الدواب ، وقدح يكال به .

(٧ — ٩) فت الشيء وفته دقه وكسره بالأصابع . المقلد الوعاء والمخلاة. الكلس الحجارة . القرمد الآجر (وهو معرب) . الهم مايشغل البال . يغتدى ينطلق فى الغداة وهو الصباح المبكر .

(١٠ — ١٢) تجور تنحرف عن الجادة أى الطريق . الرذية الناقة المهزولة من السير ، وكذلك الطليح . المفرد الذى لانظير له . المحمد المحمود .

(١٣ — ١٤) همه مايشغل باله ومايدبره من كبار الأمور . الفراش الممهد اللين الوثير . نجاد السيف حمائله ، يكنى بطوله عن طول قامته . القطا طائر فى حجم الحمام.

١١ــ وظلت تدمن السير شهراً كاملا وثلاثة أيام ، حتى هزلت وأعيتها الأسفار ، وذهب كل صحبها فبقيت هي وحدها كالسيف الفريد .

ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه قائلا :

١٢ــ إليك ـ أَبَيْتَ اللعن ـ كان هزالها وإعياؤها ، إلى ماجد الأصل الكريم المحمود الخصال .

١٣ــ إلى ملك لا يعوقه الليل عما هم به من أمر ، ولا يحول دون إنفاذه ، فهو كثير الخروج فيه ، كثير الهجر لفراشه الناعم الوثير .

١٤ــ تتدلى على قامته المديدة علائق سيفه الطويلة ، ويثير قطا الصحراء الراقدة فى مكامنها .

١٥ــ إذا كشفت الحرب عن أنيابها لم تجدك وانياً ولا نعّاساً على مراصدها ومسالكها .

١٦ــ ولكن توقدها وتصطلى نارها ، إذا بعثوك لها أوسعتها حطباً ، وأشعلتها غير متوان .

١٧ــ وإنى أقسم بالذى تحج إليه قريش ، لقد كدت أعداءك كيد رجل غير دعى ولا ضعيف .

١٨ــ كدتهم جميعاً غير معتد ولا ظالم ، ووطئتهم وطأ البعير المقيد الذى يدوس بكلتا يديه .

١٩ــ بكتيبة مجتمعة مضمومة ، لا تبلغ مداها العين ، وخيل وأرماح ، وجنود مؤيدة بروحك وقوتك .

٢٠ــ رابطى الجأش ، حين يفزع الناس أشتاتاً ، ويتعالى صوت المستغيث ، حتى لكأن نعام الصحراء المجفل النفور قد باض عليهم ، حين خيل إليه لثباتهم أنهم جماد .

ويشبه الشاعر ممدوحه بالأسد . ثم ينصرف إلى إبراز صورة هذا الأسد وتصوير شجاعته . حتى إذا أرضى نفسه من ذلك ، عاد فقال إن ممدوحه لا يقل جرأة عن مثل هذا الأسد . وهذا أسلوب جاهلى معروف ، أكثر ما نجده فى شعر الناقة . وقد تقدمت له أمثلة كثيرة فيما مضى من شعر فى هذا الديوان . يقول الأعشى :

٢١ــ وليس الأسد فى خدره ، وكأن جبينه قد طُلِىَ بصبغ (الوَرْس) الأصفر ، أو ضُمِّخ بالزعفران .

٢٢ــ تراكم عليه بعوض (القَرْيَتَين) ، حتى أصبح جبينه كثوب القطيفة المخمَّل ، كلما آذته بلدغها ضاق صدره وثار .

٢٣ــ كأن ثياب القوم من حول عرينه ، وقد تمزقت فلم يبق منها إلا قطع متناثرة ، سراويل الملاحين القصيرة ، قد ألقيت إلى جنب نبات استوى على سوقه جافا وقد بلغ الحصاد .

١٥ — فَمَا وَجَدَتْكَ الْحَرْبُ إِذْ فُرَّ نَابُهَا … عَلَى ٱلْأَمْرِ نَعَّاسًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ

١٦ — وَلٰكِنْ يَشُبُّ ٱلْحَرْبَ أَدْنَى صِلَاتِهَا … إِذَا حَرَّكُوهُ حَشَّهَا غَيْرَ مُبْرِدِ

١٧ — لَعَمْرُ الَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ قَطِينَهُ … لَقَدْ كِدْتَهُمْ كَيْدَ ٱمْرِئٍ غَيْرِ مُسْنَدِ

١٨ — أُولَى وَأُولَى كُلٌّ فَاسْتَ بِظَالِمٍ … وَطِئْتَهُمُ وَطْءَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُقَيَّدِ

١٩ — بِمَلْمُومَةٍ لَا يَنْفُضُ الطَّرْفُ عَرْضَهَا … وَخَيْلٍ وَأَرْمَاحٍ وَجُنْدٍ مُؤَيَّدِ

٢٠ — كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمُ … إِذَا رِيعَ شَتَّى لِلصَّرِيخِ ٱلْمُنَدَّدِ

٢١ — فَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ … يُطَلَّى بِوَرْسٍ أَوْ يُطَانُ بِمُجْسَدِ

٢٢ — كَسَتْهُ بَعُوضُ ٱلْقَرْيَتَيْنِ قَطِيفَةً … مَتَى مَا تَنَلْ مِنْ جِلْدِهِ يَتَزَنَّدِ

٢٣ — كَأَنَّ ثِيَابَ ٱلْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ … تَبَابِينُ أَنْبَاطٍ إِلَى جَنْبِ مُحْصَدِ

٢٤ — رَأَى ضَوْءَ نَارٍ بَعْدَ مَا طَافَ طَوْفَةً … يُضِيءُ سَنَاهَا بَيْنَ أَثْلٍ وَغَرْقَدِ

٢٥ — فَيَا فَرَحًا بِالنَّارِ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا … إِلَيْهِمْ وَإِضْرَامِ السَّعِيرِ ٱلْمُوَقَّدِ

٢٦ — فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِمْ … وَطَارُوا سِرَاعًا بِالسِّلَاحِ ٱلْمُعَتَّدِ

٢٧ — أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ ٱلْحَيَاةِ فَأَدْبَرُوا … وَمَرْجَاةُ نَفْسِ الْمَرْءِ مَا فِي غَدٍ غَدِ

٢٨ — فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يُلَاقِي رَهِينَةً … قَلِيلَ ٱلْمَسَاكِ عِنْدَهُ غَيْرَ مُفْتَدِي

(١٥ — ١٨) فر الدابة فتح فاها وكشف عن أسنانها ليعرف سنها . المرصد اسم مكان من رصد . رصده قعد له على طريقه وراقبه . (أدنى صلاتها) حال من الفاعل المستتر فى (يشب) . شب النار أوقدها . صلى النار (كعلم) قاسى حرها . حش النار حركها . مبرد اسم فاعل من أبرد الشيء أى برده ، يعنى أنه لا يدعها تطفأ . يقال لأهل مكة قطين الله . والقطين القاطن . والأنسب هنا أن تكون قطين بمعنى المقطون ودار الاقامة . المسند الدعى . البعير المقيد أثقل وطأ لأنه يطأ بكلتا رجليه .

(١٩ — ٢١) كتيبة ملمومة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض . نفض المكان نظر جميع ما فيه حتى يعرفه . مؤيد قوى يؤيده الممدوح أى يقويه . الدو المفازة والصحراء . ريع من راعه أى أفزعه . شتى متفرقون . الصريخ المغيث والناصر وهو كذلك المستغيث ، من الأضداد . ندد صوته رفعه . مخدر أسد فى خدره أى عرينه . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع فى اليمن ويصبغ به . ثوب مجسد مصبوغ بالزعفران . والجسد الزعفران . يطان يطلى .

(٢٢ — ٢٥) القريتان مكة والطائف . القطيفة نوع معروف من النسيج له وبر . تزند غضب وضاق صدره . التبان سراويل صغير يلبسه الملاحون والمصارعون (فارسى معرب) . النبط جيل كان يسكن العراق ، سموا بذلك لكثرة الماء فى أرضهم . محصد زرع حان حصاده ، اسم مفعول من أحصد الزرع حان حصاده . الأثل والغرقد شجرتان . السعير النار .

(٢٦ — ٢٨) دنيا مؤنث أدنى من الدنو وهو القرب . المعتد أى المعد من أعتد أى أعدوهيأ . أتيح له الأمر هيء وقدر . ما فى غد هو خبر المبتدأ (مرجاة) . غد الثانية توكيد للأولى ، أى أن رجاءهم لما فى الغد قد حملهم على الفرار . الرهينة الأسير . المساك الاحتباس والثبات والاعتصام .

٢٤— ظل يطوف باحثاً عن فريسة ، حتى رأى ناراً يلمع ضوؤها ، وقد استعرت فى خشب (الأَثْل) و(الغَرْقَد)

٢٥— ففرح بها إذ هدته إلى موضع القوم ودلته على مكانهم .

٢٦— فلما رأوه وقد بلغ أقرب ركابهم ، وفزعوا إلى أسلحتهم وعتادهم مسرعين ،

٢٧— عاودهم التعلق بالحياة فتراجعوا مدبرين ، وثناهم ما يداعب نفوس الناس فى غدهم من آمال .

٢٨— ولكنه عاجلهم باختطاف أحدهم ، واحتجزه عنده رهينة قليلة البقاء ، لا تُفْتَدَى بمال .

٢٩— ولم يكد يصرخ مستغيثاً بأصحابه إلا صرخة واحدة ، ثم كان الذى لا يسمعون له بعده صوتاً ولا استغاثة .

ويعود الشاعر بعد هذا التفصيل الطويل فى وصف الأسد وجرأته ليقول :

٣٠— ليس مثل هذا الأسد بأصدق منك بأساً ونجدة ، إذا اشتد الحرج فنكص الأبطال هاربين .

٣١— وليس النهر الفياض الذى يمد مائه الجداول فى (صَعْنَبى) ، وقد مُهِّدت لمورده المسالك والطرقات .

٣٢— يروى (النبيطُ) الزُّرْقُ ديارَهم من نواحيه ، وقد مدوا إليها القنوات فاجتمع فيها الماء .

٣٣— بأجود منه بالعطاء ، حين يذود بعض الناس عن ماله بكاذب الوعود وهى هباء .

٣٤— يهب الإبل البيضاء . ضخمةً كأنها النخيل ، والجيادَ الملساء ، طويلةَ الظهور كأنها الرماح ، بين مستحدَث أفاءته عليه الحروب والغارات ، وقديمٍ ورثه عن آبائه السادات .

ويختم الشاعر قصيدته بالاعتذار إلى النعمان عن إقلاله من زيارته ، لضعف بصره أو ذهابه — ونحن نعلم أن الأعشى فقد بصره فى آخر أيامه — فيقول :

٣٥— فلا تحسبنى جاحداً لفضلك ونعمتك على ، فأنى أُشْهِدُ اللهَ والحاضرين على صدق ما أقول .

٣٦— ولكن مثلى ممن لا تبصر عينه الأرض ولا يستطيع أن يميز الطريق ، يحتاج إلى الذى يصاحبه ويؤنس وحدته من صديق أو رفيق .

٢٩— فَأَسْمَعَ أُولَى الدَّعْوَتَيْنِ صِحَابَهُ ... وَكَانَ الَّتِى لَا يَسْمَعُونَ لَهَا قَدِ

٣٠— بِأَصْدَقَ بَأْساً مِنْكَ يَوْماً وَنَجْدَةً ... إِذَا خَامَتِ ٱلْأَبْطَالُ فِى كُلِّ مَشْهَدِ

٣١— وَمَا فَلَجٌ يَسْقِى جَدَاوِلَ صَعْنَبَى ... لَهُ شَرَعٌ سَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ

٣٢— وَيُرْوِى النَّبِيطُ الزُّرْقُ مِنْ حَجَرَاتِهِ ... دِيَاراً تُرَوَّى بِٱلْأَتِيِّ ٱلْمُعَمَّدِ

٣٣— بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلاً إِنَّ بَعْضَهُمْ ... كَفَى مَالَهُ بِٱسْمِ ٱلْعَطَاءِ ٱلْمُوَعَّدِ

٣٤— تَرَى ٱلْأُدْمَ كَٱلْجَبَّارِ وَٱلْجُرْدَ كَٱلْقَنَا ... مُوَهَّبَةً مِنْ طَارِفٍ وَمُتَلَّدِ

٣٥— فَلَا تَحْسَبَنِّى كَافِراً لَكَ نِعْمَةً ... عَلَىَّ شَهِيدٌ شَاهِدُ اللهِ فَٱشْهَدِ

٣٦— وَلٰكِنَّ مَنْ لَا يُبْصِرُ ٱلْأَرْضَ طَرْفُهُ ... مَتَى مَا يُشِعْهُ الصَّحْبُ لَا يَتَوَحَّدِ

(٢٩ — ٣١) أسمع أولى الدعوتين صاح صيحة واحدة ثم لم يمهله الأسد ليصيح صيحة ثانية . قد اسم فعل بمعنى يكفى . الباس القوة . النجدة إغاثة المستغيث . خام نكص وجبن . المشهد يقصد به القتال . الفلج والجدول النهر الصغير . صعنبى موضع باليمامة . الشرع الطريق إلى الماء . المورد موضع الورود على الماء .

(٣٢ — ٣٣) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ، ويستعمل كذلك فى أخلاط الناس وعوامهم . الزرق يقصد الزرق العيون لأنهم ليسوا عربا . حجراته نواحيه . الأتى جدول تؤتيه إلى ارضك . المعمد من عمد السيل إذا سد وجهه بتراب ونحوه حتى يجتمع فى موضع . العطاء الموعد أى الذى يظل وعدا ولا ينفذه صاحبه ولا يفى به .

(٣٤ — ٣٦) الأدم جمع آدم وهو من الابل لون مشرب سواداً أو بياضا أو هو البياض الواضح ، من الأضداد . الجبار النخلة الطويلة . الجرد الخيول . كالقنا طويلة الظهور كالرماح . طارف مستحدث من الغنائم . متلد قديم . من لا يبصر الأرض طرفه ، ذلك لأن الأعشى عمى فى آخر أيامه . أشاعه الصحب كانوا له شيعة ورفيقا . توحد تفرد . لا يتوحد أى لا يستوحش بوحدته .

هذه هى القصيدة الثانية فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد مضت ترجمة إياس مع القصيدة الأولى (٢١) .

يقول الأعشى :

١ — وقفت اليوم عند ديار (تيّا) فى (جو) ، فاهتديت إلى منزلها ، وإلى عيدان الشجر المسقوفة التى كانت تستظل بها من الحر .

٢ — فهيجت الآثار الحنين فى قلب حزين مكروب ، فأرسل دمعه يجرى غزيراً فوق هذه الأطلال . .

٣ — وغنت الحمامة فى (قرماء) تدعو أليفها ، وقد فترت الحرارة حين بدأت السحب فى التجمع ، فهاجت أشواقك للحبيب .

٤ — ومن عجب أن يشتاق مثلك من آثار ذهبت وانمحت ، فلم يبق منها إلا يابس الحشائش ، وإلا ما كانت تسد به الفتحات والثقوب من خوص (الثمام) .

٥ — تعيبنى (قُتَيْلة) ـ وإن كانت هى نفسها لا تخلو من عيب ـ فتقول حين رأتنى :

٦ — أراك كبرت ، وتغير خلقك عما عهدت ، فانصرفت عن الخمر والنساء .

٧ — فأن يك شعر صدغى قد شاب يا (قَتْل) ، وأضحت رأسى وكأن نور (الثَّغَام) الأبيض قد نثر فوق مفرقها ،

٨ — وعاد باطلى إلى القصد والاعتدال ، وصحوت من سكرة الغواية حتى كأن لم أكن غلاما عابثا فى يوم من الأيام ،

٩ — فأن دوران الزمن وتتابع أحداثه الجسام ، تفنى السيف الصلب الحسام .

* * *

١٠— ولقد تحل بى الهموم وتثقل على ضيافتها ، فأطعمها ناقة شديدة مكتنزة اللحم ، قد ادخرت للرحلة ومنع عنها الفحول فهى عقام .

١١— يتجافى مرفقها المفتول عن إبطها ، وتسمع لسيور الرحل حين تحز فى هيكلها الضخم أطيطا كأنه صوت الرماح فى يد الذى يلينها ويقومها على النار .

١٢— إذا رعتها بالزجر هبت مسرعة ، لهـــا فى جريها حفيف كحفيف ذكر النعام حين ينشر جناحيه مطاردا أنثاه .

وقال يمدح إِيَاسَ بْنَ قبيصةَ الطَّائى :

١ — عَرَفْتَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَيَّا مُقَامَا   بِجَوٍّ أَوْ عَرَفْتَ لَهَا خِيَامَا   (وافر)
٢ — فَهَاجَتْ شَوْقَ مَحْزُونٍ طَرُوبٍ   فَأَسْبَلَ دَمْعُهُ فِيهَا سِجَامَا
٣ — وَيَوْمَ ٱلْخَرْجِ مِنْ قَرْمَاءَ هَاجَتْ   صِبَاكَ حَمَامَةٌ تَدْعُو حَمَامَا
٤ — وَهَلْ يَشْتَاقُ مِثْلُكَ مِنْ رُسُومٍ   عَفَتْ إِلَّا ٱلْأَيَاصِرَ وَالثُّمَامَا
٥ — وَقَدْ قَالَتْ قُتَيْلَةُ إِذْ رَأَتْنِي   وَقَدْ لَا تَعْدَمُ ٱلْحَسْنَاءُ ذَامَا
٦ — أَرَاكَ كَبِرْتَ وَاسْتَحْدَثْتَ خُلْقًا   وَوَدَّعْتَ ٱلْكَوَاعِبَ وَٱلْمُدَامَا
٧ — فَإِنْ تَكُ لِمَّتِي يَا قَتْلُ أَضْحَتْ   كَأَنَّ عَلَى مَفَارِقِهَا ثَغَامَا
٨ — وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَصَحَوْتُ حَتَّى   كَأَنْ لَمْ أَجْرِ فِي دَدَنٍ غُلَامَا
٩ — فَإِنَّ دَوَائِرَ ٱلْأَيَّامِ يُفْنِي   تَتَابُعُ وَقْعِهَا الذَّكَرَ ٱلْحُسَامَا
١٠ — وَقَدْ أَقْرِي ٱلْهُمُومَ إِذَا ٱعْتَرَتْنِي   عُذَافِرَةً مُضَبَّرَةً عُقَامَا
١١ — مُفَرَّجَةً يَئِطُّ النِّسْعُ فِيهَا   أَطِيطَ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ أَنْ تُقَامَا
١٢ — إِذَا مَا رُعْتَهَا بِالزَّجْرِ أَجَّتْ   أَجِيجَ مُصَلَّمٍ يَزْفِي نَعَامَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة تصغير تى . الخيمة بيت يبنى من عيدان الشجر ويلق عليه ثمام ويتبرد به فى الحر . والثمام نبت ضعيف له خوص . هاجت حركت وأثارت . طروب حزين وهو من الاضداد . انسجم الدمع سال . الخرج السحاب أول ما ينشأ . قرماء موضع باليمامة . الصبا الشوق .

(٤ — ٦) الأيصر والاصار الحشيش . الثمام نبت ضعيف له ورق شبيه بالخوص تسد به خصائص البيوت . الذام العيب . هذا مثل عربى له قصة ذكرها الميدانى فى كتابه « مجمع الأمثال » يقصد به أن الحسناء — مهما يبد من كمالها — لا تخلو من نقص يعيبها .

(٧ — ٩) اللمة الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغ المنكبين فهو جمة (بضم الجيم) . المفرق وسط الرأس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر . الثغام نبت له نور أبيض يشبه به الشيب . أقصر عن الأمر انتهى وكف . الددن اللهو . الذكر السيف الصارم . الحسام القاطع الذى يحسم أى يقطع .

(١٠ — ١٢) قرى الضيف أضافه وأطعمه . اعتراه حل به . عذافرة ناقة شديدة . مضبرة مجتمعة . عقام بازل شديدة ، أو لم يولد لها ، والولادة تضعفها وتذهب بقوتها . مفرجة بعد مرفقها عن إبطها لامتلائه . الأطيط صوت الرحل . النسع السير الذى يشد به الرحل إلى بطن الناقة . السمهرية الرماح . تقام يقوم اعوجاجها على النار . راعها أفزعها . أجت عدت وكان لها حفيف فى عدوها . المصلم المقطوع الأذنين وهو النعام . زفى الظليم نشر جناحيه ، وزفت الريح السحاب طردته .

١٣ — تشق الليل وبرد الصباح ، بعنقها الطويل الكثير الحركة إذ يضطرب فيه الزمام .

١٤ — ويملأ هيكلها الضخم — وكأنه هيكل الفحل المكرم الذى أدُّخِر للضِّراب — سيورَ الرحل ، حتى ما تتحرك فوقه ، وتسرع حين يقوم قائم الظهيرة ويركد الحر ويصوم النهار .

١٥ — إذا فتر صحبها من النوق الآثمات ، تحاملت على ماتعانى من آلام ، تطوى الطريق وتجتـع الآكام .

١٦ — ولقد أبادر صحبى من الشاربين بالراح فى الصباح ، من دَنٍّ أسود ضخم عتيق .

١٧ — من نادر الخمر ، التى اجتلبت من مواطنها محمولة فوق النوق والدواب، تنفذ رائحتها القوية إلى الأنف وكأنها ريح المسك ، فتستل الزكام .

١٨ — إذا مزجت بالماء ، بدا سطحها — بعد أن يذهب زبده — متوهجاً براقاً ، كأنما صبت الشمس فوقه قطعاً من شعاعها .

١٩ — ظل تاجرها فى (عانات) شهراً يختارها وينتقيها : ثم حبسها عنده ، يرجى مايعود عليه منها عاماً بعد عام .

٢٠ — كان يعلق عليها الآمال ، ويرجو أن يصيب بها الثراء ، فأغلق دونها يساوم فى ثمنها ، مغاليا فى السوام .

٢١ — فوفيناه ماطلب ولم نبخل عليه به . فلمثلها كنا نهين الإبل . فنشربها بأثمانها .

٢٢ — إذا فت الخَمَّار عن فم دنها السداد . انبعث ضوؤها كشعاع الشمس الوهاج .

٢٣ — ولكم خلوت ليلة كاملة بمضاجعة بيضاء المعاصم صاحبة لهو لعوب .

وبعد هذا الحديث الطويل ، الذى تنقل فيه الشاعر بين ذكريات شبابه ، ينتقل فجأة ، وبغير تقديم ، إلى المدح . فيتجه بالخطاب إلى بعض أعداء ممدوحه ، أو بعض رعيته ممن كان يلى عليهم . وكأنه كان مريضاً ، فجرأهم مرضه عليه . فهو يقول لهم إنه جدير أن ينكل بهم إن أبلَّ من مرضه

٢٤ — إنى أقسم لكم بمن قتل من رجالكم فى (رأس العين) ، لئن قام من فراشه ونفض عنه السقام ،

٢٥ — — وذلك قريب غير بعيد — ثم اجتمعت إليه الجموع من جيوشه ، ليسعينَّ إليكم فى دياركم حتى يروم مالا يرام .

١٣— تَشُقُّ اللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا ... بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يُشْرِى الزِّمَامَا

١٤— وَتَقْتَالُ النُّسُوعَ بِجَوْزِ قَرْمٍ ... مُوَاشِكَةً إِذَا مَا الْيَوْمُ صَامَا

١٥— إِذَا مَا الْآثِمَاتُ وَنَيْنَ حَطَّتْ ... عَلَى الْعِلَّاتِ تَجْتَرِعُ الْآكَامَا

١٦— وَأَدْكَنَ عَاتِقٍ جَحْلٍ سِبَحْلٍ ... صَبَحْتُ بِرَاحِهِ شَرْبًا كِرَامَا

١٧— مِنَ اللَّاتِى حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا ... كَرِيحِ الْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا

١٨— مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ عَلَى قَرَاهَا ... إِذَا مَا صَرَّحَتْ قِطَعًا سَهَامَا

١٩— تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا ... وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا

٢٠— يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً ... فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا

٢١— فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا ... نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

٢٢— كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا ... إِذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا

٢٣— وَبَيْضَاءِ الْمَعَاصِمِ إِلْفِ لَهْوٍ ... خَلَوْتُ بِشَكْرِهَا لَيْلًا تَمَامَا

٢٤— حَلَفْتُ لَكُمْ عَلَى مَا قَدْ نَعَيْتُمْ ... بِرَأْسِ الْعَيْنِ إِنْ نَفَضَ السَّقَامَا

٢٥— وَشِيكًا ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ جَمْعٌ ... لِيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ إِلَى مَا

(١٣ — ١٥) السبرة الغداة الباردة . أتلع عنق طويل . ساطع مرتفع . أشرى الزمام حركه . اقتال عليه احتكم . النسوع السيور التى يشد بها الرحل . جوز الشيء وسطه . القرم الفحل الذى لم يمسه حبل ولم يحمل عليه وترك للنسل . مواشكة سريعة . صام النهار قام قائم الظهيرة واشتد حره ، وأصل الصوم الامساك والسكون . الآثمات التى لا تصدق السير . حط انحدر من أعلى إلى أسفل ، وحط البعير اعتمد فى الزمام على أحد شقيه . العلة المرض ، والعلات الحالات المختلفة . الآكام المرتفعات .

(١٦ — ١٨) أدكن هو الدن لأنه يطلى بالقطران لتسد مسامه فلا يرشح مافيه من الخمر . عاتق قديم . الجحل السقاء العظيم . سبحل ضخم . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . الروايا جمع راوية وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقى عليه . المشعشعة الخمر التى أرق مزجها . القرى الظهر . صرحت ذهب زبدها . السهام (بفتح السين) مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس ، شيء تراه كأنه ينحدر من السماء إذا حميت الظهيرة وقام قائمها .

(١٩ — ٢١) عانات بلد بالشام . أولها مايؤول إليه أى يعود عليه من ربحها . ساوم السلعة غالى بها سواماً . السوام (بفتح السين) الابل الراعية .

(٢٢ — ٢٥) قرن الشمس أول شعاعها أو هو أول مايبدو عند طلوعها . إلف لهو معتادة ذلك . الشكر (بفتح الشين) النكاح والفرج أو لحمه . نعاه أخبر بموته . يقسم لهم بهزيمتهم فى ذلك اليوم . وشيكا سريعاً . ثاب رجع . الى ما ، يوم ما أو شيء ما أو الى ما قد كان .

٢٦— ليسعين إلى دياركم بجيش عظيم يثير الغبار كثيفا مظلماً فوق الفيافى والقفار .

٢٧— جيش عريض تضيق به أرجاء الصحراء ، يستنفد أوله الموارد الغزيرة المـاء ، قبل أن يبلغها آخره من الظِّماء .

٢٨— يحمل إليكم الموت ، يتقدمه (إياس) راكبا فرسا جرداء ، يملأ جنباها العظيمان حزام السرج .

٢٩— تبارى ظل رمح مستقيم مفتول ـ وكأنها تريد أن تسبقه ـ مرن فى يد الفارس الذى يركبها ، إذا هزّه ارتعش متذبذبا ثم استقام .

٣٠— أخو نجدة يخـــف للمستغيث ، صبور إذا مسه الضر لا يرزح تحته ، وقور إذا دام عليه الخير لا يستخفه ولا يزدهيه .

٣١— يقسم أيامه بين اللهو والحرب ، فيوم للعاب الغوانى ويوم لركوب الأهوال العظام .

٣٢— مشرق الوجه ، يكشف الشدائد الجسام ، ويجلو ضوء طلعته الظلام .

٣٣— إذا بليت قوى العاجز المستضام ، والتذّ لينَ الفراش فنام ،

٣٤— كفاه (إياس) الحرب إذ هاجت بعد سكون ، وخفّ عن الوسائد فقام .

٣٥— إذا سار نحو بلاد قوم ، حمل إليهم الموت الزؤام .

٣٦— تعود جياده من الغارة آخر النهار كأنها الغيلان ، تتفتت تحت وقع حوافرها الصلبة الصخور .

٣٧— وهو قائم فوقها ، ممشوق القد ، ماضى العزم ، كأنه السيف الصقيل يهتز مشهورا فى يد الفارس المغوار .

٢٦— لَيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ بِمَجْرٍ يُثِيرُ بِكُلِّ بَلْقَعَةٍ قَتَامَا
٢٧— عَرِيضٍ تَعْجِزُ الصَّحْرَاءُ عَنْهُ وَيَشْرَبُ قَبْلَ آخِرِهِ ٱلْجِمَامَا
٢٨— يَقُودُ ٱلْمَوْتَ يَهْدِيهِ إِيَاسٌ عَلَى جَرْدَاءَ تَسْتَوْفِى ٱلْحِزَامَا
٢٩— تُبَارِى ظِلَّ مُطَّرِدٍ مُمَرٍّ إِذَا مَا هُزَّ أَرْعَشَ وَٱسْتَقَامَا
٣٠— أَخُو النَّجَدَاتِ لَا يَكْبُو لِضُرٍّ وَلَا مَرِحٌ إِذَا مَا ٱلْخَيْرُ دَامَا
٣١— لَهُ يَوْمَانِ يَوْمُ لِعَابِ خَوْدٍ وَيَوْمٌ يَسْتَمِى ٱلْقُحَمَ ٱلْعِظَامَا
٣٢— مُنِيرٌ يَحْسُرُ ٱلْغَمَرَاتِ عَنْهُ وَيَجْلُو ضَوْءُ غُرَّتِهِ الظَّلَامَا
٣٣— إِذَا مَا عَاجِزٌ رَثَّتْ قُوَاهُ رَأَى وَطْءَ ٱلْفِرَاشِ لَهُ فَنَامَا
٣٤— كَفَاهُ ٱلْحَرْبَ إِذْ لَقِحَتْ إِيَاسٌ فَأَعْلَى عَنْ نَمَارِقِهِ فَقَامَا
٣٥— إِذَا مَا سَارَ نَحْوَ بِلَادِ قَوْمٍ أَزَارَهُمُ ٱلْمَنِيَّةَ وَٱلْحِمَامَا
٣٦— تَرُوحُ جِيَادُهُ مِثْلَ السَّعَالِى حَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضِمُ السِّلَامَا
٣٧— كَصَدْرِ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ صِقَالٌ إِذَا مَا هُزَّ مَشْهُورًا حُسَامَا

(٢٦ — ٢٨) المجر الجيش العظيم . البلقعة الارض القفر التى لا شىء فيها القتام الغبار الأسود . تعجز الصحراء عنه من كثرته . الجمام جمع جم (بفتح الجيم) وهو الكثير من كل شىء . يهديه يرشده ويقوده .

(٢٩ — ٣١) مطرد رمح مستقيم. ممر صلب مفتول . كبا يكبو انكب على وجهه . الضر (بضم الضاد وفتحها) سوء الحال والشدة . الخود الشابة المنعمة . يستمى يطلب . القحم الأهوال جمع قحمة (بضم القاف) .

(٣٢ — ٣٤) حسر الشىء (كنصر) كشفه ، لازم ومتعد . الغمرة (بفتح الغين) الشدة . غرته وجهه . رث الشىء بلى ، القوى الحبال . وطؤ الفراش وطأ سهل ولان . لقحت الحرب هاجت بعد سكون، وأصله لقحت الناقة أى حملت . النمارق جمع نمرقة (بضم النون والراء) وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . أعلى عن الدابة نزل عنها وخفف حملها .

(٣٥ — ٣٨) تروح تعود آخر النهار . السعالى جمع سعلاه (بكسر السين) وهى الغول . السلمة (بفتح ثم كسر) الحجارة جمعها سلام . هضم الشىء كسره . صدر الشىء أعلاه ومقدمه . أخلصه سناه وميزه من غيره . الصقال الجلاء . مشهوراً أى مرفوعا فى اليد . حسام قاطع ، من حسم الشىء أى قطعه .

هذه هى القصيدة الثالثة فى الحارث بن وعلة . وقد سبقتها القصيدتان (٧) ، (٢٧) وكلها هجاء ، وترجمة الحارث بن وعلة مذكورة فى القصيدة (٢٧).

يقول الأعشى :

١ — أوقد تصابيت وشاقك لهو الشباب ، أم أنك قد فقدت الصواب ، حين آذن ود (زينب) بالذهاب ؟

٢ — وهاجت هوادج (زينب) منذ الصباح فى قلبك الأحزان والعذاب ، وقد جعل القوم يهيئونها للرحيل طوال النهار حتى توارت الشمس بالحجاب .

٣ — فلما ارتحلوا قلتُ يانخل (ابن يامن) ، أيهما أدنى إلى النعمة والثراء ، أهن أم اللاتى تغذوهن برطبك الحلو العُجَاب ؟

٤ — ونخلك الطويل المرتفع الضخم الجذوع ، تحط عليه من الطيور أسراب ، تتجاوب أصواتها بالتنعاب .

٥ — واستوين فوق هوادجهن وقد غطيت بغالى الثياب ، فى ألوانها الرِّغاب ، وقد حفت حواشيها بلون الورد وبالحمرة القانية .

٦ — وأسرعوا السير وقد حثوا المطى ، فلما خفت أن يتفرقوا فى الشِّعاب ، بين منحدر فى الوديان ومُصْعِد فى الهضاب .

٧ — تبعتهم تطوى بى البيد ناقة ضخمة نشيطة بارزة الأنياب .

٨ — مكتنزة اللحم صلبة ، فكأنما الرحل منها فوق حمار وحش من حمر (بَيَّان) الصِّلاب .

٩ — فلما بلغت الحى تطلع الفتيات ينظرن إلى وقد تطاولن بأجيادهن ، كأنهن القطيع من بقر الوحش المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب .

١٠ — وفى الحى من يحب لقاءنا ويشتهيه ، ومنهم من قتلتهم الغيرة فهم ظاهرو العداوة غضاب .

١١ — فما أنس من شىء : فلن أنسى قولها : لعل النوى تجمعنا بعد التفرق والاغتراب .

١٢ — ولست أنسى خدها الأملس المسترسل وقد تحدر فوقه الدمع ، تكفكفه بأنامل كأنها هُدَّاب الحرير الناعم الطويل وقد زانها الخضاب .

وقالَ يَهْجُو الحَارِثَ بْنَ وَعْلَة :

(طويل)

١ — تَصَابَيْتَ أَمْ بَانَتْ بِعَقْلِكَ زَيْنَبُ ... وَقَدْ جعَلَ ٱلْوُدُّ الَّذِى كَانَ يَذْهَبُ
٢ — وَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ لِزَيْنَبَ غُدْوَةً ... تَحَمَّلْنَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
٣ — فَلَمَّا ٱسْتَقَلَّتْ قُلْتُ نَخْلَ ابْنِ يَامِنٍ ... أَهُنَّ أَمِ اللَّاتِي تُرَبِّتُ يَتْرَبُ
٤ — طَرِيقٌ وَجَبَّارٌ رِوَاءٌ أُصُولُهُ ... عَلَيْهِ أَبَابِيلٌ مِنَ الطَّيْرِ تَنْعَبُ
٥ — عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَعِقْمَةٍ ... جَوَانِبُهَا لَوْنَانِ وَرْدٌ وَمُشْرَبُ
٦ — أَجَدُّوا فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ... فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ
٧ — طَلَبْتُهُمُ تَطْوِى بِىَ ٱلْبِيدَ جَسْرَةٌ ... شُوَيْقِيَةَ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ
٨ — مُضَبَّرَةٌ حَرْفٌ كَأَنَّ قُتُودَهَا ... تَضَمَّنَهَا مِنْ حُمْرِ بَيَّانَ أَحْقَبُ
٩ — فَلَمَّا ادَّرَكْتُ ٱلْحَىَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ ... كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ ٱلْمَكَانِسِ رَبْرَبُ
١٠ — وَفِى ٱلْحَىِّ مَنْ يَهْوَى لِقَانَا وَيَشْتَهِى ... وَآخَرُ مَنْ أَبْدَى ٱلْعَدَاوَةَ مُغْضَبُ
١١ — فَمَا أَنْسَ مِلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ... لَعَلَّ النَّوَى بَعْدَ التَّفَرُّقِ تُصْقِبُ
١٢ — وَخَدًّا أَسِيلًا يَحْدُرُ الدَّمْعَ فَوْقَهُ ... بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ مُخَضَّبُ

(١ — ٣) تصابى الرجل مال إلى الصبوة واللهو واللعب وجهلة الفتوة . كان هنا تامة أى الذى مضى وانقضى . شاقتك هاجتك . أظعان جمع ظعينة وهى الهودج . غدوة صباحا . تحملوا وضعوا أحمالهم على الابل يريدون الرحيل . استقل القوم ذهبوا وارتحلوا . ربت الربيب رباه . ترب (كطرب) اغتنى وافتقر ضد .

(٤ — ٦) الطريق والجبار من النخل الطويل . أبابيل جماعات . أنماط جمع نمط (بفتحتين) وهو ثوب ملون من صوف يطرح على الهودج . عتاق جمع عتيق وهو الكريم من كل شىء . العقم والعقمة (بفتح فسكون) ضرب من الوشى ، وهو أن تظهر خيوط أحد النيرين فيعمل العامل ، فاذا أراد أن يوشى بغير ذلك اللون لواه فأغمضه وأظهر مايريد عمله . وأصل الاعتقام اللى . أشرب اللون أشبعه فهو مشرب .

(٧ — ٩) جسرة ناقة ضخمة . شقأ نابه طلع حده فهو شاقىء ، وشويقئة تصغيره للأنثى . وجناء غليظة ، والوجين ماغلظ من الأرض . ذعلب خفيفة . مضبرة مكتنزة اللحم . حرف صلبة . بيان موضع . القتود الرحل . حمر جمع حمار . أحقب فى حقوبه بياض ، والحقو الخصر . أدرك افتعل من درك وأدرك أى لحق . أتلعت رفعت رؤوسها . أنس جمع آنسة وهى الطيبة النفس . المكانس جمع مكنس (اسم مكان) وهو مواج الوحش من الظباء وبقر الوحش تستكن فيه من الحر . الربرب القطيع من بقر الوحش

(١٠ — ١٢) النوى البعد ، وهى كذلك الدار ، والوجه الذى يذهب فيه المسافر وينويه . تصقب تدنى وتقرب . خد أسيل لين أملس طويل مسترسل . البنان أطراف الأصابع . الهداب ما فضل فى أطراف النسيج من الخيوط . الدمقس الحرير . مخضب صفة للبنان مصبوغ بالحناء .

١٣ — لكم اصطبحت بخمر صافية كعين الديك ، أغدو إليها قبل مطلع الشمس فأشربها على قرع النواقيس ، مع فتية صلاب .

١٤ — من سلاف الخمر وخالصها الرائق ، كأنها الزعفران الأصفر خلط بصبغ العنْدَم الأحمر، حين تروّق فى إنائها الفخارى الضخم ثم تمزج بالماء .

١٥ — تسطع رائحتها فواحة فى البيت ، فكأنما حط به تجارُ (دارين) الرّكَاب، بما يحملون من مسك وأطياب .

١٦ — ألا أبلغا (حُرَيْثاً) منى رسالة ، فأنى أراك متنكباً للإنصاف ، منحرفا عن الصواب.

١٧ — أتفاخر مزهواً بوفائك مَرَّةً للجار ؟ إن هذا لشيء عُجَاب !

١٨ — فلقد وفى (الرقاد) قبلك لجاره ، فأنجاه مما كان يخشى ويهاب .

١٩ — وأظله بجواره وحمايته، ومنحه قدحا نفيساً مستوى الريش ، يشارك به الياسرين فى القمار . فوفى لجاره وقد كان على وشك الذهاب .

٢٠ — تداركه فى شهر رجب الذى تنزع فيه نصال الحراب ، ويكف فيه الناس عن القتال ، وقد مضى الشهر الحرام فلم تبق منه إلا ليلة واحدة ، ثم يحل به العطب والدمار .

٢١ — وإنا لأصلب الناس عوداً بين بكر وتغلب جميعاً إذا عد الرجال وقيست الأنساب .

٢٢ — لنا إبل لا يحل بأصحابها ذم ولا عاب ، فهم يقرون بها الضيفان ، ويطعمون ألبانها ولحومها لمن يحل بهم من الغرباء .

٢٣ — ويعينونه بها ليدفعها فى ديات القتلى إذا أثقلته ، حين يستخفى الأغنياء والموسرون مخافة أن يطلب منهم العون.

٢٤ — ويحل فى جوارهم آمناً ، تحميه خيل ادخرت للشدائد ، تسرع إلى المستغيث ، وتركب الوعور والصعاب.

٢٥ — ضامرة من سلالة (الصريح) و (أعوج) ، تندفع إلى القتال جريئة لا تهاب ، ولا يأمن الفرسان الحاذقون بالقتال ، أن تكر عليهم المرة بعد المرة لا ينالها كلال .

١٣— وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حدَّها ... بفتيان صدق والنواقيس تضربُ
١٤— سُلافٍ كأنَّ الزعفرانَ وعَنْدَمًا ... يُصفَّقُ فى ناجودها ثمَّ تُقطَبُ
١٥— لها أرجٌ فى البيتِ عالٍ كأنما ... ألمَّ به من تجرِ دارينَ أركبُ
١٦— ألا أبلغا عنى حُرَيثًا رسالةً ... فأنكَ عن قصدِ المحجَّةِ أنكبُ
١٧— أتعجبُ أن أوفيتَ للجارِ مرَّةً ... فنحنُ لعمرى اليومَ من ذاكَ نعجبُ
١٨— فقبلَكَ ما أوفى الرُّفادُ لجارِه ... فأنجاهُ ممَّا كانَ يخشى ويرهبُ
١٩— فأعطاهُ حِلسًا غيرَ نِكسٍ أربَّهُ ... لُؤامًا به أوفى وقد كادَ يذهبُ
٢٠— تداركَهُ فى منصلِ الألِّ بعدما ... مضى غيرَ دأداءٍ وقد كادَ يعطَبُ
٢١— ونحنُ أناسٌ عودُنا عودُ نبعةٍ ... إذا انتسبَ الحيَّانِ بكرٌ وتغلبُ
٢٢— لنا نعمٌ لا يعتَرِى الذمُّ أهلَهُ ... تُعقَّرُ للضيفِ الغريبِ وتُحلَبُ
٢٣— ويُعقلُ إنْ نابتْ عليهِ عظيمةٌ ... إذا ما أناسٌ موسعونَ تغيَّبُوا
٢٤— ويمنعُهُ يومَ الصِّياحِ مَصُونةٌ ... سِراعٌ إلى الداعى تثوبُ وتُركَبُ
٢٥— عناجيجُ من آلِ الصريحِ وأعوجٍ ... مغاويرُ فيها للأريبِ معقَّبُ

(١٣ — ١٥) كمين الديك لان عين الديك صافية . باكرها شربها فى الصباح . حدالخمر سورتها وحدتها . الصدق الفضل والجد والشدة والصلابة . السلاف ما تحلب وسال قبل عصر الخمر وهو أجودها . العندم شجر له عروق حمر يصبغ به . صفق الخمر روقها وصفاها . ناجود الخمر الاناء الفخارى الذى تحفظ فيه وهو الباطية . قطب الخمر مزجها . الأرج الرائحة القوية . دارين موضع بالبحرين مشهور بالمسك . والمسك الدارى مشهور . أركب جمع ركب وهم جماعة المسافرين .

(١٦ — ١٩) حريث هو الحارث يصغره تحقيراً له . المحجة الطريق . القصد استقامة الطريق . أنكب منحرف . الرفاد هو عمرو بن عبد الله بن جعدة بن كعب . الحلس القدح الرابع فى الميسر . وكان الرجل ربما أكرم ضيفه بأن يهبه السهم من السهام فى الميسر فيكون له ربحه . النكس السهم المكسور الرأس . ربه وأربه جمعه وألزمه . سهم لأم (بفتح فسكون) عليه ريش لؤام أى يلائم بعضه بعضاً . وكان السهم إذا انكسر جبروه وربطوه لأنه عزيز عليهم . أوفى بالعهد وفى وأتمه وأنجزه . وقد كاد يذهب يعنى الضيف الذى أكرمه بأن وهبه ذلك السهم .

(٢٠ — ٢٢) الألة (بتشديد اللام) الحربة . المنصل اسم فاعل من أنصل أى نزع نصل الحربة . ومنصل الأل هو شهر رجب ، كانت تنزع فيه الأسنة من الرماح لأنه كان شهرا حراما لا يقاتلون فيه . الدأداء آخر ليلة من رجب . العطب التلف . يقول مضى الشهر الحرام الذى يمنعهم من قتل هذا الطريد الذى أجاره ، ولم يبق إلا ليلة واحدة ثم يقتل . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قمم الجبال . النعم (بفتحتين) الابل . عقر الناقة ذبحها . وعقرها كذلك قطع قوائمها بالسيف .

(٢٣ — ٢٥) عقل القتيل دفع لأهله العقل وهى الدية ، وعقل عن الرجل أدى عنه الدية . ناب حل ، والنوائب الحوادث لأنها تنوب الناس لوقت معروف . موسعون من السعة واليسار . مصونة من صان الشىء أى حفظه ، يقصد أفراس مصونة لوقت الحاجة . ثاب رجع . عناجيج ضمر . الصريح وأعوج فرسان مشهوران . أرب بالشىء درب به وصار فيه حاذقا فهو أريب ، والأريب العاقل الحصيف الرأى والداهية . معقب أى غزو يعقبه غزو .

٢٦— ورماح مرنة قد اجتلبت عيدانها من (الخَطّ) ، وركّبت فيها سنان مما صنع (أَبْزَى) و (شَرْعَب)

٢٧— وسيوف بيض قاطعة تلمع كالبرق ، لا نزال نصونها ونصقلها ونعدها لإذلال الأعداء .

٢٨— ودروع لينة ملساء ، تبرق متموجة كأنها الغدران ، تغطي جسم لابسها وتحميه ، وتتذبذب عليه أطرافها .

(٣١)

آل جفنة هم ملوك الشام فى الجاهلية المعروفون بالغساسنة . وهم ينتسبون إلى مؤسس دولتهم جفنة بن عمرو بن مزيقياء . والخلاف كثير حول مدة حكمهم وعدد ملوكهم . فكتاب العرب يرون أن مدة حكمهم تتراوح بين أربعة قرون وستة قرون قبل الاسلام . ومؤرخوا اليونان وكتاب العرب يروون أن أقدم من عرف الروم من ملوكهم كان فى آخر القرن الخامس الميلادى ، وهو جبلة أبو شمر المتوفى سنة ٥٠٠ م . وربما كان الصواب وسطاً بين الرأيين . فبطارقة الروم لم يتصلوا بالغساسنه قبل القرن الخامس الميلادى ، ولكن الغساسنة قضوا مدة من الزمن قبل ذلك التاريخ يحكم عليهم أمير منهم لم تتسع سلطته وشهرته ، حتى احتاج ملوك الروم إليهم فى حربهم ضد الفرس ، وفى حماية أطراف أمبراطوريتهم من غارات الأعراب فنصبوهم أمراء ، ومنحوهم لقب (Phylarch) ـ ومعناها باليونانية رئيس قبيلة أو رئيس فرسان القبيلة ـ وأنشأوا معهم علاقات سياسية ثابتة وتنصر هؤلاء الأمراء الذين كانوا يلقبون بين قومهم بالملوك ، وانتشرت النصرانية بين أفراد رعيتهم ، واصطبغت حضارتهم بالصبغة الرومانية(١)

وقد كان بعض شعراء العرب ، مثل النابغة وحسان ، يفدون على الغساسنة مادحين ، ويقيمون فى الشام زمنا ، يستمتعون بهذه الألوان الزاهية من الحضارة المترفة التى لا عهد لهم بها فى البادية .

ولم يرو للأعشى فى ديوانه غير هذه الابيات فى مدح الغساسنة . ولكن صاحب الأغانى يروى له قصة مع حسان بن ثابت فى بعض دور الخمر بالشام ، إذ ظلا يشربان حتى نام حسان ، فظن الأعشى أنه إنما يتناوم تفادياً من دفع ثمن ماشرب . فلما نام الأعشى وصحا حسان فعرف ما قاله للخمار ، اشترى خمر الخمارة فسكبه فى البيت حتى سال تحت الأعشى وقال فى ذلك شعراً(٢) .

يقول الأعشى :

١ — ....

٢ — ....

٣ — اكتمل حسنها ، وتم شبابها واستحكمت حلقاته ، فأين أذهب منها اليوم ؟

٤ — فتلك التى منعتك نفسها ، وحرمتك ما تتلهف عليه من المتاع ، وذهبت بقلبك فلم تترك منه إلا أقل القليل .

---

(١) زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام ١٧٢ - ١٨٤ (٢) الأغانى ٤ : ١٦٧

٢٦— وَلَدْنٌ مِنَ ٱلْخَطِّىِّ فِيهِ أَسِنَّةٌ   ذَخَائِرُ مِمَّا سَنَّ أَبْزَى وَشَرْعَبُ
٢٧— وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ ٱلْعَقِيقِ صَوَارِمٌ   تُصَانُ لِيَوْمِ الدَّوْخِ فِينَا وَتُخْشَبُ
٢٨— وَكُلُّ دِلَاصٍ كَٱلْأَضَاةِ حَصِينَةٍ   تَرَى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبْذَبُ

(٣١)

وقالَ يَمْدَحُ آلَ جَفْنَة :

١ — أَأَزْمَعْتَ .... (متقارب)
٢ — كَذٰلِكَ بَعْضُ خَيَالِ الشِّتَا   يَحِدُّ إِلَى رَهْنٍ ....
٣ — وَقَدْ أُغْلِقَتْ حَلَقَاتُ الشَّبَابْ   فَأَنَّى لِيَ ٱلْيَوْمَ أَنْ أَسْتَفِيصَا
٤ — فَتِلْكَ الَّتِي حَرَّمَتْكَ ٱلْمَتَاعْ   وَأَوْدَتْ بِقَلْبِكَ إِلَّا شَقِيصَا

(٢٦) لدن مرن . الخطى الرمح ينسب إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن بالبحرين كانت تباع به ، وليس هو منبتها كاقديتوهم . الأسنة جمع سنان وهو حديدة الرمح المحددة . ذخائر مدخرة للحرب . سن الرمح ركب فيه السنان . أبزى وشرعب رجلان من صناع الرماح .

(٢٧) العقيق البرق الذي يستطيل فى عرض السحاب . وقد أكثروا استعارتها للسيوف حتى جعلوها من أسمائها ، فقالوا : سلوا عقائق كالعقائق أى سيوفا تلمع كالبرق . صوارم جمع صارم أى قاطع ، وصرم الحبل قطعه . الدوخ الذل من داخ الرجل أى ذل وخضع . تخشب تصقل .

(٢٨) الدلاص اللين البراق ، ودرع دلاص لينة ملساء ، للمفرد والجمع . الأضاة غدير الماء يشبه به سطح الدرع فى تموج بريقه . فضل الدرع ما فضل منها أى زاد .

(٣١)

(١ — ٤) فاص فى الأرض ذهب ، وفاص منه حاد ، واستفاص برح . الشقص (بكسر فسكون) والشقيص النصيب والسهم والقطعة من الشىء والقليل من الكثير . أودت بقلبك ذهبت به .

٥ — ولقد تراها متفردة بالحسن ، فتسير طول العمر باحثاً عن شبيه لها ، مدققاً فى التنقيب .

٦ — ثم تعود مستحسناً للذى كنت تطلبه ، وقد عرفت أن الغوانى سواء ، فكلهن له بريق خلاب فى رائعة النهار .

٧ — فأن كنت قد يئست من ودها وزهدت فيها ، وأزمعت أن ترحل عنها قاصداً لوجهك ،

٨ — فأدن من رحلك ناقة شديدة ، تنشط للرحلة فى الليل ، ولا تمل الاستجابة لراكبها كلما استحثها على الإسراع .

٩ — إذا اطَّرَدَتْ فى السير ، واندفعت لوجهها وقد انتصف الليل ، لا تكل ولا ينالها الفتور ، خُيِّل لصحبى أنها حمارة وحش مكتنزة اللحم ، لم يُهْزِلْها ولد ترضعه وترعاه .

١٠ — إليك يا (ابن جفنة) قد أدمنت السير ، وواصلت الرحلة فى الليل ، وأنضيت الإبل ، على بعد الشقة وطول الطريق .

١١ — تشتكى إلىَّ ناقتى أخفافها ، وقد أدمى السفر حروفها ، وأكلت الأحجار بطونها ، فلا أرحمها ولا أرثى لشكواها .

١٢ — يراك الأعداء وقد حللت منهم مكان المتحكم القاهر على الرغم منهم .

١٣ — كأنك حية من حيات (سَلْع) القاتلات ، تنشق عن مناكبك الدروع ، حين تمضى يدك صاعدة هابطة بالسيف ، فى صرامة لا تفتر ولا تلين .

١٤ — إذا ما برز فبدا للعيون ، لم ير أعداؤه بداً من أن يحيدوا عن طريقه هاربين .

٥ ــ وَإِنَّكَ لَوْ سِرْتَ عُمْرَ ٱلْفَتَى لِتَلْقَى لَهَا شَبَهًا أَوْ تَغُوصَا
٦ ــ رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِنًا تَرَى لِلْكَوَاعِبِ كَهْرًا وَبِيصَا
٧ ــ فَأَنْ كُنْتَ مِنْ وُدِّهَا يَائِسًا وَأَجْمَعْتَ مِنْهَا بِحَجٍّ قَلُوصَا
٨ ــ فَقَرِّبْ لِرَحْلِكَ جُلْذِيَّةً هَبُوبَ السُّرَى لَا تَمَلُّ النَّصِيصَا
٩ ــ يُشَبِّهُهَا صُحْبَتِي مَوْهِنًا إِذَا مَا ٱسْتَتَبَّتْ أَتَانًا نَحُوصَا
١٠ ــ إِلَيْكَ ٱبْنَ جَفْنَةَ مِنْ شُقَّةٍ دَأَبْتُ السُّرَى وَحَسَرْتُ ٱلْقَلُوصَا
١١ ــ تَشَكَّى إِلَيَّ فَلَمْ أُشْكِهَا مَنَاسِمَ تَدْمَى وَخُفًّا رَهِيصَا
١٢ ــ يَرَاكَ ٱلْأَعَادِي عَلَى رَغْمِهِمْ تَحُلُّ عَلَيْهِمْ مَحَلًّا عَوِيصَا
١٣ ــ كَحَيَّةِ سَلْعٍ مِنَ ٱلْقَاتِلَاتِ تَقُدُّ الصَّرَامَةُ عَنْكَ ٱلْقَمِيصَا
١٤ ــ إِذَا مَا بَدَا بَدْوَةً لِلْعُيُونِ تَذَكَّرَ ذُو الضِّغْنِ مِنْهُ ٱلْمَحِيصَا

(٥ ــ ٧) رام الشيء طلبه . الكواعب جمع كاعب وهى الحسناء . كهر النهار ارتفع ، وكهر الحر اشتد ، كهراً ظهراً أى نصف النهار . الوبيص البريق ، وبص البرق وبصا ووبيصاً لمع وبرق . حج فلاناً (كنصر) قصده ، وحج علينا قدم . القلوص من الابل الشابة ، بمنزلة الجارية من النساء .

(٨ ــ ٩) جلذية سريعة شديدة ، اجلوذ (بفتح اللام وبتشديد الواو) أسرع فى السير . هبوب نشيط . السرى سير الليل . النصيص مصدر نص ، ونص ناقته استحثها ليستخرج آخر ماعندها . الوهن والموهن نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل . استتبت أقامت فى السير ، واستتب الأمر اطرد واستقام . الأتان أنثى الحمار . نحوص لا ولد لها ولا لبن ، والنحوص كذلك الشديدة السمن ، والتى منعها السمن من الحمل .

(١٠ ــ ١٢) الشقة السفر والمسافة . حسر البعير ساقه حتى أعياه ، وحسر البعير (كعلم) أعيى من السير وكل . أشكاه قبل شكواه وأرضاه وأزال عنه ما يشكوه . المنسم خف البعير ، وقيل طرفه الذى هو له كالظفر . خف رهيص أصابه الحجر ، والرواهص الحجارة المتراصفة . أمر عويص صعب .

(١٣ ــ ١٤) سلع جبل بالمدينة . صرم السيف (ككرم) صرامة كان صارماً أى ماضياً ، ورجل صرامة أى مستبد برأيه منقطع عن المشاورة . تقد الصرامة عنك القميصا أى أنه لصرامته يقطع أكمام القميص حتى لا يعوق يده عن الحركة . حاص عنه عدل وحاد . والحيص المحيد والمهرب .

رأينا فى القصيدة (٢٣) أن الأعشى كان يقصد (نجران) فيمدح سادتها بنى الحارث بن كعب، ويقيم عندهم ماحلت له الاقامة . وهذه إحدى القصائد التى أنشأها الأعشى أثناء إقامته عندهم ، يتشوق إلى قومه مفاخراً بهم ، وهى من جيد شعره .

يقول الأعشى :

١ — ....

٢ — يوم تجمعت الإبل عليها هوادجهم وأمتعتهم ، فتولوا مسافرين ، وفارقوا موطن الأصدقاء والخُلَطَاء، حركوا فى قلوبنا الشوق والحنين .

٣ — جعلوا أرض (اليمامة) عن شمالهم ، وانطلقوا قد استعجلهم الرحيل مسرعين .

٤ — قاطعين (بطن العتيق)، تمضى إبلهم الرقيقة وقد أهزلتها الرحلة الطويلة متتابعات .

٥ — قطعوا حبل ودك فى ذاك الصباح وساقوا الإبل راحلين ، بعد قرب من دارهم وائتلاف .

٦ — يوم بدت (قُتَيْلَةُ) تكشف عن جيد طويل، يزينه ماالتف به من حلى وأطواق .

٧ — وثغر متفرق الأسنان ، فيه عذوبة واستواء ، كأنه نور (الأُقْحُوَان) الناصع ، جلاه الندى وأذهب ماعليه من الغبار ، فأشرق زاهيا له بريق .

٨ — وشعر كثيف قد نما غزيرا ، ترويه هذه الفاتنة اللعوب الساذجة التى تنعم بعيش رقيق .

٩ — كريمة العنصر ، بضة الأنامل ، جميلة كالدمية ، لايفسد جمالها العبوس ، ولايذهب بوقارها الإسراف فى الضحك .

١٠ — كأنها ظبية تخلفت عن صحبها من الغزلان ، ترعى مُنْهَبَطَ الوادى الخصيب فى (تَثْلِيث)، حيث يجرى الماء فيزدهر النبات ، وقد خلا لها القاع .

١١ — تهز شجر الأراك بقرنيها اللطيفين ، وكأنهما منفاخان صغيران قد تباعدما بينهما وانفرج، فتتساقط فوقها أوراقه وثماره رطبةً ويابسة .

١٢ — تحت أغصان الأراك ، يكاد إذا طلعت الشمس عليه أن يترقرق ويذوب .

١٣ — تتبع طفلا لها ضئيلا لين العظام فاتر الطرف ضعيف القوى ،

١٤ — لاتبعد عنه طول النهار ، ولا تؤخر رضاعته ، إلا ريثما يجتمع فى ضرعها بعض اللبن .

وَقَالَ بِنَجْرَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى قَوْمِهِ مُفْتَخِرًا بِهِمْ :

١ — ....اقُ (خفيف)

٢ — يَوْمَ قَفَّتْ حُمُولُهُمْ فَتَوَلَّوْا قَطَّعُوا مَعْهَدَ ٱلْخَلِيطِ فَشَاقُوا

٣ — جَاعِلَاتٍ جَوْزَ ٱلْيَمَامَةِ بِٱلْأَشْـ ـمُلِ سَيْرًا يَحُثُّهُنَّ ٱنْطِلَاقُ

٤ — جَازِعَاتٍ بَطْنَ ٱلْعَتِيقِ كَمَا تَمْـ ـضِى رِفَاقٌ أَمَامَهُنَّ رِفَاقُ

٥ — بَعْدَ قُرْبٍ مِنْ دَارِهِمْ وَٱئْتِلَافٍ صَرَمُوا حَبْلَكَ ٱلْغَدَاةَ وَسَاقُوا

٦ — يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ـدٍ تَلِيعٍ تَزِينُهُ ٱلْأَطْوَاقُ

٧ — وَشَتِيتٍ كَٱلْأُقْحُوَانِ جَلَاهُ ٱلـ ـطَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَٱتِّسَاقُ

٨ — وَأَثِيثٍ جَثْلِ ٱلنَّبَاتِ تُرَوِّيـ ـهِ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْنَاقُ

٩ — حُرَّةٌ طَفْلَةُ ٱلْأَنَامِلِ كَالدُّمْـ ـيَةِ لَا عَابِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

١٠ — كَخَذُولٍ تَرْعَى ٱلنَّوَاصِفَ مِنْ تَثْـ ـلِيثَ قَفْرًا خَلَا لَهَا ٱلْأَسْلَاقُ

١١ — تَنْفُضُ ٱلْمَرْدَ وَٱلْكَبَاثَ بِحِمْلَا جٍ لَطِيفٍ فِى جَانِبَيْهِ ٱنْفِرَاقُ

١٢ — فِى أَرَاكٍ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا ذَرَّتِ ٱلشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ

(١ — ٣) قف انضم بعضه إلى بعض ، والقف (بضم القاف) المتجمع الغليظ من الارض . الحمول الهوادج أو الابل عليها الهوادج . الخليط من يخالطك من الناس . المعهد مصدر ميمى أو اسم مكان من العهد وهو المودة واللقاء . جوز الشىء وسطه ومعظمه. حثه على الأمر حضه عليه .

(٤ — ٧) جزع الوادى قطعه عرضاً . ناقة رقيقة ضعفت أنقاؤها ورقت واتسم مجرى مخها ، والنقا عظم العضد وكل عظم ذى مخ. صرموا قطعوا. الحبل يكنى به عن الود . الغداة الصباح المبكر ظرف زمان . تليع طويل . شتيت متفرق وهو اسنانها المتفرقة غير متلاصقة وذلك أدعى للاحتفاظ بها نظيفة دائما لأن بقايا الطعام لا تتخللها . الأقحوان نبت زهره أبيض . جلاه أذهب ماعليه من الغبار فأشرق وحسن . الطل الندى والمطر الخفيف . اتساق استواء .

(٨ — ٩) أثيث غزير . جثل كثيف . ترويه تنميه بالعناية به . غريرة ساذجة لم تجرب الأمور ، والسذاجة تزين المرأة فهى لا توصف بالمكر ولا القوة . مفناق منعمة مترفة . حرة كريمة ، والحر الكريم والخالص من كل شىء . طفلة ناعمة رخصة . الدمية التمثال والصورة . مهزاق كثيرة الضحك .

(١٠ — ١٢) خذلت الظبية وغيرها من الدواب تخلفت عن صحبها وانفردت فهى خاذل وخذول . النواصف جمع ناصفة وهى مجرى الماء والمكان الكثير النبات الخصب . تثليث بلد فى اليمن . الأسلاق جمع سلق (بفتحتين) وهو القاع، والقاع الوادى المطمئن الذى يستقر فيه الماء . المرد ثمر الأراك الأخضر ، فاذا نضج وأدرك فهو كباث (بفتح الكاف) . الحملاج منفاخ الصائغ شبه به قرنيها . الانفراق انفساح مابين القرنين . الأراك شجر تستعمل قضبانه فى السواك . هراق الماء وأراقه صبه .

١٥— قد ملأ قلبَها الإشفاقُ عليه ، حتى شف جسمها وأهزلها ، فهى لا تتركه ولا تتجاوزه .

١٦— وإذا خافت عليه السباع من الأدغال ، وحل بها المساء فخان انطلاقها عن هذا الموضع الخطير ،

١٧— عادت هذه الظبية الطويلة العنق بطفلها ، لاتبيت حيث كانت ترتع وترعى فى النهار ، حتى لاتعرضه للأخطار . لاتمنع عنه لبنها ، ولاتمل رعايته ، ولاتضيق به .

١٨— لم يُغْن كل ذلك عنها ولا عن وليدها شيئا . فاصبرى على مصابك ، فلا بد من نفاذ المقدور ، ولا سبيل إلى إصلاح مافات ، فصدع الزجاجة لايلتئم .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء فيقول :

١٩— وصحراء قفر كأنها ظهر تُرْس ، لاتَتَبَلَّغ فيها الإبل إلا الاجترارَ واسترجاعَ مافى بطنها من طعام .

٢٠— تجاوزتها مسافرا ، وتخطيت أهوالها فوق ناقة نشيطة صلبة ، تمد عنقها فى سيرها حين توسع الخطو ، مسترسلة فى سير فسيح مديد .

٢١— ترجم الآكام بأخفافها الصلبة فيتكسر من تحتها الحصى والأحجار .

٢٢— ولقد أقطع ود الخليل حين أستيئس من وصله ـ وإنما الإخاء صدق الود والصفاء ـ

٢٣— بناقة دكناء صلبة الخف ، رعت مَاءَىْ (عَوانة) و (فِتاق) .

٢٤— ذات حدة ونشاط ، تمضى فى طريقها رامية صدرها بالأعجاز ، إذا تدافع سائرُ جسدها فى حركة لاتفتر

٢٥— تستظل بالأشجار حين يلتهب الحر وتقوم الشمس فوق الرءوس فتنكمش الظلال .

٢٦— وكأن الرحل والقربة وسائر المتاع ، حين مضت تتلاحق أرجلها الطوال ،

٢٧— فوق حمار وحش تضخم وسمن بعد أن رعى النبت وأكل البقول ، يقاسى حر الصيف وعضّ الفحول والتَّنْهاق .

٢٨— أو كأن رحلى ومتاعى فوق ثور وحش هزله الجوع ، فاندس تحت شجرة من أشجار (الارطَى) يبيت فى جانبها ، على ضيق المكان .

٢٩— أفزعته سحابة مظلمة حمراء غزيرة المطر ، تقصف رعودها ، وينهلُّ مقدَّمها بالماء .

١٣— وَهِيَ تَتْلُو رَخْصَ ٱلْعِظَامِ ضَئِيلًا   فَاتِرَ الطَّرْفِ فِي قُوَاهُ ٱنْسِرَاقُ
١٤— مَا تَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ وَلَا تَعْـ   جُوهُ إِلَّا عُفَافَةٌ أَوْ فُوَاقُ
١٥— مُشْفِقًا قَلْبُهَا عَلَيْهِ فَمَا تَعْـ   ـدُوهُ قَدْ شَفَّ جِسْمَهَا ٱلْأَشْفَاقُ
١٦— وَإِذَا خَافَتِ السِّبَاعَ مِنَ ٱلْغِيـ   ـلِ وَأَمْسَتْ وَحَانَ مِنْهَا ٱنْطِلَاقُ
١٧— رَوَّحَتْهُ جَيْدَاءُ ذَاهِبَةُ ٱلْمَرْ   تَعِ لَا خَبَّةٌ وَلَا مِغْلَاقُ
١٨— فَٱصْبِرِي النَّفْسَ إِنَّ مَاحُمَّ حَقٌّ   لَيْسَ لِلصَّدْعِ فِي الزُّجَاجِ اتِّفَاقُ
١٩— وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ   لَيْسَ إِلَّا الرَّجِيعَ فِيهَا عَلَاقُ
٢٠— قَدْ تَجَاوَزْتُهَا وَتَحْتِي مَرُوحٌ   عَنْتَرِيسٌ نَعَّابَةٌ مِعْنَاقُ
٢١— عِرْمِسٌ تَرْجُمُ ٱلْأَكَامَ بِأَخْفَا   فٍ صِلَابٍ مِنْهَا ٱلْحَصَى أَفْلَاق
٢٢— وَلَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْخَلِيلَ إِذَا لَمْ   أَرْجُ وَصْلًا إِنَّ ٱلْأَخَاءَ الصِّدَاقُ
٢٣— بِكُمَيْتٍ عَرْفَاءَ مُجْمَرَةِ ٱلْخُفْـ   ـفِ غَذَتْهَا عَوَانَةٌ وَفِتَاقُ
٢٤— ذَاتِ غَرْبٍ تَرْمِي ٱلْمُقَدَّمَ بِالرِّدْ   فِ إِذَا مَا تَدَافَعَ ٱلْأَرْوَاقُ
٢٥— فِي مَقِيلِ ٱلْكِنَاسِ إِذْ وَقَدَ ٱلْيَوْ   مُ إِذَا الظِّلُّ أَحْرَزَتْهُ السَّاقُ

(١٣ — ١٥) تتلو تتبع . رخص لين . انسراق نقص وضعف . تمادى تتباعد . عجت الام ولدها أخرت رضاعته عن مواقيته ، وعجته أيضاً أرضعته ، من الأضداد . العفافة اجتماع اللبن في الضرع ، والبقية من اللبن في الضرع بعد ما استنزف أكثره . الفواق (بضم الفاء) ما بين الحلبتين من الوقت . تعدوه تتجاوزه وتتركه . شف جسمها أنحله وأسقمه .

(١٦ — ١٨) الغيل الشجر الملتف . أمست حل بها المساء . روحته من الرواح وهو العودة إلى المنزل في آخر النهار . جيداء طويلة العنق. المرتع المكان الذى ترتع فيه أى ترعى وتلعب . ذاهبة المرتع يريد أنها إذا أمست لم تبت في المرتع . خبة تخبأدرتها ولبنها. مغلاق من غلق الرجل (كفرح) إذا ضجر وقلق . حم الأمر (على البناء للمجهول) قضى .

(١٩ — ٢٠) الفلاة الصحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . الرجيع الجرة (بكسر الجيم) لان الدابة تسترجع ما أكلت حين تجتر . العلاق ما تتبلغ به الماشية من الشجر . مروح نشيطة . عنتريس صلبة شديدة . نعابة من نعبت الابل إذا مدت أعناقها في سيرها . معناق من العنق (بفتحتين) وهو سير مسبطر فسيح واسع للابل والدابة .

(٢١ — ٢٣) العرمس الصخرة والناقة الصلبة . الاكام المرتفعات . أفلاق جمع فلقة (على وزن قطعة) وهى الكسرة من الشىء . الصداق مصدر صادق . ناقة كميت حمراء تضرب للسواد . عرفاء عالية السنام صار سنامها فوقها كالعرف . مجمرة مجتمعة صلبة . عوانة وفتاق ماءان .

(٢٤ — ٢٥) الغرب الحدة والنشاط. الرداف العجز (بفتح ثم ضم) الأرواق جماعة الجسم ، والروق الجثة ، وأرواق الليل أثناء ظلمته ، والروق (بفتح فسكون) الطائفة من الليل . المقيل الموضع الذى يستكن فيه من الحر . الكناس شجرة يأوى إليها الحيوان. ليستظل بها . وقد اليوم اشتد حره .

٣٠— فظل طول ليله ساهراً يعانى المتاعب والآلام . حتى إذا أشرق الصباح ، لاح له على ضوء النهار ،

٣١— صائد عابس الوجه من (جَدِيلة) أو (نَبْهان)، أفنى كلابه الضارية كثرةُ الملاحقة للصيد و طولُ الطِّراد .

٣٢— فظل طول نهاره يتفادى منها ، متواريا بالرمال العريضة و بصغار الكثبان .

٣٣— تطارده كلاب مسترخية الآذان ، قد انتشرت كأنها النحل ، لا هم لها إلا اقتناصه وقد عضها الجوع .

٣٤— فذلك شبيه ناقتى حين يجهدها السير ، وحين تتقاذفنى فوقها رمال الصحراء المتلبدة بالحصى والأحجار .

* * *

٣٥— على مثلها أزور قومى من (بنى قيس) إذا طال بالحبيب الفراق .

٣٦— فأنا منهم وهم قومى وإنى إليهم لمشتاق .

٣٧— وهم ما يعلم الناس من الجود فى الجدب ، حين تعز الخمر ، وتجف القِرَب ، ويخلو كلُّ وعاء .

٣٨— المنفقون مالهم فى زمان الجدب ، حتى إذا عاد إلى الخصب ، عادوا إلى ما تعودوا من العطاء .

٣٩— وإذا ضن الموسرون وطووا مالهم عن الصديق ، وكشفت الشدة عن مخبوء الطبائع وعن حقائق الأخلاق ،

٤٠— وهزل الإبلَ الجوعُ فسقطت على الأرض من الإعياء ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ليعينوها على الوقوف ، وأعيى الراعى أن يجد المرعى لاستحكام الجدب ،

٤١— جَرَوا عند ذاك على ما طُبِعوا عليه من الفضل ، كما يجرى القدح الكريم فى الميسر على ما تعود من الفوز .

٤٢— فاذا جادت الأمطار ، فعم الزرع الآفاق ، وكلل الزهر الربى والمرتفعات ، وضعوا القداح وأبطلوا الميسر وقد أخصب الناس .

٤٣— يشربون الخمر ، ويشاركون فى ضروب اللهو ، ويُجْرون الخيل فى السباق ، فلا يذهب شىء من ذلك بأحلامهم ، ولا يخرجهم عن وقارهم فيسفهوا .

٤٤— وإذا كلحت الوجوه فى الحروب ، وتقلصت الشفاه عن الأسنان ، حتى يبدو قصيرها طويلا ، وجفت الحلوق من البصاق ،

٢٦— وَكَأَنَّ ٱلْقُتُودَ وَٱلْعِجْلَةَ وَٱلْـ ... وَفْرَ لَمَّا تَلاحَقَ السُّوَّاقُ

٢٧— فَوْقَ مُسْتَبْقِلٍ أَضَرَّ بِهِ الصَّيْـ ... فُ وَزَرٌ ٱلْفُحُولِ وَالتَّنْهَاقُ

٢٨— أَوْ فَرِيدٍ طَاوٍ تَضَيَّفَ أَرْطَا ... ةً يَبِيتُ فِي دَفْئِهَا وَيُضَاقُ

٢٩— أَخْرَجَتْهُ قَهْبَاءُ مُسْبِلَةُ ٱلْوَدْ ... قِ رَجُوسٌ قُدَّامُهَا فُرَّاقُ

٣٠— لَمْ يَنَمْ لَيْلَةَ التَّمَامِ لِكَيْ يُصْـ ... بِحَ حَتَّى أَضَاءَهُ ٱلْإِشْرَاقُ

٣١— سَاهِمَ ٱلْوَجْهِ مِنْ جَدِيلَةَ أَوْ لِحْـ ... يَانَ أَفْنَى ضِرَاءَهُ ٱلْإِطْلَاقُ

٣٢— وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ تُوَارِيـ ... هِ عِرَاضُ الرِّمَالِ وَالدَّرْدَاقُ

٣٣— وَتَلَتْهُ غُضْفٌ طَوَارِدُ كَالنَّحْـ ... لِ مَغَارِيثُ هَمُّهُنَّ اللَّحَاقُ

٣٤— ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي إِذْ تَرَامَتْ ... بِي عَلَيْهَا بَعْدَ الْبِرَاقِ ٱلْبِرَاقُ

٣٥— فَعَلَى مِثْلِهَا أَزُورُ بَنِي قَيْـ ... سٍ إِذَا شَطَّ بِٱلْحَبِيبِ ٱلْفِرَاقُ

٣٦— إِنَّنِي مِنْهُمُ وَإِنَّهُمُ قَوْ ... مِي وَإِنِّي إِلَيْهِمُ مُشْتَاقُ

٣٧— وَهُمُ مَا هُمُ إِذَا عَزَّتِ ٱلْخَمْـ ... رُ وَقَامَتْ زِقَاقُهُمْ وَٱلْحِقَاقُ

٣٨— الْمُهِينِينَ مَالَهُمْ لِزَمَانِ ٱلسَّـ ... وْءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

٣٩— وَإِذَا ذُو ٱلْفُضُولِ ضَنَّ عَلَى ٱلْمَوْ ... لَى وَصَارَتْ لِخِيمِهَا ٱلْأَخْلَاقُ

٤٠— وَمَشَى ٱلْقَوْمُ بِٱلْعِمَادِ إِلَى الرَّزْ ... حَى وَأَعْيَى ٱلْمُسِيمُ أَيْنَ ٱلْمَسَاقُ

(٢٦ — ٢٨) القتود الرحل بأداته العجلة المزادة وهى قربة صغيرة لحفظ الماء والخمر . الوفر من المال والمتاع الكثير. السواق جمع سائق والسواق كذلك الطويل الساق . تبقلت الماشية واستبقلت سمنت من أكل البقل . صاف بالمكان صيفاً أقام به فى الصيف . زره طرده وعضه ، وزر الشمر نتفه . طاو جائع . تضيفه أتاه ضيفاً . الأرطاة شجرة ثمارها مرة تأكلها الابل غضة . دفئها جنبها .

(٢٩ — ٣١) الأقهب الذى فيه حمرة فيها غبرة الودق المطر . رجست السماء رعدت رعدا شديداً وأمطرت . الفراق جمع فارق وهى الناقة يشتد بها المخاض ثم تلقى ولدها من شدة الوجع . لم ينم يقصد الثور . ليلة التمام كل ليلة كابدها صاحبها . سهم وجهه (كقطع وكرم) تغير لونه . جديلة ولحيان حيان . الضرو والضارى من الكلاب جمعها ضراء . الاطلاق مصدر أطلق المواشى أى سرحها وأرسلها .

(٣٢ — ٣٥) تمادى تباعد النهار ظرف زمان . الدرداق دك صغير متلبد من الرمال . الغضف كلاب الصيد ، وغضفت الأذن (كعلم) طالت واسترخت . مغاريث من غرث (كطرب) جاع . البراق جمع برقة (بضم الباء) وهى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين . شط بعد .

(٣٦ — ٤٠) الحقاق جمع حقة (بالضم ثم التشديد) وهى وعاء من خشب وقد يصنع من العاج . أفاق رجع إلى الخصب . أفاقوا رجعوا إلى العطية . الخيم (بكسر الخاء) الطبيعة والسجية . الرزحى الابل تهزل فلا تستطيع المشى فتسقط ، جمع زارح . يضعون العماد تحت بطونها ثم يرفعونها . المسيم اسم فاعل من أسام الماشية أرعاها فى المرعى .

٤٥— ركبوا الخيول إلى القتال ، ثابتين فوق سروجها لا يميلون ، حين ترتبك الأيدى فى وضع السهام موضعها من الأقواس .

٤٦— ....

* * *

٤٧— مقيما بين سادة (نجران) ، مغموراً بالخير والنعيم ، غير أننى مشتاق .

٤٨— بين مطايا عَجِل أصحابها عن المقام ، ولا هَمَّ لهم إلا العراق .

٤٩— لنا فى الصباح طعام طيب من دقيق القمح الأبيض الخالص ، واللحم الكثير تتخطفه الأيدى من القدور ، تدور علينا كؤوس الخمر فى الصباح وفى المساء .

٥٠— ينادمنا فتيان بيض الوجوه ، كأنهم الفحول المكرمة عند أصحابها ، لا تُركَب ولا يمسها حبل .

٥١— فيهم الخصب والسماحة والنجدة ، والخطيب الذى يُدوِّى صوته مجلجلا .

٥٢— أبيون لا يُسامون الذل ، وُقُرٌ راجحو الأحلام .

٥٣— لهم مجلس يَغَصُّ صدرُه برجال كالأسود ، عليهم ناعم الملبس ورقيق الثياب .

٤١— أَخَذُوا فَضْلَهُمْ هُنَاكَ وَقَدْ تَجْـ   ـرِى عَلَى فَضْلِهَا ٱلْقِدَاحُ ٱلْعِتَاقُ
٤٢— فَأَذَا جَادَتِ ٱلدُّجى وَضَعُوا ٱلْقِدْ   حَ وَجُنَّ ٱلتِّلَاعُ وَٱلْآفَاقُ
٤٣— لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرْبَةُ ٱلْكَأْ   سِ وَلَا ٱللَّهْوُ بَيْنَهُمْ وَٱلسِّبَاقُ
٤٤— وَإِذَا مَا ٱلْأَكَسُّ شُبِّهَ بِٱلْأَرْ   وَقِ عِنْدَ ٱلْهَيْجَا وَقَلَّ ٱلْبُصَاقُ
٤٥— رُكِبَتْ مِنْهُمْ إِلَى ٱلرَّوْعِ خَيْلٌ   غَيْرُ مِيلٍ إِذْ يُخْطَأُ ٱلْأَيْفَاقُ
٤٦— أَنْ تَكُونُوا وَدَعْتُمُ و ....
٤٧— وَاضِعًا فِى سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِى   نَاعِمًا غَيْرَ أَنَّنِى مُشْتَاق
٤٨— فِى مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَـالٌ   عَنْ ثَوَاءٍ وَهَمُّهُنَّ ٱلْعِرَاقُ
٤٩— دَرْمَكٌ لَنَا غُدْوَةً وَنَشِيلٌ   وَصَبُوحٌ مُبَاكِرٌ وَٱغْتِبَاقُ
٥٠— وَنَدَامَى بِيضُ ٱلْوُجُوهِ كَأَنَّ ٱلـ   ـشَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبٌ أَفْنَاقُ
٥١— فِيهِمُ ٱلْخِصْبُ وَٱلسَّمَاحَةُ وَٱلنَّجْـ   ـدَةُ فِيهِمْ وَٱلْخَاطِبُ ٱلْمِصْلَاقُ
٥٢— وَأَبِيُّونَ مَا يُسَامُونَ ضَيْماً   وَمَكِيثُونَ وَٱلْحُلُومُ وِثَاقُ
٥٣— وَتَرَى مَجْلِسًا يَغَصُّ بِهِ ٱلْمِحْـ   ـرَابُ كَٱلْأُسْدِ وَٱلثِّيَابُ رِقَاقُ

(٤١ — ٤٤) القداح أسهم الميسر . العتيق الكريم والخيار من كل شىء ، وكانوا يتفاءلون ببعض القداح ويعتزون بها لأنهم يعتقدون أنها ميمونة كثيرة الربح . الدجى الأمطار جمع دجية (بضم فسكون) . وضعوا القدح تركوا الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقدح فى الشدة والقحط ، فاذا أخصبوا تركوا ذلك ، لأن الميسر إنما يحمد فى الجدب . وجن التلاع حسن نباتها . آفاق الارض نواحيها . السباق سباق الخيل وهو إجراؤها فى مضمار تتسابق فيه . الأكس القصير الاسنان . الاروق الطويل الاسنان . الهيجى والهيجاء الحرب .

(٤٥ — ٤٨) الأميل من يميل على السرج فى جانب ، ومن لا ترس معه ولا رمح . أوفق السهم إيفاقاً وضع الفوق فى الوتر ليرمى ، والفوق مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . سراة كل شىء خياره وأجوده . الثواء الاقامة . الهم ما يشغل البال .

(٤٩ — ٥١) الدرمك الدقيق الأبيض من لباب القمح . النشيل اللحم المنشول من القدر باليد لا بالمغرفة ، وهو كذلك ما طبخ من اللحم بغير توابل . الصبوح خمر الصباح . والغبوق (بفتح الغين) خمر المساء . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . المصعب الفحل الذى لا يركب ولا يمس لكرامته عند أصحابه . الفنيق (على وزن كريم) هو المصعب (بضم الميم وفتح العين) . الصلق (بفتح الصاد وسكون اللام) الصوت الشديد .

(٥٢ — ٥٣) أبيون يأبون الضيم . الضيم الذل . المكانة التؤدة . الوثيق المحكم . المحراب مقدم المجلس وصدره .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، خلاصتها أن المحلق — وقيل إنه لقب بذلك لبعير عضه فترك فى وجهه أثراً كالحلقة ، أو لكدنة كانت فى خده كالحلقة — كان فقيراً ذا بنات . واتفق أن قدم الأعشى مكة — وكان يوافى سوق عكاظ فى كل عام — فأسرع إليه المحلق فضيفه وبالغ فى إكرامه ، رجاء أن يصيبه خير من مدحه . فلما أصبح الأعشى وافى عكاظاً فأنشد هذه القصيدة . قالوا ، فتسارع إليه الناس يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة إلا هى فى عصمة رجل ثرى شريف (الأغانى ٩ : ١١٣ — ١١٧)

يبدأ الأعشى قصيدته شاكياً مما اجتمع عليه من ضعف الشيخوخة وكلال البصر وتتابع النوائب فيقول :

١ — قضيت ليلى ساهراً لا أنام ، ولست بالعاشق ولا السقيم .

٢ — ولكن أحداث الدهر تنتابنى وتطرقنى كل يوم بجديد ، فلى منها فى الصباح مالم يكن عندى فى المساء .

٣ — ولئن أمسيت وقد اجتمع على الشيب والهم وكلال البصر — وإن الأحجار لتتفلق ويفنيها الزمان —

٤ — فما أثارت هذه المصائب إلا شجاعا جلداً قد علمته النكبات ، وتتابع عليه من الدهر القضاء يتلوه القضاء ، فتعلم منه واستفاد ، حتى ماتخيفه النكبات والأحداث .

ويمضى الشاعر فى إبراز هذا المعنى الذى يقصد إليه من تفاهة الدنيا وهوانها ، فيقص طرفا من أخبار الملوك وماكانوا فيه من نعيم لم يرد عنهم الموت ، فكل الناس يصيرون إلى نهاية واحدة، لا فرق بين كبير وحقير . وهذه الأخبار التى يرويها الأعشى هى جزء من ثقافة الشاعر فى ذلك الوقت . وهى خليط من التاريخ والأساطير . يقول الأعشى :

٥ — وهل هذا الألم إلا إلى نهاية كما أن النعيم إلى نهاية ، فما أنا بالمخلد ، وما خلد من قبل (ساسان) ملك الفرس ولا (مُورَق) ملك الروم .

٦ — ولا خلد (كسرى شَهِنْشَاه) بعد أن اجتمع له من دنياه ما اشتهى من خمر عتيق ومن رياحين .

٧ — ولا منعت أموال (عاديا) عنه الموت ، ولا رده عنه حصنه (الأَبلق) فى (تيماء) ،

٨ — وقد بناه (سليمان) فى سالف الأَحقاب وقديم الزمان ، عالياً وثيق البناء .

٩ — يرتفع إلى كبد السماء ، قد فرشت أرضه بالبلاط ، وأحاطت به الأَسوار بنيت بالأَحجار ، ودار من حول كل ذلك خندق عميق .

١٠ — فى أعلاه غرف الشراب فرشت بالطنافس ، ونثر فيها المسك والريحان ، حيث تقدم الخمر الرائقة للشاربين .

١١ — وقيان ناصعات البياض كأنهن التماثيل ، وخدم ، وطباخ يقوم على طهو ألوان الطعام فى القدور ، وأقداح ، وخوان .

١٢ — كل ذلك كان له ، فلم يُعْجِز اللهَ أن يتوفاه ، ولكن أتاه الموت ظاهراً عارياً لا يتخفى ولا يستتر .

وقَالَ يَمْدَحُ الْمُحَلَّقَ بْنَ حَنْتَمِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَةَ :

(طويل)

١ — أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُؤَرِّقُ ... وَما بِىَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِى مَعْشَقُ
٢ — وَلَكِنْ أَرَانِى لَا أَزَالُ بِحَادِثٍ ... أُغَادَى بِمَا لَمْ يُمْسِ عِنْدِى وَأُطْرَقُ
٣ — فَإِنْ يُمْسِ عِنْدِى الشَّيْبُ وَالْهَمُّ وَالعَشَى ... فَقَدْ بِنَّ مِنِّى وَالسِّلَامُ تُفَلَّقُ
٤ — بِأَشْجَعَ أَخَّاذٍ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ ... فَمِنْ أَىِّ مَا تَجْنِى الْحَوَادِثُ أَفْرَقُ
٥ — فَمَا أَنْتَ إِنْ دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ ... كَمَا لَمْ يُخَلَّدْ قَبْلُ سَاسَا وَمُورَقُ
٦ — وَكِسْرَى شَهِنْشَاهُ الَّذِى سَارَ مُلْكُهُ ... لَهُ مَا اشْتَهَى رَاحٌ عَتِيقٌ وَزَنْبَقُ
٧ — وَلَا عَادِيًا لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ مَالُهُ ... وَحِصْنٌ بِتَيْمَاءَ الْيَهُودِىِّ أَبْلَقُ
٨ — بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ حِقْبَةً ... لَهُ أَزَجٌ عَالٍ وَطَىٌّ مُوَثَّقُ
٩ — يُوَازِى كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ ... بَلَاطٌ وَدَارَاتٌ وَكِلْسٌ وَخَنْدَقُ
١٠ — لَهُ دَرْمَكٌ فِى رَأْسِهِ وَمَشَارِبٌ ... وَمِسْكٌ وَرَيْحَانٌ وَرَاحٌ تُصَفَّقُ
١١ — وَحُورٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفٌ ... وَقِدْرٌ وَطَبَّاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ
١٢ — فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الْمَوْتِ رَبَّهُ ... وَلَكِنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَا يَتَأَبَّقُ

(١ — ٣) معشق مصدر ميمى من العشق . غاداه باكره، والغدوة بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . طرقه صكه وضربه بالمطرقة ،وطرق الرجل القوم أتاهم ليلا . بن أى فارقن، يقصد الشيب والهم والعشى . السلام (بكسر السين) جمع سلمة (بثلاث فتحات) وهى الحجارة .

(٤ — ٦) الأشجع الشجاع . أخاذ تحتمل أن تكون من أخذ عن فلان أى نقل ، وتحتمل أن تكون من أخذ على يده أى منعه وكفه . الحكم القضاء . ما مصدرية . الفرق الخوف والفزع . ساسان ملك الفرس . مورق قالوا إنه ملك الروم . شهنشاه كلمة فارسية معناها ملك الملوك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كاذربة يغلب عليه اللون الخمرى.

(٧ — ٩) تيماء اليهودى ، اليهودى مضاف إليه ، نسب تيماء التى كان بها حصنه (الأبلق) إليه . وكان عاديا يهوديا ، وهو أبو السموءل . وتزعم الروايات والأساطير أن هذا الحصن من بناء سليمان عليه السلام . الأزج ضرب من الأبنية يبنى طولا . وأزج البناء علاه . طوى البئر يطويها طيا عرشها بالحجارة والآجر . الدارة ما أحاط بالشىء . الكلس الحجارة . الخندق حفير حول أسوار المدن (فارسى معرب) .

(١٠ — ١٢) الدرمك التراب الناعم ، ودرمك البناء ملسه . مشارب غرف يشربون فيها . صفق الخمر روقها بأن يصبها من إناء إلى إناء . الحور جمع حوراء وهى البيضاء . مناصف جمع منصف وهو الخادم . الصاع قدح يكال به . الديسق خوان من فضة (فارسى معرب) . يتأبق يختفى ويستتر .

١٣— وكذلك كان أمر (النعمان). ولقد لقيتُه فى نعمته، يصرف العطاء بين الناس فيفضل هذا على ذاك، ويدفع إليهم صكوكهم بما قسم لهم من الجوائز.

١٤— تتدفق على خزائنه الأموال والمكوس، من (السَّيْلَحُون)، ومن ورائها (صَرِيفُون) ذات الأَنهار، و(الخورنق).

١٥— يقسم أمر الناس بين السعادة والشقاء، فهذا نهار مشرق بهيج، وذاك ليل مظلم بهيم، وهم ساكتون، والموت يتكلم.

١٦— ويأمر لفرسه (اليَحْمُوم) كل مساء فيعلف القت والشعير، حتى يمتلىء ويكتظ بالطعام.

١٧— يغطى ظهره بالأَكسية التى تصونه من البرد فى الليل، ويروضه القائم عليه فى النهار، فيجريه حتى يتصبب منه العرق.

١٨— كل ذلك كان له، فلم ينجه من الموت، حتى مات سجيناً فى (ساباط).

فأَذا فرغ الأَعشى من إبراز هذا الذى قصد إليه من تصوير تفاهة الحياة، راح يتسلى باسترجاع ذكريات شبابه، فيقول:

١٩— كم قصَّرْتُ اليومَ الطويل بين فتية كرماء، نشرب الخمر فى خباء قد أظل بَابَهُ سقفٌ ممدود.

٢٠— وعندنا جارية قد طلت جسمها بالمسك والزعفران فبدت بشرتها صفراء، يتحسس الندماء جسمها من فتوق قميصها المشقوق الأَكمام.

٢١— إذا طلبتُ إليها الغناء، نهضت إلى مزهرها، تدير أصابعها على أوتاره، فتنبعث منه أنغام كأنها الكلام.

٢٢— يشوى لنا اللحم خادم نشيط حين نشاء، ونشرب الخمر حمراء يعلوها الزبد حين تصفَّى من إناء إلى إناء.

٢٣— لو سقط فيها القذى لظهر لصفائها واضحاً فى قعر الكأس، فكأنه فى سطحها، يذوقها الشارب فيظل يتلمظ متلذذاً مستعذبا.

٢٤— وعندنا قربة تفيض بالماء، ودن أسود ملىء بالراح.

٢٥— وكم من صحراء واسعة مخيفة، قد قطعتها بناقة ضخمة، حين يخفق فوقها السراب ويضطرب.

٢٦— قطعتها وحدى لا أستعين عليها إلا بناقتى، فهى الصديق القريب، من فوقها رَحْلٌ عظيم قد فرش ببساط وألقيت عليه وسادة.

١٣— وَلَا ٱلْمَلِكُ ٱلنُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتَهُ   بِأُمَّتِهِ يُعْطِي ٱلْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ
١٤— وَيُجْبَى إِلَيْهِ ٱلسَّيْلَحُونَ وَدُونَهَا   صَرِيفُونَ فِي أَنْهَارِهَا وَٱلْخَوَرْنَقُ
١٥— وَيَقْسِمُ أَمْرَ ٱلنَّاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةً   وَهُمْ سَاكِتُونَ وَٱلْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ
١٦— وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ   بِقَتٍّ وَتَعْلِيقٍ وَقَدْ كَادَ يَسْنَقُ
١٧— يُعَالَى عَلَيْهِ ٱلْجُلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ   وَيُرْفَعُ نَقْلًا بِٱلضُّحَى وَيُعَرَّقُ
١٨— فَذَاكَ وَمَا أَنْجَى مِنَ ٱلْمَوْتِ رَبَّهُ   بِسَابَاطَ حَتَّى مَاتَ وَهْوَ مُحَزْرَقُ
١٩— وَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْيَوْمَ ٱلطَّوِيلَ بِفِتْيَةٍ   مَسَامِيحَ تُسْقَى وَٱلْخِبَاءُ مُرَوَّقُ
٢٠— وَرَادِعَةٍ بِٱلْمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا   لِجَسِّ ٱلنَّدَامَى فِي يَدِ ٱلدِّرْعِ مَفْتَقُ
٢١— إِذَا قُلْتُ غَنِّ ٱلشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ   يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ ٱلْكَفُّ يَنْطِقُ
٢٢— وَشَاوٍ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٌ بِمِسْعَرٍ   وَصَهْبَاءُ مِزْبَادٌ إِذَا مَا تُصَفَّقُ
٢٣— تُرِيكَ ٱلْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَهُ   إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ
٢٤— وَظَلَّتْ شَعِيبٌ غَرْبَةُ ٱلْمَاءِ عِنْدَنَا   وَأَسْحَمُ مَمْلُوءٌ مِنَ ٱلرَّاحِ مُتْأَقُ
٢٥— وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ   إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقْرَقُ

(١٣ — ١٥) الامة النعمة . القطوط جمع قط (بكسر القاف) وهو الصك بالجائزة . أفق (كضرب) فى العطاء فضل وأعطى بعضاً أكثر من بعض . السيلحون وصريفون قريتان . الخورنق قصر مشهور للنعمان ، وأصله خورنكاه ومعناه بالفارسية موضع الشرب .

(١٦ — ١٨) اليحموم اسم فرس النعمان . القت نبات تعلفه الدواب واسمه الفصفصة (بكسر الفاءين) ، فاذا يبس سمى قتا . التعليق ما تعلفه الدواب من الشعير ونحوه . السنق للحيوان كالتخمة للانسان ، فعله سنق (كعلم) ، وقد أخذ النقاد على الأعشى هذا البيت، فقالوا إن هذا قليل جداً فى ملك ، فذلك ما يفعله أقل الناس لفرسه . الجل ما تغطى به الدابة ليصونها . رفع الفرس كلفه المرفوع، وهو عدو دون الحضر (بضم فسكون) . نقل الفرس أسرع نقل القوائم ، أو سار بين العدو والخبب . ربه صاحبه . محزرق مضيق عليه . وقد استشهد المؤرخون بهذا البيت على أن النعمان مات عند كسرى سجيناً فى (ساباط) .

(١٩ — ٢٢) بيت مروق أى مد فيه الرواق ، والرواق سقف فى مقدم الخباء . ردعه بالشيء لطخه به . الدرع القميص . شاو هو الذى يشوى اللحم . كميش مسرع . المسعر والمسعار ما تسعر به النار أى توقد .

(٢٣ — ٢٥) يتمطق يتلمظ . الشعيب المزادة . الغرب والغربة (بسكون الراء) الفيضة من الخمر ومن الدمع ، وكثرة الريق وبلله . أسحم يقصد دن الخمر لأنه يطلى من خارجه بالقار . الخرق الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح أى يشتد هبوبها . الجسرة الناقة الضخمة . الآل السراب . خب خفق وطال واضطرب . يترقرق يجىء ويذهب .

٢٧— تدمن السير طول الليل ، و تصبح بعد هذا الجهد المتصل الشاق موفورة النشاط ، كأن بها مَسًّا من الجنون .

ثم ينتقل الأعشى إلى التعريض بخصم له اسمه (شراحيل بن طود) ويشير إلى آخر يكنى (أبا ليلى) . ويعترض فى هذا الجزء ثلاثة أبيات نرجح أنها فى غير موضعها ، وهى الأبيات (٤١-٤٣) التى يمدح بها المحلق ، فموضعها الطبيعى بعد البيت (٥٠) ، فهى متصلة بما بعده من مدح المحلق الذى يمضى إلى نهاية القصيدة . وتعترضه كذلك ثلاثة أبيات أخرى فى الحكم تبدو غريبة على شعر الأعشى ، فليس من المألوف فى شعره إرسال الحكم على هذا النحو ، وهى الأبيات (٣٥-٣٧)، وهى لا تتصل بهذا الحديث .

يقول الأعشى مخاطباً (شراحيل بن طودٍ) وهو أحد أقاربه كما يبدو من رفقه به ونصحه له ،فيقول:

٢٩— ما لهذا السفيه الذى يتعرض للناس بالشر يهدى إلى فاحش الكلام . إن هذا لهو الهم الذى ينحل الجسم ويبتريه

٣٠— لست بغافل عما تعملون ، ولكنى لست سفيها يتدفق لسانى بفاحش القول .

٣١— نهار (شراحيل بن طود) يبعث فى نفسى الوساوس والشكوك . وليل (أبى ليلى) أدهى وأمر .

٣٢— ولست أعيي بالكلام ، فما هو إلا أن يسدى إلى شيطانى (مِسْحَلُ) القولَ حتى أقول .

٣٣— فنحن شريكان فيما بيننا من هوادة ولين ، صديقان متصافيان ، جِنِّىٌّ وإنْسٌ موفق .

٣٤— يوحى إلى القول فلا أعيي به ولا أضيق ، كفانى مئونته شيطان ليس بالعاجز الحَصِر ولا الجاهل الغرير .

وهنا يستطرد الأعشى إلى هذه الحكم التى لا تكاد تتصل بموضوعه فيقول :

٣٥— إنما يحسن التصلب وجمع الإرادة فى الرشد ، فذلك أدنى إلى الخير . وبمثل ما يحسن التصلب فى الرشد، يحسن تركه فى الغى ، فذلك أدنى إلى السلامة والصواب .

٣٦— وليس اللجاج ولا التشبث من الحكمة فى شىء ، والعاقل مَنْ إذا أعجزه الشىء واستعصى عليه ، تركه إلى غيره حين يفوته .

٣٧— فذلك أدنى أن ينال الجسيم الضخم من المطالب . فالاعتدال أدوم وأبقى فى المسير ، وأحرى بأن يُبلِّغ صاحبه ويُلْحِقه بما قصد إليه .

٢٦ــ هِيَ الصَّاحِبُ ٱلْأَدْنَى وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا   مُجُوفٌ عِلَافِيٌّ وَقِطْعٌ وَنُمْرُقُ

٢٧ــ وَتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا   أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ ٱلْجِنِّ أَوْلَقُ

٢٨ــ فَأَنَّ ....

٢٩ــ مِنَ ٱلْجَاهِلِ ٱلْعِرِّيضِ يُهْدِى لِىَ ٱلْخَنَا   وَذٰلِكَ مِمَّا يَبْتَرِينِي وَيَعْرُقُ

٣٠ــ فَمَا أَنَا عَمَّا تَعْمَلُونَ بِجَاهِلٍ   وَلَا بِشَبَاةٍ جَهْلُهُ يَتَدَفَّقُ

٣١ــ نَهَارُ شَرَاحِيلَ بْنِ طَوْدٍ يُرِيبُنِي   وَلَيْلُ أَبِى لَيْلَى أَمَرُّ وَأَعْلَقُ

٣٢ــ وَمَا كُنْتُ شَاحِرْدًا وَلٰكِن حَسِبْتُنِي   إِذَا مِسْحَلٌ سَدَّى لِيَ ٱلْقَوْلَ أَنْطِقُ

٣٣ــ شَرِيكَانِ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ   صَفِيَّانِ جِنِّيٌّ وَإِنْسٌ مُوَفَّقُ

٣٤ــ يَقُولُ فَلَا أَعْيَى لِشَيْءٍ أَقُولُهُ   كَفَانِيَ لَا عَيٌّ وَلَا هُوَ أَخْرَقُ

٣٥ــ جِمَاعُ ٱلْهَوَى فِى الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التُّقَى   وَتَرْكُ ٱلْهَوَى فِى ٱلْغَىِّ أَنْجَى وَأَوْفَقُ

٣٦ــ إِذَا حَاجَةٌ وَلَّتْكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا   فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ

٣٧ــ فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمَهَا   وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى فِى ٱلْمَسِيرِ وَأَلْحَقُ

٣٨ــ أَتَزْعُمُ لِلْأَكْفَاءِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ   وَتَخْتَالُ إِذْ جَارُ ٱبْنِ عَمِّكَ مُرْهَقُ

(٢٦ — ٢٨) المجوف العظيم الجوف الضخمه . العلافى الرحل العظيم ، منسوب إلى رجل من قضاعة اسمه علاف . القطع (بكسر القاف) البساط والنمرقة . النمرقة وسادة تلقى على الرحل . غب الشىء عاقبته وما يليه . السرى السير فى الليل ألم باخالطه . الطائف ما يلم بالانسان ويطوف به . ألق الرجل (على البناء للمجهول) ألقا أى جن فهو مألوق . وبه أولق أى مس من جنون .

(٢٩ — ٣١) الجاهل السفيه . العريض (بالكسر والتشديد) الذى يتعرض للناس بالشر . الخنا الفحش من القول . يبترينى أى ينحل جسمى ، من برى العودأى كشطه . عرق العظم أكل ما عليه من اللحم ونهسه بأسنانه . رجل شباة أى سفيه ، وأشباه ألقاه فى مكروه . أرابه ورابه أوقعه فى الريبة والشك . أعلق أشد مرارة ، أفعل تفضيل من العلقم .

(٣٢ — ٣٤) شاحردا قالوا إن معناها متعلم . مسحل اسم شيطان الأعشى ، والمسحل حمارالوحش . سدىإليه وأسدىإليه أحسن ، وأصله من السدى وهى خيوط النسيج . الهوادة اللين والرفق . العى العاجز والحصر الذى لا يستطيعأن يبين . خرق بالشىء (كعلم) جهله ولم يحسن عمله ، فهوأخرق .

(٣٥ — ٣٨) جماع الشىء جمعه . الهوىإرادة النفس ، والشىء الذى تحبه وتشتهيه محمودا كان أو مذموماً ، وقد غلب استعماله على المذموم . الغى الضلال والانهماك فى الجهل . ولتك أى فاتتك وانصرفت عنك . القصد مصدر قصد (كضرب) ضد أفرط ، وقصد فى مشيه مشى مستويا . الأكفاء جمع كفء وهو المثل والنظير . الارهاق أن تحمل الانسان مالا يطيق . وقد كان وجه الكلام عندى أن يقول (مالست أهله) .

ثم يعود الشاعر إلى مخاطبة خصمه فيقول :

٣٨— أتزعم لأندادك ونظرائك ما أنت مستوجب له خليق به ، وتتيه مختالا وجار ابن عمك مرهق مكدود؟

٣٩— وتظن أنك قد فعلت ما تحمد عليه ، حين أصبت بالأمس قطيعاً من الإبل؟ وإنما هو أمر له ما يليه ، وستجنى ثماره حين تتتابع عليك عواقبه بعد حين .

٤٠— فتفجع ذا المال الكثير فى ماله ، وتغنى الفقير وتلحقه بأصحاب الثراء .

٤٤— لقد نهيتكم عن سفهكم وتهوركم ، وإن كنت قد أديت حقكم فنصرتكم على ظلمكم ، وإنما كان حرصى على إصلاحكم بدافع من الحزم .

٤٥— أنذرتكم قومكم الذين تظلمونهم ، على ما يتصفون به من الكرم ، ولتلتقين بهم إن كان فى العمر بقية .

وينتقل الشاعر من هذا الحديث انتقالا مفاجئاً إلى صاحبته (ليلى) وما تكلف فى الرحلة إليها من مشاق فيقول :

٤٦— كم دون (ليلى) من عدو ، ومن بلاد ، ومن صحارى يخفق فوقها السراب .

٤٧— ليس فيها ماء إلا الراكد قد اصفرّ كأنه الحنّاء ، وطمسته الرياح والرمال . إذا ذاقه من لم يألفه ممن اعتاد شرب الماء العذب ، بصقه ولم يستطع أن يُسيغه .

٥٠— ولا بد لسالك هذه الصحراء أن يتودد إلى الذين يمر بهم من القبائل ، وينال جوارهم ليجيزوه وينفذوه ، كما ينفذ النجار المسمار فى الباب .

٤٨— وإن الذى سار إليك الليالى الطوال ، وبينه وبينك الصحارى والقفار ، والبيد المترامية الأطراف يخفق فوقها السراب ،

٤٩— لحقيق أن تستجيبى له وأن تعينيه ، فالمعان موفق للرشاد .

وهنا ينتقل الشاعر إلى (المحلّق) فيمضى فى مدحه إلى نهاية القصيدة ، فيقول :

٤١— يا (أبا مسمع) ، لقد سار الذى صنعتم وذاع ، فتحدث به الناس فى نجد وفى العراق .

٤٢— وستزوركم كرائم الإبل . قد عُلقّ على أعجازها الثناء .

٣٩— وأَحْمَدْتَ أَنْ أَلْحَقْتَ بِٱلْأَمْسِ صِرْمَةً   لَهَا غُدُرَاتٌ وَاللَّوَاحِقُ تَلْحَقُ
٤٠— فَيَفْجَعْنَ ذَا ٱلْمَالِ ٱلْكَثِيرِ بِمَالِهِ   وَطَوْرًا يُقَنِّينَ الضَّرِيكَ فَيَلْحَقُ
٤١— أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ الَّذِى قَدْ صَنَعْتُمُ   فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا
٤٢— وَإِنَّ عِتَاقَ ٱلْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ   ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ
٤٣— بِهِ تُنْفَضُ ٱلْأَحْلَاسُ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ   وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ ٱلْمَطِىِّ وَتُطْلَقُ
٤٤— نَهَيْتُكُمْ عَنْ جَهْلِكُمْ وَنَصَرْتُكُمْ   عَلَى ظُلْمِكُمْ وَٱلْحَازِمُ الرَّأْىِ أَشْفَقُ
٤٥— وَأَنْذَرْتُكُمْ قَوْمًا لَكُمْ تَظْلِمُونَهُمْ   كِرَامًا فَإِنْ لَا يَنْفَدِ ٱلْعَيْشُ تَلْتَقُوا
٤٦— وَكَمْ دُونَ لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ وَبَلْدَةٍ   وَسَهْبٍ بِهِ مُسْتَوْضِحُ ٱلْآلِ يَبْرُقُ
٤٧— وَأَصْفَرَ كَٱلْحِنَّاءِ طَامٍ جِمَامُهُ   إِذَا ذَاقَهُ مُسْتَعْذِبُ ٱلْمَاءِ يَبْصُقُ
٤٨— وَإِنَّ ٱمْرَءًا أَسْرَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ   فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ
٤٩— لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ   وَأَنْ تَعْلَمِى أَنَّ ٱلْمُعَانَ مُوَفَّقُ
٥٠— وَلَابُدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيزُ سَبِيلَهَا   كَمَا جَوَّزَ السَّكِّىَّ فِى ٱلْبَابِ فَيْتَقُ
٥١— لَعَمْرِى لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ   إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِى يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

(٣٩ — ٤١) أحمد الرجل فعل مايحمد عليه . ألحقه كلحقه أدركه . الصرمة (بكسر فسكون) القطعة من الابل . غدرات جمع غدرة (بضم الغين) وهو ماأغدر أى بقى من الشيء . اللواحق جمع لاحقة وهو الثمر بعد الثمرة الأولى . فيفجعن الضمير عائد على اللواحق. قنا المال جمعه وكسبه ، وقناه ، بالتشديد) أغناه وجعله يجمعه ويكسبه. الضريك الفقير ، (وليس له فعل من لفظه) . يلحق أى يلحق ذا المال ويدركه . سار اشتهر وذهب فى الناس . أنجد أتى نجداً . أعرق أتى العراق .

(٤٢ — ٤٤) العيس الابل . عتاقها كرامها . أعجاز جمع عجز (كرجل وكتف) وهو المؤخر من كل شيء . يقصد أن الركبان تحمل هذا الثناء . الأحلاس جمع حلس (بكسر فسكون) وهو مايوضع تحت الرحل مباشرا لظهر المطية حتى لا يؤذيها . المنزل مكان النزول . الأنساع السيور التى يشد بها الرحل إلى الناقة . الحزم ضبط الأمر وأخذه بالشدة . شفق الناصح عليه (كعلم) حرص على إصلاحه . والشفقة عطف مع خوف ، لذلك لايوصف الله تعالى بالشفقة .

(٤٦ — ٤٨) السهب الصحراء . الآل السراب . أصفر يقصد مورد ماء أصفر . طام مطموس . الجمام جمع جمة (بضم ثم تشديد ، وجم (بالفتح) وهو مااجتمع من الماء . أسرى سار ليلا . فياف صحارى ، جمع فيفاء . التنوفة القفر . الخيفق الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب أى يضطرب .

(٤٩ — ٥١) البيت (٤٩) قال المرزبانى فى الموشح إن عجزه لا يلائم صدره . أجازه أعطاه الاجازة والاذن . السكى ذكروا فيه معانى كثيرة فقالوا إنه المسمار أو الدينار أو البريد . والفيتق قالوا إنه النجار أو البواب أو الملك . وسئل الأصمعى عن الكلمتين فلم يعرفهما. لاح الشيء بدا وظهر. عيون يقصد عيون الناس ، أطلق الجزء وأراد الكل . اليفاع الارض المرتفعة . وإنما يوقد الكريم النار على التلال والجبال ليعرف مكانه ، وليراها الناس من بعيد فيقصدوا إلى ضيافته .

٤٣- يتحدث به الركبان حيثما نزلوا فنفضوا عن مَطِيِّهم الأحلاس ، ويرددونه حين يشدون على مَطِيِّهم الحبال وحين يفكونها ، في الحل والترحال .

٥١- ولعمرى إن أشخاص الناس لتبدو وهى تقصد إلى ناركم ، وقد أوقدت فوق التلال .

٥٢- بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويَسْمُرَان ، هما الكَرَمُ (والمحلّق)

٥٣- هما أخوان قد رضعا ثدى أم واحدة ، وتحالفا بحرمة الثدى الذى رضعاه لا يفترقان .

٥٤- يداك يدا فضل ، فكف تفيد الغنى ، وكف تنفق فى الشدة ، حين يضن الناس بالقليل الذى عندهم من القوت والزاد .

٥٥- ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه فيزينه ، كما يجرى رونق السيف البراق متموجا على صفحته .

٥٦- وإذا اشتد القحط واستحكم الجدب ، فرد الرعاة إبلهم لا يجدون العشب ، وبدت الأرض فى العشيات صفصفاً جرداء ليس على ظهرها نبات ،

٥٧- صان (آل المحلق) أعراضهم بالجود . ونفى عنهم الذمَّ جفنةٌ ضخمةٌ تقدم للضيفان ، كأنها حوض الماء يُمِدُّه نهر العراق .

٥٨- يغدو عليهم هذا الفتى المفضال ويروح ، بجفان مملوءة من شحم السنام ، يتدفق عليها بغير انقطاع .

٥٩- ويعود وقد نقل إليهم القِدْرَ بما فيها من الطعام الذى لم يُكَثَّر بمزجه بالماء .

٦٠- ترى القوم من حولها مادِّينَ أيديهم إليها يغترفون ، صفوفا من خلفهم صفوف ، من الناس ومن صغار الأطفال .

٦١- طويل الباع لا تقصر يده عن تناول مكرمة وإن بعدت ، ليس رهطه ممن يجيئون فى المكان الثانى من قومهم . فهم السادة غيرَ شك . أبى كريم ، لا يغشى جاره الشر ، ولا يسمو إليه الأذى .

٦٢- كذلك فليكن صنيعك إلى الناس ما حييت . وكذلك فليكن إقدامك حين يتراجع الناس فى ساعة الفزع ، فتزيغ الأبصار ، وتُعْمِى الدهشةُ العيون .

٥٢— تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
٥٣— رَضِيعَىْ لِبَانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ
٥٤— يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَأُخْرَى إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ
٥٥— تَرَى ٱلْجُودَ يَجْرِى ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ ... كَمَا زَانَ مَتْنَ ٱلْهِنْدُوَانِىِّ رَوْنَقُ
٥٦— وَأَمَّا إِذَا مَا أَوَّبَ ٱلْمَحْلُ سَرْحَهُمْ ... وَلَاحَ لَهُمْ مِنَ ٱلْعَشِيَّاتِ سَمْلَقُ
٥٧— نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ ٱلْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ السَّيْحِ ٱلْعِرَاقِىِّ تَفْهَقُ
٥٨— يَرُوحُ فَتَى صِدْقٍ وَيَغْدُو عَلَيْهِمُ ... بِمِلْءِ جِفَانٍ مِنْ سَدِيفٍ يُدَفَّقُ
٥٩— وَعَادَ فَتَى صِدْقٍ عَلَيْهِمْ بِجَفْنَةٍ ... وَسَوْدَاءَ لَأْيًا بِٱلْمَزَادَةِ تُمْرَقُ
٦٠— تَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدُونَهُمْ ... مِنَ الْقَوْمِ وِلْدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ
٦١— طَوِيلُ ٱلْيَدَيْنِ رَهْطُهُ غَيْرُ ثِنْيَةٍ ... أَشَمُّ كَرِيمٌ جَارُهُ لَا يُرَهَّقُ
٦٢— كَذَلِكَ فَٱفْعَلْ مَا حَيِيتَ إِلَيْهِمُ ... وَأَقْدِمْ إِذَا مَا أَعْيُنُ النَّاسِ تَبْرَقُ

(٥٢ — ٥٤) تشب توقد أى النار. المقرور من أصابه البرد. اصطلى النار استدفأ بها. الندى الكرم. بأسحم داج يحتمل أن يكون المقصود هو الليل، أو يكون المقصود هو حلمة الثدى ويقصد الثدى الذى رضعا منه. عوض أى أبد الدهر، مبنى على الضم. مثل قط وقبل وبعد. الصدق الفضل والصلاح. مفيدة معطية، وأفاده أعطاه. ضن بالشىء بخل به وحرص عليه.

(٥٥ — ٥٧) رونق السيف طلاوته وماؤه وبريقه الذى يتلألأ متموجا. متن السيف صفحته. أوب أرجع. المحل القحط والجفاف. السرح الابل، أرجعوها لأنهم لا يجدون لها مكانا معشباً ترعاه. السملقة والسملق القاع الصفصف المستوى من الأرض. الجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء للابل لتشرب منه. السيح النهر. فهق الاناء امتلأ حتى صار يتصبب.

(٥٨ — ٥٩) الجفان جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام. السديف شحم السنام. سوداء يقصد القدر، وهى سوداء الظاهر لكثرة استعمالها فى الطبخ لأنه يطعم ضيفانه دائما. اللأى الشدة والبطء والمشقة. المزادة الراوية، وهى قربة من جلدين يوصلان بثالث بينهما ليوسعهما. مرق القدر أكثر مرقها. يقول إن هذه القدر لا يكاد يصب عليها من ماء القربة إلا القليل، فالقدر مملوءة لحما وطعاماً وهو لا يكثرها بالماء.

(٦٠ — ٦٢) شرع الرجل فى الماء شرب بكفيه أو تناوله بفمه. الدردق الأطفال والصغير من كل شىء. ثنية جمع ثنى (بفتح فكسر) وهو من دون السيد فى المرتبة. رهقه اتهمه بشر، أو حمله ما لا يطيق. برق (كعلم) تحير حتى لا يطرف، أو دهش فلم يبصر.

يتصل حديث هذه القصيدة بواقعة (ذى قار) . وقد وعدت فى القصيدة (٢٦) التى تتصل بهذا الحديث ، أن أفصل خبرها فى هذا الموضع.

(ذو قار) موضع قريب من الكوفة ـ بينها وبين واسط ـ كانت فيه واقعة مشهورة بين الفرس وبكر ، اختلفوا فى تاريخها. فقال الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه إنها كانت بعد مبعث النبى ، ولم يعينا تاريخها (١) . وحدد صاحب الأغانى تاريخها فقال إنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر(٢) . وزعم ياقوت فى معجم البلدان عند حديثه عن (ذو قار) أنها كانت يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وضعف الرأى الأول فقال : « وقيل ، كانت وقعة ذى قار عند منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر الكبرى » . ورأى ياقوت بعيد عن الصواب . فالثابت أن المعركة كانت بعد مقتل النعمان ، وفى ولاية إياس بن قبيصة الطائى . وقد بعث النبى لثمانية أشهر ، أو لسنة وثمانية أشهر ، من ولايته(٣).

وقد اختلف الرواة فى سبب هذا اليوم . فقيل إن كسرى لما حبس النعمان بساباط حتى مات قبيل الاسلام غضبت له العرب ، وكان قتله سبب ذى قار . وقيل إنه كان بسبب أسلحة النعمان التى أودعها عند رجل من أشراف بكر اسمه هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود (على الأرجح) قبل رحلته إلى كسرى . وقالوا إنه كان بسبب غارات البكريين على السواد . وكانت بكر قد جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد (قيس بن مسعود) ـ الذى تقدمت قصته فى القصيدة (٢٦) ـ على كسرى ، فسأله أن يجعل له أجراً على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى الأبلة وما والاها ، فكان يأتيه من يأتيه من بكر فيرضيهم بالعطاء وينصرفون . ولكن ذلك لم يمنع أن يغير بعض سفهائهم على السواد فى بعض الأحيان ، كالذى يروى من أن (الحارث بن وعلة) و (المكسر بن حنظلة) قدما فى رجال من بكر على قيس فاستقلوا عطاءه وأغاروا على السواد

ويبدو أن وقعة ذى قار لا ترجع إلى واحد من هذه الأسباب ، ولكنها ترجع إليها جميعاً . ولعلها ترجع بنوع خاص إلى غارات الأعراب من البكريين على أطراف المملكة الفارسية . فهى شبيهة بيوم (الصفقة) الذى تحدثنا عنه فى القصيدة (١٣) والذى أوقع فيه كسرى بتميم بسبب غاراتهم على قوافله .

قال الرواة فى خبر هذا اليوم إن كسرى أرسل إلى هانىء بن قبيصة ، يطلب منه رد دروع النعمان وأسلحته فرفض . فبعث كسرى إلى بكر بالجيوش يقودها (الهامرز) على ألف من الأساورة ـ وكان على مسلحة كسرى بالسواد . ومن قوادها من العرب (إياس بن قبيصة الطائى) ـ وكان يحكم على ما كان يحكمه النعمان ، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسرة . وقد أمر كسرى قيس بن مسعود أن يسير معه كما قدمنا فى القصيدة (٢٦) و (خالد بن يزيد البهرانى) على قضاعة وإياد . وزعموا أن (النعمان بن زرعة التغلبى) كان مع جيوش كسرى يقود تغلب والنمر ، وانه هو الذى دل كسرى على عورتهم من ذى قار فى الصيف . ولكن الشعر الذى بين يدينا لا يرجح ذلك . فليس فيه إشارة واحدة إلى خروج تغلب عليهم. ولو أنها فعلت لكان شيئاً بشعاً أن تنضم قبيلة عربية إلى الفرس ضد أبناء عمومتها ؛ ولاستحق هذا الحادث الخطير أن يسجل . على أن البيت (٤١) من القصيدة (٣٤) التى بين يدينا يثبت غير ذلك . فالأعشى يتهدد كسرى فى هذا البيت بقوة قومه فيقول :

فى عارض من وائل إن تلقه   يوم الهياج يكن مسيرك أنكدا

فقوله (وائل) معناه أن (تغلب) كانت مع (بكر) ولو أنها كانت منشقة عنهم لما صح أن يقال : فى عارض من (بكر) .

وكان كسرى قد طلب من بكر أن يسلموا حلقة النعمان ، ويقدموا مائة غلام من بكر رهناً بما يحدث سفهاؤهم فى السواد . وخيرهم بين ذلك وبين الجلاء عن أرضهم أو القتال . فاختاروا القتال وتزعمهم فى هذا اليوم (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى) الذى عرف من ذلك اليوم بمقطع الوضن (والوضين الحزام ، سمى بذلك لأنه قطع وضن الابل التى تحمل النساء حتى لا يفر المقاتلة ، وحتى يعرف الواحد منهم أنه إن هرب لم تستطع امرأته أن تفر معه) و (يزيد بن مسهر الشيبانى) ، و (هانىء بن قبيصة الشيبانى) . وقد ذهب بنو شيبان خاصة بفخر هذا اليوم .

وروى للأعشى فيه أربع قصائد : (٢٦) وهى فى رحلة قيس بن مسعود إلى كسرى بعد ذى قار و (٣٤) وهى هذه القصيدة التى قدمنا لها بهذا الحديث . وقد قيلت قبيل ذى قار . فالشاعر يتهدد فيها كسرى بالحرب ، رافضا ما كان يطلب من الرهن. و (٤٠) ، (٥٦) وهما بعد ذى قار . وسيأتى حديثها فى مواضعها من الديوان .

يقول الأعشى :

١ ــ عدل عن سفره فأقام ، وتخلف ليلة ليتزود من (قُتَيْلَة) فمضت الليلة ، وأخلفته (قتيلة) الموعد .

٢ ــ ومضى هو لحاجته . وقد أصبح ودها بالياً ، وكان يظن أنه دائم لا ينقطع .

٣ ــ أدركنى الشيب : فهجرتنى الغوانى حين فارقتنى نضرة الشباب .

---

(١) الطبرى ١ : ٦٠٠ ، ٦٠٨ — ابن الأثير ١ : ٢٩٠ العقد الفريد ٦ : ١١١   (٢) الأغانى ٢٠ : ١٣٨

(٣) الطبرى ١ : ٦١٤ — ابن الأثير ١ : ٢٩٢

وَقالَ الأَعْشَى لِكِسْرَى حِينَ أَرَادَ مِنْهُمْ رَهَائِنَ ، لَمَّا أَغَارَ ٱلْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ عَلَى بَعْضِ السَّوَادِ :

١ — أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ... فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا (كامل)

— وَمَضَى لِحَاجَتِهِ وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا ... خَلَقًا وَكَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُنْكَدَا

٣ — وَأَرَى ٱلْغَوَانِيَ حِينَ شِبْتُ هَجَرْنَنِي ... أَنْ لَا أَكُونَ لَهُنَّ مِثْلِي أَمْرَدَا

٤ — إِنَّ ٱلْغَوَانِيَ لَا يُوَاصِلْنَ آمْرَءًا ... فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ ٱلْأَمْرَدَا

٥ — بَلْ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعُودَنْ نَاشِئًا ... مِثْلِي زُمَيْنَ أَحُلُّ بُرْقَةَ أَنْقَدَا

٦ — إِذْ لِمَّتِي سَوْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا ... دَدَنًا قُعُودَ غَوَايَةٍ أَجْرِي دَدَا

٧ — يَلْوِينَنِي دَيْنِي النَّهَارَ وَأَجْتَزِي ... دَيْنِي إِذَا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا

٨ — هَلْ تَذْكُرِينَ ٱلْعَهْدَ يَا بْنَةَ مَالِكٍ ... أَيَّامَ نَرْتَبِعُ السِّتَارَ فَثَهْمَدَا

٩ — أَيَّامَ أَمْنَحُكِ ٱلْمَوَدَّةَ كُلَّهَا ... مِنِّي وَأَرْعَى بِٱلْمَغِيبِ ٱلْمَأْحَدَا

١٠ — قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ سَايِئًا ... وَأَرَى ثِيَابَكَ بَالِيَاتٍ هُمَّدَا

١١ — أَذْلَلْتَ نَفْسَكَ بَعْدَ تَكْرِمَةٍ لَهَا ... أَوْ كُنْتَ ذَا عَوَزٍ وَمُنْتَظِرًا غَدَا

١٢ — أَمْ غَابَ رَبُّكَ فَٱعْتَرَتْكَ خَصَاصَةٌ ... فَلَعَلَّ رَبَّكَ أَنْ يَعُودَ مُؤَيَّدَا

(١ — ٣) ثوى وأثوى بمعنى واحد أى أقام . قصر توانى . مضت أى الليلة . أخلف فلاناً وجد موعده خلفاً (بكسر الخاء) أى مختلفاً. خلقا باليا . نكدت البئر (كعلم) قل ماؤها . ونكده منعه ما سأله ولم يعطه . الأمرد الناعم الوجه الذى لم ينبت شعر لحيته .

(٤ — ٦) يطلق العرب البرقة (بضم الباء) على كل أرض غليظة . وبرقة أنقد واحدة من هذه البراق ، وهى كثيرة ، أحصى منها صاحب القاموس أكثر من مائة موضع . يكنى العرب بالظل عن الراحة ، لاشتداد الحرارة فى الصحراء ، فهم يعانون منها الآلام . ولذلك وصفت الجنة بالظل . وقالوا هو فى ظل أى فى عز ومنعة ورفاهة . وقالوا هو يتبع ظل لمته ، ويبارى ظل رأسه ، إذا اختال . ومنه قول الشاعر (فراح يبارى ظل رأس مرجل) . الدد والددن اللهو واللعب . قعود غواية ، أطلق المصدر وأراد اسم الفاعل ، أى قاعداً فى الغواية .

(٧ — ٩) يلوينني يمطلنني . أجتزى أتقاضى . وقذ صرع . يقول إن له حقاً على صاحباته بما بينه وبينهن من ود ومن صلات ، ولكنهن يمطلنه حقه إذا طالب به نهارا ، ولا يقبلن أداءه والوفاء به إلا ليلا حين ينام الناس . ارتبع وتربع أقام فى الربيع : المأحد الانفراد مصدر ميمى من وحد فهو وحيد . وقيل إنه يريد (المعهد) فقلب العين همزة .

(١٠ — ١٢) سايئ يسوء من رآه . همد الثوب تقطع من طول الطى ، ينظر إليه الناظر فيحسبه صحيحاً ، فاذا مسه تناثر من البلى . عوز فقر . ربك سيدك . الخصاصة الفقر وسوء الحال والحاجة .

٤ — والغوانى لا يواصلن من فقد الشباب ولكنهن يصلن الأمرد الناعم الوجه الغض الإهاب .

٥ — يا لشباب الذاهب ! كيف لى أن أعود ناشئاً ، كما كنت أيام أحل (برقة أنقد).

٦ — أيام كانت لمتى سوداء ، أختال فى لهو وفى عبث لا ينقطع .

٧ — أسعى إلى صواحبى فى الليل ، حين يصرع النوم الراقدين ، أتقاضى منهن دينى وقد أنكرنه فى النهار .

٨ — هل تذكرين العهد يا (ابنة مالك) ، أيام كنا نقضى الربيع فى (السِّتَّار) و (ثَهْمَدِ) .

٩ — أيام أمنحك ودى كله لا شريك لك فيه ، وأحفظ حين تغيبين العهود . .

١٠ — تقول (قُتَيْلَة) : ما لجسمك يسوء من رآه ، وما لثيابك باليات ؟

١١ — أأذللت نفسك وقد كنت لها مكرما ، أم أدركك الفقر فأنت ترجو الفرج من غد ؟

١٢ — أم غاب ولى نعمتك فساء حالك ؟ فلعله أن يعود من القتال مظفراً منصوراً .

١٣ — فأجبتها : سيِّدى كريم لا يشوب نعمته كدر ولا نكد ، إذا نُوشِدَ بما فى الكتب أجاب .

وينتقل الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، الذى تحدث فيه عن (قتيلة) ، أحب صواحبه إليه ، ليصف الصحراء ؛ فيقول :

١٤ — رب ناقة صلبة خفيفة . كأنما وضعتُ الرحل منها فوق نعام أسود الظهر سريع .

١٥ — تصبح بعد إدمان السير فى الليل الطويل ، وكأنها حمار وحش مخطط ، قد اكتمل شبابه ، وبلغ أشده ، يتلو أتناً مخططة الظهور .

١٦ — أو كأنها نعامة رمادية اللون بـ (القارتين) ، أسرعت فى أثر ذكر النعام ، عائدين إلى وكرها ، وقد بدا الليل وتصرم النهار .

١٧ — يتجاريان مسرعين قبل أن يدركهما الظلام فيتعرضان للتلف ، إذ يضطران للإقامة فى مكانهما العارى المكشوف من الصحراء .

١٨ — فهى تارة تسبقه فى عدوها فتكون أمامه ، وتارة أخرى يشتد هو فى عدوه فيفوتها .

١٩ — ولقد أركب الجمل الضخم الفتى ، قد تماسكت فقاره ، فكأنها برج (النبيط) قد شيدوه بالآجر .

٢٠ — إذا أرغى وهدر ، فالتف زبده بأسنانه ، هب يجدد نشاطه ، وانطلق فى عدو سريع .

٢١ — فكأنه ذكر نعام يبارى نعامة رمادية اللون فى سرب من النعام .

٢٢ — دخل عليه الظلام فى (ذى العجلان) ، فهو يسرع ميمما إلى مأواه ، فى روضة خضراء قد التف نباتها المتموج المياس .

١٣— رَبِّى كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً … وَإِذَا يُنَاشَدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا
١٤— وَشِمِلَّةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا … جَلَّلْتُهُ جَوْنَ السَّرَاةِ خَفَيْدَدَا
١٥— وَكَأَنَّهَا ذُو جُدَّةٍ غِبَّ السُّرَى … أَوْ قَارِحٌ يَتْلُو نَحَائِصَ جُدَّدَا
١٦— أَوْ صَعْلَةٌ بِالْقَارَتَيْنِ تَرَوَّحَتْ … رَبْدَاءُ تَتْبَعُ الظَّلِيمَ الْأَرْبَدَا
١٧— يَتَجَارَيَانِ وَيَحْسِبَانِ إِضَاعَةً … مُكْثَ الْعِشَاءِ وَإِنْ يُعْيِيَا يَفْقِدَا
١٨— طَوْرًا تَكُونُ أَمَامَهُ فَتَفُوتُهُ … وَيَفُوتُهَا طَوْرًا إِذَا مَا خَوَّدَا
١٩— وَعُذَافِرٍ سَدَسٍ تَخَالُ مَحَالَهُ … بُرُجًا تُشَيِّدُهُ النَّبِيطُ الْقَرْمَدَا
٢٠— وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ … ثَنَّى فَهَبَّ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا
٢١— وَكَأَنَّهُ هِقْلٌ يُبَارِى هِقْلَةً … رَمْدَاءَ فِى خِيطٍ نَقَانِقَ أَرْمَدَا
٢٢— أَمْسَى بِذِى الْعَجْلَانِ يَقْرُو رَوْضَةً … خَضْرَاءَ أَنْضَرَ نَبْتُهَا فَتَرَادَا
٢٣— أَذْهَبْتُهُ بِمَهَامِهٍ مَجْهُولَةٍ … لَا يَهْتَدِى بُرْتٌ بِهَا أَنْ يَقْصِدَا
٢٤— مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إِذَا مَا جَاءَهُ … عَنِّى مَآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا
٢٥— آلَيْتُ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا … رُهُنًا فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

(١٢ — ١٤) يناشد من قولهم نشدتك الله ، أى أستحلفك به . المهارق الصحف (أعجمية معربة) جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) وقيل المهرق حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . أنشده أى أجابه إلى طلبه . وفى البيت إشارة إلى ان هـــذا الممدوح متدين بأحد الأديان السماوية . شملة خفيفة . حرف صلبة . القتود عيدان الرحل . الخفيدد الظليم وهو ذكر النعام .

(١٥ — ١٦) الجدة (بضم الجيم) العلامة والخطة فى ظهر حمار الوحش . القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل ، وهو البعير إذا بزل نابه ، وذلك فى سن التاسعة . النحائص جمع نحوص وهى من الاتن ما لا ولد لها ولا لبن ، وهى أوفر نشاطاً وأكثر اكتنازا . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته . صعلة صغيرة الرأس ، يقصد النعامة ، يشبه ناقته بها لسرعتهـا . الأربد الأبيض المشوب بسواد . الظليم ذكر النعام .

(١٧ — ١٩) أغام بالمكان أقام . التخويد ضرب من العدو . العذافر العظيم الشديد من الابل . السدس قبل البازل فى نحو الثامنة من عمره . المحالة الفقرة من فقر البعير . القرمد الجص والحجارة والآجر والخزف المطبوخ .

(٢٠ — ٢٢) لاث عمامته أدارها . لغامه زبده . السديس السن قبل البازل . ثنى بالأمر إذا فعل أمرا ثم ضم إليه أمرا آخر . هب هبا وهبوبا وهبابا نشط وأسرع . التزيد سير فوق العنق . الهقل ذكر النعام . الهقلة النعامة . رمداء أى ربداء رمادية اللون . الخيط (بكسر الخاء) الجماعة من النعام . نقانق جمع نقنق (بكسر النونين) وهو ذكر النعام . القرو القصد والتتبع . ذوالعجلان شجر . ترأد اهتز وتمايل واضطرب .

(٢٣ — ٢٥) المهامة جمع مهمه وهى الصحراء . البرت الدليل . مآلك جمع مألكة (بفتح فسكون فضم) وهى الرسالة . ألكه أبلغه الرسالة . مخمشات مغضبات ، والخمش الخدش واللطم . شرد أى تأتى فى كل مكان لشهرتها وذيوعها ، وأصله من الناقة الشرود وهى التى تذهب على رأسها .

٢٣— صرفت هذا الجمل إلى صحار مضلة مجهولة المسالك ، لا يكاد يهتدى بها الدليل الخبير .

ثم ينتقل من حديث الصحراء ، فيوجه خطابه إلى (كسرى) قائلا :

٢٤— من يبلغ عنى (كسرى) إذا جاءه ، رسائل تخمش الوجوه ، وتذهب مشهورة فى كل مكان ، فتجرى على كل لسان .

٢٥— آليت أن لا نجيبه إلى ما يسألنا من تقديم رهائن من أبنائنا ، لنعرضهم للتلف ، كالذين أتلفهم وآذاهم من قبل .

٢٦— حتى ترهنه نجوم (نعش) أبناءها ، أو يرهنه (السِّماك) (الفرْقد)

٢٧— إلا ماسبق من أمر (خارجة) ، الذى يكلف نفسه أن يحضر حين أغيب .

٢٨— و(ابنى قبيصة) اللذين أخذ منهما الخوف ، فأرهقا أنفسهما وحملا إليك الرهائن ـ والخائف جدير بأن يرهق نفسه ـ

٢٩— كلا ، يمين الله ، لتنزلن لنا (الأسود) من حيث سجنته فى رأس الجبل .

٣٠— أو لنقاتلنك على مانشاء ونختار ، ولنبعثنها على المتمردين الطغاة ،

٣١— حرباً لا تهدأ بين (عانة) (والفرات) ، كأنها النار المستعرة ، يمدها الغواة بالحطب والأخشاب .

ويهاجم الأعشى قبيلة (إياد) التى يضطرها موقعها فى أطراف الجزيرة إلى ممالأة الفرس ، فينفيهم عن العرب ، ويشبههم بالأنباط ، ويتهكم بهم لأنهم يعتمدون فى حياتهم على الزراعة . وهذا يصور احتقار العرب ـ والأعراب منهم خاصة ـ لأصحاب الصناعة والزراعة . ذلك لأن مثلهم الأول أن يكون الرجل فارساً مقاتلا . والزراعة والصناعة والتجارة تقوم على الاستقرار ، وأصحابها يتجنبون الحروب والغارات ما استطاعوا . يقول الأعشى :

٣٢— خربت بيوت هؤلاء الأنباط ! لكأنهم لا يلقون بعدك من يقيم أمرهم ويتعهدهم ويعمر أرضهم .

٣٣— أظننتنا كـ(إياد) حرَّاثين أذلاء ، قد اتخذوا (تكريت) داراً ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد ؟

٣٤— خاملين يقطعون الوقت فى معالجة القمل المنتشر فى أبدانهم ، وقد أُوثِقوا بالسلاسل ، وغُلِّقتْ دونهم الأبواب .

٣٥— ليس هذا شأننا ، فقد جعل الله طعامنا فى الإبل ، نَرْحَلُها حيث نشاء ، رزقا لا ينفد .

٣٦— ضخمة كالهضاب ، نعقرها بسيوفنا للضيفان ، لا يطردها مُرَوِّعٌ أو مغير .

٣٧— ضمنت أعجازُها قدورَنا أن تفرغ ، وضمنت ضروعُها لنا اللبنَ خالصاً صافياً .

٢٦— حَتَّى يفيدَكَ مِنْ بنيهِ رَهينَةً ... نعْشٌ وَيرهَنَكَ السِّماكُ ٱلْفَرْقَدَا
٢٧— إلَّا كَخَارِجَةَ ٱلْمُكَلِّفِ نَفْسَهُ ... وٱبْنَيْ قَبِيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا
٢٨— أَنْ يَأْتِيَاكَ بِرُهْنِهِمْ فَهُمَا إذَنْ ... جُهِدَا وَحُقَّ لِخَائِفٍ أَنْ يُجْهَدَا
٢٩— كَلَّا يَمِينَ اللهِ حَتَّى تُنْزِلُوا ... مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ إلَيْنَا ٱلْأَسْوَدَا
٣٠— لَنقَاتِلَنَّكُمُ عَلَى مَا خَيَّلَتْ ... وَلَنجْعَلَنَّ لِمَنْ بَغَى وَتَمَرَّدَا
٣١— ما بَيْنَ عانَةَ وٱلْفُرَاتِ كَأَنَّمَا ... حَشَّ ٱلْغُوَاةُ بِهَا حَرِيقًا مُوقَدَا
٣٢— خَرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيطَةٍ فَكَأَنَّمَا ... لَمْ تَلْقَ بَعْدَكَ عَامِرًا مُتَعَهِّدَا
٣٣— لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إيَادُ دَارَهَا ... تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا
٣٤— قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤُهُمْ ... وَسَلَاسِلاً أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا
٣٥— جَعَلَ ٱلْإِلٰهُ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا ... رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا
٣٦— مِثْلَ ٱلْهِضَابِ جَزَارَةً لِسُيُوفِنَا ... فَإذَا تُرَاعُ فَإنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا
٣٧— ضَمِنَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا ... وَضُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ ٱلْأَجْرَدَا

(٢٦) بنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها نعش (أى على شكل مستطيل) وثلاث بنات (كالذيل لهذا المربع) ، فمن الأربع الفرقدان ، وهما المتقدمان ، ومن البنات الجدى وهو آخرها . السماكان كوكبان نيران. يقول لكسرى إن رهنك (نعش) بنيه من النجوم، وإن رهنك السماك الفرقد فنحن نرهنك ابناءنا . أى أن ذلك مستحيل .

(٢٧ — ٢٨) فى البيتين تقديم وتأخير . يقصد : إلا كخارجة المكلف نفسه أن أغيب ويشهد ، وابنى قبيصة ، أن يأتياك ... إلا كخارجة استثناء من (لا نعطيه من أبنائنا). يشهد يحضر . جهد (على البناء للمجهول) بلغ الجهد وأقصى الطاقة .

(٢٩ — ٣١) الشاهقة والحالقة أرفع موضع فى الجبل . الأسود هو أخو الحوفزان ، كان فى يد كسرى فى رهن قيس بن مسعود . أما خارجة وابنا قبيصة فنحن لا نعرفهما . تقول للرجل : افعل ذلك على ماخيلت ، أى على ما أرتك نفسك وشبهت لك وأوهمتك. حش النار أطعمها الحطب كما تحش الدابة وتطعمها . الغواة جمع غاو اسم فاعل من غوى (كضرب وعلم) أى ضل وانهمك فى الجهل والسفه .

(٣٢ — ٣٥) النبيط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين . قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . وإنما سمى أولاد شين ابن نوح أنباطاً لأنهم نزلوا هناك. هذا أصله، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . والشاعر هنا ينفى إياداً عن العرب ويجعلهم من النبيط . وكانت إياد تسكن البطائح بين العراقين ، وكانوا من جند كسرى حين حارب بكرا يوم ذى قار . عامر يعمر ديارهم ويدبر أمرهم . متعهد من تعهد الضيعة أى تفقدها ونام على إصلاحها . أجدا موثقة . مؤصد مغلق . المال الابل .

(٣٦ — ٣٧) الهضبة القطعة من الجبل خلقت من صخرة واحدة. الجزر كل شىء مباح للذبح ، والواحد جزرة (بالتحريك) . راعه أفزعه . طرد الابل ضمها من نواحيها . أعجاز الابل أفخاذها وهى أسمن موضع منها وأحسن ما يؤكل من لحمها . الصريح الخالص . الأجرد السائل .

فاذا بلغ الشاعر هذا الحد فقارب الانتهاء ، اتجه إلى كسرى وقد بلغ به الهياج أشده فيختم قصيدته متهدداً يقول :

٣٨ — فاقعد عليك تاجك معتصباً به ، ولا تسمنا الذل والاستعباد .

٣٩ — فما نحن بغافلين عن كيدك ، ولا نحن ممن يرهبون التهديد .

٤٠ — فلعمر جدك لو رأيتنا حيث نقيم ، لرأيت منا منظراً يروع ، وقوة لا تلين .

٤١ — فى جبل من (وائل) ، إن لقيته فى القتال ، لقيت به الشؤم والنكال .

٤٢ — وترى الجياد الجرد مربوطة حول الخيام ، وقد أسندت إليها الرماح .

(٣٥)

هذه هى القصيدة الثانية والأخيرة ، التى رويت فى مدح سلامة ذى فائش . والقصيدة الأولى هى القصيدة (٨) . وقد تقدمت فيها ترجمة الممدوح.

وفى هذه القصيدة أشياء تستوقف نظر الباحث: فقد شكك ابن قتيبة فى صحة نسبتها للأعشى . فقال بعد أن روى منها الأبيات الأربعة الأولى (وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا)

والواقع أن فى القصيدة ما يشكك فى نسبتها . فهى من بحر (المنسرح) . وهو بحر غريب على الأعشى ، لم يروله فيه غير هذه القصيدة . ثم إنه بحر نادر فى الشعر الجاهلى عامة ، لم يرو فيه لامرىء القيس غير عشرة أبيات (فى ثلاث مقطوعات) . ولم يرو فيه لزهير غير قصيدتين ، إحداهما ١١ بيتا ، والأخرى ١٢ بيتا . ولم يرو فيه لحسان غير قصيدتين أيضاً ، إحداهما ١٢ بيتاً والأخرى ١٩ بيتاً .

على أن هذا النوع من التفكير ، الذى نراه فى صدر القصيدة ، غير مألوف فى الشعر الجاهلى عامة وفى شعر الأعشى خاصة . فهو أشبه بشعر من نظر فى الفلسفة أو علم الكلام . وقد كان جل ما يصل إليه تفكير الشاعر الجاهلى أن يذكر الذين ماتوا من الملوك والجبابرة متخذا من موتهم عظة ، أو يقول فى سذاجة إنه يستمتع بالحياة لأنه لا يعلم ما يكون من غد ، كما قال طرفة فى مطولته ، وكما قال الأعشى فى غير هذا الموضع . أما هذا التفكير الذى يستشهدون به على أن الأعشى كان قدرياً فهو كثير على شاعر جاهلى ، وغير معروف فى بقية شعر الأعشى .

والقصيدة مع كل ذلك قلقة الألفاظ تافهة .

يقول الأعشى :

١ — إن لنا فى هذه الدنيا لمقاما ، وإن لنا عنها لمرتحلا . وإن الناس فيها لمسافرون يُمْهَلُون إلى حين .

٢ — ولقد خلق الله الخلق على ما أراد واختار . ثم خصّ نفسه بالوفاء وبالعدل ، وجعل اللوم على الناس.

٣ — وإنما تحمل الأرض ما أراد لها الله أن تحمل ، لا تستطيع لذلك رداً ولا دفعاً .

٤ — يعتريها الخصب حيناً ، فتكسوها الزهور ، كأنها حلة من برود اليمن الزاهية الألوان . ويعتريها القحط حيناً آخر ، فأذا هى مجدبة يتقشر أديمها من الجفاف .

٥ — وقد بث فيها الله الحيوان مختلفاً أنواعه ، منه ذو الخف ومنه ذو البراثن وذو الحوافر ، ومنه الوعول العُصْم .

٦ — وجعل الناس مختلفى الطبائع ، فمنهم الحافى الغليظ القدم ، ومنهم المنتعل .

٧ — وقد رحلت المطى المختارة أزجيها ثقالا قد أوقرتها الأحمال ، وخفافا تمضى مُصْعِدَةً فى الجبال .

٨ — أسوق أفراساً ضامرة كأنها قِسِىُّ (الشَّوْحط) ، فتجرى أمامى كأنها الحجل تطاردها الصقور .

٣٨— فَاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِهِ ... لَا تَطْلُبَنَّ سَوَامَنَا فَتَعَبَّدَا

٣٩— لَا تَحْسَبَنَّا غَافِلِينَ عَنْ آلْـ ....

٤٠— فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مَقَامَنَا ... لَرَأَيْتَ مِنَّا مَنْظَرًا وَمُؤَيَّدَا

٤١— فِي عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ إِنْ تَلْقَهُ ... يَوْمَ ٱلْهِيَاجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أَنْكَدَا

٤٢— وَتَرَى ٱلْجِيَادَ ٱلْجُرْدَ حَوْلَ بُيُوتِنَا ... مَوْقُوفَةً وَتَرَى ٱلْوَشِيجَ مُسَنَّدَا

(٣٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ سَلَامَةَ ذَا فَائِش:

١ — إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلَا ... وَإِنَّ فِي السَّفْرِ مَا مَضَى مَهَلَا (منسرح)

٢ — اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِٱلْوَفَاءِ وَبِٱلْـ ... ـعَدْلِ وَوَلَّى ٱلْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

٣ — وَٱلْأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ ٱلـ ... ـلَّهُ وَمَا إِنْ تَرُدُّ مَا فَعَلَا

٤ — يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ ٱلْـ ... خِمْسِ وَيَوْمًا أَدِيمُهَا نَغِلَا

٥ — أَنْشَى لَهَا ٱلْخُفَّ وَٱلْبَرَاثِنَ وَٱلْـ ... حَافِرَ شَتَّى وَٱلْأَعْصَمَ ٱلْوَعِلَا

٦ — وَالنَّاسُ شَتَّى عَلَى سَجَائِحِهِمْ ... مُسْتَوْقِحًا حَافِيًا وَمُنْتَعِلَا

٧ — وَقَدْ رَحَلْتُ ٱلْمَطِيَّ مُنْتَخِلَا ... أُزْجِي ثِقَالًا وَقُلْقُلًا وَقِلَا

٨ — أُزْجِي سَرَاعِيفَ كَٱلْقِسِيِّ مِنَ الـ ... شَوْحَطِ صَكَّ ٱلْمُسَفَّعِ ٱلْحَجَلَا

(٣٨ — ٤٢) سامه الأمر كلفه إياه . تعبده واستعبده صيره كالعبد . الجد (بفتح الجيم) الحظ ، يقسم له بحظه ــ على سبيل التهكم ــ والجد أيضا أبو الأب والأم . المنظر مانظرت إليه فأعجبك أو ساءك . الأيد القوة وأيده قواه فهو مؤيد . العارض السحاب المعترض فى الأفق والجبل ، شبه به الجيش . الهياج الحرب . الوشيج شجر الرماح .

(٣٥)

(١ — ٣) استشهد سيبويه بالبيت الأول على حذف خبر إن لأنه معلوم . أى إن لنا محلا فى الدنيا ومرتحلا . المهل التؤدة والرفق . السفر المسافرون . ما مصدرية ظرفية .

(٤ — ٦) الخمس (بكسر الخاء) ضرب من برود اليمن . نغل الأديم فسد فى الدباغ ، ونغل وجه الأرض إذا تهشم من الجدوبة . الأعصم من الظباء والوعول مافى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائر جسمه أسود أو أحمر . السجائح جمع سجيحة وهى الطبيعة والخلق . وقح حافر الدابة (كفرب) وقحا (بالتحريك) صلب . وكذلك استوقح .

(٧ — ٨) انتخل الشىء اختاره . أزجى أى أسوق . القلقل (بضم القافين) الخفيف فى السفر والسريع الحركة . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه فهو وقل (كفرح) ، وكذلك توقل . السرعوف (بضم السين) الفرس الطويل ، والجمع سراعيف . الشوحط ضرب من النبع (بفتح فسكون) ؛ وهو شجر تتخذ منه القسى ينبت فى السهل ، وأما النبع فينبت فى الجبل ، والواحد شوحطة . المسفع الصقر أو البازى لأن فى وجهه سفعة (وهو السواد المشرب بحمرة) . الحجل ذكر القبج (بفتح فسكون) وهو الكروان . والقبج فارسى معرب .

٩ — وأمتطى الإبل المسنة ، والناقة الضخمة الصلبة ، والجمل .

١٠— يرشح البول على فخذيه وقد لصق به الغبار ، كما ترشح الإبل (العبدية) المسنة .

١١— تسرع فى السير وتنساب حين تهبط السهول ، وترجم الأرض بأخفافها الصلاب ، شأن الفَتِيِّ الصغير من الإبل ، حين تُصْعِدفى الوُعُور .

١٢— تمضى بمن يقطع الصحارى والقفار البعيدة ، قاصداً من يكافئه على رحلته الشاقة بالإبل

١٣— ويعطيه الضخم القوى من الأفراس ، والجوارى والعبيد . والإبل الضخام يتبعها أطفالها الصغار .

١٤— تقيم المطايا عنده مكرمة ما أقامت . ويجزيها بما عملت أخفافها وما لقيت من متاعب وصعاب .

* * *

١٥— أصبح « سلامة ذو فائش » منشرح الصدر مسروراً .

١٦— أبيض ميمون ، لايشح خوف الفقر والهزال ، ولا يقطع الأقرباء ، ولا يخون العهود .

١٧— ياخير من يركب المطى ، ويامن لا يشرب كأساً بكف بخيل .

١٨— قلدتك شعرى ياذا الفضل والإنعام ، وأنت به جدير .

١٩— والشعر يستنزل الكريم ويدنيه ، كما يستنزل رعد السحابة الأمطار .

٢٠— لو كنتَ ينبوعا لاجتمع ماؤك وتكاثر حين يَرِدُ القوم ، ولم يكن بالنزر ولا القليل .

٢١— لقد أنجب والداك إذ ولداك ، فنعم ما ولدا من كريم .

٩ — وَٱلْهَوْزَبَ ٱلْعَوْدَ أَمْتَطِيهِ بِهَا   وَٱلْعَنْتَرِيسَ ٱلْوَجْنَاءَ وَٱلْجَمَلَا
١٠— يَنْضَحُ بِٱلْبَوْلِ وَٱلْغُبَارِ عَلَى   فَخْذَيْهِ نَضْحَ ٱلْعَبْدِيَّةِ ٱلْجُلَلَا
١١— وَسَّاجَ سَابَ إِذَا هَبَطْتَ بِهِ ٱلْـ   سَّهْلَ وَفِى ٱلْحَزْنِ مِرْجَمًا حَجَلَا
١٢— بِسَيْرِ مَنْ يَقْطَعُ ٱلْمَفَاوِزَ وَٱلْـ   بُعْدَ إِلَى مَنْ يُثِيبُهُ ٱلْأَبِلَا
١٣— وَٱلْهَيْكَلَ ٱلنَّهْدَ وَٱلْوَلِيدَةَ وَٱلْـ   عَبْدَ وَيُعْطِى مَطَافِلاً عُطُلَا
١٤— يُكْرِمُهَا مَاثَوَتْ لَدَيْهِ وَيَجْـ   زِيهَا بِمَا كَانَ خُفُّهَا عَمِلَا
١٥— أَصْبَحَ ذُو فَائِشٍ سَلَامَةُ ذُو الْـ   تَّفْضَالِ هَشًّا فُؤَادُهُ جَذِلَا
١٦— أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ ٱلْهُزَالَ وَلَا   يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَّا
١٧— يَاخَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِىَّ وَلَا   يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا
١٨— قَلَّدْتُكَ ٱلشِّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا الْـ   تَّفْضَالِ وَالشَّىْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا
١٩— وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ ٱلْكَرِيمَ كَمَا ٱسْـ   تَنْزَلَ رَعْدُ ٱلسَّحَابَةِ ٱلسَّبَلَا
٢٠— لَوْ كُنْتَ مَاءً عِدًّا جَمَمْتَ إِذَا   مَاوَرَدَ ٱلْقَوْمُ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا
٢١— أَنْجَبَ أَيَّامُ وَالِدَيْهِ بِهِ   إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

(٩ — ١٠) الهوزب والعود (بفتح فسكون) المسن من الابل. العنتريس الناقة الصلبة. الوجناء الضخمة. ينضح يرشح العرق. العبدية منسوبة إلى قبائل عبد القيس. الجلل (بضم ثم فتح) جمع جليل وجل (بكسر الجيم) وهو المسن، فعله جل (كضرب) أى أسن واحتنك.

(١١ — ١٢) وسجت الابل أسرعت فى السير، والجمل وساج أى سريع. ساب يسيب أسرع فى السير. مرجما أى يرجم الأرض بأخفافه. الحجل معناها هنا صغار الابل.

(١٣ — ١٥) الهيكل الضخم من كل حيوان. النهد الفرس الحسن الجميل الجسم. الوليدة الجارية. مطافل جمع مطفل (بصيغة اسم الفاعل) أى معها طفلها. العطل من الابل (ككتف) الحسن الجسم. هش ارتاح وتبسم. جذل فرح.

(١٦ — ١٨) الرحم (بكسر فسكون) والرحم (بفتح فكسر) القرابة. الال العهد والميثاق. خير من يركب المطى أى خير الناس جميعا، والراكب خير من الراجل. لا يشرب كأساً بكف من بخلا، أى أنه ليس بخيلا، لأنه إنما يشرب بيده هو نفسه.

(١٩ — ٢١) السبل المطر. العد (بكسر العين) الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والينبوع. جم الماء كثر واجتمع. الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أى صخرة ولا يتصل قطره. أنجب الرجل ولد ولدا نجيباً أى كريما. نسب الانجاب للأيام كما تقول نام ليل فلان، تريد أنه هو الذى نام.

٢٢ — قد علمت (فارس) و (حِمْيَر) والأعراب فى الصحراء ، أيكم أجدر بالثبات فى الحروب .

٢٣ — هل تذكر أيامنا فى (تنَمَّص) وقد تهيأت للقتال ، إذ تضرب لى بشجاعتك الأمثال ؟

٢٤ — هو الليث فى الحرب ، حتى تذل له وتخضع . قد فاق بصنيعه كل الملوك .

(٣٦)

هذه هى القصيدة الثالثة فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد تقدمت فى مدحه القصيدتان (٢١) ثم (٢٩) ، حيث ترجمنا له فى القصيدة الأولى. يقول الرواة إن الأعشى مدح إياسا بهذه القصيدة ، حين استعان به كسرى أبرويز بن هرمز ، على مدافعة هرقل قيصر الروم ، حين غزاه بجيش ضخم ، حتى بلغ أطراف مملكته . فهب إياس لمناهضة الروم . فأدركهم فى (ساتيدما) وقد ولوا منهزمين ، ثم عاد من هذه الغزوة مريضاً(١). وفى القصيدة إشارة إلى مرضه فى الأبيات ٢ ، ٣ ، ٢٤. ومن الواضح أن كل ماروى للأعشى فى مدح إياس سابق على يوم ذى قار ، لأن إياساً كان فى جانب الفرس ضد بكر فى هذا اليوم ، كما سبقت الاشارة إلى ذلك فى القصيدة (٣٤) .

وترتيب القصيدة على هذا النحو الذى رويت به فى الديوان غريب غير مألوف . بدأها متشائماً ضيقاً بالحياة ثم أشار إلى مرض إياس ، وإلى تقلب الدنيا بالناس . وانتهى إلى مدحه متمنياً له الشفاء . حتى بلغ البيت (٢٨) ـ ثم وصف الصحراء فى أربعة أبيات ـ وانتقل منها إلى تصوير لهوه ومجونه حتى بلغ البيت (٥٤) ـ وهذا الجزء هو أطول أجزاء القصيدة وأجلها ـ وختم قصيدته بسبعة أبيات يتفخر فيها بنفسه ، ويهدد ويتم هجائه على خصمه. وصلب القصيدة وصميمها هى أبيات الخمر واللهو (من ٣٣ ـ ٥٤) . وهذا القسم صالح لان يكون قصيدة قائمة بنفسها . والأبيات التى تسبقه لا تصلح أن تكون تقديما له . فهى أشبه بأن تكون قصيدة أخرى مستقلة عما بعدها . على أن هذا القسم الأول من القصيدة ردىء ركيك فى كثير من مواضعه . وربما كانت غرابة الروى الذى بنى على الحاء الساكنة من أسباب هذه الركاكة . وقد نتج عن إضافة القسم الثانى إلى الأول أن وقع فى القصيدة إيطاء فى أربعة مواضع ، تسلم منها لقصيدة إذا فصل الجزآن . فقافية البيت (١٥) مكررة فى البيت (٣٧) . وقافية البيت (٢١) مكررة فى البيت (٥٧) . وقافية البيت (٢٦) مكررة فى البيت (٤٧) . وقافية البيت (٣٢) مكررة فى البيت (٤٥) .

على أن الطبرى وابن الأثير والمسعودى قد ذكروا نهوض هرقل لتحرير الشام من الفرس بعد قتل (موريقس) صهر (أبرويز) ملك الفرس ، وغارته على العراق . ولكنهم لم يشيروا إلى استعانة كسرى باياس ، التى بنى عليها القسم الأول من القصيدة . وليس فى هذا القسم ما يدل دلالة صريحة على أن المقصود بالمدح هو (إياس) . وإنما يستفاد ذلك من قول الشراح .

يقول الأعشى :

١ — بأى شىء تخبرك الطير الراجعة إلى أوكارها ، من غراب ينعق للبين ، أو تيْس يمر من يسارك ؟

٢ — وأنت جالس بين قوم قد يئسوا من أسير من صحب (قزح)، قد أتى عليه حول ، وهو فى قيود المرض والسقم رهين .

٣ — عند ملك كلما قيل له : فَادِ أسيرك بالمال ، تراخى مماطلا ، ومزح ساخراً .

٤ — فلئن كشف عنا ربك الضيق برحمته ، وفرج الكروب .

٥ — أو كنا هالكين كمن هلك ، وما لأحد - ياقومى - فى الدنيا من بقاء .

٦ — ليعودن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاء ، وتغمرها نعمه وعطاياه .

٧ — وما نحن إلا كشىء فاسد ، إن أراد به الله الصلاح صلح .

---

(١) راجع تفاصيل الغزوة فى الطبرى ١ : ٥٩٢ ، ٥٩٥ ـ ابن الأثير ٢ : ٢٨٢ ـ مروج الذهب ١ : ١٧٣

٢٢— قَدْ عَلِمَتْ فَارِسٌ وَحِمْــيَرُ وَٱلْـ أَعْرَابُ بِالدَّشْتِ أَيُّهُمْ نَزَلَا
٢٣— هَلْ تَذْكُرُ ٱلْعَهْدَ فِي تَنَمُّصَ إِذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَــا مَثَلَا
٢٤— لَيْثٌ لَدَى ٱلْحَرْبِ أَوْ تَدُوخَ لَهُ قَسْرًا وَبَذَّ ٱلْمُلُوكَ مَا فَعَــلَا

(٣٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِي :

١ — مَاتَعِيفُ ٱلْيَوْمَ فِي الطَّيْرِ الرَّوَحْ مِنْ غُرَابِ ٱلْبَــيْنِ أَوْ تَيْسٍ بَرَحْ (رمل)
٢ — جَالِسًــا فِي نَفَرٍ قَدْ يَئِسُوا مِنْ مُحِيلِ ٱلْقِدِّ مِنْ صَحْبِ قُزَحْ
٣ — عِنْدَ ذِي مُلْكٍ إِذَا قِيــلَ لَهُ فَادِ بِٱلْمَالِ تَرَاخَى وَمَزَحْ
٤ — فَلَـئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحْ
٥ — أَوْ لَئِنْ كُنَّا كَقَوْمٍ هَلَكُوا مَالِحَيٍّ يَا لَقَوْمِي مِنْ فَلَحْ
٦ — لَيَعُودَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرُهَا دَلَجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنَحْ
٧ — إِنَّمَا نَحْنُ كَشَيْءٍ فَاسِدٍ فَإِذَا أَصْلَحَــهُ اللّٰــهُ صَلَحْ
٨ — كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا وَرَأَيْنَا ٱلْمَرْءَ عَمْــرًا بِطَلَحْ
٩ — آفِقًا يُجْبَى إِلَيْهِ خَرْجُهُ كُلُّ مَا بَيْنَ عُمَــانٍ فَمَلَحْ

(٢٢—٢٤) الدشت الصحراء (فارسية معربة) . أيهم نزلا ، أي قد علموا أنك أكثر ثباتاً منهم في الحروب . والنزول أشد مواقف الحرب ، وهو أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا. العهد المودة والمنزل. داخ ذل وخضع . قسره على الأمر قسرا (كضرب) أكرهه عليه وقهره . بذه غلبه وفاقه .

(٣٦)

(١—٣) عاف الطير يعيفها عيافة زجرها . وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها فتتفاءل أو تتشاءم . الروح جمع رائح ، والروح كذلك من الطير المتفرقة أو الرائحة إلى أوكارها . البين الفراق ، وكانوا يتشاءمون بنعيق الغراب ويرونه نذير الفرقة والشتات . البارح من الطير والصيد ما جاء عن يسار الجالس ماراً نحو يمينه والعرب تتشاءم به . وعكسه السانح والعرب تتفاءل به . القد القيد. محيل القد الذي أتى عليه حول أي عام وهو في القيد . ويقصد الشاعر بالقيد هنا قيد المرض لأن الممدوح كان مريضاً . عند ذي ملك ، ذلك هو المرض نفسه لا يقبل الفدية في أسيره . قزح اسم ملك من ملوك العجم .
(٤ — ٦) الفلح البقاء والنجاة والفوز أو هو الفلاح حذفت الألف للشعر . العكر (بفتح فسكون) والعكر (بفتحتين) مافوق خمسمائة من الابل، وقيل مابين الستين إلى المائة . دلج وتأخاذ بدل من عكرها .
(٧ — ٩) عمرو هو عمرو بن هند ملك الحيرة . الطلح (بفتحتين) النعمة . أفق (كعلم) بلغ النهاية في الكرم أو العلم ، وأفق (كضرب) أعطى ففضل قوما على قوم . عمان بالشام والملح في اليمامة .

٨ — وكم رأينا من أناس هلكوا ، ورأينا (عمرو بن هند) غارقا فى النعيم .

٩ — وقد بلغ النهاية فى الترف ، يجبى إليه خراج ملكه العظيم ، بين (عمان) و (مَلَى) .

١٠ — ورأينا (هرقل) ملك الروم ، يوم (ساتيدما) ، وقد بَذَّ قومه (بنى بُرجان) فى الحروب وفى فن القتال .

١١ — ورث السيادة عن آبائه ، وتمرس بالغزو والقتال ، حين كان غلاما حدثا لم يبلغ سن الزواج .

١٢ — فأغاروا على فارس فى وضح النهار ، بكتيبة ضخمة تطحن ما يعترض طريقها ، وتبرق فوق رجالها الأسلحة والحديد .

١٣ — ثم لم يجبنوا ولم يتهيبوا . ولكن قدموا فارساً كأنه الكبش ، كلما التقى بخصم نطحه فأرداه .

١٤ — فالتقى القوم بضرب يتصبب دما يسيل على وجه الارض .

١٥ — مات منه من مات فى صدر النهار ، وهرب من هرب منتشراً فى الآفاق .

* * *

١٧ — ليت شعرى ماذا عساك تقول حين أصبح جسداً بالياً ؟ أتقول إنى صددت عنك وتناسيت ؟

١٨ — أم تقيم على العهد . وعهدى بك أنك خير من رعى الإبل ، حين تسرح فى المرعى وحين تؤوب .

١٩ — وإذا حُمِّلَ بعض الناس العبء ، فاشتكى ضَعْفَ أوصاله عن احتماله ، وأعيا وعجز .

٢٠ — كان القوىَّ المطيق لأحماله ، حين يتخلى عن الرجل ناصره ومولاه ، ويصد عنه معرضاً .

٢١ — وهو الذى يدفع عن المكروب الجانى ، حين يلجأ إليه ، أيدىَ المطاردين .

٢٢ — يشترى الحمد والثناء بأغلى الأثمان . ومن بذل الجهد وتكلف المشقة ليشترى بهما حمداً أو ثناء فقد ربح وفاز .

٢٣ — ويبتنى المجد ، ويتجاوز بثاقب فكره مدى العقول ، وترى ناره من بعيد تهدى السراة وتدعو القاصدين .

٢٤ — يقولون إنه سقيم . فلئن نفض عنه الأسقام وتماثل للشفاء ،

١٠— وَهِرَقْلًا يَوْمَ سَاتِيدَمَى ... مِنْ بَنِي بُرْجَانَ فِي ٱلْبَأْسِ رَجَحْ
١١— وَرِثَ السُّؤْدَدَ عَنْ آبَائِهِ ... وَغَزَا فِيهِمْ غُلَامًا مَا نَكَحْ
١٢— صَبَّحُوا فَارِسَ فِي رَأْدِ الضُّحَى ... بِطَحُونٍ فَخْمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ
١٣— ثُمَّ مَا كَاءُوا وَلٰكِنْ قَدَّمُوا ... كَبْشَ غَارَاتٍ إِذَا لَاقَى نَطَحْ
١٤— فَتَفَانَوْا بِضِرَابٍ صَائِبٍ ... مَلَأَ ٱلْأَرْضَ نَجِيعًا فَسَفَحْ
١٥— مِثْلَ مَا لَاقَوْا مِنَ ٱلْمَوْتِ ضُحًى ... هَرَبَ ٱلْهَارِبُ مِنْهُمْ وَٱمْتَضَحْ
١٦— لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ نُعْمَى .... وَٱصْطَرَحْ
١٧— هَلْ تَقُولَنَّ إِذَا كُنْتُ صَدًى ... صَدَّ عَنِّي وَتَنَاسَى وَ . . . .
١٨— أَمْ عَلَى ٱلْعَهْدِ فَعِلْمِي أَنَّهُ ... خَيْرُ مَنْ رَوَّحَ مَالًا وَسَرَحْ
١٩— وَإِذَ حُمِّلَ عِبْئًا بَعْضُهُمْ ... فَٱشْتَكَى ٱلْأَوْصَالَ مِنْهُ وَأَنَحْ
٢٠— كَانَ ذَا ٱلطَّاقَةِ بِالثِّقْلِ إِذَا ... ضَنَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ عَنْهُ وَصَفَحْ
٢١— وَهُوَ الدَّافِعُ عَنْ ذِي كُرْبَةٍ ... أَيْدِيَ ٱلْقَوْمِ إِذَا ٱلْجَانِي ٱجْتَرَحْ
٢٢— تَشْتَرِي ٱلْحَمْدَ بِأَغْلَى بَيْعِهِ ... وَٱشْتِرَاءُ ٱلْحَمْدِ أَدْنَى لِلرِّبَحْ
٢٣— تَبْتَنِي ٱلْمَجْدَ وَتَجْتَازُ ٱلنُّهَى ... وَتُرَى نَارُكَ مِنْ نَاءٍ طَرَحْ
٢٤— أَوْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ فَلَئِنْ ... نَفَضَ ٱلْأَسْقَامَ عَنْهُ وَٱسْتَصَحّْ

(١٠ — ١٢) هرقل آخر ملوك القسطنطينية قبل الاسلام ، وكانت هجرة النبي لسبع سنين من ملكه . وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه . (وهو يشير فى هذه الأبيات إلى استرجاعه للشام من الفرس بعد أن ملكوها ثم غزوه لهم) بنو برجان (كعثمان) جنس من الروم . البأس الحرب . ساتيدما اسم جبل أو نهر . رأد الضحى ورائد الضحى وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الخمس الأول ، وذلك شباب النهار . والرأد والرود الشابة الحسنة . الصبح بريق الحديد . مصدر من صبح الحديد (كعلم) أى رق. بطحون فخمة أى بكتيبة طحون فخمة .

(١٣ — ١٥) كاء عنه يكاء (كمنع) هابه وجبن عنه . صاب السهم نحو الرمية قصد نحوها ولم يخطئها . وصاب المطر انحدر . النجيع دم الجوف أو الدم الذى يضرب للسواد . سفح الدم انصب ، يستعمل لازما ومتعدياً . مضحت الابل (كقطع) انتشرت . ومضحت الشمس انتشر شعاعها على الأرض . وروى (وامتصح) من مصح الشيء أى ذهب وانقطع

(١٧ — ١٩) الصدى جسد الانسان بعد موته . المال الابل ، سرحها أرسلها صباحا لترعى . روحها ردها آخر النهار . نح الرجل تردد صوته فى جوفه . وروى كذلك (وبلح) اى أعيا وعجز .

(٢٠ — ٢٤) ضن بخل . المولى تطلق على السيد والعبد والصديق ، والمقصود هنا المعنى الأخير . صفح عنه صد وأعرض . اجترح اكتسب ، وأكثرما تستعمل فى الجرائم ، ومنه قوله تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا) . النهى جمع نهية وهى العقل . الطرح (بفتحتين) المكان البعيد .

٢٥– ليعيدن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاء ، وتغمرها نعمه وعطاياه .

٢٦– وتعود إلى عهدها به ، فى أيام له نعرفها ولا ننساها ، غمرتنا فيها نعمه ، حين عم الجدب ، واشتد البرد، حتى إن الكلاب لِتهرّ وتنبح .

٢٧– وهو الجرىء المقدام فى الحروب ، حين تتعبس الوجوه ، وتتقلص الشفاه حتى تبدو الأنياب .

٢٨– كم من حرب قد قدح زنادها ، وأورى نارها ، وأمدها بالحطب والوقود .

* * *

ثم ينتقل الشاعر فجأة إلى الصحراء ، يصف صبره على الرحلة فيها ، فيقول :

٢٩– وإنى لجدير أن أقطع حبال الود عامداً ، حين لا يرضينى المقام ، فوق ناقة صلبة ، حين ينقطع السراب .

٣٠– تقطع الصحراء البعيدة الآفاق حين يحتدم الحر ، نشيطة مسرعة .

٣١– وتُوَلِّى الأرض خفاً صلباً مجتمعاً ، تتكسر من تحته الأحجار .

٣٢– تسمع لطرفه المشقوق رنيناً خشن الصوت ، حين يحتك بالأرض .

* * *

ولا يلبث بعد هذا الوصف القصير للصحراء أن يتحول عنه فجأة ، كما دخل فيه فجأة ، فيتحدث عن ذكرياته فى حوانيت الخمر ، مصورا ما تموج به من ضروب اللهو والترف ، مقدما صورة رائعة لهذه البيوت فى (الحيرة) . فيقول :

٣٣– وخمر باردة متوردة اللون ، يظنها الناظر قد عصرت من نوْر (الذُّبَح) الزاهية الحمراء .

٣٤– يفوح ريحها كما تفوح رائحة المسك ، يصبها الساقى مسرعا حين يستعجله الشاربون .

٣٥– يصبها من زقاق الخمر التى حملها التجار ، فى باطية واسعة سوداء من آنية (الحيرة) ، تتوسط الندماء .

٣٦– بعيدة الغور ، لا تبالى غرف الاباريق منها والأقداح طول اليوم .

٣٧– تزبد الخمر فيها حين تصب ، ثم لا تلبث أن يذهب زبدها ، ويغور فى جوفها الواسع العميق .

٣٨– وإذا اغترفت الكؤوس الفضية منها فصادمت جوانبها ، كرت فيها سابحة .

٣٩– يتهافت فيها الزجاج لا ينقطع سيله ، وتهوى إليها أيدى النازحين ، يغترفون ما يغترفون .

٢٥— لَيُعِيدَنْ لِمَعَدٍّ عِكْرَهَا ... دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِكْفاءَ ٱلْمِنَحْ
٢٦— مِثْلَ أَيَّامٍ لَهُ نَعْرِفُهَا ... هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحْ
٢٧— وَلَهُ ٱلْمُقْدَمُ فِي ٱلْحَرْبِ إِذَا ... سَاعَةُ الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ
٢٨— أَيُّ نَارِ ٱلْحَرْبِ لَا أَوْقَدَهَا ... حَطَبًا جَزْلًا فَأَوْرَى وَقَدَحْ
٢٩— وَلَقَدْ أَجْذِمُ حَبْلِي عَامِدًا ... بِعَفَرْنَاةٍ إِذَا الْآلُ مَصَحْ
٣٠— تَقْطَعُ ٱلْخَرْقَ إِذَا مَا هَجَّرَتْ ... بِهَبَابٍ وَإِرَانٍ وَمَرَحْ
٣١— وَتُوَلِّي ٱلْأَرْضَ خُفًّا مُجْمَرًا ... فَإِذَا مَا صَادَفَ ٱلْمَرْوَ رَضَحْ
٣٢— فَتَرَاهُ فَلِقًا فَرَاسِنًا ... ذَا رَنِينٍ صَحِلَ الصَّوْتِ أَبَحْ
٣٣— وَشَمُولٍ تَحْسِبُ ٱلْعَيْنُ إِذَا ... صُفِّقَتْ وَرْدَتَهَا نَوْرَ الذُّبَحْ
٣٤— مِثْلُ ذَكْيِ ٱلْمِسْكِ ذَاكٍ رِيحُهَا ... صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحْ
٣٥— مِنْ زِقَاقِ التَّجْرِ فِي بَاطِيَةٍ ... جَوْنَةٍ حَارِيَّةٍ ذَاتِ رَوَحْ
٣٦— ذَاتِ غَوْرٍ مَا تُبَالِي يَوْمَهَا ... غَرَفَ ٱلْأَبْرِيقِ مِنْهَا وَٱلْقَدَحْ

(٢٥ — ٢٨) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . العكر (بكسر العين) الأصل ، وهو كذلك العادة . لدلج والادلاج سير الليل . أكفأت الابل كثر نتاجها . وأكفأه إبله جعل له منافعها . الهرير صوت دون النباح . المقدم مصدر ميمي من أقدم . كلح عبس وكشر . الحطب الجزل اليابس الذى تسرع فيه النار . قدح أى قدح الزناد فأورى ناراً أى أخرج ناراً .

(٢٩ — ٣١) جذم الحبل قطعه . ناقة عفرناة شديدة قوية ، والعفرناة كذلك الغول . الآل السراب . مصح ذهب وانقطع . الخرق الصحراء الواسعة لأن الرياح تنخرق فيها . هجرت سارت فى الهاجرة وهو منتصف النهار . الهباب النشاط والاسراع . أرن البعير (كعلم) نشط . المرح النشاط . الثلاثة كلها بمعنى واحد . مجمر صلب مجتمع ، من قولهم أجمر القوم على الشىء أى اجتمعوا . المرو حجارة صلبة بيضاء . رضح الحصى والنوى كسره .

(٣٢ — ٣٤) رواية الديوان فى الطبعة الأوروبية (فنداه ريمان خفها) . نداه أى بله . ريمان خفها حركته ، من رام المكان أى فارقه . وذا رنين على هذه الرواية حال من (خفها) أو من الهاء فى (نداه) . على أن التكلف واضح فى نظم الألفاظ فى هذه الرواية . وأحسن منها الرواية الأخرى التى جاءت فى الهامش (ويروى فرءاه فلقاً براثنا) والذى أراه أن براثناً محرفة عن فراسنا ، لأن البرثن لذى الناب والفرسن (كزبرج) لذى الخف وهو طرفه . والانسب أن تكون (فرءاه) فى صيغة المضارع كما أثبتها . فتراه أى المرو ، وقد يعود الضمير على الخف . فلقاً أى مشقوقاً . وقد تكون فلقاً (بكسر ثم فتح) جمع فلقة كقطعة من فلق الشىء اذا شقه . صحل الصوت (كعلم) احتد فى بحه . وقيل الصحل خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم . شمل الخمر (كنصر) عرضها للشمال لتبرد . والشمول والمشمولة الخمر الباردة التى ضربتها ريح الشمال فبردت . الذبح (بضم ففتح) نبت حلو يؤكل ، له زهرة حمراء . ذكا المسك سطع ريحه . توح فعل أمر من توحى أى أسرع واستعجل .

(٣٥ — ٣٦) الزق جلد صغير تحمل فيه الخمر . من زقاق التجر أى أنها مستوردة من بعيد ، حملها التجار من مواطنها وإنما يحملونها فى الزقاق لأن الدنان تتعرض للكسر . الباطية إناء واسع الاعلى ضيق الاسفل يوضع بين الشاربين ليغترفوا منه ، وهى كلمة فارسية . ويسمونه كذلك الناجود . جونة سوداء . حارية نسبة للحيرة . روح سعة . غرف مصدر غرف يغرف .

٤٠ــ فأذا غاضت الخمر ونزفت ، رفعنا إليها زقا جديداً ، نحل رباطه ، فتندفع منه الخمر ، كما يندفع الدم من أوداج الذبيح .

٤١ــ ينهمر انهمار السيل ، بخمر تجرى سائلة فتملأ الناجود .

٤٢ــ وقد تمدد إلى جانبه زق الخمر الأسود ، كأنه حبشى رقد على الأرض فانبطح .

٤٣ــ ولقد أبكر إلى النديم ، أو يبكر هو إلى ، فنشربها فى الصباح ناعمين .

٤٤ــ عند مغن كلما هتف به الرفاق أن يسمعهم ، رفع صوته المطرب بالغناء .

٤٥ــ يصاحب غناءه العود ، ينقل أصابعه على أوتاره ، فيختلط صوته بأنغامه ، بين حاد رقيق ، وخشن أجش .

٤٦ــ فى شباب يترقرق ماء النعمة والبشر فى وجوههم ، كأنهم المصابيح تضىء فى الظلام .

٤٧ــ يكسو مجلسهم الوقار ، حين يستخف الجهل السفهاء من الناس ، فينبحون كما تنبح الكلاب .

٤٨ــ لا يبخلون بالمال . ولم يكن من عادتهم فى قومهم أن يشدوا ضروع النوق ، بخلا بالألبان

٤٩ــ حتى إذا أخذت منهم الخمر ، تمددوا على الأرض ، كأنهم حبال متشابكة قد نصبت لصيد القرود .

٥٠ــ فهذا مغلوب قد صرعته الخمر لوجهه ، وذاك قد خذلته رجله فهو يجرها ، وما هو بكسيح .

٥١ــ وماجت الحانة بنساء طوال ضخام ناعمات ، لم يفسد جمالهن الكد ، ولم يذهب به الهوان .

٣٧— وَإِذَا مَا الرَّاحُ فِيهَا أَزْبَدَتْ ... أَفَـلَ ٱلْأَزْبَادُ فِيهَا وَٱمْتَصَحْ
٣٨— وَإِذَا مَكُّوكُهَا صَـادَمَهُ ... جَانِبَاهَـا كَرَّ فِيهَا فَسَبَـحْ
٣٩— فَتَرَامَتْ بِزُجَاجٍ مُعْمَـلٍ ... يُخْلِفُ النَّـازِحُ مِنْهَا مَا نَزَحْ
٤٠— وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَـا ... طُلُقَ ٱلْأَوْدَاجِ فِيهَا فَٱنْسَفَحْ
٤١— وَنُسِيحُ سَيَلَانَ صَـوْبِهِ ... وَهُوَ تَسْيَـاحٌ مِنَ الرَّاحِ مِسَحْ
٤٢— تَحْسِبُ الزِّقَّ لَدَيْهَـا مُسْنَدًا ... حَبَشِيًّا نَامَ عَمْـدًا فَٱنْبَطَحْ
٤٣— وَلَقَدْ أَغْدُو عَلَى نَدْمَانِهَـا ... وَغَدَا عِنْدِي عَلَيْهَا وَٱصْطَبَحْ
٤٤— وَمُغَنٍّ كُلَّمَا قِيـلَ لَهُ ... أَسْمِعِ الشَّرْبَ فَغَنَّى فَصَـدَحْ
٤٥— وَثَنَى ٱلْكَفَّ عَلَى ذِي عَتَبٍ ... يَصِـلُ الصَّوْتَ بِذِي زِيرٍ أَبَحّْ
٤٦— فِي شَبَابٍ كَمَصَـابِيحِ الدُّجَى ... ظَاهِرُ النِّعْمَةِ فِيهِمْ وَٱلْفَرَحْ
٤٧— رُجُحُ ٱلْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ ... كُلَّمَا كَلْبٌ مِنَ النَّاسِ نَبَحْ
٤٨— لَا يَشِحُّونَ عَلَى ٱلْمَالِ وَمَا ... عُوِّدُوا فِي ٱلْحَيِّ تَصْرَارَ اللِّقَحْ
٤٩— فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَـاوَى كُلَّهُمْ ... مِثْلَ مَا مُدَّتْ نُصَـاحَاتُ الرُّبَحْ
٥٠— بَيْنَ مَغْـلُوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ ... وَخَذُولِ الرِّجْلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحْ
٥١— وَشَغَامِيمَ جِسَامٍ بُدَّنٍ ... نَاعِمَاتٍ مِنْ هَوَانٍ لَمْ تُلَحْ

(٣٧—٣٨) أفل رجع وذهب . امتصح ذهب وانقطع . المكوك إناء من فضة يشرب فيه . جانباها الضمير للباطية .

(٣٩ – ٤١) معمل أى دائم العمل . أخلف لأهله استقى لهم ماء ، وأخلف فلان أهوى بيـده إلى سيفه ليسله . ماهنا مصدرية ، ويخلف لازمة . غاض الماء جف وغار . الطلق المحلول ، الأوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق الاخدع الذى يقطعه الذابح ، يقصد به هنا فم القربة . أساحه أجراه . الصوب مصدر من صاب المطر إذا انصب ونزل . مسح سائل من سح الماء والمطر والدمع سال .

(٤٢ — ٤٤) أغدو أنطلق فى الصباح . الندمان النديم . اصطبح شرب الخمر فى الصباح . صدح الرجل والطائر رفع صوته بالغناء .

(٤٥ — ٤٧) العتب (بالتحريك) العيدان المعروضة على وجه العود ، منها تمد الأوتار إلى طرف العود . الزير الدقيق من الأوتار وأحدها صوتا . الأبح الخشن الصوت . الأحلام العقول .

(٤٨ — ٤٩) يشحون يبخلون . اللقح جمع لقحة (بفتح فسكون) وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن . صر الناقة شد ضرعها بالصرار حتى لا يرضعها ولدها . أى انهم لا يصرون إبلهم بخلا بألبانها . الشرب (بفتح فسكون) جماعة الشاربين . النصاحات حبال يجعل لها حلق وتنصب فيصاد بها القرود ، واحدتها نصاحة (بكسر النون) . الربح (بضم ثم فتح) القرد .

(٥٠ – ٥١) مغلوب غلبه السكر . تليل فعيل بمعنى مفعول من تله أى صرعه . خذول الرجل أى خذلته رجله وتخلت عنه فهى لا تطاوعه حين يهم بالسير . شغاميم نساء طوال . لم تلح لم تهزل وتتغير من الحزن ، لاحه الحزن يلوحه لوحاً غيره .

٥٢ — كأنهن تماثيل قد ألبست حللا ، وعريت منها البطون .

٥٣ — تكاد تضيق جلودهن بما اكتنز تحتها من الشحم ، حين يقوم الناحل المهزول فلا يتماسك من شدة الإعياء .

ويختم الأعشى هذه الذكريات بقوله :

٥٤ — ذاك دهر لجيل من الناس قد مضى وفات ، ولهذا الجيل لون آخر من ألوان الحياة .

ثم ينتقل الشاعر من حديث الذكريات ، الذى لا يخلو من الفخر بما استمتع به من الشباب ، ليتحدث عن نفسه فى معرض آخر . فقد كان صاحب لذة ، ولكنه كان مع ذلك مر الخصومة ، مذلا لعدوه . يقول :

٥٥ — ولقد أمنح العدو الذى يعرض عنى طاويا كشحه ، ما يشفيه من داء الكَشَح .

٥٦ — وأرميه بالهجاء الذى لا يقف عند لطمه أو رده عن غلوائه ، ولكنه يقطع عروق عينيه ، فيبقى أثره ظاهرا لا يزول .

٥٧ — هجاء يهلك من يحل به ، كأنه المكواة تنضج لحمه ، وتذكرُه بما اجترم .

٥٨ — فترى الأعداء حولى ينظرون بمؤخر عيونهم ، وقد استكانوا وذلت أعناقهم ، كأنهم الخنافس .

٥٩ — قد ضرب عليهم اللؤم بيته ، وبدت أسنانهم البغيضة وقد علتها الصفرة والصدأ .

٦٠ — فهم سود قصار الهمم ، كأنهم الخُصَى ، انتشر فيها التشقق فتسلخت من عرق الأفخاذ .

٦١ — يضرب صديقهم وجهه جزعا على ما أصابهم ، فلا يبالى أى عينيه أصاب .

(٣٧)

١ — إذا أردت أن تحظى فى أرض (عكل) بجزيل العطاء ، فاعمد ل (ربيعة بن حذار)

٢ — يهب الفرس النجيبة والجواد الفاره بسرجه ، ويهب النوق البيض ، أول عهدها بالحمل ، أو متهيئة للنتاج .

٥٢ — كَالتَّمَاثِيلِ عَلَيْهَا حُلَلٌ ... مَا يُوَارِينَ بُطُونَ ٱلْمُكْتَشِحْ

٥٣ — قَدْ تَفَتَّقْنَ مِنَ ٱلْغُسْنِ إِذَا ... قَامَ ذُو الضُّرِّ هُزَالًا وَرَزَحْ

٥٤ — ذَاكَ دَهْرٌ لِأُنَاسٍ قَدْ مَضَوْا ... وَلِهَذَا النَّاسِ دَهْرٌ قَدْ سَنَحْ

٥٥ — وَلَقَدْ أَمْنَحُ مَنْ عَادَيْتُهُ ... كُلَّ مَا يَحْسِمُ مِنْ دَاءِ ٱلْكَشَحْ

٥٦ — وَقَطَعْتُ نَاظِرَيْهِ ظَاهِرًا ... لَا يَكُونُ مِثْلَ لَطْمٍ وَكَمَحْ

٥٧ — ذَا جُبَارٍ مُنْضِجًا مِيسَمُهُ ... يُذْكِرُ ٱلْجَارِمَ مَا كَانَ ٱجْتَرَحْ

٥٨ — وَتَرَى ٱلْأَعْدَاءَ حَوْلِي شُزَّرًا ... خَاضِعِي ٱلْأَعْنَاقِ أَمْثَالَ ٱلْوَذَحْ

٥٩ — قَدْ بَنَى اللُّؤْمُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ ... وَفَشَا فِيهِمْ مَعَ اللُّؤْمِ ٱلْقَلَحْ

٦٠ — فَهُمُ سُودٌ قِصَارٌ سَعْيُهُمْ ... كَٱلْخُصَى أَشْعَلَ فِيهِنَّ ٱلْمَذَحْ

٦١ — يَضْرِبُ ٱلْأَدْنَى إِلَيْهِمْ وَجْهَهُ ... لَا يُبَالِي أَيَّ عَيْنَيْهِ كَفَحْ

(٣٧)

وَقَالَ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ عُكْل :

١ — وَإِذَا أَرَدْتَ بِأَرْضِ عُكْلٍ نَائِلًا ... فَٱعْمِدْ لِبَيْتِ رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارِ (كامل)

٢ — يَهَبُ النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيبَ بِسَرْجِهِ ... وَٱلْأُدْمَ بَيْنَ لَوَاقِحٍ وَعِشَارِ

(٥٢ — ٥٣) الكشح الخصر . الغسن الشحم . رزح سقط من الهزال . ذو الضر الذى أضربه الهزال .

(٥٤ — ٥٦) سنح ظهر وعرض . الحسم القطع والكى . الكشح (بفتحتين) داء يصيب الكشح يسمونه ذات الجنب ، وربما كوى صاحبه منه . ويقصد هنا الكاشح الذى يطوى كشحه شنه من بغضه وعداوته . الناظران عرقان على حرفى الأنف يسيلان من الوق ، قال الشاعر (وأ كوى الناظرين من الخنان) والخنان (بضم الخاء) داء يأخذ الطير والابل في حلوقها وأنوفها . لطمه ضربه ببسطة كفه على وجهه . كمح الدابة مثل كبحها .

(٥٧ — ٥٨) الجبار (كغراب) الهدر ، ذهب دمه جباراً أى هدراً . والجبار كذلك كل ما أفسد وأهلك . الميسم المكواة . الجارم الآثم . اجترح جنى وارتكب من إثم بتعرضه للشاعر . ذا جبار مفعول ثان لأمنح فى البيت (٥٥) ، بدل من قوله (كل مايحسم) . شزر جمع شازر وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه . الوذح مايتعلق بأصواف الأغنام وخصاها من البعر والبول . والوذح كذلك جمع وذحة وهى الخنفساء .

(٥٩ — ٦١) القلح صفرة الأسنان . أشعل انتشر وعم وتفرق . المذح أن تصطك الفخذان فينسلخ مابينهما ، أو تشقق الخصيتين من عرق الأفخاذ ، وذلك فى الحيوان خاصة . وأكثر مايستعمل فى الضأن . الأدنى إليهم الذى يليهم ويحبهم ويتقرب إليهم ، يلطم وجهه حسرة على ما أصابهم من هجاء الشاعر . كفحه بالعصا ضربه .

(٣٧)

(١ — ٢) عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة إخوة تميم . النجيب من كل شيء سراته وخياره . الادم جمع آدم وهي البيض من النوق والظباء . اللاقحة الحامل ، والعشار التي أتى على حملها عشرة أشهر .

هذه هى القصيدة الثالثة ، فيما كان بين الشاعر وبين أبناء عمومته ، بنى عبدان بن سعد بن قيس بن ثعلبة . أما القصيدتان السابقتان فهما القصيدة (١٤) يعاتبهم بها ، والقصيدة (١٥) يهجو فيها شاعرهم جهنام . وبقى الأعشى فيهم قصيدة واحدة بعد هذه التى بين يدينا ، وهى القصيدة (٧٣) يهجو فيها جهنام ، وهى قصيرة لاتتجاوز ثلاثة عشر بيتاً . والأعشى فى هذه القصيدة أكثر عنفاً منه فى القصيدتين السابقتين . فقد تمادت الخصومة بين البيتين ، بعد أن أغرى بنو عبدان شاعرهم جهنام بهجاء بنى سعد بن ضبيع وشاعرهم (الأعشى) — وكانت أم جهنام أمة ، كما نفهم من هذه القصيدة ومن القصائد الأخرى (١) — فشرى الشر بين الحيين . ولكن عنف الأعشى لايخرجه عن الرفق ، ولاينسيه أن بنى عبدان هم أبناء عمومته الأقربون . فهو يحاول أن يقنعهم بأنهم ظالمون ، مذكراً إياهم بما سبق من أيادى قومه عليهم .

والأعشى فى هذه القصيدة يهجم على غرضه دون تقديم ، صارخاً (ياللقيس !) فهو يستخدم القرابة ، ويستصرخ الجد الذى يجمعه وإياهم فى النسب (قيس بن ثعلبة) . ويحاول فى بقية القصيدة أن يصور لهم بغيهم ، بعد الذى سبق إليهم من نعم قومه .

يقول الأعشى :

١ — ياللقيس لما لقينا من قومنا هذا العام ! أتُبَاحُ أعراضنا لعبد هِجَان ؟ أم عَلَامَ هذا العدوان ؟

٢ — وليس ذلك عن بغض أو عداوة يا (حُذَاف) ، وإنما هو السَّفَهُ والطغيان .

٣ — ما غَشِيناكم يوما بظلم ، ولا فضحنا لكم مستوراً ، ولا استبحنا منكم مُحَرَّما .

٤ — يا بنى المنذر بن عبدان ! أو قد ذهبت شهوة الطعام بأحلامكم ، وطمست بصائركم ،

٥ — حتى أمرتم عبداً مهيناً أن يهجو قوما كراما ، ظلماً وعدوانا ، لغير ذنب جنوه ؟

٦ — وبعثتم (بما فعلتم الشر بين الحيين)

* * *

ويمضى الشاعر فى تعديد نعم قومه على بنى عبدان فيقول :

٨ — أتفعلون بنا ذلك بعد أن أسلفنا لكم من النعم ما إنه لحقيق أن يحنى الرءوس اعترافا بالجميل ، وبعد الذى قدمنا من أياد ظاهرة يعرفها كل الناس .

٩ — أتنسون يوم (حَجْر) وما أسدينا إليكم فيه من عون ، إذ تلتهم النيران الوادى من جانبيه .

١٠ — وقد فاجأكم العدو ، يطارد رجالكم وينكل بهم ، حتى أصبح النخل خاوياً يفضح الذين يجنون منه الثمار .

١١ — فتراه وقد لفحته النيران بين قائم ومُصَرَّع ، أسودَ كالنُوق الهزيلة العِجاف .

١٢ — ثم نصرناكم بعد ذلك يوم (العَيْن) ، وقد لحقكم فيه من العـار ما ينكسف له وجه الشمس ، وضاقت فى وجوهكم الدنيا وأظلم النهار ،

---

(١) راجع البيت (٥) من هذه القصيدة ، البيت ٤٣ من القصيدة ١٥ ، البيتين ٢ ، ٨ من القصيدة ٧٣ . فكلها تدل على أن أم جهنام كانت أمة من إماء بنى عبدان ، فولدت لهم هذا الشاعر . والأعشى يعيره بوضاعة نسبه من جهة أمه .

وَقَالَ يُعَاتِبُ بَنِي عَبْدَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

١ — يَا لَقَيْسٍ لِمَا لَقِينَا ٱلْعَامَا ‍ ‍ ‍ أَلِعَبْدٍ أَعْرَاضُنَا أَمْ عَلَى مَا (خفيف)
٢ — لَيْسَ عَنْ بِغْضَةٍ حُذَافَ وَلٰكِنْ ‍ ‍ ‍ كَانَ جَهْــلًا بِذَلِكُمْ وَعُرَامَا
٣ — لَمْ نَطَأْكُمْ يَوْمًا بِظُلْمٍ وَلَمْ نَهْـ ‍ ‍ ‍ تِكْ حِجَابًا وَلَمْ نُحِــلَّ حَرَامَا
٤ — يَابَنِي ٱلْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدَانَ وَٱلْبِطْـ ‍ ‍ ‍ نَةُ يَوْمًا قَدْ تَأْفِنُ ٱلْأَحْلَامَا
٥ — لِمْ أَمَرْتُمْ عَبْدًا لِيَهْجُوَ قَوْمًا ‍ ‍ ‍ ظَالِمِيهِمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ كِرَامَا
٦ — وَٱبْتَعَثْتُمْ .... ‍ ‍ ‍ ....
٧ — يَوْمَنَا بِالْمَسِيلِ فِي سَيِّدَيْهِمْ ‍ ‍ ‍ حَيْثُ جِئْتُمْ وَآدَ ....
٨ — وَالَّتِي تُلْبِثُ الرُّءُوسَ مِنَ ٱلنَّعْـ ‍ ‍ ‍ مَى وَيَأْبَى إِسْمَاعُهَا ٱلْأَقْوَامَا
٩ — يَوْمَ حَجْرٍ بِمَا أُزِلَّ إِلَيْكُمْ ‍ ‍ ‍ إِذْ تُذَكِّي فِي حَافَتَيْهِ الضِّرَامَا
١٠— جَارَ فِيهِ نَافِي ٱلْعُقَابَ فَأَضْحَى ‍ ‍ ‍ آئِدَ النَّخْلِ يَفْضَحُ ٱلْجُرَّامَا
١١— فَتَرَاهَا كَٱلْخُشْنِ تَسْفَحُهَا النِّيـ ‍ ‍ ‍ رَانُ سُودًا مُصَرَّعًا وَقِيَامَا
١٢— ثُمَّ بِالْعَيْنِ عُرَّةٌ تَكْسِفُ الشَّمْـ ‍ ‍ ‍ سَ وَيَوْمًا مَا يَنْجَلِي إِظْلَامَا
١٣— إِذْ أَتَتْكُمْ شَيْبَانُ فِي شَارِقِ الصُّبْـ ‍ ‍ ‍ حِ بِكَبْشٍ تَرَى لَهُ قُدَّامَا

(١ — ٣) يالقيس ، هو قيس بن ثعلبة ، جد الحيين المتخاصمين ، بنى عبدان بن سعد وبنى سعد بن ضبيعة . العبد مقصود به هنا جهنام خصم الأعشى . حذاف ترخيم حذافة ، وهو جد جهنام . الجهل السفه والاسراع للشر . العرام الشراسة والأذى .

(٤ — ٦) أفن الرجل (كعلم) ضعف رأيه ، وأفنه الله (كضرب) أذهب عقله . البطنة الشره وحب المأكل . وكان بنوعبدان قد اتهموا الأعشى بأنه سطا على عسل لهم فاغتصبه . الأحلام العقول .

(٧ — ٩) الابث البطء والتوقف . تلبث الرءوس أى تخفضها وتحنيها وتذلها اعترافاً بالجميل . أزل إليه نعمة أسداها إليه . حجر فى اليمامة بقرب مدينة اليمامة .

(١٠ — ١٣) (نافى العقاب) كذلك هى فى كل أصول الديوان كما نشره جاير . وتخريجها على هذا الضبط (بفتح الفاء فى نافى) عسير ولكنها قد تكون (نافي) بكسر الفاء ، إسم فاعل من نفى بمعنى طرد . والعقاب الراية ، فيكون المعنى أن هذا الرجل الذي هزم الجيش وطرده (وهو يكنى عن الجيش بالعقاب وهى الراية) قد جار فى هذا اليوم وجاوز القصد فى انتقامه فأحرق نخيل القوم . آئد إسم فاعل من أود (كعلم) أى أعوج . الجرام جمع جارم وهو الذى يجمع ثمار النخيل . العين يقصد به عين التمر ، وهو يوم فطيمة ، وفطيمة امرأة من بنى سعد بن قيس (قوم جهنام) كانت عند رجل من بنى سيار (من شيبان) ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتغايرتا ، فعمدت السيارية إلى فطيمة فحلقت ذوائبها ، فاهتاج الحيان واقتتلا ، فهزمت بنوسيار يومئذ . العرة الجرب ، ويقصد به هنا العار والفضيحة . شارق الصبح وضح الصبح . الكبش سيد القوم . القدام الملك والسيد ومن يتقدم الناس بالشرف .

١٣— إذ أغارت عليكم (شَيْبَان) فى وضح النهار ، يَقْدُمُهم سيد شريف همام .

١٤— فعدونا عليهم مُهْطِعين، إسراعَ الظِماء إلى المـاء .

١٥— برجال كأنهم الأُسْدُ استفزها مطارد ، وخيلٍ تعودت الإقدام .

١٦— لا نقيها حد السيوف ، ولا نألم من جوع ، ولا نبالى ما يصيبنا فى القتال من مشقة وهزال .

١٧— فما هى إلا ساعة من صدر النهار ، بمقدار ما يجمع الراعى أغنامه ، وقد توقع المطر حين دخل الظلام .

١٨— من رجال شبابهم شجعان ، وكهولهم محنكون راجحو الأحلام .

١٩— حتى ولى العدو هارباً ، حيث يَحْسُنُ الصبر والثبات ، نسوقه أمامنا كما تدفع ريح الجنوب سحـابة خفيفة لا يثقلها المـاء .

٭ ٭ ٭

فأذا فرغ الشاعر من تعديد أيادى قومه عليهم ختم ذلك بقوله :

٢٠— إن ذاك الجفاء والكفران شىء قد فطر تم عليه فهو فى طبعكم. إن لنا عليكم لحقوقا ونعما، ولـكنكم لا تشكرون .

٭ ٭ ٭

وينتقل الشاعر من ذلك إلى الفخر بقومه فيقول :

٢١— إذا أجدب الناس فى الشتاء ، وخمدت النيران تحت القدور ، حتى يتشوق الناس إلى دخان الطبخ تشوقهم إلى البخور.

٢٢— سُمِـعَ رنينُ أقداحنا ، تضرَبُ على الإبل الضخام حين يُكْرَه ذبحها .

٢٣— برجال كرام يتيهون على كل سيد مختال ، ويفوقونه فى إطعام الجائع وقت الجدب فى الشتاء .

٢٤— وخيام ضخام كأنها الهضاب ، ورماح حمر من آثار الدماء ، تدفع عن وجوه أصحابها الطِعان .

٢٥— وخيلٍ قد تهيأت للغزو ، حيث يُتَوَقَّعُ هجوم العدو فأذا جاء القتال . وأدركت الغارة الإبل فى مراعيها ،

٢٦— كان منا الذين يدافعون عنها ويحمون أطراف الحى ، حين يشتد النزال، وتكشف العذارى عن الساق والخلخال .

١٤— فَغَدَوْنَا عَلَيْهِمُ بَكَرَ ٱلْوِرْ ... دِ كَمَا تُورِدُ النَّضِيحَ ٱلْهِيَامَا
١٥— بِرِجَالٍ كَٱلْأُسْدِ حَرَّبَهَا الزَّجْـ ... رُ وَخَيْلٍ مَا تُنْكِرُ الْأَقْدَامَا
١٦— لَا نَقِيهَا حَدَّ ٱلسُّيُوفِ وَلَا نَأْ ... لَمُ جُوعًا وَلَا نُبَالِى السُّهَامَا
١٧— سَاعَةً أَكْبَرَ النَّهَارِ كَمَا شَـ ... لَّ مُخِيلٌ لَبُونَهُ إِعْتَامَا
١٨— مِنْ شَبَابٍ تَرَاهُمُ غَيْرَ مِيلٍ ... وَكُهُولًا مَرَاجِحًا أَحْلَامَا
١٩— ثُمَّ وَلَّوْا عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَالصَّبْـ ... رِ كَمَا يَطْحَرُ ٱلْجَنُوبُ ٱلْجَهَامَا
٢٠— ذَاكَ فِى جَبْلِكُمْ لَنَا وَعَلَيْكُمْ ... نِعْمَةٌ لَوْ شَكَرْتُمُ ٱلْأَنْعَامَا
٢١— وَإِذَا مَا الدُّخَانُ شُبِّهَ ٱلْآ ... نُفُ يَوْمًا بِشَتْوَةٍ أَهْضَامَا
٢٢— فَلَقَدْ تُصْلَقُ ٱلْقِدَاحُ عَلَى النِّيـ ... بِ إِذَا كَانَ يَسْرُهُنَّ غَرَامَا
٢٣— بِمَسَامِيحَ فِى الشِّتَاءِ يَخَالُو ... نَ عَلَى كُلِّ فَالِجٍ إِطْعَامَا
٢٤— وَقِبَابٍ مِثْلِ ٱلْهِضَابِ وَخَيْلٍ ... وَصِعَادٍ حُمْرٍ يَقِينَ السِّمَامَا
٢٥— فِى مَحَلٍّ مِنَ الثُّغُورِ غُزَاةٍ ... فَإِذَا خَالَطَ الْغِوَارُ السَّوَامَا
٢٦— كَانَ مِنَّا ٱلْمُطَارِدُونَ عَنِ ٱلْأُخْـ ... رَى إِذَا أَبْدَتِ ٱلْعَذَارَى ٱلْخِدَامَا

(١٤ — ١٥) البكر (بالتحريك) والبكرة (بضم فسكون) واحد وهو أول الصبح ، وهى هنا ظرف زمان . النضيح الحوض ، لأنه ينضح عطش الابل حين تشرب منه . الهيام العطاش ، أى الابل العطاش ، حربها أغضبها . الزجر الطرد مع صوت .

(١٦ — ١٨) السهام (بضم السين) الضمور والهزال . أتانى فلان أكبر النهار (بنصب أكبر على الظرفية) أى حين ارتفع النهار . شل طرد . أخيلت السماء إخيالا تهيأت للمطر ، وأخيل الرجل شام سحابة مخيلة ، وأخيل عليه الشىء اشتبه وأشكل . لبونه إبله ، واللبون ذات اللبن . إعتاماً حين دخلت العتمة ، وهى ثلث الليل الأول . الأميل الذى يميل على السرج ولا يثبت فوقه . مراجحاً أحلاماً أحلاماً تمييز أى أنهم راجحو العقول .

(١٩ — ٢١) الحفيظة الغضب فيما يجب صونه والدفاع عنه . طحره دفعه وقذف به . الجنوب ريح . الجهام السحاب الذي لاماء فيه . جبله الله جبلا خلقه ، وجبله على الشىء فطره وطبعه . آنف جمع أنف . أهضام جمع هضم (بفتح فسكون) وهو البخور .

(٢٢ — ٢٤) الصلق الصوت الشديد ، وصلق نابه حكه بآخر لحدث بينهما صوت . القداح هى قداح الميسر . النيب جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، قيل سميت بذلك لطول نابها . غراماً أى مكروه . أى أنهم يضربون القداح على مثل هذه النوق الكبار حين يكره ذبحها فى الميسر لشدة الجدب فى الشتاء . والعرب تفخر بالميسر فى مثل هذا الوقت لأنه دليل الكرم الحق . مساميح كرماء . يخالون يختالون ويباهون . فلج على خصمه (كنصر) ظهر عليه . قباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . صعاد جمع صعدة (بفتح فسكون) وهى القناة التى تنبت مستقيمة . حمر من أثر الدماء . سمام الانسان فمه ومنخراه وأذناه ، أى أن هذه الرماح تدفع عن أصحابها أن ينالهم الطعن .

(٢٥ — ٢٦) الثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو . الغوار الغارة ، مصدر غاور . السوام الابل الراعية . الخدام جمع خدمة (بثلاث فتحات) وهو الخلخال والساق .

-٣٩-

يتحدث الشاعر فى هذه القصيدة عن ذكريات شبابه ، وعن لهوه ومجونه ، حديث المباهى المفاخر ، حتى يبلغ البيت (٣٧) . ولكنه يختم قصيدته بوصف قصير لرحلة مضنية ، انتهت به إلى (سعد بن قيس) ـ وهو رجل او قبيلة لم أوفق لتحقيقها ـ فيذم هذا الرجل أو هذه القبيلة فى أبيات لا تكاد تربطها ببقية القصيدة صلة . ويمتاز الغزل فى هذه القصيدة ، بنزعة واضحة إلى الأسلوب القصصى ، الذى عرف به عمر بن أبى ربيعة بعد ذلك ، وبرع فيه . وسنرى مثالا آخر لهذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٥٤)

يقول الشاعر :

١ ـــ أوصلت حبل الود من (سلمى) ، بعد أن انقطع لطول الهجر والاجتناب ؟

٢ ـــ ورجعت بعد الشيب ، تبغى ودها ، وتلح فى طلبها ، وقد مضى الشباب ؟

٣ ـــ أَقْصِرْ وآنْتَهِ خيراً لك ، فلقد قاسيت من قبل فى حبها العذاب .

٤ ـــ والزجاجة إذا تحطمت لم تلتئم مرة أخرى ، وإن شُدَّتْ بعِصَاب .

* * *

٦ ـــ وما من شىء إلا هو إلى زوال . وستهلك القرى يوما وتبيد ، من قبل أن يحق عليها العذاب .

٧ ـــ وتصير بعد بهائها وعمارتها إلى الخراب .

٨ ـــ ألم ترى ياصاحبتى إلى (حِجْر) ـ وأنت حكيمة تعقلين ـ وهى رهينة البلى والاكتئاب .

٩ ـــ تمرح الثعالب فى ضحوة النهار لدى أبوابها والشِّعاب .

١٠ ـــ ويُسمع للجن من حولها عزيف كرَطَانَةِ الأحباش فى المحراب .

١١ ـــ وقد مرت من دون ذلك سنون وأحقاب .

٥ ـــ حتى ما يتبين الناظر فيما بقى من الأطلال ، ما ينبىء عن بهائها وروعتها التى توارت بالحجاب ؟

* * *

١٢ ـــ ولقد ساومت الكواعب فغلبتهن ، وأمتعت نفسى بأُفساد الغانيات .

١٣ ـــ أخون غفلة قومها ، إذ يطوفون حول قبابها الشامخات .

١٤ ـــ يحاذرون عليها أن تُرَى ، أو أن يطوف ببابها الغُواة .

وقال :

١ — أَوَصَلْتَ صُرْمَ ٱلْحَبْلِ مِنْ سَلْمَى لِطُولِ جِنَابِهَا (مجزوء الكامل)

٢ — وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبْ غِى وُدَّهَا بِطِلَابِهَا

٣ — أَقْصِرْ فَإِنَّكَ طَالَمَا أُوضِعْتَ فِى إِعْجَابِهَا

٤ — أَوَلَنْ يُلَاحَمَ فِى الزُّجَا جَةِ صَدْعُهَا بِعِصَابِهَا

٥ — أَوَلَنْ تَرَى فِى الزُّبْرِ بَيِّ نَةً بِحُسْنِ كِتَابِهَا

٦ — إِنَّ القُرَى يوْمًا سَتَهْ لِكُ قَبْلَ حَقِّ عَذَابِهَا

٧ — وتَصِيرُ بَعْدَ عِمَارَةٍ يَوْمًا لِأَمْرٍ خَرَابِهَا

٨ — أَوَلَمْ تَرَىْ حِجْرًا - وَأَنْ تِ حَكِيمَةٌ - وَلِمَا بِهَا

٩ — إِنَّ الثَّعَالِبَ بِالضُّحَى يَلْعَبْنَ فِى مِحْرَابِهَا

١٠ — وَٱلْجِنُّ تَعْزِفُ حَوْلَهَا كَٱلْحُبْشِ فِى مِحْرَابِهَا

١١ — نَخَلَا لِذَلِكَ مَا خَلَا مِنْ وَقْتِهَا وَحِسَابِهَا

١٢ — وَلَقَدْ غَبَنْتُ ٱلْكَاعِبَا تِ أَحَظُّ مِنْ تَخْبَابِهَا

١٣ — وَأَخُونُ غَفْلَةَ قَوْمِهَا يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا

١٤ — حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا

(١ — ٣) صرمه صرما وصرماً (بفتح الصاد وضمها) قطعه . جانبه جنابا ومجانبة . طلاب مصدر طالب . أقصر عن الأمر كف وانتهى . أوضعت الأبل (على البناء للمعلوم) أسرعت فى سيرها . وأوضع فى تجارته (على البناء للمجهول) خسر فيها ولم يربح . أوضع (على البناء للمعلوم أسرع) . الإعجاب (بالكسر) مصدر من أعجب بالشيء . ويجوز أن تكون أعجابها (بفتح الهمزة) جمع عجب ، وهو الروعة التى تعترى الناظر إذا استحسن شيئا واستعظمه .

(٤ — ٦) العصب والعصاب شد الشيء وضمه . الصدع الشق والكسر . الزبر جمع زبور (بفتح الزاى) وهو الكتاب ، وهو فعول بمعنى مفعول ، من زبر الكتاب (كضرب ونصر) كتبه . وموضع هذا البيت (٥) أن يجيء بعد البيت (٧) أو (١١) . الحق الأمر المقضى . وحق الأمر وجب وثبت .

(٧ — ٩) الحجر (بكسر الحاء) مساكن ثمود فى الشام إلى الجنوب من دومة الجندل . والحجر (بفتح الحاء) من منازل بنى حنيفة (ابن بكر بن وائل) فى اليمامة . لما بها من الخراب . تقول هو لما به إذا كان هالكا .

(١٠ — ١٤) عزفت الجن صوتت وصاحت فى الصحارى . المحراب مجلس الناس ومجتمعهم . غبنه فى البيع والشراء خدعه وغلبه . حظ (كعلم) كان ذا حظ . تخبابها من خب المرأة والامة إذا أفسدها على صاحبها . القبة الخيمة الضخمة .

١٥ — فبعثت رسولا لنا شيطانا ، ليأتينا منها بالجواب .

١٦ — فمشى إليها لا يخشى الرقباء ، حتى تخلص إليها غيرَ هيَّاب .

١٧ — فنازعها الحديث مُخَافِتا ، فلما لَوَتْهُ أقام عليها الحجة رَجُلٌ غَلاَّب .

١٨ — حديدُ اللسان ، حاذق فطن ، لا تعييه الحيلة ولا يعدم الأسباب .

١٩ — رقيق بالنساء ، خبير بلين حديثهن ، حتى أسلست له القياد .

٢٠ — وقالت : قد قلت حقا ، ولم تتجاوز الرشاد والسداد

٢١ — فراودها ، كيف السبيل إلى دخول الحى ، وكيف آتيها فى الميعاد .

٢٢ — فى قبتها الحمراء ، التى تزين سقفها طُرَّةٌ وضاءة غراء .

٢٣ — ولم ينس ماقال له صاحبه ، حين بعثه إلى صاحبته الحسناء .

٢٤ — وأوصاه أن يرفق بها ولا يعنف عليها ، فهى صغيرة قليلة التجربة والدهاء .

٢٥ — وليس يُتَوَسَّل إلى مثلها بالعنف ولا بالجفاء .

٢٦ — ....

٢٧ — فأنا أخشى أن تغضبها ، فينعق الغراب بيننا بانقضاء الود والصفاء .

* * *

٢٨ — ودخلت إليها وقد نام الرقباء ، فبت إلى جانبها لا يفصلنا حجاب

٢٩ — حتى إذا أَنِسَتْ إلى ، بعد طول المعابثة واللّعاب .

١٥— فَبَعَثتُ جِنِّيًّا لَنَا يأْتِى بِرَجْعِ حَدِيثِهَا
١٦— فَمَشَى وَلَمْ يَخْشَ ٱلْأَنِيسَ فَزَارَهَا وَخَلاَ بِهَا
١٧— فَتَنَازَعَا سِرَّ ٱلْحَدِيثِ فَأَنْكَرَتْ فَنَزَا بِهَا
١٨— عَضْبُ اللِّسَانِ مُتَقِّنٌ فَطِنٌ لِمَا يُعْنَى بِهَا
١٩— صَنَعٌ بِلِينِ حَدِيثِهَا فَدَنَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا
٢٠— قَالَتْ قَضَيْتَ قَضِيَّةً عَدْلًا لَنَا يُرْضَى بِهَا
٢١— فَأَرَادَهَا كَيْفَ الدُّخُولُ وَكَيْفَ مَا يُؤْتَى لَهَا
٢٢— فِى قُبَّةٍ حَمْرَاءَ زَيَّنَهَا ٱئْتِلَاقُ طِبَابِهَا
٢٣— وَدَنَا تَسَمُّعُهُ إِلَى مَا قَالَ إِذْ أَوْصَى بِهَا
٢٤— إِنَّ ٱلْفَتَاةَ صَغِيرَةٌ غِرٌّ فَلَا يُسْدَى بِهَا
٢٥— وَٱعْلَمْ بِأَنِّى لَمْ أَكَلِّمْ مِثْلَهَا بِصِعَابِهَا
٢٦— فِيهِنَّ ....
٢٧— إِنِّى أَخَافُ الصُّرْمَ مِنْهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا
٢٨— فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِيبُ فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا
٢٩— حَتَّى إِذَا مَا ٱسْتَرْسَلَتْ مِنْ شِدَّةٍ لِلِعَابِهَا

(١٥ — ١٦) جنيا يقصد رسولا حاذقا ذكيا . ما بالدار من أنيس أى ليس بها أحد ، والأنيس كل مأنوس به .

(١٧ — ١٩) تنازعا سر الحديث ، أي أنه كان يناقشها فى صوت مخفوض حتى لا يسمعهما أحد . نزا وثب ، أى أنه حاجها فغلبها . عضب اللسان فاعل نزا ، يقصد صاحبه ، والعضب الحاد القاطع ، أى أنه رجل حديد اللسان . متقن يتقن التأتى لما يريد . صنع رفيق .

(٢٠ — ٢٢) كيف ما يؤتى ، ما مصدرية أي كيف السبيل الى المجيء إليها . طبابة السماء وطبابها طرتها المستطيلة .

(٢٣ — ٢٥) إلى ما قال ، الضمير فى قال يعود على الأعشى نفسه ، يقول إن هذا الرسول قد استمع إلى وصيته حين أوصاه بصاحبته . يسدى بها من قولهم . سدى الصبي بالجوز (كنصر) وأسدي به كذلك ، أى لعب به . صعابها ، مصدر صاعبه أى كده وأجهده ، ضد ساهله .

(٢٦ — ٢٩) الصرم القطيعة . الشحيج نعيق الغراب . بت قضيت ليلتى . دون ثيابها أى قريبا منها . ودون تكون بمعنى أمام وخلف وفوق وتحت ، وهي ظرف يفيد القرب على كل حال . استرسل إليه انبسط اليه واستأنس . لعاب مصدر لاعب .

٣٠ — قسَّمتها قسمين ، أرْمي بها كلَّ وجه ، وأصرِّفها كيفما أشاء .

٣١ — فأثنى جيدها الفتان ، أو أَلمس بطنها الملساء .

٣٢ — وكأنها وعاء طِيبٍ أصفر، لصق به عَبِيرٌ خالطه (المَلاَب) .

٣٣ — وقد وُضِع بيننا إناء الخمر ، مرفوعا قد أُعِدَّ للشراب .

٣٤ — وظلت تجرى بيننا الخمر يسعى علينا الساقى بالأكواب ، وقد شد على فمه خرقة بيضاء

٣٥ — وعلق فى أذنيه لؤلؤتين ، يسير فى خفة ونشاط ، ويعدو بالكأس مسرعا يلبى النداء

٣٦ — ....

٣٧ — ....

٣٨ — رب صحراء مجدبة شهباء ، قد جُلِّلت آكامها بالسراب .

٣٩ — ركدت فوقها الشمس طوال النهار ، تصب عليها لهيبها الوهاج .

٤٠ — حتى احتدم فيها الحر ، فالجمر الملتهب مثل ترابها حين تلتهب الرمال .

٤١ — خُضْتُها بناقة صلبة ، مأمونة العِثار، حين تسرع باديةَ النشاط .

٤٢ — فلم أزل أدمن بها السير حتى عراها الكلال ، وبدت فِقار ظهرها من شدة الهزال .

٣٠ــ قَسَّمْتَهَا قِسْمَيْنِ كُــلَّ مُوَجَّهٍ يُرْمَى بِهَــا

٣١ــ فَثَنَيْتُ جِيــدَ غَرِيرَةٍ وَلَمَسْتُ بَطْنَ حِقَابِهَا

٣٢ــ كَالْحُقَّةِ الصَّفْرَاءِ صَا كَ عَبِيرُهَا بِمَلَابِهَــا

٣٣ــ وَإِذَا لَنَا تَامُورَةٌ مَرْفُوعَةٌ لِشَرَابِهَــا

٣٤ــ وَنَظَلُّ تَجْــرِى بَيْنَنَا وَمُفَدَّمٌ يَسْقِى بِهَا

٣٥ــ هَزِجٌ عَلَيْهِ التَّوْمَتَا نِ إِذَا نَشَاءُ عَدَا بِهَا

٣٦ــ .... أَكْوَابِهَا

٣٧ــ .... حَوْلٍ كَامِلٍ وَقْتًا لِحِينِ إِيَابِهَــا

٣٨ــ وَوَدِيقَةٍ شَهْبَاءَ رُدِّ يَ أُكْمُهَــا بِسَرَابِهَــا

٣٩ــ رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَــا شَمْسٌ بِحَرِّ شِهَابِهَا

٤٠ــ حَتَّى إِذَا مَا أُوقِدَتْ فَالْجَمْرُ مِثْلُ تُرَابِهَا

٤١ــ كَلَّفْتُ عَانِسَــةً أَمُو نًا فِى نَشَاطِ هِبَابِهَــا

(٣٠ — ٣١) موجه مصدر ميمى من وجه ، أى أنه يرمى بها كل وجه ويصرفها كيفما أراد . الغريرة الساذجة القليلة التجربة . الحقاب شىء تتخذه المرأة لتعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، وقد يقصد به هنا سراويلها .

(٣٢ — ٣٣) الحقة وعاء الطيب ، وهى صفراء من أثر الطيب ، وهو يصور بشرة صاحبته صفراء لكثرة اتضمخ به من طيب وزعفران . صاك لصق ، ويقصد به هنا اختلاط العبير بالملاب . والعبير أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر والدهن ونحو ذلك مما يتعطر به . والملاب كل عطر سائل (فارسى معرب) . التامورة صومعة الراهب (فارسى ـ الجوالق) وفى شرح الطبعة الأوروبية. التامورة وعاء لشرابها ، ولم أجده فى المعاجم . مرفوعة أى رفيعة أو مقربة مهيأة .

(٣٤ — ٣٦) نظل تجرى أى الخمر ؛ الضمير يعود عليها لأنها مفهومة مما قبلها وما بعدها . المفدم الذي وضع على فمه الفدام ؛ وهى خرقة تشدها العجم والمجوس على أفواهها عند السقى . هزج (كطرب) ترنم وأنشد وطرب فى صوته . والهزج كذلك الخفة وسرعة رفع القوائم ووضعها ، وهو المقصود هنا . التومة (بضم التاء) حبة من فضة شبه الدرة توضع فى الأذن كالقرط .

(٣٧ — ٣٨) الوديقة شدة الحر فى الهاجرة ، والمقصود هنا الصحراء الملتهبة فى وقت الهاجرة . شهباء مجدبة لا نبات فيها ، والشهبة بياض خالطه سواد خفيف ، وسميت السنة المجدبة شهباء لأن النبات يجف فيها ويشهب . أكم جمع أكمة (بالتحريك) وهى التل والرابية رديت هذه التلال بالسراب كأنها ألبسته وجللت به .

(٣٩ — ٤١) ركدت الشمس سكنت وثبتت فوق الرءوس حين يقوم قائم الظهيرة . الشهاب شعلة من نار ساطعة . الجمر مثل ترابها تشبيه مقلوب ، وهو يقصد به المبالغة ، والحقيقة أن ترابها مثل الجمر . عانسة ناقة صلبة . أمون يؤمن عثارها . هبابها نشاطها .

٤٣ — تشكو إلى ما أصابها من ضر وإعياء .

٤٤ — وكأنها محموم أصابته حمّى (خيبر) ، ثم أفاق من البلاء .

٤٥ — بعد أن لعبت به سنين ونهكت قواه ، فهو بادى الإعياء .

* * *

٤٦ — وردت ناقتى على (سعد بن قيس) ، بها ما بها من الضر والهزال .

٤٧ — فأذا عبيد مقيمون لا يبرحون ، مستمسكون بالأصنام .

٤٨ — وقد تجمعت (ثعلبة بن سعد) كلها حول الخيام .

٤٩ — فعجبت ...

٥٠ — من شربها الخمر ، وما دخل جوفى شىء مما يشربون

٥١ — وعلمت عند ذاك أن الله قد أراد بهم الهلاك ، وجعلهم مُثْلَةً للناس .

٤٢ — أَكْلَلْتُهَا بَعْدَ ٱلْمِرَا حِ قَالَ مِنْ أَصْلَابِهَا
٤٣ — فَشَكَتْ إِلَيَّ كَلَالَهَا وَٱلْجَهْدَ مِنْ أَتْعَابِهَا
٤٤ — وَكَأَنَّهَا مَحْمُومُ خَيْـ ـبَرَ بَلَّ مِنْ أَوْصَابِهَا
٤٥ — لَعِبَتْ بِهِ ٱلْحُمَّى سِنِيـ ـنَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا
٤٦ — وَرَدَتْ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْـ ـسٍ نَاقَتِي وَلِمَا بِهَا
٤٧ — فَإِذَا عَبِيدٌ عُكَّفٌ مُسُكٌ عَلَى أَنْصَابِهَا
٤٨ — وَجَمِيعُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْـ ـدٍ بَعْدُ حَوْلَ قِبَابِهَا
٤٩ — فَعَجِبْتُ ....
٥٠ — مِنْ شُرْبِهَا ٱلْمُزَّاءَ مَا ٱسْـ ـتَبْطَنْتُ مِنْ إِشْرَابِهَا
٥١ — وَعَلِمْتُ أَنَّ ٱللهَ عَمْـ ـدًا حَسَّهَا وَأَرَى بِهَا

(٤٠ — ٤٤) أكللتها أتعبتها . المراح النشاط . آل تقس رضمر . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم فى الظهر ذو فقار من لدن الكاهل إلى الذنب (وهو ما نسميه الآن السلسلة الفقرية) . خيبر مدينة كبيرة من مدن الحجاز على ثمانية برد من المدينة إلى الشام ، رديئة الهواء ، كثيرة الوباء ، تنتشر فيها الحمى . بل من مرضه وأبل واستبل أفاق . أوصاب جمع وصب (بالتحريك) وهو الوجع والتعب .

(٤٦ — ٤٨) لما بها من التعب المضنى ، تقول هو لما به إذا كان هالكا . عكف جمع عاكف وهو المقيم والمحبوس . مسك به (كنصر وضرب) أخذ به وتعلق واحتبس واعتصم . الأنصاب جمع نصب (بضم فسكون) وهو كل ما عبد من دون الله . القباب جمع قبة وهى الخيمة الكبيرة . ثعلبة بن سعد قبيلة ، لعلها من ذبيان .

(٥٠ — ٥١) المزاء الخمر . الاشراب (بكسر الهمزة) مصدر أشربه أى جعله يشرب . وأشرب الرجل عطش (ضد) . وأشرب بفلان كذب عليه . وقد تكون الأشراب (بفتح الهمزة) جمع شرب (بكسر فسكون) وهو الماء المشروب والمورد ووقت الشرب . والمعنى الاجمالى للبيت غير واضح لى على التحقيق . حسها أهانها واستأصلها أرى بها أي جعل الناس يرون بها ذلك .

—٤٠—

يتصل خبر هذه القصيدة بالقصيدتين السابقتين (٢٦) و (٣٤) . وقد مضى الكلام في الأولى عن رحلة قيس بن مسعود إلى كسرى . وفصلنا في الثانية الحديث عن ذى قار . وبقى للأعشى فى ديوانه غير هذه القصائدالثلاث قصيدة أخرى هى (٥٦).

والأعشى يخص بنى ذهل بن شيبان فى هذه القصيدة بمدحه وثنائه — وكانوا من أحسن الناس بلاء فى هذا اليوم — فيقول:

---

١ — تفدى ناقتى وصاحبُها بنى ذهل بن شيبان يوم النزال ، وأعلى الله ذكرهم من رجال .

٢ — فلقد ضربوا مقدمة (الهامَرْز) فى (حِنْوِ قُرَاقِرِ) ، حتى تولت فى شرّ حال .

٣ — ألا سلمت عينا من رأى هذه العصابة من الأبطال ، يردون كيد البغاة ويذيقونهم النكال .

٤ — فهم أشد نكاية فى القتال من هؤلاء الذين أتوهم من (البطحاء) ، يبرق فوق رءوسهم الحديد ، وتخفق فوقهم الرايات الطوال .

٥ — واختلط أمر الناس ، واضطربوا فى ثورتهم الهائجة ، يجول بينهم الموت، وتلفحهم الغمرات والأهوال.

٦ — وقد جد الجد ، واحتدم القتال ، كالحاً مريراً ، يصرع الرجال ، ويُلْوِى بالآجال .

٧ — عند ذلك أغنت بنو شيبان وكفوا قومهم ، وقد أقبل (الهامرز) تخفق فوقه رايته ؛ كأنها عقاب كاسر هوى متعلقاً فى الفضاء .

٨ — وقاموا من دون الحِمَى يقاتلون ويمنعون النساء ، وقد حللنا هوادجهن وقطعنا سيورها ، فنزلن إلى الأرض لايستطعن الفرار .

وقال يمدح بنى شَيْبَان بن ثَعْلبة فى يوم ذى قار :

١ — فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ (طويل)
٢ — هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ
٣ — فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ أَشَدَّ عَلَى أَيْدِى السُّعَاةِ مِنَ الَّتِي
٤ — أَتَتْهُمْ مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا وَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُهَا فَاسْتَقَلَّتِ
٥ — فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ
٦ — وَقَدْ شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَمْطَاءُ لَاقِحٌ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا فَأَضَلَّتِ
٧ — كَفَوْا إِذْ أَتَى الْهَامَرْزُ تَخْفِقُ فَوْقَهُ كَظِلِّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ
٨ — وَأَحْمَوْا حِمًى مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وُقُوفًا فَحَلَّتِ
٩ — أَذَاقُوهُمُو كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَدَلَّتِ

(١ — ٢) راكبها يعنى نفسه . يوم اللقاء لقاء الأعداء فى القتال . قلت من قل الشىء (لازم) أى علا ، وقل النبات أناف وارتفع . والضمير فى قلت يعود على ذهل بن شيبان . يفديهم بناقته وبنفسه يوم القتال لما أبلوا من بلاء ، ويدعو لهم بالعلا . الحنو فى اللغة كل شىء فيه اعوجاج ، وكل منعرج فهو حنو . وحنو قراقر وحنو ذى قار، والبطحاء ،كلها مواضع قرب الكوفة حيث جرت المعركة المشهورة بين الفرس وبكر بن وائل . الهامرز أحد قادة كسرى فى هذا اليوم . وكانت شيبان على ميمنة بكر بازاء كتيبة الهامرز . مقدمة الجيش (بفتح الدال وكسرها) طائفة متقدمة منه .

(٣ — ٤) العصابة هم بنو ذهل بن شيبان ومن حرف جر زائد . يتعجب ممن رأت عيناه هذه العصابة وهم يقاتلون . أشد صفة لعصابة . السعاة الذين يسعون للحرب ويهيجونها ، وهم الفرس . وروى (السقاة) أى الذين يتساقون الموت بينهم . وروى كذلك (أشد إذا خام الكماة) خام أى جبن . الكماة الفرسان المغطون بالسلاح . من التى تضمين وهو قبيح ، والتضمين بالموصول من أقبح الأشياء ، لأنه يفصل بين الصلة والموصول وهما كالشىء الواحد . وصلة الموصول (أتتهم) فى البيت التالى . أى أنهم أشد فى القتال من الكتيبة التى أتتهم من البطحاء ، وهم الفرس . والبطحاء كما تقدم قرب ذى قار . البيض جمع بيضة ، وهى غطاء للرأس يلبسه المقاتل ليقيه ، وكذلك المغفر . استقلت علت وارتفعت .

(٥ — ٦) الغمرة الشدة والزحام . هاجت ثارت وانبعثت . تجلت تكشفت وظهرت . شمر خف للأمر وجد ونشط . شمطاء عجوز، والأشمط هو الذى خالط بياض رأسه سواد ، يصف الحرب بذلك . لاقح شديدة عظيمة ، وهو على تشبيه الحرب بالأنثى الحامل التى لا يدرى ما تلد . عوان قوتل فيها مرة بعد مرة فهى حرب طويلة مريرة . والعوان فى الأصل التي ولدت للمرة الثانية بعد بطنها الاولى . همزه (كضربه) ضغطه وصرعه وعصره . أضله دفنه وغيبه وأهلكه .

(٧ — ٩) كظل العقاب صفة لموصوف محذوف أى رايه كظل العقاب . وظل كل شىء شخصه وسواده . والعقاب طائر من الجوارح ، وهو سيد الطيور عند العرب ، ويسمونه الكاسر . هوت العقاب انقضت على فريستها . تدلت تعلقت ونزلت . الحمى ما حمى من أرض أو شىء فكان محرما لا يقربه أحد . أحمى الحمى منعه وحماه . ما هنا موصولة ، مفعول أحموا ، أي أنهم منعوا ما يمنعون من حمى . ظعن (ككتب) جمع ظعينة وهى الهودج فيه امرأة أو المرأة نفسها . يشير الشاعر بهذا إلى ما فعل حنظلة ابن ثعلبة حين قطع الوضن (جمع وضين ، وهو الحزام الذى يربط الرحل ببطن البعير) حتى لا تهرب النساء فينهزم الرجال . حلت أى نزلت ، لأن النساء نزلت من الهوادج بعد تقطيع الوضن . بذخ (كعلم) تكبر وعلا . أدل تاه وترفع .

٩ — سقوهم كأس الموت المرير ، وقد أقبلوا يتيهون فى عُجْبٍ وإدلال .

١٠ — تبرق عليهم الدروع ، سابغة تغطى سائر الجسد ، خفيفة لا تعوق الحركة ، وتلمع فوق رءوسهم الخوذات كأنها النجوم .

١١ — وأقفرت حومة الوغى من كل شيء ، إلا من الدروع الفضفاضة ، مبعثرة هنا وهناك ، وقد هبط فريق منهم إلى السهول متشبثاً بالقتال .

١٢ — ففاجأهم جنودنا صباحاً فى (حِنْوِ قُرَاقِرِ) و (ذى قار) ، فحطموا جموعهم ، ونالوا منهم كل منال .

١٣ — ينقضون عليهم بأفراسهم القوية المحبوكة الظهور ، وكأنها عقبان تهوى من فوق برج عال .

١٤ — وتفتحت أبواب السماء بالموت ، ينهمر على (الهامَرْز) وسط بيوتهم ليذوق الوبال .

١٥ — عند ذلك كف الفرس عن غُلَوائهم ، وردهم إلى صوابهم مالقوا من ثبات فوارس (شَيْبان) ، وصبرهم على مكاره الحرب والنزال .

١٦ — وفاتهم (قيس بن مسعود) فلم يدركوه ، فرجوت أن ينجو ، على ما ارتكب من خطاء ، وماتردى من عار .

١٧ — وعدنا بنسائهم ، نسوقهن أمامنا ، ونقتسمهن بيننا ، يعشن فى ذل السبى راغمات .

١٨ — لعمرك ما يُضْنِي الفتى شيءٌ كالهَمِّ الثقيل حين تنطوى الصدور على الأمر الجليل .

١٠ — سَوَابِغُهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ ... مِنَ ٱلْبَيْضِ أَمْثَالُ النُّجُومِ ٱسْتَقَلَّتِ
١١ — وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَاتُ رَيْعٍ مُفَاضَةٌ ... وَأَسْهَلَ مِنْهُمْ عُصْبَةٌ فَأَطَلَّتِ
١٢ — فَصَبَّحَهُمْ بِٱلْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... وَذِي قَارِهَا مِنْهَا ٱلْجُنُودُ فَفُلَّتِ
١٣ — عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ ... عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتِ
١٤ — فَجَادَتْ عَلَى ٱلْهَامَرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِمْ ... شَآبِيبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ وَٱسْتَهَلَّتِ
١٥ — تَنَاهَتْ بَنُو ٱلْأَحْرَارِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ ... فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلْبٌ فَوَلَّتِ
١٦ — وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقُلْتُ لَعَلَّهُ ... يَبِلُّ لَئِنْ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ
١٧ — فَمَا بَرِحُوا حَتَّى ٱسْتُحِثَّتْ نِسَاؤُهُمْ ... وَأَجْرَوْا عَلَيْهَا بِالسِّهَامِ فَذَلَّتِ
١٨ — لَعَمْرُكَ مَا شَفَّ ٱلْفَتَى مِثْلُ هَمِّهِ ... إِذَا حَاجَةٌ بَيْنَ ٱلْحَيَازِيمِ جَلَّتِ

---

١٠ — سوابغهم دروعهم السابغة أى التى تغطى سائر الجسد . خفاف لا تثقل لابسيها فتعوقهم عن الحركة فى القتال . يصف استعدادهم الكامل للقتال ، ليقول بعد ذلك إنهم قد هزموهم وهم فى كامل عدتهم . استقلت ارتفعت ، يشبه البيض فى بريقه فوق رءوسهم بالنجوم فى السماء .

(١١ — ١٢) الريع من الدرع فضول كمها وذيلها ، مفاضة واسعة . أسهلوا نزلوا إلى السهل . أطلت (على البناء للمعلوم) من قولهم أطل عليه بالأذى إذا لم يزل له مؤذيا . فان بنيت للمفعول فهى من أطل (على البناء للمجهول) أى أهدر دمه وذهب فلم يثأر له . ذى قارها ، الضمير يعود على (حنو قراقر) ، وهو ضعيف على كل حال لم يقصد به إلا إقامة الوزن . منها أى من الحنو وهو المنعرج والمنحنى فى الطريق . فلت هزمت وشردت . وأصله من تفلل السيف وهو تثلمه وتكسر حده . يشير الشاعر إلى ما روى الرواة من أن جيوش الفرس فرت إلى السواد فتبعتهم بكر تقتلهم ، فلم ينج منهم إلا القليل .

(١٣ — ١٤) السراة الظهر والوسط . فرس محبوك السراة أى محكم الخلق شديد وثيق . المرقب الموضع المرتفع الذى يشرف من فوقه الرقيب . (على كل محبوك السراة) حال من الجنود فى البيت السابق . يشبه الفرس فى اندفاعه فى القتال بالعقاب حين تنقض على فريستها من مرقبها . جادت السماء مطرت . شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . أسبل المطر هطل . استهل وانهل اشتد انصبابه مع صوت .

(١٥ — ١٦) تناهى عن الشىء كف . وتناهى القوم عن المنكر نهى بعضهم بعضا . بنو الأحرار هم الفرس . غلب جمع أغلب ، وهو الغليظ العنق ، يكنى به هنا عن القوة ومتانة بنيان الجسم ، وفعله غلب (كعلم) . قيس هو قيس بن مسعود . بل فى الأرض (كضرب) ذهب . وبل من مرضه وأبل أفاق . (إن كانت به النعل زلت) أى إن كان أخطأ بمسيره مع جيوش كسرى . والظاهر أن كسرى تشكك فى أمره فطلبه فهرب منه (راجع القصيدة نمرة ٢٦)

(١٧ — ١٨) استحثت نساؤهم سيقوا أمام القوم وقد أخذن سبايا ، يدفعن طلبا للاسراع . أجروا عليها بالسهام ، اقترعوا عليهن فيخرج لكل مقاتل سهمه أى نصيبه من السبايا . شفه الحزن أضناه . الحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر أو موضع الحزام . جلت عظمت . الهم ماهم به الرجل من شىء ، وأعمل فكره فى إنفاذه . وشبيه بهذا البيت قول المتنبى .

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهى النفس وجده

(٤١)

يستشهدون بهذه الأبيات على أن الطلاق كان معروفا فى الجاهلية . وقد روى صاحب الأغانى هذه الأبيات فى أخبار الأعشى ، وذكر فيها ضروبا من الألحان لكثير من المغنين المشهورين ، كإسحق ، وابن جامع ، وفليح ، وابن سريج ؛ وقال إنها كانت تغنى فى أيامه مع شىء من التبديل . وروى أن الأعشى قالها فى امرأة له من عنزة ، تزوجها ، ثم لم يرضها ولم يستحسن خلقها ، فطلقها . وأضاف بعض الرواة إلى ذلك ، أنه كان يدخل عليها بعد أن ذهب بصره ، فيجد رجلا غريبا . فاذا سألها عنه زعمت أنه بعض أهلها . فرابه ذلك من أمرها فطلقها .

يقول الأعشى :

١ — اذهبى ياصاحبتى ، فأنت طالق . وكذلك تعرض للناس فى حياتهم شئون ، وتجد أمور ، فى الليل أو فى النهـار .

٢ — فارقينى ، فالفراق خير لك من العصا ، وإن لاتفعلى ، لم تزل العصا فوق رأسك تُضْرَ بين .

٣ — وليس ذلك من جرم عظيم ارتكبته ، أو خطب فادح اقترفته .

٤ — اذهبى عفيفةً طاهرة غير ذميمة ، بل محبوبة — كذلك — كما كنت تحبيننى .

٥ — وذوقى غيرى من الفتيان ، فأنى ذائق غيرك من النساء .

٦ — فقد كان لك عنى مندوحة ، فى شبان قومك ، وفى فتيانهم الطوال البيض الوجوه .

(٤٢)

مدح الأعشى بنى الحارث بن كعب (سادة نجران) ، أو أشار إليهم ، فى موضعين آخرين من الديوان ، وهما القصيدتان (٢٣) ، (٣٢) . وقد مضت ترجمتهم فى القصيدة (٢٣) . والأعشى يشير فى البيت الرابع من هذه القطعة إلى احتمال إغارة الدولة الرومانية على نجران ، ويقول لبنى الحارث : إنكم أكفاء لقتالهم ، فأنتم رجال حرب .

يقول الأعشى :

١ — ياسيدى نجران . ما أنا فى حاجة إلى أن أوصيكما بنجران ، فيما ينوبها من محن ، ومايعتريكما من خطوب .

٢ — فان تفعلا الخير وترتدياه ، فأنتم أهل لذلك ، وأنتم به جديرون .

٣ — وإن تدفعا عن (نجران) وتكفياها فادح النوائب والأحداث ، فقد سادها أبواكما من قبل .

٤ — وإن اجتمعت عليكم جموع الروم من (صِهْيون) ، فأنتم أكفاء لكل حرب مدمرة طَحُون .

(٤١)

وقال لامرأته الهزّانيّة حين طلقها :

١ — يَا جَارَتِي بِينِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ ‏ ‏ كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهْ ‏ ‏ (طويل)
٢ — وَبِينِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا ‏ ‏ وَإِلَّا تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَهْ
٣ — وَمَا ذَاكَ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتِهِ ‏ ‏ وَلَا أَنْ تَكُونِي جِئْتِ فِينَا بِبَائِقَهْ
٤ — وَبِينِي حَصَانَ الْفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ ‏ ‏ وَمَوْمُوقَةً فِينَا كَذَاكَ وَوَامِقَهْ
٥ — وَذُوقِي فَتَى قَوْمٍ فَإِنِّيَ ذَائِقٌ ‏ ‏ فَتَاةَ أُنَاسٍ مِثْلَ مَا أَنْتِ ذَائِقَهْ
٦ — فَقَدْ كَانَ فِي شُبَّانِ قَوْمِكِ مَنْكَحٌ ‏ ‏ وَفِتْيَانِ هِزَّانَ الطِّوَالِ الْغَرَانِقَهْ

(٤٢)

وقال يمدح يزيد وعبد المسيح الحارثيّيْن :

١ — أَيَاسَيِّدَيْ نَجْرَانَ لَا أُوصِيَنْكُمَا ‏ ‏ بِنَجْرَانَ فِيمَا نَابَهَا وَاعْتَرَاكُمَا ‏ ‏ (طويل)
٢ — فَإِنْ تَفْعَلَا خَيْرًا وَتَرْتَدِيَا بِهِ ‏ ‏ فَإِنَّكُمَا أَهْلٌ لِذَاكَ كِلَاكُمَا
٣ — وَإِنْ تَكْفِيَا نَجْرَانَ أَمْرَ عَظِيمَةٍ ‏ ‏ فَقَبْلَكُمَا مَا سَادَهَا أَبَوَاكُمَا
٤ — وَإِنْ أَجْلَبَتْ صِهْيَوْنُ يَوْمًا عَلَيْكُمَا ‏ ‏ فَإِنَّ رَحَى الْحَرْبِ الدَّكُوكِ رَحَاكُمَا

(١ — ٢) الجارة هنا زوجته . بيني أي فارق . غاد وطارقة ، ذكر (غاد) على إرادة الجمع ، وأنث (طارقة) على إرادة الجماعة . الغادي الذي يأتي غدوة في الصباح ، والطارق الذي يطرق أي يأتي ليلا. وإلا ، اي وإن لا تفارق . وروى (وألا بفتح الهمزة) على تقدير : الفراق خير من العصا ومن أن تظل العصا لا محة فوق رأسك . بارقة خبر لا تزال . وبرق الشيء (كنصر) لمع وتلألأ .

(٣ — ٦) البائقة المصيبة . حصان الفرج عفيفة غير متهمة في عرضك . مموقة محبوبة . وامقة محبة . منكح مصدر ميمي من نكح المرأة أي تزوجها . غرانقة جمع غرنوق (بضم الغين) وهو الشاب الأبيض الجميل.

(٤٢)

(١ — ٤) صهيون معناها الجبل المشمس أو الجاف . وقد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم . ولكنه ينحصر غالبا في الجبل الجنوبي الغربي من المدينة ... وكانت صهيون في سابق العصور أشرف قسم في أورشليم ، وفيها بيوت الأكابر . وكان في زاويتها الشمالية الغربية القصر البهيج ، الذي بناه (هيرودس)، والذي سمى بعد ذلك (دار الولاية) ، لأن الوالي الروماني كان يسكنها (قاموس الكتاب المقدس) .
دك الحائط دقه وهدمه حتى سواه بالأرض . والحرب الدكوك هي الحرب المدمرة التي لا تبقي شيئا .

هذه القطعة ، والقطع الثلاث التى تليها (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦) وكذلك القطعة (٥٠) ، كلها من الرجز . والرجز من أسهل ضروب الشعر وأبسطها تركيبا . وقد كان النقاد يعتبرونه دائما أحط مرتبة من بحور الشعر الاخرى . وربما أخرجوه من الشعر لجعلوه فنا قائما بنفسه . فهو فن شعبى ، أقرب إلى (الزجل) و (المواويل) فى عصرنا هذا . وأكثر ما كان يشيع بين الأعراب ، وبين أصحاب المواهب المحدودة ، والناشئين فى الشعر ، الذين لا تتجاوز شهرتهم الفنية حدود القبيلة . أما مشاهير الشعراء ، فقد كانوا يترفعون عن تناوله ، ولا يكادون يقولونه إلا تظرفا ، ومجاراة لأصحابه ، وإثباتا لقدرتهم عليه . ولذلك ، فمن الراجح أن تكون هذه القطعة والقطع الثلاث التى تليها من إنتاج الأعشى المبكر . ولو أن الأعشى هجا هؤلاء القوم وهو شاعر كبير ، لأنف أن يسلك طريق الرجز ، واختار الشعر .

ويمتاز الرجز من بين سائر ضروب الشعر بكثرة ما فيه من الغريب ، وببعده عن الصناعة المهذبة المحكمة . وربما كان ذلك من مظاهر شعبيته . أما الشعر ، فقد كان يجرى على أساليب معينة ، وألفاظ مختارة منتقاة ، تختلف بعض الاختلاف عن لغة الحديث اليومى المألوف . وذلك يعلل لنا ما نجد من تشابه فى أساليب الشعراء ، على اختلاف قبائلهم ، وتباين ما بين لهجاتهم .

ويظهر فى الرجز آثار الاتجال والعجلة ، فهو صورة من تلك البيئة البدوية الخشنة الجافية ، فى ألفاظه وفى صوره . من أجل ذلك كان الشعر القديم أقل غرابة من الرجز بالقياس إلينا . لأن احترام الناس للشعر — دون الرجز — قد ضمن للغته وأساليبه أن تبقى حية على الألسن ، وأن لا تتغير إلا فى أضيق الحدود . وبينما ظل الشعراء على مر العصور يتداولون لغة هذا الشعر القديم وألفاظه وأساليبه ، انقطعت صلتنا بألفاظ ذلك الرجز القديم وأساليبه ، لأنه كان صورة من لغة الحديث ، التى خضعت للتطور والتغير على مر العصور ، ولم تلق من عناية الناس والنقاد ما يثبتها ويضمن لها شيئا من الاستقرار . وليس بصحيح ما يظنه الناس ، من أن هذا الشعر القديم الذى تتداوله وتدارسه ، كان يكتب باللغة التى يتكلمها الناس . فالواقع أن لغة الأدب كانت فى كل عصر وفى كل مكان — ولاتزال — تختلف عن لغة الحديث .

والرجز — بحكم تركيبه وبنيته التى تتكون من وحدة مكررة ، تتوالى فيها الحركة والسكون — من أكثر فنون القول ملاءمة لمصاحبة الحركات الرتيبة التى تجرى على نسق واحد ، كسير الابل ، وحركات الجند فى القتال ، واضطرابهم فى ميدانه ، وحفر الآبار ، ومتح الماء منها بالدلاء .

وقد طغى الشعر على الرجز شيئا فشيئا ، حتى ضيق نطاقه وأكسده ، فأصبح مقصورا فى صدر الاسلام على طبقة من الاعراب ، أمثال العجاج ، وابنه رؤبة ، وحفيده عقبة ، ومن تشبه بهم ، وسلك مسلكهم .

يقول الأعشى :

١ — ألا تعجبون معى للعجب العُجَاب .

٢ — بنو قُلَابة المتقلبون .

٣ — يشمخون بأنوفهم فخراً ويتيهون .

٤ — وأستاههم العارية تباشر الأرض ، وقد عفَّر شعرها بالتراب .

٥ — يارَخَماً قد وقف فى شدة القَيْظ ، يرقب أستَاه الخارئين .

٦ — يُعْجِل أكُفَّهم عن مسح أستاههم ويسبقها إلى الأقذار .

٧ — ....

٨ — ....

٩ — أهل العقول الراجحة ، والنسب العريق .

١٠ — والخمر التى تُذْهِب الهم ، والزبيب .

وقال يهجو وائل بن شرَحْبِيل بن عَمْرو بن مَرْثَد وقومه :

(رجز)

١ — أَلَمْ تَرَوْا لِلْعَجَبِ ٱلْعَجِيبِ

٢ — إِنَّ بَنِى قِلَابَةَ ٱلْقَلُوبِ

٣ — أُنُوفُهُمْ مِالْفَخْرِ فِى أُسْلُوبِ

٤ — وَشَعَرُ ٱلأَسْتَاهِ بِٱلْجَبُوبِ

٥ — يَارَخَمًا قَاظَ عَلَى يَنْخُوبِ

٦ — يُعْجِلُ كَفَّ ٱلْخَارِئِ ٱلْمُطِيبِ

٧ — ....

٨ — ....

٩ — أَهْلُ ٱلنُّهَى وَٱلْحَسَبِ ٱلْحَسِيبِ

١٠— وَٱلْخَمْرِ وَالتِّرْيَاقِ وَالزَّبِيبِ

(٢ — ٣) القلوب الكثير التقلب والتغير ، على وزن فعول ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . الاسلوب الشموخ فى الأنف . وأنفه فى أسلوب أى لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، يقال للمتكبر .

(٤ — ٦) الجبوب الأرض . الاست الدبر جمعها أستاه . الرخم طائر يأكل العذرة ، وهو من أكثر الاجناس طلبا لها وسعيا وراءها . ولئام الطير عند العرب ثلاثة : الغربان والبوم والرخم . والرخم أخبثها لجبنه وكسله وقذارته . قاظ من القيظ (بفتح القاف) وهو شدة الحر . الينخوب الجبان ، والينخوبة الاست . ويمكن فهم الشعر على الوجهين . فعلى الاول يصور هذا الطائر فى البيت التالى (٦) حين يفزع إذا أخذ المتطيب حجرا ليتمسح به ؛ ظنا منه أنه يريد أن يرميه . وعلى الوجه الثانى ، يكون المعنى أن هذا الطائر يبادر إلى القذر ويسبق إليه قبل أن يتطيب صاحبه . والتطيب الاستنجاء .

(٩ — ١٠) النهى العقل ، لأنه ينهى عن القبيح . الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الدرياق والترياق رومى معرب ، معناه دواء السموم. والدرياقة (بالدال والتاء) الخمر ، لأنها تذهب الهم . قال حسان :

من خمر بيسان تخيرتها درياقة توشك فتر العظام

فى هذا الرجز إقواء ــ وهو اختلاف حركة الروى ــ فالروي مضموم فى الأبيات السبعة الأولى ولـكنه مكسور فى الأبيات الثلاثة الأخيرة . ويمكن تفادى هذا الاقواء بتسكين أواخر الأبيات . على أن بعض المشهورين من شعراء الجاهلية قد أقووا فى شعرهم . والرجز أليق بمثل هـذا التجوز ، لما قدمنا من أنه فن شعبي.

---

١ — لست بالضعيف ، ولست بالخائر الـكثير الزلل والعثار .

٢ — مضت الفرصة ، ولم يعد أمامكم وقت لتجنب المعركة ، فلا سبيل إلى الفرار .

٣ — (بنو شُرَحْبِيل) فى الذل والدناءة سواء.

٤ — منهم (ضُبَيْعة) الجبان الـكثير الضراط .

٥ — ضخم الجثة ، ولـكنه مجرَّب معروف ، ليس عنده غير الصياح والعياط .

٦ — وأما (وائل) الأصلع ، فكأنه مخاط .

٧ — تَزِلُّ عن جبهته الأمشاط.

٨ — لقد ابتُليتم منى ببلية ، يسطو على القِرْن ويبطش بالرجال .

٩ — ويثبت للخصم ، ولا يعيا بالجواب ، مهما امتد المَدَى وطال.

١٠ — كالفرس السابق العدَّاء ، لا يفتر نشاطه ، ولا يدركه الكَلاَل .

وقال يهجوهم :

(رجز)

١ — لَا فَشَلٌ فِيَّ وَلَا سِقَاطُ

٢ — لَيْسَ أَوَانَ يُكْرَهُ ٱلْخِلَاطُ

٣ — بَنُو شُرَحْبِيلَ سِوًى بِسَاطُ

٤ — وَعَنْهُمُو ضُبَيْعَةُ ٱلْمِضْرَاطُ

٥ — صَمَحْمَحٌ مُجَرَّبٌ عَيَّاطُ

٦ — وَوَائِلٌ كَأَنَّهُ مُخَاطُ

٧ — يَزِلُّ عَنْ جَبْهَتِهِ ٱلْأَمْشَاطُ

٨ — لَقَدْ مُنُوا بِتَيِّحَانٍ سَاطِي

٩ — ثَبْتٍ إِذَا قِيلَ لَهُ يُعَاطِي

١٠ — أَخْرَجَ حُضْرًا غَيْرَ ذِي نِيَاطِ

(١ — ٣) الفشل الضعف والتراخي والجبن . السقاط العثرة والزلة . الخلاط مصدر خالطه أى مازجه وعاشره . سوى متساوون لافرق بينهم . بساط جمع بسيط أو بسيطة وهو المنبسط المستوى . شرحبيل أبو وائل الذى يهجوه .

(٤ — ٦) مضراط مفعال ، أى كثير الضراط . الصمحمح الرجل الشديد المجتمع الألواح . وهو كذلك القصير والأصلع . مجرب معروف على حقيقته ، لأنه قد جرب أى امتحن واختبر مرة بعد أخرى . عياط كثير الصياح . وائل بن شرحبيل اسم المهجو .

(٧ — ١٠) يزل يزلق . فرس تياح (كشداد) ومتيح (كمنبر) وتيحان ، أى جواد . ورجل متيح ومتيحة لايزال يقع فى بلية . ساطى اسم فاعل من سطا يسطو ، أى صال ووثب وبطش . ثبت ثابت عند الخصومة . يعاطى يتبادل الهجاء . الحضر (بضم الحاء) ارتفاع الفرس فى عدوه . والحضر (بفتح فسكون) ذو البيان . نياط جمع نيط (بفتح فسكون) وهو الموت والأجل . ونياط الصحراء أقطارها . يقصد أنه لا يعجز ولا ينتهى نشاطه إلى مدى .

(٤٥)

١ — إن تتورطوا ياقومنا فى عداوتنا ، وتوردوا أنفسكم موارد الضيق .

٢ — فنحن أشداء تثقل وطأتنا ، ولا يستساغ ظلمنا ولا يطاق .

٣ — عليك يا (خُثَيْمُ) بالأعداء ، وحرِّك (البَزْباز) للقتال .

٤ — فلدينا سلاح مدخر كثير .

٥ — وجياد ضامرات ، تضرب فى قلب الصحراء .

٦ — تحمل على ظهورها عدة القتال .

٧ — وجِمَال شداد سراع .

(٤٦)

١ — أقدم يا (خُثَيْم) فاليوم قاس شديد .

٢ — يتمخض عن مولود مشئوم ، قد نبت من خلف أذنه الشعر .

٣ — لم تر مثله شمس ولا قمر .

٤ — فأقدم غير هياب إذا حمى القتال .

٥ — وزاحم العدو بكل بطل مغوار ، يثبت فى ساعة الشدة ، حين يتخلف الهيَّابة الجبان .

٦ — كن عند ذاك سماً قاتلا مر المذاق .

٧ — واضرب فى غير هوادة ، حين يمر الجبناء مولين الأدبار .

(٤٥)

وقال لابن أخيه خُثَيم بن حمة بن قيس بن جنْدَل يحرضه على القتال :

١ — يا قَوْمَنَا إنْ تَرِدُوا النَّكَازَا (رجز)
٢ — لَا تَجِدُوا لِظُلْمِنَا مَجَـازَا
٣ — وَيْهًا خُثَيْمُ حَرِّكِ الْـبَزْبَازَا
٤ — إنَّ لَدَيْنَا حَلَقًا كِنَـازَا
٥ — وَقَافِلَاتٍ ذَهَبَتْ أَجْوَازَا
٦ — يُلْقَى عَلَى مُتُونِهَـا الْـبَزَازَا
٧ — تَرَى لَنَا عَرَكْرَكًا جَمَّـازَا

(٤٦)

وقال له :

١ — وَيْهًا خُثَيْمُ إنَّهُ يَوْمٌ ذَكَرْ (رجز)
٢ — مُذَمِّرٌ سَقْبًا بِذِفْرَاهُ شَعَرْ
٣ — لَمْ تَرَ شَمْسٌ مِثْلَهُ وَلَا قَمَرْ
٤ — فَادْنُ مِنَ الْبَأْسِ إذَا الْبَأْسُ حَضَرْ
٥ — وَزَاحِمَ الْأَعْدَاءَ بِالثَّبْتِ الْغَدَرْ
٦ — كُونَنْ كَسُمٍّ نَاقِعٍ فِيهِ الصَّبِرْ
٧ — وَارْجُمْ إذَا مَاضَيَّعَ النَّاسُ الدُّبُرْ

---

(٤٥)

(١ — ٣) النكوز البئر التى ذهب ماؤها ، فعله نكز (كنصر وعلم) . وهو فى منكزة من العيش أى فى ضيق . مجازا أى مساغا . ويها كلمة إغراء وتحريض . البزباز السريع فى السير ، وهو هنا اسم رجل .

(٤ — ٧) الحلق الدروع والسلاح . كناز كثير مدخر . قافلات أى أفراس ضامرات ، قفل الفرس (كضرب) ضمر . أجواز جمع جوز ، وجوز الشىء وسطه ومعظمه . وأجواز الفلا وسطها ومعظمها . البزاز أى البز (بفتح الباء) وهو السلاح . العركرك الجمل القوى الغليظ . جماز سريع .

(٤٦)

(١ — ٢) ويها كلمة إغراء وتحريض . يوم ذكر شديد . ذمر أدخل يده فى حياء الناقة ، لينظر أذكر جنينها ام لا . الذفرى من الحيوان هو العظم الذى خلف الأذن ؛ والشعر لا ينبت فى هذا الموضع . السقب ولد الناقة ساعة يولد ، وقيل إنه خاص بالذكر . يقول إن هذا اليوم سيتمخض عن مثل هذا المولود المشئوم .

(٤ — ٥) البأس الحرب والقتال . غدر عن أصحابه (كعلم) تخلف . وثبت الغدر ، الذى يثبت فى القتال حين يتخلف الناس .

(٦ — ٧) سم ناقع أى قاتل . الصبر (بفتح فكسر) عصارة شجر مر ، ولا تسكن الباء إلا لضرورة الشعر . رجمه (كنصر) قذفه وقتله . ضيع الناس الدبر أى فروا فى القتال ، وولوا ظهورهم ، لا يقدرون على حمايتها .

(٤٧)

تتفق هذه الأبيات مع أبيات القصيدة (٢٦) وزنا وقافية وموضوعا . ومن المحتمل أن تكون جزءا منها . والاشارة إلى النساء فى البيتين (١ ، ٢) ليس لها صلة ظاهرة بالموضوع . وقد يكون فيها تعريض خفى بشىء يتصل بحياة قيس بن مسعود ، كأن يكون فراره فى يوم (عباعب) خوفا من الموت ، وحرصا على أن يستمتع بالحياة ، إلى جانب زوجة يحبها أو خليلة . وقد تقدمت ترجمة قيس بن مسعود فى القصيدة (٢٦)

يقول الأعشى :

١ — يلوم النساء الفتى للهفوة الصغيرة ، ثم يتخلين عنه ويخذلنه ، إن أصابه الدهر بمكروه .

٢ — ويزعمن أنهن لا يُطِقْنَ الحياة بعده ، فإذا مات سلونه ونسينه .

٣ — متى جئتنا تعدو بك فرس كريمة تَهْوِى كالعُقَاب ، فنكِّس الرأس خزياً وتجنب لقاءنا .

٤ — صددت عن العدو يوم (عُبَاعِبٍ) موليا الأدبار ، كما تصد الخيلُ قد حبسها اللجام .

(٤٨)

١ — وجدت (أبا الخنساء) خير الناس ، فصدقته مدحى خالصاً ، ووقفت عليه شعرى مجداً .

٢ — وإن النفس لتطيب بوعدك ، فهو وعد رجل حر ، آت لا ريب فيه .

٣ — ما أعرف فوق بيتك بيتاً فى الناس . وكذلك تنمو الأشجار على مغارسها ، وتطيب الفروع إن كرمت الأصول .

(٤٩)

١ — ....

٢ — شبابهم خير شباب ، وكهولهم سادة حلماء ، لا يستفزهم الغضب .

٢ — يَخِفُّون غير متكاسلين ، للجليل الخطير من المهام . ولا تراهم — حيثما ذهبوا — إلا مطالبين بثأر ، أو ساعين لقتال .

(٤٧)

وقال يعيرّ قيسَ بن مَسْعُود فزارَةَ يومَ عُباعِب :

١ — يَلُمْنَ ٱلفَتَى إنْ زَلَّتِ النَّعْلُ زَلَّةً   وَهنَّ عَلَى رَيْبِ ٱلْمَنُونِ خَوَاذِلُ   (طويل)

٢ — يَقُلْنَ حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتِكَ مُرَّةٌ   وَهُنَّ إذَا قَفَّيْنَ عَنْكَ ذَوَاهِلُ

٣ — مَتَى تَأْتِنَا تعْدُو بِسَرْجِكَ لِقْوَةٌ   صَبُورٌ تَجَنَّبْنَا وَرَأْسُكَ مَائِلُ

٤ — صَدَدْتَ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ عُبَاعِبٍ   صُدُودَ ٱلْمَذَاكِي أَقْرَعَتْهَا ٱلْمَسَاحِلُ

وقالَ يَمْدَحُ رجلا :

(٤٨)

١ — إنِّي وَجَدْتُ أَبَا ٱلْخَنْسَاءِ خَيْرَهُمُ   فَقَدْ صَدَقْتُ لَهُ مَدْحِي وَتَمْجِيدِي   (بسيط)

٢ — إنَّ عِدَاتِكَ إيَّانَا لَآتِيَةٌ   حَقًّا وَطَيِّبَةٌ مَا نَفْسُ مَوْعُودِ

٣ — مَا فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ   وَفِي أَرُومَتِهِ مَا مَنْبِتُ ٱلْعُودِ

وقال :

(٤٩)

١ — .... يَزِبُ   (بسيط)

٢ — .... كَمُحْلِفِهِمْ   وَلَا كَأَحْلَامِهِمْ إنْ هَاجَهُمْ غَضَبُ

٣ — تَرَاهُمُو غَيْرَ أَثْبَاطٍ بِمَذْرَعَةٍ   تَوَابِعُ لِلَحِيمٍ حَيْثُمَا ذَهَبُوا

---

(٤٧)

(١ — ٢) يلمن ، الضمير عائد على النساء . زل ، زلق عن صخرة أو نحوها ، وزلت نعله ، تورط فى خطأ أو وقع فى محظور . ريب المنون نوائب الدهر وحدثانه . خذله تخلف عن نصرته وأسلمه . قفا الشيء يقفوه تبعه . قفين أى عشن بعد موته وخلفن بعده . ذهل عنه (كفتح) نسيه وسلاه .

(٣ — ٤) اللقوة (بفتح اللام وكسرها) العقاب الأنثى وهو طائر سريع ، يشبه به الفرس . صبور ، تصبر على القتال والمشاق وتقوى عليها . رأسك مائل أى منكس خزيا . أو أنه يميل على السرج فى جانب ، لجبنه ولأنه ليس متمكنا فى الفروسية والقتال . المذاكى الخيل التى تم سنها وكملت قوتها ، والمفرد مذكى (بضم الميم وتشديد الكاف وكسرها) . أقرع الدابة بلجامها حبسها وردها . المساحل جمع مسحل (بكسر الميم) وهو اللجام أو حديدته .

(٤٨)

(٢ — ٣) عدات جمع عدة أى وعد ، مصدر وعد (كضرب) . طيبة ما نفس موعود، ما زائدة ، وموعود مضاف إليه ، أى أن نفس الموعود تطيب بوعدك ، لأنها واثقة أنك ستنفذه وتبر به . الأرومة أصل الشجرة . ما زائدة . العود ضرب من الطيب يتبخر به

(٤٩)

(١ — ٣) وزب الماء يزب (كضرب) سال . وأوزب فى الأرض إزابا ذهب فيها . المحلف (بصيغة اسم الفاعل) الغلام المراهق . أحلف الغلام راهق الحلم . هاجهم غضب ، أثارهم . أثباط جمع ثبط (بفتح فكسر) وهو الكسول الثقيل . ذرع الفرس (ككرم) كان واسع الخطو . وذرعت الناقة الصحراء ، قطعتها مسرعة . أى أنهم لا يبطئون ولا يتكاسلون فى الموضع الذى يتطلب السرعة والنشاط . لحم (على البناء للمجهول) قتل ، فهو لحيم أى قتيل .

(٥٠)

ينتسب الأعشى إلى (سعد بن ضبيعة) ، أما بنو قميئة الذين يهجوهم فهم بيت من (سعد بن مالك بن ضبيعة) أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) الذين ينتسب إليهم طرفة الشاعر . ومن المرجح أن يكون هذا الرجز من إنتاج الأعشى المبكر ، كما قدمنا قبل ذلك .

يقول الأعشى :

١ — إن بنى (قَمِيئة بن سعد) .

٢ — كلهم دَعِىٌّ أو عبد .

٣ — ألأم من الكلاب الملتوية الأذناب .

٤ — وأذل من الكلاب فى أعناقها الأطواق .

٥ — إن نسبتهم لم تجدهم إلا رعاة .

٦ — عبيد أذلاء ، بين عاجز ضعيف ، وساقط دنىء .

٧ — لا يكادون يبصرون قبرا حديث العهد ،

٨ — حتى يُنَبِّشوا فيه ، نبش فيران القبور العمياء .

٩ — نَبْشٌ فقد بلغت قعر اللحد !

١٠ — واهناً ، فقد ظفرت بهامَةٍ وشطر من ثوب .

(٥١)

بنو جحدر ، الذين ينتسب إليهم شيبان بن شهاب ، هم ابناء عمومة سعد بن ضبيعة ، الذين ينتسب إليهم الأعشى . فكلا البيتين فرعان من (قيس بن ثعلبة) . وقد تقدم للأعشى فى هجاء شيبان بن شهاب قصيدتان ، هما (١٠) ، (٢٠) . وله بعد هذا قصيدتان فى هجاء قومه بنى جحدر . تقدمت إحداهما ، وهى القصيدة (٢٣) ، وستجىء الأخرى ، وهى القصيدة (٥٣) . وستجىء هذه القطعة مكررة فى هذا الديوان ، وقد أضيف إليها بيت واحد ، فى القطعة (٦١) .

يقول الأعشى :

١ — سينصرف قوم لشأنهم ، ويُـتْرَكُ آخرون قد وَرِمَتْ منهم الكَمَرات .

٢ — يكر عليهم (ابْن جحدر) بفرسه ، ويخوض معهم (مطر) القتال ، لا يلتمس فى التخلف عنه المعاذير .

(٥٠)

وقال يهجو بنى قَمِيئَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

١ — إِنَّ بَنِى قَمِيئَةَ بْنِ سَعْدِ (رجز)
٢ — كُلُّهُمُ لِلْمُلْصَقِ وَعَبْدِ
٣ — أَدْنَى لِشَرٍّ مِنْ كِلَابٍ عُقْدِ
٤ — وَهُمْ أَذَلُّ مِنْ قِلَابِ عِقْدِ
٥ — يُعْزَوْنَ بَيْنَ وَبَرٍ وَقِدٍّ
٦ — عِبْدَانُ بَيْنَ عَاجِزٍ وَوَغْدِ
٧ — إِنْ يُبْصِرُوا قَبْرًا حَدِيثَ ٱلْعَهْدِ
٨ — يُنَبِّشُوا فِيهِ ٱحْتِفَارَ ٱلْخُلْدِ
٩ — ٱنْقُرْ فَقَدْ بَلَغْتَ قَعْرَ اللَّحْدِ
١٠ — وَهَامَةً وَشِقَّةً مِنْ بُرْدِ

(٥١)

وَقَالَ يَمْدَحُ شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِىَّ ، ومَطَرَ بْنَ شَرِيكٍ الشَّيْبَانِىَّ :

١ — سَيَذْهَبُ قَوْمٌ ذَاهِبُونَ لِشَأْنِهِمْ وَيُتْرَكُ قَوْمٌ وُرَّمُ ٱلْكَمَرَاتِ (طويل)
٢ — يَكُرُّ عَلَيْهِمْ بِالسَّحِيلِ ٱبْنُ جَحْدَرٍ وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِى عَذِرَاتِ

(١ — ٤) الملصق الدعى غير الثابت النسب . للمصق أى ينتسبون لملصق . عقد (بضم فسكون) جمع أعقد ، وهو الملتوى الذنب من الكلاب والذئاب . العقد (بكسر العين) القلادة.

(٥ — ٦) عزا فلانا إلى أبيه يعزوه ويعزيه (واوى ويائى) نسبه إليه . الوبر صوف الجمال . القد (بكسر القاف) إناء من جلد ، والقد كذلك السوط ، يقصد أنهم رعاة وليسوا سادة . عبدان (بكسر العين) جمع عبد . الوغد الساقط الدنىء .

(٧ — ٨) الخلد دابة عمياء فى مثل حجم الفأر وشكله تنبش القبور . ويضرب بها المثل فى شدة السمع . قبرا حديث العهد ، خصه بأنه حديث العهد ، لأن لصوص المقابر ينبشونها قبل أن تعفن الجثة فتتلف الأكفان .

(٩ — ١٠) الهامة طائر صغير من طير الليل يألف المقابر . وقيل هو الصدى ، للطائر الذى يخرج من رأس الميت فى زعمهم . الشقة القطعة المشقوقة المستطيلة من الثوب . والبرد ثوب مخطط.

(٥١)

(١ — ٢) الكمرات جمع كمرة (بالتحريك) وهى رأس الذكر . السحيل اسم فرس . عذرات جمع عذرة (على وزن اسم المرة) أى أنه لا يلتمس الأعذار لتجنب القتال وتفاديه . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر هو مطر بن شريك بن عمرو (من ذهل بن شيبان) . وكانا قد أغارا على أرض للنعمان بن المنذر فأخذا تحفا وطرائف له فيها ، ثم هربا إلى الشام .

هذه القصيدة إحدى القصائد القليلة فى ديوان الأعشى ، التى فرغ فيها الشاعر لفنه ، فلم يمدح ولم يفتخر ولم يهج . فالقصيدة كلها غزل ووصف.
وتمتاز هذه القصيدة بظاهرة كثيرة الشيوع فى شعر الأعشى ، هى الاستطراد . فقد يحدث أن يشبه الشاعر شيئاً بشىء . ثم يسترعى المشبه به انتباهه ، فيستطرد إلى وصفه فى تفصيل طويل . وقد كانت هذه الظاهرة معروفة مشهورة عند الجاهليين ، فى شعر النابغة . فقد كانوا يشبهونها بالنعامة تارة ، وبحمار الوحش أخرى ، أو بثور وحشى . ثم يستطردون لوصف هذا الثور أو ذاك الحمار أو تلك النعامة . ولكن الأعشى توسع فى استعمال هذه الظاهرة توسعاً ميزه عن غيره من الشعراء . فاستعملها فى كل فنون الشعر . وقد تكررت هذه الظاهرة فى القصيدة التى بين يدينا ثلاث مرات

(١ –٥) يبدو الأعشى هنا وقد أسن ومل النساء ، فهو يحدث نفسه قائلا : أما للجرى وراء النساء وطلب الغانيات من نهاية ؟ كف عن ذلك وانته ، فطالب النساء حقيق أن يمل ، إذا كان حبيبه غير مخلص ، لا يمنحه حبا بحب . وهو يقول: إن حوادث الدهر ونوائبه قد علمته ، فصار حكيما بعدجهل . فهو يقول للسفيه الجاهل ، إذا استشاره فى بعض شأنه : ما أرى طلاب الغانيات إلا جهلا وحمقا . يقول ذلك ، وقد كان اللهو والغزل كل همه فى بعض أيامه الخالية. وهو يصور النساء فى خبثهن الختال ، إذ يسترقن النظر إلى الرجال فى هوادجهن ، من خلف الستور المطرزة الموشاة .

(٦ –١١) أصبح الأعشى قليل العناية بالنساء ، لا يكاد يعيرهن التفاتا . ولكنه مع ذلك لايستطيع أن ينسى صاحبته (قتيلة) ، التى غلبت على قلبه ، وخصها بمعظم غزله . فهو يصفها بين النساء ، فيشبهها بغزال أكحل العينين ، قد نما مترعرعا ، يرتع فى واد جاده مطر الخريف فأعشب واخضر ، ينادى أمه فى صوت ضعيف رخيم ملؤه الحنان .

ويسترسل الشاعر فى خياله ـ على عادته فى كثير من المواضع ـ فيمضى مع هذا الظبى الصغير، شبيه صاحبته ، يصفه ، ويخلع عليه أجمل صور الحنان والرقة والضعف ، الذى يشبه ضعف الأنوثة الناعمة . فهو بض ، أسود العينين ، ضعيف المنكبين ، يصيح فى صوت باغم حنون حين تعانقه أمه. وقد شب ونما فى رعايتها ، ترضعه المرة بعد المرة ، كلما اجتمع فى ضرعها شىء قليل من اللبن. وقد ملىء قلبها إشفاقا عليه، فهى لاتخرجه إلا فى مكان أمين قد أحاطت به الأشجار، تخفى ماوراءها وتستره حين يعم الدفء ، ويطن الذباب الرمادى اللون ، بين الأيك المتشابك الأغصان . يرعى شجر الأراك ، وقد تهدلت ثماره ، ونبتت من حوله الزهور ندية مشرقة . وهى لا تزال ترعاه بعينها ، تخشى عليه أن يضل إذا ابتعدت عنه .

(١٢–١٥) ويفيق الشاعر بعد هذه الجولة الحالمة ، ويرجع إلى نفسه ليقول : أترى إلى هذه الظبية الجميلة الناعمة ! إنها تشبه (قَتْلَة) ، بل إن قتلة لتفوقها جمالا حين تبدو سافرة .

وقال :

١ — أَقْصِرْ فَكُلُّ طَـالِبٍ سَيَمَلْ | إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى ٱلْحَبِيبِ عوَلْ (سريع)
٢ — أَحْكَمَهُ رَيْبُ ٱلْمَنُونِ وَمَا | يُحْكِمُ فِي ٱلْـ ....
٣ — فَهْوَ يَقُولُ لِلسَّفِيـهِ إِذَا | آمَرَهُ فِي بَعْضِ مَا يَفْعَـلْ
٤ — جَهْلٌ طِلَابُ ٱلْغَانِيَاتِ وَقَدْ | يَكُونُ لَهْوٌ هَمُّهُ وَغَزَلْ
٥ — السَّارِقَاتِ الطَّرْفَ مِنْ ظُعُنِ ٱلْـ | حَيِّ وَرَقْمٌ دُونَهَـا وَكِلَلْ
٦ — فِيهِنَّ مَخْرُوفُ النَّوَاصِفِ مَسْـ | رُوقُ ٱلْبُغَامِ شَادِنٌ أَكْحَلْ
٧ — رَخْصٌ أَحَمُّ ٱلْمُقْلَتَيْنِ ضَعِيـ | فُ ٱلْمَنْكِبَيْنِ لِلْعِنَاقِ زَجِلْ
٨ — تَعُـلُّهُ رَوْعَى ٱلْفُؤَادِ وَلَا | تَحْرِمُهُ عُفَافَةٌ تَجْـزُلْ
٩ — تُخْرِجُهُ إِلَى ٱلْكِنَاسِ إِذَا ٱلْـ | تَجَّ ذُبَابُ ٱلْأَيْكَةِ ٱلْأَطْحَلْ
١٠— يَرْعَى ٱلْأَرَاكَ ذَا ٱلْكَبَاثِ وَذَا ٱلْـ | مَرْدِ وَزَهْرًا نَبْتُهُنَّ خَضِـلْ
١١— تَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ تَبَاعَدَ أَنْ | تَغْنَى بِهِ مَكَانَهُ فَيَضِـلْ
١٢— ذَلِكَ مِنْ أَشْبَاهِ قَتْـلَةَ أَوْ | قَتْـلَةُ مِنْهُ سَافِرًا أَجْمَـلْ
١٣— بَيْضَـاءُ جَمَّاءُ ٱلْعِظَامِ لَهَا | فَرْعٌ أَثِيثٌ كَٱلْحِبَالِ رَجِلْ
١٤— عُلِّقْتُهَا بِالشَّيْطَيْنِ فَقَدْ | شَقَّ عَلَيْنَا حُبُّهَا وَشَغَلْ

(١ — ٣) أقصر كف وانتهى . عول عليه اتكل واعتمد ، والاسم عول (بكسر ثم فتح) . أحكمه صيره حكيما . ريب المنون نوائب الدهر . آمره استشاره .

(٥ — ٦) السارقات صفة للغانيات فى البيت السابق . الظعن جم ظعينة ، وهى الهودج إذا كان فيه امرأة . الرقم ضرب من الوشى أو الخز أو البرود . الكلل الستور ، جمع كلة (بكسر الكاف وفتح اللام وتشديدها) . خرفت البهائم (على البناء للمجهول) أصابها مطر الخريف فأنبت لها ما ترعاه ، فهى مخروفة . النواصف جمع ناصفة ، وهى ما اتسع من الوادى . بغمت الظبية (كنصر وضرب وعلم) صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . شدن قوى وترعرع . أكحل أسود العينين .

(٧ — ٩) رخص بض طرى . أحم أسود . الزجل رفع الصوت والتطريب . تعله تسقيه مرة بعد أخرى . روعى الفؤاد ، فزعة تهى ترتاع لكل ما سمعت أو رأت لحدة احساسها . العفافة بقية اللبن فى الضرع . بعد ما امتك أكثره . جزل قوى واشتد . الكناس بيت الظبى فى الشجر يستتر فيه . التجت الأصوات اختلطت . الطحلة لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(١٠ — ١٤) الأراك شجر يتخذ من قضبان السواك . البرير ثمر الاراك ، أوله كباث ، ثم مرد ثم برير . خضل مبلل بالندى . سفرت المرأة (كضرب) كشفت عن وجهها . جماء العظام أي كثيرة اللحم على عظامها . فرع شعر . أثيث غزير . شعر رجل ليس بالسبط المترسل ، ولا الجعد الملتوى ، ولكنه بين ذلك . الشيطان واديان فى ديار بنى تميم . ويبدو من شعر الأعشى فى (قتيلة) أنها كانت فى اليمامة ، ثم ارتحلت إلى نجد . فهو يشير فى القصيدة (١٨) إلى (الشط) و (الوتر) و(حاجر)و(ركن مهراس) و (مارد) و (منفوحة) ، وكلها مواضع باليمامة . ثم يشير إلى رحلتها فى القصيدة (٣٢) . ويذكر فى القصيدة (٣٤) أنه أمضى معها الربيع فى (الستار)و(ثهمد) ، وهى فى حمى ضرية بنجد .

ويمضى الشاعر فى تصوير صاحبته . فهى بيضاء ، قد امتلأ جسمها باللحم ، حتى دقت عظامُها واختفت فما تَبِين ، يزينها شعر غزير ، يسترسل متموجا متثنيا . رآها الأعشى فى (الشيِّطين) ، فأحبها وتعلق بها حتى شغفت قلبه ، ولقى فى حبها مشقة وعذابا . فقد كانت فاتنة لعوبا ، تصطاد الرجال ، ولكنهم - بالغاً ما بلغ دهاؤهم وخبرتهم بالنساء - لا ينالونها ، ولا يدركون منها مغنما .

(١٦ — ١٨) تمسك السواك بأناملها ، وتجريه على أسنانها المفلَّجة المستوية ، وقد بدت بين لثتيها السمراوين ، براقة بيضاء ، كأنها شوك (السَّيَال) ويتخيل الأعشى نفسه وقد ضاجعها ، فاشتمل عليه ساعدها البَضُّ الممتلىء باللحم ، يزينه الوشم ، وقد بدا كأنه جلد مزخرف منقوش ، ويشبه مذاق ريقها العذب الزكى ، بطعم الزنجبيل والتفاح ، قد مزجا بعسل النحل .

(١٩ — ٢٢) ويسترسل الشاعر فى الخيال مرة أخرى ، وينسى نفسه ، فيجول مع الذى يشتار هذا العسل ويجنيه ، مصوراما يلقى فى استخراجه من عناء . فهو يصعد إلى جبل مرتفع ، وقد تعلق بحبل متين ، وامتلأ قلبه فزعا ورعبا حين أوقد النار ، ليطرد بدخانها النحل من خليته ، فانبعث من حوله كأنه صغار البعوض ، يطن طنينا عاليا . وراح هو يدفعه عن نفسه ، وهو معلق فى الحبل ، فى هذا الجبل الأسود الشاهق ، وقد أحاطت به الصحراء من كل نواحيه .

٢٣ — ويعود الشاعر مرة ثانية إلى صاحبته ليقول : بمثل هذا العسل الصعب المنال ، ممزوجا بالخمر ، قد كانت (قُتَيْلَة) تسق وتُعَلّ .

(٢٤ — ٢٥) ويختم الشاعر هذا الوصف الطويل بقوله : آه ، لو أنها تصدق فيما تقول ! ولكنها تُمَنِّى الوعود ، ثم تنتحل فى إخلافها المعاذير . فهى فى تقلب دائم ، تصد تارة ، وتقبل أخرى ، وتترك المحب بين اليأس والرجاء . لا هى تعطى فيرضى ، ولا هى تبخل فيستريح .

(٢٦ — ٢٧) ويتمالك الشاعر نفسه ، ويستجمع عزمه ، ليقول لها فى حزم : قد تعلمين يا (قُتَيْلة) ، أنى جدير بأن أقطع حبل الود ، أشد ما يكون اشتباكا واتصالا ، حين يخون الحبيب عهده يا (قَتْل) ، ويتيه وقد ملأه الصَّلَف والغرور . . ولكنه حزم يخفى ضعفا ، واستخفاف أشبه بالاستعطاف . تخفف منه هذه اللهفة البادية فى تكرير اسمها والهتاف به ، مرة بـ (قُتَيْلَة) ، وأخرى بـ (قَتْل) .

(٢٨ — ٣٠) نعم . أنا قادر على أن أقطع حبل الوصل . وإن لى لَمُتَحَوَّلاً . فوق ناقة ضخمة قوية ، تجرى فى الصحراء ، كما تجرى البكرة الضخمة يدور من حولها الحبل ، قد ادخرت للرحلة ، فلم تقربها

١٥— إِذْ هِيَ تَصْـطَادُ الرِّجَالَ وَلَا ... يَصْطَادُهَا إِذَا رَمَاهَا ٱلْأَبَلْ

١٦— تُجْرِي السِّوَاكَ بِالْبَنَانِ عَلَى ... أَلْمَى كَأَطْرَافِ السَّيَالِ رَتِلْ

١٧— تَرُدُّ مَعْطُوفَ الضَّجِيـعِ عَلَى ... غَيْلٍ كَأَنَّ ٱلْوَشْمَ فِيهِ خِلَلْ

١٨— كَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ وَتُفْـ ... ـاحًا عَلَى أَرْيِ الدَّبُورِ نَزَلْ

١٩— يَزْفِي لِقِيدِ .... وَقَلْ

٢٠— ظَلَّ يَذُودُ عَنْ مَرِيرَتِهِ ... أَهْوَى لَهُ مِنَ ٱلْفُؤَادِ وَجَلْ

٢١— نَحْـلًا كَدَرْدَاقِ ٱلْحَفِيضَةِ مَرْ ... هُوبًا لَهُ حَوْلَ الْوَقُودِ زَجَلْ

٢٢— فِي يَافِعٍ جَوْنٍ يَلْفَعُ بِآلْـ ... صَّحْرَى إِذَا مَا تَجْتَنِيـهِ أَهَلْ

٢٣— يُعَلُّ مِنْهُ فُو قُتَيْلَةَ بِآلْـ ... إِسْفِنْطِ قَدْ بَاتَ عَلَيْهِ وَظَلْ

٢٤— لَوْ صَدَقَتْهُ مَا تَقُولُ وَلَـ ... كِنْ عِدَاتٍ دُونَهُنَّ عِلَلْ

٢٥— تَنْأَى وَتَدْنُو كُلُّ ذٰلِكَ مَا ... شَتَّى فَلَا تُعْطِي وَلَا تَبْخَـلْ

٢٦— قَدْ تَعْلَمِينَ يَا قُتَيْـلَةُ إِذْ ... خَانَ حَبِيبٌ عَهْدَهُ وَأَدَلْ

٢٧— أَنْ قَدْ أَجُدُّ ٱلْحَبْلَ مِنْهُ إِذَا ... يَا قَتْلُ مَا حَبْلُ ٱلْقَرِينِ شَكَلْ

٢٨— بِعَنْتَرِيسٍ كَٱلْمَحَالَةِ لَمْ ... يُثْنَ عَلَيْهَا لِلضِّرَابِ جَمَـلْ

٢٩— مَتَى ٱلْقُتُودُ وَٱلْفِتَانُ بِأَلْـ ... وَاحٍ شِدَادٍ تَحْتَهُنَّ عُجُلْ

(١٥ — ١٩) الأبل الفاجر والجدل والألد . البنان أطراف الاصابع . الالمى سمرة فى باطن اللثة . السيال نبات له شوك أبيض طويل . رتل مفلج حسن الاستواء . غيل (بفتح فسكون) ساعد مملوء لحما . الخلل جمع خلة (بكسر الخاء وتشديد اللام) وهو الجلد المنقوش . الأرى عسل النحل . الدبور جمع دبر (بفتح الدال وكسرها وسكون الباء) وهو جماعة النحل . يزفى يطرد . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه .

(٢٠ — ٢١) المريرة الحبل الشديد الفتل . أهوى الشىء سقط ، وأهوت يده له امتدت وارتفعت . الوجل الخوف . (نحلا) مفعول (يذود) فى البيت السابق . الدردق الصغار من كل شىء . الحفيضة خلية النحل . زجل صوت مرتفع حاد . (حول الوقود) لان الذى يجمع العسل يدخن عند الخلية ، فاذا دخل الدخان فيها فر منها النحل ، فيتمكن من جمع مافيها من العسل .

(٢٢ — ٢٥) يافع مرتفع . الجون يطلق على الاسود وعلى الأبيض . يلفع بالصحرى ، كأنه قد اشتمل بها كما يتلفع الرجل بالشملة . أهل رفع صوته . عله سقاه مرة بعد مرة . الاسفنط نوع من الخمر (رومي معرب) . عدات أى وعود ، جمع عدة . علل أعذار تعتل بها وتنتحلها . أشياء شتى أى مختلفة . ما زائدة .

(٢٦ — ٢٩) أدل تكبر وتاه . جد الحبل (كنصر) قطعه . شكل اشتبك . عنتريس ناقة قوية ضخمة . المحالة الدولاب والبكرة العظيمة التى يدور حولها الحبل ، يشبه الناقة بهافى سرعتها . الضراب نزو الفحل على الأنثى . القتود جمع قتد (بالتحريك) وهو خشب الرحل أو أدواته جميعاً . الفتان غشاء للرحل من الجلد . الألواح جمع لوح ، وهو العظم العريض من عظام الجسم ، ماخلا قصب اليدين والرجلين . عجل (بالضم) جمع عجول (بفتح العين) يقصد بها قوائمها لسرعتها فى السير .

الفحول . إذا وُضع الرحل المكسو بالجلود فوق هيكلها الضخم المتين ، تحمله أربع شداد سراع . فهى العُدَّة والعتاد فيما أُقبل عليه من الأمر : تمضى جريئة ، وتسير فى كبرياء ، وقد تباعد ما بين أرجلها وانفرج .

ويشبه الأعشى ناقته ، فى نشاطها وفى صلابتها وقدرتها على تحمل المشاق وتخطى العقبات ، بثور وحشى ، قاسى ألوانا من المتاعب والمشاق . وللمرة الثالثة ، ينسى الأعشى موضوع الحديث ، ويسرح خياله فى هذه الصورة الجديدة التى عرضت له . فيقدم لنا سلسلة من الصور الحية المتحركة ، يعرض فيها قصة هذا الثور ، فى كفاحه المرير .

(٣١ — ٣٣) فهو ثور ضامر قد أهزله الجوع ، فاجأه مطر تسوقه ريح الشمال . فبات ليلته فوق تل من الرمال ، وقد اندس تحت أغصان الشجر ، منكبا على وجهه ، كأنه صَيْقَل قد أكب على شحذ السيوف . كلما اشتد هجوم المطر واندفاعه صاح (أَصْبِحْ لَيلُ !) ، ولكن الليل ثقيل بطىء لا يكاد ينقضى .

(٣٤ — ٣٨) حتى إذا انجلى الصباح بعد هذا الليل الطويل ، صبَّحه صياد أغبر نحيل ، كأنه قناة الرمح ، خفيف لحم الفخذين ، خبير بمهاجمة الوحوش فى معاقلها . تتبعه كلاب مسترخية الآذان ، فى أعناقها الأطواق ، يسوقها هذا الصائد المغوار المظلم الوجه . وكأنه الذئب فى خفته ، إذا قصد طريدة لم يكد يتحول عنها ، حتى يرميها فيرديها لِتَوِّها .

(٣٩ — ٤٢) ولا تكاد الكلاب تبصر هذا الثور الجائع المكدود ، حتى تنبعث نحوه مهاجمة ، فيجد فى العدو مسرعا كالشهاب ، متجها إلى كثيب من الرمال يعتصم به ، وقد صمم على الصمود للقتال . حتى إذا اقتربت منه ، أقبل عليها (وقد علته روعةٌ وفزع) ، خفيفا نشيطا . يسدد الطعن بقرنه فلا يخطىء هدفه ؛ ليس بالرث السلاح ، ولا بالذى ينكص على عقبيه فى القتال . فهو يطعن الكلاب محنقا مغيظا ، ذات اليمين وذات الشمال ، فى قوة وقسوة ، وقد تَعَبَّس وجهُه ، فأصبح منظره مرعبا مخيفا.

وبهذه القصة المثيرة ، المملوءة بالحركة ، يختم الأعشى قصيدته الرائعة .

٣٠— فِيهَا عَتَــادُ إِذْ غَدَوْتُ عَلَى ٱلْـ   أَمْرِ وَفِيهَا جُرْأَةٌ وَقَبَلْ
٣١— كَأَنَّهَــا طَــاوٍ تَضَيَّفَهُ   ضَرْبُ قِطَارٍ تَحْتَهُ شَمْــأَلْ
٣٢— بَاتَ يَقُولُ بِٱلْكَثِيبِ مِنَ ٱلْـ   غَبْيَةِ أَصْبِحْ لَيْلُ لَوْ يَفْعَلْ
٣٣— مُنْكَرِسًا تَحْتَ ٱلْغُصُونِ كَمَا   أَحْنَى عَلَى شِمَالِهِ الصَّيْقَلْ
٣٤— حَتَّى إِذَا ٱنْجَلَى الصَّبَاحُ وَمَا   إِنْ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلْ
٣٥— أَحَسَّ بِالسَّمَارِ عُجْــلَ طِمِلٍّ   .... ٱلْغُفُلْ
٣٦— أَطْلَسَ طَــلَّاعَ النِّجَــادِ عَلَى ٱلْـ   وَحْشِ غَبًا مِثْلَ ٱلْقَنَاةِ أَزَلْ
٣٧— فِي إِثْرِهِ غُضْفٌ مُقَــلَّدَةٌ   يَسْعَى بِهَــا مُغَــاوِرٌ أَطْحَلْ
٣٨— كَالسِّيدِ لَا يَنْمِي طَرِيدَتَهُ   لَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَانُ حِوَلْ
٣٩— هِجْنَ بِهِ فَٱنْصَاعَ مُنْصَلِتًا   كَالنَّجْمِ يَخْتَارُ ٱلْكَثِيبَ أَبَلْ
٤٠— حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَحَا سَلِبًا   وَقَدْ عَلَتْهُ رَوْعَةٌ وَوَهَلْ
٤١— لَا طَائِشٌ عِنْدَ ٱلْهِيَاجِ وَلَا   رَثُّ السِّلَاحِ مُغَادِرٌ أَعْزَلْ
٤٢— يَطْعَنُهَا شَزْرًا عَلَى حَنَقٍ   ذُو جُرْأَةٍ فِي ٱلْوَجْهِ مِنْهُ بَسَلْ
٤٣— ———————— ———————— رَفَلْ

(٣٠ — ٣٤) العتاد العدة للأمر وما تهيئه له . القبل (بالتحريك) الفحج ، وهو انفراج مابين الرجلين فى المشى . طاو جائع . تضيفه نزل به . الضرب المطر الخفيف . القطار جمع قطر (بفتح القاف) وهو المطر . الشمأل ريح الشمال . الكثيب التل من الرمل . الغبية الدفعة الشديدة من المطر . منكرسا مندساً قد انكب على وجهه . الصيقل الذى يشحذ السيوف ويجلوها . أحنى انحنى .

(٣٥ — ٣٦) السمار اللبن المذوق الذى كثر مزجه بالماء . الطمل الذئب شبه به الصياد لخفته . عجل (بالضم) جمع عجول (بالفتح) وهو المسرع ، يقصد بها الكلاب . أطلس فى لونه غبرة إلى السواد . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض . غبا مصدر غبى (كعلم) أى خفى ، أى أنه يدب إلى هذه الوحوش خفية . أزل أرسح ، والرسح قلة لحم العجز والفخذين .

(٣٧ - ٣٨) غضف مسترخية الآذان ، غضف الكلب أذنه أرخاها . مغاور من غاور العدو أى أغار عليه . أطحل أغبر فى مثل لون الرماد . السيد (بكسر السين) الذئب . نمى الصيد رماه فأصابه ، ولكنه ذهب وفيه بقية من روح . فمات بعيداً بحيث لايراه . أحانه أهلكه ، والحين الهلاك . حول تحول وانتقال . أى أنه لا يتحول عن الصيد الذى قدر له أن يهلك على يديه .

(٣٩ — ٤٠) هاج الشىء ثار وتحرك وانبعث . هجن أي الكلاب . به أى بالثور . انصاع مر مسرعا . انصلت فى سيره أو عدوه مضى جادا . الأبل الألد للمتنع ، والشديد اللؤم الذى لا يدرك ماعنده ، والظلوم . السلب (ككتف) الخفيف . ثور سلب الطعن بالقرن أى خفيفة . الروعة الخوف . الوهل الفزع .

(٤١ — ٤٣) الطائش الذى لا يصيب إذا رمى . رث ضعيف بال . مغادر يفر من المعركة . الأعزل الذى لا سلاح معه . طعنه شزرا أى عن يمين وشمال طعنا عنيفاً . فتل الحبل شزرا أي عن يسار وهو أشد لفتله . بسل عبوس . وجه باسل عابس كريه من أثر الغضب أو الشجاعة . رفل (كنصر) رفلا جر ذيله وتبختر ، أو خطر بيديه .

هذه القصيدة فى هجاء بني جحدر . وقد تقدمت فى هجائهم القصيدة (٢٣) . وتقدم كذلك فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى ــ أحد سادتهم ــ القصيدتان (١٠) ، (٢٠) ، ثم القطعة (٥١) . والقصيدة من مجزوء البسيط ، وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى ، وليس فى ديوان الأعشى منه غير هذه القصيدة .

والواقع أن هجاء بنى جحدر لا يستغرق من هذه القصيدة إلا أقلها . فالقصيدة اثنان وعشرون بيتا ، لم يعرض الشاعر فيها لبنى جحدر إلا فى ستة أبيات (١٣ — ١٩) . أما بقية القصيدة ، فهو حديث عن بعض الأمم البائدة ، والمدن العامرة ، التى أصابها الخراب . ودار عليها الزمان ، يقدم الشاعر به للهجاء ، ويختمه كذلك به .

وليس حديث الشاعر الجاهلى فى مثل هذه المواضع غريباً ، فهو مألوف كثير . فالشاعر الجاهلى ــ كما رأينا فى كثير من المواضع ــ كان يمثل الرجل المثقف ، الذى يحيط بكل المعارف فى عصره ، من تاريخ وأساطير وأنساب . وهو مع هذا رجل حكيم ، يمتاز من بين سائر الناس ، بأنه أعمق غوراً ، وأصح نظراً . لذلك كان من المألوف أن يعرض الشاعر لحديث مثل هذه الأمم البائدة ، حين يتحدث من تفاهة الدنيا ، وعن غدرها بالناس ؛ ليصل من ذلك إلى أن كل شيء يصير إلى الزوال والفناء . فهو لا يقصد من ذلك إلا إلى استنباط العظة والعبرة وقد جرى القرآن الكريم على هذا الأسلوب العربى المألوف فى التذكير وفى الترهيب والوعيد .

نقول إن مثل هذا الحديث عن الأمم البائدة ليس غريباً فى نفسه . ولكن موضع الغرابة هو أن هذا الحديث لا يمت لموضوع القصيدة بصلة ؛ ولا يصح أن يكون مقدمة أو خاتمة للجزء الهجائى القصير . ولذلك فمن الراجح أن تكون الأبيات الهجائية من القصيدة (١٣ — ١٩) جزءا مستقلا قائماً بنفسه .

والقصيدة مع هذا ضعيفة البناء ، مضطربة النظم ، مملوءة بالزحافات والعلل ، التى تنفر منها الأذن فى بعض الأحيان . فالقصيدة من مجزوء البسيط ، عروضها مقطوعة مخبونة (مستفعلن فاعلن فعولن) . ولكنه يقول فى البيت (٥) : وأهل غمدان جمعوا (متفعلن فاعلن فعل)، خبن (مستفعلن) وحذف (فعولن) . ويقول فى البيت (١٥) : قمنا إليكم ولم يبردنا (مستفعلن فاعلن مفعولن) . بعد أن جرى فى كل القصيدة على خبن (مفعولن). وهو شاذ يصدم الأذن ، ويخرجها عما أنست إليه من النغمة التى تجرى عليها سائر القصيدة .

وكل ما فى هذه القصيدة من حديث (عاد) و (ثمود)، يتفق مع ما جاء به القرآن الكريم . وهو أمر معقول . فالقرآن إنما كان يتحدث إلى العرب بما ألفوا ، وبما عرفوا وتداولوا . ولم يكن يقصد بذلك إلا إلى التذكير والعظة . فليس القرآن الكريم كتاب تاريخ ، وإنما هو كتاب دين . ولم تكن هذه القصص إلا أمثالا . فهو يختم قصة نوح وعاد وثمود فى سورة إبراهيم بقوله : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) . ويقول فى سورة العنكبوت ، بعد أن يسهب فى قصص نوح ، وإبراهيم . وقوم لوط . وأهل مدين . وعاد . وثمود (وتلك الأمثال نضربها للناس . وما يعقلها إلا العالمون) ويقول فى سورة القمر بعد قصة قوم نوح وعاد (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ثم يكرر هذه الآية بعد قصة ثمود . ويكررها مرة ثالثة بعد قصة لوط .

وخلاصة ما جاء فى أخبار هذه الأمم البائدة . أن الملك بعد طوفان نوح كان فى عاد الأولى . الذين أشار إليهم القرآن الكريم بقوله (وأنه أهلك عادا الأولى) وقوله : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) . وهم الذين بنوا (إرم ذات العماد) . التى اشار اليها القرآن الكريم بقوله : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) . وقد اختلفوا فى (إرم). بين قائل إنها اسم بلدتهم . وقائل إنها اسم أبيهم . أو اسم قبيلتهم . وقد أهلكهم الله ، حين خالفوا نبيهم (هودا) وكذبوه . وكانت مساكنهم فى أقصى الجنوب من شبه جزيرة العرب فى الدهناء وعالج ويبرين ووبار وعمان ، إلى حضرموت ، الى اليمن . وقد أصبحت الآن صحراء جرداء . ثم ظهر من بعدهم أبناء عمومتهم (ثمود) ــ وهم الذين يطلق عليهم اسم (عاد الثانية) ــ والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) . فأرسل الله إليهم نبيهم (صالحا) . فتحدوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة . فأخرجها لهم باذن الله . وجعل لها يوما تشرب فيه . وأنذرهم عذاب الله إن مسوها بسوء . فعدا عليها قدار بن سالف ــ وهو أحمر ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم ــ فقتلها . فأنزل الله عليهم عذابه فأفناهم . وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (انا أرسلنا الناقة فتنة لهم . فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم . كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابى ونذر) وكانت مساكن ثمود قرب وادى القرى . ومن هذه الأمم البائدة كذلك (طسم) و (جديس) وكانت منازلهم فى (اليمامة). حيث صلبت الزرقاء على باب مدينة (جو) فسميت منذ ذلك باسمها .

يقول الأعشى :

١ — ألم تروا إلى (إرَم) و (عاد) ، أفناهم تتابع الليل والنهار .

٢ — بادوا . فلما اجتمع شملهم من جديد ، لحقت بهم (ثَمُود) ، بِشُؤْم أَحْمَرِهِمْ (قُدَار) .

٣ — وقبلهم غالت المنايا (طَسْماً) ، ولم ينجها الحذار

وقال فيما كان بينه وبين بنى جَحْدَر :

(بسيط، مجزوء)

١ — أَلَمْ تَرَوْ إِرَمًا وَعَادًا أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
٢ — بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَآدَوْا قَفَّى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ
٣ — وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ ٱلْمَنَايَا طَسْمًا وَلَمْ يُنْجِهَا ٱلْحِذَارُ
٤ — وَحَلَّ بِٱلْحَيِّ مِنْ جَدِيسٍ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ
٥ — وَأَهْلُ غُمْدَانَ جَمَّعُوا لِلدَّهْرِ مَا يُجْمَعُ ٱلْخِيَارُ
٦ — فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي جَائِحَةٌ عَقْبُهَا الدَّمَارُ
٧ — وَقَدْ غَنُوا فِي ظِلَالِ مُلْكٍ مُؤَيَّدٍ عَقْلُهُمْ جُفَارُ
٨ — وَأَهْلُ جَوٍّ أَتَتْ عَلَيْهِمْ فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا
٩ — وَمَرَّ حَدٌّ عَلَى وَبَارٍ فَهَلَكَتْ جَهْرَةً وَبَارُ
١٠ — يَا لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ لَيْتٌ وَهَلْ يَفِيئَنَّ مُسْتَعَارُ
١١ — وَهَلْ يَعُودَنَّ بَعْدَ عُسْرٍ عَلَى أَخِي فَاقَةٍ يَسَارُ
١٢ — وَهَلْ يَشُدَّنَّ مِنْ لَقُوحٍ بِالشَّخْبِ مِنْ ثَرَّةٍ صِرَارُ

(١ — ٤) إرم بن سام بن نوح . عاد بن عوص بن إرم . أودى بهم أفناهم . تآدوا تفاعلوا، من الأيد وهو القوة . قدار: هو أحمر ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم ، وهو الذى تولى قتل الناقة ، فأنزل الله عليهم العذاب بسببه . طسم وجديس وعاد وثمود ، كل هؤلاء أبناء عمومة . وهم من نسل إرم بن سام . شر مستطار شديد ، وقد استطار غضبه أى اشتد .

(٥ — ٧) غمدان أشهر قصور اليمن وعمائرها القديمة ؛ كان فى صنعاء . زعموا أن بناءه كان عشرين طبقة . وكانت الطبقة العليا مسقوفة برخام شفاف . الخيار الذهب ، والمال مطلقا ، أو هو أفضله . صبحتهم أتتهم صباحا . جائحة داهية . غنى بالمكان (كطرب) أقام . مؤيد قوى . جفار (بضم الجيم) واسع ، من قولهم جفر الشيء أى اتسع .

(٨ — ١٠) جو مدينة قديمة ، سميت بعد ذلك اليمامة ، نسبة إلى امرأة اسمها اليمامة ، وهى الزرقاء المشهورة بحدة البصر ؛ حين قلع (تبع) عينها وصلبها على باب مدينة (جو) . وكانت بعض منازل طسم وجديس . والزرقاء امرأة من جديس . باروا هلكوا . الحد نهاية الشيء ؛ أى أنها بلغت نهاية ما قدر لها من الأجل ثم هلكت . وبار من مساكن عاد فى الأحقاف . وقد زعموا أنها أصبحت بعدهم مساكن للجن . فاء يفيء رجع ؛ يقول :هل يرجع مامضي ؟

(١١ — ١٢) الفاقة الجوع والعوز . اللقوح الناقة ذات اللبن فى الشهرين الأولين بعد أن تنتج ولبنها أغزر ما يكون . شخب اللبن (كنصر وقطع) حلبة . ثرة غزيرة . الصرار ما يشد فوق ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها . يقول: إن شد الصرار لا يغنى شيئا إذا كانت الناقة غزيرة اللبن ؛ وهو مثل للعجز عن دفع المصائب .

٤ — وحل بـ (جَدِيسٍ) يوم من الشر مُستَطار .

٥ — وجمع أهل (غُمْدان) من المال والمتاع ، ما ظنوا أنه يدفع صروف الزمان .

٦ — فدهمتهم المصائب ، وصاروا كالذين قبلهم إلى الدمار .

٧ — بعد أن عاشوا ماعاشوا فى ظلال مُلْك عظيم ، يدبرون الأمر بعقول راجحة كبار .

٨ — وأتت صروف الزمان على أهل (جَوّ) فأهلكتهم ، وأصابهم البوار .

٩ — وعمرت (وَبَار) ، وازدهرت بالحضارة زمنا ، حتّى بلغت أجلها ، فخربت الديار .

١٠ — ليت شعرى — وهل تغنى ليت — وهل يعود مامضى وفات ؟

١١ — وهل يعود العز واليسار على الفقير المنكوب بعد إعسار ؟

١٢ — وهل يدفع النكبات شىء ، حين تتوالى كما يَتَحَلَّبُ لبن الناقة المِدْرَار لا يَكُفُّه الصِّرَار ؟

* * *

١٣ — أقسمتم لنقاتلنكم . فدونكم ما تمنيتم من القتال .

١٤ — كما أقسم (أبورياح) أمام الله ، ألا يدفع دية القتيل ، فَبَرَّتْ يمينُه ، إذ مات فى شرّ حال .

١٥ — ها نحن أولاء نعيش مجتمعى الشمل ، وما أفدتم غير الطعن العنيف فى ظهوركم ، تندفع منه الدماء .

١٦ — قمنا إليكم لا يبرد غليلنا الماء ، ولا يسكن غضبنا رجاء .

١٧ — وصبرنا للقتال ، فليس من شأننا أن نفر عند اللقاء .

١٨ — وفررتم أنتم مذعورين قد لحقكم العار وكنتم من الجبناء .

١٩ — فليتنا لم نكن حيث نحن فى (نجد) ، وليتهم رحلوا إلى (الغَوْر) ، فلم نلتق ولم يجمعنا مكان .

* * *

٢٠ — مضى (لُقَيْم) و (قَيْل) و (لُقمان) فعريت منهم الديار .

٢١ — وفنى قومهم فلم يبق بعدهم أحد ، ثم خَلَفَتْ من بعدهم (نِزَار) .

٢٢ — فبلغوا الأوطار بعد البوار ، وقاتلوا حتى الانتصار .

١٣— أَقْسَمْتُمْ لَا نُعْطِيَنَّكُمْ   إِلَّا عِرَارًا فَذَا عِرَار
١٤— كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَاحٍ   يَسْمَعُهَا لَاهُهُ ٱلْكُبَار
١٥— نَحْمِي جَمِيعًا وَلَمْ يُفِدْكُمْ   طَعْنٌ لَنَا فِي ٱلْكُلَى فَوَارُ
١٦— قُمْنَا إِلَيْكُمْ وَلَمْ يَبْرُدْنَا   نَضْحٌ عَلَى حَمْيِنَا قَرَارُ
١٧— فَقَدْ صَبَرْنَا وَلَمْ نُوَلِّ   وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا ٱلْفِرَارُ
١٨— وَقَدْ فَرَرْتُمْ وَمَا صَبَرْتُمْ   وَذَاكَ شَيْنٌ لَكُمْ وَعَارُ
١٩— فَلَيْتَنَا لَمْ نَحُلَّ نَجْدًا   وَلَيْتَهُمْ قَبْلَ تِلْكَ غَارُوا
٢٠— إِنَّ لُقَيْمًا وَإِنَّ قَيْلًا   وَإِنَّ لُقْمَانَ حَيْثُ سَارُوا
٢١— لَمْ يَدْعُوا بَعْدَهُمْ عَرِيبًا   فَغَنِيَتْ بَعْدَهُمْ نِزَارُ
٢٢— فَأَدْرَكُوا بَعْدَ مَا أَضَاعُوا   وَقَاتَلَ ٱلْقَوْمُ فَٱسْتَنَارُوا

(١٣ — ١٥) العرار القتال . عره غشيه بما يكره . أبو رياح رجل من بنى ضبيعة ، قتل جارا لبنى سعد بن ثعلبة ، فسألوه أن يديه ، فحلف أن لا يفعل ، ثم إنه قتل بعد حلفته ، فبرت يمينه . يقول لهم : قد برت يمينكم ، حين أقسمتم منهكين أن لا نعطيكم إلا القتال ، كما برت يمين أبى رياح هذا . لا هه إلهه . وهم يستشهدون بهذا البيت على أن لفظ الجلالة (الله) أصله (لاه) ثم عرف بالألف واللام . الكبار العظيم . فار العرق هاج وقذف بالدم . ضرب فوار عنيف واسع يندفع منه الدم ، خفف التشديد لضرورة الشعر . طعن فى الكلى يريد أنهم يطعنون فى ظهورهم لأنهم يفرون منهزمين . الكلى جمع كلية .

(١٦ — ١٨) برد غليله بالماء وأبرده صب فيه ماء . نضحه بالماء (كضرب وقطع) رشه . ونضح عطشه سكنه . حميت الحديدة حميا (بفتح فسكون) وحموا (بتشديد الواو) اشتد حرها بالنار . نضحه بالماء رشه . ونضح عطشه سكنه . قرار جمع قرة وهو الماء البارد . قره بالماء برده .

(١٩ — ٢٢) نجدا ، لعله يقصد نجد برق ، وهو موضع باليمامة ، حيث كان يسكن قوم الأعشى . غاروا رحلوا الى الغور (بفتح فسكون) وهو تهامة . لقيم وقيل ولقمان هم وفد (عاد) الذين جاءوا الى مكة يستسقون ، بعد أن حبس الله المطر عن قومهم ثلاث سنوات . فمرت بهم سحائب ، ونودى منها . اختاروا . فاختاروا سحابة سوداء ، ظنا منهم أنها أغزرها ماء . فكان فيها هلاك قومهم . عريبا أى متكلما بالعربية . يقصد أن قومهم ماتوا جميعا . غنيت أقامت . نزار جد عرب الشمال (ربيعة ومضر) . أدركوا أى بلغوا ما أرادوا . أضاعوا أى أضاعوا الفرصة . استنار به ظفر به وعلا عليه .

— ٥٤ —

هذه القصيدة تشبه القصيدة (٣٩) من وجوه كثيرة . فهما تتفقان فى البحر والقافية . ثم إنهما تتفقان فى أن الشاعر سلك فى كل منهما أسلوبا هو أدنى إلى القصص فى الغزل ، والتمس العبرة والعزاء فى مصير ملوك اليمن . وتتفقان فى أن الممدوح فى كليهما لا نكاد نعرف عنه شيئاً . وتتفقان بعد كل هذا فى أن المدح لا يكاد يظفر من الشاعر إلا بأقل اهتمام ، ولا يتجاوز أبياتاً قليله فى نهاية كل من القصيدتين . فالقصيدة السابقة واحد وخمسون بيتاً لا يشغل المدح منها إلا ستة أبيات . والقصيدة التي بين أيدينا تسعة وأربعون بيتاً لا يتجاوز المدح فيها ثمانية أبيات .

وقد مرت بنا فى الديوان صورة أخرى من هذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٨) ، حين عرض الشاعر لوصف الخمر ، وما دار بينه وبين الخمار .

وفى أبيات القصيدة تقديم وتأخير يختل له النسق ويضطرب السياق . والأصوب عندى أن يكون ترتيبها : ١ – ٢٠ ، ٣٦ – ٤١ ، ٣٣ – ٣٥ ، ٢٦ – ٣٢ ، ٢١ – ٢٥ ، ٤٢ – ٤٩

وكان أبو عبيدة يرى أن هناك خلطا بين شعر الأعشى فى هذه القصيدة وبين شعر المخارق بن شهاب المازنى .

(١ – ٣) يتحدث الأعشى عن صاحبته (لَميس) ، بعد أن انقطع ما بينه وبينها من ود . وكأن تلك الأيام الحلوة الجميلة كانت بالأمس القريب . فهو يسائل نفسه : أوقد هجرتها اليوم ، أم أن العهد قد طال وتقادم على تلك الأيام ، وخلفتك للهم والكآبة ، وقد أصبحت بعيدة المنال ، لا يكاد يدركها الطلاب .

ولكن الأعشى لا يلبث أن ينصرف عن صاحبته ، ليتحدث عن بعض ذكريات شبابه وفتوته .

(٤ – ٨) فلقد كان يزور صواحبه ، فيدب إلى الحى فى سواد الليل ، حين ينام الناس ، تنبحه الكلاب ، وقد ركب فرسا طويل الظهر كأنه ساق النخلة ، يبرق صدره الأحمر كأنما خضب بالحناء ، ينقاد لراكبه فى سهولة ويسر ، وينبىء خده الأملس المسترسل عن كرم أصيل ، وعيش ناعم رقيق . فقد حبس هذا الفرس على المرعى البعيد ، الذى يفصله عن الحى مسير شهر ، وقد أنبته مطر الربيع الذى لا يُعيى الأعشى تتبعُه مهما بعد . فتراه وقد وشته الرياح بما تسوق من أمطار ، فغطت وجهه بالنبات والأزهار المختلفة الألوان ، كأنه الجلود المنقوشة التى تقدم للملوك .

(٩ – ١٢) وربما قصد إلى صاحبته فى قومها الذين يعيشون فى خصب ، يُطيف بالحى ، حتى إذا جن الليل ، واضطربت الذئاب فى الصحراء ، ومال القمر للمغيب ـ وقد كان ضوؤه الفضّاح يحول دون بغيته ـ

وقال يمدح رجلا من كِنْدَةَ يقال له رَبِيعَةُ بْنُ حَبْوَةَ :

(كامل، مجزوء)

١ — أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ لَمِيـ ـسَ ٱلْيَوْمَ أَمْ طَالَ ٱجْتِنَابُهْ
٢ — .... إِلَى سَلْمَى .... ٱلْقَلْبَ ٱكْتِئَابُهْ
٣ — .... أَفْـ ـضَى نَازِحًا مِنْهَا طِلَابُهْ
٤ — وَلَقَدْ طَرَقْتُ ٱلْحَيَّ بَعْـ ـدَ النَّوْمِ تَنْبَحُنِي كِلَابُهْ
٥ — بِمُشَذَّبٍ كَٱلْجِذْعِ صَا كَ عَلَى تَرَائِبِهِ خِضَابُهْ
٦ — سَلِسٍ مُقَلَّدُهُ أَسِيـ ـلٍ خَدُّهُ مَرِعٍ جَنَابُهْ
٧ — فِي عَازِبٍ وَسْمِيِّ شَهْـ ـرٍ لَنْ يُعَزَّ بَنِي مَصَابُهْ
٨ — حَطَّتْ لَهُ رِيحٌ كَمَا حُطَّتْ إِلَى مَلِكٍ عِيَابُهْ
٩ — وَلَقَدْ أَطَفْتُ بِحَاضِرٍ حَتَّى إِذَا عَسَلَتْ ذِئَابُهْ
١٠ — وَصَغَا قُمَيْرٌ كَانَ يَمْـ ـنَعُ بَعْضَ بِغْيَةِ ٱرْتِقَابُهْ
١١ — أَقْبَلْتُ أَمْشِي مِشْيَةَ ٱلْـ ـحَشْيَانِ مُزْوَرًّا جِنَابُهْ
١٢ — وَإِذَا غَزَالٌ أَحْوَرُ ٱلْـ ـعَيْنَيْنِ يُعْجِبُنِي لِعَابُهْ

(١ — ٥) صرم الحبل وجبه واجتبه قطعه . أفضى المكان إفضاء اتسع . نازحا بعيدا . طرقه دخله ليلا . فرس مشذب طويل ليس بكثير اللحم ، استعير من الجذع المشذب أي المقشور . الجذع ساق النخلة . صاك لصق . الترائب عظام الصدر ، واحدتها تريبه . الخضاب الحناء وكل ماخضب به ، يقصد به حمرة الشعر الزاهيه فى صدر الفرس من أثر السمن والمرعى الحسن .

(٦ — ٨) سلس سهل الانقياد . مقلده عنقه أي موضع القلادة منه . خد أسيل لين أملس طويل . مرع المكان كثر كلأه . الجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . العازب الكلأ البعيد . الوسمى مطر الربيع ، لانه يسم الأرض بالنبات . صاب المطر يصوب انصب ونزل ؛ ومصاب مصدر ميمى منه . لن يعز بنى أى لا يبعد على . حط الاسكاف الجلد صقله أو نقشه بخشبة معدة لذلك حتى يلين ويبرق . العياب جمع عيبة ؛ وهى جراب من جلد .

(٩ — ١٢) الحاضر هم القوم يتزلون عند الماء الدائم الذى لا ينضب ، فيرعون كلأه لا يتحولون عنه صيفاً ولا شتاء ، وهو يطلق كذلك على الحى نفسه فيكون حاضر بمعنى محضور . عسلت ذئابه اضطربت . صغا (كندم وقطع) مال للغروب . الحشيان (بالحاء) المصاب بالربو ؛ وهو ضيق النفس . والخشيان (بالخاء المعجمة) الخائف . مزور معوج الزور أى الصدر . جنابه جانبه . اللعاب والملاعبة مصدر لاعب .

أقبل يمشى فى حذر ، يخفى شخصه متضائلا منحنى الصدر . ودخل على صاحبته ، فأذا هى كالغزال الأحور العينين ، الرشيق الحركة . (١)

(١٣—١٤) ما أجمل الحلى والقلائد فى صدرها الجميل ، وما أطيب رائحته .

بيضاء ، ينشرح لمنظرها الصدر ، عذبة الروح ، يزين كفها الخضاب .

(١٥—٢٠) إنى لأتكلف فى سبيلها المشاق ، وأركب بغية الوصول إليها الأهوال . ولو أن دونها وادى (المرّوت) ، وقد تدافعت السيول تجرى فى شعابه ، حتى غمرت الآجام ، وغطت شجر (الطّرْفاء) الطويل ، لعبرته إليها سابحا . ولو أن دون لقائها جبلا شاهقا تزل فى رقيه الأقدام ، لفتشت عن طريق للصعود فيه ، واحتملت مسالكه الصعبة راضيا مسرورا ، حتى أصل إليها . ولكم يحتمل المحب من مشاق تنوء بها طاقته ، وتورثه الذم وآلعاب ، وتثير حوله القيل والقال . ولو قام دون لقائها أسد يبعث الفزع فى القلوب ، بشعره الكثيف الذى يكلل هامته ، وأنيابه المحددة وقد برزت كأنها السهام ، لأقبلت عليه بسيفى أجالده غير هياب .

ويمضى الأعشى فيما كان بسبيله من ذكريات الشباب فيقول :

---

(١) تذكرنا قصة الأعشى هذه بقصة أخرى لعمر بن أبى ربيعة ، صورها فى رائيته المشهورة ، حيث يقول :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ ... مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِٱلْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ

وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ ... وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

وَنَفَّضْتُ عَنِّى النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ ٱلْـ ... حُبَابِ وَشَخْصِى خَشْيَةَ ٱلْحَىِّ أَزْوَرُ

١٣— حَسَنٌ مُقَلَّدُ حَلْيِهِ   وَالنَّحْرُ طَيِّبَةٌ مَلَابُهْ

١٤— غَرَّاءُ تَبْهَجُ زَوْلَهُ   وَالْكَفُّ زَيَّنَهَا خِضَابُهْ

١٥— لَعَبَرْتُهُ سَبْحًا وَلَوْ   غُمِرَتْ مَعَ الطَّرْفَاءِ غَابُهْ

١٦— وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَا   جَبَلًا مُزَلَّقَةً هِضَابُهْ

١٧— لَنَظَرْتُ أَنَّى مُرْتَقَا   هُ وَخَيْرُ مَسْلَكِهِ عِقَابُهْ

١٨— لَأَتَيْتُهَا إِنَّ الْمُحِـ   ـبَّ مُكَلَّفٌ دَنِسٌ ثِيَابُهْ

١٩— وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَا   ذَا لِبْدَةٍ كَالزُّجِّ نَابُهْ

٢٠— لَأَتَيْتُهُ بِالسَّيْفِ أَمْـ   ـشِي لَا أُهَدُّ وَلَا أُهَابُهْ

٢١— وَلِيَ ابْنُ عَمٍّ مَا يَزَا   لُ لِشِعْرِهِ خَبَبًا رِكَابُهْ

٢٢— سَحًّا وَسَاحِيَةً وَعَمَّـ   ـا سَاعَةٍ ذَلِقَتْ ضِبَابُهْ

٢٣— مَا بَالُ مَنْ قَدْ كَانَ حَظِّـ   ـي مِنْ نَصِيحَتِهِ اغْتِيَابُهْ

٢٤— يُزْجِي عَقَارِبَ قَوْلِهِ   لَمَّا رَأَى أَنِّي أَهَابُهْ

(١٣ — ١٤) المقلد النحر أو موضع القلادة . والنحر أعلى الصدر . الملاب نوع من الطيب . غراء بيضاء . بهجه (كقطع) سره وأفرحه . الزول العجب . وهذا زول من الأزوال أى عجب من العجائب . والزول كذلك الشخص ، والخفيف الظريف الفطن . والزولة (ويمكن أن يقرأ بها الشعر) المرأة الخفيفة الفطنة .

(١٥ — ١٦) لعبرته خبر لشرط محذوف . ولا بد أن يكون قبل هذا البيت بيت قد سقط . وكأنه على ما تقدر (ولو أن دون لقائها بحراً مخيفاً) لعبرته . وقد أورد (Geger) فيما روى للأعشى مما ليس في ديوانه بيتاً نقله ابن سيدة في المخصص ج ١٠ ص ٣١ وهو : (ولو أن دون لقائها المروت دافعة شعابه) فلعل موضعه هنا ، ولعله هو البيت الساقط . المروت اسم واد . شعابه مسالكه ومنعطفاته . دافعه أى تفيض بالماء يدفع بعضه بعضاً . الطرفاء شجر على أنواع كثيرة ، منه الأثل ، وهو شجر طويل ذاهب فى السماء . ولذلك يشبهون به المرأة المديدة المعتدلة القوام . وخشبه من الأخشاب النفيسة عند العرب . تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد . الغاب جمع غابة ، وهى الأجمة من القصب . مزلقة هضابه ، يزلق الصاعد فيها ويزل للاستواء وصعوبة الرقى فيها .

(١٧ — ١٩) مرتقاه موضع الارتقاء والصعود فيه (اسم مكان) العقاب جمع عقبة (بالتحريك) وهى المرقى الصعب من الجبال ، والطريق فى أعلاها . مكلف يتحمل فوق طاقته . دنس ثيابه لا يبالى أن يأتى ما يصمه فى سبيل من يحب . لبدة الأسد الشعر حول رقبته الزج نصل السهم ، والحديدة التى فى أسفل الرمح .

(٢٠ — ٢١) لا أهد أى لا أتردد ولا أجبن . هده الأمر ضعضع قواه وحطم عزمه . الخبب السرعة . خب الفرس راوح بين يديه ورجليه فى عدوه . الركاب الابل ، لا واحد لها من لفظها .

(٢٢ — ٢٤) سح الماء سحا وسحوحا (لازم) سال منحدراً . وسح الماء (متعد) صبه متتابعاً كثيراً . واستنشدته قصيدة فسحها على سحا أى كرهاً مسرعا . ذلق اللسان (كعلم) ذرب فهو ذلق أى فصيح حديد . الضباب الأحقاد ، جمع ضب (بكسر الضاد) وهو الغيظ والحقد الخفى .

(٣٦ــ٤١) كم غشيت من حوانيت ، لدى خمَّار أمين لا يقدم إلا أجود الخمور . يتوارد على خمره الشاربون ، فيغترفون منها بالأقداح ، صغيرِها والكبير . إذا حاسبه الندماء مدققين ، لم يصرفني حسابه عما أنا مقبل عليه من شراب ، فأنا أشرب بكل ما أملك من مال ومتاع ، أشرب بالناقة الضخمة الكبيرة ، وبالفحل الكبير . وكم شهدت من معارك ، تخفق الرايات فيها فوق الأمير ، فلم يكن همى المغانم ، حين يقتسم الناس الأسلاب .

ولم تكن النساء والحروب هى كل ما يصبو إليه قلب الأعشى فى شبابه ، فقد كان يعشق الطبيعة ويتذوق جمالها .

(٣٣ــ٣٥) فهو يلفت صاحبه إلى البرق ، يلمع ضوءه بين الجبلين ، فيثير إعجابه ، حين تنشق السحب عن بريقه اللمَّاح ، وقد سدت الآفاق ، وأقامت لا تبرح فى السماء ، مُرْعِدة مدوِّية . وكأنها وقد تجمعت متكاثفة متراكبة ، قطيع من النعام ، تهدل ريشه معلقا فى الفضاء .

ويعود الأعشى إلى نفسه ، بعد هذا الحلم الطويل الجميل ، ليتعزى فى شيخوخته بأخبار من مضى وفات من أصحاب الجاه والسلطان ، فيقول :

(٢٦ــ٣٢) ألم تر قصر (رَيْمَان) العظيم ، وقد أمسى خاويا مخرب البنيان . تسكنه الثعالب بعد قومه الناعمين الكرام ، وقد كانوا شعبا منظما ، يدبر أمرهم ملك قوى ، يرجون ثوابه ، ويتقون العقاب . تداولته الفُرْس بعد الحُبْش ، حتى هدموا بابه . فتراه وقد تداعت شرفاته ، وانسحقت مختلطة بالتراب . ويا ربما كان فى عزٍّ مقيم ، ورَغَدٍ من العيش لا يَرِيم .

٢٥— .... ـابُهْ

٢٦— يَا مَنْ يَرَى رَيْمَانَ أَمْ   سَى خَاوِيًا خَرِبًا كِعَـابُهْ

٢٧— أَمْسَى الثَّعَالِبُ أَهْلَهُ   بَعْدَ الَّذِينَ هُمُو مَآبُهْ

٢٨— نْ سُوقَةٍ حَكَمٍ وَمِنْ   مَلِكٍ يُعَدُّ لَهُ ثَوَابُهْ

٢٩— بَكَرَتْ عَلَيْهِ الْفُرْسُ بَعْـ   ـدَ الْحُبْشِ حَتَّى هُدَّ بَابُهْ

٣٠— فَتَرَاهُ مَهْدُومَ الْأَعَا   لِي وَهْوَ مَسْحُولٌ تُرَابُهْ

٣١— وَلَقَدْ أَرَاهُ بِغِبْطَةٍ   فِي الْعَيْشِ مُخْضَرًّا جَنَابُهْ

٣٢— تَخْوَى وَمَا مِنْ ذِي شَبَا   بٍ دَائِمٍ أَبَدًا شَبَابُهْ

٣٣— بَلْ هَلْ تَرَى بَرْقًا عَلَى الْـ   ـجَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهْ

٣٤— مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي   زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهْ

٣٥— مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا   لَمَّا دَنَا قَرِدًا رَبَابُهْ

٣٦— وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الْـ   ـأَمَانَ مَوْرُودًا شَرَابُهْ

٣٧— بِالصَّحْنِ وَالْمِصْحَاةِ وَالْـ   إِبْرِيقِ يَحْجُبُهَا عِلَابُهْ

٣٨— فَأَذَا تُحَاسِبُهُ النَّدَا   مَى لَا يُعَدِّينِي حِسَابُهْ

(٢٦ – ٢٧) ريمان قصر من قصور اليمن القديمة كان فى ظفار . وغيمان (ولعله هو المقصود ، فانت الغين راء) قصر من قصور اليمن ، كانت تدفن فيه ملوكهم وعظماؤهم ، وكان فيه حائط مدور فيه كوي تتم الشمس كل يوم فى كوة منها (الاكليل ٨ : ٧٨) . كعاب جمع كعبة ، وهى الغرفة أو كل بيت مربع . مآبه ساكنوه الذين كانوا يقطنونه ويؤوبون إليه أى يرجعون .

(٢٨ — ٣٠) السوقة الرعية من الناس ، للواحد والجمع . رجل حكم مسن ، وحكمه حكما (بفتح الحاء) منعه من الفساد . والمعنى لايستقيم إلا بأن تكون حكم بمعنى محكومين . الثواب الجزاء على الأعمال خيرها وشرها . يعد ثوابه أى يرجى ويتقى من عد الدراهم أى أحصاها وحسبها . بكرت عليه أسرعت إليه وأصله من البكور وهو أول الصبح . حتى هد بابه ، ذلك لأن وهريز الفارسى لما عزم الحبشة جاء بالعلم فلم يدخل من الباب ، فتطير أن يدخل العلم منكوساً فأمر بهدم الباب . مسحول من سحله أى سحقه ونشره ونحته .

(٣١ — ٣٤) مخضر الجناب رغد العيش . والجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . خوي سقط وتهدم . انجاب الثوب انشق . وانجابت السحابة انكشفت وانقطعت . الأكناف النواحى . الزجل الصوت الحاد المرتفع . أرب بالمكان أقام .

(٣٥ — ٣٨) قرداً مجتمعا ، تقرد الشعر والصوف تلبد واجتمع . الرباب السحاب الأبيض ، وهو كذلك الجماعة . التاجر بائع الخمر . الأمان (كرمان) المؤتمن الذى يوثق به ، فهو لا يقدم إلا أجود الخمر . الصحن القدح الضخم ، والقصعة الصغيرة . المصحاة قدح من فضة يشرب به . العلاب (بكسر العين) جمع علبة (بضم العين) ، وهو قدح ضخم من خشب ، أو من جلود الابل يوطر حولها قضيب . عداه عن الأمر صرفه وشغله . أى أنه لا يبالى أن يحاسبه فهو سخى يبذل فى شربها . حسابه مصدر حاسبه .

ويختم هذا القصص القصير متعزيا معتبرا ، بقوله .

خوى ذلك القصر العظيم متهدما خربا . وكذلك يصير كل شىء إلى زوال ، ولا يدوم لذى الشباب شباب .

ثم يختم الأعشى قصيدته ، بذلك الممدوح الكِنْدِىّ المجهول (ربيعة بن حَبْوَة) فيقول :

(٤٢—٤٤) دع عنك كل ذلك ، وقل لآل (كِنْدَة) : خبرونى عن (ابن كَبْشَة) ، ماذا نقمتم عليه ، وما الذى كنتم تعيبونه فيه ؟ إن الرزء الفادح لهو مثل ذلك اليوم، الذى فارق فيه (حَبْوَةَ) أصحابُه، وتخلوا عنه فى القتال ، حتى نهب متاعه ، وهدمت خيامه الضخمة ، فاندفعت ريح المسك من داخلها، فوّاحة تعطر الجو .

(٤٥—٤٩) من ذا يبلغنى ابنه (ربيعة) ، وله فى رقبتى دَيْنٌ لا أنساه له مدى الدهر . إنى إن أتيته لم يَجْفُنى عطاؤه ، ولم يتجاوز ناقتى ثوابُه . وإن يكن كريما ابن كريم ، فأنما يرجع كل كريم إلى معدنه ، ويَصْدُرُ عن أصله ومنبته .

٣٩— بِالْبَازِلِ ٱلْكَوْمَاءِ يَنْـ بَعُهَا الَّذِى قَدْ شَقَّ نَابُهْ
٤٠— وَلَقَدْ شَهِدْتُ ٱلْجَيْشَ تَخْـ فِقُ فَوْقَ سَيِّدِهِمْ عُقَابُهْ
٤١— فَأَصَبْتُ مِنْ غَيْرِ الَّذِى غَنِمُوا إِذِ اقْتُسِمَتْ نِهَابُهْ
٤٢— بَلْ آلَ كِنْدَةَ خَبِّرُوا عَنِ ٱبْنِ كَبْشَةَ مَا مَعَابُهْ
٤٣— إِنَّ الرَّزِيئَةَ مِثْلُ حَبْـ وَةَ يَوْمَ فَارَقَهُ صِحَابُهْ
٤٤— بَادَ ٱلْعَتَادُ وَفَاحَ رِيـ حُ ٱلْمِسْكِ إِذْ هُجِمَتْ قِبَابُهْ
٤٥— مَنْ ذَا يُبَلِّغُنِى رَبِيـ عَةَ ثُمَّ لَا يُنْسَى ثَوَابُهْ
٤٦— إِنِّى مَتَى مَا آتِهِ لَا يَجْفُ رَاحِلَتِى ثَوَابُهْ
٤٧— .... ——————— ـابُهْ
٤٨— .... لِجَـ لِيسِهِ وَلَا يُخْشَى شِغَابُهْ
٤٩— إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱبْنَ ٱلْكَرِيـ مِ لِكُلِّ ذِى كَرَمٍ نِصَابُهْ

(٣٩ — ٤١) بالبازل . أى أنه يشرب بثمن البازل ، وهى الناقة الكبيرة التى بزل نابها ، وذلك فى السنة التاسعة من عمرها . الكوماء الضخمة . الذى شق نابه الفحل الكبير من الابل فى سن التاسعة كذلك . شهد حضر . العقاب (بضم العين) الراية . النهاب الغنائم ، جمع نهب (بفتح فسكون) .

(٤٢ — ٤٥) ابن كبشة هو الممدوح . ما معابه ما عيبه . الرزيئة المصيبة . حبوة أبو الممدوح (ربيعة بن حبوة) . فارقه صحابه ، تخلوا عنه فى القتال . هجم البيت هدمه . العتاد كل ما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب .

(٤٦ — ٤٩) لا يجفوها ثوابه ، أى لاينحرف عنها ولا يتعداها . الشغاب ،صدر شاغب ، أى أنه مأمون الشر . النصاب الأصل والمرجع . وخبر إن جملة (لكل ذى كرم نصابه) .

اختلف الرواة فى هذه القصيدة ، هل هى فى مدح قيس بن معديكرب ، أم هى فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وروى البيت (٣٠) على وجهين (تؤم إياسا) و (تيمم قيسا) . وليس فى القصيدة ما يرجح أحد الوجهين . فالقصيدة أشبه بمدائح الأعشى لقيس بن معديكرب ، فى أسلوبها الذى يعتمد فى المدح على تعديد ما يهب الممدوح ، وعلى العناية بإبراز صفة الكرم بنوع خاص . ثم هى من ناحية أخرى ملآى بالألفاظ الفارسية ، وتصوير بيئات الخمر ، مما يناسب مدح إياس ، الذى كان واليا للفرس على العراق . وقد تقدم للأعشى فى مدح إياس القصائد : ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ وسيجىء فى مدحه القصيدة ٧٩ . أما قيس بن معديكرب ، فقد مدحه الأعشى فى القصائد : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وسيجىء بعد ذلك قصيدتان ، ٦٨ ، ٧٨ .

(١ — ٢) بدأ الأعشى قصيدته بذكر (قُتَيْلة) أحب صواحبه إليه ، وأكثرهن ترددا فى غزله ، فقد طاف به خيالها ، بعد أن تراخى ما كان بينهما من ود وانقطع ، فبات مشرد الفكر ذاهلا ، كشاربٍ بعد النوم خمرًا سلسة ، كأنها عصارة (العَنْدَم) الحمراء .

وكأن الأعشى لم يذكر صاحبته إلا ليتوسل بها إلى الخمر ، فما هو إلا أن يَعْرِض له هذا التشبيه ، حتى يمضى فى وصف هذه الخمر إلى غير عودة لـ (قُتَيْلة) . فيقول :

(٣ — ٧) إذا ثقب سِداد الدَّن الأسود ، فسالت منه الخمر ، سطعت رائحتها فوّاحة قوية . يقف الخمّار من دونها لا يبرحها ، كأنه الحارس الذى يحرص على كنزه ، فإذا ذُبح الدَّن فسالت منه ، راح يتمتم ويهمهم مثنيا عليها مباركا . وكيف لا يفعل وهى خلاصة خمر (بابل) ، مما سال وتحلّب قبل أن تعصر ، فكأنها فى دنّها المسدود بالختام ، قد مُزجت بالعنبر والمسك . يطوف بها الساقى وقد علق فى أذنيه لؤلؤتين ، يسرع فى رشاقة ليلبى النداء ، وقد شد على فمه وأنفه خرقة بيضاء . يحمل الكأس والإبريق ، وتبدو الخمر حين يصبها فى طاسه الفضى ، كأنها قد مزجت بعصارة شجر (البَقَّم) الحمراء .

(٨ — ١٢) ويمضى الأعشى فى وصف مجلس الخمر ، وما يحيطه من أزهار ورياحين وغناء ، فيجلو لنا صورة من بيئات الخمر الفارسية المترفة فى العراق ، ويعدد ألوان الرياحين وآلات الطرب ، التى لم يعرفها العرب ، بأسمائها الفارسية ، من جُلَّسان وبَنَفْسج وسِيسِنْبَر ومَرْزَجُوش ، إلى آخر هذه الأسماء ، التى يعددها الأعشى مزهوا مباهيا ، كما يعدد القروى الساذج ألوان الطعام وأدوات اللهو والترف فى العواصم ، ليرينا أنه قد عرفها وخبرها .

شرب الأعشى الخمر ومن حوله هذه الألوان المنمقة من الرياحين ، فى عيد (الهِنْزَمْن) ، حتى تعتعه السكر . وشربها فى كل يوم غائم ، حين يحلو الشراب فى جوه الرطيب المثير . وشربها على نغمات (الوَنّ) و (البَرْبَط) ، يصحبهما جَرْس (الصَّنْج) الرنان . ومن حوله ندماء ظرفاء ، صفت قلوبهم ، وتآلفت نفوسهم . وكلهم يجله ويعظمه .

وقال يمدح إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِيّ (ورُوِيَتْ فِي مَدْحِ قَيْسِ بْنِ مَعْدِيكَرِب)

١ — أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَ مَا ... وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا (طويل)

٢ — فَبِتُّ كَأَنِّى شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ ... سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

٣ — إِذَا بُزِلَتْ مِنْ دَنِّهَا فَاحَ رِيحُهَا ... وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ أَسْوَدِ ٱلْجَوْفِ أَدْهَمَا

٤ — لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا ... إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا

٥ — بِبَابِلَ لَمْ تُعْصَرْ فَجَاءَتْ سُلاَفَةً ... تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكًا مُخَتَّمَا

٦ — يَطُوفُ بِهَا سَاقٍ عَلَيْنَا مُتَوَّمٌ ... خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزَالُ مُفَدَّمَا

٧ — بِكَأْسٍ وَإِبْرِيقٍ كَأَنَّ شَرَابَهُ ... إِذَا صُبَّ فِي ٱلْمِصْحَاةِ خَالَطَ بَقَّمَا

٨ — لَنَا جُلَّسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ ... وَسِيسَنْبَرٌ وَٱلْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا

٩ — وَآسٌ وَخِيرِيٌّ وَمَرْوٌ وَسَوْسَنٌ ... إِذَا كَانَ هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّمَا

١٠ — وَشَاهَسْفَرَمْ وَٱلْيَاسَمِينُ وَنَرْجِسٌ ... يُصَبِّحُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغَيَّمَا

١١ — وَمُسْتَقُ سِينِينٍ وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ ... يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَنَّمَا

١٢ — وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَا ضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ ... وَقَدْ جَعَلُونِي فَيْسَحَاهَا مُكَرَّمَا

(١ — ٤) ألم زار زيارة قصيرة. وهى ضعف . تصرم انقطع . السخام والسخامى والسخامية الخمر السلسة اللينة الهمز فى الحلق . شعر سخام لين . العندم شجر أحمر . بزل الخمر ثقب إناءها بالمبزل . أسود الجوف هو الدن ، لأنه مطلى بالقار (الزفت) . أدهم أسود . ذبحت أى ثقب إناؤها فسالت منه كما يسيل دم الذبيح . زمزم العلوج تراطنوا على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ، ولكنه صوت يديرونه فى خياشيمهم فيفهم بعضهم عن بعض. صلى عليها أثنى عليها وباركها .

(٥ — ٦) بابل مدينة قديمة كانت تبعد عن بغداد بثلاثة وتسعين كيلو مترا . وقد بلغت أوج عظمتها فى عهد بختنصر سنة ٦٠٤ ق . م . ثم خربها دارا . ثم فتحها الاسكندر المقدونى ومات بها سنة ٣٠٤ ق . م . والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . السلافة ما تحلب وسال قبل العصر وهو أجود الخمر . القند (بفتح القاف) والقنديد (بكسرها) عسل قصب السكر (فارسى معرب) والقنديد كذلك العنبر والكافور ، والمسك طيب يتخذ من دم الغزال . ختم الاناء سده بالطين ونحوه . متوم قد وضع فى أذنيه تومتين ، والتومة (بضم التاء) اللؤلؤة . ذفيف مسرع . مفدم قد شد على أنفه وفمه خرقة بيضاء .

(٧ — ٩) المصحاة قدح من فضة يشرب به . البقم شجر ساقه أحمر يصبغ به . الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش أنواع من الورود والرياحين ، وكلها أسماء فارسية معربة . نمنمه زخرفه ونقشه وزينه . الآس والخيرى والمرو والسوسن كلها أنواع من الرياحين . الهنزمن عيد من أعياد النصارى (معرب) . مخشم سكران شديد السكر . خشمه الشراب (بالتشديد) تثورت رائحته فى خيشومه فأسكرته .

(١٠ — ١٢) الشاهسفرم والياسمين والنرجس انواع من الرياحين . يوم دجن غائم كثير المطر ، والدجن أن يسد الغيم أقطار السماء . المستقة آلة يضرب عليها (معرب) . الون ضرب من آلات الطرب الوترية . البربط هو المزهر أو العود ، وكلها فارسى الأصل . الصنج دوائر من النحاس تثبت فى أطراف الأصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية . فيسحاه ، لم أعثر لها على أصل . وفى المعاجم : هو يمشى الفيسحى أى يباعد فى خطوه .

فاذا أشبع الأعشى رغبته فى المباهاة بهذه الألوان الأعجمية المترفة ، انتقل إلى المباهاة بلون آخر من صميم الحياة العربية ، وهو الجرأة على اقتحام الصحراء . فيقول :

(١٣ — ١٦) دع عنك كل ذلك ، وتعال معى إلى الصحراء . كم من تيه رملى يضل فيه السالك ، قد قطعته فوق ناقتى الضامرة ، فى ظلام الليل البهيم . فأنا أخوض الصحراء بناقة سريعة جريئة ، كأنها الجمل الفحل ، حين يتزود الراكب لرحلته الطويلة بالماء ، ويلوث عمامته فوق رأسه ، متهيئا لما هو مقبل عليه من أمر . ترى عينها منحرفة فى جنب مؤقها : تراقب فى كفى سوطا يابسا لم يمس جلدها قبلين . وكأنها إذ تحمل رَحْلى المكسو بالجلد والوسائد ، وقد نال منها الكلال ؛ ثورٌ أفطس الأنف أسْفَع الخد ، قد هزله الجوع .

ثم يمضى الأعشى مستطردا إلى هذه القصة التقليدية الطويلة ، قصة الثور فى كفاحه المر العنيف . وهى صورة مكررة معادة فى الشعر الجاهلى ، قلما يتغير فيها الخيال أو الألفاظ ، وقد مرت بنا هذه الصورة منذ قليل فى القصيدة (٥٢) . ولها نظائر فى شعر امرىء القَيْس ، والنابغة الذُّبْيانى ، وأوْس ، والمُتَلَمِّس ، والمُثَقَّب العَبْدى ، وأبى ذُؤَيب الهُذَلى ، والنابغة الجعدى .[١]

يقول الأعشى :

(١٧ — ٢٠) كأن ذلك الثور ، فى ظهره الأبيض وجسمه الأسود ، قد لبس ثوبا ناصعا ، من تحته جلد قاتم ، صبغه رَجُلٌ صَنَاعٌ بصبغ (العِظْلِم) الأسود . بات هذا الثور ليلته ظمآن طاويا ، يديم النظر إلى السماء ، كأنه يبارى رهطا بعدت أرضهم عن الكلأ والماء ، فصاموا عن الطعام والشراب . يلجأ إلى شجرة (أرْطَى) فى منعرج الرمال ، تعصف من حوله ريح شمالية هوجاء ، فتترك وجهه أغبر قاتما . وأكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه ، يحفر فيها بيتا يؤويه ، فى هذا الموضع المكشوف ، الذى تنهال رماله غير متماسكة .

(٢١ — ٢٣) فلما أضاء الصبح ، قام من وكره مبادرا ، وقد حان انطلاقه من حيث أقام . فصبَّحته كلابُ (عوف ابن أرقم) الصائد ، عند شروق الشمس فى الصباح المبكر . وكان ذلك الصياد يقودها إلى جنبه ،

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٠٠ و ديوان النابغة الذبيانى ص ٢٩ ، ٢٠٦ (مطبعة الهلال ١٩١١) ، وشعراء النصرانية ص ٣٤٥ ، ٤٠٣ وجمهرة أشعار العرب ص ١٠٦ ، ٢٢٦ ، ٣٠٢ (المطبعة الرحمانية ١٩٢٦) .

١٣— فَدَعْ ذَا وَلَكِنْ رُبَّ أَرْضٍ مُتِيهَةٍ   قَطَعْتُ بِحُرْجُوجٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
١٤— بِنَاجِيَةٍ كَالْفَحْلِ فِيهَا تَجَاسُرٌ   إِذَا الرَّاكِبُ النَّاجِي اسْتَقَى وَتَعَمَّمَا
١٥— تَرَى عَيْنَهَا صَغْوَاءَ فِي جَنْبِ مُؤْقِهَا   تُرَاقِبُ فِي كَفِّي الْقَطِيعَ الْمُحَرَّمَا
١٦— كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالْفِتَانَ وَنُمْرُقِي   عَلَى ظَهْرِ طَاوٍ أَسْفَعِ الْخَدِّ أَخْثَمَا
١٧— عَلَيْهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ   أَرَنْدَجَ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلِمَا
١٨— فَبَاتَ عَذُوبًا لِلسَّمَاءِ كَأَنَّمَا   يُوَائِمُ رَهْطًا لِلْعَزُوبَةِ صُيَّمَا
١٩— يَلُوذُ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ   خَرِيقُ شَمَالٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا
٢٠— مُكِبًّا عَلَى رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَهَا   عَلَى ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَمَا
٢١— فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ قَامَ مُبَادِرًا   وَحَانَ انْطِلَاقُ الشَّاةِ مِنْ حَيْثُ خَيَّمَا
٢٢— فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً   كِلَابُ الْفَتَى الْبَكْرِيِّ عَوْفِ بْنِ أَرْقَمَا
٢٣— فَأَطْلَقَ عَنْ مَجْنُوبِهَا فَاتَّبَعْنَهُ   كَمَا هَيَّجَ السَّامِي الْمُعَسِّلُ خَشْرَمَا
٢٤— لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُ   وَجَشَّمَ صَبْرًا رَوْقَهُ فَتَجَشَّمَا
٢٥— وَأَنْحَى عَلَى شُؤْمَى يَدَيْهِ فَذَادَهَا   بِأَظْمَأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا

(١٣ — ١٥) متيهة صحراء مضلة . حرجوج ناقة ضامرة . ناجية سريعة . تعمم كور العمامة على رأسه . صغواء مائلة ، لعلها صغا أي مال . المؤق طرف العين مما يلى الأنف . القطيع السوط . جلد محرم لم يدبغ ، وسوط محرم لم يمرن ، لانه لا يحتاج لضربها .

(١٦ — ١٧) الرحل للابل كالسرج للخيل ، وهو الخشب المشدود الذى يركب فوقه . الفتان غشاء للرحل من الجلد . النمرق وسادة صغيرة يتكأ عليها ، او هى بساط يفرش فوق الرحل . طاو جائع . السفعة سواد يضرب للحمرة . الخثم عرض الأنف وغلظه . يقصد تشبيه ناقته بثور الوحش . الديابوذ ثوب ينسج على نيرين . تسربل لبس . الارندج جلد أسود . الاسكاف الصانع الحاذق . العظلم نوع من الشجر يستخرج منه صبغ أسود يخضب به الشعر . يصور بذلك ثوراً أبيض الظهر قوائمه سوداء .

(١٨ — ٢٠) عذب الرجل (كضرب) ترك الأكل من شدة العطش ، فهو عاذب وعذوب . واءمه وافقه أوباهاه وصنع مثل صنيعه . العزوبة الأرض البعيدة المضرب إلى الكلأ . يلوذ يلجأ . الارطى شجر ضخم ينبت فى الرمال ، واحدته أرطاة . الحقف من الرمل ما اعوج وانعطف ، جمعه أحقاف . الخريق الريح الشديدة الهبوب . الشمال ريح باردة تهب من الشام . أقتم أغبر . مكبا مطأطئاً رأسه يحفر هذه الارطاة ليتخذ فيها كناسا يأوى إليه . روقه قرنه . على ظهر عريان الطريقة أى على ظاهر الطريق . أهيم منهار لا يتماسك ، صفة (عريان الطريقة) .

(٢١ — ٢٥) مبادرا من كناسه . الشاة الثور . خيم أقام . غدية تصغير غدوة (بضم فسكون) ، وهى البكرة أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . البكرى نسبة إلى قبيلة بكر (قوم الاعشى) . جنب الدابة والبعير (كنصر) قادها إلى جنبه . السامى الذى يسمو فى الجبل . المعسل الذى يجمع العسل . الخشرم جماعة النحل والزنابير . لدن غدوة (بالنصب) كذلك جاءت فى النص ، نصبها على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف ، والتقدير لدن غدا غدوة . أنحى اعتمد ، أنحى البعير اعتمد فى سيره على أيسره . اليد الشؤمى أي اليسرى . أظمأ أسمر ذابل . الفرع الشعر . الذؤابة شعر الناصية . أسحم أسود .

فلما رآه أطلقها عليه ، فانبعثت تتبعه ، كأنها جماعة النحل ، هَيَّجها جامع العسل الذى يرتقى فى طلبه الجبال .

(٢٤ ـ ٢٨) وظلت تطارده منذ الصباح المبكر حتى أقبل الليل . فلم يجد بدا من الثبات ، وجَشَّم قَرْنه ـ وهو سلاحه ـ الصبرَ على القتال ، فتجشَّمه . واعتمد على يده اليسرى ، وراح يذودها عن نفسه ، بقَرْن ذابل محدَّد ، أشد سوادا من خصلة الشعر . وأقبل عليها ، يهز قرنه حين يدفعه فى صدرها ، كما يشك الجرادَ صائدُه وقد نظمه فى العُود . وانقلب بعد أن قتلها وقد أشرق وجهه ، فكأنه كوكب (الشِّعْرَى) ، وقد دخل فى أرض سوداء جرداء ، يعانى حرها الملتهب الشديد .

وتنتهى هذه القصة المثيرة إلى غايتها المرجوة ، وقد تحقق لبطلها الظفر ، بعد كفاح طويل مرير . فيعود الشاعر إلى ناقته من حيث تركها ليقول :

٢٩ ـ ذلك الثور المكافح الجسور ، أشبهُ شىء بناقتى ، وقد أجهدتها الرحلة ، تتجشم أهوالها ، حين يأوى الثور إلى وكره ، منكمشا لا يجرؤ على الخروج .

وقد تحملت الناقة كل هذه المشاق فى طريقها للمدوح .

(٣٠ ـ ٣٢) فهى تقصد (إياسا) ، الذى أيده الله بالعزة والكرامة مدى الدهر . وقد أعلى الله مكانه فوق كل قبيلة ، ورث السؤدد أباً عن أب ، فهو يأبى الدنية أينما تكون . لم يتورط يوما فى مَنْقَصَة تورثه العار ، فيُظلِم وجهُه من خجل ، فليس هو بالهيَّابة الذى يركب العجز ، وليس بالآثم الذى يَقْرَب الشر .

(٣٣ ـ ٣٦) ولو أن العز فى رأس صخرة ملساء ، تَزِلُّ فيها حوافر الوعل المحجَّل ، لأعطاك الله مفتاح بابها ، أو أعطاك سلما تَرْقَى به إليها . وليس نيل مصر إذا التطمت أمواجه ، ولا الفرات إذا طغت مياهه ، بأجود منه عطاء . ـ وإن بعض الناس ليصد معرضا إذا سئل المعروف ـ

(٣٧ ـ ٤١) فهو الذى يهب للمستجير به الإبل الضخمة الغزيرة اللبن ، كأنها الشجر الضخام ، أو النخيل أثقلته الثمار . ويهب كل فرس أدكن طويل الظهر كأنه القناة ، وكل جواد أسود وثاب ، مفتول العضلات كأنه الهِرَاوة ، وكلَّ سريع عتيق من الخيل كأنه القناة ، ناعم الجلد ، يجيش حين يعدو لوجهه ،

٢٦— وَأَنْحَى لَهَا إِذْ هَزَّ فِي الصَّدْرِ رَوْقَهُ ‏ كَمَا شَكَّ ذُو الْعُودِ الْجَرَادَ الْخُزَّمَا
٢٧— فَشَكَّ لَهَا صَفْحَاتِهَا صَدْرُ رَوْقِهِ ‏ كَمَا شَكَّ ذُو الْعُودِ الْجَرَادَ الْمُنَظَّمَا
٢٨— وَأَدْبَرَ كَالشِّعْرَى وضوحًا وَنُقْبَةً ‏ يُوَاعِسُ مِنْ حَرِّ الصَّرِيمَةِ مُعْظَمَا
٢٩— فَذَلِكَ بَعْدَ الْجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِي ‏ إِذَا الشَّاةُ يَوْمًا فِي الْكِنَاسِ تَجَرْثَمَا
٣٠— تَؤُمُّ إِيَاسًا إِنَّ رَبِّي أَبَى لَهُ ‏ يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا عِزَّةً وَتَكَرُّمَا
٣١— نَمَاهُ الْإِلَهُ فَوْقَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ‏ أَبًا فَأَبًا يَأْبَى الدَّنِيَّةَ أَيْنَمَا
٣٢— وَلَمْ يَنْتَكِسْ يَوْمًا فَيُظْلِمَ وَجْهُهُ ‏ لِيَرْكَبَ عَجْزًا أَوْ يُضَارِعَ مَأْثَمَا
٣٣— وَلَوْ أَنَّ عِزَّ النَّاسِ فِي رَأْسِ صَخْرَةٍ ‏ مُلَمْلَمَةٍ تُعْيِي الْأَرَحَّ الْمُخَدَّمَا
٣٤— لَأَعْطَاكَ رَبُّ النَّاسِ مِفْتَاحَ بَابِهَا ‏ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَابٌ لَأَعْطَاكَ سُلَّمَا
٣٥— فَمَا نِيلُ مِصْرَ إِذْ تَسَامَى عُبَابُهُ ‏ وَلَا بَحْرُ بَانِقْيَا إِذَا رَاحَ مُفْعَمَا
٣٦— بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ ‏ إِذَا سُئِلَ الْمَعْرُوفَ صَدَّ وَجَمْجَمَا
٣٧— هُوَ الْوَاهِبُ الْكُومَ الصَّفَايَا لِجَارِهِ ‏ يُشَبَّهْنَ دَوْمًا أَوْ نَخِيلًا مُكَمَّمَا
٣٨— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَالْقَنَاةِ مَحَالُهُ ‏ وَكُلَّ طِمِرٍّ كَالْهِرَاوَةِ أَدْهَمَا

(٢٦ — ٢٨) أنحى لها قصد إليها وأقبل عليها . خزم اللؤلؤ (كضرب) شكه ونظمه . البيت (٢٧) مكرر مع ما قبله . والمرجح أنه رواية أخرى له ، مع تغيير طفيف . أدبر أعرض أى بعد أن قتلها . الشعرى كوكب . النقبة اللون ، وهى كذلك الوجه . يواعس يدخل فى الوعاس (بكسر الواو) وهى الأرض الصلبة ، أو بياض فى الأرض الصلبة : أو بياض فى الأرض لا ينبت شيئًا . الصريم الأرض السوداء لا تنبت شيئاً . المعظمة النازلة الشديدة ، ومعظم الشىء أكثره ، والجمع معاظم (كمساجد) .

(٢٩ — ٣٢) الشاة الثور . الكناس بيته فى أصول الأشجار . تجرثم دخل فى كناسه ، ومعناه فى الأصل اجتمع ، وجرثومة الشىء أصله ، وجرثومة النمل قريته وبيته . تؤم إياساً ، روى أيضاً (تيمم قيسا) للذين رووها فى مدح قيس بن معديكرب . نماه رفعه . انتكس وقع على رأسه ، وانتكس المريض عادته العلة بعد النقه ، والمقصود هنا أنه لم يقع فى خطأ ، ولم يرتكب ما يشين . ليركب ، متعلق بـ (ينتكس) . ضرع من الشىء (كنصر) دنا منه . ضرعت الشمس وضارعت دنت للمغيب . يضارع مأثما يقارب إثما .

(٣٣ — ٣٥)ململمة مدورة مجتمعة ؛ يقصد بذلك صخرة ملساء تزلق فوقها القدم . الأرح الوعل المنبسط الظلف . المخدم الحجل الذى يستدير التحجيل بأرساغ رجليه دون يديه . والتحجيل بياض يحيط بالأرجل . بانقيا ناحية من نواحى الكوفة كانت على شاطىء الفرات .

(٣٦ — ٣٨) نائلا عطاء . صد أعرض . جمجم أحجم . الكوم جمع أكوم وكوماء وهو الضخم السنام من الإبل . صفت الناقة تصفو صارت غزيرة اللبن فهى صفية والجمع صفايا . الجار المجاور فى السكن ، وهو كذلك المستجير . الدوم ضخام الشجر . مكمم أخرج ثماره . كممت النخلة وأكمت أخرجت أكمامها (والكم هو الغلاف الذى ينشق عن الثمر) . كميت صفة لمحذوف ، يقصد فرسا كميتا ، والكمتة حمرة تضرب للسواد . المحال جمع محالة وهى الفقرة من فقار الظهر . طمر صفة لمحذوف أى جواد طمر وهو الخفيف الوثاب . أدهم أسود .

ويضرب الأرض بحوافره . وهو الذى يهب كل ناقة سريعة كأنها الفحل المكرَّم عند أصحابه ، وكلَّ جارية مترفة ، تجر ثوبها الفاخر المخطط حين تسعى إلى الحانوت .

لم يستغث بمثله فى الناس مكروب ، ليدفع عنه ظلما يَبهظه ، أو يحمل عنه مغْرَما فدَحَه .

(٥٦)

هذه القصيدة هى إحدى القصائد التى رويت للأعشى فى يوم (ذى قار) . وقد تقدم له فى هذا اليوم ثلاث قصائد (٢٦ ، ٣٤ ، ٤٠) . وقد
وى ابن إسحق بعض أبيات هذه القصيدة منسوبا لسيف بن ذى يزن الحميرى فى فتح الفرس لليمن ، حين استعان بهم على إخراج الجيش منها ،
هى الأبيات : ١ ، ٢ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ . وعقب ابن هشام على الأبيات بقوله (وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا — يعنى البيت (١٣) —
عشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له . وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له (١) . وقال ثعلب فى ديباجة القصيدة : (قال أبو عبيدة : يخلط بها
ول سيف بن ذى يزن(٢) . وغيره يقول : هى لعبد كلال الحميرى(٣) . ورواها أبو عمرو الشيبانى فى يوم ذى قار)..

ويمكننا أن نجمل رأينا فيما يلى :

١ — يرى أبو عبيدة أن الرواة قد خلطوا بين قصيدة الأعشى هذه ، وبين قصيدة أخرى من هذا البحر والروى لسيف بن ذى يزن الحميرى فأدخلوا فى قصيدة الأعشى بعض أبيات من قصيدة سيف بن ذى يزن . أما غيره فهو يروى القصيدة برمّتها لشاعر آخر من حمير ، هو عبد كلال الحميرى . والرأيان كلاهما يتفقان مع ابن إسحق فيما ذهب إليه من أن بعض أبيات القصيدة قيل فى حرب الفرس للحبش وطردهم لهم من اليمن .

٢ — يذهب أهل العلم بالشعر فى القرن الثانى الهجرى إلى أن القصيدة ليست للأعشى فيما يروى عنهم ابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ . وينفرد أبو عمرو الشيبانى بإثبات القصيدة للأعشى فى يوم ذى قار .

٣ — إذا تتبعنا أصحاب هذه الروايات لاحظنا أنهم جميعا لا يرتفعون عن مواطن الشبه . فابن هشام الذى أثبت القصيدة لسيف بن ذى يزن الحميرى من حمير . وابن إسحق وأبو عبيدة وأبو عمرو كلهم موالي وهم متعاصرون . أما ابن إسحق فقد كان أجهل الناس بالشعر ، على علمه بالحديث والمغازى . وأما أبو عبيدة فقد عرف بكرهه للعرب وتحامله عليهم ، فهو يكره أن يروى هذا الشعر فى انتصار العرب على الفرس. وأما أبو عمرو فقد جاور بنى شيبان حتى نسب إليهم ، فغير بعيد أن يجامل شيبان برواية هذا الشعر . وخصوصاً إذا لاحظنا أن القصيدة تنسب لشيبان وحدها شرف هذا اليوم ولا تشير إلى أي فرع آخر من فروع بكر التى اشتركت فى القتال ، بل إنها تخلو من الاشارة إلى فرع الأعشى نفسه (قيس بن ثعلبة) . ويروون عن أبى عمرو أنه كان كلما جمع شعر قبيلة فأخرجه للناس ، كتب بيده مصحفا وجعله بمسجد الكوفة ، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا . أتراه كان يكفر بذلك عن كذب كثير ؟.

٤ — القصيدة من مجزوء الوافر . وهو بحر غريب على شعر الأعشى ، لم يرو له فيه غير هذه القصيدة .

٥ — البيتان (١ ، ٢) غامضان ، فلسنا نعرف من يعنى بالملكين اللذين قد التأما . وصلة البيتين ببقية القصيدة غير واضحة وغير مفهومة .

٦ — البيت (٢٢) من هذه القصيدة يناقض البيت (١٩) من القصيدة (٦٢) . فهو يقول هنا:

صبحناهم بنشاب كفيت قعقع الأدما

فقوم الأعشى هنا يقاتلون بالنشاب . بينما يقول فى القصيدة (٦٢) :

إذا أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا ببيض فظل الهام يختطف

فالفرس هنا هم الذين يقاتلون بالنشاب فيجيبهم قوم الأعشى بالسيوف .

ثم إن تلقيب (الهامرز) بـ (القيل) فى البيتين (١٢ ، ١٩) غريب . فالذين كانوا يلقبون بهذا اللقب هم ملوك اليمن .

ومن مجموع هذه الظروف والملابسات ، نستطيع أن نقول: إن من حق الباحث أن يتردد فى نسبة هذه القصيدة للأعشى . بل إن من واجبه أن يستبعدها حين يدرس هذا الشعر ليستنتج منه شيئا يتعلق بفن الأعشى أو تاريخ عصره .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٦ .

(٢) سيف بن ذى يزن هو الذى استنصر بالفرس فى استنقاذ اليمن من الحبشة ، فأعانوه حتى ملك اليمن . وكان يسكن قصر غمدان فى صنعاء . وقد جاءته وفود العرب مهنئة . وكان فيمن وفد عليه وفد الحجازيين يرأسه عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم . (الأغانى ج ١٦ ص ٧٥ - ٧٧)

(٣) هو عبد كلال بن داذ بن أبى جمد . وهو جد وضاح اليمن الشاعر ، الذى قتله الوليد بن عبد الملك ، لتشبيبه بزوجته أم البنين ، بنت عبد العزيز بن مروان . وقد اختلف فى نسبه ، فزعم قوم أنه من أصل فارسى ، وأنه من جنود الفرس الذين غزوا مع سيف بن ذى يزن . وقال آخرون إنه من قبيلة حمير (بكسر فسكون) .

٣٩ــ وَكلِّ مِزَاقٍ كَٱلْقَنَاةِ طِمِرَّةٍ وَأَجْرَد جَيَّاشَ ٱلْاجَارِىِّ مِرْجَمَــا
٤٠ــ وَكُلِّ ذَمُولٍ كَٱلْفَنِيقِ وَقَيْنَــةٍ تَجُرُّ إِلَى ٱلْحَـانُوتِ بُرْدًا مُسَهَّمَا
٤١ــ وَلَمْ يَدْعُ مَلْهُوفٌ مِنَ ٱلنَّاسِ مِثْلَهُ لِيَدْفَعَ ضَيْماً أَوْ لِيَحْمِلَ مَغْرَمَا

(٥٦)

وقال يفتخر بيوم ذى قار :

(وافر، مجزوء)

١ ــ يَظُنُّ ٱلنَّاسُ بِٱلْمَلِكَيْــنِ أَنَّهُمَا قَدِ ٱلْتَأَمَا
٢ ــ فَإِنْ تَسْمَعْ بِلَأْمِهِمَا فَإِنَّ ٱلْخَطْبَ قَدْ فَقِمَا

(٣٩ــ) المزاق (بكسر الميم) السريع . يقال فرس مزاق وناقة مزاق ، يكاد يتمزق عنها جلدها من سرعتها . طمرة خفيفة وثابة . أجرد أى فرس أجرد قصير الشعر رقيقه ، وهى من الصفات المستحسنة فى الخيل . جاشت القدر غلت ، وجاش البحر هاج واضطرب . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء) وهو الوجه الذى يأخذ فيه حين يجرى . مرجم يرجم الأرض بحوافره حين يعدو .

(٤٠ — ٤١) الذميل السير اللين . إذا ارتفع السير عن العنق (بالفتح والتحريك) قليلا فهو التزيد ، وما فوقه الذميل ، ثم الرسيم . الفنيق الفحل المكرم الذى لا يمتهن بالركوب ، وهو من الاثناف أي الترف والنعيم . البرد ثوب مخطط . مسهم قد رسمت عليه سهام . ملهوف مظلوم مكروب مستغيث . الضيم الظلم . المغرم الغرامة ، غرم الرجل الدية والدين أداها عن صاحبها ، فهو غارم .

(٥٦)

(١ — ٢) لامه فالتأم أصلحه . الخطب الداهية والأمر العظيم . فقم عظم .

يقول الأعشى :

١ — يظن الناس أن الملِكَيْن قد أصبحا فى وفاق ووئام .

٢ — فأن تسمعْ بذلك ، فأن الخطب إذن لعظيم .

٣ — تفاقم أمر الحرب بين الناس ، فهى كالفحل القوى ، قد اشتد واكتملت قواه .

٤ — وبرزت أنيابه الحادة ، يَهْدِر وقد أخرج شِقْشِقَتَه فى هياج عنيف مخيف .

٥ — جاءنا عن (بنى الأحرار) قول ظالم بعيد عن القَصْد والرشاد .

٦ — يريدون استئصالَ شأفتِنَا ، ولكنا لا نسلمهم زمامنا ولا نلين .

٧ — فالبغى بغيض تعافه النفوس ، والجهل ثقيل يجثم على الصدور .

٨ — باتوا ليلتهم ساهرين ، يدبرون ما عزموا عليه ويقدّرون .

٩ — ثم أقبلوا نحونا ، لهم جَلَبة وضوضاء تهدُّ السهل ، وترددها الجبال .

١٠ — قد لبسوا الدروع الفَضْفاضة البراقة المُحْكَمَة النسج وتمنطقوا فوقها بالحُزُم .

١١ — ....

١٢ — وجاء أميرهم (الهامَرْز) يقسم أغلظ الأيمْان ،

١٣ — ألا يذوق الخمر ، حتى يعود محمَّلا بالسبايا والأسلاب .

١٤ — فلقى الموت جاثما فى انتظاره ، ووجد (ذُهْلا) دون ما خَيَّلَتْ له نفسهُ من أوهام .

١٥ — قوم يأبون الذل ، ولا ينزلون على حكم الأعداء .

٣ — وإنَّ ٱلْحَرْبَ أَمْسَى فَحْ　　لُهَا فِي النَّـــاسِ مُحْتَلِمَا

٤ — حَدِيدًا نَابُهُ مُسْـتَدْ　　لِقًا مُتَخَمِّطًا قَطِمَا

٥ — أَتَانَا عَنْ بَنِى ٱلْأَحْرَا　　رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَمَا

٦ — أَرَادُوا نَحْتَ أَثْلَتِنَا　　وَكُنَّا نَمْنَعُ ٱلْخُطُمَا

٧ — وَكَانَ ٱلْبَغْىُ مَكْرُوهًا　　وَقَوْلُ ٱلْجَهْلِ مُنْتَحِمَا

٨ — فَبَــاتُوا لَيْلَهُمْ سَمَرًا　　لِيُسْدُوا غِبَّ مَا نَجَمَا

٩ — فَغَبُّوا نَحْوَنَا لَجِبًا　　يَهُدُّ السَّهْلَ وَٱلْأَكَمَا

١٠— سَوَابِغَ مُحْكَمَ ٱلْمَاذِ　　ىِّ شدُّوا فَوْقَهَـــا ٱلْحُزُمَا

١١— ....　　.................................. الكُتُمَا

١٢— فَجَاءَ ٱلْقَيْلُ هَـــامَرْزٌ　　عَلَيْهِمْ يُقْسِمُ ٱلْقَسَمَا

١٣— يَذُوقُ مُشَعْشَعًـــا حَتى　　يُفِيءَ السَّبْىَ وَالنَّعَمَا

١٤— فلاَقَى ٱلْمَوْتَ مُكْتَنِعًا　　وَذُهْلًا دُونَ مَازَعَمَـــا

١٥— أُبَاةَ الضَّيْمِ لَا يُعْطُو　　نَ مَنْ عَادَوْهُ مَا حَكَمَا

(٣ – ٥) الفحل الجمل والذكر من كل حيوان . احتلم الصبي أدرك وبلغ مبلغ الرجال . حديد حاد . دلق البعير شقشقته أخرجها ، والشقشقة (بكسر الشين) شيء كالرئة ، يخرجه البعير من فمه إذا هاج وهدر . تخمط الفحل هدر . قطم هائج . بنو الأحرار الفرس . الأمم (بالفتح) الواضح البين من الأمر ، والقصد والوسط .

(٦ — ٧) الأثلة شجرة طويلة . يقصد بنحت أثلتهم استئصالهم . الخطم جمع خطام (بكسر الخاء) ، وهو الحبل الذى يشد على أنف البعير ليقاد به . النحيم صوت يخرج من الجوف ، وشبه أنين فى الصدر يستريح إليه صاحبه ، كالذى يفعله الحمال إذا حمل حملا ثقيلا . والمنتحم من له زفير وزحير فى صدره .

(٨ – ٩) سمرا ساهرين يتحدثون . ليسدوا أى ليدبروا ، وأصله من تسدية النسيج وهو مد خيوطه . غب الشىء عاقبته . نجم الأمر حدث وظهر . غب الرجل جاء زائرا بعد أيام ، وغب فلان عندنا بات ، وغبا له وغبا إليه (كفتح) قصد له . جيش لجب كثيف له جلبة وضوضاء .

(١٠ – ١٢) درع سابغة فضفاضة تكسو سائر الجسد . والدرع ثوب من حديد يلبسه المقاتل حتى لا ينفذ السلاح فى جسمه . وهو منسوج من حلق قد ركب بعضها فى بعض ، وكانوا ينسجونها حلقة حلقة ، فإن أرادوا زيادة إحكامها نسجوها حلقتين حلقتين ، ويسمونها عندئذ مضاعفة . درع ماذية بيضاء . الحزم المناطق : جمع حزام . القيل الملك . هامرز من قواد الفرس فى ذلك اليوم ، ولم يكن ملكا ، ولكنه قصد بالقيل الرئيس . وروى (قيل الناس وهرز مقسم قسما) وذلك لمن روى هذه الأبيات لسيف بن ذى يزن فى فتح الفرس لصنعاء ، حين استجار بهم واستنصرهم على اليمن . وهرز هو أمير جيش الفرس الذى غزا اليمن وفتح صنعاء (السيرة ج ١ ص ٦٦).

(١٣ – ١٥) المشعشعة الخمر التى مزجت بالماء . فاء الغنيمة وأفاءها أخذها واغتنمها . السبى الأسرى من النساء . النعم (بالفتح) الابل . يذوق أى أقسم ألا يذوق الخمر حتى ينتصر . كنع واكتنع تقبض وانكمش . وذهلا أى ولا قى ذهلا ، وهم ذهل بن شيبان بن بكر ، وكانوا أحسن الناس بلاء فى يوم ذى قار . حكم قضى ، أى لا يعطونه ما أراد .

١٦ — شمخت رءوسهم عزا ، فما ينقادون لغاشم ظلوم .

١٧ — تحملهم الجياد الجُرْد المُعْلَمَة ، عوابسَ تلوك اللُّجُم فى ثورة واهتياج .

١٨ — وقد أحاطت بها الرماح الصلبة الذابلة ، كأنها أجمة كثيفة الأشجار .

١٩ — قتلنا أميرهم (الهامَرْز) وروَّينا كثبان الرمال بالدماء .

٢٠ — وكم من سَبِيَّة تُقَطِّع قلبَها الحسرات ، قد أنزلتها الرماح على حكمها ، فأصبحت تحت رجل من أبطالنا الشجعان .

٢١ — صَبَحْناهم شرابا ينصبُّ عليهم انصباب اللبن من الناقة الحَلُوب .

٢٢ — صَبَحْناهم بالسهام ، تنطلق مسرعة ، فيُسْمَع لوقعها فى جلودهم طنين .

٢٣ — فَدَتْ أُمّى بنى (ذُهْل) ، إذ يتتابعون على راية الفرس فى هذا الموقف المشهود .

٢٤ — فدتهم أمى جزاء ما كانوا يضربون فوق الخُوَذِ المحبوكة ، حتى حطموا الفرس شر تحطيم .

٢٥ — ....

٢٦ — بمثلهم يومَ القتال ينجلى العزُّ والمجد وضَّاء له بريق .

٢٧ — تجلوه كتائبُ بنى (ذُهْل) وقد انتظمت عليها الدروع .

٢٨ — لقى بهم الفرس رجالا أباة غضابا ، قاتلوا حتى تم لهم النصر

١٦— أَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عِزًّا   فَمَا يُعْطُونَ مَنْ غَشَمَا

١٧— عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ   عَوَابِسَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

١٨— تَخَالُ ذَوَابِلَ ٱلْخَطِّـ   ىِّ فِي حَافَاتِهَا أَجَمَا

١٩— قَتَلْنَا ٱلْقِيلَ هَامَرْزًا   وَرَوَّيْنَا ٱلْكَثِيبَ دَمَا

٢٠— أَلَا يَا رُبَّ مَا حَسْرَى   سَتُنْكِحُهَا الرِّمَاحُ حَمَا

٢١— صَبَحْنَاهُمْ مُشَعْشَعَةً   تَخَالُ مَصَبَّهَا رَذَمَا

٢٢— صَبَحْنَاهُمْ بِنُشَّابٍ   كَفِيتٍ قَعْقَعَ ٱلْأَدَمَا

٢٣— هُنَاكَ فِدًى لَهُمْ أُمِّي   غَدَاةَ تَوَارَدُوا ٱلْعَلَمَا

٢٤— بِضَرْبِهِمُ حَبِيكَ ٱلْبَيْـ   ضِ حَتَّى ثَلَّمُوا ٱلْعَجَمَا

٢٥— وَمَرْيِهِمُ ....

٢٦— بِمِثْلِهِمُ غَدَاةَ الرَّوْ   عِ يَجْلُهُ ٱلْعِزَّ وَٱلْكَرَمَا

٢٧— كَتَائِبُ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ   عَلَيْهَا الزَّغْفُ قَدْ نُظِمَا

٢٨— فَلَاقَوْا مَعْشَرًا أُنُفًا   غِضَابًا أَحْرَزُوا ٱلْغُنُمَا

(١٦ — ١٧) أبت من الاباء ، وهو الامتناع والكبر . عزا مفعول لأجله . غشم ظلم . لا يعطونه لا ينقادون له . جرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . مسومة معلمة بعلامة لتتميز بها بين الخيل . تعلك اللجم تلوكها ، لانها ثائرة مهتاجة .

(١٨ — ١٩) الخطى الرماح ، منسوبة للخط ، وهو مرفأ كانت ترسو عليه السفن التى تجلبها. الرماح الذوابل هى الدقيقة التى لصقت بها قشرتها أجم جمع اجمة وهى الغابة . هامرز قائد الفرس وروى (قتلنا القيل مسروقا) لمن رواها لسيف بن ذى يزن وهو مسروق ابن أبرهة ، ملك اليمن من قبل الحبشة (السيرة : ٦٦) .

(٢٠ — ٢١) ما زائدة . حسرى مؤنث حسران ، وهو الذى يتحسر ويتندم على أمر فاته . الحم أبو الزوج ، وهو غير مفهوم فى هذا الموضع ، فلعله مقلوب من حام ، إسم فاعل من حمى القوم أى دافع عنهم . صبحه سقاه الصبوح (بفتح الصاد) وهو خمر الصباح . المشعشعة الخمر الممزوجة بالماء . يتهكم بهم ، فهم لم يسقوهم خمرا، ولكنهم سقوهم الموت والدم . مصبها أى انصبابها ، مصدر ميمى . رذمت الناقة (كعلم) رذما (بالتحريك) دمعت بلبنها .

(٢٢ — ٢٣) صبح القوم أغار عليهم صباحا . النشاب السهام لانها تنشب فى المصاب أى تلزمه وتعلق به . كفت سريع ، فعلها كفت (كضرب). الأدم البشرة جمعها أدم (بالضم) . قعقعها كان له صوت حين أصابها . العلم الراية ، يقصد راية الفرس . توارودوا جاءوا الواحد بعد الآخر .

(٢٤ — ٢٥) البيض جمع بيضة ، وهى غطاء للرأس يلبسه المقاتل . حبيك محبوك النسج وثيق . ثلموهم كسروهم وحطموهم . مرى الناقة مسح ضرعها لتدر .

(٢٦ — ٢٨) الروع (بفتح الراء) الفزع ، ويجىء بمعنى الحرب . جلا السيف والمرآة صقلهما . وجلا الامر كشفه . وفاعل (جلا) كتائب ، فى البيت التالى ، جمع كتيبة . درع زغف (بفتح فسكون) ، ودروع زغف كذلك ، واسعة محكمة . نظم الذى ألفه و نسقه . أنف أباة . الغنم (بالتحريك)الفوز والغنيمة.

(٥٧)

يقول الطبرى (١ : ٦١٣) إن اللهازم ــ وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة ــ غضبوا حين خمس الأعشى والأصم بنى شيبان بالمدح فى يوم ذى قار . ولامهما فى ذلك شاعر من بنى قيس اسمه أبو كلبة . فقال الأعشى هذين البيتين ، يعتذر عما كان من إهماله بقية فروع بكر الأخرى فى شعره .

---

١ — متى تقرن (الأصم) بـ (الأعشى) يتماديا فى الضلال والخسران .

٢ — فليس (الأعشى) بمبصر مايرى (الأصم) ، وليس (الأصم) بسامع مايقول (الأعشى) .

(٥٨)

الأعشى فيما يبدو يتجه بهذه الأبيات إلى بعض أبناء عمومته ، ـ ولعلهم سعد وتيم (الحرقتان) كما يبدو من مقارنة البيت (٣) هنا بالبيت (١١) من القصيدة (٦٩) ـ الذين يوالون قومه بالأذى ويتحرشون بهم . وهو هنا يناشدهم القرابة ألا يبعثوا الحرب بين الحيين . فيقول :

---

١ — يا أبناء العم الاتبعثوا الحرب بيننا ، بَغِيضَةً كأرواث الإبل الراعية حين تُرَدُّ على الحى ، واجنحوا للسلم

٢ — وعاملونا بمثل ما كنا نعاملكم ، وراعوا عهدنا كما رعينا عهد بنى (رُهْم) .

٣ — فحفظنا نساء أبناء عمومتنا الباكيات . وأنتم الذين حثثتمونا على مخالفة (بنى غَنْم) .

٤ — فلا تبعثوا بيننا الشر ، فتكونوا كالذى يكسر رمحه فى صدره ، فلا يظلم إلا نفسه ، فأُثارة الحرب بين الأقربين ظلم مبين .

(٥٩)

يبدو أن بنى قيس بن ثعلبة (قوم الأعشى) وأبناء عمومتهم (ذهل بن ثعلبة) ، كانوا قد أجاروا قوما ، فانتهك (بنو حنيفة) جوارهم ، وقتلوا أحد جيرانهم ، زاعمين أن جوار قيس وذهل لا يلزمهم ، وأنهم أقل من أن يجيروا عليهم .

---

١ — إن لَقِيتَ (بنى قيس) و (بنى ذُهْل) ، فسَلْهم : هل فيكم من عيب يعيِّركم به معيِّر ؟

٢ — زعمت (حنيفة) أنكم لاتجيرون عليها ، وأن دماء من تجيرون حِلٌّ لهم ، فسيعلمون أنكم من القوة بحيث تُجيرون .

٣ — كذبوا وبيتِ الله . لاينتهكون جواركم حتى توازى صغار الكُثْبان شامخَ الجبال .

٤ — وحتى تلتهم نار الحرب الصغير والكبير ، فتبيد كل شىء ، لها دخان وسعير .

٥ — ومن أنتم يابنى حَنيفة حتى تزعموا ماتزعمون ؟ هل كنتم إلا أَرْجُلاً وأحشاء ، تدفع عنكم مَنَاكبُ وصُدُور ؟

٦ — إنكَ إن أذعنت لهم اليومَ يا (أُثَالُ) ، كان ذلك ذلَّ الدهر ، ولم تزل مغلوباً تطؤك الأقدام .

وقال يعتذر من مدحه شيبان :

(٥٧)

١ — متى تقرن أصمّ بحبل أعشى ... يلجّا في الضلالة والخسار (وافر)

٢ — فلست بمبصر شيئاً يراه ... وليس بسامع منّي حواري

وقال :

(٥٨)

١ — بني عمّنا لا تبعثوا الحرب بيننا ... كردّ رجيع الرّفض وارموا إلى السّلم (طويل)

٢ — وكونوا كما كنّا نكون وحافظوا ... علينا كما كنّا نحافظ عن رهم

٣ — نساء مواليناا البواكي وأنتم ... مددتم بأيدينا حلاف بني غنم

٤ — فلا تكسروا أرماحكم في صدوركم ... فتغشمكم إنّ الرّماح من الغشم

وقال :

(٥٩)

١ — أبلغ بني قيس إذا لاقيتهم ... والحيّ ذهلاً هل بكم تعيير (كامل)

٢ — زعمت حنيفة لا تجير عليهم ... بدمائهم وأظنّها ستجير

٣ — كذبوا وبيت الله يفعل ذلكم ... حتّى يوازي حزرمّا كندير

٤ — أو أن يروا جبّارها وأشاءها ... يعلو دخانٌ فوقها وسعير

٥ — هل كنتم إلّا دوارج حشوة ... دفعت كواهل عنكم وصدور

٦ — أأثال إنّك إن تطع في هذه ... تصبح وأنت موطّؤٌ مكثور

(٥٧)

(١ — ٢) أصم بنى شيبان شاعر جاهلى . أعشى يقصد نفسه ، والعشى سوء البصر .

(٥٨)

(١ — ٢) الرجيع المردود إلى صاحبه ، وهو كذلك أرواث البهائم وأقذارها . الرفض (بفتح فسكون) الابل الراعية وحدها والراعى ينظر إليها . ارموا أى ارمأوا ، حذفت الهمزة تخفيفا ، من أرمأ إليه أى دنا . رهم اسم حى ، ورهم بنت العباب (بفتح العين وتشديد الباء) امرأة من بنى عجل بن لجيم بن بكر ، وهى أم الأسود بن يعفر النهشلى الشاعر الجاهلى .

(٣ — ٤) نساء بدل من (رهم) ، المولى الجار والحليف وابن العم . حلاف مصدر حالف أى عاهد . غنم (بفتح فسكون) هو غنم بن تغلب بن وائل .

(٥٩)

(١ — ٢) بنو قيس هم بنو قيس بن ثعلبة بن بكر رهط الأعشى . ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن بكر . حنيفة بن بكر ، منهم هوذة بن على الذى كان يمدحه الأعشى . لا تجير عليهم ، الضمير . فى (تجير) يعود على ذهل ، والجوار أن تعطى الرجل اللاجىء إليك عهدا فيكون بجارك . فاذا كان المجير قويا احترم الناس جواره ولم يمسوا جاره بسوء ، وإن كان المجير ضعيفا لم يعبأ الناس بجواره وآذوا جاره .

(٣ — ٤) حزرم جبل ، الكندرة (مثل قنطرة) ما غلظ من الارض وارتفع ؛ والكندير الغليظ . الجبار النخل الطويل . الاشاء صغار النخل .

(٥ — ٦) دوارج الدابة قوائمها ، الحشوة الأحشاء ، والجزار يأخذ الكوارع (الأرجل) والحشوة لتفاهتها . الكواهل جمع كاهل ، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، ما بين الكتفين . يقول لبنى حنيفة إنكم ضعفاء ، وإنما يحميكم أبناء عمومتكم الاقوياء . أثال اسم رجل . موطأ (بصيغة المبالغة) من اوطأ ، ووطئه داسه . مكثور مغلوب ، كاثره فكثره أى غلبه فى الكثرة .

(٦٠)

هذه القطعة هي بعض شعر الأعشى الذي يتصل بالخصومات الضيقة في داخل البيوتات الصغيرة . ابنو عباد بن ضبيعة و بنو مالك بن ضبيعة الذين يشير إليهم الأعشى في هذا الشعر ، م إخوة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى . ولذلك فهو هنا أقرب إلى العتاب اللين الرفيق .

والبيت (٤) من هذه القطعة لا يمت للقصيدة بسبب ، ومن المرجح أن يكون من خلط الرواة . وقد ذهب قوم إلى أن القطعة كلها لابن دأب(١) ولكن ثعلبا رواها عن أبي عبيدة .

وستجيء هذه القطعة مكررة ، مع بعض الزيادة والنقص ، في القطعة (٧٢) من الديوان :

القطعة (٦٠) : الأبيات : ٠ ، ٠ ، ٠ ، ١ ، ٠ ، ٠ ، ١ — ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ — ٩

القطعة (٧٢) : الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ — ٧ ، ٠ ، ٠ ، ١١ ، ٠ ، ٨ — ١٠

يقول الأعشى :

١ — فيم الخصام يا أخوينا من (عِبَادٍ) و (مالك) ؟ ألم تعلموا أن كل ما على الأرض إلى الزوال والفناء ؟

٢ — وأننا أخوكم . وأننا حين تَعْرِض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالهـا الحديد ، وتثير في نفوسكم القلق ،

٣ — نقيم لها سُوقَ الحرب غير هيابين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزوماً مدحوراً .

٤ — إن (مَعَدًّا) لن تذهب بما فعلت ، وإن (إيادا) قد تجاوزت قَدْرها .

٥ — أفي كل عام لكم منا قتيل تقتلونه ، وبيت من ورائه تخربونه ، فبَيْضةٌ تُفْقأ . وبيضة أخرى تُتْرَكُ وحيداً قد ذهبت عنها أختها ؟

٦ — فلو أن إسرافكم في دمائنا لَدَى بئر ، لقد امتلأت بالدماء ، وحق لها أن تمتلىء وتفيض .

٧ — وكم من مُلِمة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، قد فككنا عنكم قيودها .

٨ — وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها ،

٩ — آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا ، فأصبحت رَخِيَّة البال ، وقد دفعنا عنها الكرب والهزال .

(٦١)

تقدم البيتان (٢ ، ٣) من هذه الأبيات في القطعة (٥١) فلتراجع هناك .

١ — أفدى الفوارس الذين قاتلوا بني (عَوْف) في الغابة الملتفة الأشجار بأخوتي وبناتي .

٢ — يكر عليهم (ابن جحدر) بفرسه ، ويخوض (مطر) القتال ، غير معتذرٍ ولا جَفَّال .

٣ — فهم بين مهزومين قد فروا لوجههم ، وقتلى قد انتفخت بطونهم . وورِمت منهم الكمَرَات .

(١) هو أبو وليد عيسى بن يزيد بن دأب الليثي (من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة) توفي سنة ١٧١ هـ في أول خلافة الرشيد ، وكان يسكن المدينة ويفد على بغداد ، وقد نال حظوة عند الهادي . وكان من أحفظ الناس للأنساب والأخبار والأشعار ، ولكنه كان متهما بوضع الشعر واختلاق القصص ، وكان هو نفسه جيد الشعر . وترجمته في معجم الأدباء لياقوت .

(٦٠) وقال فيما كان بينه وبين بَني عِبادٍ ومَالِكٍ ابْنَيْ ضُبَيْعَة :

(طويل)

١ — فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ عِبَادٍ وَمَالِكٍ ... أَلَمْ تَعْلَمَا أَنْ كُلُّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا

٢ — وَتَسْتَيْقِنُوا أَنَّا أَخُوكُمْ وَأَنَّنَا ... إِذَا سَنَحَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا

٣ — نُقِيمُ لَهَا سُوقَ ٱلْجِلَادِ وَنَغْتَلِي ... بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا

٤ — وَإِنَّ مَعَدًّا لَنْ تُجَازَ بِفِعْلِهَا ... وَإِنَّ إِيَادًا لَمْ تُقَدِّرْ مِثَالَهَا

٥ — أَفِي كُلِّ عَامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَؤُونَهَا ... فَتُؤْذَى وَتَبْقَى بَيْضَةٌ لَا أَخَالَهَا

٦ — وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْرَقْتُمُ فِي دِمَائِنَا ... لَدَى قَرَبٍ قَدْ وُكِّرَتْ وَأَنَى لَهَا

٧ — وَكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ مُلِمَّةٍ ... وَكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا

٨ — وَأَرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا ... وَإِيَّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا

٩ — هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ... رَخِيَّةَ بَالٍ قَدْ أَزَحْنَا هُزَالَهَا

(٦١) وقال يمدح شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ ٱلْجَحْدَرِيَّ وَمَطَرَ بْنَ شَرِيك الشَّيْبَانِيَّ :

(طويل)

١ — فِدَاءٌ لِقَوْمٍ قَاتَلُوا بِخَفِيَّةٍ ... فَوَارِسَ عَوْصٍ إِخْوَتِي وَبَنَاتِي

٢ — يَكُرُّ عَلَيْهِمْ بِالسَّحِيلِ ٱبْنُ جَحْدَرٍ ... وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِي عَذِرَاتِ

٣ — سَيَذْهَبُ أَقْوَامٌ كِرَامٌ لِوَجْهِهِمْ ... وَتُتْرَكُ قَتْلَى وُرَّمُ ٱلْكَمَرَاتِ

(١ — ٣) فوقها أى الأرض . سنحت عرضت . الشهباء الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ، سميت بذلك لبريق أسلحتها . الفأل التيمن والتطير . لافأل عليك أى لاضير . الجلاد مصدر جالد أي قاتل . نغتلي نسرع . الخال لواء الجيش . نوجهه نسوقه .

(٤ — ٦) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . تجاز من أجازه أى أعطاه الاجازة والاذن . إياد قبيلة يعدها معظم النسابين من ولد نزار . المثال المقدار ، أى أنها تجاوزت الحد ولم تعرف قدر نفسها . وهذا البيت (٤) شاذ لا موضع له من القصيدة . بيضة تفقؤونها ، هذا مثل ضربه لعدوانهم . القرب البئر القريبة الماء . وكر الاناء (كضرب) ملأه . أني لها أى حل وقت امتلائها وأوانه .

(٧ — ٩) كائن دفعنا أي كم من مرة . الملمة المصيبة لأنها تلم بالناس أى تنزل بهم . كربة موت أى كربة تبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير فى وسط ذراعه حين يبرك فيمنعه من النهوض والحركة . شعث جمع أشعث ، أى أبناء صغار قد تلبد شعرهم واغبر لعدم العناية بهم . نعامة ربداء ، كلون الرماد . حثت ساقت . رئال جمع رأل (بفتح فسكون) وهو فرخ النعامة . هنأه (كضرب ونصر) أطعمه وأعطاه وسره . المن أن تذكر الذى أنعمت عليه بنعمتك وتميره بها . أزحنا دفعنا وكشفنا . هزالها ضعفها ونحولها .

(٦١)

(١ — ٣) الخفية الغيضة الملتفة الأشجار ، والخفى الجن ، وبه خفية أي مس من الجن . عوص بن ارم بن سام أبو عاد البائدة . ولعلها (فوارس عوف) وهم عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة . السحيل اسم فرس . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر بن شريك الشيباني . ليس بذى عذرات أى لايلتمس المعاذير لتجنب القتال . الكمرة رأس الذكر . أى يقتلون فتنتفخ بطونهم ويتورم هذا الموضع من أجسامهم .

هذه القصيدة من الشعر الذى يتصل بالمسائل القبلية الضيقة . وقصة هذه القصيدة أن رجالا من (بكر) كانوا قد خرجوا غازين ، يتزعمهم (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) . فاعترضت طريقهم (الرباب) و (بنوأسد) ، فسألهم عبد عمرو أن يدعوه وشأنه ، وأبرم أنه لم يقصدلقتالهم، فأبوا فقاتلهم . وكان مع الرباب رجل اسمه يزيد بن القحادية (منسوب إلى قحادة ، أحد فرسان العرب من تميم) ، وهو الذى يكنيه الأعشى في هذاالشعر بأبى شريح ؛ وكانت معه زوجته واسمها حنقط . ويبدو من الشعر أن هذا الرجل كان من المحرضين على القتال . وقد قتل فى ذلك اليوم .

ويرى أبوعبيدة أن فى هذه القصيدة خلطا بين شعر الأعشى وشعر نابغة بنى شيبان (١) . ولعله يقصد بذلك الجزء الاخير من القصيدة ، الذى يفتخر فيه الشاعر بيوم ذى قار (من ١٧ — ٢٥) . فقد أطال الشاعر فيه وفصل ، حتى أوشك أن يكون هو الغرض الذي قصد إليه فى شعره . على أن الحديث قد بتر فى هذا الجزء بتراً ، ولم ينته إلى خاتمة يطيب عندها الوقوف .

يبدأ الأَعشى قصيدته متحدثا عن صاحبته (هُرَيْرة) فيقول :

(١ — ٣) كان لك معها حديث توصيها فيه بأشياء ، وكانت لك عندها حاجات تقنع منها بأقل القليل ، لو أن صحبك قد وقفوا ، حين ناديتهم تسألهم الوقوف على ديار (هُرَيرة) ، إذ قامت تشير إلينا مودعة ، وقد حال من دونها ما أحدق بالحى من التلال .

أحْبِبْ بها من صاحبة ، لو أنها أقامت فلم ترحل إلى ذلك المكان النائى السحيق ، ولكن الفراق لا يُبْقِي على حبيب .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى بعض ما كان أبوهم قد أوصاهم به قبل أن يموت ؛ فى أربعة أبيات مهلهلة النسج ؛ إذا استثنينا منها البيت الأخير ، فيقول :

(٤ — ٨) كان أبونا العزيز قد قال لنا : أوصيكم قبل أن أموت بثلاث : أكرموا الضيف ، فإن له علىَّ حقاً أعطيه مقرًّا به . واحفظوا الجار ، فإنه راحل عنكم فى يوم من الأَيام . واستبسلوا فى القتال ، حين يعض الجبان بيديه على أعراف الخيل خشية السقوط ، فالموت فى ساحة القتال شرف عظيم .

ولا يكاد الشاعر يصل إلى هذه الوصية الأخيرة ، حتى يتخذها سلماً لما هو بسبيله من وصف قومه بالاستبسال فى القتال ، فيتجه إلى (الرباب) و (بنى أسد) قائلا :

(٩ — ١٠) إن (الرِّباب) وحيًّا من (بنى أسد) ـ وهم بين متحير لا يدرى كيف يصنع ، ومتسرع قد انفلت يتقدم القوم مستعجلا القتال ـ قد صادفوا سيدنا فى عصبة من رجالنا . وكان كل من الفريقين يبحث عن مالٍ يقتنيه ، أو مَغْنَمٍ يصيبه ويحتويه .

(١١ — ١٢) سألناهم المهادنة ، فأبوا مستكبرين ، وقالوا لا نصالحكم أبدا ، وهل أنتم إلا أهلُ نخيل ، وحَمَّالو تَمْرٍ فوق العِير ؟ وإنى أقسم ببيت الله ، ما كانت إبلنا تضطرب حين تضطرب ، إلا محملة بالدروع والسلاح .

---

(١) النابغة الشيبانى هو عبدالله بن المخارق ، شاعر أموي من الأعراب (من بنى ذهل بن شيبان بن ثعلبة) كان يفد إلى الشام لمدح الخلفاء ، وكان نصرانيا . (الأغاني ج ٧ ص ١٠٦ — ١١٢) .

وقال :

١ — كَانَتْ وِصَاةٌ وَحَاجَاتٌ لنَا كَفَفٌ ... لوْ أنَّ صَحْبَكَ إِذْ نادَيْتَهُمْ وَقَفُوا (بسيط)

٢ — عَلَى هُرَيْرَةَ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنَا ... وَقَدْ أَتَى مِنْ إطارٍ دُونَهَا شَرَفٌ

٣ — أَحْبِبْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ ... وَقَدْ تُزِيلُ ٱلْحَبِيبَ النِّيَّةُ ٱلْقَذَفُ

٤ — إِنَّ ٱلْأَعَزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا ... أُوصِيكُمُ بِثَلَاثٍ إِنَّنِي تَلِفُ

٥ — الضَّيْفُ أُوصِيكُمُ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ ... حَقًّا عَلَيَّ فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ

٦ — وَٱلْجَارُ أُوصِيكُمُ بِٱلْجَارِ إِنَّ لَهُ ... يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ

٧ — وَقَاتِلُوا ٱلْقَوْمَ إِنَّ ٱلْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ ... إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ ٱلْمُعْصِمِ ٱلْعُرُفُ

٨ — بَلْ لَسْتُ وَجْ ....

٩ — إِنَّ الرِّبَابَ وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... مِنْهُمْ بَقِيرٌ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلَفُ

١٠ — قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا ... كُلٌّ يُؤَمِّلُ قُنْيَانًا وَيَطَّرِفُ

١١ — قُلْنَا الصِّلَاحَ فَقَالُوا الانْصَالَ حِكْمُ ... أَهْلُ النُّبُوكِ وَعِيرٌ فَوْقَهَا ٱلْخَصَفُ

٢١ — لَسْنَا بِعِيرٍ وَبَيْتِ اللهِ مَائِرَةٍ ... إِلَّا عَلَيْهَا دُرُوعُ ٱلْقَوْمِ وَالزَّغَفُ

(١ — ٣) الكفف من الرزق ما كف عن الناس وأغنى عن السؤال . أى أنه لم يكن يطلب إلا القدر الضرورى لاطفاء لاعج الشوق . على متعلق بـ (وقفوا) فى البيت السابق . إطار الشيء كل ماأحاط به الشرف ماارتفع من الأرض . الخلة (بضم الخاء) الخليلة والصاحبة . النية الوجه الذى ينويه المسافر . القذف البعيدة .

(٤ — ٨) تلف من التلف ، أى ميت . أعترف أقر بحقه علي . المعصم (بصيغة اسم الفاعل) الذى يخاف أن يسقط عن دابته فيمسك بعرفها . وعرف الفرس شعر ناصيته .

(٩ — ١٠) الرباب (بكسر الراء) م بنو تيم وعدى وعوف وثكل (بضم فسكون وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة . ومن النسابين من يضيف إليهم ضبة . سموا بذلك لأنهم غمسوا أيديهم فى الرب (بضم الراء) حين تحالفوا (والرب ما يطبخ من التمر) . أسد بن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج الرسول وبشر بن أبى خازم والكميت بن زيد . البقير من بقر (كعلم) أي حسر وتحير فلا يكاد يبصر من دهشته . سرب الرجل (كنصر) ذهب على وجهه ومضى . سلف (كنصر) تقدم ومضى ، والسلاف (بضم السين وتشديد اللام) مقدمة العسكر . قنيانا أى مالا يقتنيه . يطرف الشيء يصيبه فيصبح طريفا عنده أى حديثاً ؛ على وزن يفتعل من الطرافة .

(١١ — ١٢) الصلاح الوفاق ضد الخصام (مصدر صالح) . النبوك جمع نبكة (بالتحريك) وهى التل الصغير ، وقيل النبوك نخل بالبحرين . العير (بكسر العين) الابل . الخصف (بالتحريك) جمع خصفه ، وهى جلة للتمر تصنع من الخوص . مار الشيء تردد واضطرب ، ومارت الابل ترددت قوائمها فى جنبها جيئة وذهابا . الدرع ثوب ينسج من الحلق ويلبسه المقاتل . درع زغيف واسعة طويلة ، والجمع زغف (بفتحتين)

(١٣ــ١٤) وحَسَرنا حين التقينا عن رءوسنا ، ليعلموا أننا (بَكْر) ، لعل ذلك يثنيهم فينصرفوا . فلما استحرَّ فيهم القتل وحصدتهم السيوف ، قالوا : أبقوا علينا واحفظونا . ألاَ لا بقية إلا النار . فانصرَفُوا يولون الأدبار .

(١٥ــ١٦) ألم يكن يسر (حِنْقِط) أن يصالح زوجُها (أبو شُرَيْح) القومَ ، وقد علم أنه وحيد ليس له ولد يقوم مقامه إن مات ؟ فها هى ذى جارتها الحسناء ، قد عاد إليها عائلها يهرول وقد استخفه الفرح ، ولم يعد إليها هى إلا الثكل والخراب .

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن (ذى قار) فيختم قصيدته مفتخراً بانتصار قومه فى ذلك اليوم ، فيقول :

(١٧ــ٢٠) نحن أصحاب يوم (الحِنْو) ، إذ صبَّحت كتائبُنا جنودَ كِسْرَى ، تسوق إليهم الموت ، حتى ولوا هاربين . سادةٌ من أبناء الملوك والأشراف ، قد علقوا فى آذانهم اللآلىء . إذا أمالوا أيديهم إلى النُّشَّاب ، ملنا إلى السيوف فظلت تتخطف الرءوس . ولم تزل خيل بكر تطحنهم حتى ولوا الأدبار وقد انتصف النهار .

(٢١) فلو أن هذا الشرف الكبير قد قُسِّم على قبائل (مَعَدّ) جميعاً لظفر كل رجل منه بمقدار .

(٢٢ــ٢٥) أقبلوا بجيوشهم الكثيفة ، كأنهم الليل ، يزحف فيسد آفاق الأرض ، ويغشِّيها بالظلام . ووقف نساؤنا من خلفنا ، ينظرن بعيون كُحْل سود ، وقد اضطربت أكبادهن إشفاقاً من هول مايرين . وحَسَرْنَ عن خدود جرت عليها الدموع ، وغيرها الحزن فعلَتها غَبْرَةٌ مظلمة . وقد كن مشرقات تتلألأ وجوههن ، كالمرجانة أخرجها الغواص من أعماق البحر ، وقد صانتها الأصداف .

١٣— لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا ... لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا
١٤— قَالُوا ٱلْبَقِيَّةَ وَٱلْهِنْدِيُّ يَحْصُدُهُمْ ... وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا ٱلنَّارُ فَٱنْكَشَفُوا
١٥— هَلْ سَرَّ حِنْقِطَ أَنَّ ٱلْقَوْمَ صَالَحَهُمْ ... أَبُو شُرَيْحٍ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ خَلَفُ
١٦— قَدْ آبَ جَارَتَهَا ٱلْحَسْنَاءَ قَيِّمُهَا ... رَكْضًا وَآبَ إِلَيْهَا ٱلثُّكْلُ وَٱلتَّلَفُ
١٧— وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ ٱلْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ ... مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي ٱلْمَوْتَ فَٱنْصَرَفُوا
١٨— جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ ... مِنَ ٱلْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا ٱلنُّطَفُ
١٩— إِذَا أَمَالُوا إِلَى ٱلنُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ ... مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ ٱلْهَامُ يُخْتَطَفُ
٢٠— وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ... حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ ٱلْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
٢١— لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ ٱلشَّرَفُ
٢٢— لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ ٱللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ ... مُطَبِّقَ ٱلْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ
٢٣— وَظُعْنُنَا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا ... أَكْبَادُهَا وُجُفٌ مِمَّا تَرَى تَجِفُ
٢٤— حَوَاسِرٌ عَنْ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبَرًا ... وَلَاحَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسُفُ
٢٥— مِنْ كُلِّ مَرْجَانَةٍ فِي ٱلْبَحْرِ أَخْرَجَهَا ... غَوَّاصُهَا وَوَقَاهَا طِينَهَا ٱلصَّدَفُ

(١٣ — ١٥) قالوا البقية ، من أبقيت عليه واستبقيته إذا راعيته ورحمته ولم أبالغ فى إفساده . انكشفوا زالوا عن مواضعهم ، حنقط زوجة رجل من بنى جعفر بن ثعلبة كان يقاتل مع الرباب ، اسمه يزيد بن القحادية ، منسوب إلى قحادة أحد فرسان العرب من بني تميم. أبو شريح هو زوجها يزيد هذا . الخلف الولد الصالح .

(١٦ — ١٨) قيمها زوجها الذي يقوم بشئونها ويعولها . الحنو منعرج الوادى ، ويوم الحنو هو يوم ذى قار ، وقد مضي الحديث عنه فى القصيدة (٣٤) . صبحهم غزاهم صباحا . زجا الشيء (كنصر) وأزجاه ساقه ودفعه . الجحجح والجحجاح (كلها بالفتح) السيد المسارع إلى المكارم ، وكذلك الغطريف (بكسر الغين) . النطفة لؤلؤة تعلقها الأعاجم فى الأذن .

(١٩ — ٢١) النشاب السهام . البيض السيوف . الهام جمع هامة وهي الرأس . انتصف النهار بلغ النصف وقت الظهر . معد بن عدنان هو جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعا .

(٢٢ — ٢٣) قدمه (كنصر) سبقه وتقدمه . طبق السحاب الجو ، وطبق الماء وجه الأرض ، غطاه . يغشاها الضمير راجع على الأرض . لهم الضمير يرجع على الفرس . السدف (بالفتح)والسدفة (بضم فسكون) الظلمة . ظعن جمع ظعينة وهى الزوجة . كحل جمع أكحل وكحلاء وهو الذى يحيط عينيه سواد كأنه الكحل . المدامع جمع مدمع (اسم مكان من دمع) وهى العين . وجف القلب يجف خفق ، فهو واجف ، والجمع وجف (بضمتين) .

(٢٤ — ٢٥) حسر النقاب واللثام أزاحه . عبر (كعنب) جمع عبرة (بفتح العين) وهى الدمعة . لاحها غيرها وسفع وجهها . الغبرة (بضم الغين) لون الغبار . كسف (بضمتين) صفة (حواسر) فى أول البيت ، جمع كاسف وهو المهموم الذى تغير لونه وهزل من الحزن . من كل مرجانة يشبههن فى حمرة وجوههن ونضرتها بالمرجان حال خروجه من البحر قبل أن يتمسخ ويظلم .

يتحدث الأعشى فى هذه القصيدة عن ذكريات شبابه ، ومن رحلاته إلى آل جفنة فى الشام ، والمناذرة فى العراق ، وجلنداء فى حضرموت ، وقيس بن معديكرب فى حضرموت ، وماكان يلقى من إكرامهم . ويبدو من الأبيات (١٨ — ٢٠) أن الأعشى قال القصيدة بعد أن أسن وأقعدته الشيخوخة عن الرحلة إلى الملوك . وقد روى ثعلب القصيدة فى مدح بني الحارث بن معاوية ، وهم بطن من الأزد . منهم الجلندى الذى أشار إليه الشاعر فى البيت (١٥) . والأزد قبيلة يمنية ، منهم الغساسنة ملوك الشام ، ومنهم الأوس والخزرج فى يثرب ، ومنهم الجلندى الذى كان أميرا على عمان . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئا عن الجلندى نفسه ، ولكن المؤرخين أشاروا إلى ابنين له ، هما جيفر (على وزن جعفر) وعبيد (وسماه بعضهم عياذ ، وسماه آخرون عمرو) . وكان جيفر أميرا على عمان بعد أبيه . وقد أرسل إليه النبي عمرو بن العاص يدعوه للاسلام ، فيمن أرسل إليهم من الملوك والأمراء ، فأسلم سنه ٦ ه او سنة ٧ أو سنة ٨ على خلاف بين المؤرخين فى ذلك(١) .

ولا يبدو من الشعر الذى بين يدينا أنه قد أنشىء فى مدح بنى معاوية قوم الجلندى . وإنما ذكرهم الشاعر فيمن ذكر ، ممن رحل إليه من الملوك.

يبدأ الأعشى قصيدته بوصف صاحبته ، وقد تهيأ قومها للرحيل فيقول :

١ — آذن جيرانى اليوم بالرحيل ، وقطعوا ود محب محبوب .

٢ — ورفعوا الهوادج فوق الجمال الفتية ، وقد وقفوها استعداداً للرحيل .

٣ — وجلس فوقها النساء الناعسات الطرف ، فى فتور ، ينظرن كأنهن الظباء البيض بين النخيل .

٤ — خاشعات ساكنات ، يلبسن الحرير ، ومن تحته رقيق الثياب .

٥ — وحَثَثْن الجمال ، فاندفعت تهتز من فوقها أجسامهن ، يحتك ماعليهن من خَزٍّ وأردية حُمْر ، فيتأ كَّل وَبَرُ القَطيف .

٦ — حنّت الجمال لأوطانها ، ووافق هواها قَصْد المسافرات العائدات ، وخلفن قلبى من حبهن كالمجنون .

٧ — مشغوفاً بفتاة لعوب ، لاتعرف الهم ولا يستفزها الغضب ، يستمتع صاحبها وقد اضطجع إلى جنبها فى الليل ، بحديثها العذب الحنون .

٨ — حلوة الرائحة ، حلوة النادرة ، حلوة فى كل حالاتها ، لايشينها خشونة أو جفاء .

ولم تزل السن تتقدم بالأعشى وبصاحبته حتى أدركهما الشيب . أما هو فقد خضع له مستسلماً ، أما هى فلم تزل تكابر وتأبى الاستسلام — على عادة النساء —

٩ — أزعجها المشيب ، فسترته عنا ، وأسدلت عليه الحجاب بالخِضاب .

١٠ — أذعنى ياصاحبتى للشيب إذ شَمِل الرأس ، فالشباب لايدوم .

وكأن شيب صاحبته قد ذكره بشيخوخته وكلال بصره ، وكأن هاتفاً فى أعماقه يصيح به ساخراً : وأنت ! ألم تهدِّمك الشيخوخة ؟ فيقول :

١١ — دع ذكر ما أنا فيه من ضعف البصر وكَلاَله . فأنك لاتدرى كم كنت قوياً ، وكم كنت مالكا لأمرى.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٢٥٤ ، إمتاع الأسماع ٤٣٣ ، الطبرى ٢ : ٢٨٩ ، ٣١٢ ، ابن الأثير ٢ : ١٥٧ والعقد الفريد ٣ : ٣٣٦ فتوح البلدان ٨٧ ، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ٢٦ — ٢٩

وقال :

١ — أَذِنَ ٱلْيَوْمَ جِيرَتِي بِحُفُوفِ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ (خفيف)

٢ — وَٱسْتَقَلَّتْ عَلَى ٱلْجِمَالِ حُدُوجٌ كُلُّهَا فَوْقَ بَازِلٍ مَوْقُوفِ

٣ — مِنْ كَرَاتٍ وَطَرْفُهُنَّ سُجُوٌ نَظَرَ ٱلْأُدْمِ مِنْ ظِبَاءِ ٱلْخَرِيف

٤ — خَاشِعَاتٍ يُظْهِرْنَ أَكْسِيَةَ ٱلْخَزِّ وَيَبْطِنَّ دُونَهَا بِشُفُوفِ

٥ — وَحَشَوْنَ ٱلْجِمَالَ يَسْهَكْنَ بِٱلْبَاغِزِ وَٱلْأُرْجُوَانِ خَمْلَ الْقَطِيفِ

٦ — مِنْ هَوَاهُنَّ يَتَّبِعْنَ نَوَاهُنَّ فَقَلْبِي بِهِنَّ كَالْمَشْغُوفِ

٧ — بِلَعُوبٍ مَعَ الضَّجِيعِ إِذَا مَا سَمَرَتْ بِٱلْعِشَاءِ غَيْرِ أَسُوفِ

٨ — حُلْوَةِ النَّشْرِ وَالْبَدِيهَةِ وَٱلْعِلَّاتِ لَا جَهْمَةٍ وَلَا عُلْفُوفِ

٩ — وَلَقَدْ سَاءَهَا ٱلْبَيَاضُ فَلَطَّتْ بِحِجَابٍ مِنْ دُونِنَا مَسْدُوفِ

١٠— فَٱعْرِفِي لِلْمَشِيبِ إِذْ شَمِلَ الرَّأْسَ فَأَنَّ الشَّبَابَ غَيْرُ حَلِيفِ

١١— وَدَعِ الذِّكْرَ مِنْ عَشَائِي فَمَا يُدْرِيكَ مَا قُوَّتِي وَمَا تَصْرِيفِي

١٢— .... يفِ

(١ — ٣) أذن بالشيء علمه .حفوف زوال وذهاب . صرمواقطعوا . استقلت ارتفعت .الحدوج من مراكب النساء مثل الهودج . بازل جمل قد بزل نابه وظهر ، وذلك في التاسعة . موقوف قد وقفوه استعدادا للرحلة . كرات ناعسات ، من كري (كرضى) أى نعس ، فهو كر وهي كرية (بتخفيف الياء) ، وقد تكون مصحفة من (كراب) جمع كريب وهو المهموم المكروب، ليلائم وصفهلن بالخشوع فى البيت التالى . سجو سكون ؛ وامرأة ساجية الطرف فاترته . الأدم الظباء التى أشرب لونها البياض . الخريف الرطب المخروف أي المجني . وهو كذلك النخل الذى خرفت ثماره أى جنيت .

(٤ — ٦) خاشعات ساكنات خاضعات . الخز الحرير . يبطن دونها يلبسن تحتها . الشفوف الرقيق من الثياب . يسهكن يسحقن . الباغزية ثياب من الخز . الأرجوان صبغ أحمر (فارسي معرب) يقصد الثياب الحمر . الخمل الوبر والثوب المخمل الذى يكون له وبر كالقطيفة . أى أنهن لحركتهن فوق الجمال يسحقن القطيفة حتى يذهب وبرها . النوى الوجه الذى يذهب فيه المسافر وينويه . المشغوف المجنون حبا ، والشغاف (بكسر الشين) غشاء القلب . من هواهن الضمير يعود على الجمال ، تحن إلى أوطانها فتتبع من ركبها من النساء . نواهن أى النساء .

(٧ — ٩) سمر (كنصر) سهر يتحدث . الأسوف السريع الحزن والغضب . النشر الرائحه . البديهة المفاجأة ، وهو ذو بديهة أي يفهم من أول وهلة . العلات الحالات المختلفة . جهمة غليظة . علفوف جافية . لطت سترت . سدفت المرأة القناع أرسلته ، ويقصد بالحجاب المسدوف الخضاب.

(١٠ — ١٢) اعرفى اصبرى . العشى والعشاء (بفتح العين) سوء الابصار ليلا ، وقد يطلق على العمى . تصريفى من صرف الأمور (بالتشديد) أي قلبها واحتال فى توجيهها .

١٢— ....

١٣— لقد صحبت ملوكا كراماً من (آل جفْنَة) فى (الشام) ، بلاد الخصب والخضرة والأشجار .

١٤— وصحبت (بنى المُنذِر) البيض الوجوه فى (الحِيرة) ، لهم رونق إذ يمضون فى الغَدَاة كأنهم السيوف .

١٥— وصحبت (جُلَنْدَاء) فى (عُمَان) ، و (قَيْسا) فى (حَضْرَمَوت) ذى القصور الشامخة البنيان .

ويمضى الشاعر فى أحلامه ، متمثلا مجالس الخمر عند قيس .

١٦— جالساً يحيط به الندماء ، تجرى بينهم الكؤوس ملأى فارغة .

١٧— وتصدح المغنيـــة إذ يهيِّجها الشاربون ، ويصفو صوتها متدرجاً فى الصعود ، حين تضرب على أوتار العود .

وينقطع سلك الخيال ، ويستيقظ الشاعر من الأحلام ، فاذا هو فى ضعفه وشيخوخته ، فيقول : ما أعجب الأيام !

١٨— بينما المرء كالرمح ذى السِّنان الماضى قوَّمه مُثَقِّفُه .

١٩— أو إناء الذهب صاغه الصائغ ، وأعمل فيه أدواته حتى خفيت منه مواضع اللِّحام .

٢٠— إذا بدهره المضلَّل المأفون ينقله من حال إلى حال ، وإذا هو من بعد المشى يَهْدِج فى خطْو متقارب قصير .

ولكن الشاعر لايطيق الوقوف طويلا عند هذه الحقيقة المؤلمة . فيغمض عينيه ليعاود ما كان فيه من أحلام ، وليتصور نفسه فوق ناقته ، يطوى الصحارى والقفار ، هارباً من صورة الشيخوخة القصيرة الخطو ، التى لايكاد يستقيم لها المشى إلا دبيباً .

٢١— كم من ناقة سريعة بيضاء ، تراها من بعد الكلال موفورة النشاط ، يَرْجُفُ فوقها الرحْل ويضطرب .

٢٢— مضيت بها أستنزف قواها على بُعد الطريق ، تجتاز الموضع المخيف .

٢٣— ولقد أحمل أهلى على حزم أمرهم ، أرمى بهم الغرض النائى والمقصد البعيد .

٢٤— فوق جمل شجاع القلب ، يحتفر الظلماء مخترقا حجب الليل الكثيفة ، ماضياً لايهاب .

٢٥— لايبالى أن يركب وراء صاحبه رَدِيف ويمضى الليلَ كلَّهُ خالى الجوف ، لايدير فكيه ليجتر ، إلا ما يُسْمَع لأنيابه من صرير .

١٣ــ وَصَحِبْنَا مِنْ آلِ جَفْنَةَ أَمْلَا   كًا كِرَامًا بِالشَّامِ ذَاتِ الرَّفِيفِ
١٤ــ وَبَنِي ٱلْمُنْذِرِ ٱلْأَشَاهِبِ بِٱلْحِيـ   ـرَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كَالسُّيُوفِ
١٥ــ وَجُلُنْدَاءَ فِي عُمَانَ مُقِيمًا   ثُمَّ قَيْسًا فِي حَضْرَمَوْتَ ٱلْمُنِيفِ
١٦ــ قَاعِدًا حَوْلَهُ النَّدَامَى فَمَا يَنْـ   ـفَكُّ يُؤْتَى بِمُوكَرٍ مَجْدُوفِ
١٧ــ وَصَدُوحٍ إِذَا يُهَيِّجُهَا الشَّرْ   بُ تَرَقَّتْ فِي مِزْهَرٍ مَنْدُوفِ
١٨ــ بَيْنَمَا ٱلْمَرْءُ كَالرُّدَيْنِيِّ ذِي ٱلْجُبَّـ   ـةِ سَوَّاهُ مُصْلِحُ التَّثْقِيفِ
١٩ــ أَوْ إِنَاءِ النُّضَارِ لَاءَمَهُ ٱلْقَيْـ   ـنُ وَدَارَى صُدُوعَهُ بِٱلْكَتِيفِ
٢٠ــ رَدَّهُ دَهْرُهُ ٱلْمُضَلَّلُ حَتَّى   عَادَ مِنْ بَعْدِ مَشْيِهِ لِلدَّلِيفِ
٢١ــ وَعَسِيرٍ مِنَ النَّوَاعِجِ أَدْمَا   ءَ مَرُوحٍ بَعْدَ ٱلْكَلَالِ رَجُوفِ
٢٢ــ قَدْ تَعَالَلْتُهَا عَلَى نَكَظِ ٱلْمَيْـ   ـطِ فَتَأْتِي عَلَى ٱلْمَكَانِ ٱلْمَخُوفِ
٢٣ــ وَلَقَدْ أَحْزِمُ اللُّبَانَةَ أَهْلِي   وَأُعَدِّيهِمُ لِأَمْرٍ قَذِيفِ
٢٤ــ بِشُجَاعِ ٱلْجَنَانِ يَحْتَفِرُ الظَّلْـ   ـمَاءَ مَاضٍ عَلَى ٱلْبِلَادِ خَشُوفِ
٢٥ــ مُسْتَقِلٍّ بِالرِّدْفِ مَا يَجْعَلُ ٱلْجِـ   ـرَّةَ بَعْدَ ٱلْأَدْلَاجِ غَيْرَ الصَّرِيفِ

(١٣ — ١٥) آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية . وقد مدحهم الأعشى بالقصيدة (٣١) . الرفيف الخصب ، والرطب الندى من الاشجار ، وقيل إنها سفن منضدة كانوا يعبرون عليها . . ر المنذر ملوك العراق فى الجاهلية ، ليس فى هذا الديوان شعر فى مدحهم . الأشهب الأبيض . الغدوة والغداة من الفجر إلى طلوع الشمس ؛ ويقصد به صدر النهار . كالسيوف رونقا ومضاء . جلنداء صاحب عمان من الأزد . المنيف المشرف المرتفع .

(١٦ — ١٨) موكر مملوء ، وكر الاناء (كضرب) ملأه . مجدوف مقطوع ، فعله جدف (كضرب) . صدوح مغنية تصدح ، أي ترفع صوتها بالغناء . ترقت تصعدت فى الغناء . المزهر العود . الندف الضرب على الأوتار . الرديني الرمح ، منسوب إلى امرأة كانت تصلح الرماح . الجبة حديدة السنان التى يدخل فيها الرع . تثقيف الرماح تسويتها وإصلاح سنانها وتحديدها .

(١٩ — ٢١) النضار الذهب . القين الحداد ، ويطلق على كل صانع . صدوع جمع صدع (بفتح فسكون) وهو لشق . الكتيف الضبة ، وهى من أدوات الحدادة والصياغة . رده حوله من حال إلى حال . دلف الشيخ والمقيد مشي فى خطو متقارب قصير . العسير الناقة التي ترفع ذنبها فى عدوها . الناعجة السريعة التى تدرك نعاج الوحش لسرعتها . أدماء بيضاء . المرح النشاط . رجوف يهتز الرحل فوقها لنشاطها .

(٢٢ — ٢٣) تعاللتها استنزفت نشاطها وطاقتها ، وهو من العلل أى الشرب للمرة الثانية بعد المرة الأولى . النكظ الشدة . الميط البعد ، ماط يميط بعد . تأتى عليه تجتازه . حزم المتاع شده وربطه ، وأحزمه جعله يشده ويربطه . اللبانة الحاجه . أهل الرجل عشيرته وزوجته . قذيف بعيد .

(٢٤ — ٢٥) الجنان القلب . خشف (كنصر وضرب) ذهب فى الأرض ومشي فى الليل . الردف الراكب الثانى الذى يركب خلف الأول . تستخف به لقوتها . الجرة ماتجتره . الصريف صرير الأنياب ، أي أنها خاوية البطن ليس فى معدتها ما تجتره .

٢٦— ثم يصبح من هياجه موفور النشاط ، يتناثر الحصى متطايرا تحت خفه الصلب الغليظ .

٢٧— إن خفَّفت عنه فى البيداء ، أو أعملته فتلاحقت ساقُه والذّراع .

٢٨— لم أخَلْ شيئاً من ذلك يكُفُّه أو يثنيه ، حى تنيخه وتلوى تحت عنقه الزِّمام .

(٦٤)

١ — عَفَتْ دارُ (مَيْثاء) وانمحت آثارها ، فكأنها كتابٌ طُمِست سطوره فما تَبِين .

٢ — عرفتُها ، فرِيعَ لِعرْفانها الفؤاد ، وهاجت فى النفس الذكريات .

٣ — ديارٌ كانت تحل بها (مَيْثاء) . . . فقد باعدت دارَها من ديارنا اليوم .

٤ — رأت تحت ثيابها جسماناعماً ، ورأت أنها فى ميعة الشباب .

٥ — ففتنها إعجابها بنفسها ، وحملها على البطَر والغرور .

٦ — ....

٧ — كتمتُ حديثها ، فطارت به نفسى كلَّ مَطَار .

٨ — فاليوم أذيعُ سرها الذى كتمتُه عن الناس ، فقد خانت العهد ، ولم تكن على ماينبغى للحبيب .

٩ — نأت وخلفت فى القلب صدْعًا تخالطه هموم .

١٠— كصدع الزجاجة ، لايستطيع الصنّاع أن يرده كما كان ويسوِّيه من جديد .

١١— ويا ربما عشنا زماناً ليس بيننا رسول .

٢٦— ثُمَّ يُضْحِي مِنْ فَوْرِهِ ذَاهِبَابِ   يَسْتَطِيرُ ٱلْحَصَى بِخُفٍّ كَثِيفِ
٢٧— إِنْ وضَعْنَا عَنْهُ بِبَيْدَاءَ قَفْرٍ   أَوْ قَرَنَّا ذِرَاعَهُ بِوَظِيفِ
٢٨— لَمْ أَخَلْ أَنَّ ذَاكَ يَرْدَعُ مِنْهُ   دُونَ ثَنْيِ الزِّمَامِ تَحْتَ الصَّلِيفِ

وقال :

(٦٤)

(متقارب)

١ — لِمَيْثَاءَ دَارٌ عَفَا رَسْمُهَا   فَمَا إِنْ تَبَيَّنُ أَسْطَارَهَا
٢ — وَرِيعَ ٱلْفُؤَادُ لِعِرْفَانِهَا   وهَاجَتْ عَلَى النَفْسِ أَذْكَارَهَا
٣ — دِيَارٌ لِمَيْثَاءَ حَلَّتْ بِهَا   فَقَدْ بَاعَدَتْ مِنْكُمُ دَارَهَا
٤ — رَأَتْ أَنَّهَا رَخْصَةٌ فِي الشَّبَابْ   وَلَمْ تَعْدُ فِي السِّنِّ أَبْكَارَهَا
٥ — فَأَعْجَبَهَا مَا رَأَتْ عِنْدَهَا   وَأَجْشَمَهَا ذَاكَ إِبْطَارَهَا
٦ — ....كَارَهَا
٧ — ———— ذَاكَ ٱلْحَدِيثْ   وَطَارَ بِهَا النَّفْسِ أَطْيَارَهَا
٨ — تَنَابَشْتُهَا لَمْ تَكُنْ خُلَّةً   وَلَمْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَسْرَارَهَا
٩ — فَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِي ٱلْفُؤَا   دِ صَدْعًا يُخَالِطُ عَثَّارَهَا
١٠— كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا يَسْتَطِيـ   ـعُ مَنْ كَانَ يَشْعَبُ تَجْبَارَهَا
١١— فَعِشْنَا زَمَانًا وَمَا بَيْنَنَا   رَسُولٌ يُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

(٢٦ — ٢٨) فوره هياجه . مصدر فاريفور . الهباب النشاط . يستطيريطير . كثيف صلب غليظ . وضع عنه خفف عنه حمله . الوظيف الساق أو مقدمها . يردعه يكفه . الزمام الحبل الذى تقاد به الناقة . الصليف عرض العنق ، وهما صليفان من الجانبين .

(٦٤)

(١ — ٤) عفا ذهب وامحى . الرسم أثار الدار . تبين فعل مضارع ، أى تتبين أنت ، تميز وتعرف . اسطار جمع سطر . أذكار جمع ذكر (بضم الذال وكسرها) وهو التذكر . رخصة بضة طرية ناعمة . أبكار جمع بكر (بكسر فسكون) وهو أول كل شىء ، والضمير فى أبكارها عائد على السن ، أى أنها لا ترى نفسها إلا صغيرة فى أول الشباب .

(٥ — ٨) جشم الأمر (كعلم) تكلفه على مشقة ، وأجشمه الأمر كلفه إياه . بطر بالنعمة وأبطرته النعمة ، أخذته دهشة وحيرة عند هجومها فطغى بها . أطيار جمع طائر ، وطار طائره أسرع وخف وغضب . نبش الشر أفشاه . ونبش الشىء المستور وانتبشه كشفه وأظهره . الخلة الخليلة والزوجة ، والمحبة والصداقة . الأبيات (٦ — ٨) مترابطه متصلة ، ولم يبق منها كاملا إلا البيت الأخير . ومعناه غير واضح لى على التحقيق .

(٩ — ١٢) بانت بعدت . الصدع الشق . العثار (بفتح العين وتشديد الثاء) والعاثور الشر والمكروه والمتالف . شعب الشق وجبره لأمه ولحمه .

١٢ — فقد أصبحت لاأستطيع أن أتحدث إليها أو تتحدث إلى إلا عن رسول .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى حديث الخمر ، فيصور مجالسها فى بيئة يغمرها الترف الفارسى ، فيقول :

١٣ — ولقد أغدو على نديمى مبكرًا ، أشرب الصهباء صِرْفًا صافية كأنها حَدَقُ العيون .

١٤ — تغلبنا مرارتُها آنًا ، ونعالجها مقبلين عليها آنًا آخر .

١٥ — تكاد رائحتها الفوَّاحة تسكر قبل أن تذاق . ويَغْشَى المفاصلَ منها لينٌ وفتور .

١٦ — تسرى فى العظام فتخدِّرها ، وتصعد إلى الرأس ثائرة تفور .

١٧ — شربتها مُسْتَأنياً ، أتمزَّزُها بين أبناء الحان ، واخترتها اختيار خبير .

١٨ — أسوم صاحبها بيعَها ، وأعنف فى مناقشته حتى يغضب ويثور .

١٩ — معى من يحمل عنى ثمنها الغالى ، ويروِّينى من التى هى كالسمع والبصر للقلوب .

٢٠ — ذلك (أبومالك) أكرمُ الناس حين يشتد الجَدْب، فتحرص النفس على اللقمة التى تمسك الرمق وتقيم الأَوَد

٢١ — ....

٢٢ — تطربنا مغنيتان ، وعازفة تقلب بأناملها أوتار الصَّنْج .

٢٣ — وبَرْبَط لايفتر ولا يهن ، حتى تكاد نشوةُ الطرب تطغَى على نشوة الخمر .

٢٤ — ويسعى علينا الساقى ذو اللؤلؤتين ، يحمل قارورة الخمر الكبيرة ، ويسرع تكرارها .

٢٥ — حتى نشرب فى يوم وليلة ثمانين كأساً ، من أربع قوارير كبار .

١٢— وَأَصبَحْتُ لَا أَستَطِيعُ ٱلْكَلَامْ   سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمْسَارَهَا
١٣— وَصَهبَاءَ صِرْفٍ كَلَونِ ٱلفُصُو   صِ بَاكَرْتُ فِى الصُّبْحِ سَوَّارَهَا
١٤— فَطَوْرًا تَمِيلُ بِنَا مُرَّةً   وَطَوْرًا نُعَالِجُ إِمْرَارَهَا
١٥— تَكَادُ تُنَشِّى وَلَمَّا تُذَقْ   وَتُغْشِى الْمَفَاصِلَ إِفْتَارَهَا
١٦— تَدِبُّ لَهَا فَتْرَةٌ فِى ٱلْعِظَامْ   وَتُغْشِى الذُّؤَابَةَ فَوَّارَهَا
١٧— تَمَزَّزْتُهَا فِى بَنِى قَابِيَا   وَكُنْتُ عَلَى ٱلْعِلْمِ مُخْتَارَهَا
١٨— إِذَا سُمْتُ بَائِعَهَا حَقَّهُ   عَنَفْتُ وَأَغْضَبْتُ تُجَّارَهَا
١٩— مَعِى مَنْ كَفَانِى غَلَاءَ السِّبَا   وَسَمْعَ ٱلْقُلُوبِ وَإِبْصَارَهَا
٢٠— أَبُو مَالِكٍ خَيْرُ أَشْيَاعِنَا   إِذَا عَدَّتِ النَّفْسُ أَقْتَارَهَا
٢١— عَلَيْهِمْ ....
٢٢— وَمُسْمِعَتَانِ وَصَنَّاجَةٌ   تُقَلِّبُ بِالْكَفِّ أَوْتَارَهَا
٢٣— وَبَرْبَطُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ   فَقَدْ كَادَ يَغْلِبُ إِسْكَارَهَا
٢٤— وَذُو تُومَتَيْنِ وَقَاقُزَّةٌ   يَعُلُّ وَيُسْرِعُ تَكْرَارَهَا
٢٥— تُوَفِّى لِيَوْمٍ وَفِى لَيْلَةٍ   ثَمَانِينَ نَحْسُبُ إِسْتَارَهَا

(١٢ — ١٥) السمسار الرسول بين المحبين . أراجعه أحاوره وأناقشه . صهباء حمراء أو شقراء ، والصهباء الخمر ، وقيل هي المعصورة من العنب الأبيض . صرف خالصة لم تمزج بالماء ، الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهي حدقة العين ، تشبه بها الخمر في صفائها . باكرها بادرها في الصباح . سار الشراب في رأسه دار وارتفع ، والسوار صفة للشراب نفسه أو لشارب الخمر الذي تسور في رأسه فيعربد . مال به غلبه . عالج الشيء زاوله ومارسه . أمر الشيء صار مراً . فتر سكن بعد حدته ولان بعد شدته . أفتره جعله يفتر ويسكن .

(١٦ — ١٨) تدب تسرى ، والدبيب المشى الضعيف كمشى النملة . فترة ضعف وانكسار . الذؤابة الرأس . فوارها من فارت القدر إذا جاشت وغلت ، وفار العرق هاج وضرب . تمزز الشراب تمصصه . بنو قابياء المجتمعون لشرب الخمر . والقابياء اللئيم . سام المشترى السلعة طلب من صاحبها بيعها . تجارها أى تجار الخمر .

(١٩ — ٢١) سبأ الخمر سبأ وسباء اشتراها ليشربها . سمع القلوب وإبصارها هى الخمر ، يصفها بذلك . أبو مالك بدل من (من كفانى) فى البيت السابق . شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، وجمعها أشياع وشيع . عد المال وعدده جمعه وادخره . أقتار جمع قتر (بفتح فسكون) وهو ما يمسك الرمق من العيش .

(٢٢ — ٢٥) مسمعتان جاريتان تغنيان . الصناجة الضاربة على الصنج ؛ وليس المقصود به هنا الصنج الذى تعرفه العرب ، وهو الدوائر النحاسية التى تكون فى أطراف الأصابع أو إطار الدف ، فينبعث منها رنين عند اصطفاقها . ولكن المقصود به هنا آلة موسيقية ذات أوتار ، كان يستعملها الفرس . البربط آلة موسيقية ذات أوتار (رومى معرب) . القاقزة والقاقوزة إناء من آنية الشراب (معرب) . عله سقاه المرة الأولى . إستار أربعة ، معرب جهار الفارسية . توفى يعنى القاقوزة ، كل واحدة منها تسع عشرين كأساً . فاذا شربوا بالصغير ثمانين يكون بالكبير أربعة .

هذه القصيدة من شعر الأعشى في صاحبته (قتيلة) ، التي ظفرت بأكبر نصيب من غزله . وقد فرغ الشاعر فيها للغزل والوصف .

يقول الأعشى :

١ — بَلِيَ كل جديد يا (قَتْلُ) ، وحبك لا يبلَى ولا يَبِيد .

٢ — رمت فؤادك بلحاظها فصادته ، فليت الذى أسقمه الحب وأضناه يستطيع أن يصيد !

٣ — ولكنه يرميها فلا يصيب . وكيف تُصطاد غانية كَفور بالمودة جَحُود بالعهود ؟

٤ — يا فتنة العاشق ويا شوقاً لا ينقضى ولا يَبيد . لقد شقى بكِ كلُّ من أحبك، فما تعلَّق بك رجلٌ سعيد.

ثم يتجه الأعشى إلى نفسه ، طالبا إليها أن تتماسك وتصطبر ، فيقول :

٥ — أما آن لك أن تَلزَم الحياء ، وتكف عن البكاء ، صَنِيعَ الصبى الصغير ؟

ولكن ذكراها لا تبرحه ، فهو مشغول بها أبدا . وهو يعود للتحدث عنها قائلا :

(٦ — ٧) سهرتُ لا يغمض لى جفن ، وقد لاحت لى نارك فى (وَاقِصة) ، وأنا مقيم عند ماء (زَرُود) ، أقول للقوم : هذه نارها ! ويالها من نار ليس كمثلها نار .. ولكن ماذا أرى ؟ وعن أى شيء يكشف لهيب النار حين سطع وأضاء ؟

ويستغرق الأعشى فى حلم يتمثل فيه صاحبته ، وكأنها قد لاحت له من بعيد .

(٧ — ١٠) هاهى ذى وقد أضاءتها النار . . حوراء العينين ، رَخْصة القوام ، تَكدَّسَ فوق صدرها الدر المنظوم . وجهها كأصول الليف الندية البيضاء ، وشعرها طويل ، تسترسل غدائره السوداء ، على جِيد كالفضة الملساء . تبسم عن ثغر بارد عذب تبرق أسنانه كأنها البلور ، من ذاق قبلة منه جُنَّ به ولم يصبر عنه .

ويطول ليل الأعشى وهو ساهر يرقب نارها ، ينعم بأحلامه آنا ، ويفيق منها آنا آخر ، ليتلظى بنار الحسرة والحرمان .

(١٣ — ١٥) ما أطول ليل المحبين ! كأن نجومه قد شُدَّت إلى حبال ربطت بالجبال ، فهى تسرح وتدور ، ولكنها مكانها لا تزور . إذا قلت لنفسى : مضى الليل وآن لها أن تغيب ، طلعت نجوم (الثريَّا)

وقال :

١ — أَلَا يَا قَتْـلُ قَدْ خَلُقَ ٱلْجَـدِيدُ   وَحُبكِ مَا يَمِحُّ وَمَا يَبِيـدُ   (وافر)

٢ — وَقَدْ صَادَتْ فُؤَادَكَ إِذْ رَمَتْهُ   فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا دَنِفًا يَصِيـدُ

٣ — وَلٰكِنْ لَايَصِيـدُ إِذَا رَمَاهَـا   وَلَا تُصْطَـادُ غَانِيَةٌ كَنُودُ

٤ — عَلَاقَةَ عَاشِقٍ وَمِطَالَ شَوْقٍ   وَلَمْ يَعْلَقْكُمُ رَجُلٌ سَعِيدُ

٥ — أَلَا تَقْنَى حَيَاءَكَ أَوْ تَنَاهَى   بُكَاءَكَ مِثْلَ مَا يَبْكِي ٱلْوَلِيـدُ

٦ — أَرَيْتُ ٱلْقَوْمَ نَارَكِ لَمْ أُغَمِّـضْ   بِوَاقِصَـةٍ وَمَشْرَبُنَا زَرُودُ

٧ — فَلَمْ أَرَ مِثْلَ مُوقِدِهَا وَلٰكِنْ   لِأَيَّةِ نَظْرَةٍ زَهَرَ ٱلْوَقُودُ

٨ — أَضَاءَتْ أَحْوَرَ ٱلْعَيْنَيْنِ طَفْـلًا   يُـكَدَّسُ فِي تَرَائِبِهِ ٱلْفَرِيدُ

٩ — وَوَجْهًا كَٱلْفِتَاقِ وَمُسْبَكِرًا   عَلَى مِثْلِ اللُّجَيْنِ وَهُنَّ سُودُ

١٠ — وَتَبْسِمُ عَنْ مَهًـا شَبِمٍ غَرِيٍّ   إِذَا يُعْطَى ٱلْمُقَبِّلَ يَسْتَزِيدُ

١١ — .... يدُ

١٢ — .... جُودُ

١٣ — كَأَنَّ نُجُومَهَـا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ   وَأَمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَرِيدُ

١٤ — إِذَا مَا قُلْتُ حَانَ لَهَـا أُفُولُ   تَصَعَّدَتِ الثُّرَيَّا وَالسُّعُودُ

(١ — ٣) خلق بلى . مح الثوب بلى باد يبيد هلك وذهب . الدنف من لازمه المرض وحالفه السقم . الغانية الجميلة التى استغنت بجمالها عن الزينة . امرأة كنود كفور للمودة والمواصلة . والكنود الذى يعد السيئات وينسى الحسنات .

(٤ — ٦) علق به علاقة (كطرب) هويه وأحبه . قني الحياء يقناه (كعلم) لزمه . تناهى فعل مضارع أى تتناهى . الوليد الصبى . واقصة ماء لبنى كعب ، وموضع بطريق الكوفة دون مرخ ، وموضع باليمامة . زرود موضع قرب الكوفة فى طريق الحاج .

(٧ — ٩) زهر أضاء وتلألأ . نظرة اسم مرة من نظره إذا مد طرفه إليه . ونظار فلان (لازم) تكهن . أحور العينين أسودهما . الطفل (بفتح الطاء) الرخص الناعم . الترائب عظام الصدر . الفريد الدر المنظوم والمنفصل بغيره من كريم الأحجار . الفتاق أصل الليف الأبيض ، وقرن الشمس ، وعينها . المسبكر كالمسبطر وزنا ومعنى وهو المسترسل : يقصد شعرها . اللجين الفضة ، يقصد رقبتها . هن أى غدائر الشعر .

(١٠ — ١٢) اللها البلور . شبم بارد . غرى فعيل ، من غرى الغدير (كعلم) برد ماؤه . والغرى كذلك الحسن من كل شيء والبناء الجيد ، ومنه الغريان ، البناءان المشهوران فى الكوفة ، قبرا نديمى جذيمة الأبرش .

(١٣ — ١٤) نجومها نجوم تلك الليلة التى أرق فيها الأعشى . الأمراس الحبال ، والمفرد مرسة (بالتحريك) ، جمعها مرس (بفتحتين) ، وجمع الجمع أمراس . استرادت الدابة رعت . أفول غروب . الثريا مجموعة من النجوم تتكون من كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل . السعود مجموعة أخرى من النجوم تتكون من عشرة كواكب .

و (السُّعود) . ثم تميل للغروب بعد ليل طويل وما كادت تغيب ، ويخمد بريقها حين ينتشر ضوء الصباح .

وتتمثل أمام عينيه صورتها ، حين رحلت عائدة إلى موطنها مع قومها ، بعد أن جاوروا قوم الأعشى زمنا ، يجمعهم الخصب والمرعى . وكأنه يرى الجمال تتحرك أمامه الآن .

(١٦ — ١٨) انظر ياصاحبي ! ألا ترى الهوادج من فوق الجمال فى ضوء الفجر الخافت ، عليها الوسائد الوثيرة والطنافس الموشَّاة تُشْرِف من فوقها الأوانس كأنهن ظباء (وَجْرَة) ، وقد لبسن الثياب المخططة ، من تحتها القمصان المصبَّغة الصفراء ؟ استَوَيْنَ فوق هوادجهن العالية . وتركنك فى تلك الغَدَاة وقد غلبك الشوق حتى أشرف بك على الهلاك .

رحلت صاحبته الجَحُود ، وسار هو فى أثرها يضنى ناقته ، فلم يجد منها إلا النفور والصدود . فهو يرثى لناقته المكدودة قائلا :

(١٩ — ٢٠) يا للناقة المسكينة ، وقد أجهدتها الرحلة الشاقة المضنية ، فتركتها قصيرة الخَطْو . وما كانت تقصد فيما نالها من إعياء غيرَ دار هذه الصاحبة الكَنُود . أى عناء قد حُمِلْتِ عليه أيتها المسكينة ، فى سبيل قوم قد امتلأت قلوبُهم بالعداء ، وأحرقت أكبادَهم البغضاء .

ويتجه الأعشى إلى (قتَيْلة) فيقول :

٢١ — فارقِينى . فليكن صديقك الذى تتخذينه من بعدى فتى كَسُوبا سخيا مثلى ، يعرف كيف يجمع المال ، وكيف ينفقه فى سخاء .

ويجمع الشاعر عزمه ، ليقول لها مستخفا ، مفاخرا بقوته وصلابته :

(٢٢ — ٢٥) كم لهوتُ بمثلك ، وكم قطعتُ من قَفْرٍ مُضِل ، لا يجرؤ على اقتحامه صاحبُ الناقة الفتيَّة الجَسُور . قطعتُه وحدى ، لا أصاحب إلا ناقة ضخمة كأنها قطعة من الجبل ، تسترسل مندفعة حين تمضى

١٥— فَلَأْيًا مَا أَفَلْنَ مُخَوِّيَاتٍ   خُمُودَ النَّارِ وَارْفَضَّ ٱلْعَمُودُ
١٦— أَصَاحِ تَرَى ظَعَائِنَ بَاكِرَاتٍ   عَلَيْهَا ٱلْعَبْقَرِيَّةُ وَٱلنُّجُود
١٧— كَأَنَّ ظِبَاءَ وَجْرَةَ مُشْرِفَاتٍ   عَلَيْهِنَّ ٱلْمَجَاسِدُ وَٱلْبُرُودُ
١٨— عَلَى تِلْكَ ٱلْحُدُوجِ إِذِ ٱحْزَأَلَّتْ   وَأَنْتَ بِهِمْ غَدَاةَ إِذٍ مَجُودُ
١٩— فَيَالَدَنِيَّةٍ سَتَعُودُ شَزْرًا   وَعَمْدًا دَارَ غَيْرِكِ مَا تُرِيد
٢٠— فَمَا أُجْشِمْتِ مِنْ إِتْيَانِ قَوْمٍ   هُمُ ٱلْأَعْدَاءُ وَٱلْأَكْبَادُ سُودُ
٢١— فَإِذْ فَارَقْتِنِي فَاسْتَبْدِلِينِي   فَتًى يُعْطِي ٱلْجَزِيلَ وَيَسْتَفِيد
٢٢— فَمِثْلِكِ قَدْ لَهَوْتُ بِهَا وَأَرْضٍ   مَهَامِهَ لَا يَقُودُ بِهَا ٱلْمُجِيدُ
٢٣— قَطَعْتُ وَصَاحِبِي سُرُحٌ كِنَازٌ   كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ قَصِيدُ
٢٤— كَأَنَّ ٱلْمُكْرَهَ ٱلْمَعْبُوطَ مِنْهَا   مَدُوفُ ٱلْوَرْسِ أَوْ رُبٌّ عَقِيدُ

(١٥ — ١٨) اللأى البطء والاحتباس والشدة ، فعله لأى (كفتح) . خوى سقط . أفل غرب . ارفض الدمع سال ، وارفض الناس تفرقوا . عمود الصبح ضوؤه . أصاح أى ياصاحبي . ظعائن جمع ظعينة وهى الهودج إذا كان فيه امرأة ، وقد يطلق على المرأة نفسها . باكرات فى الصباح المبكر . العبقرى الديباج ، ومنه حديث عمر أنه كان يسجد على عبقرى ، قيل هو الديباج ، وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الثخان . والعبقري ضرب من البسط منسوب إلى عبقر ، بلد باليمن . أوهو منسوب إلى موضع بالبادية تسكنه الجن ، ينسبون إليه كل شىء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته . النجود جمع نجد (بفتح فسكون) وهو ما ينجد (أى يزين) به البيت من بسط وفرش ووسائد . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو من مراكب النساء كالهودج . احزألت ارتفعت ، الغداة من الفجر إلى طلوع الشمس . ومجود مفعول من جاده الهوى شاقه وغلبه ، والمجود كذلك المطشان والمشرف على الهلاك .

١٩— يالدنية يمكن أن يكون المقصود بها صاحبته أو ناقته . فعلى المعنى الأول الدنية القريبة . والشزر المعاداة : أى أنها أصبحت عدوا وقد كانت صديقاً . وعلى ذلك يقرأ الشطر الثانى (ما نريد) أي أننا مع ذلك لا نقصد إلا إلى دارك . ويقرأ بعد ذلك (فما أجشمت) بضمير الفاعل . فان كان المقصود بها الناقة فالدنية التي دانى لها صاحبها القيد وضيقه عليها ، يصفها بقصر الخطو بعد أن تعبت لبعد الطريق . والشزر هنا الشدة والصعوبة .

(٢٠ — ٢٢) أجشمت (على البناء للمجهول) من أجشمه الامر إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة . إتيان قوم يقصد قوم صاحبته التى انصرفت عنه. عدو أسود الكبد أحرقت كبده العداوة . الجزيل الكثير . يستفيد المال يكسبه . مهامه جمع مهمه (بفتح الميمين) وهى الصحراء . المجيد (اسم فاعل) من أجاد الرجل إذا كان ذا دابة جواد وفرس جواد .

(٢٣ — ٢٤) ناقة سرح (بضمتين) سريعة منبعثة سهلة السير . كناز ضخمة . الرعن أنف الجبل . الذعلبة الناقة السريعة ، القصيد الناقة السمينة لها نقى ، والنقى (بكسر فسكون) كل عظم ذى مخ . المكره الذى أكره على الذبح . المعبوط من عبط الذبيحة (كضرب) نحرها من غير علة وهى سمينة . داف الدواء والزعفران يدوفه خلطه ، ودافه فى الماء أذابه وضربه فيه حتى يختثر ويتماسك . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصبغ به وتطلى به النساء وجوههن . الرب الطلاء الخاثر ، الرب كذلك دبس الرطب (بكسر الدال وسكون الباء) إذا طبخ . عقيد غليظ القوام ليس سائلاً (وهو فعيل بمعنى مفعول) .

فى الصحراء . وتملأ القُدُور حين تُنحر ، فيعلوها مَرَقٌ دسم غليظ ، كأنه مسحوق (الوَرْس) الأصفر المطبوخ ، أو عسل البلح المعقود . كأن الرَّحْل وقد أُثبِت فوقها فى (عُنَيْبسات) ، قد وُضِع فوق ثور مستوحش متوحد فى القفار .

ثم يستطرد الشاعر إلى تلك الصورة التقليدية المألوفة التى مرت بنا من قبل . فيصف صلابة هذاالثور فى كفاحه المرير .

(٢٦ — ٢٩) لجأ هذا الثور ذات ليلة إلى رملة (البقَّار) ، يسفعه ما تقذف به السماء من صقيع بارد ، ويدس رأسه بين الأشجار العالية كلما فاجأته دفعة من المطر ، محتميا بأغصانها الكثيفة المتهدلة . وراح ينفض عن نفسه الماء حين أصبح الصباح ، ويستعيد رباطة جأشه ، مطمئنا إلى قرونه الحادة الطويلة التى يدفع بها عن نفسه ، وإلى أظلافه المنبسطة الوثيقة التى تعينه على الكر والفر فى القتال .

وينتقل الشاعر من هذه الصورة إلى صورة أخرى من تلك الصور المألوفة فى الشعر الجاهلى ؛ مشبها ناقته بحمار من حمر الوحش ،[1] فيقول :

(٣٠ — ٣٣) وشبيه آخر لناقتى فيما نالها من إعياء ، ذلك الحمار الغليظ ، قد أضمره الجرى وطوى لحمه ، فهو مكتنز خَمِيصُ البطن . يمرح فى الوديان ، ويأكل ما أنبتت من عشب ، وقد اتسع أمامه المرعى وانفسح . يلاحق أتانا طويلة الظهر ، تنفر منه ممتنعة عليه ، ولكنها تنزل على حكمه آخر الأمر . ظل هذا الحمار صيفا طويلا يرقبها منتظرا ، وقد تساقط شعره من الهزال لجفاف العشب والماء ، فاشتد شوقه إليها وشهوته لضِرَابها . ولكن الأتان تنفر منه ، وترفسه برجليها كلما عاد إليها فتصيب أنفه وجبهته .

(١) راجع القصائد ١ : ٢٧ — ٣١ ، ٢١ : ١٥ — ٢٠ ، ١٥ : ٩ — ٢٣ وراجع كذلك فى نفس الصورة : ديوان النابغة (ط . الهلال ١٩١١) ص ٨٤ — ٨٥ ، ديوان زهير (ط . دار الكتب) ص ٦٥ — ٧٢ ، معلقة لبيد الأبيات ٢٤ — ٣٥ ، ديوان امرىء القيس ط . السندوبى) ص ١٠٦ — ١٠٧ .

٢٥— كَأَنَّ قُتُودَهَا بِعُنَيْبِسَاتٍ ... تَعَطَّفُهُنَّ ذُو جُدَدٍ فَرِيدُ
٢٦— تَضَيَّفَ رَمْلَةَ ٱلْبَقَّارِ يَوْمًا ... فَبَاتَ بِتِلْكَ يَضْرِبُهُ ٱلْجَلِيدُ
٢٧— يُكِبُّ إِذَا أَجَالَ ٱلْمَاءَ عَنْهُ ... غُصُونُ ٱلْفَرْعِ وَالسَّدَلُ ٱلْقَرِيدُ
٢٨— فَأَصْبَحَ يَنْفُضُ ٱلْغَمَرَاتِ عَنْهُ ... وَيَرْبِطُ جَأْشَهُ سَلِبٌ حَدِيدُ
٢٩— وَرُحٌّ كَٱلْمَحَارِ مُوَتَّدَاتٌ ... بِهَا يَنْضُو ٱلْوَغَى وَبِهِ يَذُودُ
٣٠— أَذَلِكَ أَمْ خَمِيصُ ٱلْبَطْنِ جَأْبٌ ... أَطَاعَ لَهُ النَّوَاصِفُ وَٱلْكَدِيدُ
٣١— يُقَلِّبُ سَمْحَجًا فِيهَا إِبَاءٌ ... عَلَى أَنْ سَوْفَ تَأْبَى مَا يَكِيدُ
٣٢— بَقَى عَنْهَا ٱلْمَصِيفَ وَصَارَ صَعْلًا ... وَقَدْ كَثُرَ التَّذَكُّرُ وَٱلْفُقُودُ
٣٣— إِذَا مَا رَدَّ تَضْرِبُ مَنْخِرَيْهِ ... وَجَبْهَتَهُ كَمَا ضُرِبَ ٱلْعَضِيدُ
٣٤— فَتِلْكَ إِذَا ٱلْحُجُوزُ أَبِي عَلَيْهِ ... عِطَافَ ٱلْهَمِّ وَٱخْتَلَطَ ٱلْمَرِيدُ

---

٢٥ — القتود خشب الرحل وعيدانه ، جمع قتد . عنيبسات موضع ، كذلك جاء فى معجم البلدان ولم يحدده. وهى فى الاصل (عنيسبات) والتصحيح عن ياقوت . تعطفهن أى تردى بهن ولبسهن . والضمير يعود على القتود . الجدد جمع جدة (بضم الجيم وتشديد الدال) وهى الخطة فى ظهر الثور أو الحمار تخالف لونه . فريد واحد متفرد وصف للثور .

(٢٦ — ٢٨) البقار رمل بنجد أو بناحية اليمامة (موطن الأعشى) . تضيفها نزل بها . بتلك أى تلك الرملة. الجليد الصقيع الذى ينزل من السماء ليلا كأنه الثلج . يكب يطاطىء رأسه . أجال الماء عنه حوله . فرع كل شىء أعلاه . السدل المسترسل المتهدل ، القريد الكثيف المجتمع بعضه فوق بعض ، من قرد الصوف إذا تلبد . الغمرات الشدائد ، والغمرة (بفتح فسكون) الماء الكثير . الجأش اضطراب القلب عند الفزع ، يربط جأشه أى يشجعه . سلب طويل يقصد قرنه . حديد حاد .

(٢٩ — ٣٠) رح صفة لأظلافه ، جمع أرح وهو الحافر الواسع والظلف المنبسط ، وهو محمود . موتدات ثابتة فى الأرض متمكنة منها لانبساطها. بها الضمير يعود على الأظلاف . نضا الفرس الخيل سبقها وتقدمها . الوغى الحرب، وأصلها الصوت والجلبة . وبه الضمير يعود على القرن فى آخر البيت السابق . يذود يدافع . خميص ضامر . جأب غليظ . النواصف جمع ناصفة ، وهى مجرى الماء ، وما اتسع من بطن الوادى . الكديد الوادى العظيم المتسع . أطاع له المرتع وطاع له اتسع وأمكنه الرعى . وهو يصف بالبيت الاخير حمار الوحش . يقول : أذلك الثور شبيه ناقتى أم هذا الحمار .

(٣١ — ٣٢) السمحج الطويلة الظهر ، يقصد الاتان . يقلبها يوجهها حيث شاء . إباء امتناع ونفور ، أى أنها تنفر من الحمار ولا تنقاد له . ما يكيد مايريد ويدبر . وهو شبيه بقول النابغة :

أضر بجرداء النسالة سمحج ... يقلبها إذ أعوزته الحلائل

بقاه يبقيه وبقوه رصده وترقبه وانتظره . المصيف موضع الاقامة فى الصيف أو زمانه ، والمقصود هنا الزمان ، وهى منصوبة على الظرفية . صعل ذاهب الوبر قد تساقط شعره ليبس الكلأ فى الصيف . الفقود من فقده إذا غاب عنه وعدمه . أى أنه ظل ينتظرها طول الصيف وقد اشتد شوقه إليها ، يريد الضراب ولكنها تمتنع عليه وتأباه .

(٣٣ — ٣٤) رد عاد إليها . تضرب منخريه ترفسه برجليها الخلفيتين فى وجهه . العضيد أغصان الشجر يقطعونها ، فإذا جفت خبطوها بالعصى حتى يسقط ورقها فيتخذوه علفا لابلهم . عضد الشجر (كضرب) قطعه ، فهو معضود وعضيد . الحجوز والحجور (بالراء والزاى) من الحجز والحجر وهو المنع والحرمان . عطاف من العطف وهو الميل . الهم ما يشغل النفس وما تجيل الفكر فى تدبيره . اختلط تشابك وتعقد . المريد المطلوب من راد الشىء أي طلبه .

ويتوالى على وجهه الضرب ، كما تضرب أغصان الشجر ليُنْفَض ما عليها من ورق .

ويعود الشاعر آخر الأمر إلى ناقته ليقول :

٣٤ — ذلك الحمار شبيه ناقتى إذا حالت الحوائل دون تحقيق ما أُهِمّ به من أمر ، والتوى علىّ ماأُ ريد .

ويتجه الشاعر إلى صاحبته بعد هذا الحديث الطويل عن صلابة عوده ، وقدرته على اقتحام الصحراء ، وصبر ناقته على ما فيها من مشاق ، فيقول لها :

(٣٧ — ٣٨) إنكِ لو سألتِ يا (قَتْلُ) لعرفت موضعنا من المروءة ومكانَنا من القوم . سلى عن صنيعنا حين يتخلى الناس عن الأسير ويسلمونه ، وقد ثوى فى قيوده سنين ، حتى أضناه الهم والوجع الشديد .

(٣٩ — ٤٠) عند ذاك يقدم وفدنا على الملوك فيشفع له ويخلصه ، حين تُرَدُّ وفود الناس ولا تقبل شفاعتهم . نفعل ذلك لا نريد من صاحبه جزاء ولا شكورا ، ولكنا ندع الحمد للذى يطلبه ويرتجيه .

(٤١ — ٤٢) كم من عدو يعضون على أنيابهم من شدة الغيظ ، ويتهددون متوعدين ، فلا تنالنا أيديهم ، ولا يضيرنا وعيدهم . طلبوا ما فى أيدينا فأخذنا مافى أيديهم، ومكر بنا سيدهم فحاق بهم مايمكرون.

٣٥— .... النشيد
٣٦— ....حلت وحيا لا يطيبُ ولا يفيدُ
٣٧— فَأَنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيْلَ عَنَّا إذَا صَفَحَتْ عَنِ الْعَانِي الْخُدُودُ
٣٨— تَنِيهِ وَقَدْ أَحَالَ الْقِدُّ فِيهِ وَشَفَّ فُؤَادَهُ وَجَعٌ شَدِيدُ
٣٩— تَخَلَّصَهُ الَّذِي وَافَاهُ مِنَّا وَكُنَّا الْوَفْدَ إِذْ حُبِسَ الْوُفُودُ
٤٠— فَلَمْ نَطْلُبْ لَهُ شُكْرًا وَلَكِنْ نُوَلَّى حَمْدَ ذَلِكَ مَنْ يُرِيدُ
٤١— وَقَوْمٍ تَصْرِفُ الْأَنْيَابُ مِنْهُمْ عَلَيْنَا ثُمَّ لَمْ يَصِدِ الْوَعِيدُ
٤٢— بَعَوْنَا فَالْتَمَسْنَا مَا لَدَيْهِمْ وَكَادُونَا بِكَبْشِهِمُ فَكِيدُوا

(٣٥ — ٣٨) جواب الشرط فيما يتلو ، وهو بياض بالاصل . صفح عنه أعرض ، وأصله من صفح الوجه (بفتح فسكون) وهو عرضه ، أى ولاه صفح وجهه . العانى الأسير . الخدود جمع خد وهى الجماعة من الناس . تنيه تتخلى عنه وتتركه ، والضمير راجع على الخدود . القد (بكسر القاف) سير من جلد ، يعنى القيد الذى قيد به ذلك الأسير . أحال أتى عليه الحول أى العام ، أو مرت عليه أحوال أى سنون . شفه أضناه وأوهنه .

(٣٩ — ٤٠) وافاه أدركه . الوفد الذين يفدون على الملوك . حبس الوفود منعوا ولم تقبل شفاعتهم عند الملك الذى أمسك عنده ذلك الأسير . ولاه الأمر جعله ولياً عليه . أى أنهم يدعون الشكر على هذا الصنيع للذى يطلبه ؛ فهم لم يفعلوا ما فعلوا طلبا لأن يشكروا ، ولكنهم فعلوه بدافع المروءة .

(٤١ — ٤٢) صريف الأنياب صريرها حين يعض عليها المغيظ المحنق الحسود . الوعيد التهديد . لم يصد لم يصبنا بسوء ، من صاد يصيد . بعا يبعى ويبعو جنى وأجرم ، وبعاه قمره وأصاب منه ، وبعا الشىء استعاره . التمسنا ما لديهم طلبناه . كاده خدعه ومكر به . كبشهم سيدهم . كيدوا فعل ماض مبنى للمجهول من كاد يكيد .

رويت هذه القصيدة عن أبي عمرو الشيباني . وعندى أنها لا تصح للأعشى ، لأسباب كثيرة :

(١) القصيدة ركيكة ضعيفة النظم ، تشبه فى بعض أبياتها نظم المتون والشعر التعليمى الغث .

(٢) وهى متأثرة بالقرآن فى كثير من أبياتها . فالبيت (٩) متأثر بالآية (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله) . والتعبير عن الثواب فى ذلك البيت بقوله (الباقيات) ، متأثر بتعبير القرآن (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) . والبيت (١٠) متأثر بقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً). وقد سمى الناظم تعاليم الدين وأوامر الله فى البيت (١١) « كلام الله » ، وهى تسمية القرآن . قل تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه . .) . والتعبير عن الجارة المجاورة فى البيت (١٥) بـ « جارة جنب البيت » متأثر بتعبير القرآن (والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل) . ثم هو متأثر فى عجز البيت بقوله تعالى (وما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء) . والقصيدة فى جملتها نظم لتعاليم القرآن والاسلام .

(٣) وفى القصيدة ألفاظ غريبة على الاعشى ، وعلى العصر الجاهلى جملة . مثل (اللطيف) بمعنى ظريف ، فى قوله (ولا تشتمن جار اللطيف مدانيا). ومثل تسمية الله جل وعلا بـ (الرحمن) ، فهى تسمية لم تعرفها العرب فى الجاهلية . والادلة على ذلك كثيرة فى القرآن وفى السيرة . قال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ١) وقال جل وعلا يخاطب الكفار (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ٢) وجاء فى السيرة فى صلح الحديبية أن رسول الله صلى الله علية وسلم دعا عليا فقال له اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . فقال له سهيل بن عمرو — ممثل قريش فى الصلح — : أنا لا أعرف هذا . ولكن اكتب (باسمك اللهم ٣) .

(٤) والقصيدة بعد كل هذا تخالف ما عرف عن الاعشى من فسق ومن دعارة ، وتناقض سائر شعره . فلم يكن الأعشى قط واعظا ولا صاحب دعوة خلقية أو دينية . بل إن سائر القصيدة يناقض صدرها . فهو يخاطب عاذلته فى البيت الاول قائلا (ذرينى لك الويلات آتى الغوانيا)، ثم ينهى بعد ذلك عن الزنا فى البيت (١٥)

وكل هذه الأسباب مجتمعة ، تقطع بما لا يدع مجالا للتردد ، بأن القصيدة ليست للأعشى . ولعلها لواحد من الاعشين الآخرين — وهم كثير — ولو أنها فى نظمها الركيك لا تستحق أن تنسب لأدنى الناس حظاً من موهبة الشعر .

---

١ — ذرينى ـ لك الويل ـ أمتع نفسى من النساء ، فما أنا بصاحب زرع . ولا أنا ممن يسوق الجَمال .

٢ — ترجو الثراء من (سِيَاس) وأضرابها ، ومن قبل ذلك ما كنت تسعى وراء المـال .

٣ — سأوصى عاقلا إن دنا أجلى ـ وكل امرىء صائر إلى الفناء ـ

٤ — بأن لا ترج الخير ممن ينأى متباعدا ، ولا تنأ عمن يدنو إليك متقربا .

٥ — وأبغض من يبغضك ، واجز الصديق بمودته مودةً أو زد عليه .

٦ — وشارك سادة الحى فيما ينوب من مغَارِم ، غير مبطىء ولا متخاذل .

٧ — وإن صد عنك رجل من الناس فاصدد عنه ، كائنة ما كانت قرابته .

٨ — واتق الله فليس كتقواه شيء ، وواس الجائع الذى أضنته الفاقة .

٩ — ولا تشرك بربك ، فالشرك تنقص من ثوابك فيما قدمت من خير .

١٠ — واعبد ربك غير مشرك به ، ليعينك على ما تسعى إليه ويرعاك .

١١ — ولا تأكل الميتة . فيحسبك كلام الله ناهيا وزاجرا .

١٢ — ولا تقدم من الوعود ما لا تستطيع الوفاء به . ولا تشتم الجار المخلص اللطيف .

---

(١) الفرقان ٦٠ (٢) الاسراء ١١٠ (٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣٢

وقال :

(طويل)

١ — ذَرِينِى لَكِ ٱلْوَيْلاَتُ آتِى ٱلْغَوَانِيَا ... مَتَى كُنْتُ ذَرَّاعًا أَسُوقُ السَّوَانِيَا

٢ — تُرَجِّى ثَرَاءً مِنْ سِيَاسٍ وَمِثْلِهَا ... وَمِنْ قَبْلِهَا مَا كُنْتُ لِلْمَالِ رَاجِيَا

٣ — سَأُوصِى بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ ٱلْبِلَى ... وَكُلُّ آمْرِئٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فَانِيَا

٤ — بِأَنْ لاَ تَأَنَّ ٱلْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ... وَلاَ تَنْأَ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ رَاضِيَا

٥ — فَذَا الشَّنْءِ فَٱشْنَأْهُ وَذَا ٱلْوُدِّ فَٱجْزِهِ ... عَلَى وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ٱلْغَلاَنِيَا

٦ — وَآسِ سَرَاةَ ٱلْحَىِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا

٧ — وَإِنْ بَشَرٌ يَوْمًا أَحَالَ بِوَجْهِهِ ... عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ دَانِيَا

٨ — وَإِنَّ تُقَى الرَّحْمٰنِ لاَ شَىْءَ مِثْلُهُ ... فَصَبْرًا إِذَا تَلْقَى السَّحَاقَ ٱلْغَرَائِيَا

٩ — وَرَبَّكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ إِنَّ شِرْكَهُ ... يَحُطُّ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ تِلْكَ ٱلْبَوَاقِيَا

١٠ — بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ لاَ شَرِيكَ لِوَجْهِهِ ... يَكُنْ لَكَ فِيمَا تَكْدَحُ ٱلْيَوْمَ رَاعِيَا

١١ — وَإِيَّاكَ وَٱلْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا ... كَفَى بِكَلاَمِ اللهِ عَنْ ذَاكَ نَاهِيَا

١٢ — وَلَا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَالَسْتَ مُنْجِزًا ... وَلَا تَشْتِمَنْ جَارًا لَطِيفًا مُصَافِيَا

(١ — ٣) ذريني اتركيني ، يخاطب عاذلته يقول لها دعيني وشأني . الغواني جمع غانية وهى المرأة الجميلة لأنها تستغنى بجمالها عن الزينة . السوانى جمع سانية وهى الناضحة أى الناقة التى يستقى عليها فتحمل الماء . سياس لعله اسم صاحبته ، أو لعله يقصد سيواس بلد بالروم ، أو لعله من ساس الدواب يسوسها سياسة إذا قام عليها وراضها ، والمعنى على كل حال غير واضح لى . البلى الموت والفناء . بصير عاقل فطن . والبيت الثالث والرابع مكرران فى القصيدة (١٤) . فى البيتين (٥ ، ٦) منها .

(٤ — ٦) تأني ترفق وتمهل وانتظر . أى تنتظر ودا ولا خيرا منه . شنأه شنأ كرهه وأبغضه . الغلانية (بالغين المعجمة) الغلو والاسراف ، فعلها غلن (كفتح) . وروى العلانيا (بالعين المهملة) ، من علن الامر (كنصر) علونا وعلانية شاع وظهر . السراة جمع سرى (كغنى) وهو الشريف والسيد . آسهم أى عاونهم يقصد المشاركة بالمال في المغارم . الرباعة لاالة يحتملها سيد القوم من ديات القتلى والمغارم ، ثم يسعى فى جمعها من قومه . وانيا بطيئا .

(٧ — ٨) أحال بوجهه ولاه وصرفه . عليك يقصد عنك . حل عنه انصرف . وان كان دانيا قريب القرابة . السحاق من السحق وهو البعد ، والسحيق البعيد . والأليق بما بعدها أن تكون من الضمور والهزال ، من قولهم أسحق الشىء إذا ضمر وانضم ، وأسحق الضرع ذهب لبنه وبلى ، ومنه كذلك السحق (بفتح فسكون) وهو الثوب البالى . الغرات (بكسر الغين) جمع غرثان وهو الجائع ، فعلها غرث (كعلم) . والصبر هنا الكفالة من قولهم صبر نفسه به صبراً أى كفله وعاله وقام بالانفاق عليه ، وأصله الحبس ، كأنه قد حبس نفسه عليه .

(٩ — ١٢) يحط من الخيرات ينقصها . البواقى يقصد ثواب الآخرة الذى يبقى ويدوم . تكدح تعمل وتشقى . راعيا حافظا . أنجز الوعد أمضاه وأنفذه ، مصافيا مخلصاً . صدر البيت (١١) مكرر فى القصيدة ١٧ : ١٩ .

١٣ — ولا ترغب عن وصل ذوى القربى ، ولا تك ظلوما لقومك .

١٤ — وأدِّ الأمانة التى اؤتمنت عليها ، يذكرك الناس بعدموتك بالخير والوفاء .

١٥ — ولا تسع لإفساد جارتك ، فالله يراك من حيث لا تراه .

١٦ — ولا تحسد صديقك إن استغنى ، ولا تنأ عنه إن واتاك المال .

١٧ — ولا تتخل عن قومك إن مسَّهم الضُّر ، فأنك لا تعدم بمشاركتك سبيلا إلى المجد .

١٨ — واشدد أزْر المستجير بك ، ودافع من دونه موقدا نار الحرب حاميةً تَسْفَع الوجوه .

(٦٧)

رووا فى قصة هذه الأبيات أن الأعشى أقبل من عند قيس بن معديكرب ، فمر بالطائف ، فنزل بعروة بن مسعود الثقفى فأكرمه وكساه .
والطائف قرية شرق مكة ، على سفح جبل غزوان ، كانت - ولا تزال - كثيرة الفواكه والبساتين ، معتدلة الجو ، لارتفاعها ، وكثرة المياه والزروع فيها . وكانت (ثقيف) تنزلها ، وقد حصنتها بسور .
أما عروة بن مسعود بن معتب فهو أحد سادة ثقيف ، وكان متزوجا آمنة بنت أبى سفيان بن حرب (١) . وهو عم والد المغيرة بن شعبة ، وقد أوفدته قريش إلى النبى حين قدم عليهم فى الحديبية ، وكان له معه حديث (٢) . وأوفده قومه بعد ذلك إلى النبى مرة أخرى ليهادنه ، بعد انصرافه عن حصارهم ، فأسلم (٣) ، ثم عاد إلى قومه يدعوهم للاسلام فقتلوه سنة ٩ هـ . وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه أحد المقصودين بقوله تعالى - يحكى قول الكفار - (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٤) .

---

١ — إذا أتيت ديار ثقيف ما دحا تنشد الشعر ، أَلفيتَ قوما كراما يغمرونك بعطائهم الغزير .

٢ — إن الكريم إذا حللتَ ببابه وإذا سألته : هو (أبو يَعْفور) .

---

(١) السيرة ٤ : ١٢٦ . (٢) السيرة ٣ : ٣٢٧ ، ٣٢٨ . (٣) السيرة ٤ : ١٨٢ . (٤) الاصابة ٢ : ٤٧٧ .

١٣ — وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ وَلَا تَكُ سَبْعًا فِى ٱلْعَشِيرَةِ عَادِيَا
١٤ — وَإِن ٱمْرُؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ أَمَانَةً فَأَوْفِ بِهَا إِنْ مِتَّ سُمِّيتَ وَافِيَا
١٥ — وَجَارَةَ جَنْبِ ٱلْبَيْتِ لَاتَبْغِ سِرَّهَا فَأَنَّكَ لَا تَخْفَى عَلَى اللهِ خَافِيَا
١٦ — وَلَا تَحْسُدَنْ مَوْلَاكَ إِنْ كَانَ ذَاغِنًى وَلَا تَجْفُهُ إِنْ كُنْتَ فى المَالِ غَانِيَا
١٧ — وَلَا تَخْذُلَنَّ ٱلْقَوْمَ إِنْ نَابَ مَغْرَمٌ فَأَنَّكَ لَاتَعْدَمْ إِلَى ٱلْمَجْدِ دَاعِيَا
١٨ — وَكُنْ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجَارِ حِصْنًا مُمَنَّعًا وَأَوْقِدْ شِهَابًا يَسْفَعُ ٱلْوَجْهَ حَامِيَا

(٦٧)

وقال يمدحُ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ :

١ — وَإِذَا أَتَيْتَ مُعَتِّبًا فِى دَارِهَا أَلْفَيْتَ أَهْلَ نَدًى هُنَاكَ خَبِيرِ (كامل)
٢ — إِنَّ ٱلْجَوَادَ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ وَإِذَا تَسَائِلُهُ أَبُو يَعْفُورِ
٣ — .... وُرِ

(١٣ — ١٥) زهد فيه (كفتح وعلم وكرم) رغب عنه وتركه . عاديا تعدو على الناس وتظلمهم . أسدى ألقى . أوف بها أد إليه أمانته . جارة جنب البيت التى يلاصق بيتها بيتك . السر هنا بمعنى الزنى ، والسر كذلك الموضع نفسه من الأنثى . خافيا حال من الضمير المستتر فى (تخفى) أى لاتخفى حال تظن أنك خاف . وقد تكرر معنى البيت (١٥) فى القصيدة ١٧ : ١٤ ، التى تنسب له فى مدح النبى .

(١٦ — ١٨) جفاه رغب عنه وتركه. غانياً غنياً . المغرم الغرامة ، وهى المشقة والضرر ، وأن يلتزم الانسان أداء ماليس عليه . نابهم أصابهم وحل بهم . لاتعدم ، جزم الفعل هنا شاذ ، لأن لا النافية لاتجزم . داعيا سببا . الشهاب شعلة النار الساطعة ، يقصد بها الحرب فى سبيل حماية الجار اللاجىء . يسفع الوجه يلفحه ويحرقه فيغير لونه .

(٦٧)

(١ — ٣) معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن عوف بن ثقيف جد عروة (الممدوح) . خبير غزير ، من الخبر (بفتح فسكون) . والخبراء وهى الناقة الغزيرة اللبن ، ومنه خبرت الأرض إذا كثر شجرها . وأظنه تصحيفا ولعل الصواب : ألفيت أهل ندى هناك وخير (بكسر الخاء) ، وهو الكرم والشرف . أبو يعفور كنية الممدوح ، واليعفور هو الظبى وولد البقرة الوحشية .

يمدح الأعشى بهذه القصيدة قيس بن معديكرب . وقد تقدمت فى مدحه أربع قصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) . وبقى للأعشى فى مدحه قصيدتان ، هما (٧٦) ، (٧٨) . والقصيدة الأخيرة كلها غزل وخمر ، ولكنه ختمها بأربعة أبيات فى مدحه.

يبدأ الشاعر قصيدته متحدثا عن صاحبته المحبة (قتيلة) .

(١ — ٢) فقد وقف الأعشى على ديارها فى (هَضْب القَلِيب) ، ففاضت عيناه بالدموع ، فَيْضَ الدلاء بالماء . هنالك وعدته (قُتَيْلَة) اللقاء ، ثم أخلفته الميعاد ، ولم تكن من قبل كذوبا تُخْلِف الوعود .

ويتذكر الأعشى جمالها متحسرا فيقول :

٣ — ظبية من ظباء (بَطْن خَسَاف) ، ترعى طفلا لها صغيرا فى الوادى الفسيح ، قد حظى بكل عنايتها فلم يَشْغَلها عنه حليل .

ثم يقول :

٤ — أطاعت الوشاة . وقد كنت أوصيتها ألا تستمع إلى مايبلغونها عنى من أكاذيب .

وينتقل الأعشى من هذا الغزل إلى الصحراء ، فى طريقه للممدوح ، فيقول :

(٥ — ٧) كم قطعت من قَفْر مجدب عار من كل شىء ، كأنه ظهر تُرس ، فوق ناقة صلبة ضامرة ، تمد عنقها فى انطلاقها حين تختال بالراكبَيْن فوق ظهرها ، وتمضى لوجهها لا يثنيها شىء ، كأنها الفَحْل الأبيض الكريم ، نذره صاحبه للمرعى فسيَّبه لا يُركب ولا يُمَس . تختال فى الموكب إذا خف ، وتتميز من بينه بأيد سراع ، وسنام ضخم قد اكتنز بالشحم .

ثم يتخلص الأعشى إلى المدح فيقول :

(٨ — ١١) يمَّمَتْ ناقتى هذه شَطر (بنى الحارث) ، أهلِ الغناء والطرب والخمر . يلجأ إليهم المستجير ، فيسكن فى جوارهم ويطمئن ، حتى مايجرؤ صاحب الثأر على أن يغتاله فى الخفاء . ويبذلون الطعام إذا انقطع المطر ، وهبت ريح الشمال بالثلج والصقيع ، وأمحلت نجوم (المَجَرَّة) ، حتى ماتَدِرُّ ريحُ الجنُوب ما يسقى وَعلاً ظمآن .

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

١ — مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ ٱلْقَلِيبِ   فَاضَ مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ ٱلْغُرُوبِ   (خفيف)

٢ — أَخْلَفَتْنِي بِهِ قُتَيْلَةُ مِيعَا   دِي وَكَانَتْ لِلْوَعْدِ غَيْرَ كَذُوبِ

٣ — ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ بَطْنِ خُسَافٍ   أُمُّ طِفْلٍ بِٱلْجَوِّ غَيْرِ رَبِيبِ

٤ — كُنْتُ أَوْصَيْتُهَا بِأَنْ لَا تُطِيعِي   فِيَّ قَوْلَ ٱلْوُشَاةِ وَٱلتَّخْبِيبِ

٥ — وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ   قَدْ تَجَاوَزْتُهَا بِحَرْفٍ نَعُوبِ

٦ — عِرْمِسٍ بَازِلٍ تَخَيَّلُ بِالرِّدْ   فِ عَسُوفٍ مِثْلِ ٱلْهِجَانِ السَّيُوبِ

٧ — تَضْبِطُ ٱلْمَوْكِبَ الرَّفِيعَ بِأَيْدٍ   وَسَنَامٍ مُصَعَّدٍ مَكْثُوبِ

٨ — قَاصِدٌ وَجْهُهَا تَزُورُ بَنِي ٱلْحَا   رِثِ أَهْلَ ٱلْغِنَاءِ عِنْدَ الشُّرُوبِ

٩ — الرَّفِيئِينَ بِٱلْجِوَارِ فَمَا يُغْ   تَالُ جَارٌ لَهُمْ بِظَهْرِ ٱلْمَغِيبِ

١٠ — وَهُمُ يُطْعِمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَطْ   رُ وَهَبَّتْ بِشَمْأَلٍ وَضَرِيبِ

(١ — ٣) القليب البئر لأن ترابها قلب ، وقد تطلق على القديم العادى منها . وهضب القليب جبل الشربة (بضمتين ثم باء مشددة) أو هو جبل فى ديار بنى عامر . الشئون مجارى الدمع ، جمع شأن . الغروب الدلاء ، جمع غرب (بفتح فسكون) . بطن الوادى الموضع الذى يجتمع فيه ماء السيل فيزهو نباته . بطن خساف برية بين بالس وحلب . الجو ما انخفض من الارض ، وما اتسع من الوادى. الربيب ابن امرأة الرجل من غيره ، يقصد أن هذا الظبي كان موضع عناية أمه كلها ، لا يشاركه فى ذلك زوج لها .

(٤ — ٥) خببه تخبيباً خدعه وغشه وأفسده . فلاة صحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة يحملها المحارب للوقاية من السيف ونحوه ، الحرف الناقة الصلبة ، على التشبيه بحرف الجبل . نعبت الابل (كفتح) مدت أعناقها فى سيرها .

٦ — العرمس الناقة الصلبة ، على التشبيه بالصخرة . بازل قد تم خلقها ، نبزل نابها ، وذلك فى السنة التاسعة . تخيل أى تتخيل من الخيلاء (بضم ففتح) وهى الكبرياء والتبختر . الردف الراكب خلف راكب آخر . العسوف التى تركب رأسها فى السير ولا يثنيها شىء . الهجان من الابل البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . السيوب الذى سيبه صاحبه وأطلقه لا يمنع من كلأ أو ماء ولا يركب ولا ينتفع به ، وكانوا يفعلون ذلك لنذر أو نحوه .

٧ — الموكب بابة من السير ، وكب وكوبا ووكبانا مشى فى درجان ، ومنه اشتق اسم الموكب ، وهو الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة ، على الابل أو الخيل ، يسيرون برفق للزينة أو التنزه ، تضبطه تغلبه وتقهره . والأضبط الذى يعمل بيديه جميعاً ، والبعير الضابط هو القوي على عمله . الرفيع من الارتفاع الذى هو بمعنى العدو . رفعت ناقتى إذا كلفتها المرفوع من السير ، وهو فوق الموضوع ودون العدو . مصعد مرتفع لاكتنازه بالشحم . مكثوب ضخم مجتمع.

(٨ — ١٠) الشروب الذين يشربون الخمر ، جمع شارب . رفأه (كفتح) سكنه من الرعب ورفق به . الجوار العهد ، وأن تعطى الرجل ذمة فيصبح بها جارك تجيره مما تجير منه نفسك وأهلك . اغتاله قتله على غرة ومن خفية . قحط القطر أى احتبس المطر . الشمأل ريح الشمال وهى باردة . الضريب الثلج والصقيع .

(١٢ — ١٤) لهم مدحى وثنائى ، وإن لا منى فى ذلك اللائمون ، فليس للائمى فيهم إلا اللومُ والعصيان. لِلْموتِ مَنْ عاداك يا قيس ، يا رجل البر والخير ، يا أبا الأَشْعَث . لى منه فى كل عام ناقة نجيب ، أوفرس عتيق موفور النشاط ، لا يُحْوِج راكبه إلى شد العِنان .

ويمضى الأعشى فى وصف هذا الفرس ، فهو

(١٥ — ١٧) ضامر البطن عريض الصدر ، كأنه وَعِل يرعى شجر (الرَّبْل) ، كريم الأبوين ، مشهور النسب ، قد حُبِس فى مَرْبَطه على العَلَف حتى ترك القَيْدُ فى يديه آثارا . إذا وجَّهته بين الخيل فى حلبة السباق ، استخف بها حين يعدو مُفْتَنًا فى ضروب العدو .

ويختم الأعشى قصيدته بقوله :

١٨ — تلك خيلى منه ، وتلك إبلى فى لونها الأصفر الأدكن ، قد تناثر من حولها أولادها كالزبيب .

١١— وَخَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَا تَشْـ   رَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ ٱلْجَنُوبِ
١٢— مَنْ يَلُمْنِي عَلَى بَنِي ٱبْنَةِ حَسَّـا   نَ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِي ٱلْخُطُوبِ
١٣— إِنَّ قَيْسًا قَيْسَ ٱلْفَعَالِ أَبَا ٱلْأَشْـ   عَثِ أَمْسَتْ أَعْدَاؤُهُ لِشَعُوبِ
١٤— كُلَّ عَامٍ يَمُدُّنِي بِجَمُومٍ   عِنْدَ وَضْعِ ٱلْعِنَانِ أَوْ بِنَجِيبِ
١٥— قَافِلٍ جُرْشُعٍ تَرَاهُ كَتَيْسِ ٱلـ   رَّبْلِ لَا مُقْرِفٍ وَلَا مَخْشُوبِ
١٦— صَدَأُ ٱلْقَيْدِ فِي يَدَيْهِ فَلَا يُغْـ   فَلُ عَنْهُ فِي مَرْبَطٍ مَكْرُوبِ
١٧— مُسْتَخِفٌّ إِذَا تَوَجَّهَ فِي ٱلْخَيْـ   لِ لِشَدِّ ٱلتَّفْنِينِ وَٱلتَّقْرِيبِ
١٨— تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي   هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَٱلزَّبِيبِ

(١١ — ١٢) الجربة المزرعة والبقعة الحسنة النبات ، ويقال للمجرة جربة النجوم . والمجرة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء . خوت النجوم أمحلت فلم تمطر ، وكانت العرب تنسب المطر للنجوم . الأروية الوعل ، تطلق على الذكر والأنثى . الجنوب ريح تقابل الشمال. مرى الجنوب استدرارها الغيث .وأصله مرى الناقة ، وهومسح ضرعها لتدر ، فعله مرى (كضرب) . أى أن الجدب شديد ، فما تمطر السماء مايسقى وعلاواحداً . بنى ابنة حسان هم رهط قيس ، وابنة حسان هى كبشة بنت حسان أبى الحارث ، وهى جدة قيس لأمه . الخطوب الأمور الكبيرة .

(١٣ — ١٤) الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . الأشعث هو الأشعث بن قيس الذي وفد على النبي فأسلم ،وبه كان يكنى أبوه . والأشعث هذا هو أبو عبد الرحمن بن الاشعث صاحب فتنة العراق المشهورة فى أيام الحجاج . شعوب اسم للموت لأنه يشعب الناس أى يفرقهم . فرس جموم موفور النشاط . عند وضع العنان ، أى أنه يعطيك ما عنده عفوا عند تركك تحريكه . النجيب العتيق الكريم .

١٥— قفل الفرس (كضرب) قفولا فهو قافل إذا ضمر وذهب شحمه . الجرشع العظيم الصدر أو العظيم الجنبين . التيس ذكر الظباء والمعز والوعول . الربل جمع ربلة ، وهى ضرب من الشجر ، إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . المقرف من كان أبوه دون أمه ، والهجين من كانت أمه دون أبيه . ويقصد بالمقرف في الخيل من كانت أمه فرسا معروفة النسب أصيلا ، ولم يكن أبوه كذلك . وكانت العرب تحفظ أنساب الخيل لشدة عنايتهم بها . المخشوب المختلط النسب . أى أن هذا الفرس مشهور النسب معروفه .

(١٦ — ١٨) المربط موضع ربط الدواب ، مكروب قد كرب قيده أى دونى . يقال كرب وظيفى الفرس والجمل إذا دانى بينهما بحبل أو قيد . أى أن هذا الفرس قد حبس زمانا على العلف لا يكلف أي عمل . مستخف من الاستخفاف وهو الاستهانة بالشىء . الشد العدو . التفنين التفنن والتنويع فى ضروب العدو . التقريب من ضروب العدو . الركاب الابل ، والواحدة راحلة ، ولاواحدلها من لفظها . صفر أى سود ، كذلك قال صاحب اللسان ، ثم أتبع ذلك معللا : ولا يرى أسود منها إلا هو مشوب بصفرة .وقد ذهبوا إلى هذا التفسير لأن الزبيب الذى يشبهها به أسود . والواقع أن الزبيب ليس أسود ولكن لونه خليط من الصفرة والحمرة والسواد .

هذه القصيدة صورة من الخلاف الذى كان مستحكما بين بنى سعد بن ضبيعة (قوم الأعشى) ، وبين أبناء عمومتهم (بنى جحدر بن ضبيعة) . وقد هجاهم الأعشى فى القصيدتين (٢٢) ، (٥٣) . وهجا سيدهم شيبان بن شهاب الجحدري فى القصيدتين (١٠) ، (٢٠) . والأعشى يهاجمه فى هذه الأبيات ، ويهاجم معه أبناء عمومته (تيم بن قيس بن ثعلبة) . وقد كان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة حليفين (وهما الحرقتان) . ولكن الأعشى كان يهاجم بنى سعد ، وقلما كان يتعرض لاخوتهم بنى تيم . ولذلك فهو هنا يشير فى البيتين (٨ ، ٩) إلى أنهم كانوا يرعون حرمتهم ويمدون إليهم أيديهم بالمساعدة والعون ، ويعتب عليهم تسرعهم إلى الانضمام لعدوهم . والأعشى يتجه إلى قومه الذين يترفقون بهؤلاء الناس من أبناء عمومتهم ، ويؤملون فى استصلاحهم ، طالباً إليهم أن يتركوهم وشأنهم ، فليس فى موادعتهم فائدة ، وليس فى مخاصمتهم ضرر .

يقول الأعشى :

(١ —٢) وردت إلىّ الأنباء ـ وأنا بعيد عنكم ، تفصل بيننـا قطعان الحمر الوحشية ، التى تأوى إلى مَكَامِنِها من شدة الحر ، فى جنبى (فِتَاق) و (أباق) ـ بأنكم تترفقون بقوم لاغَنَاء فيهم على الرهط ، ولا فائدة تعود عليه من موادعتهم .

ويتجه الأعشى بالحديث إلى ابنته التى رأيناه يتحدث إليها فى القصيدتين (٤) ، (١٣) فيقول :

(٣) قد كنتُ يا ابنتى طوعَ القوم ، يوجهوننى حيث شاءوا ، وفى يدهم مِقْوَدى . ولكنهم تخلوا عنى ، وألقوا حبلى فى عنق ، وتركونى وشأنى نافضين أيديهم منى .

ثم يقول لخصمه شيبان بن شهاب (جد المَسَامِعَة) :

(٤ —٥) فيم الخلاف ، وفيم هذا الضجيج ؟ أهو من أجل أولئك الفتية ، البيض الوجوه الكرام ، الذين لو التقوا بجماعتك يوماً لأوردوهم الهلاك ؟ أولئك فتية يثبتون فى القتال حين يثور من تحت أرجلهم الغبار ، ولا يفرون حين تَزِلُّ الأقدام .

(٧ —٨) جزاك الله يا (شيخَ مِسْمَع) جزاء المسيء حين تمسى وحين تصبح . ويجزى الله (تَيْمًا) عن إخوة كانوا يرعون حرمتهم . ألا ما أسرعهم إلى ركوب الشر وغشيان المَحَارِم !

(٩ —١١) يعدون علينا ظالمين وهم إخوتنا ، لو زلت قدمهم لتعلقنا بهم لانخذلهم ولانسلمهم لشىء . ولقد كنا أمددناهم من قبل حين تخلفوا متخاذلين ، وكنا على أعدائهم الموت الزؤام . ومن قبلُ ما أسرعنا برماحنا إلى (بنى رُهْم) ، حين لجأوا إلينا فراراً من الشر .

وقال فيما كان بينه وبين بعض قومه :

١ — أَتَانِي وَعُونُ ٱلْحُوشِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ‏ كَوَانِسُ مِنْ جَنْبَيْ فِتَاقٍ فَأَبْلَقَا (طويل)
٢ — تَأَنِّيكُمُ أَحلَامَ مَنْ لَيسَ عِندَهُ ‏ عَلَى الرَّهطِ مَغْنىً لَوْ تَنَالُونَ مَوْثِقَا
٣ — بُنَيَّةُ إِنَّ ٱلْقَوْمَ كَانَ جَرِيرُهُمْ ‏ بِرَأْسِيَ لَوْ لَمْ يَجْعَلُوهُ مُعَلَّقَا
٤ — أَفِي فِتْيَةٍ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ إِذَا لَقُوا ‏ قَبِيلَكَ يَوْمًا أَبْلَغُوهُ ٱلْمُخَنَّقَا
٥ — إِذَا ٱعْتَفَرَتْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ مَعْرَكٍ ‏ تَبَّتْنَ بِهِ يَوْمًا فَأَنْ كَانَ مَزْلَقَا
٦ — .... ‏ ....
٧ — جَزَى اللهُ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ مِسْمَعٍ ‏ جَزَاءَ ٱلْمُسِيءِ حَيْثُ أَمْسَى وَأَشْرَقَا
٨ — جَزَى اللهُ تَيْماً مِنْ أَخٍ كَانَ يَتَّقِي ‏ مَحَارِمَ تَيْمٍ مَا أَخَفَّ وَأَرْهَقَا
٩ — أَخُونَا الَّذِي يَعْدُو عَلَيْنَا وَلَوْ هَوَتْ ‏ بِهِ قَدَمٌ كُنَّا بِهِ مُتَعَلِّقَا
١٠— أَتَيْنَا لَهُمْ إِذْ لَمْ نَجِدْ غَيْرَ أَنْيِهِمْ ‏ وَكُنَّا صَفَائِحًا مِنَ ٱلْمَوْتِ أَزْرَقَا
١١— وَجُدْنَا إِلَى أَرْمَاحِنَا حِينَ عَوَّلَتْ ‏ عَلَيْنَا بَنُو رُهْمٍ مِنَ الشَّرِّ مَلْزَقَا

(١ — ٢) عون جمع عانة وهى الأتان أو القطيع من حمر الوحش . الحوش مثل الوحش . كوانس جمع كانس وهو الذى دخل كناسه أى بيته الذى يستكن فيه من الحر . فتاق وأبلق موضعان . التأنى التهيؤ والترفق والانتظار . تأنيكم فاعل (أتانى) فى البيت السابق . مغنى أى غناء (بفتح الغين) وهو النفع . الموثق والميثاق العهد . يقول هؤلاء قوم لا ينفعوننا بشىء لو عاهدتموهم .

(٣ — ٥) الجرير ما يضم حبل الخطام إلى رأس البعير . علق لراحلته ألقى خطامها فى عنقها . بيض الوجوه كناية عن اليمن والكرم . القبيل الجماعة من الثلاثة فصاعدا . المخنق موضع الخنق من الرقبة . اعتفرت أقدامهم تربت من تراب المعركة . المزلق الموضع الذى تزلق فيه القدم وتزل ، كناية عن الشدة.

(٧ — ٨) شيخ مسمع هو شيبان بن شهاب الجحدرى . ومسمع ولده وهو جد المسامعة الذي ينسبون إليه . وهو مسمع بن شيبان بن شهاب الجحدرى . وفد على النبي فأسلم ، ثم ارتد بعد موته وقتل بالبحرين . وقد كان ولده مالك بن مسمع سيد ربيعة فى فتنة ابن الزبير ، ومات فى أول خلافة عبد الملك بن مروان ، وعقبه وعقب إخوته كثير . أمسى دخل فى المساء . أشرق دخل فى شروق الشمس صباحا . تيم من قيس بن ثعلبة أبناء عمومة الأعشى ، وهم كذلك أبناء عمومة المسامعة . من أخ يعنى نفسه وقومه . محارم تيم حرمتهم وقرابتهم لأنهم أبناء عمه . ما أخف تعجب من خفتهم وطيشهم . أرهق من الرهق (بفتحتين) وهو السفه وركوب الشر وغشيان المحارم .

(٩ — ١١) أخونا يقصد بنى تيم وهم أبناء عمه . هوت قدمه زلت ووقع فى ضيق أو مكروه . كنا متعلقاً أى أننا نتعلق به ولا نخذله . أنيهم بطؤهم وتراجعهم ، من انى يأنى (كضرب وعلم) . صفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض . أزرق حال من الموت . وقد قبض الشاعر (مفاعيلن) فى الشطر الثانى . وصرف (صفائح) . ورواية البيت فى الديوان (إذ لم يجد غير آبيهم) وهو مكسور ومحرف ، ولم أعثر على تحقيقه ، وقد أصلحته على ما بدا لى من السياق . جدنا أى أسرعنا ، من قولهم فلان يجاد إلى كذا (على البناء للمجهول) أى يساق . عولت علينا استغاثت بنا . ملزق من اللزوق وهو الالتصاق .

مسروق بن وائل هو أحد أمراء اليمن وأشرافهم . وهو ينتسب إلى حضرموت بن قحطان (١). وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى وفد حضرموت فأسلم (٢) . وتتفق هذه القصيدة فى بحرها وفى قافيتها مع القصيدة (٧٦) ، التى رويت للأعشى فى مدح قيس بن معديكرب . وهذا الاتفاق يدعو إلى الخلط بين أبيات القصيدتين فى كثير من الأحيان . ويساعد على هذا الخلط أن الممدوحين كليهما من سادة اليمن وأشرافهم . والواقع أن كثيرا من أبيات هذه القصيدة يشبه ما ألفناه من شعر الأعشى الذي مدح به قيس بن معديكرب . وليس للأعشى فى (مسروق بن وائل) غير هذه القصيدة .

يقول الأعشى :

١ — قالت (سُمَيَّة) : من قصدت بمدحك ؟ فقلت : مسروق بن وائل .

٢ — عدى لغيبتى أشهراً ، فأنى سأقيم عند خير الأشراف والمَقَاول .

٣ — يتجمع الناس حول قبابه ، من طلاب الحاجات والمسائل .

٤ — يتسابقون إلى ساحته فى الصباح وفى المساء .

٥ — فإذا طلع عليهم فى سَمْتِه ووقاره ، سكنوا خاشعين لسيد ذى تاج .

٦ — ليس الفرات وقد أضحى فى (عانة) جياشاً بالماء ، تنحدر إليه السيول مزبدة ، بما تحمل من أوراق ومن عيدان ،

٧ — يخشى الملاحون سطوته ، فيعتصمون بمؤخر سفنهم مذعورين ،

٨ — ويمسى (النبيط) وقد رويت مزارعهم من روافده الحافلة بالماء ،

٩ — بأجود عطاءمن (الحَضْرَمِىّ) صاحب النعم والأفضال .

١٠ — يهب الجوارى فى حللهن المخملة كأنهن الغزلان .

١١ — يرقصن كل عشية ، فتهتز من حركاتهن الثياب المزينة بصور الريش والرجال .

١٢ — ويترك خصمه المدجج بالسلاح وقد صرعه على الأرض ، ترتعش أنامله من شدة الخوف .

(١) العقد الفريد ٣ : ٣١٨ (٢) الاصابة ٣ : ٤٠٨

وقال يمدح مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلٍ :

(كامل مجزوء)

١ ـــ قَالَتْ سُمَيَّةُ مَنْ مَدَحْـ ... تَ فَقُلْتُ مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلْ

٢ ـــ عُدِّي لِغَيْبِي أَشْهُرًا ... إِنِّي لَدَى خَيْرِ ٱلْمَقَاوِلْ

٣ ـــ النَّـــاسُ حَوْلَ قِبَابِهِ ... أَهْلُ ٱلْحَوَائِجِ وَٱلْمَسَـائِلْ

٤ ـــ يَتَبَادَرُونَ فِنَـــاءَهُ ... قَبْلَ الشُّرُوقِ وَبِٱلْأَصَائِلْ

٥ ـــ فَأَذَا رَأَوْهُ خَاشِعًا ... خَشَعُوا لِذِى تَاجٍ حُلَاحِلْ

٦ ـــ أَضْحَى بِعَانَةَ زَاخِرًا ... فِيهِ ٱلْغُثَاءُ مِنَ ٱلْمَسَــايِلْ

٧ ـــ خَشِيَ الصَّرَارِى صَوْلَةً ... مِنْهُ فَعَاذُوا بِٱلْكَوَاثِلْ

٨ ـــ فَتَرَى النَّبِيطَ عَشِيَّةً ... رَاوِى ٱلْمَزَارِعِ بِٱلْحَوَافِلْ

٩ ـــ يَوْمًا بِأَجْوَدَ نَائِلاً ... مِٱلْحَضْرَمِيِّ أَخِى ٱلْفَوَاضِلْ

١٠ ـــ ٱلْوَاهِبُ ٱلْقَيْنَاتِ كَٱلْـ ... غِزْلَانِ فِى عَقِدِ ٱلْخَمَائِلْ

١١ ـــ يَرْكُضْنَ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... عَصْبَ ٱلْمُرَيَّشِ وَٱلْمَرَاجِلْ

١٢ ـــ وَالتَّارِكُ ٱلْقِرْنَ ٱلْكَمِـ ... ىَّ مُجَدَّلًا رَعِشَ ٱلْأَنَامِلْ

(٢ — ٤) غاب يغيب غيباً وغيبة وغيابا . المقاول جمع قيل (بفتح فسكون) وهو لقب لرؤساء حمير وأشرافهم . قالوا إنه إنما سمي بذلك لأنه يقول ما يشاء فينفذ . قباب جمع قبة وهو الخباء الضخم ، وهو كذلك البناء الذى يكون سقفه مقعرا مستديرا معقودا بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة . يتبادرون يتسابقون إليه ويسرعون . الأصائل جمع أصيل وهو من بعد العصر إلى غروب الشمس .

(٥ — ٦) خاشعاً ساكنا . خشعوا هيبة منه أن يكلموه . التاج عند العرب هو الاكليل ، وهو شبه عصابة تزين بالجواهر . الحلاحل السيد المطاع في عشيرته . بين البيت الخامس والبيت السادس بيت ساقط لا يتم المعنى بغيره ؛ وخلاصته فيما نقدر (ما الفرات إذا جاش ماؤه) وخبر ما فى البيت التاسع (بأجود نائلا) . عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت مشرفة على الفرات ، وربما سموها فى الشعر (عانات) . زاخرا ممتلئا . الغثاء الزبد وما حمل السيل من أوراق الاشجار البالية وغصونها . المسايل جمع مسيل ، ومسيل الماء موضع سيله .

(٧ — ٩) الصرارى الملاحون جمع صار . صولته سطوته وبطشه . عاذ لجأ . كوثل السفينة مؤخرها . النبيط جيل من العجم كانوا ينزلون البطائح بين العراقيين ، سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . الحوافل جمع حافل . يقصد بها روافد النهر وفروعه الحافلة بالماء أي الممتلئة . النائل العطاء . الحضرمي نسبة إلى حضرموت بن قحطان بن عابر قوم الممدوح . الفواضل النعم العظيمة ، جمع فاضلة .

(١٠ — ١٢) القينة الجارية ، وقد تطلق على المغنية خاصة . الخمائل جمع خميل ، وهى الثياب المخملة أي ذات الوبر ، وتطلق على القطيفة . العقد (ككتف) من العقد (بفتح فسكون) وهو الاحكام وشدة الالتحام . والمقعد (بتشديد القاف) ضرب من برود هجر . الركض الدفع والحركة . يركضنها يحركنها فى الرقص . العصب ضرب من البرود . المريش البرد الموشى على أشكال الريش . المرجل (بتشديد الجيم وفتحها) الذى فيه صور الرجال . والتارك معطوف على (الواهب) . القرن النظير والكفء فى الشجاعة . الكمي المتكي بالسلاح أى المتغطى به . مجدلا ومجندلا مصروعا . رعش الأنامل من الخوف .

١٣ — ويقود الجياد الضامرة وقد تحلَّبت أفخاذها بالعرق.

١٤ — ليس الأسد أبو الأشبال ، فى جبينه المورَّد ، وشِدقيه الواسعين، ووجهه العابس ،

١٥ — وقد لزم (القادسيَّة) بين الأودية الملتفة الأشجار .

١٦ — يستخف بآحاد الرجال ، ولا يهاجم إلّا الكثيف من جموع الرجال ،

١٧ — بأكثر منه حماسة فى القتال ، حين يهاجم من ينازله من الأبطال .

١٨ — طالت إقامتى فى (تريم) ، بعيداً عن أهلى وقومى (بَكْر بن وائل) .

١٩ — قومى (بنو البَرْشَاء)(ثعلبة بن بَكْر) ، زَيْنُ المجالس والمحافل .

(٧١)

هذه أبيات فى مدح قيس بن معديكرب ، ممدوح الأعشى المفضل ، يبدو أنه قد ارتجلها ارتجالا فى بعض المناسبات بين يدى قيس . وقد مدح الأعشى قيسا فى قصائد كثيرة ، وهى (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦٨) ، (٧٦) ، (٧٨) .

يقول الأعشى :

١ — قالت (سُمَيَّة) إذ لاح لها البرق من فوق الجبال .

٢ — ياحبذا وادى (النُّجَيْر) ، وحبذا (قيس) رجل الخير والأفضال .

٣ — القائد الخيل الجياد الضوامر ، تمضى فى عَدْوِها كالسهام .

٤ — والمتعفف عن الكسب الخبيث إذا تهيأ للقتال .

١٣ــ وَٱلْقَائِدُ ٱلْخَيْــــلَ ٱلْعِتَا قَ ضَوَامِرًا لُحْنَ ٱلْأَيَاطِلْ
١٤ــ مَا مُشْبِلٌ وَرْدُ ٱلْجَبِيـ نِ مُهَرَّتُ الشِّدْقَيْنِ بَاسِلْ
١٥ــ القَــادِسِيَّةَ مَأْلَفٌ مِنْهُ فَأَوْدِيَةُ ٱلْغَيَاطِلْ
١٦ــ يَدَعُ ٱلْوِحَادَ مِنَ الرِّجَا لِ وَيَعْتَمِى جَمْعَ الْمَحَافِلْ
١٧ــ يَوْمًا بِأَصْدَقَ حَمْــلَةً مِنْهُ عَلَى ٱلْبَطَلِ ٱلْمُنَازِلْ
١٨ــ طَالَ الثَّوَاءُ لَدَى تَرِيـ مَ وَقَدْ نَأَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلْ
١٩ــ قَوْمِى بَنُو ٱلْـبَرْشَاءِ ثَعْـ لَبَةُ ٱلْمَجَالِسِ وَٱلْمَحَافِلْ

(٧١)

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

١ ــ قَالَتْ سُمَيَّـــةُ إِذْ رَأَتْ بَرْقًا يَلُوحُ عَلَى الْجِبَالِ (كامل مجزوء)
٢ ــ يَا حَبَّذَا وَادِى النُّجَيْـ رِ وَحَبَّذَا قَيْسُ ٱلْفَعَالِ
٣ ــ ٱلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ ٱلْجِيَا دَ ضَوَامِرًا مِثْلَ ٱلْمَغَالِى
٤ ــ التَّارِكُ ٱلْكَسْبَ ٱلْخَبِيـ ثَ إِذَا تَهَيَّأَ لِلْقِتَالِ

(١٣ — ١٥) العتاق جمع عتيق ، وهو الكريم من الخيل . الاطل (بكسر الهمزة) والايطل (بفتح الهمزة) الخاصرة . لحن جمع ألحن ، واللخن (بالتحريك) نتن الريح تحت الابطين من العرق . مشبل أسد أبو شبال . ورد أحمر ضارب للصفرة . مهرت الشدقين واسعهما . باسل كريه الوجه . القادسية قرية قرب الكوفة . مألف اسم مكان من ألف المكان إذا تعوده وأنس به . الغياطل جمع غيطل (على وزن جعفر) ، والغيطل والغيطلة الأجة والشجر الكثيف الملتف .

(١٦ — ١٩) اعتام الشيء اعتياما واعتماه اعتماء اختاره وقصده . المحافل جمع محفل وهو مجتمع القوم . أى أنه يترفع عن مهاجمة الأفراد ولا يهاجم إلا الجماعات . بأصدق خبر ما فى البيت (١٤) . حمل حملة كر وهجم . المنازل الذى يجالده فى القتال . الثواء المكث والاقامة . تريم من حصون حضرموت . نأت بعدت . بكر بن وائل قبيلة الأعشى . البرشاء لقب أم ذهل وشيبان وقيس بن ثعلبة ، لقبت بذلك لبرش أصابها ، والبرش والبرص واحد . ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر هو الجد الأعلى لقوم الشاعر .

(٧١)

(٢ — ٤) النجير حصن فى حضرموت لبنى معد يكرب . الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . المغالى جمع مغلاة (بكسر فسكون) وهو السهم الذى يغلى به ، وغلا الرامى بالسهم (كنصر) رمى به أقصى الغاية . الكسب الخبيث أى الحرام والقبيح الذى يلزم صاحبه العار كالرشوة .

معظم أبيات هذه القصيدة صورة مكررة من القصيدة (٦٠) . وقد مضى تعليقنا عليها ، فليراجع فى موضعه .

يقول الأعشى :

١ — أتهجرك (ريَّا) أم يدوم لك وصلها ؟ . . بل القطيعة والهجر ، فقد هيأت جمالها فى الليل للرحيل .

٢ — كأن هوادج صاحبتى (المالكية) فى ألوانها الزاهية فى الصباح المبكر روضةٌ يجرى خلالها الماء فيبعث الخصب ويشيع البهاء .

٣ — ليست ظبية قد برز قَرْنها ولمَّا يكد ، تنشُد طفلها الضائع فى جنبات وادى (تَثْليث) ،

٤ — بأجمل منها يوم قامت بين أترابها الناعمات ، فأنكرن حالها وقد لوّحها الحزن للفراق

٥ — فيم الخصام يا أخوينا من (عِبَاد) و (مالك) ؟ ألم تعلما أن كل ما على الأرض للفناء والزوال ؟

٦ — وأننا أخوكم ، وأننا حين تعرض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالها الحديد ، وتثير فى نفوسكم القلق .

٧ — نقيم لها سوق الحرب غير هيَّابين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزوماً مدحوراً .

٨ — كم من ملمة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، وقد فككنا عنكم قيودها .

٩ — وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها ،

١٠ — آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا ، فأضحت رخية البال ، وقد أزحنا عنها الكرب والهزال .

١١ — ومع كل هذا الإحسان ، فلكم فينا كلَّ عام قتيل أو أسير ، فبيضة تفقؤونها ، وأخرى من ورائها تتركونها وحيداً قد ذهبت عنها أختها .

وقال فيما كان بينه وبين بَني عبادٍ ومَالكٍ ٱبنَي ضُبيعة :

١ — أتَصْرِمُ ريًّا أمْ تُديمُ وِصَالَهَا	بَل الصَّرْمَ إذْ زمَّتْ بلَيْلٍ جِمَالَهَا	(طويل)
٢ — كأنَّ حُدُوجَ ٱلْمَالِكيّةِ غُدْوَةً	نَوَاعِمُ يَجْرِى ٱلْمَاءُ رِفْهًا خلالَهَا	
٣ — ومَا أُمُّ خِشْفٍ جَابةَ ٱلقَرْنِ فَاقِدٌ	عَلَى جَانِبَىْ تَثْلِيثَ تَبْغِى غزَالَهَا	
٤ — بأحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَ نَوَاعِمٌ	فَأَنكَرْنَ لَمَّا وَاجَهْنَّ حَالَهَا	
٥ — فيَا أخَوَيْنَا مِنْ أبِينَا وأُمِّنَا	أَلَمْ تَعْلَمَا أنْ كلُّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا	
٦ — فتَسْتَيْقِنَا أنَّا أخُوكُمْ وَأنَّنَا	إذَا نُتِجَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا	
٧ — نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الضِّرَابِ وَنَعْتَصِى	بأسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا	
٨ — وَكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ عَظِيمَةٍ	وَكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا	
٩ — وأرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كأنَّهَا	وَإيَّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا	
١٠ — هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأصْبَحَتْ	رَخِيَّةَ بَالٍ قَدْ أزَحْنَا هُزَالَهَا	
١١ — وَفِى كُلِّ عَامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَؤُونَهَا	فَتَعْنَى وَتَبْقَى بَيْضَةٌ لاَ أخَا لَهَا	

(١ — ٢) أتصرم أى هل تهجرك . صرم الحبل صرما قطعه . زم البعير خطمه . والخطام سير عريض يوضع فوق الأنف ويشد إليه الرسن (بالتحريك) : وهو الحبل الذى يقاد به البعير . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو مركب للنساء كالهودج . المالكية نسبة إلى مالك ، وهى قبيلة ، والمسمون بمالك كثير . غدوة فى الصباح المبكر . نواعم جمع ناعمة وهى الروضة . رفه عيشه رفها (بكسر الراء وفتحها) لان وأخصب . شبه الحدوج بالروضة فى ألوانها الزاهية .

(٣ — ٤) الخشف ولد الظبية أول ما يولد . جاب قرن الظبى (بغير همز) ظهر ونتأ . جابة القرن الظبية أول مايظهر قرنها . أما الجأب (بالهمز) فهو الغليظ . وبعضهم يهمز الجاب بمعنى الناتىء ، لأن القرن أول مايبدو يكون غليظاً ثم يدق . فاقد فقدت ولدها . تثليث موضع . تبغى غزالها تنشده وتبحث عنه . نواعم أى نساء نواعم مترفات . أنكرن حالها لم يعرفنها لشدة تغيرها من الحزن والهزال .

(٥ — ٦) كل من فوقها أى فوق الأرض . لها أى يعود إليها حين يموت . نتجت (على البناء المجهول) ولدت . نتجت الناقة ولدا (على البناء للمعلوم) ولدته . الأشهب الأبيض . كتيبة شهباء لما عليها من الحديد وبياض السلاح . تخشون فالها أى ضررها وماتتوقعون منها . والأصل فى الفأل أنه يستبشر به الرجل إذا أقدم على حاجته ، ثم استعمل فى الشر بمعنى التشاؤم .

(٧ — ٨) الضراب القتال من ضارب ضراباً ومضاربة . نعتصى بأسيافنا نتخذها كالعصى . الخال لواء الجيش . نوجهه نسوقه . كائن دفعنا أى كم من مرة دفعنا . عظيمة أى كربة أو مصيبة عظيمة . كربة موت أى تبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير حين يبرك حتى لايتحرك ولا يشرد .

(٩ — ١١) شعث أى أطفال صغار قد تشعث شعرهم وتلبك . ربداء نعامة ربداء فى لون الرماد . حثت ساقت . رئالها صغارها . هنأناها أطعمناها وأحسنا إليها . المن التعيير بالنعمة . تفقؤونها مثل تفقؤونها أى تكسرونها . تعنى تعلق فى الأسر . عنى (كعلم) نشب فى الإسار . ولا معنى لها هنا والأنسب رواية البيت كما هو فى القصيدة (٦٠) فتؤذى . وربما كانت مصحفة عن (فتفنى) من الفناء وهو الموت .

هذه القصيدة صورة مما كان يقع من خلاف بين بطون (قيس بن ثعلبة) . فالأعشى يهاجم فيها (جهنام) ، شاعر (بنى عبدان) . وقد مضت للأعشى فى بنى عبدان القصيدتان (١٤) ، (٢٨) . ومضى له فى هجاء جهنام القصيدة (١٥) . وقد اختلفوا فى اسم جهنام ونسبه . فقال الآمدي: هو عمرو بن قطن بن المنذر بن عبدان بن حذافة بن حبيب بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة (١) . وقال المرزباني إن اسمه عمرو بن عبد الله ابن المنذر (٢) . وقال الأصفهانى إن اسمه عمرو ولم ينسبه . (٣) أما ثعلب فلم يذكر اسمه ولم ينسبه ، ولكنه أشار إلى رجل آخر اسمه عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان (وذكر بقية النسب مطابقا لما فى المؤتلف) وقال إنه هو الذى جمع بين الأعشى وبين جهنام ليهاجيه . (٤)

يقول الأعشى :

(١ — ٢) أتانى ما يقول لى ابن الأمة البظراء . فمنذ كم أصبحَتْ أعراض قيس - يا ابن الجبان الفرّار - مباحةً لرجل من (عَبْدَان) ، هو ابن عاهرة ، مختلط النسب ، مضطرب الأصل ، مغمور من كل نواحيه ؟

(٤ — ٥) لقد أعلنَتْ بنو عبدان الفراق ، وأسفرت عن الخلاف والعداء . فما سَمِنُوا ولا جنوا من شتمى وسبِّى خيرا . إليكم عنى ، قبل أن أبعث بالشعر فى كل مكان ، فيتسامع بهجائكم الناس ، إذ تسرى قصائدى فيكم إلى نجد مع الرياح .

(٦ — ٧) ما ظنكم بى ؟ أظننتم شتمى تَمْرا بزُبْد ؟ أم ظننتموه عسلا ممزوجا بالخمر ؟ إنما هو ماء (العلْقم) المرير ، و (السَّلْع) القاتل ، قد مزج بخلاصة (الذُّبَّاح) السام المميت .

٨ — لقد كانت أمك أحق منا بالهجاء يا جهنام ، لما جنت عليك من الفضيحة والعار .

(٩ — ١٠) أما نحن فمكانتنا واضح معروف . إنا لنحمى إبل الحى حين تثور ، وحين يتبختر فرسان الكتيبة متمايلين قبل القتال ، حتى نحتازها فلا تصل إليها يد المغير ، حين تتعثر جياد الخيل فى الرماح .

(١١ — ١٣) وإنا لنحتفى بمن ينزل بنا حين يشتد الجدب ، وتضن النوق الغزيرة الدَّرّ بالألبان . وإنا لنفرج كل

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ٢٠٣ (٢) الموشح ص ٥٠ (٣) الأغانى ج ٩ ص ١٠٨
(٤) ديباجة القصيدة (١٥) بالديوان ص ٩١ ط . أوربا .

وقال لجهنّام أحد بنى عبْدَان :

١ — أَتَانِى مَا يَقُولُ لِىَ ٱبْنُ بُظْرَى ‌‌ أُقَيْسٌ يَا ٱبْنَ ثَعْلَبَةِ الصَّبَاحِ ‌‌ (وافر)
٢ — لِعَبْدَانَ ٱبْنِ عَاهِرَةٍ وَخِلْطٍ ‌‌ رَجُوفِ ٱلْأَصْلِ مَدْخُولِ النَّوَاحِى
٣ — تَغَنَّى سَلا .... ‌‌ ....
٤ — لَقَدْ سَفَرَتْ بَنُو عَبْدَانَ بَيْنًا ‌‌ فَمَا شَكَرُوا بِلَأْمِى وَٱقْتِدَاحِ
٥ — إِلَيْكُمْ قَبْلَ تَجْهِيزِ ٱلْقَوَافِى ‌‌ تَزُورُ ٱلْمُنْجِدِينَ مَعَ الرِّيَاحِ
٦ — فَمَا شَتْمِى بِسَنُّوتٍ بِزُبْدٍ ‌‌ وَلَا عَسَلٍ تُصَفِّقُهُ بِرَاحِ
٧ — وَلٰكِنْ مَاءُ عَلْقَمَةٍ وَسَلْعٍ ‌‌ يُخَاضُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَقِ الذُّبَاحِ
٨ — لِأُمِّكَ بِٱلْهِجَاءِ أَحَقُّ مِنَّا ‌‌ لِمَا أَبَلَتْكَ مِنْ شَوْطِ ٱلْفِضَاحِ
٩ — أَلَسْنَا ٱلْمَانِعِينَ إِذَا فَزِعْنَا ‌‌ وَزَافَتْ فَيْلَقٌ قَبْلَ الصَّبَاحِ
١٠ — سَوَامَ ٱلْحَىِّ حَتَّى نَكْتَفِيهِ ‌‌ وَجُودُ ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ فِى الرِّمَاحِ
١١ — أَلَسْنَا ٱلْمُقْتَفِينَ بِمَنْ أَتَانَا ‌‌ إِذَا مَا حَارَدَتْ خُورُ اللِّقَاحِ

(١ — ٣) ابن بظرى أى ابن البظراء التى لم تختتن كناية عن أنها أمة غير عربية . الصباح الغارة . ثعلبة الصباح أي الذى يجبن ويفر فى القتال كما يفر الثعلب . (يا ابن ثعلبة الصباح) جملة اعتراضية . أقيس مبتدأ ، خبره (لعبدان) و (ابن عاهرة ... الخ) كلها صفات . أى أتباح أعراض قيس — ويعنى به قيس بن ثعلبة ، جدم الذى يجمع قوم الاعشى وقوم جهنام — لهذا الرجل من بنى عبدان . خلط مختلط النسب ليس بثابته . رجوف الاصل مضطربه . المدخول الذى دخله عيب فى حسبه .

(٤ — ٥) سفر (كنصر) خرج إلى السفر ، وسفر الشىء فرقه وسفر كذلك كشف عن وجهه . البين الفراق . لأمه لاما نسبه إلى اللؤم . قادحه قداحا ومقادحة شاتمة وتبادل معه السباب . شكرت الدابة (كفرح) سمنت وامتلأ ضرعها باللبن ، وشكرت الشجرة كثر ظلها ، أى أنهم لم يصيبوا خيرا من شتمى . إليكم أى تنحوا عنى وابعدوا (اسم فعل) . جهز المسافر هيأله أدواته ، شبه القوافى بالمسافر ، يقصد بالقوافى هجاءه الذى سيتناقله الناس . أنجد الرجل أتى نجدا ، والنجد المرتفع ، ونجد اسم للهضبة التى تتوسط جزيرة العرب .

(٦ — ٧) السنوت التمر . صفق الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو . الراح الخمر . العلقم شجر الحنظل ، والقطعة منه علقمة ، وكل مر فهو علقم . والعلقم أشد الماء مرارة ، وذلك إذا تغير وخثر . السلع نبات مر سام . خاض الشراب خلطه . العلق الدم ، والعلق ما تتبلغ به الماشية من الشجر . والعلق (بضم ثم فتح) الداهية ، والعلق (بضمتين) المنايا . الذباح نبت سام يقتل آكله .

(٨ — ١٠) الفضاح الفضيحة والعار . الشوط الغاية ، والجرى إلى الغاية مرة ، أوهو (سوط الفضاح) بالسين المهملة ، وهو مصدر ساطه يسوطه إذا ضرب به بالسوط . والسوط كذلك النصيب والشدة . أبله أعطاه إبلا . ولم تعطه أمه إبلا ولكنها أعطته الفضيحة . فزع (كعلم) هب . زافت تبخترت وتمايلت . الفيلق الجيش . الصباح الغارة . السوام الإبل السائمة أى الراعية ، وهى مفعول (المانعين) فى البيت السابق ، أى الذين نحمى إبل الحى . نكتفيها نردها ونحتازها فلا تصل إليها يد المغير . اكتفأ الاناء أماله وقلبه ، واكتفأ الابل أغار عليها فذهب بها . جود جمع جواد ، وهو السريع العتيق .

(١١ — ١٣) اقتفى به احتفى به وأكرمه . حاردت انقطع لبنها . خور جمع خوارة وهى الناقة الغزيرة اللبن . اللقاح الابل، واحدتها لقوح.

كرب حين يستحكم ويضيق ، حتى ما يستطيع شارب الماء الصافى أن يسيغه . وإنا لأكرم إن بُحِث عن الأنساب ، وأشجع حين يُضْرَب بسيوف الهند العِراض .

(٧٦)

مضى للأعشى فى مدح قيس بن معد يكرب خمس قصائد وهى (٢) ؛ (٣) ، (٤) ؛ (٥) ؛ (٦٨) .
وقد ترجمنا للمدوح فى القصيدة الأولى . وبقى للأعشى فيه قصيدة واحدة هى (٦٨) . وليست هذه القصيدة الأخيرة فى الواقع مدحا ؛ فهى فى معظمها غزل وخمر ، لم يعرض فيها لقيس إلا فى الأبيات الأربعة الأخيرة . وقد أشرنا فى القصيدة (٧٠) إلى ما بينها وبين هذه القصيدة من تشابه لا يستبعد معه أن يكون الرواة قد خلطوا بينهما . والواقع أن هذه القصيدة ـ كما هى مثبتة فى الديوان ـ ليست مدحا بالمعنى الصحيح . فالشاعر لا يكاد يشير فيها إلى قيس إلا فى ثلاثة أبيات (٢ ـ ٤) . ولكن الأعشى قد نظمها فيما يبدو وهو فى ضيافة قيس ، فى بعض أسفاره إليه . وهو يتحدث فى سائر القصيدة عن نفسه وعن قومه .

يقول الأعشى :

١ ـ هل أنت راحل صباح غد أيها الرجل الشجاع ؟

٢ ـ إنا لدى ملك بـ (شَبْوَة) لا تفتر عنا صلاته ولا تنقطع .

٣ ـ تسيل كفاه بالعطاء ، كأنه البدر إشراقاً وهيبة . إن قال تَمَّ على قوله وأمضاه .

٤ ـ يهب المائة من النوق الغزيرة اللبن ، بين حائل لم تحمل ، ووَلُودٍ يتبعها ولدها .

وينتقل من ذلك إلى الحديث عن نفسه وعن قومه وعن ذكريات لهوه فيقول :

٥ ـ كم شربت الخمر ، ترقص من حولنا الجوارى البيض من تركيَّة وكَابُليَّة

٦ ـ حمراء كدم الذبيح مما حُمِل من بلاد بعيدة ، وعُتِّق فى (بابل)

٧ ـ بادرتُ إليها فى الصباح ، حولى الأشراف من قومى (بكر بن وائل)

١٢— أَلَسْنَا ٱلْفَارِجِينَ لِكُلِّ كَرْبٍ   إِذَا مَا غصَّ بِٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ

١٣— أَلَسْنَا نَحْنُ أَكْرَمَ إِنْ نُسِبْنَا   وَأَضْرَبَ بِٱلْمُهَنَّدَةِ الصِّفَاحِ

وقال :

(٧٤)

١ — رِيَاحًا لَا تُهِنْهُ إِنْ تَمَنَّى   مَعَارِفَ مِنْ شِمَالِي فِي رِيَاحِ   (وافر)

٢ — كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ .... ـَاحِ

وقال :

(٧٥)

١ — أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْعِزَّ أَلْقَى بِرَحْلِهِ   إِلَى ٱلْغُرِّ مِنْ أَوْلَادِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ   (طويل)

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

(٧٦)

١ — هَلْ أَنْتَ يَا مِصْلَاتُ مُبْـ   تَكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ فَزَاحِلْ   (كامل مجزوء)

٢ — إِنَّا لَدَى مَلِكٍ بِشَبْـ   وَةَ مَا تَغِبُّ لَهُ النَّوَافِلْ

٣ — مُتَحَلِّبِ ٱلْكَفَّيْنِ مِثْـ   لِ ٱلْبَدْرِ قَوَّالٍ وَفَاعِلْ

٤ — ٱلْوَاهِبِ ٱلْمِائَةَ الصَّفَا   يَا بَيْنَ تَالِيَةٍ وَحَائِلْ

٥ — وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ تَرْ   كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ

٦ — كَدَمِ الذَّبِيحِ غَرِيبَةً   مِمَّا يُعَتِّقُ أَهْلُ بَابِلْ

٧ — بَاكَرْتُهَا حَوْلِي ذَوُو ٱلْـ   آكَالِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلْ

غص بالطعام شرق واعترض فى حلقه فمنعه من التنفس . القراح الصافى . غص بالماء القراح كناية عن الشدة . المهندة السيوف ، نسبة للهند . الصفاح جمع صفيح وهو العريض .

(٧٦)

(١ — ٣) المصلات والصلت (بفتح فسكون) الرجل الشجاع الماضى . ابتكر خرج بكرة فى أول الصباح . زحل (كفتح) تنحى وبعد . شبوة حصن بين بيحان وحضرموت . لاتغب أى لاتتأخر ولا تنقطع . النوافل الهبات . تحلب سال وجرى .

(٤ — ٥) الصفايا جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن . التالية التى يتبعها تلوها ، والتلو (بكسر فسكون) ولد الناقة ينطم فيتلوها أى يتبعها . الحائل التى لم تحمل . الترك أو التركستان جيل من الناس كانوا يسكنون فى حوض نهر سيحون وجيحون شمال فارس كابل بلد فى أطراف فارس الشرقية مما يلى الهند ، كان يسكنها قوم من الترك . الركض فى الأصل تحريك الرجل ، ويقصد به هنا الرقص .

(٦ — ٧) غريبة منقولة من موطنها . بابل مملكة قديمة ذات حضارة عظيمة ، وهى كذلك اسم مدينة من مدنها العظيمة كانت فى نواحى الكوفة ، والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . باكرتها بادرت إليها فى الصباح . ذوو الآكال سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع من الغنائم ونحوه . والآكال كذلك قطائع كانت الملوك تطعمها الأشراف ، كالقرى ونحوها ، والمفرد أكل (بضم فسكون) . بكر بن وائل جد قبيلة الأعشى .

٨ — أهل الخيام الضخمة الحمراء وقطعان الإبل والخيل .

٩ — كم فيهم من فرس طويلة الظهر ، ومن جواد مرتفع القوائم عظيم الجوف .

١٠ — يعدو سابحاً بجسمه الضخم وقوائمه المتينة ، حين يجرى به القائم على خدمته ليُضَمِّره فى الأصيل .

١١ — يركبون الجياد الجُرْد السراع ، عليها سُرُج من جلود .

١٢ — قد اغبرّ شعرها وانتفش ، حين تعدو كالنعام المذعور ، وكأنها تسابق رماح راكبيها .

١٣ — وتخرج من خلال الغبار عابسة ضامرة الخصور .

١٤ — كم قد غادرت فى المعارك من صرعى بين محطَّم وهارب .

١٥ — ....

١٦ — تتمايل ناقتى حين تعدو مسرعة ، وقد رميتُ بها فى الليل ، ميممة أندية القوم ومحافلهم .

١٧ — وكأنها وقد أجهدتها الرحلة حمار مُعَضَّض من حُمُر (عاقل) .

١٨ — أقام فى الربيع يرعى ما أنبت المطر الغزير من كلأ وأعشاب .

ويختم القصيدة بالفخر بنفسه قائلا :

٨ — أَهلُ ٱلْقِبَابِ ٱلْحُمْرِ وَالـ ... نَعَمِ ٱلْمُؤَبَّلِ وَٱلْقَنَابِلْ
٩ — كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ ... وَمُقَلِّصٍ نَهْدِ ٱلْمَرَاكِلْ
١٠ — ضَخْمِ ٱلْجُــزَارَةِ سَابِحٍ ... عَبْلٍ يُضَمَّرُ بِٱلْأَصَائِلْ
١١ — وَهُمُ عَلَى جُرْدٍ مَغَـــا ... وِيرٍ عَلَيْهِنَّ الرِّحَائِلْ
١٢ — شُعْثٍ يُبَارِينَ ٱلْأَسِنَّـ ... ـةَ كَالنَّعَـــامَاتِ ٱلْجَوَافِلْ
١٣ — يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ ٱلْغُبَا ... رِ عَوَابِسًا لُحُقَ ٱلْأَيَاطِلْ
١٤ — كَمْ قَدْ تَرَكْنَ مُجَــدَّلًا ... مِنْ بَيْنِ مُنْقَعِفٍ وَجَافِلْ
١٥ — هَلْ بَعْدَ ....
١٦ — زَيَّافَةٌ أَرْمِي بِهَـــا ... بِاللَّيْلِ مُعْرَضَةَ ٱلْمَحَافِلْ
١٧ — وَكَأَنَّهَـــا بَعْدَ ٱلْكَلَا ... لِ مُكَدَّمٌ مِنْ حُمْرِ عَاقِلْ
١٨ — مُتَرَبِّعٌ مِنْهَا رِيَا ... ضًا صَابَهَا وَدْقُ ٱلْهَوَاطِلْ

(٨ — ٩) القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الحمر كناية عن السيادة ، والحمرة زى الاشراف والسادة . النعم الابل . مؤبل قد جعل قطيعا قطيعا . القنابل جمع قنبلة ، وهى الجماعة من الخيل . الشطبة الفرس السبطة اللحم . مقلص طويل القوائم . نهد المراكل واسع الجوف عظيمة . والنهود البروز . والمركل (بصيغة اسم المكان) حيث تصيب رجل الراكب من الدابة إذا ركلها واستحثها برجله .

(١٠ — ١١) الجزارة اليدان والرجلان ، سميت بذلك لان الجزار كان يأخذها فهى جزارته أي أجرته على الجزر والذبح . سابح سريع . عبل ضخم . ضمر الخيل ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن ، ثم قلل ماءها وعلفها مدة وركضها فى الميدان حتى تهزل وتضمر . ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً . الأصائل جمع أصيل ، وهو مابعد العصر إلى المغرب . جرد جمع أجرد وهو القصير الشعر . مغاوير جمع مغوار وهو السريع من الافراس . الرحائل جمع رحالة (بكسر الراء) وهو السرج من جلود لاخشب فيه ، يتخذ للركض الشديد .

(١٢ — ١٣) شعث جمع أشعث وهو المغبر المتنفش الشعر . الأسنة الرماح . تباريها كأنها لسرعتها تريد أن تسبق الرمح الذى يحمله راكبها . الجوافل التى جفلت أى فزعت فهربت مسرعة . الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . لحق الفرس (كعلم) ضمر .

(١٤ — ١٦) جدله وجندله صرعه . انقصف انكسر ، وانقصف القوم عن الرجل تركوه وخذلوه . جافل هارب ، وجفله صرعه على الأرض . زاف البعير أسرع فى تمايل . رمى المكان قصده . المحافل جمع محفل (كمجلس) وهو مجتمع القوم . (معرضه) الارجح عندى أن تكون مصحفة . ولعلها مفرضة (بالفين المعجمة وبصيغة اسم الفاعل) من أغرض الغرض أي أصابه . أو هي معرضة (بالعين المهملة وبصيغة اسم الفاعل) من قولهم : أعرض الرجل فى المكارم إذا ذهب عرضاً وطولا ، وقولهم (طأ معرضاً) أى ضع رجلك حيث وقعت .

(١٧ — ١٨) الكلال التعب . مكدم معضض . حمر جمع حمار . عاقل موضع . وهناك سبعة مواضع بهذا الاسم . تربع المكان رعى ماينبت فيه من عشب الربيع . الروضة المكان المنخفض الذى يستنقع فيه الماء فيزكو نبته . صاب المطر انصب ونزل . ودق المطر ودقا هطل . ديمة هطلاء عظيمة القطر . والجمع هواطل .

١٩— رب جيش جرار ، يقوده ملك عظيم ، فينحط به مسرعا .

٢٠— غادرته مجدّلا فى قرارة الوادى ، تنهشه الضباع .

٢١— يحاول أن يقوم فيتخاذل ، وقد نهلت من دمه السيوف والرماح .

(٧٧)

هذه إحدى قصائد الأعشى فى صاحبته (قتيلة) ، وهى تفيض بالشهوة النهمة . ويبدو من وصفه لها فى زيها وزينتها أنها ليست عربية . وقد تكون إحدى الجوارى من الراقصات أو المغنيات فى بيوت اللهو والخمر فى العراق أو فى الشام .

---

١ — يبدأ الأعشى قصيدته مستبشراً فرحا ، فقد استطاع أن يتنفس بعد ضيق ، وأن يتخلص من حب (قتيلة) ، ويفك عن قلبه قيود الذكرى التى كبلته بالأغلال .

ولكنه مع ذلك لايزال يحن إليها ، ولا ينسى جسمها الطافح بالفتنة والإغراء .

(٢ — ٥) قدم بضة مسترسلة البنان ، وقامة معتدلة قد تم خلقها وحسن تناسقها ، وساقان ممتلئتان ، يترجرج ما عليهما من لحم حتى ينتهى إلى خلخالها الرّنان . إذا التمس صاحبها أردافها ظل يصعد بيده فى ساقيها المديدتين الممتلئتين إلى هذا الكثيب البارز الذى يلقى على خَلْقها المكمَّل ظلا من الحسن .

ولا تزال شهوات الشاعر العارمة تقود خياله فى تصوير صاحبته فى مختلف الأوضاع .

(٦ — ٩) فيتصورها وقد انبطحت بجسمها المديد على الأرض ، فجفا خصرها الدقيق عن الفراش ، وانحطت أردافها الضخمة الثقيلة وكأنها رأس القدح الخشبى الضخم . ويتصورها وقد امتطاها فارسها المتبذّل فيقول : يالها من مطية وياله من فارس . إذا خلت إلى نفسها متبذلة ناءت بها أردافها التى

١٩ — بَلْ رُبَّ مَجْرٍ جَحْفَلٍ ‏ ‏ يَهْوِى بِهِ مَلِكٌ حُلَاحِلْ
٢٠ — غَادَرْتُهُ مُتَجَدِّلًا ‏ ‏ بِٱلْقَاعِ تَنْهَسُهُ ٱلْفَرَاعِلْ
٢١ — وَلَقَدْ يُحَاوِلُ أَنْ يَقُو ‏ ‏ مَ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ النَّوَاهِلْ

(٧٧)

وقال :

١ — صَحَا ٱلْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا ‏ ‏ يَكُونُ لَهَا مِثْلَ ٱلْأَسِيرِ ٱلْمُكَبَّلِ (طويل)
٢ — لَهَا قَدَمٌ رَيَّا سِبَاطٌ بَنَانُهَا ‏ ‏ قَدِ ٱعْتَدَلَتْ فِى حُسْنِ خَلْقٍ مُبَتَّلِ
٣ — وَسَاقَانِ مَارَ ٱللَّحْمُ مَوْرًا عَلَيْهِمَا ‏ ‏ إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا ٱلْمُتَصَلْصِلِ
٤ — إِذَا ٱلْتُمِسَتْ أُرْبِيَّتَاهَا تَسَانَدَتْ ‏ ‏ لَهَا ٱلْكَفُّ فِى رَابٍ مِنَ ٱلْخَلْقِ مُفْضِلِ
٥ — إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ٱرْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ ‏ ‏ مِنَ ٱلْحُسْنِ ظِلًّا فَوْقَ خَلْقٍ مُكَمَّلِ
٦ — إِذَا ٱنْبَطَحَتْ جَافَى عَنِ ٱلْأَرْضِ جَنْبُهَا ‏ ‏ وَخَوَّى بِهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلِ
٧ — إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ مُتَبَذِّلٌ ‏ ‏ فَنِعْمَ فِرَاشُ ٱلْفَارِسِ ٱلْمُتَبَذِّلِ
٨ — يَنُوءُ بِهَا بُوصٌ إِذَا مَا تَفَضَّلَتْ ‏ ‏ تَوَعُّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِيِّ ٱلْمُغَيَّلِ

(١٩ —) الجر والجحفل الجيش ، والثانية توكيد للأولى . يهوى يمضى مسرعاً . هوت العقاب انقضت ، وهوت الريح هبت . الحلاحل السيد الشجاع . جدله فتجدل صرعه فانصرع . القاع الأرض السهلة المطمئنة . النهس والنهش الأكل والأخذ بمقدم الأسنان . الفراعل جمع فرعل (مثل هدهد) وهو ولد الضبع . النواهل يقصد بها السيوف والرماح التى نهلت من دمه أى شربت .

(٧٧)

(١ — ٤) ريا بضة طرية ، مونث ريان . سباط جمع سبط أى طويل مسترسل . مبتل تام الخلق متناسق . مار ترجرج . المتصلصل الذى تسمع صلصلته ورنينه حين تمشى الاربية أصل الفخذ . تساند إليه اعتمد عليه ، أو هو من قولهم سند فى الجبل أى صعد فيه . راب مرتفع بارز . مفضل من الفضل وهو الزيادة .

(٥ — ٦) الهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ، يقصد به أردافها الضخمة البارزة . تلقى ظلا على ما تحتها لبروزها . وقد تكون مصحفة عن (طل) والطل (بفتح الطاء) الحسن المعجب ، تقول ما أطله وأحلاه . ويوم طل رطب طيب . انبطحت تمددت . جفى ارتفع عن الأرض . خوى مال وسقط . راب مرتفع . الجنبل القدح الضخم يتخذ من الخشب . هامته رأسه . يقول إن خصرها يجفو عن الأرض لدقته وينحط ردفها على الأرض لضخامته .

(٧ — ٨) متبذل يفعل ما يشاء وما يحلو له ، ولا يراقب الناس ولا يبالى بهم . يقصد بالفارس صاحبها ، أو هو يقصد نفسه فى الحقيقة . ينوء بها يثقلها . بوص ردف . تفضلت تبذلت ولبست الفضلة ، وهى الثياب التي تبتذل للنوم . توعبه واستوعبه استوفاه واستنفده . الشرعبي ضرب من البرود منسوب إلى شرعب وهو مخلاف باليمن . المغيل الواسع من الثياب .

تملأ قميصها الواسع الفضفاض . وإذا تردت فوق قميصها بالثياب تثنّى رداؤها بارزاً كأن تحته كثيباً من الرمل الرَّجْراج يكاد ينهار .

(١٠ — ١١) تهتز قامتها المديدة اللدنة اهتزاز غصن البان ، حين تمشى وكأنها القطاة تدب فى الوادى إلى منهل الماء . ويبرز ثدياها الناهدان فوق صدرها مستديرين كالرمانتين . ويمتد جيدها الطويل وقد زانته الحلى كأنه جيد غزال . وتفتَرُّ شفتاها عن ثغرها الوضّاء ، وكأنه نَوْر الأُقْحُوان ذو الأوراق الصغيرة المفلَّجة البيضاء .

(١٣ — ١٤) تتلألأ بشرتها النقية الملساء تلألؤ الفضة ، وتبدو عيناها الكحيلتان من غير اكتحال كعينى الغزال . ساكنتين ، صافيتين ، يزينهما حاجب مستو جميل ، ويسترسل من تحتهما خدّاها الأملسان اللذان يفيضان بالبِشْر .

(١٥ — ١٦) بطنها ملساء ، تتكسر بشرتها متثنية من أثر السمن ، وصدرها كلوح المرمر المسنون ، قد جوَّده صانعه وبالغ فى صقله . يجول وشاحاها على جانبى خصرها النحيل حين تتثنى متخلعة فى حركة لا تستقر .

ويختم الأعشى هذا الوصف بقوله :

١٧ — أكمل الله خَلْقها فليس فوق جمالها جمال . وإن لى فيها لشِعْراً مختاراً .

ويمضى متحدثاً عن تعلقه بها ، وعن قوة تأثيرها وبالغ فتنتها فيقول :

(١٨ — ٢٠) لقد علمت (قُتَيْلة) فى غيبتها أنى أحبها ، وأنى إنما أتكلف الصبر تكلفاً ، وأصطنع الوقار اصطناعا . وما كنتُ أُتَّهم من قبل بالحب ، فقد خدعتنى بشبابها الفتّان ، وذهبت بى كل مذهب . فلقد كنت مالكا لأمرى ، إذا عزمتُ على أمر أمضيته لا أتراجع فيه ولا أبدّل قولا بقول .

(٢١ — ٢٤) تتثنى فى مشيها متهالكة حتى تذهب بعقول الرجال ، وتفتن الرزين الوقور بقوامها اللعوب الميّاس . إذا لبست قميصها المشقوق ، وألقته فى عنقها كاشفة عن ذراعيها ، تُلوّح بهما فى ضوء الصباح الفاتر قبل أن ترتفع الشمس . ولمع السوار فى معصمها حين تشير بكفها الرقيقة ، وقد استرسلت أناملها كأنها هُدّاب الحرير الأبيض المفتول ، رأيتَ الوقور الرزين من الرجال وقد بهت ، فعلق

٩ — رَوَادِفُهُ تَثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ ... إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ ٱلْمُتَهَيِّلِ
١٠— نِيَافٌ كَغُصْنِ ٱلْبَانِ تَرْتَجُّ إنْ مَشَتْ ... دَبِيبَ قَطَا ٱلْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ
١١— وَثَدْيَانِ كَالرُّمَّانَتَيْنِ وَجِيدُهَا ... كَجِيدِ غَزَالٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُعَطَّلِ
١٢— وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ لَمْ يُفَلَّلِ
١٣— تَلَأْلُؤُهَا مِثْلُ اللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا ... تَرَى مُقْلَتَيْ رِئْمٍ وَلَوْ لَمْ تَكَحَّلِ
١٤— سَجُوَّيْنِ بَرْجَاوَيْنِ فِي حُسْنِ حَاجِبٍ ... وَخَدٍّ أَسِيلٍ وَاضِحٍ مُتَهَلِّلِ
١٥— لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ ... وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ الْمُمَثَّلِ
١٦ — يَجُولُ وِشَاحَاهَا عَلَى أَخْمَصَيْهِمَا ... إِذَا ٱنْفَتَلَتْ جَالًا عَلَيْهَا يُجَلْجِلُ
١٧— فَقَدْ كَمُلَتْ حُسْنًا فَلَا شَيْءَ فَوْقَهَا ... وَإِنِّي لَذُو قَوْلٍ بِهَا مُتَنَخَّلِ
١٨— وَقَدْ عَلِمَتْ بِٱلْغَيْبِ أَنِّي أُحِبُّهَا ... وَأَنِّي لِنَفْسِي مَالِكٌ فِي تَجَمُّلِ
١٩— وَمَا كُنْتُ أُشْكَى قَبْلَ قَتْلَةِ بِالصِّبَى ... وَقَدْ خَتَلَتْنِي بِالصِّبَى كُلَّ مَخْتَلِ
٢٠— وَإِنِّي إِذَا مَا قُلْتُ قَوْلًا فَعَلْتُهُ ... وَلَسْتُ بِمِخْلَافٍ لِقَوْلِي مُبَدِّلِ
٢١— تَهَالَكُ حَتَّى تُبْطِرَ ٱلْمَرْءَ عَقْلَهُ ... وَتُصْبِي ٱلْحَلِيمَ ذَا ٱلْحِجَى بِالتَّقَتُّلِ

(٩ — ١٠) الروادف جمع رادفة وهى طرائق الشحم . الرداء ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة . تثنيه أى أنها تظهر منه بارزة ناتئة. تساندت اعتمدت . الدعص القطعة المستديرة المجتمعة من الرمل . المتهيل الذى ينهال ولا يتماسك . نياف طويله ، ناف الشيء ينوف أشرف وارتفع . القطاة طائر فى مثل حجم الحمام . البطحاء مسيل الماء من الوادي فيه حصى دقيق المنهل مورد الماء .

(١١ — ١٢) لم يعطل لم يخل من الحلي . عطل المرأة (بالتشديد) نزع حليها . غر جمع أغر وهو الأبيض الوضاء . الثنايا الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم . الأقحوان نبات زهره أبيض وأوراقه صغيرة مفلجة . ذراه أعلاه ، يقصد زهره . لم يفلل لم يتكسر أى أنه ناضر لم تعبث به يد .

(١٣ — ١٥) تلألؤها بريقها ووضاءتها . اللجين الفضة . الرئم الظبي وعينه سوداء . تكحل أي تتكحل (حذفت التاء للتخفيف) سجوين ساكنتين فاترتين . برجاوين واسعتين صافيتين . أسيل أملس مسترسل واضح صاف . متهلل وضاء يفيض بالبشر . كبدها وسطها . الأسرة الخطوط التى تكون فى البطن من السمن . النحر أعلى الصدر . الفاثور الخوان من رخام أو فضة . الصريف الفضة . الممثل الجيد الصنعة . مثله (بالتشديد) صوره وصاغه .

(١٦ — ١٨) الوشاحان كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها . أخمص البدن وسطه . انفتلت انثنت . وشاح جائل وجال يتحرك فوق لا يستقر لطولها ودقة خصرها وامتلاء صدرها . جالا أى جائلا ، حال من الوشاح . يجلجل يتحرك ، جلجل الشيء حركه بيده ، أو هو من جلجلة الجلجل وهو الجرس الصغير . وفى هذا البيت إقواء لأن القافية مكسورة فى سائر القصيدة . متنخل مختار منتخب . تجمل صبر واصطنع الوقار .

(١٩ — ٢١) شكاه المرض أوجعه وآلمه ، وأشكاه فعل به ما يحوجه للشكوى ، وهو يشكى بكذا (على البناء للمجهول) يتهم به . الصبى الشوق . ختله خدعه . الصبى (الثانية) الشباب مختل مصدر ميمى من ختله أى خدعه . تهالكت المرأة فى مشيها تمايلت . تهالك أي تتهالك . البطر هنا بمعنى الدهش والحيرة . عقله بدل من المرء . الحليم العاقل الرزين . تصبيه تفتنه . الحجى العقل . تقتلت المرأة فى مشيها تقلبت وتثنت وتكسرت .

طرفه بها ساكناً لا يتحرك ، وطار قلبه حين استخفه جمالها الفتان ، حتى ما يبالى لوم اللائمين .

وينصرف الأعشى آخر الأمر عن صاحبته إلى الصحراء ، ملتمساً فى تيهها السلوى والعزاء فيقول :

(٢٥ — ٢٧) دع عنك ذكرها ، وسلِّ همومك بناقة ضخمة جريئة على الأسفار ، تمضى مسترسلة فى سيرها وقد مدت عنقها مسرعة . كم طوَّفتُ فوقها من بلاد ، وكم قطعت من طرق ، أجوب الأرض رحَّالا . وكم من موضع مخيف قد نزلناه فكنا نعم القوم فى الحَلِّ والترحال .

ثم يتحول الشاعر إلى أبناء عمومته (بنى عِجْل بن لُجَيْم) يذكِّرهم بحسن صنيع قومه وما أسلفوا إليهم من إحسان مفاخراً فيقول :

(٢٨ — ٣٠) أبلغ (بنى عِجْل) - وهم قريبو القرابة ماجدو الأصل - بأنا قد أدينا عنهم ديات القتلى لأهلهم ألفاً من الإبل ، وأنا نعجِّل لضيفنا القِرى مسرعين إليه بخمر المساء ، وأنا رددنا جيوش الفرس حين أغاروا علينا مدحورين ، وكسرنا فى صدورهم الرماح .

ويختم القصيدة بقوله :

(٣١ — ٣٢) فكيف يرجو سادتنا الفلاح إذا نحن لم نشارك فيما يحل بقومنا من نوائب وغرامات . فلقد اختبرتمونا ياقوم وجربتم سعينا فى مواطن الجد التى تكشف عن الرجال ، فلم يَضِع اختبار المختبر ؛ ولم يجدنا إلا أهل فضل على كل حال .

٢٢— إِذَا لَبِسَتْ شِيْدَارَةً ثُمَّ أَبْرَقَتْ ... بِمِعْصَمِهَا وَالشَّمْسُ لَمَّا تَرَجَّلِ
٢٣— وَأَلْوَتْ بِكَفٍّ فِي سِوَارٍ يَزِينُهَا ... بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ
٢٤— رَأَيْتَ ٱلْكَرِيمَ ذَا الْجَلَالَةِ رَانِيًا ... وَقَدْ طَارَ قَلْبُ ٱلْمُسْتَخَفِّ ٱلْمُعَذَّلِ
٢٥— فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ... تَزَيَّدُ فِي فَضْلِ الزِّمَامِ وَتَغْتَلِي
٢٦— فَأَيَّةَ أَرْضٍ لَا أَتَيْتُ سَرَاتَهَا ... وَأَيَّةَ أَرْضٍ لَمْ أَجُبْهَا بِمَرْحَلِ
٢٧— وَيَوْمِ حِمَامٍ قَدْ نَزَلْنَاهُ نَزْلَةً ... فَنِعْمَ مُنَاخُ الضَّيْفِ وَٱلْمُتَحَوَّلِ
٢٨— فَأَبْلِغْ بَنِي عِجْلٍ رَسُولًا وَأَنْتُمُ ... ذَوُو نَسَبٍ دَانٍ وَمَجْدٍ مُؤَثَّلِ
٢٩— فَنَحْنُ عَقَلْنَا ٱلْأَلْفَ عَنْكُمْ لِأَهْلِهِ ... وَنَحْنُ وَرَدْنَا بِالْغَبُوقِ ٱلْمُعَجَّلِ
٣٠— وَنَحْنُ رَدَدْنَا ٱلْفَارِسِيِّينَ عَنْوَةً ... وَنَحْنُ كَسَرْنَا فِيهِمُ رُمْحَ عَبْدَلِ
٣١— فَأَيَّ فَلَاحِ الدَّهْرِ يَرْجُو سَرَاتُنَا ... إِذَا نَحْنُ فِيمَا نَابَ لَمْ نَتَفَضَّلِ
٣٢— وَأَيَّ بَلَاءِ الصِّدْقِ لَاقَدْ بَلَوْتُمُ ... فَمَا فُقِدَتْ كَانَتْ بَلِيَّةَ مُبْتَلِي

(٢٢ — ٢٣) الشيدارة الاتب ، وهو برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، وهو معرب عن الفارسية اصله هناك (شادريان) . أبرقت بمعصمها كشفت عنه ولوحت به . ترجلت الشمس ارتفعت . ألوى بيده وبثوبه أشار . الهداب ما استرسل من أطراف النسيج . الدمقس الحرير الأبيض . المفتل المفتول.

(٢٤ — ٢٥) رنا أدام النظر فى دهشة وقد غلبه الهوى . المستخف الذى استخفه الهوي فحمله على الخلاعة . المعذل الذى يكثر الناس من عذله أى لومه على ما يأتى من أفعال تتنافى مع الوقار . جسرة ناقة ضخمة جريئة على الأسفار . تزيد أى تتزيد. تزيدت الناقة مدت عنقها وسارت فوق العنق (بفتحتين) وهو المشى المديد الفسيح . الزمام الحبل الذى تقاد به . فضل الزمام طرفه . تغتلى تسرع فى سيرها .

(٢٦ — ٢٧) السراة الظهر ، وسراة الطريق وسطها . المرحل (بكسر الميم) القوي من الجمال ، ومرحل (بفتح الميم) مصدر ميمى من رحل . الحمام (بكسر الحاء) الموت . المناخ المكان الذي تناخ فيه الابل أى تبرك . التحول ، يمكن قراءتها بفتح الواو على أنها مصدر ميمى من تحول ، أي نعم الاناخة ونعم التحول . ولا يمنع من ذلك إلا أن القافية مكسورة . والمتحول عن هذا الوجه واجبة الرفع .

(٢٨ — ٣٠) بنو عجل بن لجيم (بصيغة المصغر) بن بكر . دان قريب ، لانهم أبناء عمومته . مؤثل ثابت أصيل . عقل القتيل أدى ديته لاهله . الألف يقصد ألفا من الابل دفعوها دية للقتلى حقنا للدماء . وردنا بالغبوق المعجل أى عجلنا لضيفنا بالخمر فى المساء . والغبوق الخمر التى تشرب فى المساء ، وهى كذلك اللبن الذي يحلب بالعشى . رمح عبدل منسوب لعبد القيس .

(٣١ — ٣٢) سراتنا سادتنا . ناب نزل بالقوم من المصائب . تفضل أظهر الفضل . بلاه يبلوه بلاء وابتلاه اختبره وجربه . والبلاء والبلية الامتحان والاختبار ، يكون فى الخير والشر . كانت زائدة ، يعنى أنهم جربوهم فى مواطن الصدق والفضل والجد ، فلم يجدهم الممتحن فى كل اختبار إلا فضلاء .

—٧٨—

هذه إحدى قصائد الأعشى التى فرغ فيها لنفسه يصور لهوه ومجونه . ومثل هذا الشعر قليل فى الشعر الجاهلي جملة . فالشاعر الجاهلى جزء من قبيلته . يفنى نفسه فيها ، وينطق بلسانها ، وقلما يفرغ لتصوير عواطفه . وهو يتجه فى غزله إلى صاحبة اسمها (هند) فى البيت الثانى ، ولكنه يشير إلى أخرى اسمها (سلمى) فى البيت (١٢) . والواقع أنه لا يقصد بحديثه امرأة معينة ، ولكنه يتحدث عن النساء جملة ، وعن ذكرياته معهن . ويختم الأعشى قصيدته بأبيات فى مدح قيس بن معد يكرب . وقد مدحه فى القصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦٨) .

يقول الأعشى :

(١ — ٣) خالط قلبي الهموم والأحزان ، وهاجته الذكرى بعد أن ظننت وظن الناس أنه قد سلا واطمأن . فهو مشغوف بهند ، هائم بحبها ، ينثنى عنها حيناً ، ويحن إليها فى معظم الأحيان . مشغوف بهذه الفتاة اللعوب المعطرة الثياب ، البضة الأطراف ، وكأنها الظبى الباغم الخالص البياض .

(٤ — ٥) إذا قعدت برزت أردافها كأنها كثيب من رمال (عالج) ، وإذا وقفت راعتك بقامة طويلة كالجَبْل . يزينها وشاحان قد استرسلا على صدرها وعلى ظهرها المديد ينتهيان بقطع الحلى .

(٦ — ٨) خلقت هند بلاء لقلبي ومحنة ، وكذلك تعترض المحن طريق الناس من غير أن يقصدوا إليها . التمستها فى الخلوات فلم أرها ، لأن الحياء يمنعها أن تضع نفسها فى موضع الشُّبَه والظنون.فأرسلت إليها أشرح حبى ، وأبين عذرى فى استجابتى لسلطان فتنتها الذى لا يرد ، طالباً إليها أن تجيب بما تشاء.

(٩ — ١٠) ولما التقينا أسرعت إلى فمى الكلمات فى اضطراب ، أقول لها تارة (جُعِلْتُ فداك) وأخرى (هَنَأَكِ الله) ، وأنا فى اضطرابى مراقب لها ، أتلطف بها ، كما يفعل السائس بالخيل حين يروضها ويصقلها ، أخشى أن يبدر منى ما يغضبها أو ينفرّها .

(١١ — ١٢) كم جدتِ علينا بالوصل ، ثم لم تكدرى إنعامك بالمن . أنتِ ياسَلْمىَ شغل نفسى ، فارفقى بنفس لاهَمَّ لها غيرك ، ولا تعبثى بها فتتلفيها ، فالنفس لا تقدر بثمن .

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير ذكرياته فى لون آخر من ألوان المتع التى تذوقها من خمر وغناء.

(١٣ — ١٧) فى غرف عالية وظل ظليل ، وقد فُتَّ المسك ونُثِرَت الرياحين ، يُطاف علينا بخمر خُسْرُوَانيَّة إذا ذاقها الشيخ الفانى ارتد إليه شبابه فمال متغنياً واهتز . وغنى المغنى على ألحان الطنابير الحسان ،

وقال :

١ — خَالَطَ ٱلْقَلْبَ هُمُومٌ وَحَزَنْ ‍ ‍ ‍ وَٱدِّكَارٌ بَعْدَ مَا كَانَ ٱطْمَأَنْ (رمل)

٢ — فَهْوَ مَشْغُوفٌ بِهِنْدٍ هَائِمٌ ‍ ‍ ‍ يَرْعَوِى حِينًا وَأَحْيَانًا يَحِنْ

٣ — بِلَعُوبٍ طَيِّبٍ أَرْدَانُهَا ‍ ‍ ‍ رَخْصَةِ ٱلْأَطْرَافِ كَالرِّئْمِ ٱلْأَغَنْ

٤ — وَهْىَ إِنْ تَقْعُدْ نَقًا مِنْ عَالِجٍ ‍ ‍ ‍ وَإِذَا قَامَتْ نِيَافًا كَالشَّطَنْ

٥ — يَنْتَهِى مِنْهَا ٱلْوِشَاحَانِ إِلَى ‍ ‍ ‍ حُبْلَةٍ وَهْىَ بِمَتْنٍ كَالرَّسَنْ

٦ — خُلِقَتْ هِنْدٌ لِقَلْبِى فِتْنَةً ‍ ‍ ‍ هٰكَذَا تَعْرِضُ لِلنَّاسِ ٱلْفِتَنْ

٧ — لَا أَرَاهَا فِى خَلَاءٍ مَرَّةً ‍ ‍ ‍ وَهْىَ فِى ذَاكَ حَيَاءً لَمْ تُزَنْ

٨ — ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا أَنَّنِى ‍ ‍ ‍ مُعْذِرٌ عُذْرِى فَرُدِّيهِ بِأَنْ

٩ — وَبَدَرْتُ ٱلْقَوْلَ أَنْ حَيَّيْتُهَا ‍ ‍ ‍ ثُمَّ أَنْشَأْتُ أُفَدِّى وَأُهَنْ

١٠ — وَأُرَجِّيهَا وَأَخْشَى ذُعْرَهَا ‍ ‍ ‍ مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بِٱلْقَوْدِ السَّنَنْ

١١ — رُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا ‍ ‍ ‍ بِعَطَايَا لَمْ تُكَدِّرْهَا ٱلْمِنَنْ

١٢ — أَنْتِ سَلْمَى هَمُّ نَفْسِى فَٱذْكُرِى ‍ ‍ ‍ سَلْمُ لَا يُوجَدُ لِلنَّفْسِ ثَمَنْ

١٣ — وَعَلَالٍ وَظِلَالٍ بَارِدٍ ‍ ‍ ‍ وَفَلِيجِ ٱلْمِسْكِ وَالشَّاهِسْفَرَنْ

(١ — ٣) اذكار افتعال من الذكر أصلها اذتكار . اطمأن هدأ وسكن . الشغاف غشاء القلب ، والمشغوف الذى تمكن منه الحب تحبله . الهائم المتحير والذى ذهب الحب بعقله . يرعوى يكف وينثنى . امرأة لعوب حسنة الدل ، والدل أن تظهر المرأة الجرأة فى تغنج كأنها تخالف صاحبها وليس بها خلاف . أردان جمع ردن (بضم فسكون) فهو مقدم الكم . رخصة بضة طرية . الرئم الظبي الخالص البياض . الأغن الذى يخرج صوته من خياشيمه .

(٤ — ٦) النقا الكثيب . عالج موضع به رمل . امرأة نياف تامة الطول والحسن . الشطن الحبل . الوشاح نسيج عريض ينظم باللؤلؤ والجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، فاذا لبست وشاحين خالفت بينهما ، فأحدهما من العاتق الأيمن إلى الكشح الأيسر ، والآخر من العاتق الأيسر إلى الكشح الأيمن . الحبلة ضرب من الحلى يجعل فى القلائد . المتن الظهر . الرسن الحبل . يصف ظهرها بأنه مديد طويل ، فوشاحها إذن طويل ، وذلك يزيده بهاء . الفتنة البلاء والمحنة . تعرض لهم تعترض طريقهم وتصادفهم من غير أن يسعوا لها .

(٧ — ٩) مكان خلاء ليس فيه أحد . زنه وأزنه بشىء اتهمه به خيرا كان أو شرا . أعذر أبدى عذرا فهو معذر . رديه بأن يعنى بأن تصليني ، والحذف هنا غاية فى الجمال ، فهو يترك لها أن ترد بما تشاء وبما يحلو لها . بدره وبدر إليه أسرع وعاجله . فداه وافتداه قال له : جعلت فداك . أهن أى أهنىء وأقول : هنأك الله أي سرك .

(١ — ١٣) رجى الشىء (بالتشديد) أمل به وارتقب خيرا . القود الخيل التى تقاد بمقاودها ولا تركب . السنن الشوط ، أو هى مصدر سنه سنا إذا أحسن رعايته حتى حسنت بشرته فكأنها قد صقلت صقلا ، فك الادغام لالتقاء الساكنين عند الوقف . المنن جمع منة (بكسر الميم وتشديد النون) وهى التعيير بالاحسان . حم تنسى شغلها . العلالى جمع علية (بضم العين وتشديد اللام المكسورة) وهى الغرفة المرتفعة . فليج أى مفتت . فلج الشىء شقه قسمين . الشاهسفرن نوع من الرياحين وهى فى الفارسية بالميم يعنى الريحان السلطانى .

والصنج الرنان . فإذا فني صوته وخفت ، انبعث الصَّنج يجيبه الونُّ ، يمهدان للغناء من جديد . فإذا أطاعت الألحان، خفت رنين الأوتار، وانطلق المغنى بصوته الصداح .

(١٨ — ٢٢) إذا استنزفنا مافى الدن من خالص الخمر ، نادينا الخمار طالبين سواه . بين فتية ينفقون فى سخاء ، ويهينون المال للغناء واللذة وسماع الألحان . لايزال إبريقهم يسيل بالخمر ، تُمْزَج بالماء البارد من قربة خَلَقٍ رطيب . ويمضون فى الشراب منذ الصباح حتى تميل الشمس للمغيب ، وتميل رءوسهم من نشوة الخمر كالنائمين . فإذا غربت الشمس انطلقوا إلى الجوارى الناعمات : القصيرات الخطى ، الدائمات المرح ، المُذْهِبَاتِ الهم ، النافيات الأحزان .

ويمضى الأعشى فى التغنى بهذه الذكريات الناعمة ، مصوراً ما نال من الحظوة عند الملوك ، وما استمتع به من جليل عطاياهم ، ويخص قيساً من بين هؤلاء الملوك بالذكر ، فيقول :

(٢٣ — ٢٤) جاوزْ هذا الشعر إلى غيره ، مشيداً بذكر دهقان اليمن ، أبى الأشعث قيس ، الذى يبذل فى شراء الحمد غالىَ الأثمان .

(٢٥ — ٢٧) جئته ذات يوم فأدنى مجلسى ، وحبانى بفرس كريم يمضى حيث توجهه فلا ينثنى عن القصد ، وثمانين ناقة عِشاراً ضخاما قد رعت الأراك فى (بَرِيم) و (حَضَنْ) ، وغلام نشيط يقوم على خدمتها ، وناقة ضخمة مذلَّلَة للراكبين ، كأنها القصر المَشِيد .

١٤— وَطِــلَاءٍ خُسْرُوَانِيّ إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَٱرْجَحَنْ
١٥— وَطَنَابِيرَ حِسَانٍ صَوْتُهَــا عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرَنْ
١٦— وَإِذَا ٱلْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ الصَّنْجُ فَنَادَى صَوْتَ وَنْ
١٧— وَإِذَا مَا غُضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللَّحْنُ غَنَّانَا مُغَنْ
١٨— وَإِذَا الدَّنُّ شَرِبْنَا صَفْوَهُ أَمَرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهُ بِدَنْ
١٩— بِمَتَالِيفَ أَهَــانُوا مَالَهُمْ لِغِنَاءٍ وَلِلَعْبٍ وَأَذَنْ
٢٠— فَتَرَى إِبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنْ
٢١— غُدْوَةً حَتَّى يَمِيــلُوا أُصُلاً مِثْلَ مَا مِيلَ بِأَصْحَابِ ٱلْوَسَنْ
٢٢— ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطُفِ ٱلْمَشْيِ قَلِيلَاتِ ٱلْحَزَنْ
٢٣— عَدِّ هٰذَا فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَٱذْكُرَنْ فِي الشِّعْرِ دِهْقَانَ ٱلْيَمَنْ
٢٤— بِأَبِي ٱلْأَشْعَثِ قَيْسٍ إِنَّهُ يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِمَنْفُوسِ الثَّمَنْ
٢٥— جِئْتُهُ يَوْماً فَأَدْنَى مَجْلِسِي وَحَبَانِي بِلَجُوجٍ فِي السَّنَنْ
٢٦— وَثَمَانِينَ عِشَــارٌ كُلُّهَا آرِكَاتٌ فِي بَرِيمٍ وَحَضَنْ
٢٧— وَغُـلَامٍ قَائِمٍ ذِي عَدْوَةٍ وَذَلُولٍ جَسْرَةٍ مِثْلِ ٱلْفَدَنْ

(١٤ – ١٦) الطلاء الخمر . خسروانى نسبة إلى خسروشاه . ارجحن مال واهتز . الطنبور آلة من آلات الطرب ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس (فارسى معرب) . الصنج من آلات الطرب ذات الأوتار (فارسى) وهو غير الصنج الذى تعرفه العرب . رن وأرن علا صوته فكان له رنين . المسمع المغنى . الون والصنج كالطنبور ، من آلات الطرب (فارسى معرب) .

(١٧ — ١٩) غض الصوت خفضه . الدن وعاء كبير للخمر من الفخار . صفو الشيء خالصه . عمرو اسم الساقى أو صاحب الحانة. أذن سماع ، فعله أذن (كعلم) . متاليف جمع متلاف وهو المبذر الذى يتلف ماله وينفقه . أهانوه بالانفاق ولم يصونوه .

(٢٠ — ٢٢) مسترعفا سائلا ، وأصله من الرعاف وهو الدم الذى يسيل من الأنف . الشمول الخمر الباردة التى شملتها ريح الشمال أى ضربتها فبردت . صفق الخمر روقها أو مزجها بالماء . الشن القربة الناعمة التى أخلقها الاستعمال فهى تبرد الماء إذا حفظ فيها . الغدوة من بعد الفجر إلى طلوع الشمس . الأصيل من بعد العصر إلى غروب الشمس . الوسن النوم . قطف (كضرب) قصر خطوه وبطؤ . قطف المشى قصيرات الخطى ، يعنى النساء . يصف بيتا من بيوت الفسق .

(٢٣ — ٢٤) عد هذا دعه وتجاوزه إلى غيره من الحديث . الدهقان كلمة فارسية معناها التاجر أو القوى على التصرف وحده ، ويعنى بدهقان اليمن قيس بن معد يكرب . وهو لقب غريب لم يرد فى غير هذا الموضع من مدائح الأعشى . أما تكنيته بأبى الأشعث فلم ترد إلا فى هــذه القصيدة وفى القصيدة (٦٨) فى البيت (١٣) . شيء منفوس ومنفوس فيه أى ثمين مرغوب فيه ، منفوس الثمن غاليه .

(٢٥ — ٢٧) حبانى أعطانى والحباء العطاء . لجوج صفة لفرس أو ناقة ، وهو الذى يلج فى الأمر أى يلازمه ويواظبه ويأبى الانصراف عنه . السنن جمع سنة وهى الطريقة . ثمانين أى ثمانين ناقة . عشار جمع عشراء (بضم ثم فتح) وهى الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر . أركت الابل (كنصر وضرب) رعت شجر الأراك فهى آركة ، والجمع آركات . بريم وحضن موضعان . العدوة المرة من العدو وهو الجرى . ناقة ذلول سهلة تنقاد لراكبها . جسرة جريئة على الأسفار وعلى اقتحام الصحراء . الفدن القصر .

هذه القصيدة تشبه القصيدة السابقة . يصور فيها الأعشى لهوه وذكريات شبابه ، ويختمها بأبيات فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد مدحه الأعشى قبل ذلك في القصائد (٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥) .

(١ — ٢)يتحدث الأعشى عن صواحبه وقد هجرنه حين أسن وفارقه الشباب . أما (سعاد) فقد نأت وأمسى ودها متَّهَماً لا يوثق به ، وغادرته للشوق والأوجاع . وأما (سُعْدَى) فقد أجمعت عزمها على هجره وقطيعته ، حين رأت رأسه وقد اشتمله الشيب .

ويرجع الأعشى بخياله إلى أيام شبابه ، ليدفىء برد شيخوخته بالذكريات ، وليتصور جمالها وفتنتها فى مختلف حالاتها .

(٣ — ٨) ثغر مستو رطيب ، كأن مذاقه فى الليل ورائحته البلحُ الشَّهِى . وجيد أملس مديد ، كأنه جيد الغزالة حين تمده لتتناول لطفلها من ثمار الأراك ما احلو لى وما طاب . وعينان حالمتان كأنهما عينا بقرة وحشية، أرَّقها عواء الذئاب فى الليل، فحملقت فيما حولها تتتبع مصدر الصوت . وجسم ممتلىء مديد قد كساه الحسن .كأن أسفله كثيب من الرمال . وشعر لين غزير ، ترسله على متنيها ، فيفوح منه على الماشطة ريح المسك والطيب .وجسم ناعم بض ، دقيق الخصر ، ثقيل الوركين ، يترقرق بالشباب النضير، كأنما يجرى فيه ذَوْبُ الدُّر .

ويمضى الأعشى فى هذه الأَحلام، ليتصور نفسه فى شبابه ، حين كان يهجم على الصحراء فى عزم فَتِىّ ، ويمضى فيها غير هياب.

(٩ — ١١) كم من صحراء بعيدة الآفاق ، مترامية الأَطراف، مقفرة المسالك ،قد نهض لها بفحل أشهب ، ينطلق تحت راكبه ، فتتموج رقبته الطويلة فى حركة لا تهدأ . قد ارتفعت أخشاب الرحل فوق جسمه الضخم، وكأنه برج متماسك البنيان قد علق فى أعلاه باب . وكأننى حين كسوت الرحل بالوسائد والحشايا قد وضعتها فوق ثور وحش ضخم نشيط .

وينسى الأعشى رحلته وناقته ، فيمضى مع هذا الثور الذى شبهها به ، ليصوره فيما قاسى من شدائد وأهوال . استطاع بجَلَده وقوة احتماله أن يتخطاها ظافراً .

(١٢ — ١٤) ألجأه المطر والريح البارد إلى كثيب من الرمال ينصب عليه المطر متواليآ غزيراً . فلاذ إلى شجرة من

وقال :

١ — بَانَتْ سُعَادُ وَأَمسى حَبْلُهَا رَابَا وَأَحدثَ النَّأْىُ لِي شَوْقًا وَأَوْصَابَا (بسيط)

٢ — وأَجْمعَتْ صُرْمَنَا سُعْدَى وَهِجْرَتَنَا لَمَّا رَأَتْ أَنَّ رَأْسِى ٱلْيَوْمَ قَدْ شَابَا

٣ — أَيَّامَ تَجْلُو لَنَا عَنْ بَارِدٍ رَتِلٍ تَخَالُ نَكْهَتَهُ بِاللَّيْلِ سُيَّابَا

٤ — وَجِيدِ مُغْزِلَةٍ تَقْرُو نَوَاجِذُهَا مِنْ يَانِعِ ٱلْمَرْدِ مَا ٱحْلَوْلَى وَمَا طَابَا

٥ — وَعَيْنِ وَحْشِيَّةٍ أَغْفَتْ فَأَرَّقَهَا صَوْتُ الذِّئَابِ فَأَوْفَتْ نَحْوَهُ دَابَا

٦ — هِرْكَوْلَةٌ مِثْلُ دِعْصِ الرَّمْلِ أَسْفَلُهَا مَكْسُوَّةٌ مِنْ جَمَالِ ٱلْحُسْنِ جِلْبَابَا

٧ — تُمِيلُ جَثْلًا عَلَى ٱلْمَتْنَيْنِ ذَا خُصَلٍ يَحْبُو مَوَاشِطَهُ مِسْكًا وَتَطْيَابَا

٨ — رُعْبُوبَةٌ فُنُقٌ خُمْصَانَةٌ رَدَحٌ قَدْ أُشْرِبَتْ مِثْلَ مَاءِ الدُّرِّ إِشْرَابَا

٩ — وَمَهْمَهٍ نَازِحٍ قَفْرٍ مَسَارِبُهُ كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابَا

١٠ — يُنْبِى ٱلْقُتُودَ بِمِثْلِ ٱلْبُرْجِ مُتَّصِلًا مُؤَيَّدًا قَدْ أَنَافُوا فَوْقَهُ بَابَا

١١ — كَأَنَّ كُورِى وَمِيسَادِى وَمِيثَرَتِى كَسَوْتُهَا أَسْفَعَ ٱلْخَدَّيْنِ عَبْعَابَا

١٢ — أَلْجَاهُ قَطْرٌ وَشَفَّانٌ لِمُرْتَكِمٍ مِنَ ٱلْأَمِيلِ عَلَيْهِ ٱلْبَغْرُ إِكْثَابَا

(١ — ٣) بانت بعدت . الحبل الوصال والعهد . راب من الريب وهو الشك والظنة والتهمة . أوصاب أوجاع ، جمع وصب (بالتحريك). أجمعت عزمت وقررت . الصرم القطيعة ، صرم الحبل قطعه . تجلو تكشف . بارد أي ثغر بارد رطيب . رتل مستوى الاسنان حسن التنضيد . النكهة رائحة الفم . السياب (بضم السين وتشديد الياء) البلح.

(٤ — ٦) مغزلة ظبية ذات غزال صغير . قرا الشيء تتبعه . النواجذ الأنياب . يانع مشرق نضير . المرد ثمر الاراك الأخضر . وحشية أى بقرة وحشية . أوفت أتت نحوه أى نحو الصوت . دابا أى دأبا من دأب أى مضى واستمر . هركولة عظيمة الوركين ضخمة الخلق . الدعص الكثيب .

(٧ — ٩) شعر جثل غزير لين . متناها جانباها . يحبو من الحباء (بكسر الحاء) وهو العطاء ، أى يمنحه . مواشط جمع ماشطة وهى الجارية التى تمشط الشعر . رعبوبة ممتلئة الجسم . فنق شابة ناعمة . خمصانة خميصة البطن ، والخمص الجوع . ردح ورداح ثقيلة الأوراك . أشرب اللون أشبعه . مهمه صحراء . نازح بعيد . مسارب مسالكه . أعيس أى جملا أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة . الرحل الخشب الذى يشد على الجمل ليركب فوقه . نعبت الابل (كفتح) مدت أعناقها فى سيرها.

(١٠ — ١٢) ينبيها يدفعها ويرفعها . القتود خشب الرحل . بمثل البرج يقصد ظهره المتماسك القفار . متصلا متماسكا . مؤيد قوى . أنافوا رفعوا . فوقه أى فوق الحصن . يشبه خشب الرحل فوق هذا الجمل بباب مرفوع فوق برج . الكور الرحل . الميساد الوساد الذى يتكأ عليه . الميثرة وطاء محشو يوضع فوق رحل البعير تحت الراكب . أسفع أحمر ضارب للسواد . أسفع الخدين يعنى ثور الوحش . العبعاب الطويل التام الخلق . القطر المطر . شفان ريح وبرد . مرتكم مجتمع . الأميل (على وزن كثيب) الحبل من الرمل مسيرة يوم طولا وميل عرضاً ، أو المرتفع منه . البغر الدفعة الشديدة من المطر . إكثابا من الكثب وهو الجمع والصب ، كثب الماء (كنصر وضرب) صبه .

أشجار الأَرْطَى الضخام لا تكاد تحميه ، وراح المطر يجرى على جنبيه . ويلتمع البرق فى السماء ، فيكشف ضوؤه اللمَّاح عن هذا الثور الضامر وقد نَهَكَهُ الجوع ، كأنه كوكب يلمع فى الأفق البعيد .

(١٥ — ١٧) فلما تتأ قرن الشمس أو كاد ، أحس فى ضوء الفجر الخافت صياداً من (بنى ثُعَل) ، يغرى كلابه الخمسة (عَطَّافا) و (مجدولا) و (سَلْهَبَة) و (محصوفا) و (كَسَّابا) . وقد خلف هذا الصياد من ورائه صبية صغاراً حالفوا الفقر والضنك زمانا ، فهم ينتظرون ما يعود به من صيد .

(١٨ — ١٩) ومضى الثور مسرعا يلهبه الذعر فلا يألو جهداً فى النجاة بنفسه . وتبعته الكلاب التى مرنت على الصيد لحذقته ، تكاد فى عدوها السريع تخرج من جلودها ، وكأنها سهام أطلقها الرامى فمضت لاتلوى على شىء .

(٢٠ — ٢١) وراح الثور يجاهدها وهى تلاحقه ولا تقصر فى طلبه ، حتى إذا نال منه التعب وأدركه الكلال ، ثاب إلى نفسه وجَمَّع قواه وثبت للقتال . فكرّ عليها بقرنه المحدد وكأنه حربة يحمى بها جسده أن تنال منه الكلاب مقتلا . وراح يسدد ضرباته إليها فيصيبها فى الكُلَى .

وينصرف الأعشى عن هذا الثور ، ليتحدث عما نال من حظوة عند (إياس بن قَبيصَة الطائى) ،دون أن يمهد لهذا الانتقال أو يحتال فى التخلص له ، فيقول :

(٢٢ — ٢٣) لما رأيت الزمان كالحاً لا يهب غير البرد والجوع ، قد ذل فيه رءوس الناس حتى صاروا أذناباً ، قصدت إياساً خير فتى فى الناس ، حاضرِهم وغائبهم .

(٢٤ — ٢٧) فلما رآنى فيما أنا فيه من شدة وضَنْك ، رث الهيئة بالى الثياب ، وقد اختلط أمرى وفسد حالى ،

١٣ — وَبَاتَ فِي دَفِّ أَرْطَاةٍ يَلُوذُ بِهَا ‏ يَجْرِى الرَّبَابُ عَلَى مَتْنَيْهِ تَسْكَابَا
١٤ — تَجْلُو ٱلْبَوَارِقُ عَنْ طَيَّانَ مُضْطَمِرٍ ‏ تَخَالُهُ كَوْكَبًا فِى ٱلْأُفْقِ ثَقَّابَا
١٥ — حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ كَرَبَتْ ‏ أَحَسَّ مِنْ ثُعَلٍ بِٱلْفَجْرِ كَلَّابَا
١٦ — يُشْلِى عِطَافًا وَمَجْدُولًا وَسَلْهَبَةً ‏ وَذَا ٱلْقِلَادَةِ مَحْصُوفًا وَكَسَّابَا
١٧ — ذُو صِبْيَةٍ كَسْبُ تِلْكَ الضَّارِيَاتِ لَهُمْ ‏ قَدْ حَالَفُوا ٱلْفَقْرَ وَاللَّأْوَاءَ أَحْقَابَا
١٨ — فَٱنْصَاعَ لَا يَأْتَلِى شَدًّا بِخَذْرَفَةٍ ‏ تَرَى لَهُ مِنْ يَقِينِ ٱلْخَوْفِ إِهْذَابَا
١٩ — وَهُنَّ مُنْتَصِلَاتٌ كُلُّهَا ثَقِفٌ ‏ تَخَالُهُنَّ وَقَدْ أُرْهِقْنَ نُشَّابَا
٢٠ — لَأْيًا يُجَاهِدُهَا لَا يَأْتَلِى طَلَبًا ‏ حَتَّى إِذَا عَقْلُهُ بَعْدَ ٱلْوَنَى ثَابَا
٢١ — فَكَرَّ ذُو حَرْبَةٍ تَحْمِى مَقَاتِلَهُ ‏ إِذَا نَحَا لِكُلَاهَا رَوْقُهُ صَابَا
٢٢ — لَمَّا رَأَيْتُ زَمَانًا كَالِحًا شَبِمًا ‏ قَدْ صَارَ فِيهِ رُءُوسُ النَّاسِ أَذْنَابَا
٢٣ — يَمَّمْتُ خَيْرَ فَتًى فِى النَّاسِ كُلِّهِمُ ‏ الشَّاهِدِينَ بِهِ أَعْنِى وَمَنْ غَابَا
٢٤ — لَمَّا رَآنِى إِيَاسٌ فِى مُرَجَّمَةٍ ‏ رَثَّ الشَّوَارِ قَلِيلَ ٱلْمَالِ مُنْشَابَا

(١٣ — ١٥) الدف الجنب من كل شي أو صفحته . الأرطى شجر ضخم ، واحدته أرطاة . الرباب السحاب الأبيض ، يرى به المطر . متناه جانباه . البوارق جمع بارقة وهى السحابة الكثيرة البروق . طيان جائع ، فعلان من الطوى وهو الجوع . مضطمر منتعل من الضمور . ثقاب ثاقب مضيء . ذر طلع . قرن الشمس أول ما يطلع منها عند الشروق . كربت كادت وقربت . ثعل حى من طيء ، وهم مشهورون بالرماية . كلاب صاحب كلاب .

(١٦ — ١٨) أشلى الكلب على الصيد أغراه ، مجدول مفتول . السلهبة الطويل . محصوف مجدول محكم الفتز . عطاف ومجدول وسلهبة ومحصوف وكساب أسماء كلاب هذا الصياد . ضرى الكلب بالصيد (كعلم) لزمه وتعوده وأولع به واجترأ عليه . اللأواء الشدة والمحنة . أحقاب جمع حقبة (على وزن قطمة) وهى المدة من الزمن . انصاع مضى مسرعا . ألا فى الأمر يألو قصر فيه وأبطأ . الشد العدو والجرى . خذرف أسرع . هذب وأهذب أسرع .

(١٩ — ٢١) منتصلات مسرعات تكاد تخرج من جلودها فى عدوها ، وأصله انتصل السهم أى خرج من نصله وهو حديدته . ثقف حاذق خفيف فطن . أرهقه أعجله . اللأى الشدة، لأى يلأى أبطأ واحتبس . لا تأتلى لا تبطىء . الونى التعب والفتور . ثاب رجع . ذو حربة يعنى الثور ، حربته قرنه . مقاتله المواضع التى تقتل الاصابة فيها . نحا قصد . كلى جمع كلية (على وزن لقمة) . روقه قرنه . صاب أصاب ولم يخطىء .

(٢٢ — ٢٤) كالح عابس . الشبم البردان الجائع . يممه قصده . الشاهد الحاضر . إياس بن قبيصة الطائى . المرجمة (بكسر الجيم وتشديدها) الشدة من الرجم وهو القتل والقذف بالحجارة والطرد . والمرجمة (بفتح الجيم وتشديدها) يقصد بها القبر ، أى حفرة مرجمة رجم القبر (بالتشديد) وضع عليه الحجارة . وفى الحديث (لاترجموا قبرى) أى لا تضعوا عليه الحجارة ليسنم . رث بال . الشوار (بفتح الشين) الهيئة الحسنة واللباس . منشاب مختلط الأمر . انشاب على وزن انفعل ، من شاب الشيء يشوبه أي خلطه ، وشابه كذلك خانه وغشه .

أوسع لى ضيافته فِعْل الكريم ، ومتعنى فى يوم الجمعة ، حين لجأت إليه مودعا الصحب والخلان ، بناقة ضخمة فتيَّة ، لا هى بالبَكْرَة الصغيرة ، ولا هى بالمُسِنَّة العجوز ، قد أشرق لونها من السِّمَن ، فكأنما صُبِغَت بالزعفران الأصفر . وحبانى قطعاناً من الإبل تعلوها النضرة ، كأنها روضة زينها نبت الخريف بكلل مافوقها من الأعشاب ، ويزيده رونقاً وبهاء .

ويختم الأعشى قصيدته بالدعاء لإياس فيقول :

(٢٨ — ٢٩) يجزيك الله يا إياس عن نعمتك خير الجزاء ، كما جزى نوحا بعد المشيب ، إذ أوحى إليه أن يصنع الفلك ليعصمه من الطوفان ، فراح ينشئها ويجمع الألواح والأبواب .

(٨٠)

هذه إحدى قصائد الأعشى القليلة التى فرغ فيها للغزل . ومعانى القصيدة مألوفة ، وأسلوبها ركيك مسف فى كثير من المواضع . وأطرف مافيها القسم الأخير (٩ — ١٦) ، الذى يستطرد فيه إلى وصف درة يعرض الغواص نفسه للمهالك فى سبيل الحصول عليها ، والأعشى متأثر فى هذا القسم بأبيات تنسب لخاله المسيب بن علس ، يشبه فيها صاحبته بجمانة ، ويصف ما يلقى الغواص من عناء فى سبيلها ، فى ثلاثة عشر بيتا ، يبدأها بقوله :

كجمانة البحرى جاء بها غواصها من لجة البحر

وليس بغريب أن يتأثر الأعشى بخاله ، فقد بدأ حياته الشعرية راوية له ، وأشار النقاد القدماء إلى تأثره به فى كثير من معانيه .

يقول الأعشى :

(١ — ٢) نام من خلى قلبه من الهموم ، وبت ليلى ساهرًا لا أنام . أرعى النجوم متكئاً على مرفقى وقد أضنانى الغرام . وظللت خاشع الطرف ، أنظر ساكناً قد ثقلت على الهموم ، وعادنى الداء . . . ذهبت حبيبتى بقلبى ، فأمسى عندها رهينة ليس إلى استردادها من سبيل .

(٣ — ٤) ليتها أحبتنى كما أحببتها فيجمع الود بين قلبينا ! . . . لا شىء يشفى النفس إلا رؤيتها ، فاللقاء وحده دواء المحبين .

(٥ — ٨) صادت قلبى بعينين فاترتين ، كأنهما عينا غزالة قد انفردَتْ عن القطيع ، تنظر فى حنان إلى صغيرها

٢٥— أَثْوَى ثَوَاءَ كَرِيمٍ ثُمَّ مَتَّعَنِى   يَوْمَ ٱلْعَرُوبَةِ إِذْ وَدَّعْتُ أَصْحَابَا
٢٦— بِعَنْتَرِيسٍ كَأَنَّ ٱلْحُصَّ لِيطَ بِهَا   أَدْمَاءَ لَا بَكْرَةً تُدْعَى وَلَا نَابَا
٢٧— وَالرِّجْلُ كَالرَّوْضَةِ ٱلْمِحْلَالِ زَيَّنَهَا   نَبْتُ ٱلْخَرِيفِ وَكَانَتْ قَبْلُ مِعْشَابَا
٢٨— جَزَى ٱلْإِلٰهُ إِيَاسًا خَيْرَ نِعْمَتِهِ   كَمَا جَزَى ٱلْمَرْءَ نُوحًا بَعْدَ مَاشَابَا
٢٩— فِى فُلْكِهِ إِذْ تَبَدَّاهَا لِيَصْنَعَهَا   وَظَلَّ يَجْمَعُ أَلْوَاحًا وَأَبْوَابَا

(٨٠)

وقال :

١ — نَامَ ٱلْخَلِىُّ وَبِتُّ ٱللَّيْلَ مُرْتَفِقَا   أَرْعَى النُّجُومَ عَمِيدًا مُثْبَتًا أَرِقَا   (بسيط)
٢ — أَسْهُو لِهَمِّى وَدَائِى فَهْىَ تُسْهِرُنِى   بَانَتْ بِقَلْبِى وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلِقَا
٣ — يَالَيْتَهَا وَجَدَتْ بِى مَا وَجَدْتُ بِهَا   وَكَانَ حُبٌّ وَوَجْدٌ دَامَ فَاتَّفَقَا
٤ — لَاشَىْءَ يَنْفَعُنِى مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا   هَلْ يَشْتَفِى وَامِقٌ مَالَمْ يُصِبْ رَهَقَا
٥ — صَادَتْ فُؤَادِى بِعَيْنَىْ مُغْزِلٍ خَذَلَتْ   تَرْعَى أَغَنَّ غَضِيضًا طَرْفُهُ خَرِقَا
٦ — وَبَارِدٍ رَتِلٍ عَذْبٍ مَذَاقَتُهُ   كَأَنَّمَا عُلَّ بِٱلْكَافُورِ وَٱغْتُبِقَا

٢٥— ثوى بالمكان ثواء أقام ، وأثواه أضافه . يوم العروبة يوم الجمعة ، وهو من أسمائهم القديمة ، وهى تعريب أربا النبطية ، أو عروبتا السوريانية (والألف فيها بمكان الـ فى العربية للتعريف) .

(٢٦ ٢٧) العنتريس الناقة الصلبة الضخمة الوثيقة . الحص الورس أو الزعفران ، وهو أصفر . ليط ألصق . أدماء أشرب لونها بياضا أو سوادا . البكرة الناقة الصغيرة التى لم يحمل عليها . الناب الناقة المسنة . الرجل القطعة العظيمة من الجراد ، وهى كذلك الطائفة من الشىء على التشبيه بالجراد . الروضة المكان الذى يستنقع فيه الماء فيكثر عشبه ويزكو نبته . المحلال التى يحل بها الناس كثيرا لخصبها وجمالها . معشاب كثيرة العشب .

(٢٨ — ٢٩) إياس هو إياس بن قبيصة الطائى . الفلك السفينة . تبداها بدأها وأنشأها .

(٨٠)

(١ — ٣) الخلى الذى خلا قلبه من الهموم . ارتفق اتكأ على مرفقه . العميد الذى أضناه الحب . أثبتته الجراح وأثبته السقم ، لم يقدر على الحراك . سها إليه يسهو نظر ساكن الطرف ، والسهو السكون . بانت بعدت . غلق الرهن فى يد المرتهن استحقه ، وذلك إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . وجدبه (كنصر وضرب) أحبه .

(٤ — ٦) الوامق المحب ، فعله ومق (كحسب) . الرهق (بالتحريك) القرب . رهقه دنا منه ، والمراهق الذى قارب الحلم . مغزل أم غزال صغير . خذلت تخلفت عن صواحبها وانفردت . ظبى أغن يخرج صوته من خياشيمه . غض طرفه خفضه وكفه وكسره ، فطرفه غضيض أى مغضوض . خرق الغزال خرقا (بالتحريك) إذا أطيف به فلزق فى الأرض . بارد صفة لموصوف محذوف ، أى ثغر بارد . رتل مستو . عل أى سقى للمرة الأولى . واغتبق أى سقى للمرة الثانية . الكافور نبت طيب الرائحة .

الغضيض الطرف وقدلصق بالأرض . وثغرٍ بارد متّسق عذب المذاق ، كأنما سُقِيَ الكافور كأساً بعد كأس. وجيدٍ مستو طويل كأنه جيد الغزالة حين تمده فى هدوء واطمئنان بين أشجار الأراك ، لتتناول من أوراقه وثماره . وردفٍ ضخم رَجْراج ، كأنه كثيب الرمال المُنْهَال ، قد استغنى بضخامته عن أن يشد بالنطاق ، لايشينه هزال الوركين .

٩ — كأنها درة زهراء أخرجها غواصها من (دَارِين) ، معرضاً نفسه فى سبيلها للغرق والهلاك

ويشرد خيال الأعشى وراء الدرة والغواص — على عادته فى كثير من المواضع — فيمضى متصوراً مالقى من عناء ، وما تعرض له من أهوال.

(١٠ — ١١) قد سعى وراءها سنين ، وظل يرومها منذ نبت شاربه ، حتى أدركته الشيخوخة وارتعشت رجلاه، فهو يمشى فى اضطراب ، لا ينثنى عن طلبها ، ولا يدب إلى قلبه اليأس ، وقد تمثل له الأمل أمام عينيه مجسما فاحترق طمعاً .

(١٢ — ١٣) وقام من دون اللؤلؤة جن مارد جبار ، يحرسها مبالغاً فى حياطتها ، وقد جعل من دونها درجا . يدور من حولها ، لا تغفل عنها عينه ، خشية أن تمتد إليها يد السارقين والصائدين فى ظلام الليل .

(١٤ — ١٦) احترق الغواص الذى يرصد الدرة حرصاً عليها . ولو أن ضميره يطاوع نفسه لتحدى اليم أو هلك دون بغيته ، فطواه البحر ذو الأمواج المتراكبة ...

صَيْدٌ بعيد المنال ... من رامه علقته حبال المنية ، وفارقت جسدَه الروح . ومن ناله نال عز الخُلْد الذى لا ينقطع ، فأضحى ناعماً مسروراً راضى الآمال .

ويستيقظ الأعشى من حلمه الطويل وقد بلغ به نهايته ، فيثوب إلى نفسه ليقول :

١٧ — تلك هى صاحبتك . . كلفتك نفسُك السعى وراءها ، تتعلل بالآمال ، وما تعلقت إلا الهلاك والنار .

٧ — وَجِيدِ أَدْمَاءَ لَمْ تُذْعَرْ فَرَائِصُهَا تَرْعَى ٱلْأَرَاكَ تَعَاطَى ٱلْمَرْدَ وَٱلْوَرَقَا
٨ — وَكَفَلٍ كَالنَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ لَيْسَتْ مِنَ الزُّلِّ أَوْرَاكًا وَمَا ٱنْتَطَقَا
٩ — كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أَخْرَجَهَا غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَى دُونَهَا ٱلْغَرَقَا
١٠ — قَدْ رَامَهَا حِجَجًا مُذْ طَرَّ شَارِبُهُ حَتَّى تَسَعْسَعَ يَرْجُوهَا وَقَدْ خَفَقَا
١١ — لَا النَّفْسُ تُوئِسُهُ مِنْهَا فَيَتْرُكُهَا وَقَدْ رَأَى الرَّغْبَ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ فَٱحْتَرَقَا
١٢ — وَمَارِدٌ مِنْ غُوَاةِ ٱلْجِنِّ يَحْرُسُهَا ذُو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرَقَا
١٣ — لَيْسَتْ لَهُ غَفْلَةٌ عَنْهَا يُطِيفُ بِهَا يَخْشَى عَلَيْهَا سُرَى السَّارِينَ وَالسَّرَقَا
١٤ — حِرْصًا عَلَيْهَا لَوَ ٱنَّ النَّفْسَ طَاوَعَهَا مِنْهُ الضَّمِيرُ لَبَالَى ٱلْيَمَّ أَوْ غَرِقَا
١٥ — فِي حَوْمِ لُجَّةِ آذِيٍّ لَهُ حَدَبٌ مَنْ رَامَهَا فَارَقَتْهُ النَّفْسُ فَاعْتُلِقَا
١٦ — مَنْ نَالَهَا نَالَ خُلْدًا لَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ وَمَا تَمَنَّى فَأَضْحَى نَاعِمًا أَنِقَا
١٧ — تِلْكَ الَّتِي كَلَّفَتْكَ النَّفْسُ تَأْمُلُهَا وَمَا تَعَلَّقْتَ إِلَّا ٱلْحَيْنَ وَٱلْحَرَقَا

(٧ — ٨) أدماء بيضاء أي غزالة بيضاء . الفرائص جمع فريصة ، وهى لحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد في الدابة . الأراك شجر يتخذ من غصونه السواك . تعاطى تتناول ، تعاطى قام على أطراف أصابع الرجلين ثم رفع اليدين إلى الشيء ليتناوله . المرد ثمر الأراك . الكفل (بالتحريك) العجز والمؤخرة . النقا القطعة المحدودبة من الرمل. زل جمع أزل وهو الخفيف الوركين. انتطق لبس النطاق وهو شقة تشدها المرأة على وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض ، والضمير فى انتطق يعود على الكفل ، أي أنها لم تلبس عليه النطاق لتضخمه .

(٩ — ١٢) زهراء شقراء بيضاء مشرقة . دارين ثغر فى البحرين . دونها أى فى سبيل الحصول عليها . رامها طلبها . حججا أعواما . طر شاربه نبت وظهر . تسعسع هرم واضطرب وهدج فى مشيه . خفق اضطرب . الرغب (بفتحتين) المرغوب ، سكنت العين لضرورة الشعر . والرغب (بفتح فسكون) مصدر رغب فى الشيء أى أراده . احترق أى شوقا وطمعا وحرصا على الدرة . مرد (كنصر) عتا وتجبر ، والمارد كذلك المرتفع . غواة جمع غاو وهو الضال المنهمك فى الجهل . النيقة اسم من التنوق . تنوق فى الأمر بالغ فيه وجوده . الترق شبيه بالدرج . فيكون المعنى أن هذا المارد من الجن يحرس هذه الدرة مستعدا لذلك بدرج يخفيها فيه .

(١٣ — ١٤) ليست له أى لهذا المارد من الجن . عنها أى عن الدرة . يطيف بها يدور حولها فى حراسته لها . السرى سير الليل . يقصد الذين يصيدون فى الليل . السرق والسرقة واحد ، مصدر سرق . حرصا عليها يمكن أن يكون متعلقا بـ (يطيف) فى البيت السابق . ويمكن أن يكون متعلقا بقوله (احترقا) فى آخر البيت (١١) ، وهو أفضل عندى . لبالى اليم ، هى فى الديوان (ليالى الغيم) ولا معنى لها ، فهى محرفة بغير شك ، ولكنى لم أعثر على رواية أخرى ، ولم أطمئن إلى تقويمها ، فأثبت هنا أقرب الألفاظ إلى اللفظ المحرف ، وقلت لعلها (لبالى اليم أو غرقا) بالاه فاخره وناقضه ، وقد يكون المقصود بهاهنا تحداه . واليم البحر .

(١٥ — ١٧) الآذى موج البحر . الحدب الموج وتراكب الماء فى جريه . حومة الماء معظمه . رامها طلبها . اعتلق (على البناء للمجهول) أى علقته المنية فمات . نالها أى الدرة . أنقا مسرورا ، أنق أنقا كفرح وزنا ومعنى . كلفه أمره بما يشق عليه ، والفاعل نفسه ، كلفته هذه الدرة يسعى وراء الحصول عليها ، وهو يعنى بالدرة صاحبته التى أشار إليها فى أول القصيدة . الحين الهلاك . الحرق النار .

يعتذر الأعشى بهذه الأبيات إلى علقمة بن علاثة ، بعد أن هجاه فى المنافرة التى كانت بينه وبين ابن عمه عامر بن الطفيل . وقد تقدمت القصة فى القصيدة (١٨) .

ويروى الرواة فى قصة هذه الأبيات أن علقمة نذر دم الأعشى منذ ذلك الحين . وبينما الأعشى فى بعض رحلاته ، إذ أخطأ به دليله فألقاه فى ديار بنى عامر بن صعصعة . فأخذه رهط علقمة ، فاعتذر إليه الأعشى بهذه الأبيات ، فعفى عنه .

يقول الأعشى :

١ — صيَّرَتنى الأُمور إليك ياعَلْقم ، فليس لى عنك محِيص .

٢ — ورثتَ المجد أباً عن جد ، فكساك (عُلاَثَة) أثوابه ، وورَّثك (الأَحوصُ) مجدَه .

٣ — يتضاءل أمام خلقكم الكريم كلُّ فَحْل .

٤ — وينبش الناس عيوب كل سيد ، إلا سيدكم ، فقد خلا من العيوب .

٥ — وكيف تُنكَرُ الشمسُ المضيئة ، أو القمرُ الباهر ؟

٦ — فهب لى ذنوبى — فدتك النفوس — ولا زلت تَرْقَى فى العُلى غيرَ منقوص .

وقال معتذراً إلى عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ :

١ — أَعلقَمُ قَدْ صَيَّرَتْنِي ٱلْأُمُورْ إِلَيْكَ وَمَا كَانَ لِي مَنْكَصُ (متقارب)
٢ — كَسَاكُمْ عُلَاثَةُ أَثْوَابَهُ وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ ٱلْأَحْوَصُ
٣ — وَكُلُّ أُنَاسٍ وَإِنْ أَفْحَلُوا إِذَا عَايَنُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا
٤ — وَإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفْحَصُ
٥ — فَهَلْ تُنْكِرُ الشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا أَوِ ٱلْقَمَرُ ٱلْبَاهِرُ ٱلْمُبْرِصُ
٦ — فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتْكَ النُّفُوسْ وَلَا زِلْتَ تَنْمِي وَلَا تَنْقُصُ

(١ — ٣) منكص مصدر ميمي من نكص عن الأمر أي تراجع وأحجم . علاثة أبو علقمة . الأحوص جده ، فهو علقمة بن علاثة بن عوف ابن الأحوص . أفحلوا صار لهم فحل ، وهو الذكر من كل حيوان ، وقد يطلق على الضخم الكريم . بصبص البعير حرك ذنبه . والبصبصة التملق .

(٤ — ٦) فحص عنه فتش عن عيوبه . بهر القمر (كفتح) أضاء حتى غلب ضوؤه على الكواكب . البرص داء يصيب الجلد منه بقع بيضاء ، وسموا القمر أبرص على التشبيه بمن يصيبه البرص . تنمى أي تزيد .

—٨٢—

اختلف الرواة فى نسبة هذه القصيدة ، فروى الجاحظ بعض أبياتها فى الحيوان منسوبة لعبيد بن الأبرص ، وروى بعض أبياتها فى موضع آخر لضمر بن زرارة بن لقيط . ونسب البغدادى بعض أبياتها فى الخزانة لمضرس بن ربعة الأسدى . ونسب المفضل الضبي أبياتا منها لعوف بن الأحوص فى المفضليات . ومثل هذا الخلاف فى الشعر الجاهلى كثير . وهو يرجع فى بعض الأحيان إلى خلط الرواة . ويرجع فى أحيان أخرى إلى أخذ الشعراء بعضهم من بعض . ومحاولة تحقيق هذا الخلاف لترجيح نسبة الشعر إلى شاعر دون آخر أمر صعب غير ميسور .
والقصيدة في معظمها فخر . وهى من جيد الشعر ورائعه .

يتحدث الشاعر عن صاحبته (مَىّ) فيقول :

١ — حَىِّ (مَىّ) وقد نهضت للرحلة مبكرة . وعَرِّضْ لها بالقول (أما آن لأسيرها أن يُخَلَّى سبيلُه ؟)

ثم يوجه إليها خطابه قائلا :

٢ — لاتخدعيني يامَىّ ، ولاتمنّيني بالباطل . وتدلى إلىَّ بحبل واهٍ ضعيف ، فشر حبال الواصلين الضعيف الغَرُور .

ويمتلىء الشاعر زهواً بنفسه وفخراً بقبيلته ، وكأنه يريد أن يظهرها على مبلغ شرفهم لترى أنه خليق بوصلها ، فيقول:

(٣ —٥) إن شئت أن تعرفى حقيقة قومى فسلى عن العز والإحسان أين يصيران . فستعلمين حينذاك أن فيهم من ينهض بالأعباء ، ومن يدفع الهم حين تَغَصُّ به الصدور ، ومن يشب الحرب الطويلة المريرة ويمسح ضرعها المدرار ، ومن ينهض بديات القتلى كبيرها والصغير .

(٦ —٧) لا تصرمينى ، واسألى عن صنيعى حين يشتد الجدب ، وحين يحرص القوم على المَرَق فى القدر فيردُّون عنها المستعير ، وحين يجتمعون من حولها يرقبون نضجها ، وقد قامت فتاة الحى الكريمة تمدها بالحطب والوقود .

(٨ —١٠) إذا احمرت آفاق السماء ، وهبت رياح الشتاء الباردة عاصفةً هوجاء ، واشتد ظلام الليل فى مستهل الشهور ، ضمنَتْ قِدْرى للسائل المقرورِ الدِفْءَ والطعام ، يغدو إليها ويروح كأنها أمه الرءوم ، وقد برزت للعفاة ، لا تُجعَل من دونها الستور ، ولاحت نارها حين تخمد النيران .

(١١ —١٣) إذا عادت النوق من مراعيها آخرَ النهار ، ثم لم تدفع ألبانُها عن لحومها أن تكون طعاماً للضيفان ذاقت السِّنان ، وخُلِّىَ بينها وبين السيف حين يجول فيها ، ثم لم يلبث الذى نُذِر للذبح بعد إنذاره إلا قليلا .

وقال :

١ — أَلَا حَيِّ مَيًّا إِذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا وَعَرِّضْ بِقَوْلٍ هل يُفَادَى أَسِيرُهَا (طويل)

٢ — فَيَامَيُّ لَا تُدْلِى بِحَبْلٍ يَغُرُّنِى وَشَرُّ حِبَالِ ٱلْوَاصِلِينَ غَرُورُهَا

٣ — فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَهْدَىْ لِقَوْمِىَ فَاسْأَلِى عَنِ الْعِزِّ وَالْأَحْسَانِ أَيْنَ مَصِيرُهَا

٤ — تَرَىْ حَامِلَ ٱلْأَثْقَالِ وَالدَّافِعَ الشَّجَا إِذَا غُصَّةٌ ضَاقَتْ بِأَمْرٍ صُدُورُهَا

٥ — بِهِمْ تُمْتَرَى ٱلْحَرْبُ ٱلْعَوَانُ وَمِنْهُمُ تُؤَدَّى ٱلْفُرُوضُ حُلْوُهَا وَمَرِيرُهَا

٦ — فَلَا تَصْرِمِينِى وَٱسْأَلِى مَاخَلِيقَتِى إِذَا رَدَّ عَافِى ٱلْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا

٧ — وَكَانُوا قُعُودًا حَوْلَهَا يَرْقُبُونَهَا وَكَانَتْ فَتَاةُ ٱلْحَىِّ مِمَّنْ يُنِيرُهَا

٨ — إِذَا ٱحْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَعْصَفَتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ وَٱسْتَهَلَّتْ شُهُورُهَا

٩ — تَرَى أَنَّ قِدْرِى لَاتَزَالُ كَأَنَّهَا لِذِى ٱلْفَرْوَةِ ٱلْمَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا

١٠ — مُبَرَّزَةٌ لَايُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا إِذَا أُخْمِدَ النِّيرَانُ لَاحَ بَشِيرُهَا

١١ — إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَفْدِ لَحْمَهَا بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ السِّنَانَ عَقِيرُهَا

١٢ — يُخَلَّى سَبِيلُ السَّيْفِ إِنْ جَالَ دُونَهَا وَإِنْ أُنْذِرَتْ لَمْ يَغْنَ شَيْئًا نَذِيرُهَا

١٣ — كَأَنَّ مُجَاجَ ٱلْعِرْقِ فِى مُسْتَدَارِهَا حَوَاشِى بُرُودٍ بَيْنَ أَيْدٍ تَطِيرُهَا

(١ — ٣) أجد فى الأمر وجد أخذ فيه . بكورها ارتحالها فى البكرة أى فى أول النهار . عرض بالقول لمح وأشار ولم يصرح . يغرنى يخدعنى . حبل غرور ضعيف لا يوثق به .

(٤ — ٦) الشجا الحزن والهم . غص بالطعام (كعلم) اعترض فى حلقه فمنعه من التنفس ، والغصة ما يغص به من طعام ، ويقصد به هنا الغيظ والهم . امترى الناقة مسح ضرعها لتدر . يمترون الحرب أى يشبونها ويلهبونها . العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة على التشبيه بالناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى ، فهى غير بكر . الفرض العطية التى يوجبها الرجل على نفسه غير ناظر لثواب ، وقد يقصد به هنا الديات . عافى القدر ما يبقى فيها من مرق ، يطلب المستعير القدر ايرده صاحبها لأن فيها بقية من مرق ، وذلك لشدة الجدب ، ولحرص صاحبها على هذه البقية .

(٧ — ٩) ينيرها يوقدها . فتاة الحى أي الشريفة . آفاق السماء جوانبها . أحمر أي أغبر وذلك فى القحط . والعرب تسمى السنة الشديدة حمراء . استهل الشهر ظهر هلاله ، والليل فى أول الشهر مظلم . الفروة الكيس الذى يجمع فيه السائل ما يتصدق عليه الناس به . المقرور البردان . يقول إن هذا السائل قد اعتاد زيارة هذه القدر . كأنها أمه التى ترأمه وترضعه .

(١٠ — ١٢) مبرزة ظاهرة أمام الدار بحيث يراها كل الناس فيقصدونها . بشيرها ضوؤها الذى يهتدى به الناس ، فكأنه يبشرهم بالطعام والدفء وحسن الضيافة . الشول الابل التى جفت ألبانها . راحت عادت من المرعى آخر النهار . عقير فعيل بمعنى مفعول أى المعقور المذبوح . يقول إن هذه الابل إذا عادت من المرعى فلم تدر للضيف لبنا أطعمه لحمها . جال دونها مضى فيها ذبحا . غنى بالمكان (كعلم) أقام . النذير المنذور كقتيل بمعنى مقتول . وقد نذرها للذبح ولاطعام الضيف .

(١٣) مجاج العرق الدم الذى يمجه العرق أى يرميه ويقذف به . مستدارها حيث تدور يقصد أعطانها ، وقد تكون (مستَرادها) أى حيث ترود وترعى . الحواشى جمع حاشية وهو جانب الثوب ، والبرد ثوب مخطط . يقصد الهداب الذى يكون فى أطراف النسيج . يشبه الدم المتدفق منها حين يندفع بهذا الهداب حين يتطاير ويخفق بين يدى رجل قد رفعه فى مهب الريح .

ويندفع الدم منها وقد تفرقت فى الفناء كأنه هُدَّاب برود حمراء ، يخفق متطايراً وقد رُفِع فى مهب الرياح .

(١٤—١٧) إننا لا نضيق بالأضياف ساخطين إن نزلوا بنا ، ولا يقوم فينا من ينتصر للناقة الضخمة حين تقاد للذبح. وإنى لأتغاضى عن حقد ذى القربى ، لا أستثيره وقد بدت آياته . وقور حين يعجب السَّفَهُ أصحابَه، فالوقار من خير ما يتحلى به الرجال .ولقد يئس أعدائى أن يستخفنى وثبُ الأسود وزئيرُها .

(١٨ — ٢٠) وكم من يوم شديد الحر ، تستكنُّ فيه الظباء تحت ظلال الأشجار ، كأنها الكواعب قد أُسدِلت من دونها الستور ، وقد تدلت الشمس من سمائها، تلهب أحجار الصحراء السود فتشعُّ الهمود والجمود ، قد عصبتُ له رأسى، أكلف الرحلةَ ناقةً صلبة ضامرة ، لا يسرع إليها الضعف ولا ينتابها الفتور .

(٢١ — ٢٢) ولقد أقطع القفر الموحش لا ألقى فيه إلا الماء الراكد ، والقطا الرمادى النحور ذا الأطواق ، وقد سفت الرياحُ الترابَ والرمالَ على مناهله ، فكأن مياهه الآسنةَ لَبَنٌ حامض مَذِيق .

(٢٣ — ٢٥) وكم من ليلٍ مظلم مدلهم يستوى فيه الاعمى والبصير ، كأنى فيه تحت قبةٍ نُسِج أعلاها من الشَّعر الأَسود الخشن ، وتدلت جوانبها من الطيلسان الأَخضر ، تجاوزته حتى انقشع ظلامه ، ولاح ضوء الشمس المنير .

١٤— وَلَا نَلْعَنُ ٱلْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا ... وَلَا يَمْنَعُ ٱلْكَوْمَاءَ مِنَّا نَصِيرُهَا
١٥— وَإِنِّى لَتَرَّاكُ الضَّغِينَةِ قَدْ أَرَى ... قَذَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَى فَلَا أَسْتَثِيرُهَا
١٦— وَقُورٌ إِذَا مَا الْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ ... وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ وُقُورُهَا
١٧— وَقَدْ يَئِسَ ٱلْأَعْدَاءُ أَنْ يَسْتَفِزَّنِى ... قِيَامُ ٱلْأُسُودِ وَثْبُهَا وَزَئِيرُهَا
١٨— وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى كَأَنَّ ظِبَاءَهُ ... كَوَاعِبُ مَقْصُورٌ عَلَيْهَا سُتُورُهَا
١٩— عَصَبْتُ لَهُ رَأْسِى وَكَلَّفْتُ قَطْعَهُ ... هُنَالِكَ حُرْجُوجًا بَطِيئًا فُتُورُهَا
٢٠— تَدَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ ٱلْحَرِّ تَرْمِى بِالسَّكِينَةِ قُورُهَا
٢١— وَمَاءٍ صَرٍ لَمْ أَلْقَ إِلَّا ٱلْقَطَا بِهِ ... وَمَشْهُورَةَ ٱلْأَطْوَاقِ وُرْقًا نُحُورُهَا
٢٢— كَأَنَّ عَصِيرَ الضَّيْحِ فِى سَدَيَانِهِ ... دَفُونًا وَأَسْدَامًا طَوِيلًا دُثُورُهَا
٢٣— وَلَيْلٍ يَقُولُ ٱلْقَوْمُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ ... سَوَاءٌ بَصِيرَاتُ ٱلْعُيُونِ وَعُورُهَا
٢٤— كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بُيُوتًا حَصِينَةً ... مُسُوحٌ أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كُسُورُهَا
٢٥— تَجَاوَزْتُهُ حَتَّى مَضَى مُدْلَهِمُّهُ ... وَلَاحَ مِنَ الشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُورُهَا

(١٤ — ١٥) الكوماء الناقة الضخمة . القذى القذر . المولى الصديق والقريب .

(١٦ — ١٨) وقور رزين . الوقور الرزانة ، مصدر وقر . يستفزنى يثيرنى ويستخفنى . الشعرى كوكب يطلع فى الجوزاء ، وطلوعه فى شدة الحر . الكواعب جمع كاعب وهى التى كعب ثديها أى نهد وبرز . يشبه هذه الظباء وقد استكنت من شدة الحر بأوانس قد قصرن (أى حبسن) خلف الستور .

(١٩ — ٢١) السكينة السكون والجمود . القور جمع قارة وهى الصخرة السوداء أو الارض ذات الحجارة السود ، والحر فيها شديد . عصب له رأسه كناية عن التهيؤ له . حرجوج ناقة ضامرة . صرى الماء (كعلم) طال مكثه فتغير طعمه . القطا جمع قطاة وهو طائر يقرب من الحمام . مشهورة ظاهرة الأطواق جمع طوق وهو دائرة بيضاء تطوق رقبة الحمام . ورق جمع أورق وهو الأبيض المشوب بسواد فى مثل لون الرماد .

(٢٢ — ٢٣) الضيح اللبن الرقيق الممزوج . السادى من الابل المهمل المسيب ، وسديت الليلة كثر نداها . دفون أى منهل مدفون مطموس . مياه سدم وأسدام متغيرة من طول المكث والركود . طال دثورها أي انطماسها لاهمالها ولقلة ورودها . ويغلب على ظنى أن الشطر الأول من البيت محرف ، ولكنى لم أهتد إلى تقويمه . ولعل التشبيه مقلوب ، والمقصود تشبيه المياه الراكدة فى هذه المناهل المطموسه باللبن الممزوج بالماء وقد أهمل فتغير طعمه ورائحته .

(٢٤ — ٢٥) البيت يطلق على المسكن ، وقد يكون بناء وقد يكون من شعر . وهو هنا يقصد الثانى . مسوح جمع مسح (بكسر فسكون) وهو الثوب الخشن المنسوج من الشعر . الساج الطيلسان الأسود أو الأخضر . الكسر جانب البيت وجمعها كسور وهو ما تدلى من جوانب الخيمة لأنه يثنى ويكسر عند الرفع . يشبه الليل وقد أحاط به من كل جانب بقبة ضخمة قد ضربت عليه . نسج أعلاها من الشعر الأسود الخشن وأسفلها من الطيلسان الأسود أو الأخضر . تجاوزته ، الضمير يعود على الليل ادلهم الليل اشتد ظلامه .

فهارس الديوان

(١) فهرس القوافي .

(٢) « الفنون الشعرية والمواضيع .

(٣) « الأعلام.

(٤) « القبائل والأمم .

(٥) « الأماكن .

(٦) « الأيام .

(٧) « المعاني والصور .

(٨) « اللغة .

(٩) « بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة و بين طبعة أوربا .

ملاحظة : الأرقام التي في هذه الفهارس تشير إلى رقم القصيدة ثم إلى رقم البيت . فمثلا :
١٤/٤ تعني : البيت ١٤ من القصيدة ٤ . و ٤/١٧ ـ ٨ تعني : الأبيات
٤ ـ ٨ من القصيدة ١٧ .

فهرس القوافى

(١)

صدر القصيدة	رقمها	بحرها	عدد أبياتها
نام الخلي وبت الليل مرتفقا ... أرقا	٨٠	بسيط	١٧
... يوم تفت حولهم فتولوا ... فتفرقوا	٣٢	خفيف	٥٣
(ك)			
أتشفيك تيا أم تركت بدائكا .. كذالكا	١١	طويل	٣٢
أيا سيدى نجران لا أوصينكما . واعتراكما	٤٢	»	٤
(ل)			
لميثاء دار قد تعفت طلولها ... فسيلها	٢٣	طويل	٢٨
أنيس بن مسعود بن قيس بن خالد .. وائل	٢٦	»	١٤
يلمن الفتى إن زلت النعل زلة .. ذو اذل	٤٧	»	٤
فيا أخوينا من عباد ومالك .... لها	٦٠	»	٩
صحا القلب من ذكرى قتيلة بعدما .. المكبل	٧٧	»	٣٢
أتصرم ريا أم تديم وصالها ... جمالها	٧٢	»	١١
ودع هريرة إن الركب مرتحل .. الرجل	٦	بسيط	٦٦
رحلت سمية غدوة أجمالها ... بدالها	٣	كامل	٥٤
قالت سمية من مدحت ... ... وائل	٧٠	» (مجزوء)	١٩
قالت سمية إذ رأت ... ... الجبال	٧١	» »	٤
حل أنت يا مصلات ... ... فراحل	٧٦	» »	٢١
ألا قل لتياك مابالها ... ... أجمالها	٢١	متقارب	٤٧
مابكاء الكبير بالأطلال ... سؤالى	١	خفيف	٧٥
إن محلا وإن مرتحلا ... ... مهلا	٣٥	منسرح	٢٤
أقصر فكل طالب سيمل ... حول	٥٢	سريع	٤٣
(م)			
هريرة ودعها وإن لام لائم ... وادم	٩	طويل	٣٤
ألا قل لتيا قبل مرتها اسلمى .. منيم	١٥	»	٦٢
ألم خيال من قتيلة بعدما ... تصرما	٥٥	»	٤١
بنى عمنا لا تبعثوا الحرب بيننا .. السلم	٥٨	»	٤
عرفت اليوم من تيا مقاما ... خياما	٢٩	وافر	٣٧
يظن الناس بالملكين ... ... التأما	٥٦	» (مجزوء)	٢٨
أتهجر غانية أم تلم ... ... منجذم	٤	متقارب	٧٢
ياقيس لما لقينا الماما ...... علاما	٣٨	خفيف	٢٦
(ن)			
لعمرك ما طول هذا الزمن .. معن	٢	متقارب	٨٣
ألا من مبلغ عنى حريثاً ... ازدرانا	٢٧	وافر	١٩
خالط القلب هموم وحزن ... اطمأن	٧٨	رمل	٢٧
(ى)			
ذرينى لك الويلات آتى الغوانيا ... الغوانيا	٦٦	طويل	١٨

فهرس الفنون الشعرية والمواضيع

غزل

١/ ١-٥ و ١٠/ -١٧ ، ٣/ ١-٨ ، ٤/ ١-٩ ، ٥/ ١-٩ ، ٦/ ١-٢١ ، ٧/ ١-٣ ، ٨/ ١-٦ ، ٩/ ١-٦ ، ١٠/ ١-٧ ، ١١/ ١-٤ ، ١٢/ ١-٢٩ ، ١٣/ ١-٨ ، ١٤/ ١-٣ ، ١٥/ ١-٥ ، ١٦/ ١-٢١ ، ١٨/ ١-١٣ ، ١٩/ ١-٤ ، ٢٠/ ١-٢٢ ، ٢١/ ١-٨ ، ٢٢/ ١-١١ ، ٢٣/ ١-٤ ، ٢٨/ ١-٣ ، ٢٩/ ١-٩ ، ٣٠/ ١-١٢ ، ٣١/ ١-٧ ، ٣٢/ ١-١٨ ، ٣٤/ ١-١٣ ، ٣٩/ ١-٣٥ ، ٥٢/ ١-٢٧ ، ٥٤/ ١-٢٠ ، ٦٢/ ١-٣ ، ٦٣/ ١-١٧ ، ٦٤/ ١-١٢ ، ٦٥/ ١-٢١ ، ٦٨/ ١-٤ ، ٧٧/ ١-٢٤ ، ٧٨/ ١-١٢ ، ٧٩/ ١-٨ ، ٨٠/ ١-١٧

خمر ومجون

٢/ ١٤-٢٢ ، ٤/ ١٠-١٢ ، ٥/ ١٠-١٦ ، ٦/ ٢٢-٣٠ و ٣٤-٤٤ ، ٨/ ٧-٢٤ ، ١٠/ ١٠-١٩ ، ٢٠/ ٢٣-٢٥ ، ٢١/ ٩-١١ . ٢٢/ ١٧-٢٢ ، ٢٩/ ١٦-٢٣ ، ٣٠/ ١٣-١٥ ، ٣٣/ ١٩-٢٤ ، ٣٦/ ٣٣-٥٤ ، ٥٤/ ٣٦-٣٩ ، ٥٥/ ٢-١٢ ، ٦٤/ ١٣-٢٥ ، ٧٨/ ١٣-٢٢

فخر وحماسة

٣٦/ ٥٥-٦١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٢/ ١٧-٢٥ ، ٦٥/ ٣٧-٤٢ ، ٧٧/ ٢٦-٣٢ ، ٨٢/ ٣-٢٥

قصص وتاريخ

٢/ ٨-١٠ ، ٤/ ٦٠-٧٢ ، ١٣/ ١٦-٢١ و ٦٢-٧٠ ، ٢٥/ ٥-٢١ ، ٣٣/ ٦-١٨ ، ٣٩/ ٦-١١ ، ٥٣/ ١-١٣ ، ٥٤/ ٢٦-٣٢

حكمة

٢/ ١-٧ ، ٣/ ٥٤ ، ٣٣/ ١-٥ و ٣٥-٣٧ ، ٣٥/ ١-٦ ، ٦٢/ ٤-٧ ، ٦٣/ ١٨-٢٠ ، ٦٦/ ٣-١٨

وصف

(أ) الصحراء :

١/ ٦-٩ ، ٢/ ٢٣ و ٢٩-٣٢ ، ٣/ ١٠-١٢ ، ٤/ ١٥-٢٣ ، ٦/ ٣١-٣٣ ، ٨/ ٢٥-٢٧ و ٣٩-٤١ ، ١١/ ٥-٩ ، ١٢/ ٣٠-٣١ ، ١٣/ ٢٢-٢٤ ، ٢١/ ١٢-١٣ ، ٢٨/ ٤-٥ ، ٣٢/ ١٩-٢٠ ، ٣٣/ ٤٦-٥٠ ، ٣٩/ ٣٨-٤٥

(ب) الناقة :

١/ ١٨-٣٧ ، ٢/ ٢٤-٢٨ ، ٣/ ١٣-٢٠ ، ٤/ ١٦-١٩ ، ٥/ ١٧-٢٨ ، ٧/ ١٧-٢١ ، ٨/ ٢٨-٣٧ ، ١١/ ١٠-١٣ ، ١٢/ ٣٢-٣٣ ، ١٣/ ٢٥-٤٠ ، ١٤/ ٦-٢٤ ، ٢١/ ١٤-٢١ ، ٢٢/ ١٣-١٦ ، ٢٨/ ٥-١١ ، ٢٩/ ١٠-١٥ ، ٣١/ ٨-٩ ، ٣٢/ ٢١-٣٤ ، ٣٣/ ٢٥-٢٧ ، ٣٤/ ١٤-٢٣ ، ٣٦/ ٣٠-٣٢ ، ٥٢/ ٢٨-٤٢ ، ٥٥/ ١٣-٢٩ ، ٦٣/ ٢١-٢٨ ، ٦٥/ ٢٢-٣٤ ، ٦٨/ ٥-٧ ، ٧٦/ ١٦-١٨ ، ٧٩/ ٩-٢١

(ج) متفرقات :

الأسد — ثور الوحش — حمار الوحش — الخيل — الظبي — النعامة : راجع فى كل واحد منها فهرس المعاني والصور .

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والأمم

فهرس الأماكن

فهرس الأيام

(٧)

فهرس المعانى والصور

أطلقها الصائد بالنحل ٢٣/٥٥ . تشبيه الكلاب وقد نظمها على قرنه بالجراد المنظوم فى عود ٢٧/٥٥ قرنه طويل حاد ٢٨/٦٥ . تشبيهه بالنجم ٢٨/٥٥ ، ١٤/٧٩

(ج)

الجار :

مدح الرجل بحفظه وبالتعفف عن الجارة ٣٩/٢ ، ٣٢/٤ ، ٥٣/٥ ، ٥٤/٨ — ٥٥ ، ٤٣/١٣ — ٤٤ ، ٥١/١٨ ، ٦١/٣٣ ، ٩/٦٨ الحث على حفظه ١٨/٦٦ . وحسن معاشرته ١٢/٦٦ الحث على التعفف عن الجارة ٢٤/١٧ ، ١٥/٦٦ حماية المستجير ٥٣/٢ — ٥٤ ، ٣٥/١٢ ، ٢٧/٢١ — ٢٨ ، ٢١/٣٦ هجاء الرجل بسوء حال جاره ١١/١٩—١٢ ، ٣٨/٣٣ الغضب لانتهاك حرمة الجار ١٤/٢٣ —١٥ ، ٢/٥٩ — ٤

الجبان :

تشبيه الجبان بالفرس الذى حبسه اللجام ٤/٤٧ الجبان يمسك بأعراف الخيل فى القتال خشية السقوط ٧/٦٢

الجدب :

الفخر بالميسر فى الجدب (راجع الميسر) الجود في الجدب (راجع الجود) الابل تسقط من الجوع والاعياء ٤٠/٣٢ انقطاع لبنها ١١/٧٣ الكناية عن الجدب بهرير الكلاب ونباحها ٢٦/٣٦ . بمنع إعارة القدر بخلا بما فيها من بقية المرق ٦/٨٢ تشبيه دخان الطبخ وقت الجدب بالبخور ٢١/٣٨ الناس قعود حول القدر يرقبونها ٧/٨٢ احمرار آفاق السماء وعصف الرياح ٨/٨٢

الجرى : راجع (العدو)

الجفنة :

تشبيهها بالحوض فى الضخامة ٧/٣٣ الناس من حولها شاوعون أيديهم ٦٠/٣٣ راجع كذلك (القدر)

الجلد :

مدح الرجل بالصبر على مكاره الحروب ٨/٤٥ ، ١٦/٣٨ وعلى كوارث الدهر ٣٦/٢١ ، ٢٩/٣٠ ، ٣/٣٣ —٤ وعلى الرحلة فى اليوم الشديد الحر ١٨/٨٢ —٢٥ لا يفرح بالخير ولا يضيق بالنكبات ٣٠/٢٩

الجوارى : يحترفن البغاء ٤/٢٢—٩ ، ٢٢/٧٨

الجود :

الرجل يجود قبل السؤال ٢٥/١١ يجد لذة فى الجود ١٣/٧ يجود من غنائم الحرب ٦٦/٢ — ٦٨ ، ٤١/٣ و ٣٩—٤١ و ٤٩ ، ١٣/٤—١٤ ، ٣١/١١ ، ٤٢/٢١ — ٤٣ الجود فى الشتاء وفى القحط : ٥٣/٨ ، ٣٥/١٠ — ٣٦ ، ٢٩/١٦ — ٣٤ ، ٤٩/١٨ — ٥٠ ، ٣٧/٣٢ — ٤١ ، ٥٦/٣٣ — ٥٩ ، ٢٦/٣٦ ، ٢١/٣٨ و ٥٣ ، ١٠/٦٨—١١ ، ١١/٧٣ ، ٦/٢٨ — ١٢ الجود على الفقراء ٣٥/١٢ على الأرامل والأيتام ٨/٦٠ — ٩ راجع كذلك (الكريم)

الجيد :

تشبيه جيد المرأة بجيد الغزال ٩/٢٠ ، ١١/٧٧ ، ٤/٧٩ ، ٧/٨٠ جيدها طويل تزينه الأطواق ٦/٣٢ طيب رائحته ١٣/٥٤

الجيش :

يحمى الحى ٦/٢٧ يحمى اللاجىء إليه ٦٥/١ يحمل الموت للأعداء ٢٨/٢٩ و ٣٥ ، ١٧/٦٢ يشتت العدو ١١/٤٠ الموت ينصب على العدو كالمطر ١٤/٤٠ كابن الناقة الحلوب ٢١/٥٦ يشرد إبل الرعاة ٦٦/١ كثافته ٥١/٣ تضيق به الصحراء ٢٧/٢٩ يستنفد الماء قبل أن يبلغه آخره ٢٧/٢٩ وصفه بالسواد لكثرة آلاته ٥٢/٣ ، ٤٨/١٢ تشبيه الخيل فيه بالنوى ٢٥/٤ وصفه بالارتجاج وكثرة الحركة ٣٠/٢١ ، ١٠/٢٦ ، ٦/٢٧ مجتمع ملموم ١٩/٢٨ لا تدرك العين مداه ١٩/٢٨ يثير الغبار ٢٦/٢٩ تشبيهه بالعقاب الذى ينقض من فوق برج عال ١٣/٤٠ تشبيهه في كره على العدو بالرجل الذى يطوف حول حجارة القبر ٣١/٤ تشبيهه بالليل ٥/٢٥ ، ٢٢/٦٢ تشبيهه بالايوان ٦/٢٧ بريق أسلحته ١٢/٣٦ يعمى العيون ١٠/٢٦ ركوب الابل فى الغارات البعيدة وتعرية الخيل ١٠/٢٦ النساء من وراء المقاتلين في ظعائنهن ٢٣/٢٢ راجع كذلك (الحرب) و (الفارس) و (الغارة) و (الراية)

(ح)

الحب :

تشبيهه بولد الناقة الصغير لم يزل ينمو حتى اشتد ٢/١٤ لا يبلى ولا يبيد ١/٦٥

الحبيبة :

تشبيهها بالبيضة ٦/١٨ بالبردى ٦/١٢ ببقر الوحش ١٧/١٢ بالظبى ١٢/١ و ١٤ ، ٦/٢١ ، ٩/٣٠ ، ١٠/٣٢ — ١٨ ، ٦/٥٢ — ١٢ ، ١٢/٥٤ ، ١٧/٦٥ ، ٣/٢٨ ، ٣/٧٢ — ٤ ، ٣/٧٨ بالدمية ٥/١٨ ، ٩/٣٢ ، ٥٢/٣٦ بالدرة ٦/١٨ ، ٩/٨٠ — ١٧ انصراف صاحبها عنها بسبب : همومه ١٨/١ ، ٢/٢٣ وصدها ٣/٣ ، ٨/٤ ، ٢/٢٨ ، ٢٢/٣٢ ، ٢٢/١ و ٢٦ — ٢٧ صدودها ٩/٦ ، ١/١٠ و ٣—٤ ، ١/١٤ ، ١٢/١٢ — ١٣ ، ٤/٣١ ، ٢/٣٤ إنكارها صاحبها ٢/٢١ و ٣٤ ، ٢٤/١٢ — ٢٦ ، ٢/١٣ ، ٢/٢٢ ، ١٠/٣٤ — ١٢

وصفها : امتلاء جسمها وسمنها ١٢/٦ ، ٩/١٨ طولها ٥/٢٠ ، ١٠/٧٧ تشبيه قوامها بالبان ١٠/٧٧ بالجبل ٤/٧٨ امتلاء ساقها ٣/٧٧ قدمها بضة مسترسلة البنان ٢/٧٧ دقة عظامها ١٣/٥٢ طيب رائحتها ١٣/٦ — ١٦ ، ٣/٧٨ باردة فى الصيف ساخنة فى الشتاء ١٨/١٢—١٩

مشيها : تشبيهه بمشي الوجى الوحل ٢/٦ بمشى البهير ١٠/١٢ بسير السحابة ٣/٦ بمن يمشى على الشوك ١٢/٦ بمشى النشوان ٢/٢٠ بمشى القطا إلى الماء ١٠/٧٧ قصيرة الخطى ٢٢/٧٨ تهالكها وتثنيها ٢١/٧٧

خلقها : لا تتسمع للجار ٥/٦ طاهرة الخلق ٨/١٨— ٩ لا تتهم بريبة ٧/٧٨ ساذجة ٢/٢٠ ، ٨/٣٢ وقور لا تعبس ولا تستغرق فى الضحك ٩/٣٢ حلوة الحديث ٧/٦٣—٨ فتورها وضعفها ٦/٦ ـ ٧ ، ٢/١٠ ، ٥/٢١ ذات دل لعوب ٢/٢٠ و ١٤ ـ ١٦ ؛ ٢/٢١ ، ٨/٣٢ ، ٧/٦٣ ، ٣/٧٨ مفتونة بشبابها ٤/١٠ ، ٤/٦٤ ـ ٥ انزعاجها من الشيب ٩/٦٣ جحود للعهود ٣/٦٥ تخلف ميعادها ٢/٨ ، ١/٣٤ ، ٢/٦٨ تعد ثم تلتمس المعاذير ٢٤/٥٢ـ ٢٥ تتساقى مع صاحبها الخمر ٢٠/٢ ـ ٢١ ، ٣٣/٣٩ — ٣٥ متزوجة يحتال صاحبها للوصول إليها ١١/١ ، ٥/٣ ـ ٨ ، ٣٥/٦ ، ٤/٨—٦ ، ١١/١٢— ١٥ ، ٣/١٩— ٤ ممنعة ١٤/١٦-١٨

(خ)

الرحلة :

في الليل ٥٥/١٣ ، ١٦/٧٦ الحبيبة عائدة إلى وطنها ٦/٦٣ تفريج الهم بالرحلة والأسفار ١٩/٤ ، ١٧/٥ ، ١٠/٦-٧ ، ٥٥/١٨ ، ٢٩/١٠ ، ٣١/٧-٨ ، ٢٢/٣٢-٢٣ ، ٢٩/٣٦ ، ٢٨/٥٢ ، ٢٥/٧٧ المسافر يلوث على رأسه العمامة ١٤/٥٥ راجع كذلك (الصحراء) و (السراب)

الرحل : راجع (الهودج)

الرخم : تهمة إلى الأقذار وتشبيه الرجل الخامل به ٤٣/٥-٦

الرضاب : راجع (الريق)

الرقبة : راجع (الجيد)

الرمح :

مرن لين الكعوب ١٨/٥٤ ، ٨/٢٧ ، ٢٩/٢٩ ، ٣٠/٣٦ غليظ ١٨/٥٤ نسبته للخط ٢٦/٣٠ لأيزى وشرعب ٢٦/٣٠ يحمي وجه صاحبه من الطعن ٢٤/٣٨ طعنة الرمح تصد الخيل ٧٥/٢ تشبيه رماح المحاربين بالأجمة ١٨/٥٦ راجع كذلك (الطعنة)

الريق :

تشبيه بالخمر ١٥/١ ، ١٠/٦-٧ ، ١٢/٩ ، ١٦/٦-٧ بالزنجبيل والعسل ٨/١٢ بالزنجبيل الممزوج بالتفاح والعسل ١٨/٥٢ بالعسل الممزوج بالخمر ٢٣/٥٢

(ز)

الزق : راجع (الخمر)

(س)

السادة :

ضخامة قبابهم ٥٦/١ ، ٤٦/٤ ، ٣٨/٢٤ حمر القباب ٨/٧٦ يقطعهم الملوك الاقطاعيات (الآكال) ٥٦/١ ، ٤٨/١٨ يتحملون الحمالات (ديات القتلى) ٣٨/٢ ، ٨٢/٥ طوال القامة ٤٦/٤ يجررون ذيول الثياب ٢٨/٢٢ المسك في مناعمهم وقبابهم ٤٤/٥ أصحاب غناء وخمر ٦٨/٨ أصحاب خيل وإبل ٧٦/٨ سادة الفرس يعلقون في آذانهم النطف (حلية من اللؤلؤ) ١٨/٦٢ تشبيه سيد القوم بالكبش ١٣/٣٦ ، ١٣/٣٨

الساق : راجع (الخمر)

السبية :

تشبيهها بالسعلاة ٧٢/١ تخدم ابنة عمها ٣٣/٩ اغتصابها ٤١/٥-٤٣ ، ٥٠/٨ الظافرون يقتسمون السبايا ويضربون عليهن السهام ١٧/٤٠ تنزل على حكم الرماح فتؤول إلى الغالبين ٢٠/٥٦

السحاب :

تشبيهه بريش النعام المتهدل ٣٥/٥٤ تشبيه السحاب حين يدر المطر بالناقة حين تدر اللبن ١١/٦٨ مراقبته وشيمه ٢٢/٦-٣٠ إبراقه ٣٣/٥٤ إرعاده ٣٤/٥٤ كثيف فخيم ٣٤/٥٤

السراب :

اضطرابه وخفقه في الصحراء ٢١/١ ، ٢٤/٢ ، ٢٧/٨ ، ٣٠/١٢ ، ٢٤/١٣ ، ١٣/٢١ ، ٢٥/٣٣ و٤٦ يجلل الآكام ١٧/٤ ، ٣٨/٣٩ تشبيه تموجه بخفقان الثوب الأبيض المخطط ٢٨/٤

السفه :

الرجل ينفي عن نفسه السفه ٣٠/٣٣ النديم لا يسفه حين يثمل ٤٧/٣٦

السهد :

تشبيه المسهد بالسليم (الملدوغ) ١/١٧ سهد المحب (الحب)

السوط :

مفتول قد ألانه الضرب ٢٨/٢ جلده يابس لم يمرن ١٥/٥٥

السيف :

تشبيه بالحبل ٧٣/٢ بالبرق ٢٧/٣٠ وصف جرحه بالغموض ٧٣/٢ صلابة معدنه وصعوبة صقله ٢٧/٩-١١ براق ١٨/٥٣ ، ٢٧/٩-١٠ قاطع ١٨/٥٣ ، ٢٠/٥٧ ، ٢٧/٩-١٠ يشفي النفوس من الحرارة ٢٠/٥٧

(ش)

الشاعر :

وفاؤه لقبيلته ١٤/١٤-١٥ و ٢٨-٣٤ دفاعه عنها ١٥/٤٨-٤٩ مشاركته في توجيه سياستها ٣٢/٥-٣٥ شيطانه ١٥/٤٣ و ٥١ ، ٢٧/٣٠ ، ٣٣/٣٢-٣٤ ينفي عن نفسه انتحال الشعر ٦٨/٥ يحبس نفسه على صناعته ٦٩/٥ تشبيه الشاعر الذي يثبت للخصم بالفرس الذي لا يعتريه الكلال ١٠/٤٤ بالأفعى ٢٢/١٠

الشباب :

الحنين إليه والتحسر عليه ١١/٢ ، ٢١/٣-٤ ، ٢٢/١-٣ و١٠-١١ ، ٢٩/٥-٩ ، ٣٤/٥ الاستمتاع به وبلذاته ٣٦/٦-٣٨ ، ٢٠/٢٣-٢٤ التجارب في لهو الشباب ٤٣/٦ الانصراف عن لهو الشباب ١٢/٢-١٣ ، ٤/٣-٥ ، ٥/٥-٨ و ١٠ ، ٧/١-٣ ، ١١/٢ ، ٢٢/٢٤ ، ٢٩/٥-٩ ، ٥٢/٢-٤ لا يدوم ١٠/٦٣ و١٨-٢٠ عارية مستردة ١٢/٢٦ تشبيه الرجل في شبابه بالرمح ١٨/٦٣ بآنية الذهب المحكمة الصنع ١٩/٦٣

الشجاعة :

تشبيه الشجاع بالأسد ١٤/٧-١٦ ، ٩/١٥ ، ١٣/٤٥ ، ١٤/٤٠-٤٢ ، ١٧/٢ ، ٢٠/٥١ ، ٢٨/٢١-٣٠ ، ٣٢/٥٣ ، ٧٠/١٤-١٧ بالسم ١٣/٤٥ ، ٤٦/٦ يسرعون إلى الحرب إسراع الظماء للماء ٩/١٩ الشجاعة لحسن الأحدوثة ٤١/١ ، ١٦/٢٧ جرأته ثقة بأن الموت مرهون بانتهاء الأجل ٥٤/٣

الشعر :
تشبيهه بالناقة الغريبة ٣/١٠ بذباح الكلب ١٤/٣٠ بالمقراض ١٤/٣١ سيرورته ١٨/٣٨ ، ٣٣/٤٢–٤٣ ، ٧٣/٥ مواسم الشعر ١٥/٤٢

شعر المرأة :
لينه ١٣/١ ، ٧٩/٧ غزارته ٦/٢ ، ٣٢/٨ سواده ٣/٩ ، ١١/٤ ، ٢٠/١٢ ، ٦٥/٩ طيب رائحته ٧٩/٧ تشبيهه بالحبال ٥٢/١٣ بالخميصة (كساء مخطط) ١٩/٢

الشهامة :
مدح الرجل بحماية اللاجىء والمستغيث ٢/٥٣–٥٤ ، ١٢/٣٥ ، ٢٩/٣٠ ، ٣٠/٢٤ ، ٥٥/٤١

الشيب :
تشبيهه بالخمار ٨/٥ بالحمل الثقيل ٥/٩ الشيب بسبب الهموم ٩/٢٦ كره النساء له ١٠/٣–٤ ، ١٣/٢ ، ٢٠/٢٠ ، ٢٩/٥–٩ ، ٣٤/٣ ، ٦٣/٩ ، ٧٩/٢

الشيخوخة :
تشبيه حنين الشيخ لوطنه بحنين الجمل العجوز ٢/٦٠ تشبيهها بالقيد ١٢/٣٨ حنين الشيخ للنساء ٣٩/٢

(ص)

الصائد :
تشبيهه بالذئب ١٥/١٩ ، ٥٢/٣٨ تشبيه كلابه بالنشاب ٧٩/١٩ تشبيه وكره بالفسيل المكمم (صغار النخل) ١٥/١٦ أغبر نحيل مظلم الوجه ٥٢/٣٦–٣٧ ذو صبية جياع ينتظرون صيده ٧٩/١٧

الصحراء :
تشبيهها بالبرد ٢/٢٣ و ٢٧ بظهر الترس ٦/٣١ ، ٣٢/١٩ ، ٦٨/٥ تشبيه نباتها بالبرود الزاهية الألوان ٣/٤ أعلامها بالرجال ٨/٢٥ رمالها بالجمر ٣٩/٤٠ ظلامها بالتبة السوداء ٨٢/٢٤ مياهها الراكدة باللبن الخاثر ٨٢/٢١–٢٢ الريش فوق مناهلها المدفونة بنصال السهام ١/٩ تخرس المسافرين ١/٦ تخدع المسافرين وتغتالهم ١/٢٢ مياهها راكدة متغيرة ١/٩ ، ٤/١٥ ، ٣٣/٤٧ ، ٨٢/٢١–٢٢ مناهلها داثرة مدفونة ٢/٢٣ و ٣١ ، ٢/٢٢ مسالكها مطموسة ٣/١٢ ، ٢١/١٣ يهماء (عمياء) ٣/١٢ ، ٨/٤٠ ، ١١/٥ قلة الماء فيها ١/٧ ، ١/٢٣–٢٤ ، ١١/٦–٧ وحشتها واتساعها ٣/١٢ ، ٣٣/٢٥ تعزف فيها الجن ٤/١٥ ، ٦/٣١ صوت البوم ٨/٤٠ ، ١٣/٢٣ صرير الجندب ١٢/٣١ الدليل ٨/٢٦ خوف المسافر من الضلال ٣/١١ ، ١١/٨ ، ٧٠/٣٠ ، ١٣/٢٢ ، ٢١/١٣ و ٢٣ ، ٣٤/٢٣ ، ٥٥/١٣ بروز عينه من شدة الهول ١١/٥ يترك فيها النعام بيضه ١١/٥ لا تأكل الناقة فيها إلا ما تجتر ٣٢/١٩ ، ٦٣/٢٥ إدمان الرحلة فى الليل والنهار ١/٨ ، ٨/٤١ طول الليل على المسافر ١١/٩ اشتداد ظلمته (سواء فيه الأعمى والبصير) ٨٢/٢٣ الاهتداء بالنجوم ١٧/٩ ركود الشمس فوقها ٣٩/٣٩ تشم صخورها السوداء الهمود والجود ٨٢/١٩ راجع كذلك (السراب) و (الرحلة)

الصلاة : صلاة الرهبان ٦٣/٥ فى العشيات والضحى ١٧/٢١

الصلع : تشبيه رأس الأصلع بالمخاط ٤٤/٦ كره النساء له ١٣/٢

الصليب : تصويره فى الهيكل ٦٢/٥

(ض)

الضعيف : تشبيهه بالكمأة (نبت ضعيف لاصق بالأرض) ١٩/٦ بالأرجل والأحشاء وتشبيه القوى بالصدر والمناكب ٥٩/٥

(ط)

الطعنة :
تحبس الخيل وتصدها عن الاندفاع ٧٥/٢ يفور فيها الزيت والفتل ٦١/٦ يغشى رشاشها الفراش ٣١/٩ يندفع منها الدم على الحيزوم ١٠/٣٩ تضرب منها النساء النحور ٥٤/١٢ الطعن فى الكلى ٥٣/١٥ إيقاد النار للمطعون ٣١/٩

الطلاق : خير من العشرة النكدة ٤١/١–٢

الطيف : طيف الحبيبة ١٦/٩–١٠ ، ٥٥/١

(ظ)

الظبية :
متخلفة عن القطيع ٣٢/١٠ بين شجر الأراك ١/١٢ ، ٣٢/١١–١٢ ، ٥٢/٦ ، ١٠/٥ ، ٧٩/٤ ، ٨٠/٧ تراعى طفلها الضعيف ٣٢/١٣ ، ٥٢/٨–١١ ، ٨٠/٥ حزنها على طفلها الذى افترسته السباع ٣٢/١٨ ، ٧٢/٣ ترتع فى واد جاده مطر الخريف ٥٢/٦ ظبى صغير باغم ضعيف المنكبين ٥٢/٦–٧ ، ٧٨/٣ قرونها ٣٢/١١ تشبيهها بين الأشجار فى اليوم الشديد الحر بالنساء خلف الستور ٨٢/١٨

الظلم :
مدح الرجل بإبائه ٥٥/١ ، ١٤/٣٨ ، ٣٢/٥٢ ، ٥٦/١٥–١٦ ذمه ٥٦/٧ توالى الظلم يستفز المظلوم ١٤/١٦ تشبيه المظلوم بالثور الذى يضرب حين تعاف البقر الماء ١٤/٢٥–٢٧

(ع)

العاشق : راجع (المحب)

العدو (بضم الدال) : راجع (الخصم)

العدو (بسكون الدال) : تشبيهه بالحريق ١٣/١٥ بغليان القمقم ٢٣/١٥ الافتنان فيه ١/٤١٤

العشا : ١١/٦ ، ٧/٨ ــ ٩

العطاء :

هبات الملوك : الابل ٤٦/١ ، ٢٥/٣ ، ٤٠/٤ ، ٥٨/٥ ــ ٥٩ ، ٣٧/٥٥ ، ٢٦/٧٩ ــ ٢٧ الجياد ٤٨/١ ، ٤٠/٢ ، ٢٦/٣ ، ٤١/٤٤ ، ٦٠/٥ ، ٣٨/٥٥ ، ١٤/٦٨ ، ٢٥/٧٨ الجوارى والقيان ٤٧/١ ، ٥٢/٢ ، ٩/٧ ، ٤٠/٥٥ ، ١٠/٧٠ ــ ١١ أكاليل الياقوت والديباج ٤٨/١٣ ــ ٤٩ آنية الفضة ٤٩/١ مائة ناقة ٢٥/٣ ، ٤٠/٤ ، ٥٩/٥ ، ٧٦/٤ ثمانون ناقة عشارا ٢٦/٧٨ قند ٨/٧ غلام ٢٧/٧٨ استجداء الممدوح ٧٦/٢ ــ ٨٣ ، ١٤/١١ و ١٩ العفاة ، تشبيه طوافهم ببيت الممدوح بطوف النصارى ببيت الوثن ٥١/٢

العمى : قائده — عكازته — تهيبه الطريق ٢٤/١٢ ــ ٢٩

العهد :

تشبيهه بالحبل ١٨/٣ تشبيه الرجل بالأسد فى الدفاع عما أعطى من عهد ٢٥/٤ المحافظة على العهد ٤٣/١ ، ٥٤/٥ المسافر يأخذ العهود من القبائل التى يمر بها ١٨/٣ ، ٢٠/٤ ، ٣٣/٥٠

العين :

تشبيه عين الحبيبة بعين الظبى ٣/٩ ، ١٣/٧٧ ، ٥/٨٠ بعين بقر الوحش ٥/٧٩ نظرتها الفاترة بنظرة الظباء بين النخيل ٣/٦٣ حورها ١٢/٥٤ ، ٨/٦٥ فتورها ٦/١٢ ، ١٤/٧٧ قتلة ٣/١٦ حسن الحاجب ١٤/٧٧

(غ)

الغارة :

الغارة الطويلة تركب فيها الابل وتجنب الخيل ٢٠/١٩ تآكل حوافر الخيل لطول الطريق ٥٨/٢ الخيل تنادر صنارها فى الطريق ٤٠/٣ الغارة فى الصباح ٢٦/٤ ، ٩/٧٣ الغارة فى الصيف ٥١/١٢

الغريب : اضطهاده وإيذاؤه ٩/١٤ــ١٣ و ١٩ــ٢١

الغزال : راجع (الظبى)

الغناء : راجع الخمر : (مجلسها)

الغنائم :

تغنى الفقير ٧٣/١ــ٧٤ ، ٣٣/٤٠ من الابل ٥١/٨ــ٥٢ ، ٤٢/٢١ الفخر بالزهد فى الغنائم ٤١/٥٤ المقاتلون يسمون لحيازتها ١٠/٦٢

الغواص :

مغامرته فى سبيل استخراج الدر ٩/٨٠ ــ ١١ مارد من الجن يحرس الدر فى أعماق البحر ١٢/٨٠ ــ ١٣

الغيبة : تشبيهها بنحت الأثلة (شجرة) ٤٦/٦

(ف)

الفارس : أصوته بالسرج مكباً على وجهه خشية السقوط ٥٩/٢ بصره بمواضع الطعن ٧٥/٢ ، ٦٠/٦ يحارب غير مستتر بالدروع ٥٣/٣ يصيح صيحة الفرح حين يصيب الهدف ٢٨/١٦ يلبس الدرع والمغفر ٥٠/٢٠ البيضة فوق رأسه ٤/٤٠

الفتى : يمتع نفسه من اللذات ٣٨/٦ ، ١٢/٥٥ تشبيهه بالسيف ٣٨/٦ ، ١٢/٧ لو نادى الشمس أو القمر لأجابا ١١/٧

الفخر :

بمن قهروا من القبائل ٥٣/٦ ــ ٥٦ ، ٩/٩ ــ ١١ ، ٥٤/١٥ ــ ٥٧ بإذلال الخصم ٨/١٠ ، ٣٣/١٥ ــ ٣٤ ، ١٠/١٩ بمآثر الأجداد ١/١٠ ، ٢٠ بسادة القبيلة وأشرافها ٢٤/١٠ ــ ٣٤ ببذل المال للأهل والأقرباء ٢٥/١٠ ــ ٢٧ بصحبة الملوك ١٣/٦٣ بقبول الملوك لشفاعتهم ٣٠/١٠ ــ ٣٣ ، ٦٧/١٣ ، ٣٩/٦٥ بثبات القبيلة فى المكان المجدب المخيف ٣٧/١٠ ، ٣٦/١٦ ــ ٣٩ ، ٢/٢٧ بكثرة العدد ٣٧/١٥ ، ٢٧/١٨ و ٤٨ ، ٧/١٩ ، ٣٥/٢٠ و ٦٩ بكثرة الأولاد ١٢/٢٥ بالثروة ٢٨/١٨ ، ١٢/٢٥ بالاسراع لنجدة المستغيث ٤٠/١٦ ــ ٤٢ بفك أغلال الأسرى ٣٧/٦٥ ــ ٣٩ بالسبق إلى ورود الماء ٦٢/٢٠ بوفرة الطعام ومادة الحياة ٢٤/٢٣ ــ ٢٦ بالصبر على مكاره الحروب ١٣/٢٧ بسكنى البادية وحياة الاعراب ٣٥/٣٤ بامتاع النفس من اللذات (المرأة) و (الخمر) . بالمنعة وحماية الحى ١٠/٧٣ بحمل الديات والمغارم ٢٣/٣٠ ، ٢٩/٧٧ بالتغاضى عن المولى والصديق ١٥/٨٢ بكثرة الترحال ٥٦/٤ ــ ٥٩ ، ٥/١٧ ــ ٦ ، ٢٦/٧٧

الفراق :

وداع الحبيبة ١/٦ ، ١/٩ رحيلها ١/٣ ، ١/٥ ــ ٢ ، ٤/١٣ ، ١/٢١ ، ٢/٣٠ ــ ٧ ، ١/٣٢ ــ ٥ حزنها للفراق ٤/٧٢ تشبيه أثر فراقها فى قلب المحب بصدع الزجاجة ٨/٤ ، ٢/١٢ ــ ٣ ، ٤/٣٩ ، ٩/٦٤ ــ ١٠

الفرس : راجع (الخيل)

الفقير : مدح الرجل بإطاته ٣٥/١٢

(ق)

القبيلة :

مدح الرجل بالوفاء لها والبر بها وإنجادها ٣/٢٩ و ٣٤ ــ ٣٦ ، ٣٤/٤ ، ٢١/٤٦ ، ٩/٦٩ و ١٠ ــ ١١ رفق الشاعر فى عتاب قومه ومناقشتهم ٧/٢٣ ــ ٨ و ١٤ ــ ١٥ انقسام القبيلة وتغضب بعضها ضد البعض الآخر ٩/٢٣ ــ ١٢ الحث على إلانة الجانب للأهل ١٣/٦٦ الرجل يلقى قياده إلى قبيلته ٣/٦٩ تشبيه الذى يحارب الأهل بالذى يكسر رمحه فى صدره ٤/٥٨

النعامة : تبارى الظليم فى الصحراء ١٦/٣٤ ـ ١٨ و ٢١ ـ ٢٢
النهد : بروزه ١١/١٨ تشبيهه بالرمان ١١/٧٧

(هـ)

الهجاء :

تشبيهه بالقدر التى تغلى وتفور ٤٩/٤ ـ ٥٠ بالعقارب ٢٤/٥٤ بماء الملقم ٧/٧٣ بالرقمة في الثوب ١٨/١٩ بالابل الشاردة ٢٤/٣٤ بالكى فى الأنف ٧/٩ ، ٢٩/١٥ ، ٢٩/٢٠ ، ٥٧/٣٦ يداوى من داء المتشحح ٥/٣٦ ٥ يقطع عروق العينين ٥٦/٣٦ يذكر الجانى بجنايته ٥٧/٣٦ يلطم الصديق وجهه مما أصاب المهجو من عار ٦١/٣٦ تخب به الركاب ٢١/٥٤ الهجاء بالبخل ٤/٧ بالانقياد للملوك وقبول الحياة فى ظلهم ونعمتهم ٢٧/٩ ـ ٢٨ ، ٢/٢٦ و ٥ بسرقة الابل فى الليل ٢١/١٠ ، ٧٠/٢٠ بنبش القبور وسرقتها ٧/٥٠ ـ ١٠ بأكل دم الفصيد ٢٦/٢٣ بالاعتماد على الزراعة ٣٣/٣٤ـ٣٤ ، ١/٦٦ بسكنى المدن ٣٤/٣٤ هجاء الرجل بتفضيل بعض قومه عليه ١/٢٤ ـ ٢ نفى العروبة عن المهجوو نسبته إلى النبط ٣٢/٣٤ هجاء الرجل بأنه دعى ٢/٥٠ بأنه لاولد له يقوم مقامة إن مات ١٥/٦٢ الهجاء بالأم ٢/٧٣ و ٨ أهل نخيل وتمر ١١/٦٢

الهم : ينتاب فى الليل ٤/١٤

الهمة :

مدح الرجل بعلو الهمة ١٩/٣ ، ٣٣/٥٥ ـ ٣٤ ينهض للحرب حين يلتذ غيره بالنوم ٣٣/٢٩ ـ ٣٤

الهودج :

يغطى بالفرش الملونة الحمراء ٥/٣٠ يفرش بالبسط الموشاة وتنثر عليه الوسائد ٢٦/٣٣ ، ١٦/٦٥ تشبيهه بالروضة المزهرة ٢/٧٢

الهيبة : مدح الرجل بأنه مهيب ٤٧/١٤٤/١

(و)

الود : تشبيهه بالحبل ١١/٤ ، ٣/١١ ، ١/٧٩ ، ٢/٨٢

الوشاة :

يفسدون على الرجل أصدقاءه ٣٧/١٤ ، ٢/١٥ الاعراض عنهم ٦/١٣

الوفاء :

مدح الرجل به ٤٣/١ ، ٥/٥٤ ، ٢١/٢٦ ، ١٠/٢٥ و ١٩ ـ ٢١ ، ١٦/٣٥ الحث على إنجاز الوعد ١٢/٦٦ على الوفاء بالامانة ١٤/٦٦

الوقار :

مدح الرجل بأن الخمر واللهو لايخرجانه عن الوقار ٤٣/٣٢

(ى)

اليتيم :

مدح الرجل برعايته ٤٦/١٣ ، ٢٨/١١ ، ٨/٦٠ ـ ٩ ، ٧٢/٩ ـ ١٠

فهرس اللغة

(خ)

ذبح : الذُّبَّاحُ ٧/٧٣
الذِّبْحُ ٣٣/٣٦
الذَّبِيحُ ٩/٣
ذرر : ذَرٌّ ١٥/٧٩،٣٨/١٣
ذرع : ذَرْعٌ ٢٨/١٣
الذَّوَارِعُ ٢٦/١٦
مَذْرَعَةٌ ٣/٤٩
ذرو : ذُرًى ٤٧/٢١،١١/٢٠
، ١٢/٧٧
ذعلب : ذِعْلِبٌ ٧/٣٠
ذِعْلِبَةٌ ٢٣/٦٥
ذكر : أَذْكَارٌ ٢/٦٤
ادِّكَارٌ ١/٧٨
ذكو : تُذَكِّي ٩/٣٨
مَذَاكِي ٤/٤٧
ذلق : ذَلِقَ ٢٢/٥٤
ذمر : ذِمَارٌ ٤٩/١٠
ذمل : ذَمُولٌ ٤٠/٥٥
ذمم : الذَّمُّ ٥٢/٣٣
ذَامٌ ٥/٢٩
ذنب : ذَنُوبٌ ٧/٦،٦٤/١
، ٤١/٢١
ذهل : ذَوَاهِلُ ٢/٤٧
ذود : يَذُودُ ٢٩/٦٥،٥١/٣
ذَوْدٌ ١٨/٤
أَذْوَادٌ ٢٠/١٦،٤٩/٨
ذوق : مَذَاقَةٌ ٦/٨٠

ذوى : ذَوَى ٥٠/٢

(ر)

رأد : تَرَأَّدَ ٢٢/٣٤
رَأْدٌ ١٢/٣٦
رأل : رِئَالٌ ٩/٧٢،٨/٦٠
رأى : رِئَاءٌ ٣/٢٣
ربب : أَرَبَّ ٢٤/٥٤،١٩/٣٠
يَرْتَبُّ ١٣/١
رَبٌّ ٣٥/٦،٣٣/٥
، ٩/٦٦،١٨/٣٣،٢٨/٣٠
أَرْبَابٌ ٤٨/٣٢،٥١/٥
رُبٌّ ٢٤/٦٥،٣٠/٥٥
رَبَابٌ ١٣/٧٩،٣٥/٥٤
رَبِيبٌ ٣/٦٨
ربت : يُرَبِّتُ ٣/٣٠
ربح : الرُّبَحُ ٤٩/٣٦
ربد : أَرْبَدُ ١٦/٣٤
رَبْدَاءُ ٩/٧٢،١٦/٣٤
ربذ : رَبِذٌ ٤٥/٢٠
ربرب : رَبْرَبٌ ٩/٣٠،٤/٢٢
ربل : الرَّبْلُ ١٥/٦٨
ربو : رَبًّى ٢٨/١١
رَابٍ ٤/٧٧و٦
أَرْبِيَةٌ ٤/٧٧
رتع : رَاتِعَةٌ ـ رُتَّعٌ ٣٢/١٣
المَرْتَعُ ١٧/٣٢

مَرَاتِعُ ٣٨/١٦
رتك : رَتَكٌ ٢٩/١٦
رتل : رَتِلٌ ٣/٧٩،١٦/٥٢
، ٦/٨٠
رثث : رَثٌّ ٢٤/٧٩
رجج : يَرْتَجُّ ١٠/٧٧
رجح : ارْجَحَنَّ ١٤/٧٨،٦٥/٢
رُجُحٌ ٤٧/٣٦
مَرَاجِحٌ ١٨/٣٨
رجرج : رَجْرَاجَةٌ ١٠/٢٦
رجس : رَجُوسٌ ٢٩/٣٢
رجع : يُرَاجِعُ ١٢/٦٤
الرَّجِيعُ ١/٥٨،١٩/٣٢
رَجْعٌ ١٥/٣٩
رجف : رَجُوفٌ ٢/٧٢،٢١/٦٣
رجل : يَتَرَجَّلُ ٢٢/٧٧
يُرَجِّلُ ١٩/١٦
الرَّجْلُ ٢٧/٧٩
المَرَاجِلُ ١١/٧٠
رَجِلٌ ١٣/٥٢
رجم : رَجِيمٌ ٢/٢
الرُّجْمَةُ ـ المُرْتَجِمُ ٣١/٤
مِرْجَمٌ ٣٩/٥٥،١١/٣٥
مُرَجَّمَةٌ ٢٤/٧٩
رجن : الرَّجَنُ ٤٠/٢
رجو : أُرَجِّي ١٠/٧٨
رحح : رُحٌّ ٢٩/٦٥
الأَرَحُّ ٣٣/٥٥

رحل : الرَّحْلُ ١٦/٥٥،١٧/٧
، ٩/٧٩
الرَّحَائِلُ ١١/٧٦
رَاحِلَةٌ ٤٦/٥٤
رحم : رِحْمٌ ٤١/٣
الرَّحِيمُ ٥٤/٤
الأَرْحَامُ ٤٠/١
الرَّحْمٰنُ ٨/٦٦
رحو : رَحًى ٤/٤٢
رخص : رَخْصٌ ٧/٥٢
رُخْصَةٌ ٣/٧٨،٤/٦٤
رخم : رُخَامٌ ٦٨/٤
رخو : رَخِيَّةٌ ١٠/٧٢،٩/٦٠
ردح : رَدَحٌ ٨/٧٩
ردد : رَدٌّ ٣٣/٦٥
يُرَدُّ ١٧/٥٢،١/١
زدع : يَرْدَعُ ٢٨/٦٣
ردف : الرِّدْفُ ٢٤/٣٢ ،
٦/٦٨،٢٥/٦٣
الرِّدَافُ ٣٣/١٢،٢٣/٦
رَوَادِفٌ ٩/٧٧
مُرْدَفَاتٌ ٢٩/٦٥
ردن : الرُّدَنُ ٢٧/٢و٨١
أَرْدَانٌ ٣/٧٨،١٣/٦
الرُّدَيْنِيُّ ١٨/٦٣
ردى : رُدًّى ٣٨/٣٩
ردم : رَدَمٌ ٢١/٥٦

فهرس

بمواضع الخلاف بين هذه النسخة والنسخة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٢٢/١	تَغَوَّلُ	تَخَيَّلُ
/٦٥	فخمة . . ورعالا	فخمة . . ورعال
/٦٩	دودان	ذودان
/٧٠	حالة عن حال	آلة عن حال
١٠/٢	أقاد	وزال
/٢٦	الدجن	الضجن
/٣٩	اللَّجَن	الغَبَن
/٥٦	أثبتت رواية البيت عن الموشح للمرزبانى	وهى بياض فى النسخة الأوربية
/٥٨	تحت . . حت	تحت . . حث
٢٧/٣	فتخاء	عجزاء
/٤٧	شزبا	قطبا
/٤٨	جزأ	جز
١٧/٤	بالسراب	بالسراة
/٢٤	والرجم	والعظم
/٢٥	كالغيظ	كالقيط
/٣٩	بما عونه	بما عنده
/٤١	الخصاب	الطريق
/٥٠	سورة	عورة
/٥٥	الطوف	الطرف
/٥٦	فأوريشلم	فأوريسلم
/٦١	تقرب	يقرب
١١/٥	المستراة	المشتراة
/١٥	فاستدارا	فاستزارا
/٢٥	بَيَّنَ	أَبَّنَ
/٢٦	السليل	الشليل
/٣١	تقول ابنتى	أقول لنا
/٣٢	وائلا قومنا	قومنا مالكا
/٣٧	الجمارا	الحمارا
/٥٨	المشار	الركاب
/٦٠	كميت	طويل
٨/٦	صفر . . . وملء	ملؤ . . . وصفر
/١١	يصرعها	تصرعه
/٢٦	الأجزاع	أجزاع
/٥٦	حتى	ثمت
/٦٠	تخضب . . . من	تطعن . . . فى
/٦٢	خطت . . تخدى . . إليه	حطت . . يخذى . . إليها
/٦٥	العين ضاحية	الحنو صاحبة
٦/٨	تيسا	نعم
/٢٤	تجور	تخور
/٣٤	لقضاء	لقضاء
١١/٩	صائغ	صانع
/٢٠	لهان	فهان
/٢٣	إن جد التقاطع بيننا	بالله الذى أنا عبده
/٢٤	وتترك	وتترك
/٢٥	أقصر	اقعد
/٢٦	وتندى	وتبدى
/٣٣	وتلفى . . . يلفى	وتلقى . . . يلقى
٢١/١٠	طحا	طها
/٢٦	فقال له	فقال لها
/٢٧	أثار له	أثار لها
/٢٨	عذراتها	عزراتها
/٣٥	معجلا	معزبا
٨/١١	الجبس . . يروم	الحبس . . . تروم
/٩	يوانى	تَرَاهُنَّ
/١٢	كميت الصيدلانى	كدور الصيدنانى
/٣٢	تخبرهن	تخيرهن
٩/١٢	ساق	شلك
/٣٤	أزكى	أذكى
١٤/١٣	كمثل التى	كمثل الذى
/١٥	اغتراب	اغتراف
/٤٢	فزعا	فرعا
٤٤/١٣	الحذورة الفزعا	الحضورة الفزعا
/٥٨	قد كاد	قد كان
/٦٢	لما رآم	لما أتوه
/٦٩	الفصح	الفتح
٣٣/١٤	بالمغيب	بالمعيب
/٣٨	رام	دام
/٤٣	لم يعل	لم يعلو
٨/١٥	خصبة	حصلة
/٩	ينقض	ينفض

(تابع) فهرس مواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
/١٣	بشد كالهاب الحريق	بالهاب شد كالحريق
/٣٠	جاوزته	جاوزنه
/٤٤	والمضاض بن جرهم	وحده وابن جرهم
/٥٠	وخلي	وخل
١١/١٦	دوننا	ذونها
١١/١٧	احردا	أجردا
٧/١٨	تفي	تسي
/٨	تسارق الطرف	داعرة تدنو
/١١	صدرها	نحرها
/٢١	تمارتها .. والناظر	تداريتا .. والآثر
/٢٥	وكم ساخر	ومن ساخر
/٢٨	في الأثرين	بالأثرين
/٣٠	نخره .. الفاخر	لجره .. الفاجر
/٣٨	مستوسق	مستوثق
/٣٩	أمه	آمة
/٤٦	ضاثري	صابري
/٤٧	إن شمرت	إذ شمرت
٥/١٩	نهيت	نهبت
/١٠	الناكو .. تأكلون	الناكي .. يأكلون
/١١	غرثي	جوعي
/١٢	الطائمات الشواخصا	الماثمات الفوامصا
/١٤	لكنتم .. لكنتم	لكنا .. لكنا
/١٥	مراقصا	مراقصاً
/١٦	جديد .. واحجار	حديد .. وآعجاز
/٢١	كنتم	أنتم
٤/٢٠	الأريكة	الأراكة
/١٣	ومعصما مثله	وساعدا مثل
/٢٢	أني لك	أني لك
/٢٦	تفتتني	تعشتني
/٣٣	والصفارة	والصمارة
/٤٢	للأسنة	بالأسنة
/٤٣	وتسير	ويسير
/٤٧	يصدق	يكذب
/٥٨	وتكون	ونكون
٣/٢١	مضى	ذبا
/١٦	شي .. مماثلها	حولا .. قالها
/٣١	العقم .. قومه .. محتالها	العزم .. رأيه .. يحتالها
/٤١	القرى	القوي
٢١/٢٢	ومزهرنا	ومزمرنا

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
/٢٥	أعنابها	اغرابها
/٢٩	يتعجابها	لاذهابها
١٢/٢٣	بطيء	سريع
/٢٦	تقصدونها	تقصدونها
٨/٢٥	خسف	خشف
/١٨	كاللذع	كالذرع
٤/٢٦	تعيث ضباع	تغيث ضياع
/٧	لديه	لديك
/١٠	تغشى النواظر فخمة : أكنا فهن الرواحل	تغشى النوا ضرَ فخمة أكنافهن الرحائل
١٤/٢٧	ليرمينا	ليرمونا
٢/٢٨	بغانية	بعانية
/٥	مروح	مريح
/٦	الرضيخ	الرضيح
/١٢	كلالها	كلاها
/١٤	يمت	ينعت
/١٥	مرصد	مرقد
/٢١	يطان	يصان
/٢٣	إلى جنب	لدى جنب
/٢٨	يلاق	تلاق
١٨/٢٩	صرحت	سرحت
٨/٣٠	تضمنها ... بيان	تضمنه ... بنيان
١١/٣١	تدمي	ترمي
٩/٣٢	عابس	طانس
/١٧	مغلاق	مملاق
٣/٣٣	هجن	بن (وهو الصواب فأرجو تصحيحه)
/٧	وحصن	وورد
/١٧	يمالي	تمالي
/٣٠	بشباة	بشباه
/٣٥	أنجبي	أدني
/٣٦	طرفا	قوة
/٤٣	أنساع المطي	أطراف الجبال
/٥٧	السبح	الشيخ
/٥٩	وسوداء	وسودان
١/٣٤	فصت	ومضى
/٣٣	تنظر .. يحصدا	تمنع ... تحصدا
٥/٣٦	بالقوى	بالقوم

(تابع) فهرس بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
١١/٣٦	وغزا	وعزا
/٢٢	نفترى	يشترى
/٢٣	تبتنى . . وتجتاز . . نارك	يجتنى . . ويجتاز . . ناره
/٣٢	فتراه فلقا فراسنا	فَشَدَاهُ رَيَمَّانُ خفِّها
/٣٥	فى باطية	من باطية
/٣٧	الازياد	الازياد
/٣٨	جانباها	جانباه
/٥٠	تليل	كريم
/٥٥	كل مايحسم	كلما يحسن
١١/٣٨	كالخشن	كالخسن
/١٢	تكسف	تكشف
/١٧	لبونه إعتاما	لنوثه أغناما
/٢٦	المطاردون عن	المطار دون عنى
٧/٣٩	وتصير بعد	تصير وبعد
/١٢	تخبابها	تخبابها
/٢٢	ائتلاق	ابتلاق
/٣٣	تامورة	نامورة
٣/٤٠	السعاة	السقاة
/٩	وأدلت	وأذلت
٤/٤٢	أجلبت صهيون	احلبت صهيون
١٠/٤٤	حضرا	خضرا
٧/٤٦	وارحم	وارحم
٤/٤٧	الأعداء	الأحياء
١/٤٨	صدقت	صدفت
/٢	لآتية . . موغود	لآتيه . . موعودى
٣/٤٩	بمذرعة	بزرعة
٣/٥٠	لشر	بشر
/٤	كلابِ عِقْد	كلابٍ عقُد
/٥	يعزون	يغزون
٢/٥١	بالسحيل	بالصعيد
٧/٥٢	المقلتين	المائقين
/٨	ولا . . نجزل	لما . . وجذل
/٢٠	أهوى	هوى
/٢١	الوقود	القعود
/٢٤	صدمته .. تقول .. عدات	صدمته .. يقول .. غدات
/٢٥	ماشئ فلا تعطى	مَعْ لاهِيَ تعطيني
/٣٦	غبا مثل القناة	ضئيلا كالقنيط
١٤/٥٣	لاهه	اللهم
/١٦	نضح	نصح

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٤٢/٥٤	خبروا	خبروا
٤/٥٥	بيتها	بينها
/٣١	أبا فأبا	أبى فأبى
/٣٢	مأتما	مأتما
٧/٥٦	منتحها	منتخها
/٩	يهد	يهدا
/٢٦	الروع	الروح
٤/٥٨	أرماحكم	آرماحهم
١/٥٩	تعيير	تعير
٣/٦٠	نوجه	توجه
/٦	دمائنا . . وكرت	ذمائنا . . وكدت
٣/٦١	لوجههم	لرجههم
١/٦٢	لنا	لها
/١٥	أبو شريح	أبو حريث
/٢٠	تنفك تطحنهم	تنفك نقتلهم
/٢٤	غبرة	عبرة
١/٦٣	بحفوف	بحفوفى
/٧	سهرت	سهرت
/٩	مسدوف	مصدوف
/٢٥	الصريف	الصديف
/٢٦	ذاهباب	ذاهبات
١٤/٦٤	تمالج	تعالج
/٢٠	أبو مالك	أبو ملك
/٢٤	وقاقزة	وقى قزة
/٢٥	تحسب	يحسب
٣/٦٥	كنود	كبود
/٦	ومشربنا	ومشوتنا
/١٦	العبقرية	القنقرية
/١٨	احزألت	احزألت
/٢٧	القريد	الفريد
/٣٠	النواصف	المناصف
/٣٢	والفقود	واقعود
/٣٧	فانك	. . . حالك
/٣٨	تذيه	تليه
/٤٠	يريد	تريد
٥/٦٦	الغلانيا	العلانيا
/١٥	لانبغ	لاتبغ
/١٦	كنت	كان
١/٦٧	معتبا	مغتبا
١٣/٦٨	أعداؤه	أمداؤه
٢/٦٩	تأتيكم . . لو تنالون	تأتيكم . . أو ينالون

(تابع) فهرس بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٣/٦٩	يجملوه	نجملوه	/٢٥	وتنتلى	وتعتلى
/٤	المخنقا	المخنقا	١/٧٨	هموم . . وادكار	هموما . . وادكارا
/٨	ما أخف	أما خف	٣/٧٩	نسكهته	نسكهتها
/١٠	نجد غير أنيهم	يجد غير آبيهم	/٤	تقرو	يقرو
٦/٧٠	المسايل	المسائل	/٥	الذئاب	الذباب
/٧	فماذوا	فعادوا	٢/٨٠	ودائى . . غلقا	ورائى . . علقا
/١٥	الغياطل	العياطل	/٨	الزل	الذل
/١٨	تريم	بريم	/١٣	يطيف	يطيق
٣/٧٢	جابة	جأبة	/١٤	لبَالَى	لَيَالِى
/٦	تخشون	يخشون	٥/٨٢	تمترى .. تؤدى . . حلوها	يمترى . . يؤدى . . حولها
٨/٧٣	لأُمِّكَ	لأمْرِكَ	/٧	ينيرها	نميرها
/١٠	نسكنتيه	تسكنتيه	/١١	السنان	السياف
/١٢	الفارجين	القارحين	/١٢	جال	حال
٤/٧٧	تساندت	تسا بدت	/١٣	أيد تطيرها	أيدى نظيرها
/٢١	تهالكُ	هنالكَ	/١٤	يمنع	نمنع
/٢٢	شَيْدَارة	سِمْدَارَةً	/٢١	صَرٍ	صَرًى
/٢٤	وانيا	زائنا	/٢٤	مسوح . . وساج	مسوحاً . . وساجاً

استدراك وتصويب

بعض ما فى هذا الفهرس من أخطاء المطبعة . وبعضه الآخر مما سبق به القلم ثم تبينت خطأه ، أو فاتني ثم استدركته . وقد عنيت فى هذا الفهرس بتصحيح أخطاء النص الشعرى خاصة . واكتفيت فيما عداه من شرح أو تعليق بالضرورى والمهم ، متجاوزا عن بعض الهنات التى لايسلم منها مطبوع، من مثل أخطاء النقط ، التى يسهل الاهتداء فيها إلى وجه الصواب من سياق العبارة .

(١) فى المقـــدمة

الصحيفة	السطر	الخطـــــــــــأ	الصـــــــــــواب
هـ	١٤	محمد افندى عبد اللطيف الشويمى	مصطفى افندى عبد اللطيف
ط	٦	، ـــِ بدلا من ـــٌ	، ـــُ بدلا من
ى	الهامش س ١	١ : ٣٣ } ١٢ : ٢٠ }	١٢ : ٢٠ } ١٦ : ٤٢ }

(٣) فى الديوان

رقم القصيدة والبيت			الخطأ	الصواب
فى النص	فى النثر	فى هامش النص		
٢ : ١			طُونَ	طُولُ
٢ : ١٤			أَشْرَبَ	أَشْرَبُ
		٣:(١٣—١٤)	خدام الإبل سيور فوق أرساغها تشد إلى الشرائح	.. تشد إلى سرائح النعال (أي سيورها) . والنعل طبق من الجلد تلبسه الناقة فى أخفافها لتصونها . وهو للناقة كالحدوة للحصان .
	٣ : (١٠-١١) السطر الأخير		فتضطرب السيور التى . . .	فتتساقط النعال التى تصون أخفافها وقد تقطعت سيورها .
٤ : ٥٢			مِنْ عندَنَا	من عِنْدِنَا
٥ : ٣٣			رَبُّكُمْ	رَبَّكُمْ
٥ : ٣٧			الجِمَارَا	الجُمَارَا
		٥ :(٤٢—٤٤)	الغبوق شرب الصباح	... شرب المساء
٦ : ٢٦			مَسْقَطُهُ	مَسْقِطُهُ
٨ : ٣			تُمِيطِي	تَمِيطِي
		١٠:(١٥—١٨)	أي ليس عندى بقدر القوت	يضاف بعد ذلك : ويروي (أقاتها) — بضم الهمزة — من أقاته ، أى اعطاه قوته . ويروى كذلك (أفاتها) — بالفاء — من أفاته الأمر ، أى جعله يفوته . فالخمر لانفوته على أية حال .
١١ : ٢٧			ثَلْمَةٍ	ثُلْمَةٍ
	١٢ : ٥٢		مكان الخوف	مكامن الخوف
١٥ : ٥٦			يُحَرِّقُ نَخْلَهُ	يُحَرِّقُ نَخْلَهُ
١٦ : ٣٩			لَمْ يُزْوِهِ	لَمْ يَزْوِهِ
		١٦:(٣٩—٤١)	لم يذوه	لم يزوه ... زوي الشيء يزويه (كضرب) نحاه وصرفه .
	١٨ : ٤٦		وما انطوت عليك	. . . . عليه
	١٩:المقدمة(س ١)		فى تنفير علقمة عليه	... عامر ...
٢٠ : ٣			ضَحْوَتُهَا	ضَحْوَتَهَا
		٢٠:(٣١-٣٥)	ينتهى نسبهم إلى قيس عيلان	... إلى غطفان من قيس عيلان
٢٥ : ٣			وأَمْنَعُهُمْ	وَأَمْنَعَهُمْ
	٢٨ : المقدمة (س ١١)		فى ولاية المغيرة بن شبة	... بن شعبة
٢٨ : ٢			تَبْعُدِ	تَبْعَدِ
		٢٨:(٢٦—٢٨)	المعتد أى المعد من أعتد	...من عتد (بتشديد التاء)

« تابع » (٢) في الديوان

رقم القصيدة والبيت: في النص	في النثر	في هامش النص	الخطأ	الصواب
٣٠ : ١٠			وآخَرَ	وآخَرُ
٣٠ : ١٨			الرُّفَادُ	الرُّقَادُ
		٣٦:(٥٢-٥٣)	الكشح الخصر	الكشح الجنب
٣/٣٣			هِجن	بَنّ
٤٠ : ٨			رِحَمَى	رِحَمَى
		٤٠:(٧ - ٩)	ماهنا موصولة . مفعول أحموا	... مضافة إلى حمى
	٤٤ : المقدمة (س ١)	٤١:(١ - ٢)	وأنت (طارقة)	وأنت (طارقة)
			في هذا الرجز إقواء	... إقواء
٥٣ : ١٣			أقسمتم	أقسمتم
		٥٦:(١٨-١٩)	(السيرة : ٦٦)	(السيرة ١ : ٦٦
	٦٣ : هامش ص ٣١٢		(١) سيرة ابن هشام ٤٤:٢٥٤	٤ : ٢٥٤
٦٣ : ٢١			مِنَ النَّوَاعِجَ	مِنَ النَّوَاعِجِ
	٧٦ : المقدمة (س ٢)	٦٦:(٤ - ٦)	الرباعة لإزالة ...	الرباعة الحالة ...
			وبقي للأعشى قصيدة واحدة وهي (٦٨)	. . . (٧٨)

(٣) في الفهارس

رقم الفهرس وموضوعه	الحرف والمادة	الخطأ	الصواب
(٢) فهرس الفنون الشعرية	غزل	١/١ — ٥ و ١٠ /— ١٧	١/١ — ٥ و ١٠ — ١٧
(٣) فهرس الأعلام	حرف الحاء (الحارث)	راجم (حرث)	.... (حريث)
	« الميم (أبو مالك)	١٦/١٥	٦١/١٥
	« الهاء (هريرة)	٦/٧٨	٢/٦٢
(٤) فهرس القبائل سقط هذان الاسمان فأرجو إثباتهما	« الثاء (ثعل)	....	ثعل ١٥/٧٩
	« العين (عوص)	....	عوص ١/٦١
(٥) فهرس الأماكن سقطت هذه الأسماء فأرجو إثباتها	« الباء (بريم)	....	بريم ٢٦/٧٨
	« الحاء (حضن)	....	حضن ٢٦/٧٨
	« الزاي (زرود)	....	زرود ٦/٦٥
	« الميم (مصر)	....	مصر ٣٥/٥٥
(٧) فهرس المعاني والصور	« الثاء (الثغر)	وبالكافور ٧٠/٦	٦/٨٠
	« الحاء (الحبيبة)	بسبب : هومه ١/١٨، ٢/٢٣٠	يصابب هومه : ١/١٧، ٥/٢٣
	« « «	وصدها ... ٤/٨، ... ١/٢٢، ... ١٢/١٢، ١٣ —	... ٣/٨، ... ١/٥٢، ... ١٣/١٦، ١٣ —
	« « «	مشيها : ... بمشي النشوان ٢/٢٠	... ٦/٢٠
	« « (الحرب)	الحرب في الصيف ٥/١٢	٥١/١٢
	« « « (س ٣ العمود الثاني)	(تعبس الوجوه — تقلص الشفاه ... الخ) ١/٤، ٢٦٥/٤٢	... ٤٢/٢٠،
	« السين (السادة)	يتحملون الديات (ديات القتلى) ٣٨/٢	٣٨/٢٠
	« النون (الناقة) (س ٣٠ العمود الثاني)	تلاحم فقارها ... ٤٤، ١٩/	... ١٩/٣٤،